

ثورة الجنرال

جمال عبدالناصر

دكتور، رفعت سيد أحمد



دار الهدى للنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع حقوق الطبع محفوظة للنشر
الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ ~ ١٩٩٣ م
تصميم الغلاف
للفنان الأستاذ / شوقي مكي



دار الهدى للنشر والتوزيع

المكتب : ٢٥ ش محمد طلعت سالم - المنطقة الأولى - مدينة نصر
ت : ٢٦٢٥٧٠٨
Off. 25 Mohammed Talaat Salem St., First Area Nqsr City Tel.: 2625708

دار فنت كيد محمد

قصة الجندك

قصة جمال عبد الناصر

من الميلاد إلى الموت

١٩١٨ ~ ١٩٧٠

موسوعة فكرية وسياسية

دار الهدى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا حَقًّا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

صدق الله العظيم

فصلت/ ٢٣

الإهداء

إلى روح الشهيد الإمام .. الحسين بن علي (رضى الله عنه الذى جمع
فى استشهاده بين الدين والثورة ذلك الجمع الذى نفتقده حتى يومنا هذا .
رفعت سيد أحمد

□ المقدمة □

* هذه الموسوعة عن جمال عبد الناصر ، لم تكتب لكي ترضى أحداً بعينه ، شخصاً كان أو تياراً فكرياً أو سياسياً .

* ولكنها على النقيض من ذلك تماماً ...

* كتبت لتقول الحقيقة ، ولكي تكتشفها ، ولذلك فهي ستغضب أو على الأقل لن ترضى غالب الآراء ، والاتجاهات ، وبخاصة تلك التي تتخذ خلف مصالح وإيديولوجيات بعينها ، ولا تحيد عما آمنت به من أفكار ، بشأن عبد الناصر ، حتى لو ثبت لها بالوثائق ، والحقائق الجديدة أن ما تتخذ من أجله ، وما آمنت به .. غير صحيح .

* إن هذه (الموسوعة) أتت لتصدم ، وتكشف وتضيء ، وفي سبيلها لذلك ، لم تلو جهداً في استقصاء رؤى وأفكار كافة القوى والتيارات المعارضة ، والمؤيدة للتجربة الناصرية ، ولم تلو جهداً في التفتيش عن كل صغيرة وكبيرة بشأن شخصية جمال عبد الناصر .. منذ ميلاده وبداياته الأولى عام (١٩١٨ م) وحتى وفاته عام (١٩٧٠ م) .

* لقد تحدثنا في هذه (الموسوعة) عن البدايات الأولى لجمال عبد الناصر ومصادر ثقافته ، وتنشئته الاجتماعية ، وأسلوب حياته ، وكفاحه صغيراً في صفوف بعض الأحزاب والجماعات السياسية المصرية ، وتناولنا بالتحليل تشكيل تنظيم الضباط الأحرار ، والرؤى المختلفة بشأن هذا التنظيم ، وبخاصة الرؤية الإسلامية التي نسبته (أي التنظيم) إليها ، وتحديدنا إلى جماعة الإخوان المسلمين .

* وتعرضت الموسوعة بالتفصيل إلى السنوات الأولى من حكم الثورة ، وممارسة أهل الحكم وأفكارهم تجاه قضايا الأمة على اختلافها .

* وفي فصل متميز ، يعد أكبر فصول هذه الموسوعة ، تعرضنا بالتحليل لعلاقة عبد الناصر بالإخوان المسلمين ، والصدام الأول معهم (صدام ١٩٥٤ م) وأرفقنا مع نهاية الفصل تلخيصاً وافياً للتحقيق مع أبرز قيادات الإخوان في (حادث المنشية ١٩٥٤ م) . والصدام الثاني عام ١٩٦٥ م .

* وتعرضنا بالتحليل ، وباستعراض كافة الرؤى أيضاً - وهو منهجنا في هذا العمل - لحرب السويس ١٩٥٦ م . ما حدث فيها ، وما حدث بعدها .

* بعد ذلك تناولنا معارك الوحدة العربية كما خاضها عبد الناصر وكما أدركها وفكر فيها وموقف الإسلاميين الراديكاليين من هذه (الوحدة) كما فهمها وسلکها عبد الناصر .

* وقدمت الموسوعة سجلاً علمياً نقدياً لإنجازات عبد الناصر على صعيد الداخل المصرى ، ومعارك التنمية والإصلاحات السياسية مع تقديم الانتقادات الإسلامية ، والوطنية المختلفة بشأن هذه الإصلاحات ، مع إضافة قوائم تفصيلية بالتشريعات والإنجازات . لكل ما قدمته التجربة الناصرية على صعيد التنمية .

* أما عن علاقة عبد الناصر بالغرب ، فلقد أوفينا هذا الجانب حقه بالعرض التفصيلي ، ومن أوراق ووثائق عربية وغربية تكشف أسراراً هامة عن تفاصيل تلك العلاقة التي كان طابعها الحذر ، والشك ، ثم الصراع بعد ذلك .

* وعن الغرب ، كان التجسس لصالحه ، وارداً ، وجاهزاً ، ولقد قدمنا تحليلاً وافياً عن واحدة من قضايا التجسس لصالح الغرب لما لها من دلالات هامة ، وهي قضية الكاتب الصحفى (مصطفى أمين) ومهدنا لذلك بتحليل نشأة وتطور جهاز المخابرات العامة فى مصر بقيادة صلاح نصر .

ولم ننس (مايلز كوبلاند) العميل الأمريكى السابق فى المنطقة ، وصاحب كتاب (لعبة الأمم) ، ولم ننس رأيه عن عبد الناصر وشخصيته ، وهزائمه وانتصاراته .

* وكان للصراع بين عبد الناصر والشيوعيين ، ثم الإخوان المسلمين (الصدام الثانى ١٩٦٥م) موقعه التفصيلي فى هذه الموسوعة ، فأعطيناه حقه ، ومن أوراق أصحاب الصراع أنفسهم .

* أما علاقة عبد الناصر بالدين : فكراً وممارسة فلقد أفردنا لها فصلاً ، تناولنا فيه مدركات عبد الناصر الدينية ثم تناولنا سلوكه السياسى تجاه المؤسسات الدينية وبخاصة المحاكم الشرعية - المجالس المليية القبطية - الأزهر - الطرق الصوفية - المساجد - الكنائس ، وغيرها وما وجه إلى هذا السلوك من انتقاد أو تقريظ ، وموقفنا نحن من ذلك .

* أما قضية فلسطين ، فلقد أفردنا لها - هى الأخرى - فصلاً مستقلاً تتبعنا فيه رؤى وسلوكيات عبد الناصر تجاهها ، مع التحليل النقدى لهذه الرؤى ، وكيف أنها على دقتها ، وأهميتها ، لم تنجز بالمقابل شيئاً ذا قيمة على صعيد لب القضية ذاتها ، تحرير فلسطين وإزالة الوجود الصهيونى منها .

* وتعرضت الموسوعة أيضاً للتنظيمات السياسية السرية التي أنشأها عبد الناصر أثناء الثورة وتحديداً إلى تنظيم (طليعة الاشتراكيين) ، ولقد قدمنا لهذا عرضاً تفصيلياً لاجتماعين من اجتماعات عبد الناصر السرية برجال التنظيم السرى بالقاهرة والجيزة ، تتكشف فيهما العديد من المعارك والمفاهيم والقضايا التي عاشتها الأمة وقتذاك

* وأخيراً تناولت الموسوعة (هزيمة ١٩٦٧م) بالتحليل النقدي العلمى ، واضعة إياها فى السياق التاريخى الصحيح لعلاقة مصر بالغرب ، وصراعها مع إسرائيل ، وفساد أجهزة الإدارة العسكرية قبل الهزيمة مباشرة ، ومستعرضين كافة الرؤى المؤيدة ، والمعارضة لعبد الناصر بشأن هذه الهزيمة ، والتي مثلت بحق ، الموت الحقيقى لجمال عبد الناصر ، وهو الموت النفسى الذى عجل بالموت الجسدى بعد ثلاث سنوات عام ١٩٧٠م .

* هذا ولقد أرفقنا مع نهاية كل فصل ملحق وثائقى يتصل بعبد الناصر سواء خطبه أو تشريعاته أو غير ذلك مما يزيد العمل عمقاً ودقة .

* وبعد ...

لقد حاولنا فى هذه (الموسوعة) أن نقدم (الحقيقة) كما وقعت بالفعل فى (الماضى) ، وأعيننا فى هذه المحاولة ، على (المستقبل) ، فتحن أبناء هذا (المستقبل) ، ومن حقه علينا ألا نخاصمه ونعانده ، باستفراقنا فى (الماضى) .

لقد حاولنا أن نقدم ، تجربة عبد الناصر ، بما لها وما عليها ، بأفراحها ، وأحزانها ، بأخطائها وإيجابياتها ، واستخدمنا فى محاولتنا المنهج العلمى النقدي القائم على البحث الدؤوب عن الحقيقة ، وبتجرد وموضوعية كاملين ، وطرحنا فى بحثنا كل الرؤى والاتجاهات على طاولة البحث أخذنا منها ما يدعم (موضوعيتنا) ويؤكدنا ، واستبعدنا ما يناقض ذلك .

* لقد حاولنا ... وهذا ما نستطيع أن نقوله بشأن تجربة لازالت (موضوعاً) للصراع وليست (طرفاً) فقط فيه ، وموضوعاً للصراع بين الإسلاميين والناصريين ، بين الوفديين والقوميين ، وبين من ليس لهم اتجاه ، ومن يحاولون أن يكون لهم بوصلة تحدد الطريق .

* لقد حاولنا .. والمحاولة تحتل الصواب والخطأ فإذا كنا قد أصبنا .. فلنا أجر ... وإذا كنا قد أخطأنا فلنا أجران .

(والله عليم بذات الصدور) .

د . رفعت سيد أحمد

القاهرة ١٩٩٢/٦/١٥ م

الفصل الأول عبد الناصر البدايات الأولى



عبد الناصر .. البدايات الأولى

طويلة هي قصة (عبد الناصر) الانسان ، والسياسى ، ولأن الحياة لا تنفصل عن محيطها الانسانى ، فالانسان لا ينفصل بأى حال عن المحيط السياسى العام لوطنه بل ربما كان للتنشئة الأسرية ، والمؤثرات الاجتماعية الأولى ، تأثيرها الأول على سلوك ذلك الإنسان السياسى وعلى قراراته وتعاملاته الكبرى .

* وذلك تحديداً ، هو الشكل ، بشأن (جمال عبد الناصر) ، الانسان ، والسياسى ، فما حدث فى تنشئته الأسرية والاجتماعية الأولى كان له تأثيره المباشر على تكوين شخصية (الزعيم) ، والقائد الذى سيؤصل من خلال تلك التنشئة الأولى ، لقيادة أمتة فى انتصاراتها وانكساراتها ، فى أحلامها وآلامها .

* ومن هنا تأتى أهمية تناول تلك البدايات الأولى ، التنشئة الأسرية والاجتماعية والسياسية لعبد الناصر ، وتأتى الصعوبة والحذر الشديد أيضاً ، فنحن ازاء شخصية تعددت فيها الآراء واختلفت بل وتناقضت ، ولم يتوقف تناقض تلك الآراء عند حدود بذاتها ، أو سقف بذاته ، بل هى تجاوزت كل الحدود والسقوف المسموح بها فى التحليل السياسى والبحث العلمى ، والمهم هنا أن هذا التجاوز وصل الى حد أسلوب التناول للنشأة الأسرية والسياسية الأولى لجمال عبد الناصر ، وحملها البعض — خاصة من المعارضين لناصر — أكثر مما تحتمل ، وقال بشأنها الكثير مما يقدح فى أسرة عبد الناصر ، وفى تكويناته الاجتماعية الأولى وعلاقاته العامة .. الأمر الذى لا يستقيم والرؤية الأمينة التى ينبغى أن يتسلح بها العلماء والمؤرخون .

* من هنا تأتى الصعوبة ، بعد الأهمية ، بشأن شخصية عبد الناصر فى تكويناتها الأولى ، ومن هنا نبدأ محاولين تجاوز ذلك بقدر المستطاع وبتجرد علمى ، لا يخفى انحيازه ، ولكنه انحياز للحقيقة ، ولمصالح هذه الأمة ، التى تبنى فى نظرنا على أخذ العبرة من التاريخ من أجل فهم المستقبل ، وبخاصة تاريخ زعمائنا (نشأة وسياسة وسلوكها وأحلامها) وإلى عبد الناصر كنموذج .

البداية :

وُلِدَ جمال عبد الناصر فى بنى مر من أعمال أسيوط فى ١٥ يناير سنة ١٩١٨ .

الطاقة الصحية خلال عهد الناصر



ولد فى تلك اللحظات الحاسمة من تاريخ مصر .. بل وتاريخ العالم كله ...

فى هذا العام انتهت الحرب العالمية الأولى ، وأعلن «ولسون» أمام قبر واشنطن مبادئه التى خدع بها المصريون ، قال ولسون : «ان عهد الفتوحات والتوسعات قد مضى وانقضى ، وأصبح من الممكن لكل أمة تتفق أمالها مع العدل وسلام العالم أن تصرح الآن ، أو فى أى وقت من الأوقات بالأغراض التى تصبو إليها ... وأن دعائم العدل الدولى يجب أن تركز على مبدأ تقرير العدل بالنسبة للشعوب قاطبة ولكل الجنسيات لا فرق بين قويتها وضعيفها» .

وفى هذا العام عقدت الهدنة «١١ نوفمبر ١٩١٨» .

وكان فؤاد قد ولى سلطانا على مصر بتبليغ بريطانى

وكان أبطال الوطنية المصرية فى منفاهم خارج مصر وفى مقدمتهم الزعيم قديس الوطنية محمد فريد ، وكان لكفاحه مع زميله مصطفى كامل الأثر القومى فى روح الثورة المصرية التى اندلعت .

وفى هذا العام وقعت مقابلة ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بين سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى لممثل دار الحماية فى مصر السير رجلند ونجت المندوب السامى البريطانى ، وهى المقابلة المخزية التى ظلت الأحزاب تحتفل بها مدى ثلاثين عاما كيوم من الأيام الخالدة المشرفة فى تاريخ «الوطنية» المصرية حتى جاء جمال عبد الناصر فألغى هذا «العيد» المؤسف .

وتألف فى هذا العام الوفد المصرى ، وبدأ يجمع توكيلات من الأمة لها صيغة هزيلة هذا نصها : «نحن الموقعين على هذا ، قد أنبنا عنا ... فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعى سبيلا استقلال مصر تطبيقا لمبادئ الحرية والعدل التى تنشر رايها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها» .

وهكذا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر ولد فى آتون الحوادث ، وفى اللحظات الحاسمة فى تاريخ مصر ، وفى فجر ثورة ١٩١٩ التى وضع الزعماء المتكالبون على الحكم الماء على نارها ، وقتلوا روحها التى كانت خليفة بأن تدفع مصر إلى الأمام بقوة .. لو قام على حراستها رجال فى مثل أمانة رجال ثورة ٢٣ يوليو .

وُلِد جمال عبد الناصر فى بلدة بنى مر ..

وهى قرية مصرية صميمة كانت قرية من معمران ثورة سنة ١٩١٩ ، وقد أدى أهلها

دورهم كغيرهم من أبناء هذه المنطقة فى هذه الثورة التى اشتركت فيها جميع طبقات الشعب ، وأندلعت فى وقت واحد فى جميع أنحاء البلاد وفق أسلوب منظم مرتب ، تجلت فيه معنوية الشعب ، وأعتمدت على روحه وقوة إيمانه .

وشب جمال عبد الناصر فى هذه القرية ، وسمع من أهله أنباء هذه الثورة ، فقد ظلت حديث الشيوخ مدة طويلة ، ولا بد أنه سمع من شيوخ بنى مر كثيراً عن الدور الذى قامت به أسیوط والبلاد المجاورة لها .

ولقد هزت أحداث أسیوط الأنجليز ، ففى هذه المنطقة روح من إيمان والاستماته فى سبيل مصر وحریتها ، هذه الروح التى تبلورت فى جمال عبد الناصر .

قامت أسیوط بدور ضخم استمر طويلا ، بدأ بحريق الكميات الهائلة من التبن المقدسة لحساب السلطات العسكرية ، فالتهمت النار وتضاعدت ، وكان لها منظراً مفرعاً استمر عدة أيام ، وهجم الثوار على مركز البوليس فى المدينة وأخذوا منه السلاح ، وهاجموا القوات البريطانية به ، وتفاقت الحال فى أسیوط ، وهوجم المكان الذى أعدته السلطة البريطانية لتحصن فيه ، فقد اخترق المهاجمون النطاق وأخذوا يطلقون النار على الجنود البريطانيين .

وظل هذا الموقف الخطير بين أصرار أهل أسیوط وبين دفاع القوات البريطانية من ١٠ مارس سنة ١٩١٩م إلى ٢٤ مارس حيث وصلت طائرتان حريتان مائتان إلى أسیوط فأشتركتا فى أعمال الدفاع ، وألقتا بعض القنابل ، فأصابتا بعض الأهليين وقتلت بعضهم .

وسارت النجيدات الحربية مسرعة من القاهرة إلى أسیوط ، ولكنها لم تسر فى أمان ، بل لقيت مقاومة عنيفة بين ديروط وأسیوط من جماعات الثوار على ضفة النيل .

وبلغ عدد فصائل الجنود التى أرسلت إلى الوجه القبلى ست عشرة فصيلة .

ولا بد أن جمال عبد الناصر سمع قصص هذه الثورة بعد أن شب ، وكان فى سن الصبا يفتح للحياة ، وكان لهذه القصص أثرها فى تكوين شخصيته المكافحة المجاهدة وسمع إلى ذلك قصص تروى عن «واقعة» عراقى ، وعن هزيمته .

وتفتحت روح الشاب اليافع على شيئين خطيرين :

هذه القرية التى عاش فيها إلى سن الثامنة ، وهذه الحياة التى يحيها أهلها ، لم يكن جمال من عائلة غنية ، ولا إقطاعية ، وإنما كان من أسرة فقيرة شعبية متواضعة ، كل رجالها يكافحون ويعملون فى الأرض وفى التجارة .

ورأى جمال هؤلاء الذين يشقون الأرض ، ورأى مدى الظلم الذى يعانونه من السادة والاقطاعيين ، وسمع قصص القسوة والفقر والحاجة .

وفى هذه البيئة ترعرع جمال على مبادئ الرجولة مبادئ الصعيد فى الايمان ورعاية التقاليد ، وحماية الزمار .

وتحوط بنى مر الحداثق ، وجوها جميل ، وقد عرف أهلها بالكرم والوفاء والذكاء ، وهى متصلة بالنيل وخزان أسبوط من الجهة الغربية .

وفى هذه البيئة، وبين هؤلاء الرجال المؤمنين بوطنهم ورجولتهم ، تكون الطابع الأول لشخصية جمال عبد الناصر الصعيدى .

ولقد فتح عينيه على عالم قروى داخل منزل مبنى بأشياء الأرض البسيطة ، فى قرية «بنى مر» ، وقد كانت توجد فى هذه القرية مدرسة ابتدائية واحدة وثلاثة مساجد صغيرة وكنيسة ووحدة صحية . هذا كل ما كانت تعرفه هذه القرية من عناصر حضارية ، لأنها ككل قرى مصر فى ذلك الزمن نتاج مراحل طويلة من القهر والاستغلال والتهيمن التى عرفها الريف المصرى سواء من طرف النظام الاقطاعى أو ضمن الأشكال الجديدة للاستغلال التى أدخلها الإحتلال الإنجليزى .

تميزت قرية «بنى مر» من جهة أخرى بكون ثلث سكانها من الأقباط ، الأمر الذى جعل منها فضاء مصرىا عربية يسمه التعاون والتعايش ، وشكل فيها تواجد كل من العنصر المسيحى والعنصر الإسلامى عوامل اخصاب واثراء للثقافة العامة التى كانت تتوزع داخل القرية ، خصوصاً وأن هذه الأخيرة لم تكن تتوفر على منشآت تعليمية أو ثقافية إلى حدود ١٨٩٠ إذ قرر جد جمال إنشاء كتاب قصد تعليم أبناء القرية القراءة والكتابة والحساب . وفى ١٩٢٢م بنيت أول مدرسة ابتدائية للبنين وفى سنة ١٩٤٤ أنشئت مدرسة أخرى للبنات .

داخل هذا الفضاء الريفى فتح جمال عينيه ، وبين أشيائه وناسه وترعرع ومع عناصره الثقافية العفوية تفاعل غير أن ما أثر فيه هو تلك العلاقة الوجودية الصميمية التى تربط إنسان تلك القرية مع الأرض . فهى رأسماله ومنها يستمد شروط استمراريته وبتدخله فيها تتشكل ثقافته ، تلك الثقافة التى تعكس بساطة العلاقة بين الإنسان كعنصر منتج والطبيعة باعتبارها قوة يتعين مصارعها من أجل استعمال خيراتها .

كل هذه العناصر البيئية شكلت المناخ العام الذى فيه تربى جمال عبد الناصر ، وداخل هذه الظروف المادية القاسية استمد مقوماته الانفعالية واكتسب أساس شخصيته التى تجمع

بين مقاييس العزة والنخوة والعناد والإيمان بالعمل المبدع الذى يتجاوز الإيقاع الرتيب للحياة اليومية .

وعبد الناصر كان يؤمن بانتمائه الاجتماعى ولم يتنكر له فى يوم من الأيام ، كان يقول : «أنا أفخر بأننى واحد من أهالى «بنى مر» ، وأفخر أكثر من هذا بأنى واحد من عائلة فقيرة . وأنا أقول هذا لا سجل وأعاهدكم أن جمال عبد الناصر سيستمر حتى يموت ، فقيراً فى هذا الوطن» .

انتقل إلى مدينة أسيوط لمواصلة تعليمه ، ومع ذلك بقى على اتصال يومى مع قريته . ولم تنسه حركة المدينة ارتباطه العضوى مع العائلة والأرض والناس . وبعد ذلك ذهب إلى الإسكندرية مع والده الذى عين فيما بعد بالقاهرة مأموراً للبريد فى حى «الخرنفش» الموجود بين الأزبكية والعباسية . وفى هذا الحى يستأجر أبوه بيتاً فى ملكية أحد اليهود المصريين . حيث سينخرط جمال عبد الناصر ، شيئاً فشيئاً ، فى حركة الوعى التى أخذت تتشكل ضد المستعمر البريطانى الذى كان يهيمن بشكل مطلق على مقدرات الشعب المصرى ويخاصر كل إرادة ، تسعى إلى الانعتاق والتحرر .

لكن موت أمه كانت صدمة عنيفة زعزعت كيان الطفل واستدعته للتفكير فى وضعه الجديد المتميز باليتم ، وليست هذه أول علاقة له مع الموت . إذ أنه فى طفولته المبكرة تعلم أن جهنم هى مآل كل من ارتكب ذنباً أو معصية و : «أن كل الأطفال يدخلون الجنة تلقائياً . وكانت فكرة جهنم تخيفه إلى حد أنه — وهو فى السابعة — قرر مع صبي آخر أن لا يخطأ بالذهاب إلى هناك ، فقررا أن يقدموا على الإنتحار . وهكذا ذهبوا إلى مكتب البريد وسرقوا شيئاً من الشمع الأحمر الذى كان والده يحذره دوماً من كونه ساماً . وأكلا الشمع ورقدا فى انتظار الموت»^(١) .

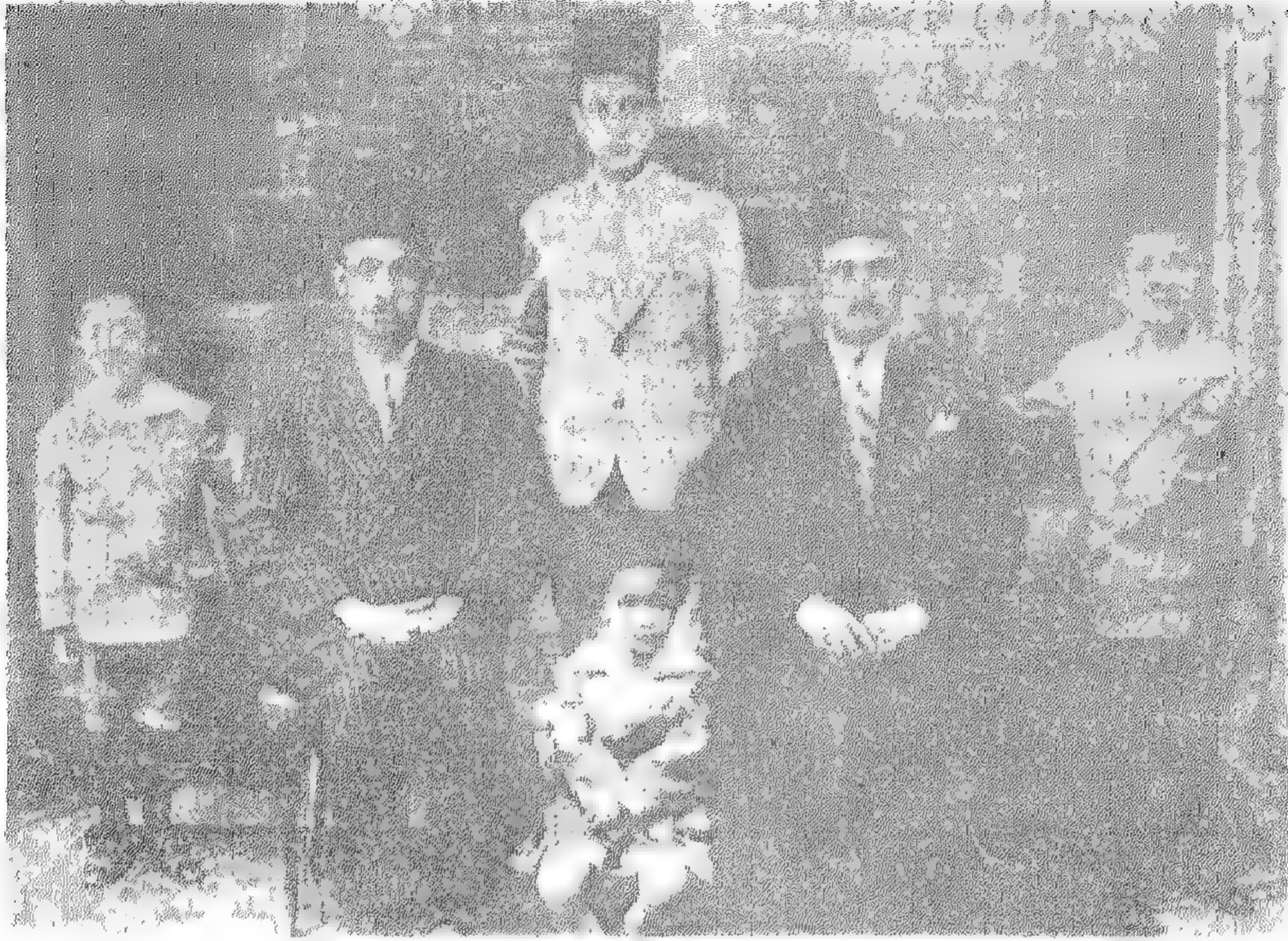
هكذا عاش الطفل جمال تجربة الموت ، ولكن أنطفاً أمه أدى به إلى طرح سؤال الموت وإلى عزله وجوديه تمكن داخلها من إعادة صوغ كثير من الأشياء التى تفتحت عليها شخصيته ونفسه ، ولقد شاهد ولمس فى هذا السن كيف تحولت الثورة — ونقصد هنا ثورة ١٩١٩م — إلى مطامع وصراع .

(١) انظر فى تفصيل ذلك :

— مجلة الوحدة - المغرب - العدد ١٦ - لعام ١٩٨٦

— حان لأكويتر ، عبد الناصر ، دار النهار - بيروت ، ١٩٧١م .

— محمد حسنين هيكل ، عبد الناصر والعالم ، دار النهار - بيروت - ١٩٧١م .



قرب نهاية الدراسة الابتدائية .. واقفا في صورة تذكارية بين والده وعمه وعلى الجانبين وفي المقدمة أشقاؤه
الثلاثة

ففى سن الثامنة - الذى يوافق عام ١٩٢٦م ، وهو العام الذى غادر فيه جمال عبد الناصر الريف إلى القاهرة كانت السياسة قد قضت على الوطنية ، ونقلتها من روح الجهاد ومقاومة المستعمر إلى هذا الاسلوب من المناورات السياسية والصراع الحزبى ، وتحول الكفاح من الخارج إلى الداخل ، فبعد أن كانت مصر تتجمع كلها لتحارب المستعمر ، انقسمت إلى صراع داخلى قوامه الشتم والسباب بين الأحزاب المصرية .

ورأى جمال عبد الناصر كيف أن ثورة ١٩١٩ التى سمع قصتها من شيوخ بنى مر ، والتى اشتركت فيها طوائف الشعب فى أسىوط وفى كل الأقاليم ... فى نفس الوقت الذى اندلعت فيه فى القاهرة ... هذه الثورة قد سحق روحها المعنوية زعماء مصر ، من مدرسة السياسة الحزبية التى ظلت تسيطر على مقاليد الحكم حتى أزاحها جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ولما بلغ جمال الثامنة من عمره ، أرسله والده إلى القاهرة لتلقى العلم معبراً عما يخالجه من مختلف المشاعر .

فأعجب بجمال القاهرة وكثيراً ما كان يتبادل الرسائل مع والديه .

ونضج جمال مبكراً ، أعطاه الريف ضعف عمره خبرة وتجربة ، هذه اليقظة التى تسمع وتستوعب وتخزن فى أعماقها كل تجارب الشيوخ والأعمال والأجداد .. فلما وصل إلى القاهرة لم يأخذه بهرها ، رغم أنه أعجب بها ، كان فى نفسه ذلك الطابع الذى ظل يعيش فيه حتى اليوم ، طابع الخلوة والتفكير العميق ، واعتزال المجتمع الصاخب ، والعكوف على آمال لم تكن بعد قد وضحت فى صورتها النهائية .

كانت رؤى تتمايل فى أعماق النفس ، كان وراء هذه الرغبة فى الخلوة وفى العكوف على النفس رسالة ومهمة وهدف ... مظهرها ما عرف عن جمال حيث كان فى المدرسة الثانوية يهيمن على الطلبة ويفكر فى مستقبل مصر ، ويبدى كراهيته العميقة للاستعمار .

وكان إلى ذلك يجب أن يستمع إلى رأى الناس ، كانت فى دمه القيادة ، وفى طبيعته الزعامة ، وأن القدر يهيئه لدور ، كان يؤمن بأنه يستطيع أن يعمل شيئاً ... ولعل هذا المعنى قد دفعه إلى آفاق الأحزاب والهيئات يريد أن يصل فيها إلى توجيه النصيح للزعماء ، ليدرس إلى أى حد تستطيع هذه الأحزاب أداء واجب الوطن المقدس كان جمال يؤمن بنفسه ، ويؤمن بمصر ، ويؤمن بأنه لمصر ، ومن ذلك اليوم الذى وصل فيه إلى القاهرة ، كان قاسماً مشتركاً على جميع حركات التحرير والمقاومة .

وفي خلال هذا الاتجاه الذى كان يكشف شخصية جمال ، وقع حادث هام ... له أثره في تكوينه واتجاهه .

ذلك أن والدته توفيت في أواخر سنة ١٩٢٦م .
وكان جمال يحبها حباً خالصاً عميقاً ، فآثر ذلك في نفسه أى تأثير ، وساعدة على الخلوة والتفكير .
وبدأت الحياة تأخذ في نظره مظهراً جديداً .

وأضى جمال عشر سنوات ، حتى كان عام ١٩٣٧م ، كان قد نال شهادة «البكالوريا» من مدرسة النهضة المصرية بالقاهرة ، وكنت درجاته ممتازة ، وكان قد اشترك في ثورة ١٩٣٦م بعد تصريح هور ، هذه الثورة التى فقد فيها صديقه وزميله في الكفاح الأول عبد الحميد مرسى الذى خر صريعاً للظلم والاحتلال ، فأنساه ما أصيب به في نفس اليوم ، ورسم في نفسه يومئذ أن عليه واجباً عليه أن يفنى في سبيله .

فقد حدث في هذا اليوم أن صحا جمال مبكراً ، وذهب إلى المدرسة وقال للطلبة زملائه : «أن الإنجليز يفعلون كل يوم عملاً منكراً ، فيجب أن نظهر شعورنا باحتقارهم» ثم وقف في حوش المدرسة - بقوامه الطوال ، وعيناه اللامعتان ، وصوته الجهورى ، ولهجته الآمرة التى تحس فيها روح السيطرة والزعامة - وقال بأعلى صوت : «يسقط الإنجليز» .
«يسقط الإنجليز» .

وفي نفس هذه اللحظات اجتمع حوله الطلبة وساروا في مظاهرة حتى وصلوا إلى الجامعة ، وهناك قامت الجامعة بأخطر مظاهرة حدثت في ذلك الوقت .

وقاد جمال هذه المظاهرة ، ثم فجأة وبلا مقدمات أطلق البوليس الرصاص على الطلبة ، ورأى أحد الجنود جمال فجري وراءه حتى لحق به وأصابه في وجهه إصابة مايزال أثرها باقياً حتى الآن ، وما كاد يدخل المدرسة في اليوم التالى حتى قابله الناظر وقال له : «أنت مفصول» .

هل كان هذا الحادث بداية القصة ومقدمة الكفاح .
إن جمال عبد الناصر نفسه لا يوافق على هذا ويقول : أن بذور الثورة في نفسى كانت أبعد من الفور الذى عشت فيه طالباً أمشى مع المظاهرات الهاتفة بعودة دستور ١٩٢٣م ، وقد عاد الدستور سنة ١٩٣٥م ، وأيام أن كنت أسعى مع وفود الطلبة إلى بيوت الزعماء نطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر ، وتألقت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦م بالفعل على أثر هذه الجهود .

وفي خلال هذه الفترة كان جمال يقرأ بنهم عجيب ، كان يتطلع إلى تثقيف نفسه بكل ما تصل إليه يده ، وكان محباً لتاريخ الأبطال والزعماء من محرري البلاد وكان كلفاً بأبطال الإسلام وشخصيات التاريخ ، وقد قرأ في هذه الفترة كتب « الحركة القومية » للرافعي ، وقرأ « عودة الروح » لتوفيق الحكيم .

وكان يتوق إلى دراسة الحقوق بعد الانتهاء من البكالوريا .
ولكنه عاد في اللحظة الأخيرة فقرر دخول الكلية الحربية .

وفي التفرقة بين كلية الحقوق والكلية الحربية ... كان الفارق بين شخصية الشاب الذي كان قد فهم أن تحرير مصر ليس عن طريق القضية المصرية كما كان يطلق عليها المحامون الذين أتيح لهم أن يصبحوا زعماء مصر من تلاميذ المدارس الحزبية .

وكأنما كان القدر يرسم الخط العميق في ثورة مصر وفي تحول التيار الوطني من أسلوب المغالطة وقلب الحق باطلاً والباطل حقاً ... وهو ما أخذت به الزعامة السياسية المصرية من ١٩٢٣م إلى ١٩٥٢م ، وهو نفس الأسلوب الذي كانت تعرفه بعض الصحف المصرية خلال هذه الفترة في الصراع بين الأحزاب على الاشلاء ، على المطامع الخاصة ، على كرسي الحكم ، على الفئات الذي ألقاه الإنجليز تحت أقدام المصريين ليتلهم به عن الهدف الأول الذي هو تحرير البلاد من الإستعمار .

في هذه الأعوام ، كان جمال يتقدم من سن الثامنة عشرة ، وقد تكون طابعه النفسي على تلك الصورة ، الاعتكاف والازدراء للمتع الزائفة التي كانت تملأ نفوس الشباب في هذا السن ، وتلك الملاحم البراقة التي يعيشها الطلاب في هذا العمر .

كان يحمل فوق أكتافه هذا الحزن العميق الذي صبغه موت والدته بطابع من الألم الدائم . بل إن قلقه سيتصاعد حين سيتزوج أبوه بعد موت أمه بمدة قصيرة ، فانخرط في إيقاع اليم وتولد لديه إحساس عام بالحرمان العاطفي ، الأمر الذي فرض عليه ضرورة الاعتماد على نفسه وترتيب شئون حياته ومستقبله لوحده بحيث اكتسب من هذه التجربة استقلالاً في النظر والحكم ، وتميزاً في أساليب التدخل والاختيار .

أما التجربة الثانية التي انكوى بها بعد الموت ، فتتمثل في مغامرة السجن . إذ أنه لما انتقل إلى القاهرة وجد نفسه داخل حركة عامة تنطق بالاحتجاج والتذمر من واقع الحال الذي وصل إليه الإنسان المصري والحجر الذي وجد نفسه محاصراً به . وفي إحدى المرات شارك في مظاهرة ضد الإنجليز ، وشارك فيها من منطلق إحساس قوى بمعاداة هذه القوى

الاستعمارية ، وليس اعتداء بوعى دقيق بحقيقة الحركة الجماهيرية أو بطبيعة المرحلة التاريخية والسياسية التي كانت تمر منها مصر ، وانتهت المظاهرة باعتقال مجموعة كبيرة من المشاركين فيها من بينهم جمال عبد الناصر الذى لم يطرح سؤال الغاية من المظاهرة إلا داخل السجن ، حين علم من شاب معتقل أن المظاهرة نظمت من أجل المطالبة بالاستقلال وجلاء قوات الاحتلال الإنجليزي .

قرية «بنى مر» . ترحل أبيه الدائم . موت أمه . اعتقاله . ميله القوى نحو المعرفة والسؤال ، كل هذه الاعتبارات جعلت من جمال عبد الناصر شاباً متميزاً ورجلاً جسوراً . يقول عنه رفيقه حسن النشار وهو يروى ذكرياته مع عبد الناصر : « كان جمال عبد الناصر بالنسبة لنا كزملاء فى المدرسة وأصدقاء فى الحياة ، يمثل شيئاً مبهماً . فهو رائدنا فى كل شيء ، فى الدراسة ، وفيما بعد الدراسة ، كان أطول قامة منا جميعاً ، وكان رزيناً يستأنس بالوحدة والتأمل والصمت ، وكان دائم التفكير » .

لقد عرف عن عبد الناصر شغفه الكبير بالقراءة ، وكان اختياره للنصوص التي اطلع عليها يعكس الهموم الأساسية التي كانت تعتمل في دواخله . وهكذا قرأ كتاب «المدافعون عن الإسلام» الذى قدمه المناضل المصرى مصطفى كامل ، واكتشف «طبائع الاستبداد» لعبد الرحمن الكواكبي وكذلك كتابه «أم القرى» الذى يتصور فيه مؤتمراً يتداول فيه المجتمعون موضوعات تتعلق بأسباب تخلف مصر والعالم العربى . كما قرأ لمحمد عبده وأحمد أمين وجمال الدين الأفغانى وشكيب أرسلان .

ويحكى «جان لاکوتير» أن عبد الناصر تأثر كثيراً بمصطفى كامل وبشخصية سعد زغلول كما غذته قصائد أحمد شوقى القومية .

ولم تقتصر قراءاته على الكُتّاب المصريين ، إذ تعدتها إلى الاطلاع على المفكرين الفرنسيين وحياة كثير من الشخصيات السياسية التي أثرت على مجرى التاريخ . وفي هذا الصدد يقول لاکوتير أيضاً أنه كان « يقبل على مطالعة مؤلفات مشاهير المفكرين والكتاب الأجانب ، حتى أننا نجد له فى هذه المجلة التي كانت تصدرها مدرسة « النهضة » مقالاً بعنوان « رجل الحرية » وفيه يبرز الكاتب دور فولتير وروسو كمفكرين حرين فى التمهيد للثورة الفرنسية وينوه بجهد أولهما فى سبيل حرية الفكر والتعبير » بل انه تبين أن عبد الناصر أثناء التحاقه بالمدرسة الحربية ، قرأ كتاب : « بوناپرت حاكم مصر » « لشارل رو » وكتباً أخرى عن الرجال الذين أثروا ، ان قليلاً أو كثيراً فى حركة الأحداث .

لم يكن عبد الناصر رجل قرار وسلطة وحسب ، بل كانت له علاقة خاصة مع الكتاب ،

ولم يتعب من القراءة بالرغم من التعب الجسدى الذى أصابه فى آخر أيامه . وفى هذا السياق ، يحكى أحمد بن بله أنه من بين القواسم المشتركة التى كان يلتقى فيها مع جمال عبد الناصر تأقى القراءة . إذ أنهما كانا يتبادلان الكتب والرسائل ويتناقشان فيها حول موضوعات استفادا منها عن طريق القراءة .

كل ذلك ، أنتج لديه شغفاً عارماً بالحياة وبمفاهيم الشرف والعزة والكرامة والحرية ، الأمر الذى أدى به إلى الاقتناع بضرورة الحركة من أجل بلورة هذا الشغف إلى ممارسة استمدت من ثورة الشعب المصرى مقومات مصداقيتها وجعلت من ملابسات المرحلة قاعدة استقطاب داخل صفوف الضباط والجنود التى انضم إليها بعد تخرجه من الكلية الحربية - كما سنفصل ذلك بعد قليل - وهكذا لم ينته عام ١٩٥١م ، كما يقول لاکوتير « حتى كانت النواة (أى نواة الضباط الأحرار) تضم نحو ٣٠٠ عضو يشكلون خلايا سرية على رأس كل واحدة منها ضابط ، وقد سارع عبد الناصر بعد حوادث القناة وحريق القاهرة إلى وضع منهج عمل يتركز على ست نقاط هى :

- ١ - تصفية الاستعمار والخنوة الذين يؤيدونه فى صفوف المصريين .
- ٢ - تصفية الإقطاع الذى يملك أراض واسعة جداً ووضع حد لتحكم الإقطاعيين فى فلاحهم .
- ٣ - وضع حد لسيطرة رأس المال على الحكم .
- ٤ - تحقيق العدالة الاجتماعية .
- ٥ - إنشاء جيش وطنى قوى .
- ٦ - إنشاء نظام ديمقراطى سليم .

هذه هى المبادئ الأساسية العامة التى على هديها تحرك تنظيم الضباط الأحرار كما سنرى فى الفصل الثانى .

وبعودة إلى مرحلة الطفولة والتكوين العائلى بشتط البعض فى تفسيرها النفسى ، ومن هنا نحن نتفق فى رأى مع رفض التحليلات والتفسيرات المبتذلة التى تنسب بشكل « ميكانيكى » ذاك النوع من الوعى القومى إلى ذاك الانتماء الطبقي ، باسم (ماركسية مبسطة) على سبيل المثال كما لو أن مجرد انتماء فرد إلى طبقة أو فئة اجتماعية معينة ، يولد لديه أيديولوجية تطابق حتمياً أيديولوجية طبقته الأصلية . وهذا لا يعنى أننا ننفى تأثير الطبقة أو البيئة الاجتماعية لفرد ما على تصورات الأيديولوجية . لكن ما نريد أن نشدد عليه هو وجود تأثيرات أخرى ، كالممارسة السياسية والاجتماعية ، والوعى التاريخى ، والإرادة الثورية التى يمكن أن تدفع هذا

الفرد إلى تبني أيديولوجية تختلف عن أيديولوجية طبقته أو بيئته الأصلية^(١).

هنالك تفسيرات أخرى كتحليل ديكمجيان ضخمت ، إلى حد ما ، تأثير العوامل النفسية - العائلية على وعي عبد الناصر السياسى والقومى . فقد كتب هـ . ديكمجيان يقول :

« لقد كانت حياته العائلية غير مستقرة ، وكانت علاقات الشاب عبد الناصر بأبيه متوترة ، خاصة بعد وفاة أمه . وأصبحت حياته العائلية تعيسة للغاية بعد أن تزوج أبوه للمرة الثانية ، لأنه أبعد لكى يعيش مع أقربائه (...) فزاد تغربه بتعمق ، فى الوقت الذى انتقل من أزمة عائلية إلى أزمة أوسع ، كانت تصيب كل المجتمع المصرى فى منتصف العشرينات والثلاثينات^(٢) .

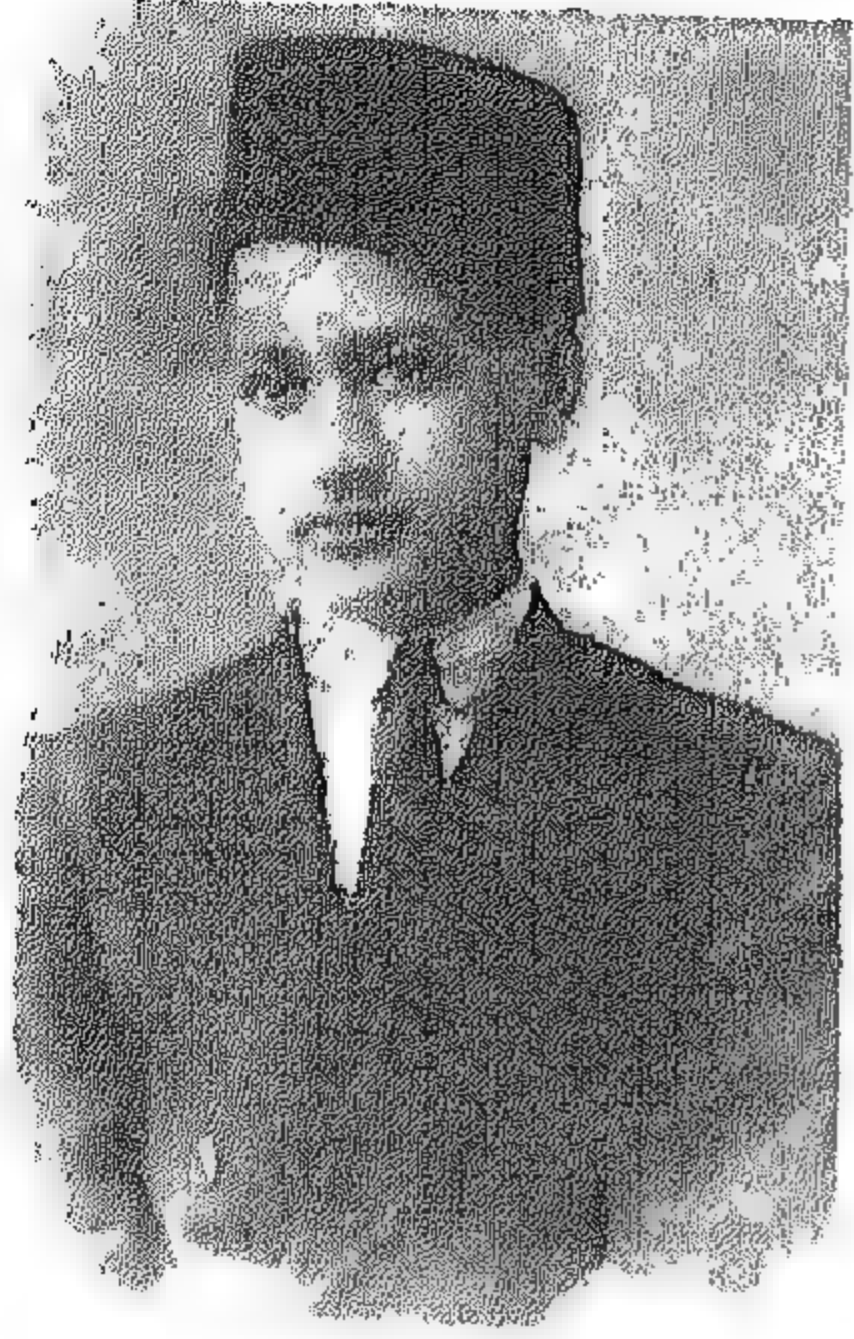
كما حاول الباحث الأمريكى ولفنشتاين أن يطبق التحليل النفسى الفرويدى فى هذا المجال ، فشدد على تأثير أحداث طفولة عبد الناصر على تصرفاته وسلوكه فيما بعد : وفاة أمه ، وخلافه مع أبيه ، مما أثر على نظرته للعالم ، فاعتبر أن مصر هى الأم الفقيدة التى يجب بعثها وإنقاذها من الدمار .

هذا لا يعنى أننا ننفى أى تأثير لحياة عبد الناصر العائلية على تكون وعيه القومى ، ولكننا نعتقد أنه يجب الأخذ بالجانب الاجتماعى لحياته العائلية وليس الاقتصار على جانبها النفسى - العاطفى ، والمعروف أن عائلة ناصر عاشت فى ترحال دائم ، على عكس العائلات الفلاحية التى كانت فى حال نزوحها من الريف إلى المدينة ، تثبت فيها بشكل نهائى ، ذلك الانسلاخ الدائم يعود إلى مهنة الأب الموظف فى البريد ، الذى كان عليه أن يتنقل حسب متطلبات وظيفته . غادر والد جمال ذويه الفلاحين وقريته بنيمر نهائياً ، إلى الإسكندرية حيث تزوج فى ١٩١٧م من ابنة أحد التجار . وبعد ولادة ، عبد الناصر فى ١٩١٨م ، اضطرت العائلة إلى الانتقال إلى أسىوط (١٩٢١م) ثم إلى حلوان وهى إحدى ضواحي القاهرة ، (١٩٢٨م) ، ثم عادت إلى الإسكندرية (١٩٢٩م) وأخيراً إلى القاهرة (١٩٣٠م - ١٩٣٦م) .

وقد أدى هذا التجوال الدائم فى مصر على حد وصف البعض ممن يختلف معهم وهى

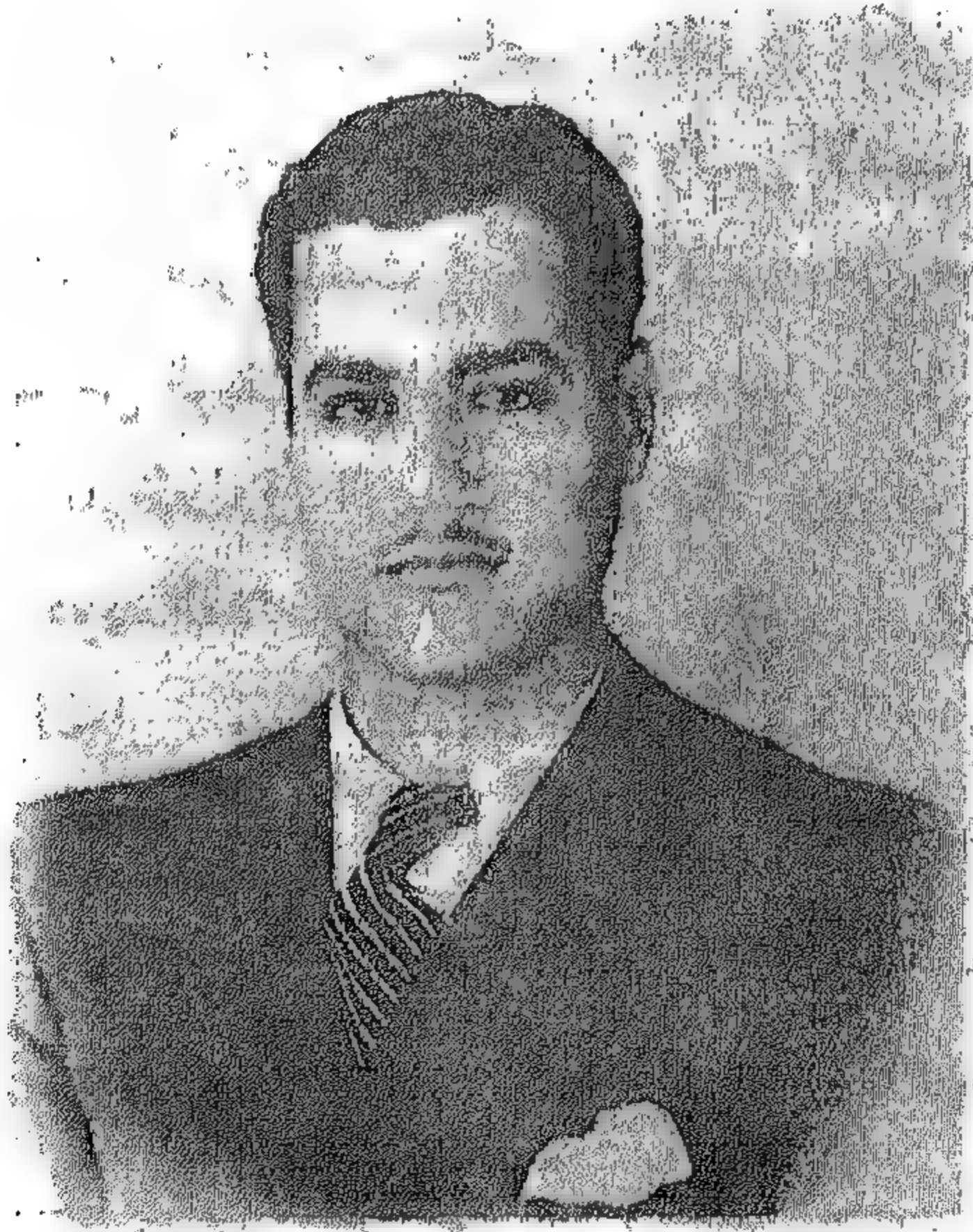
(١) مارلين نصر : القصور القومى العربى فى فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) دار المستقبل العربى - ١٩٨١م ص ٨٤ وما بعدها .

(٢) ويذكر ديكمجيان عوامل أخرى كالمدرسة والإحتلال البريطانى والأحداث السياسية العامة التى أثرت على حياة عبد الناصر الشاب ، بالإضافة إلى العامل النفسى - العائلى (فى مارلين نصر) مصدر سابق .



حلوان الثانوية لسنة واحدة عام ١٩٣١

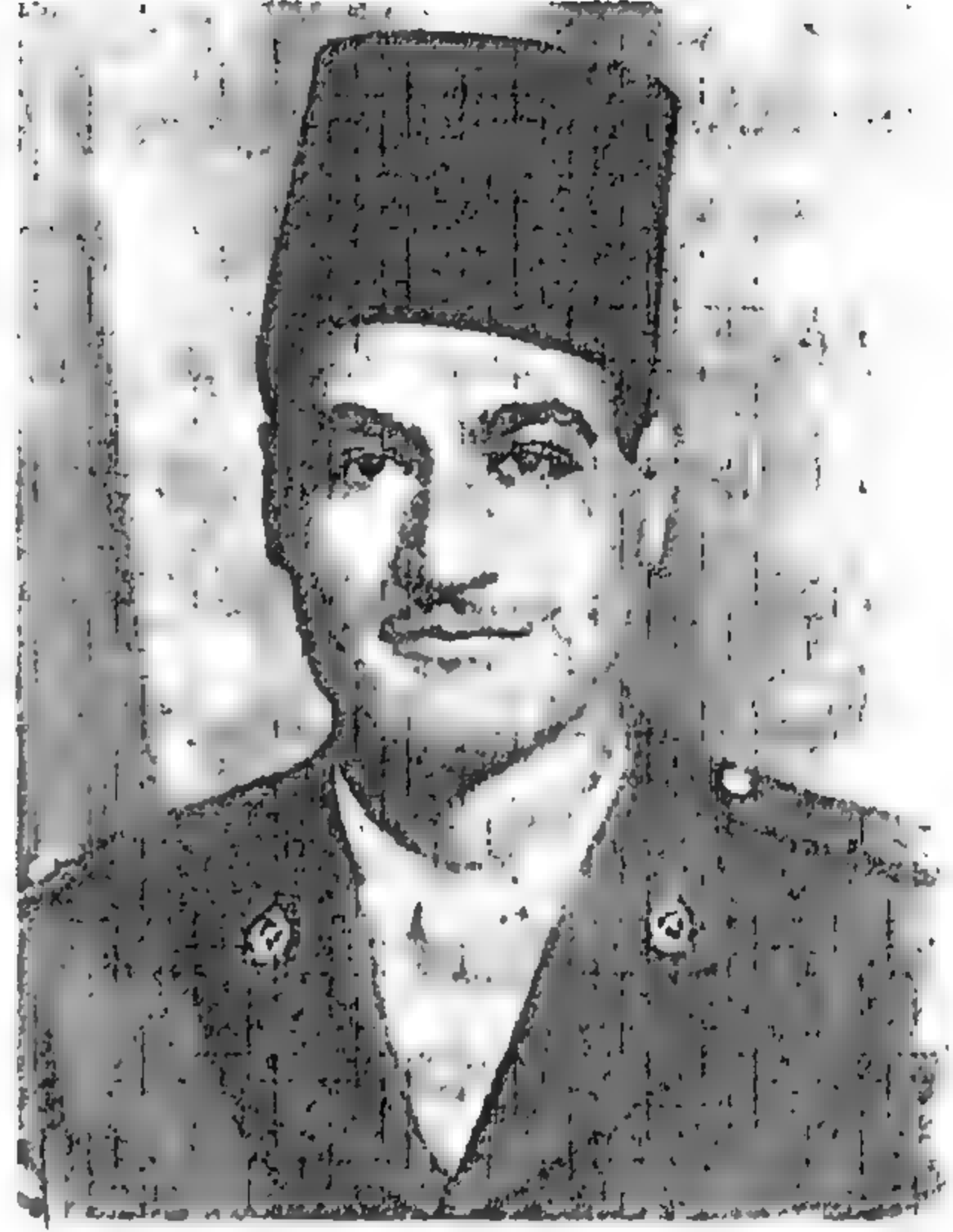
البكالوريا : مدرسة النهضة بالظاهر عام ١٩٣٦



كلية الحقوق في بدايات سنة ١٩٣٧

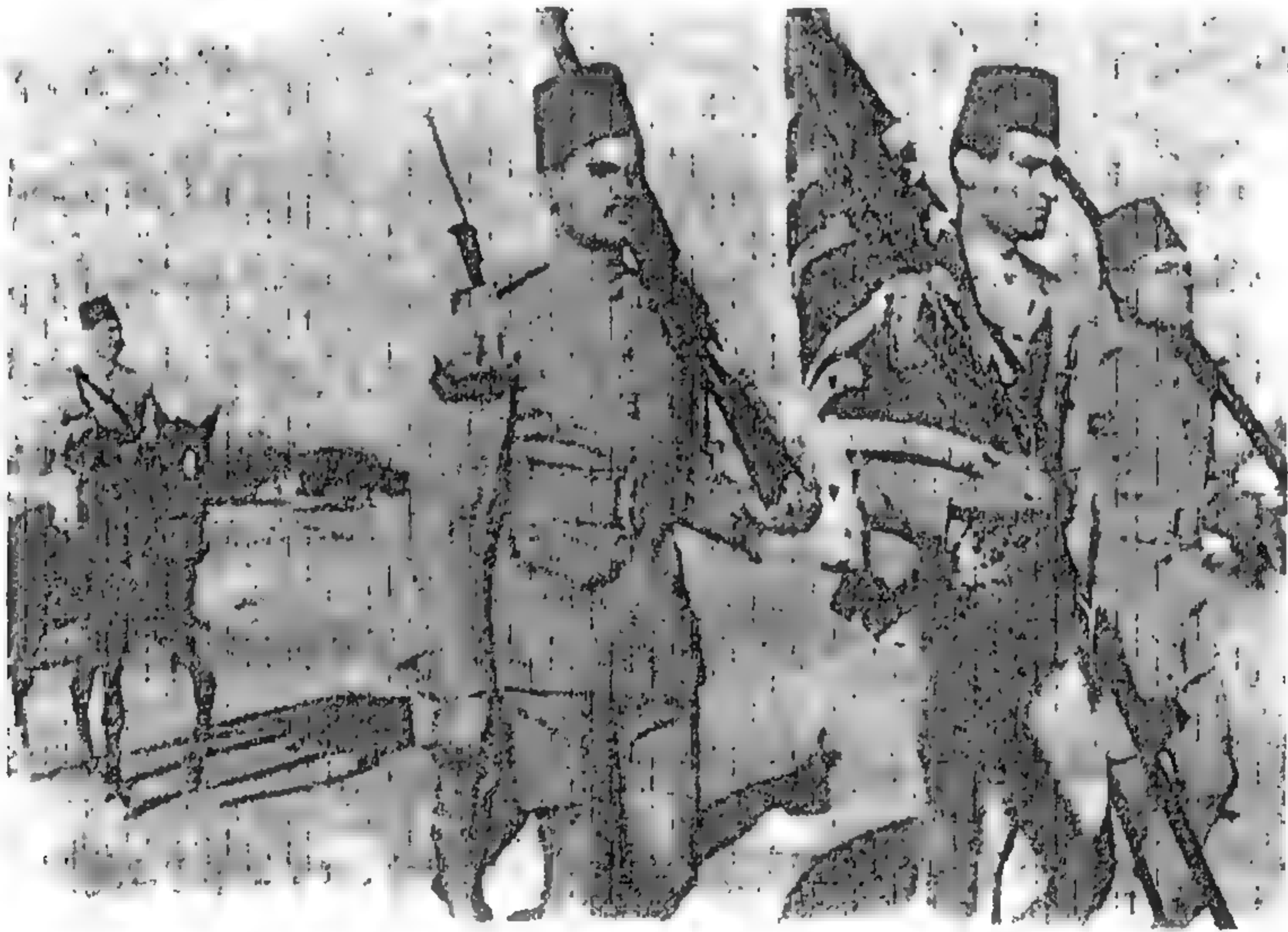


طالب في الكلية الحربية في أواخر ١٩٣٧



جمال ملازم ثاني في ١٧ يوليو عام ١٩٣٨

بعد أن انتقل إليها من الحقوق



حامل علم الكتيبة في طابور احتفال عام ١٩٤٠

تمر في مرحلة تحول من الاقتصاد التقليدي إلى اقتصاد سوق تجارى ، إلى اقتلاع أسرة عبد الناصر من جذورها وجعلها قبل الأوان عائلة صغيرة نواتية من الطراز الحديث السائد حالياً في المدن الكبرى .

فلم يكن الارتباط الوحيد ، بالأرض - الإقليم ، الذى عرفه عبد الناصر في شبابه ارتباطاً بالقرية أو بالحى في هذه المدينة أو تلك ، على غرار ارتباط معظم المصريين ، وإنما امتد ارتباطه بالأرض إلى مجمل الأرض المصرية وبشكل خاص إلى المجال المدينى والضاحوى في مدن مصر الكبرى ، تارة القاهرة ، وتارة أخرى الإسكندرية حيث تابع عبد الناصر دروسه بعيداً عن المنزل الأبوى ، فكانت علاقته العائلية التى عرفها علاقة بعائلة صغيرة من نوع العائلات النواتية المقتلعة من بيئتها الأصلية والمنقطعة عن العائلة الكبيرة الممتدة لتى كانت لاتزال ، آنذاك ، سائدة في الريف المصرى . وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الارتباط العائلى ما لبث أن انفك باكراً بالنسبة للفتى عبد الناصر ، عندما أرسل وهو في السابعة من عمره إلى بيت خاله في القاهرة لمتابعة دروسه في مدرسة « النحاسين » الابتدائية ، وما أن بلغ التاسعة من العمر حتى توفيت أمه وتزوج أبوه مرة ثانية وفقد بذلك حنان الأم وعرف الوحشة العائلية والعاطفية ، وهو بعد طفل .

أن عوامل التنقل أو عدم الاستقرار الجغرافى والانسلاخ الاجتماعى العائلى على حد وصف د . مارلين نصر لدى عبد الناصر كونت ، في اعتقاد العديد من المؤرخين العلمانيين أرضية خصبة لبروز وعيه القومى^(١) .

بل ويذهب هؤلاء إلى أن ضعف الروابط التقليدية والاجتماعية (الريفية والمدنية) لدى عبد الناصر وانسلاخه الناتج عن انهيار تلك الروابط وعن التنقل الدائم ، جعلاه يبحث باكراً عن هوية انتماء من نوع آخر وجدهما في مصر بأكملها ، وطنه الوحيد وفى أفق الأمة العربية ، فيما بعد ، أمته الوحيدة . لقد وجد هويته التى بحث عنها منذ الصغر ، في عزله سبباً في رغبته الجامحة بالوحدة . وحدة وطنية تجمع كل الشعب المصرى ، ووحدة قومية أوسع تجمع كل الشعوب العربية ، وتقضى نهائياً على « زمن العزلة » .

ونحن نختلف مع هذه الآراء ، ونرى أنها من قبيل ترهات وتخريجات خيالية لبعض القوميين العرب ذوى النزوع الماركسى العلمانى (الذى أقل زمانه وولى) وتؤكد في المقابل ألا تناقض.

(١) استمر عبد الناصر في التنقل من مدرسة إلى مدرسة ومن مسكن إلى آخر بين القاهرة والإسكندرية حسب تنقلات عائلة أبيه ، وذلك حتى نهاية دروسه الثانوية (١٩٣٦ م) ولم يعرف الاستقرار ، نسبياً ، إلا بعد دخوله الجيش ، فقد أمضى ثلاث سنوات في السودان (١٩٣٩ - ١٩٤٢) ولم يثبت نهائياً في القاهرة إلا بعد تعيينه مدرسا في الكلية الحربية .

يذكر بين (الهوية القومية) بمعناها الصحيح وبين التأكيد على هوية الأسرة الصغيرة والانتماء الأسرى ، والمأساة التي ارتكبتها د . مارلين نصر ومن حام حومها من القوميين العلمانيين - ونؤكد هنا على كلمة العلمانيين - أنهم لكي يؤكد قومية عبد الناصر ونزوعه الغروى ، أرادوا تفتيت انتمائيه الأسرى وتأكيد انسلاخه الاجتماعى لمحيطة الأسرى الصغير ، فهم من حيث أرادوا البناء هدموا ، إذ كيف يستقيم الانتماء القومى ومصداقيته لدى (عبد الناصر) وهو فاقد للانتماء بمعناه الأسرى الصحيح ، وكيف نعطي فكرة (زواج والده) بعد وفاة أمه - أكثر من حجمها وفكرة ترحال أسرته نتيجة وظيفة والده ، أكثر من حجمها الصحيح ، إن هذا تجنى ، وتحامل ليس فقط على (عبد الناصر) بل على الموضوعية العلمية ذاتها ، والتي أهدرها هؤلاء الباحثون دون وعى . إن الأدق هو التأكيد على انتمائيه الأسرى - كما حدث بالفعل - وعلى رؤيته العروية والإسلامية إن وجدت ، وأيضاً دون مبالغة مفتعلة كما يحاول البعض أن يصور عبد الناصر القائد المسلم ، ونموذج لذلك وصف الأستاذ/أنور الجندى ، أن محمد (صلى الله عليه وسلم) كان المثل الأعلى لعبد الناصر ، ووفقاً لذلك ظل دائماً يتبع هديه ، ويقتفى خطاه ، ويستهدى صورة نفسه وملاح شخصيته ، مستوعباً شمائل النبى ^{صلى الله عليه وسلم} ، وهو يصفه بهذه العبارات التى تنبعث من أعماق نفسه :

(كان محمد عليه السلام نقى السر والعلن ، ظهور الظاهر والباطن ، لا يوجد بين حياته الخاصة وحياته العامة حجاب ، فسيرته فى نفسه وفى بيته كسيرته بين الناس ، ودعوته التى يعرض على الناس أصولها ، كان أول الناس احتكاماً إليها وأخذاً بها ، وقد ظل بارزاً للأصدقاء والخصوم سنين طويلة ، فما عرفت عنه ريبة ، ولا وقع تناقض بين سلوكه الخاص وسلوكه العام ^(١) .

إن الرسالة التى نادى بها هى الرسالة التى عاش فيها ، وهى التى ضبطت أحواله كلها سواء الذى أطلع عليه الناس ، والذى خفى عن أعين الناس .

ومثل ذلك لا يطيقه الأدعياء من أصحاب الشهوات ومن ذوى الرجولة المريضة ، والأخلاق المتلوية ، ولقد حاول خصوم رسالته أن يستدرجوه إلى المداينة والمسلك المزدوج فأبى ، وهو القائل : « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها » .

ومن ذلك يقول القرآن : ﴿ فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ .

(١) أنور الجندى : جمال عبد الناصر والثورة - ١٩٥٥م - دار الجمهورية للطباعة والنشر - القاهرة - ص ٩ - ٢٠ (جدير بالذكر أن الأستاذ / أنور الجندى - أمد الله فى عمره - من أهم وأبرز الكتاب الإسلاميين فى مصر اليوم ١٩٩٢م) المؤلف .

والحق أن صاحب الرسالة العظمى قد زوده الله بزداد من الشرف والصرافة والثبات ،
وهى كفاء ما حمل من أمانة ، وبلغ من رسالة .

ثم يختم جمال عبد الناصر تصويره العميق القوى لشخصية الرسول بهذه العبارة : « ولن
يصل صاحب رسالة نبيلة إلى غايته إلا إذا مشى في هذا السبيل » .

حقاً أن جمال صاحب رسالة نبيلة ، وأنه يهتدى بمثله الأعلى ، ألم يواجه مجتمعاً أقرب
إلى ذلك المجتمع الذى واجهه النبى العظيم ؟.. إذن فهو فى حاجة إلى أخلاقه وهداه ليستطيع
أن يحطم الأصنام ويهدم صروح الطغيان ، ويقذف بالظالمين والإقطاعيين والمتسلطين خارج
الموكب الذى يريد أن يندفع فى قوة إلى المجد .

حقاً ... لقد جاء جمال عبد الناصر ليظهر طريق مصر من الصخور والجنادل ، فهو فى
حاجة إلى روح هذا النبى القوى ليهتدى به فى عمله العسير الشاق .

إنه يؤمن بما وصف به الرسول : أن طبيعة الرجل العظيم أن يعتمد دائماً على الصراحة
والصدق ، ولا ينتهر الفرص لبناء مجد كاذب ، أو اكتساب عظمة زائفة ، إن محمداً يحب
أن يدرس ويعرف ليدرك الناس من خلاله الذكية ونفسه النقية ، ما يعمر النفوس بالإخلاص
والبر » .

لقد عاش جمال عبد الناصر شبابه يقرأ بشغف ، ويدرس حياة الاعلام والعظماء والفاتحين
والحاكمين ، شأنه فى ذلك شأن كل من هيا نفسه لعمل عظيم .

ولا شك أن النبى محمد ﷺ قد كان فى مقدمة هذه الشخصيات الضخمة التى قرأ
عنها بامعان ، واستقى منها خبرتها وتجاربها ، وحاول أن يقتدى بها حين أسلمت إليه الأمور
مقاليدها . (والقول لأنور الجندى ونحن نشك فى هذه المبالغة^(١)) .

أسس الاختيار للوظيفة العسكرية :

كان جمال عبد الناصر راغباً إلى التخرج من كلية الحقوق . ولكنه غير رأيه فى آخر
لحظة واختار الكلية الحربية .. كان ذلك فى أوائل سنة ١٩٣٧م ، فما هو السر الذى
دفعه إلى هذا الاتجاه ؟.

كانت مصر قد عقدت معاهدة « الشرف والاستقلال » فى صيف ١٩٣٦ واستقبلتها
الصحافة والبلاد واستقبلت أبطالها الذين وقعوا عليها استقبال الفاتحين .

(١) المؤلف .



١٥ أبريل عام ١٩٤٨ في رحلة ميدانية لكلية أركان الحرب في سيناء علي قمة جبل موسى وبعد شهر واحد كان في سيناء مرة أخرى في طريقه للقتال في حرب فلسطين حسب احسب فكرة نوريه وبدأت تنظيماًها وراح يشكل خلالها الضباط الأحرار

كان جمال عبد الناصر قد اشترك في دعوة الزعماء إلى الوحدة ، فلما رأى أن هذه الدعوة خلفت من وراءها غلاً جديداً وقيداً حديدياً .. هو تحويل الاحتلال الذي كانت بريطانيا فيه غاضبة إلى احتلال شرعى بمقتضى وثيقة . أذهل هذا جمال ، بعد أن رأى جميع زعماء مصر فى ذلك الحين يوقعون معاهدة الشرق والاستقلال ، وقد حشدتهم الاستعمار فيها حشداً : مصطفى النحاس . محمد محمود . إسماعيل صدقى . أحمد ماهر . على الشمسى . عبد الفتاح يحيى . واصف بطرس غالى . عثمان محرم . محمد حلمى عيسى . مكرم عبيد . حافظ عفيفى . محمود فهمى النقراشى . أحمد حمدى سيف النصر .

إذن لم يعد هناك أمل فى هذا الطاقم السياسى الذى خرجته كلية الحقوق ، وليس هذا هو الطريق الذى يؤدى إلى تحقيق آمال البلاد ، ورد حريتها وكرامتها ، ولا بد من سلوك طريق آخر :

.. هو طريق القوة ..

ولن يتحقق هذا إلا بالتحول إلى الكلية الحربية .

لقد اقتنع جمال عبد الناصر بأن التفوق فى العلم هو أهم أسلحتنا ضد الأجنبى وأن مقابلة الرصاص الإنجليزى لا يكون بالمظاهرات ، ولكن بالحرب والتدريب على فنونها . وكانت الصور التى قرأها للأبطال والأعلام والزعماء قد رسمت له صورة « البطل » فى صورة المجارب الفاتح الذى يحرر وطنه ويسوق المحتلين مورد الهلاك ، وزاده يقيناً بهذا الاتجاه وتأكيداً له ، قراءته لتاريخ عرابى .. فإن لعرابى عند مصر ثأراً ، وله فى عنق الجيش المصرى وديعة .

لقد فتح الطريق أمام الطامحين لمثل هذا المجد ، مجد تحرير البلاد من ظلم هذه الأسرة الطاغية الأجنبية التى لا يجرى فيها الدم المصرى والتى تحتقر المصريين .

ولا أستطيع أن أقول أن هذه المعانى كانت واضحة فى ذهن جمال عبد الناصر على هذه الصورة ، ولكنها كانت متجمعة كبؤرة من الضوء تدفع فى قوة إلى اتجاه معين ، وتدفع الرؤيا تنبعث منها مع تطور الزمن ومرور الوقت .

وكل ما يمكن أن يقال أن جمال الشاب فى سن الثامنة عشر كان قد اقتنع بأن البلاد تمر بمرحلة مريرة ذليلة من تاريخها ، وأن بريطانيا تدوس بقدمها على عنق هذا الوطن فترغمه على أن يمرغ رأسه فى الوحل .

ويبدو هذا فى وضوح رسالة جمال إلى أحد أصدقائه ، وتاريخ هذه الرسالة ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ م ، وهو فى ابان الثورة النفسية التى دفعته فيما بعد إلى الإيمان بأنه لا سبيل إلى تحقيق هدفه إلا بالقوة والاتجاه إلى الكلية الحرية كجزء من إعداد هذه القوة التى يمكن بها مقاومة الاستعمار وتحرير مصر . ويحمل هذا الاتجاه معنى الوضوح والواقعية والاتجاه إلى الناحية العملية الصرفة دون الاعتماد على الخيالات والأحلام .

« أخى » ...

قال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ... فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم . إن الموقف اليوم دقيق ، وموقف مصر أدق . ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت . فإن بناء اليأس عظيم الأركان .. فأين من يهدم هذا البناء ؟..

إن فى الحكم حكومة قائمة على الفساد والرشوة (وزارة توفيق نسيم) فأين من يغبر هذا الحال .. إن الدستور معطل ، والحماية على وشك الإعلان . فأين من يقول للإستعمار قف عند حدك . فأن فى مصر رجالاً ذوى كرامة ، لا يريدون أن يموتوا كالأنعام . أين الكرامة . أين الوطنية . أين الذى يسمونه رعونة الشباب . كل ذلك قد غاب فى الآفاق ، وظهرت الأمة نائمة كأهل الكهف والرقيم . فأين من يوقظ هؤلاء التعساء الذين هم عن حالتهم لا يعلمون ؟

قال مصطفى كامل : « لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة » .. ولكننا نجد الآن حياة مع يأس ويأساً مع حياة . لقد انقلبت الآية يا أخى فرجعنا إلى الوراء . رجعنا خمسين سنة إلى الوراء . رجعنا إلى حكم كرومر ، ولكن كرومر وجد من أذله وشنع به فى عرض المعمورة ، فكانت النتيجة أن استقال . ولكن أين من يشنع الآن . إن الجميع يتمسحون بأذيال الإستعمار ولا يعرفون إلا الملق والتزلف . أين ذلك البلمس الذى تستظل بظله الوطنية ، ويحتفى به الوطنيون ساعة الخطب المروع ، وهو أثبت من الأطواد رأياً وقلباً ، إذا عز النصير وخيف الزيغ ، وأرهبته القوة الغشوم .. بل أين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩م تشتعل ناراً فى الصدور . بل أين ذلك الذى بذود بلسانه وخطرات قلبه عن حياص هذا الوطن العزيز المقدس ، مضحياً بالحياة والعمر فى سبيل الاستقلال .

وفى رسالة أخرى مضى جمال فى تصوير شعوره الوطنى الذى تثور فى أعماقه معركة توشك أن تحدد موقفه من الإستعمار ومن الإستبداد ومن الدجل السياسى جميعاً (وفقاً لقول أنور الجندى) ..

« .. لقد انتقلنا من نور الأمل إلى ظلمة اليأس ، ونفضنا بشائر الحياة » واستقبلنا غبار الموت ، فأين من يقلب كل ذلك رأساً على عقب ويعيد مصر سيرتها الأولى . يوم أن كانت مالكة العالم . أين من يخلق مصر خلقاً جديداً ، حتى يصبح المصرى الخافض الصوت ، الضعيف الأمل ، الذى يطرق برأسه ساكناً صابراً على حقه المهضوم .. يقطلاً على الصوت ، عظيم الرجاء ، مرفوع الرأس ، يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الحرية والاستقلال ؟ ..

يقولون : أن المصرى يجزع من حفيف ثيابه فى وضوح النهار . ولكن يجب أن يتقدم من يقودونه إلى مواقف الدفاع ومواطن الكفاح ، فيكون لهم صوت أعلى من صوت الرعد ، تتداعى لقوته أبنية الظلم والاستبداد .. فكل روح سكنت جسماً جاء من أبوين مصريين لا ترضى بحالتنا الراهنة ، وتبذل نفسها قرباناً للوطن العزيز والجامعة الوطنية المقدسة .

قال مصطفى كامل : « لو نقل قلبى من اليسار إلى اليمين أو تحرك الأهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى النيل ، فلن أغير عن المبدأ .

.. كل ذلك مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم فقد تكلمنا مرات عديدة فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها ويضرب على الأوتار الحساسة من القلوب ، ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور . ولكن كل ذلك لم يدخل فى حيز العمل إلى الآن .. » .

الحياة العسكرية :

دخل جمال الكلية الحربية ، ولم يكن طلاب الكلية يتجاوزون من قبل ٩٠ طالباً ، وعرف باستقامته والاعتزاز بنفسه وميله إلى الحياة الجدية .. ويصفه اللواء عبد الواحد عمار مدير الكلية بالآتى :

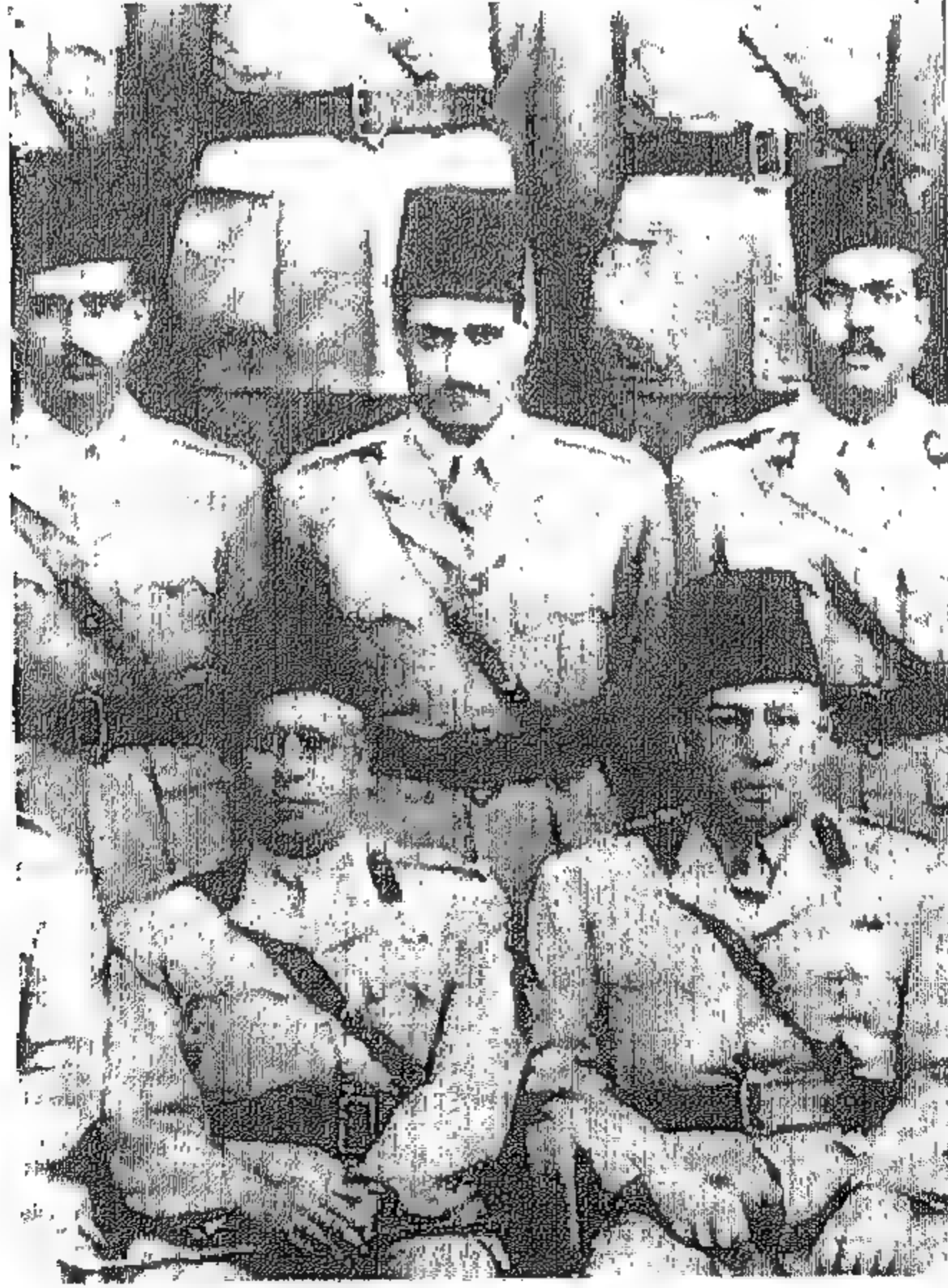
« الطالب جمال عبد الناصر حسين ذى النظرة الجدية للحياة منذ رأته ومنذ التحق بالكلية الحربية فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٧ م ، وأنا أراه لا يميل للمزاح ، فلا يأتى بحركات تخرج به عن حدود الرزانة والوقار . عرف جمع زملائه فى الكلية أنه رجل ، فلا يوقع بأحد ولا يخون أحداً . ومما عرفته أنه يعمل لكل شيء حساباً ، ويقدر العواقب ويعمل وفق ما يرضى ضميره وربه » .

حصل على ٧١ فى المائة فلم ترضى طموحه ، فالتحق بكلية أركان الحرب وسهر الليالى الطويلة مكباً على الدراسة العسكرية حتى هضمها .

كان ثائراً منذ تخرج من الكلية الحربية ، وكان ينتقد كل ما فى مصر من أخطاء .



جمال ضابطاً برتبة الملازم أول في الخرطوم في مائة سنة ١٩٤٠



وبين قاداتها وضباطها عام ١٩٤٥ وقد أصبح برتبة اليوزباشى نفس السن التى بدأت فيها الأحلام الأولى
لثورة تراوده

ولا أزال أذكر مناقشاته لأصحابه وزملائه ، فقد كانت لا تدور إلا عن مصر ومستقبلها .
وتخرج جمال عبد الناصر فى الكلية الحربية سنة ١٩٣٨ والتحق بالكتيبة الثالثة بنادق ،
ونقل إلى منقباد بأسىوط حيث تعرف بأنور السادات وزكريا محيى الدين .

وفى سنة ١٩٣٩م نقل إلى الإسكندرية حيث تعرف بعبد الحكيم عامر الذى تخرج
فى الدفعة التالية له من الكلية الحربية .

وفى سنة ١٩٤٢م نقل إلى معسكر العلمين ، وكانت هذه فرصة ليرقب حالة التوتر
التي كانت تسود مصر .

ثم نُقل إلى السودان ، وصحبه عبد الحكيم عامر حيث عملا فى جبل الأولياء .

فى هذه السنوات الخمس تنقل جمال بين منقباد والإسكندرية والعلمين والسودان ،
فكانت فترة خبرة لا شك فى أثرها البعيد فى تكوينه وإعداد الخطوط الرئيسية للخطوة العملية
التي كان يدرسها فى سبيل تحقيق الرسالة التي ملأت عليه آفاق حياته ، وهى بداية صفحة
جديدة من تاريخ جمال الضابط داخل الجيش ... « فقد كان الضباط فى ذلك الوقت
يكونون شبه أحزاب داخل كل كتيبة ، وكان كل حزب يحاول أن يستميل أكبر عدد
من الضباط ليتغلب على باقى الأحزاب » .

وقال اللواء عبد الواحد عمار عن جمال وعبد الحكيم ، وكان يعمل معهما فى الكتيبة
الثالثة بنادق بمدينة الخرطوم : « كنت لا أرى أحدهما بدون الآخر ، فجمال وعبد الحكيم
روح واحدة فى جسدين ، وعندما نقل جمال وعبد الحكيم معاً مع القوة المسؤولة عن
حراسة منطقة جبل الأولياء فى السودان ، حمدا الله على أنه لم يفرق بينهما .. » .

ومن جبل الأولياء كتب لأحد أصدقائه فى مصر مصوراً آماله :

« .. سيكون أمامك المستقبل . ولكنه يحتاج إلى جهاد . ولا لذة لمستقبل دون جهاد .
فالحياة الخاوية الخاملة ، أو الطريق المرسومة المعروفة تنعدم فيها اللذة . كل عيبى هنا
أننى « دغرى » لا أعرف الملق ولا الكلمات المنمقة ، ولا أتمسح بالأذيال ، إذ أن شخصاً
هذه صفاته يحترم من الجميع ، ولكن الرؤساء يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم ،
ويسوءهم ذلك الذى لا يتملقهم . فهذه كبرياء . وهم الذين اعتادوا الذل فى كنف
الإستعمار . يقولون : « كما كنا يجب أن يكونوا ، وكما رأينا يجب أن يروا .. » والويل
كل الويل لذلك المتكبر الذى تأبى نفسه السير على منوالهم .

وبحزنى أن أقول : ن هذه السياسية نجحت نجاحاً باهراً ، فهم يصهرون نفوس

الشبان . وكلهم شباب لم تضلهم الأيام بعد . ويحزننى أن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم ، فأصبح منافقاً متملقاً . ويحزننى أن أقول أننا نسير إلى الهاوية بالرياء والملق والنفاق ..

أما أنا فقد صمدت . ومازلت . ولذلك تجدنى فى عدااء مستمر مع هؤلاء الكبار .. « . ولكن الأمور لم تسر طبيعية بعد ، فقد بدأ كبار ضباط الجيش فى ذلك الحين ينظرون إلى جمال كمنافس خطير .. جاء ليحطم الأصنام ، ويشير بدعوة جديدة . فشنوا عليه حرباً لا هوادة فيها ، وحاكوا له الدسائس .

ولكنه استمر فى دعوته .. وإن كان قد أحس بأن الطريق شاق ، وأن كبار الضباط الذين عاشوا على الدس والوقية والحقد لن يتركوه ... فلما حان وقت الترشيح للنقل إلى السودان « الكتيبة الثالثة » وضعوا اسمه بها .

ورحب هو بذلك ...

وفى السودان توطدت صداقة جمال وعبد الحكيم عامر ، وعلى الرغم من عزلتهما فإنهما كانا يشعران بسعادة كبيرة ، واتحد تفكيرهما فى كثير مما كان يساورهما من الآراء نحو مصر وأوضاعها - هكذا يقول المؤرخون^(١) - وتبلورت هذه المعانى فى صورة جديدة واضحة .. هى القضاء على الفساد الذى استشرى فيها .

وفى هذه الفترة قرأ جمال كثيراً .. واتهم وزميلة عدداً من الكتب .

وكانت الكلية الحربية قد فتحت أمامه آفاقاً جديدة فى الدراسة ، دراسة الحروب والتكتيك والوقائع والأعمال الضخمة التى قام بها نابليون وخالد والاسكندر .

وكانت فرصة للتحضير لكلية أركان الحرب ..

حقاً .. لقد دخل جمال عبد الناصر فى دور صراع جديد ، هو الصراع مع الطبقة القديمة فى الجيش . أنه رفض أن يكون ذليلاً لهم . أن الذى يزعج جمال هو أن الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم فأصبح منافقاً متملقاً ، وأن الجيش لذلك يسير نحو الهاوية . على حد قول أنور الجندى فى كتابه سالف الذكر (ص ٢٧) .

ويبدو أن فترة التأمل الطويل التى أتاحها له الفراغ فى جيل الأولياء قد أكدت أفكاره وآرائه ، فهو يكتب فى أغسطس سنة ١٩٤١م إلى صديقه فى القاهرة خطاباً يبين هذا التطور

(١) انظر المصادر السابقة .

الجديد :

« .. إن الحياة الآن تختلف اختلافاً كلياً عما كانت عليه في الماضي ، وطبعاً في هذا الاختلاف تأثير على النفس وعلى الفكرة التي كونتها عن الحياة . والحقيقة أن كل ما كانت أعتقد في سنة ١٩٣٦م وما حولها من الأيام يتغير تغيراً مستمراً ، وثبت لي الأيام أن تفكيرى في الأيام الماضية كان خطأ ، وأن نظرياتي ونظرياتك أيضاً كانت كلها من بنات الخيال .. وأن الحقيقة الآن تهدم هذا الخيال بالنسبة لي ..

تصور كلامى وتعجب .. جرى أيه لجمال عبد الناصر .. ولكن إذا عشت ربع المدة التي عشتها في هذا الجو ، لكنت ألن من ذلك . الإخلاص معدوم . والذمة مفقودة ، والضمير لا تسمع عنه . إذا كنت أنا الوحيد في هذه البيئة أعتز بالضمير وأعتز بالذمة فطبعاً أكون مغبوناً جداً .. إذ أن كل البلاوى ستقع على هذا الذى لا يرضى عن الذمة بديلاً .

في خلال هذه الفترة بدأ جمال عمله الفعلى . أشعل الجذوة في ليالى منقباد . وكان في صمته خلال نقله إلى السودان ، وبعد عودته ، يعد العدة لجذوة أخرى لا ينطفئ ضوءها ولا يفرغ زيتها (على حد تعبير أنور السادات في مؤلفه : « يا ولدى هذا عمك جمال ») . كان جمال في خلال هذه الرحلة الطويلة يبحث عن الرجال والأعوان ، عيناه الفاحصتان تبحثان عن الأعوان والرجال .

إن جمال يؤمن بالحكمة في هذه الفترة المبكرة ، ولذلك فهو يقول لصديقه في مارس سنة ١٩٤١م ، في خطاب من الخرطوم : « أرجو ألا تكون قد اندفعت بغير عقل أو تندفع بغير روية .. » .

وهو بهذا التحفظ وهذه الأعصاب الهادئة ، يفكر طويلاً ، وتعيش الفكرة في أعماقه حتى تنصهر وتستوى وتولد قوة حية .. لا تموت .

لقد فتح جمال هذا الباب الجديد .. باب الضابط المصرى المتحفظ بالكرامة الذى لا ينحنى ولا يتملق . والذى لا يخشى أحداً إلا الله . هذا النموذج الجديد الذى لا يعرف السهر ولا الشراب ولا اللذات الرخيصة ، المستقيم الذى يصلى ويصوم ويعبد الله ويخشاه .

لقد كسب خبرة ضخمة من معرفة الناس والبلاذ ، وشاهد عن كثب أوضاع الإستعمار في السودان والعلمين .

وعاد جمال عبد الناصر من السودان سنة ١٩٤٢م حيث عين مدرساً بالكلية الحربية ، والتحق بكلية أركان الحرب فنال شهادتها بتفوق ، والتقى من خلال دراسته بها بزملائه الذين أسس معهم تنظيم الضباط الأحرار كما سنرى في الفصل الثانى من هذه الموسوعة .



عبد الناصر مع والده في الإسكندرية ١٩٦٤



في صالون البيت وراءه صورة الرفاف



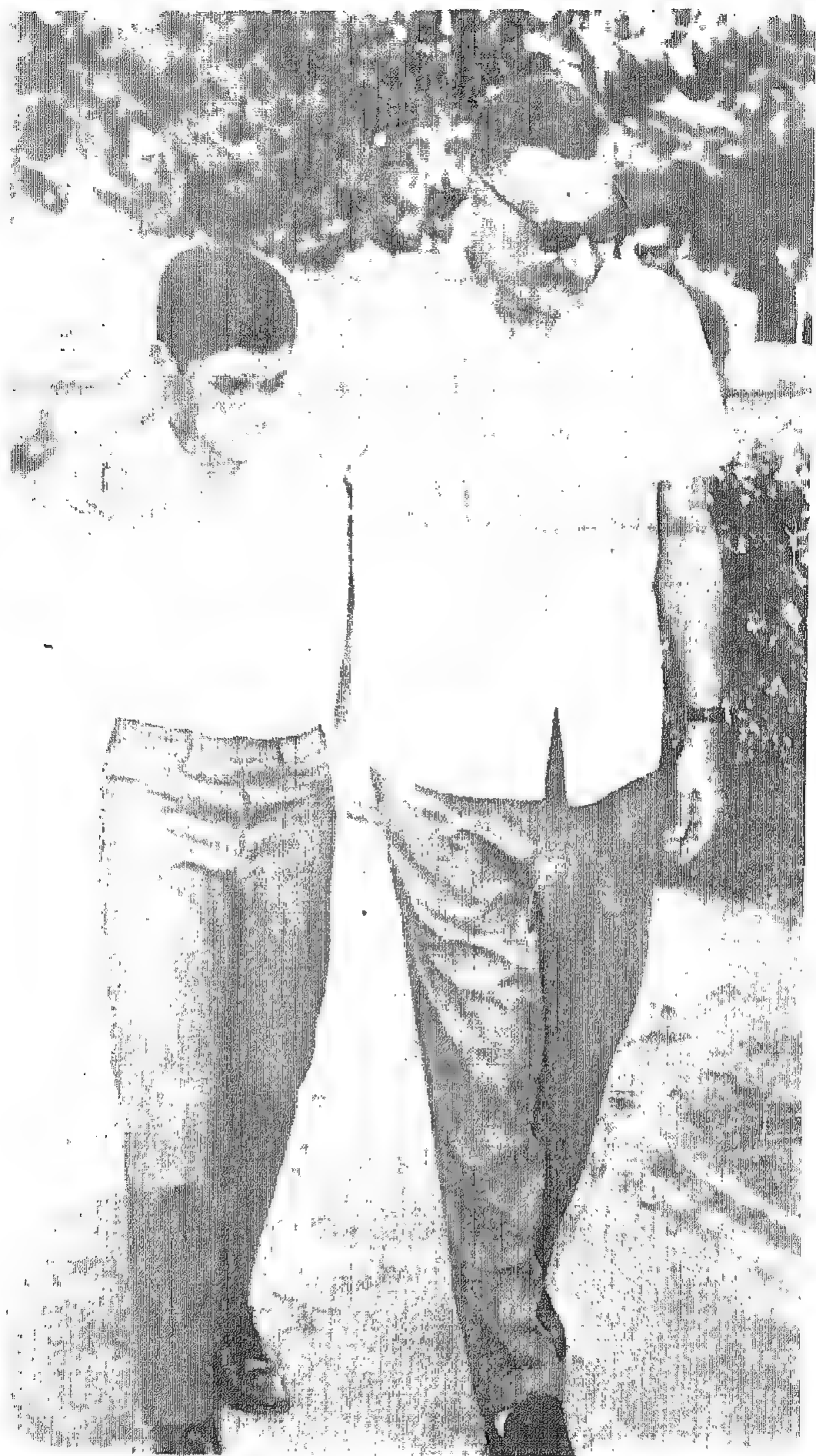
مع حاتم صادق وقريته هدى عبد الناصر وابنتها الأولى هالة في بيته بمنشية البكرى



منى عبد الناصر وابنها جمال في استراحة القناطر وعبد الحكيم عبد الناصر في الخلف وخالد عبد الناصر إلى اليمين يرقبان جمال الجد وجمال الحفيد



الأبناء خالد عبد الناصر وعبد الحكيم عبد الناصر إلى يساره في البيت بمنشية البكرى



ومع أصغر أبنائه عبد الحكيم ١٩٦٦

الفصل الثاني
الطريق إلى ثورة بولس
تشكيل الضباط الأحرار



الطريق إلى ثورة يوليو تشكيل (الضباط الأحرار)

فى الطريق إلى أحداث ثورة يوليو ١٩٥٢م أو (حركة يوليو) كما يحلو للبعض تسميتها ، جرت تحت السطح مياه كثيرة ، وكان تنظيم الضباط الأحرار ، بعضاً من تلك المياه ، ولأن البعض رأى فيه امتداداً له داخل الجيش ، والبعض الآخر رأى فيه تنظيمًا عميلًا لقوى أجنبية وبخاصة الولايات المتحدة ، بل وأسمى هذه الثورة بـ « ثورة يوليو الأمريكية » وبأن من لا يفهم ذلك فهو من المغفلين^(١) لأن البعض رأى ذلك ولكى يستقيم الأمر ، وتتضح أبعاده ، فإننا سوف نقدم هنا نماذج من تلك الرؤى ، لعل فى إيرادها وبشكل أمين ونقدى ، أن نلم بكافة الجوانب التاريخية التى أحاطت بهذا التنظيم السياسى العسكرى .

من هنا سوف نمحور الحديث حول النقاط التالية :

أولاً : البيئة الخاصة التى تشكل فيها التنظيم : مؤسسة الجيش وتاريخها .

ثانياً : الرؤية الأجنبية لتشكيل تنظيم الضباط الأحرار .

ثالثاً : الرؤية الناصرية لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار .

رابعاً : الرؤية الإسلامية لنشأة وتطور التنظيم .

خامساً : المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

وبتفصيل ما سبق يستبين ما يلى :

أولاً : البيئة الخاصة التى تشكل فيها التنظيم : مؤسسة الجيش وتاريخها :

كان الجيش المصرى قبل ١٩٥٢م ، بيئة فاعلة ومؤثرة فى الحياة السياسية المصرية ، لم تكن مفاهيم مثل (الانضباط العسكرى) ، و (الالتزام بشرف العسكرية) تحول بينه وبين التفاعل الحقيقى مع هموم الوطن وقضاياه الكبرى ، وكان الحديث فى السياسة ،

(١) انظر كتابات محمد جلال كشك عن ثورة يوليو وبخاصة :

— ثورة يوليو الأمريكية — القاهرة — ١٩٨٨م .

— كلمتى للمغفلين : القاهرة — ١٩٨٩م .

— الناصريون قادمون — القاهرة — ١٩٨٩م .

شائع ، ومباح ، داخل الجيش ، بل كان بعض القادة السياسيين والإسلاميين يحاضرون في تلك الوحدات ، دون حرج أو خوف . أو ادعاء زائف بما يسمى بالانضباط العسكرى . فلقد كانت مصر ذات هم واحد ، وقضية مشتركة ، ساهم الاحتلال الإنجليزي العسكرى في بلورتها ووضوحها .

* هذا وبعودة إلى التاريخ ، تاريخ مؤسسة الجيش المصرى ، يؤكد المؤرخون أن وصول أحمد عرابى إلى رتبة القائمقام فى الجيش ، تعد بمثابة النقطة ذات الأهمية فى بروز دور الجيش فى كفاح مصر وثوراتها ، فقد أنشأ محمد على الجيش من المصريين بالرغم منه ... وبعد أن فشل فى تكوينه من أولاد المماليك والضباط الأرناؤوط ، وكان أن خرج من هذا الجيش أحمد عرابى وعبد العال حلمى ومحمد عبيد .

لقد ثار عرابى وزملائه الضباط الأحرار على الظلم والضييم فى أيام سوداء مظلمة ، كان طغيان أسرة محمد على فيها بالغاً غايته من العتو والاستعلاء ، ففتحوا ثغرة من النور فى الليل المظلم .

ولا يقلل من عظمة العمل الذى قام به عرابى أن الثورة المصرية إذ ذاك بدأت بالمطالبة بحقوق الضباط أنفسهم ازاء طغيان عثمان رفقى ، والاتجاه الظالم بتفضيل الجراكسة والترك والإجحاف بحقوق الضباط الوطنيين فى الجيش^(١) .

ولا يغيب عن البال أن أول اجتماع عقده الضباط بمنزل أحمد عرابى وحضره عبد العال حلمى وخضر خضر وعلى فهمى الديب ومحمد عبيد وألفى يوسف وأحمد عبد الغفار ، قد ضمن عريضة المطالبة بتغيير نظام الحكم وعزل ناظر الجهادية وتعيين غيره من أبناء الوطن ، وتشكيل مجلس نواب من نباء الأمة وإبلاغ الجيش العامل إلى ١٨ ألف جندى .

وتبدو قوة هذه الحركة فيما قام به الضباط من الهجوم على ثكنات قصر النيل وإطلاق سراح الضباط الثلاثة الذين اعتقلهم الخديو ، وكان على رأس المهاجمين محمد عبيد ، فقد أمر الخديو بعد وصول هذه المطالب باعتقال عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى ، وسرعان ما سار محمد عبيد فى قواته ف ضرب الحصار على قشلاق قصر النيل وهجم على الديوان فبادر الجنود إلى الفرار ، وفى مقدستهم عثمان رفقى نفسه ، وفكوا أسر زملائهم وخرجوا بهم ...

(١) فى تحليل وتفسير ذلك انظر بعض الكتابات المبكرة والهامة :

١ - فتحي رضوان - كتاب (أخى المواطن) - القاهرة - ١٩٥٥م .

٢ - أنور الجندى - مصدر سابق .

٣ - عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة الوطنية .

وعزل عثمان رفقى .. وبدأ النفوذ العسكرى يأخذ طابعاً قوياً أقلق الخديو وحاشيته الذين حاولوا إطفاء هذه الحركة بالتقرب إلى الضباط ورفع مرتباتهم ، ولم يكن عفو الخديو عن زعماء الحركة الذي قاموا بمحادثة قصر النيل إلا خدعة تخفى وراءها الاستعداد لقمع الحركة والانتقام من مدبريها .

وفى هذه الفترة كانت الآمال قد تعلقّت بعراى وامتدت الأنظار إليه ، وبرزت رابطة قوية بين مطالب الجيش ومطالب الشعب الذى أحس فى صوت عراى مخرجاً ومُتنفساً من الحرج والضيق الذى كان يلقاه من الخديو الظالم .

وقد وصف عبد الرحمن الرافعى هذا الشعور فى صورة رائعة فقال : « ... كل هذه الأعمال جعلت من عراى زعيماً قوياً اتجهت إليه الأنظار لتحقيق أمانى الشعب ولم يكن الجيش يصدر عن أفكار وعواطف تخالف أفكار الجماهير ، بل كان فى واقع الأمر يمثل الأمة فى أفكارها ونفسيّتها .. ولم يكن الناس راضين عن الحكومة وسياستها بل كانوا يتبرمون بمظالم الحكام . وينقمون من الوزارة استسلامها للنفوذ الأجنبى وخضوعها لأوامر القناصل ومحاباتها الموظفين الأجانب .. » .

ولم يأل عراى جهداً فى التحدث مع العلماء والأعيان والعمد حتى كسبهم إلى صفه فأصبح قوة شعبية كبيرة لا يمكن تجاهلها . ومضى يوطد نفوذه بين صفوف الضباط وحدد مطالبه بتأليف المجلس النيابى وإحداث انقلاب فى الحكم يحل الشورى محل الحكم الاستبدادى .

وقد كان من نتيجة المنشورات التى وجهها عراى إلى أهالى البلاد ما وصفه عراى فى مذكراته « .. وبناء على ذلك وفدت علينا الوفود من جميع أنحاء القطر وسلمتنا عرائض النيابة عنها وفوضت إلينا العمل لما فيه سعادة البلاد وخلصها من براثن الاستبداد معلنة تضامنها معنا فى كل ما نقوم به من أعمال الإصلاح ... » .

وفى خلال هذه الفترة بين واقعة قصر النيل (أول أبريل ١٨٨١م) و (٩ سبتمبر ١٨٨١م) يوم واقعة عابدين كان عراى قد اطمأن إلى أن الجيش أصبح فى قبضة يده وأن الأمة من وراءه وهنا بدأ فى أحداث هذا الانقلاب بأن زحف بالجيش إلى ميدان عابدين فأزعج الخديو وهزه هزاً عميقاً وفشلت كل محاولاته فى منع المظاهرة أو تأجيلها وزاد الأمر خطورة عندما انضم حرس الخديو الخاص إلى صفوف الكتائب .

ونزل الخديو إلى الميدان ومعه القناصل الإنجليز والمراقب المالى الإنجليزى حتى إذا ما توسط

الميدان نادى عرابى فجاءه راكباً جواده شاهراً سيفه وخلفه نحو ثلاثين ضابط شاهر السيوف .

ودار بين عرابى وبين الخديو حوار تبين فيه مدى الاحتقار الذى كان يكنه الخديو للمصريين .

الخديو - ما هى أسباب حضورك بالجيش إلى هنا .

عرابى - جئنا لنعرض طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة .

الخديو - وما هى هذه الطلبات .

عرابى - عزل رياض باشا وتشكيل مجلس النواب وإبلاغ عدد الجيش إلى العدد المعين فى فرمانات السلطانية .

الخديو - كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا .

عرابى - لقد خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً فوالله لا إله إلا هو أنا سوف لا نورث بعد اليوم .

وعاد الخديو إلى داخل السراى . وقبل مطالب عرابى وسقطت وزارة رياض وعين محمد شريف رئيساً للوزارة وكان هذا هو أوج النصر لحركة الجيش .

وتطورت ثورة عرابى تطوراً لم يكن فى يده ، فقد انتصر الإنجليز بفعل الخيانة لا بضعف الجيش ومال الخديو نحو الإنجليز وأسلم نفسه إليهم وأعلن خيانة عرابى الذى وقفت الأمة كلها من حوله لتفتديه بأرواح .

شتت الخديو والإنجليز عرابى وأنصاره وسحقوا هذه القوة الشعبية الضخمة سحقاً ، وظل عرابى إلى عهد قريب يوصف بالخيانة فقد كانت أسرة محمد على ماتزال تحكم البلاد وتقف بالمرصاد للتاريخ الحق لهذا البطل وتغض من قدر هذا العمل الخالد الذى هز هذه الأسرة هزة عنيفة وجعلها تتأهب للهزة الأخرى التى أسقطتها من مكانها .

وسرعان ما وضع الإنجليز يدهم على الأمور فى مصر وكان أول عمل لهم هو إلغاء الجيش المصرى بصفة عامة وإنشاء جيش صغير يرأسه ضباط من الإنجليز فما أن تم للإنجليز احتلال العاصمة فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢م عقب هزيمة العرابيين حتى أصدر الخديو توفيق مرسوماً بإلغاء الجيش المصرى فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢م بعد أن قبض على كبار الضباط لمحاكمتهم . كما صدر مرسوم بتجريد جميع الضباط الذين اشتركوا فى الثورة العرابية ممن كانوا فى رتبة يوزباشى

وما هو أقل منها ، وحرمانهم أى حق فى المعاش أو مرتب الاستبداد .

وعهد بتنظيم الجيش الجديد إلى ضابط إنجليزى هو (قالتين بيكر) ليكون خاضعاً للسياسة البريطانية الذى بدأ فى خلق جيش جديد يكون أداة فى يد الإنجليز ، واقترح اللورد دوفرين عدد الجيش إلى ستة آلاف .

وانحط مستوى الجيش إلى أبعد حد وألغيت الصناعات الحربية كإت ألغيت البحرية المصرية وظل كذلك حتى قال سعد زغلول لعبد الرحمن الرافعى فى برلمان ١٩٢٤م عندما سأله عن موقف مصر من بعض الحوادث فى السودان كلمته المعروفة « هل عندكم تجريدة » .

وبقى الجيش شيئاً بعيداً عن الميدان السياسى يسيطر عليه الإنجليز ولا يسمحون بتقويته أو زيادته .

وقد وقعت فى يونيه ١٩٢٧م أزمة سياسية حادة بين مصر وبريطانيا بشأن الجيش إذ تضمنت الميزانية تقريراً بإصلاح الجيش المصرى وترقية التعليم فى المدرسة الحربية . وقبل أن تتقدم اللجنة الفرعية للميزانية يبحث هذه المقترحات علمت بها دار المندوب السامى والصحف البريطانية فهبت ترعد وتبرق وتهدد وتتوعد ونشأت أزمة ضخمة كان مظهرها توجيه مذكرة من الحكومة البريطانية إلى الحكومة المصرية فى ٢٩ مايو ١٩٢٧ جاء فيها أنه لوحظ فى الأيام الأخيرة أن هناك اتجاهاً مقلقاً يرمى إلى إدخال النفوذ السياسى فى الجيش المصرى واصطحب هذا الاتجاه وبمحاولات أكيدة للتقليل من اختصاص المفتش العام للجيش والضباط البريطانيين الذين يعملون فى المصالح المختلفة التابعة لوزارة الحربية . وترى الحكومة البريطانية أن الموافقة على هذه التوصيات يقلل كثيراً من الفرص التى تنهياً للتسوية الودية لهذه المسألة الهامة بين مصر وبريطانيا « العظمى » ولذلك تدعو الحكومة السرية إلى إعادة النظر فى موقفها بغير إبطاء وتضمنت المذكرة طلبات جديدة تضيف إلى سلطان إنجلترا على الجيش المصرى سلطاناً جديداً بتعيين ضباط بريطانيين جدد ورفع درجة اللواء سفينكس باشا المفتش العام للجيش الإنجليزى إلى رتبة فريق وأن تضم مصلحة الحدود وخفر السواحل لإشراف المفتش العام البريطانى للجيش .

وبذلك عاد الجيش المصرى إلى أسوأ مما كان فى أيام الحماية .

وأذاعت الأنباء أن ثلاث بوارج بريطانية أمرت بالسفر من مالطة إلى المياه المصرية وقال وزير خارجية بريطانيا فى مجلس العموم أن الحكومة المصرية تدخلت فى هذه المسألة لأن فريقاً من الساسة المصريين ذوى الكلمة النافذة أراد استعمال الجيش أداة معادية لإنجلترا والدليل على ذلك أنه طلب زيادة وحدات الجيش .

وخضعت الحكومة المصرية للإنذار البريطاني ونفذت كل ما تضمنه .

وفيما عدا هذا الحادث لم يسمع عن الجيش المصرى شيئاً فى ذلك التاريخ الطويل وظلت قبضة بريطانيا على الجيش المصرى قوية حتى جاءت معاهدة ١٩٣٦م حيث تقرر إيفاد بعثة بريطانية لتدريب الجيش المصرى . وقد قدمت هذه البعثة من ١٥٠ ضابطاً وصف ضابط وكلفت الخزانة فى الفترة التى أقامتها فى مصر ستة ملايين من الجنيهات واعتبرت التقارير التى وضعتها البعثة ملزمة تنفذ بدون معارضة من جانب الجيش المصرى .

واستمرت ١٠ سنوات (١٩٣٦ - ١٩٤٦م) وأشارت ملاحق معاهدة صدق - بيفن إلى تحويل هذه البعثة العسكرية إلى لجنة دفاع مشترك .

وظلت بريطانيا تحول بكل قواها دون تكوين الجيش المصرى أو تزويده بالأسلحة أو بناء المصانع الحربية وغيرها .

وكان فاروق بوصفه القائد الأعلى للجيش يفخر بأن هذا الجيش ليس جيش مصر بقدر ما هو جيش ناروق . وتولى امرته رجال حاولوا أن يخضعوه لسلطانه وكانت الأحاديث تروى عن مدى هذا الولاء .

ومن سخرية الأقدار بفاروق أنه فى نفس هذا الوقت كان يرى من الجيش العصا التى يهدد بها البلاد ، كان الجيش يتجمع ليضرب الضربة الأخيرة وليتم عمل عرابى وليفتح لمصر باباً من الحرية .

وجاءت أحداث ٤ فبراير ومعركة فلسطين ومعركة القنال فأججت النار ورتبت الخطوط ودفعت الضباط الأحرار إلى الثورة .

وكانت فلسطين هى الموقعة الأولى لجيش مصر بعد أكثر من ٦٠ عاماً وقد دلت جميع التقارير على أن الجيش لم يهزم بالرغم من نقص الإمكانيات والعتاد الحربي وإنما هزمته السياسة فى مصر فقد كانت روحه المعنوية عالية لولا ما بيته السياسة ومن وراءها بريطانيا له فى القاهرة من مناورات .

وقد سجل جمال عبد الناصر هذه المرحلة من التاريخ فى عبارات قليلة واضحة :

قد يحدد الناس تاريخ الثورة المصرية التى قام بها الجيش ممثلاً للشعب باليوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ .

والواقع أن فى هذا التاريخ مجافاة للواقع لأنه لم يكن إلا آخر مراحل الثورة ، أما أولى مراحلها فسابقة لهذا التاريخ عشرات السنين .

إنه اليوم الحادى عشر من يوليو ١٨٨٢م أى قبل هذا التاريخ الأخير بسبعين عاماً وأثنى عشر يوماً على التحديد .

ففى ١١ يوليو ١٨٨٢م ضربت الإسكندرية الوادعة بمدافع العدوان البريطانى ثم كان الاحتلال البغيض واشتعلت مصر نائرة وخرج الجندى والفلاح أحمد عرابى على رأس ثورة الأحرار من الضباط والجنود ليرد هذا العدوان الطاغى .

ولكن الثورة لم تحقق أهدافها واكتفت بأن سجلت مولدها . وكان لابد لها وقد بدأت طفله ساذجة صغيرة من أن تصبر حتى تنمو مع الأيام حتى إذا أصبحت مكتملة قادرة على أن تقوم بعمل ما لم تتردد فى القيام به . لقد حددت الثورة أهدافها منذ اليوم الأول لمولدها . « لابد من تحرير مصر ولابد من جلاء قوات الاحتلال » .

وكلما كانت الثورة تنمو كانت هذه الأهداف تزداد عمقاً فى ضميرها . وكلما كانت الأيام تمر كانت هذه الأغراض تشتد اتصالاً بإرادتها فما أن أقبلت ثورة ١٩١٩م وكانت الحرب العظمى قد انتهت . حتى هبت الثورة تطالب بتحقيق أهدافها فصاحت « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » وكانت تعنى ما تقول فبدلت فى سبيل فكرتها وهدفها دماً ذكياً وتضحية عالية وروحاً سامية .

ولم تخف الثورة أمام رصاص المستعمرين . ولا أمام أذنانهم من رصاص المصريين ولكنها مضت قدماً لا تبالى بالخديعة والدس وإذا كانت الثورة بطبيعتها طيبة القلب صابدة النية فقد صدقت الخداع والخادعين ، وسكنت وأخذت تنتظر الوعود فإذا الوعود سراب .

وإذا بالثورة العارمة التى قامت لجلاء المستعمرين عن أرض الوطن ترضى بدستور ١٩٢٣م بدلاً من أهدافها الكبرى .

وئارت الثورة على نفسها ولكن المناورات الاستعمارية كانت قد كبلتها فما كانت تستطيع إلا أن تنتظر بعض الوقت حتى تفك قيودها .

واكتفت الثورة من وقتها بأن تنظر حولها وهى تسخر ممن استغلوها وأخذوا يتجرون بها ويتلاعبون باسمها .

كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مجداً يعلن صلته بها ، كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مركزاً يباهى بأنه ابن الثورة وصانعها ومحركها . وأصبحت الجماهير ضحية لهذه المزايدات الوطنية . وهذا اللون الجديد من ألوان الاستقلال السياسى والإتجار باسم الثورة .

وبدأ تجار السياسة يختلفون ويتفقون دون أن يكون لأهداف الثورة دخل فيما يختلفون وفيما يتفقون ... » .

وغاية القول أن القصر والإنجليز حملاً على إفساد الجيش وجعله أداة طيعة في أيديهم ، وحرصاً على خنق كل روح وفيه حتى يظل العوبة في أيديهم . وحتى يظل تحت سلطانهم . ويظل قوة إرهابية للشعب ، لا يلتقي به دائماً ليبقى عاملاً من عوامل إخافته .

وقد وصف جمال عبد الناصر هذا المعنى في قوله : « لقد كان الحاكم في الماضي يعمل كل ما وسعه للفصل بين الشعب والجيش . وكانوا يجهلون مطالب الضباط في الجيش حتى يظلوا أداة في يد الطغاة للضرب على يد الشعب ، ولكن فئة من أبناء مصر الأحرار عرفت أن الشعب إذا كان يمثل الحق . فإن الجيش يمثل القوة . وأن الحق يحتاج إلى القوة حتى يظهر واضحاً جلياً . وعملنا متعاونين متساندين حتى التقى الحق والقوة في هذه الثورة الشعبية » .

لقد آمن جمال بالجيش على أنه أداة تحرير مصر فبدأ يكون مجموعته التي سميت بتنظيم الضباط الأحرار ويضم إليها أعوانه ويعد عدته لأمر خطير كما سيتضح فيما بعد .

ثانياً : الرؤية الأجنبية لتشكيل وتطور تنظيم الضباط الأحرار :

* تفاوتت الرؤية الأجنبية بشأن نشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار . بين إدانة غير مفهومة لتنظيم وطني حاول تحرير بلده ، إلى إعجاب مبطن بإنجاز هذا التنظيم ، وتفاوتت الرؤية واختلفت بين العداء التقليدي لكل ما هو عربي أو مسلم ، وبين التعاطف بحكم المصلحة ، ليس إلا ، فالرؤية الأمريكية والإسرائيلية مثلاً ، كانت تقليدية في عدائها ، وهو أمر متوقع ، أما الرؤية الشيوعية فكانت متعاطفة ، ، ولكن إلى حدود معينة وهي حدود يتوقف عندها الأفق الماركسي ، والرؤية الماركسية لما سمي بحركات التحرر الوطني ذات الجذور الطبقية البرجوازية ، ومن ثم فالتعاطف معها ، كان تعاطفاً تكتيكياً ، وكان الفهم لها أيضاً فهماً مصلحياً وتكتيكياً ، وهذا مصيبة في حد ذاته ، عندما يخضع التاريخ لتفسير قصري مسبق ، ولمنهج ضيق في فهم طبيعة الصراعات والتحويلات التي عاشها المجتمع الذي منه أتى الضباط الأحرار .

* أيا ما كان الأمر .

* فما بين أيدينا ، هي مجموعة من الرؤى الغريبة ، التي استندت في معظم معلوماتها على كتب ودراسات مصرية ، واختلفت بعد ذلك في مسألة (توظيف) تلك (المعلومات) وعملية (تفسيرها) .

* ما بين أيدينا ، رؤية غربية بل وإسرائيلية وهذا هو الجديد فى الأمر حاولت تفسير الحدث ، فماذا قالت ؟

* يقول المؤرخ الإسرائيلى اليعازر بعيرى فى تقييمه لثورة يوليو أو انقلاب يوليو على حد وصفه :

(يختلف انقلاب يوليو ١٩٥٢م فى مصر ، من نواح عدة ، عما سبقه من انقلابات فى العراق وسوريا . فقد أقام نظاماً مستقراً للحكم ، دام طويلاً ، لا نظير له فى الشرق الأوسط فى العصر الراهن . كما أحدث ذلك النظام تحولات اجتماعية بعيدة الأثر ، ورفع مكانة مصر عالياً فى الشرق الأوسط ، وفى جميع أنحاء العالم ، أما من ناحية الإعداد والتنفيذ ، وطبيعة الرجال الذين قاموا به ، فالانقلاب المصرى يعد ظاهرة جديدة ، إذ كان من عمل جماعة سياسية سرية جميع أعضائها من الضباط حملة الرتب المتوسطة والصغيرة . فعندما قام بكر صدقى بانقلابه فى عام ١٩٣٦م كان برتبة الزعيم ونائباً لرئيس الأركان ، والسبعة الذين أطاحوا به فى ١٩٣٧م كانوا يتمتعون بتأييد اثنين من قادة فرق الجيش العراقى الأربع ، وعندما أطاح الصباغ فى ديسمبر ١٩٣٨م بحكومة المدفعى كان رئيساً لعمليات الأركان العامة ، ويشغل أعضاء مجموعته مراكز قيادية فى الجيش ، كما كان حسنى الزعيم فى ١٩٤٩م رئيساً للأركان ، والحناوى فى أغسطس ١٩٤٩م برتبة الزعيم وقائداً للواء مدرع ومندوباً للقيادة العامة ، كذلك كان الشيشكلى فى ديسمبر ١٩٤٩م عضواً بقيادة الأركان وقائداً للواء مدرع . أما أعضاء تنظيم الضباط الأحرار ، فكانوا فى يوليو ١٩٥٢ ، أما روادا أو مقدمين ، باستثناء واحد برتبة العقيد وقائد كتيبة للمدفعية . واللواء نجيب يعتبر استثناء بينهم ، وهو لم يكن عضواً بالتنظيم رغم ارتباطه الوثيق به . وجميع الضباط العراقيين والسوريين المذكورين آنفا ولدوا قبل ١٩٠٠م ، وبلغوا سن الرجولة أثناء العهد العثمانى . بينما يتنمى الضباط الأحرار فى مصر إلى جيل آخر ، فجميعهم ولدوا فيما بين ١٩١٧ - ١٩٢٢م . ونجيب مولود فى ١٩٠١م ، والشيشكلى من مواليد ١٩٠٩م ، وهما بهذا يشغلان مكاناً وسطاً بين الجيلين .

ويكمن الفارق الأساسى بين الضباط المصريين وقادة الانقلابات من الضباط العراقيين والسوريين فى البناء التنظيمى للحركة . ولكى نفهم هذه النقطة علينا أن نعود إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وربما قبلها) .

تلك هى رؤية اليعازر^(١) . ومن وجهة نظر الغربيين أن المصدر الرئيسى الذى يوضح

(١) اليعازر بعيرى : ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى - ترجمة : أنور الرفاعى - سينا للنشر - ١٩٩٠م ، (انظر أيضاً قائمة المراجع المرفقة بنهاية الكتاب) .

المراحل الأولى لهذه الحركة هو مذكرات أنور السادات ، التي تختلط فيها الحقيقة بالخيال ، بل ويعتمد بعض الناصريين هذه الرؤية أيضاً .

يحدد السادات تاريخاً بعينه ومكاناً لتأسيس الحركة .. ليلة ١٥ يناير ١٩٣٩م بجبل الشريف بالقرب من منقباد بصعيد مصر . فى ذلك الوقت ، كان هناك أربعة من الضباط برتبة الملازم ثان يخدمون ضمن وحدة عسكرية كبيرة ، وهم ممن التحقوا بالكلية الحربية فى ربيع ١٩٣٧م وتخرجوا فى نهاية عام ١٩٣٨م . وهؤلاء الأربعة هم : السادات ، وجمال عبد الناصر (ناصر) وزكريا محيى الدين بعد ١٩٥٢م ثم سفيراً لمصر بأسبانيا فى الستينات) . كان اليوم يوافق عيد ميلاد ناصر الحادى والعشرين ، ويقول السادات فى مذكراته : « فى أوائل عام ١٩٣٩ ، أسس ضباط منقباد جماعة ثورية سرية تستهدف تحرير البلاد » . وعقد أعضاؤها العزم على « محاربة الاستعمار والعرش والإقطاع .. وإقامة حياة ديمقراطية حرة ... ولم يكن أمامنا من سبيل إلا الثورة » .

واحد على الأقل من ضباط منقباد لم يكن جديداً على السياسة . فقد كان لناصر مشاركة نشطة فى التنظيمات السياسية ، وبين زملائه بالمدرسة الثانوية ، وذكرت الصحف اسمه عندما كان يبلغ من العمر ١٧ عاماً ، عندما اشترك فى نوفمبر ١٩٣٥م فى مظاهرة عاصفة ضد الإنجليز بالقاهرة ، وأصيب فى جبهته برصاصة من مسدس أحد ضباط البوليس الإنجليزى . فى ذلك الوقت ، وباعترافه ، كان عضواً بالقمصان الخضر التابعة لحزب « مصر الفتاة » وكان برنامج الحزب فى ١٩٣٣م ، يحدد « أهدافنا : مصر فوق الجميع ، تأسيس امبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية وتتزعّم الإسلام » . وفى « الوصايا العشر » التى صدرت فى ١٩٣٨م كان على العضوان يلتزم - ضمن أشياء أخرى - بأن « لا تشتري إلا من مصرى » ولا تلبس إلا من صنع فى مصر ، ولا تأكل إلا طعاماً مصرياً ، واحتقر كل ما هو إجنبى بكل نفسك ، وتعصب لقوميتك إلى حد الجنون » .

ويمكننا أن نستنتج أن مناقشات الضباط الشبان بمنقباد كانت تسودها هذه الروح ، وأهم كانوا متفقين فى الآراء .

ويصف السادات مناقشات منقباد فى ١٩٣٩م - تماماً - كما لو كانت المجموعة آنذاك تبني شعارات الأيديولوجية الرسمية للدولة فى ١٩٥٥م ، فلا شك أن العداء للإنجليز كان موجوداً فى ذلك الحين ، ولكن لم يكن هناك عداء للعرش . ولا نرى - والقول للرؤى الغربية والإسرائيلية - علامات هذا العداء عند الضباط إلا بعد يناير ١٩٥٢م . ففى ١٩٣٩م ، كان الشاب فاروق لا يزال معبود الشباب الوطنى المصرى ، علماً بأنه لم تكن

هناك « ديمقراطية حرة قوية » كالتى كانت هدفهم . وإذا ما استعدنا فترة الثلاثينيات ، فسنجد أن كلمة « ديمقراطية » كانت وصمة عار في قاموس الحركات الواقعة تحت النفوذ الفاشى .

تفرق الشاب الذى التقى في منقباد بين مواقع عدة ، بعد ذلك ، ما بين مصر والسودان . فانتقل ناصر إلى الخرطوم حيث التقى هناك بعبد الحكيم عامر وصارا صديقين . كانا يعرفان بعضهما من قبل عندما كان عبد الحكيم طالباً بالكلية الحربية بالصف التالى لناصر ، ولفترة كان ناصر معلمه .

لم تكن مجموعة الملازمين هذه - كما تقول الرؤية الغربية والإسرائيلية - المجموعة الوحيدة بالجيش المصرى آنذاك ، بل ولم تكن أكثرها نشاطاً . فهى لم تكن منظمة ولم تشارك في أنشطة محددة . وتنحصر أهميتها في كونها فصلاً من فصول ما قبل تاريخ الضباط الأحرار . وأثناء الحرب العالمية الثانية ، لم يكن هناك نشاط ملحوظ سوى لمجموعة عزيز المصرى والعناصر السرية الموالية للألمان . وكان أنور السادات واسطة الصلة بينهم .

وبعد هزيمة وسقوط الضباط المتمردين ، الذين ارتبطوا بألمانيا النازية، في مصر والعراق ، وبعد يأسهم من انتظار ألمانيا ، شهدت حركات التمرد في الجيوش العربية مرحلة تراجع ، لكن هؤلاء الضباط واصلوا تنمية أفكارهم السياسية وتدعيم روابطهم .

ومن بين الروابط ، كانت صلتهم بالإخوان المسلمين ، والتي ازدادت أهمية بتصاعد نفوذ الإخوان المطرد خلال الأربعينيات . وهنا أيضاً كان رجل الاتصال الرئيسى هو أنور السادات - الذى لا ينازعه أحد في مواهبه التآمرية . ويروى السادات - وفقاً للرؤية الغربية والإسرائيلية - أنه التقى بحسن البنا المرشد العام للإخوان لأول مرة عندما كان على اتصال بعزيز المصرى ، أثناء الاحتفال بالمولد النبوى في أوائل أبريل ١٩٤١م . واستمرت الاتصالات منذ تلك اللحظة وحتى القبض على السادات في صيف ١٩٤٢م . وأثناء فترة سجن السادات ، تولى الاتصال بالإخوان عبد المنعم عبد الرؤوف ، الطيار الذى حاول الهرب مع المصرى ، فاعتقل ثم أفرج عنه في ربيع ١٩٤٢م ، بعد أن قطع على نفسه عهداً بالكف عن أعمال التخريب . وأخذت صلة عبد الرؤوف بالإخوان تتوثق حتى أصبح معهم تماماً ، أيديولوجياً وتنظيمياً . وكان لنشأته أثر في ذلك ، فهو سليل أسرة مشهود لها بالتدين وكان جده من مشايخ الأزهر . وعبد الرؤوف هو أحد مؤسسى « التنظيم السرى » الإرهابى للإخوان المسلمين ، وواحد من قادته الثلاثة في بداية الخمسينيات .

في الفترة ما بين ١٩٤٥ - ١٩٤٧م ، عمل معظم الضباط الذين أصبحوا فيما بعد اللجنة

التنفيذية للضباط الأحرار ، في العديد من الوحدات القرية من القاهرة ، وأقاموا علاقات قوية مع زملائهم وتبادلوا معهم الآراء ، وكسبوا من بينهم مؤيدين لهم . وفي خلال تلك الفترة تزايد عدد الضباط الذين اقتنعوا بمجموعة ناصر ، وانضم إليها . ومن بين هؤلاء الملازم كمال الدين حسين من المدفعية والعضو السابق بالإخوان المسلمين ، وصلاح سالم اليوزباشي بالمدفعية وهو شاب موهوب ومتعصب ، استطاع خلال فترة قصيرة أن يصبح ركيزة من ركائز المجموعة ، وثروت عكاشة من ملازمي سلاح الفرسان وصهر أحمد أبو الفتح رئيس تحرير جريدة « المصري » الوفدية اليومية ، وخالد محيي الدين الملازم بسلاح الفرسان أيضاً وابن العم الأصغر لذكريا محيي الدين ، وهو اشتراكي انضم فيما بعد لـ « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني » (حدتو) الشيوعية . كما استعاد السادات أيضاً نشاطه . ففي نوفمبر ١٩٤٤م ، تمكن من الهرب من المعتقل ، واختبأ لفترة ثم أخذ يظهر علانية دون خشية من القبض عليه . وفي ١٩٤٥م ، عمل كسائق شاحنة ، ثم كصحفي ، ثم عاد للعمل مرة أخرى كمندوب اتصال بين الضباط والإخوان المسلمين ، والاشتراك في العمليات الإرهابية . وبالرغم من أن دوره في اغتيال أمين عثمان في ٥ يناير ١٩٤٦م غير واضح تماماً فمن المعروف أن هذا الدور كان رئيسياً . وبعد عدة أيام قبض عليه مرة أخرى ، وظل في السجن حتى نهاية ١٩٤٨م .

تركت حرب فلسطين أثراً عميقاً في أفكار هؤلاء الضباط الشبان . فهم لم يكونوا مؤهلين لإنجاز الأهداف التي أعلنت الحرب من أجلها .. أي منع إقامة دولة يهودية واسترداد الأراضي التي قامت عليها المستوطنات - والقول للرؤية الإسرائيلية - وبعد ذلك بخمس سنوات ، يستشهد ناصر في « فلسفة الثورة » بقول أحمد عبد العزيز قائد المتطوعين المصريين في فلسطين ، بأن « ميدان الجهاد الأكبر هو مصر » . وهذه الكلمات لا تعتبر تحفظاً بالتلميح على محاربة الصهاينة . فبعد العزيز كان يعنى أن العدو الأكثر خطراً على الجيش المصري هو النظام السيئ في الداخل ، وأن القضاء على الفساد الداخلي في مصر هو شرط أساسي للقضاء على العدو اليهودي . وهذا ما فهمه ناصر ، فكراهمتهم لإسرائيل ، لا ريب فيها ، ولم يكن أحد في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، لا يغبط فاروق - من أعماق قلبه - على إعلان الحرب . بل أن عدداً من الضباط كان يرغب في التطوع « بجيش الإنقاذ » بقيادة القاوقجي قبل ذلك بخمسة أشهر ، حتى ولو أدى ذلك إلى انتهاك الانضباط ، وذلك لتوفير القوة البشرية والعتاد المصري للمقاتلين العرب قبل أن تدخل مصر الحرب رسمياً . وعندما يؤكد ناصر على أن المعركة الرئيسية كان مفروضاً أن تكون في مصر نفسها ، ويتباهى في الوقت نفسه بتطوع رفاقه ، حتى قبل مايو ١٩٤٨م ويشيد بشجاعتهم في القتال ، فلا تناقض في الحالين .

ويروى البغدادي - وفقاً للرؤية الغربية والإسرائيلية - أنه قام في شتاء ١٩٤٧م - ١٩٤٨م ، بزيارة دمشق في مهمة رسمية بطائرة حربية ، حيث اتصل بالقاقجي . « رأيت من واجبنا كعرب أن نفعل شيئاً لمستقبل العروبة وتحرير فلسطين » . وقام ، بمساعدة حسين إبراهيم ، بتنظيم قوة للطيران تحت قيادة القاقجي تتكون من ١٥ طائرة سبفاير و ٣ طائرات داكوتا . وكانوا يأملون ، في ١٩٤١ - ١٩٤٢م في تجنيد عدد من الطيارين من بين زملائهم . كما عرض ناصر خدماته وخدمات أصدقائه ، على المفتي الذي كان يعيش آنذاك في القاهرة . لكن المفتي رفض قبول الضباط المصريين دون موافقة حكومتهم .

وقد طلب عدد من الضباط من وزير الحرية السماح لهم بالتطوع في فلسطين . وفي ٢٠ أبريل ١٩٤٨م ، حصلوا على الإذن - كما تقول الرؤية الغربية - وكانت المجموعة تضم ١١ ضابطاً بقيادة أحمد عبد العزيز الذي سمي به القائد العام لقوات المتطوعين بحجة شمال فلسطين « كان عمره آنذاك ٤٠ عاماً ، وكان واحداً من أكثر الضباط المصريين شعبية وكفاءة ، وله تأثير كبير على طلابه بمدرسة قادة المدفعية حيث كان يقوم بتدريس التاريخ العسكري . وفي ٢٣ أغسطس ١٩٤٨م ، قتل برصاصة خاطئة أطلقها أحد الحراس العرب بالقرب من « جات » بينما كان مسافراً من بشر السبع إلى مجدل عسقلان . وهو القائل بأن « ميدان الجهاد الأكبر هو مصر » بعد أن تفتحت عيناه في فلسطين ، وأدرك الفساد المتفشى في القاهرة . فحتى ما قبل رحيله إلى الحرب ، لم يكن يبدى في أفعاله أو خطابه أية صورة من صور المعارضة . وزاد تقدير الضباط الأحرار له بعد موته ، وأصبحوا يعتبرونه مثلاً للجندية والوطنية الحقة ، ولم يتورعوا عن التلميح إلى إعجابه بأفكارهم ، إن كان هناك أفكار . أن أحمد عبد العزيز سليل أسرة أرستقراطية ، وابن لواحد من أميراليات الجيش ، وحتى ربيع ١٩٤٨م لم يكن هناك أي خلاف بينه وبين النظام الذي عاش في كنفه ، ونال في ظله منزلة رفيعة .

كان الوحيد من جماعة ناصر والسادات الذي اشترك في مجموعة أحمد عبد العزيز ، هو اليوزباشي كمال الدين حسين ، قائد مدفعية المتطوعين .

أما بقية زملاء ناصر فلم يكونوا ظاهرين في ربيع ١٩٤٨م ، ولم يرغبوا في الكشف عن أنفسهم ، ويروى ناصر في مذكراته أنه جرت محاولة في أبريل ١٩٤٨م للقيام بانقلاب ، لكن البوليس السياسي وضع الضباط المشتبه فيهم تحت المراقبة . فبدأوا يلتقون على فترات متباعدة ، حتى يبعدوا الشبهات عن أنفسهم .

في ١٥ مايو ١٩٤٨م ، صدرت الأوامر بإرسال كل من ناصر وصلاح سالم وزكريا

محيى الدين مع عدد آخر من أصدقائهم إلى الجبهة . وكانوا قد أصبحوا آنذاك برتبة اليوزباشى أو الصاغ . عندما عاد هؤلاء الضباط من الحرب فى ١٩٤٩م ، لم يكونوا نفس الرجال . فقد تغيرت آراؤهم وصارت أكثر وضوحاً . واستقبلوا . عند عودتهم إلى القاهرة ، استقبال الفاتحين ، وإن كانت الزينة والاحتفالات لم تهزمهم لأنهم كانوا على علم بهزيمة الجيش المصرى . وبالرغم من ذلك فقد كانوا يرون أنفسهم كأبطال ، إذ أنهم أدركوا ، فى النقب والقالوجا ، أن النصر حليف القوة التى تعنى مهمتها . ولم يمنعهم عجزهم عن الاستيلاء على النقب من التفكير فى الاستيلاء على القاهرة ، بل كان حافزاً لهم .

وفى صيف ١٩٤٩م ، نضجت فكرة إنشاء تنظيم ثورى سرى ، ومما لا شك فيه أن الانقلابات العسكرية السورية خلال تلك الشهور ، قد أثرت فى توجههم ذاك . وبانتهاء عام ١٩٤٩م ، كان تنظيم الضباط الأحرار قد تأسس . وحتى ذلك الحين ، لم يكن هناك تنظيم متبلور كحركة ، أما منذ تلك الأونة فصاعداً ، فسوف يعمل ككيان منظم . وفيما بين ١٩٤٩ - ١٩٥٢م لم يكن الضباط الأحرار المجموعة الوحيدة التى تمارس نشاطها فى أوساط الضباط المصريين . ولكن بعد نجاحها اهتم الجميع بتأكيد أهميتها وحدها . وأخذ أعضاؤها ينكرون دور المجموعات الأخرى ، بينما تؤكد التنظيمات الأخرى على أهمية دورها الذى لم يكن يقل أهمية - فى نظرهم - عن دور هؤلاء الذين أصبحوا سادة البلاد . والحقيقة أن التمايز يكاد ينعدم بين التنظيمات المختلفة . فكل منها عبارة عن نواة يلفها محيط ، وكان هناك عدد من الضباط على علاقة بأكثر من تنظيم فى وقت واحد .

وهناك زعم بأن أكبر هذه التنظيمات كان تنظيم الضباط التابع للإخوان المسلمين . وكان على رأس التنظيم محمود لبيب « الوكيل العام للإخوان المسلمين للشئون العسكرية » . وهو فى الوقت نفسه قائد « التنظيم السرى » الإرهابى التابع للإخوان . وكان التنظيمان على صلة أحدهما بالآخر . ولم يخدم لبيب ضمن قوة الجيش العامل مطلقاً ، ولهذا السبب أمكن له أن يصبح « القائد العام لقوات الإخوان المسلمين لإنقاذ فلسطين » فى ١٩٤٨م . وقد مات فى ديسمبر ١٩٥١م . وظلت هوية معظم الضباط التابعين للإخوان سرّاً ، ولم يهتموا بالكشف عن أنفسهم سواء فى عهد فاروق ، أو خلال حكم ناصر .

وكان السادات أيضاً يقود مجموعة تتبعه . وهو أيضاً - مثل لبيب - لم يكن بالخدمة العاملة فى تلك الفترة ، فقد أعيد إلى الخدمة فى ١٩٥٠م ، لكن صلته بزملائه الضباط ، بما فيهم ناصر وعزيز المصرى ، لم تنقطع ، وكذلك علاقته بالإخوان . وفى نهاية المطاف ، اندمجت مجموعته فى الضباط الأحرار .

وهناك مجموعة أخرى كانت تتبع اليوزباشى مصطفى كمال صدق من سلاح الفرسان ،
والزوج الرابع للراقصة تحية كاريوكا . ويصف السادات هذه المجموعة بأنها « مجموعة إرهابية
تضم ٢٣ شخصاً بين ضابط وصف ضابط ، وكان لها نشاط كبير » . خدم صدق بالمخابرات
عامى ٤٦ - ١٩٤٧ م . وفى أوائل ١٩٤٨ م ، تطوع للحرب فى فلسطين ، مع الإخوان ..
فى الظاهر . وفيما بين ١٩٤٨ - ١٩٥٢ م ، اشترك فى عدد من الاغتيالات السياسية ،
وتحوم الشبهات حول اشتراكه فى عدد آخر منها . وفى ١٩٤٩ م حكمت عليه إحدى المحاكم
العسكرية بالسجن لمدة سبع سنوات والطرده من الخدمة ، بسبب حيازته لأسلحة ومتفجرات
بدون ترخيص ، وبعد فترة ، أصدر الملك عفواً عنه وعاد إلى الخدمة ، ويشاع أن فاروق
نجح فى ضم صدق ورجاله إلى « الحرس الحيدى » . وفى أبريل ١٩٥١ م ، صدر فى حقه
عقوبة التأنيب الشديد بسبب مهاجمته لرئيس الأركان على صفحات الجرائد ، ونقل من
الفرسان إلى سلاح الحدود بالعريش ، ثم إلى إحدى الواحات ومنع من مغادرتها إلا بإذن
خاص ، وفى أغسطس ١٩٥٤ م ، وبعد استيلاء الضباط على الحكم ، صدر ضده الحكم
بالسجن خمس سنوات بتهمة الشيوعية . وقد كان لهذا المغامر علاقات مع كافة الأطراف .

وقد عبرت روح المعارضة تلك التى كانت سائدة بين صغار الضباط عن نفسها خلال
نقاش جرى بين المؤرخ الإسرائيلى اليعازر وضابط مصرى شاب ، فى ١٤ يونيو ١٩٤٨ م .
وبالرغم من أن الظروف كانت غير طبيعية (وقع هذا الضابط فى أسر القوات الإسرائيلية
بالقرب من العسلوج ، قبل المقاتلة بثلاثة أيام) إلا أنه استطاع أن يعبر عن نفسه بصراحة ،
فقد وجه نقداً لإسرائيل يتساوى فى عنفه مع ذلك الذى وجهه للحكومة المصرية . وقد
قام الكاتب بكتابة نص النقاش حرفياً - بما فيه من عيوب ومزايا وبرغم ضآلة أهميته ، إلا
أنه يعتبر شهادة معاصرة تساعدنا على استعادة الأحداث وتأملها .

والضابط هو الملازم محمد أحمد حسن من الكتبية الأولى المضادة للدبابات ، والبالغ من
العمر ٢٥ عاماً ، والابن الأكبر لواحد من ضباط بوليس القاهرة ، وهو يصنف نفسه ضمن
أقصى اليمين ، سبق اعتقاله فى ١٩٤٧ م ، لمدة شهر للاشتباه فى اشتراكه فى محاولة اغتيال
النحاس . أفرج عنه بعد ذلك مع عدد من زملائه بأمر من الملك . وبالرغم من أنه لم ينف
أو يؤكد براءته من التهمة ، إلا أنه لم يرفض - من حيث المبدأ - الإرهاب الفردى ضد
الزعماء الذين كان يعتقد بولائهم لبريطانيا . وكان يتباهى بعلاقته بغلاة الإرهابيين ، وصرح
بأنه يعرف من الذى اغتال أمين عثمان ، وكان أمين عثمان الوزير الوفدى السابق للمالية
والشديد الولاء لبريطانيا قد اغتيل فى ٥ يناير ١٩٤٦ م ، وكان أنور السادات أحد المقبوض
عليهم فى هذه القضية ، وقد حكم على القاتل ، حسين توفيق ، فى ١٩٤٧ م بالأشغال الشاقة

المؤبدة ، وفي أواخر يونيو ١٩٤٨م ، أى بعد أسبوعين من هذا النقاش ، تمكن حسين توفيق من الهرب . وفي ١٩٥٦م ، عاد من منفاه بالأردن ، حيث عمل بالهيئة العامة للبتروك . وفي أغسطس ١٩٦٦م ، حكم عليه بالمؤبد مرة أخرى ، للقيام بأعمال تخريبية ضد نظام ناصر ، أما محمد أحمد حسن فيعتبر نفسه من مؤيدى « مصر الفتاة » أو « الإخوان المسلمين » . وهو لا يرى فرقاً بين التنظيمين ويعتقد بأن لهم نفس الأهداف ، ولا يباعد بينهما سوى « الأطماع الشخصية » . وهو لا يرى أيضاً فرقاً بين الوفد والحكومة ، التى كان يسيطر عليها آنذاك النقراشى والسعديين . وكل ما هو مطلوب - فى رأيه - المزيد من الإيمان الوطنى ، وهو ما يفعله الشباب المثقف ، كما يرى . وهو معجب بفاروق : « الملك فوق كل شىء » ... قالها مثلما يقول آخرون « ألمانيا فوق الجميع » . وكان له تحفظات شديدة على اليسار . ويرى أن الميل نحو الاتحاد السوفيتى لن يؤدى إلا إلى استعمار جديد . ويعتبر جريدة « الجماهير » المعبرة عن الشيوعيين « جريدة كاذبة » . حاول أن يقرأ بعض كتابات ماركس لكنه لم يمكنه تكملتها . ولكنه شديد الإعجاب بكتابات نيتشة وشبنجلر . ويضع البريطانيين على رأس قائمة أعدائه ، لأنهم سبب كل ما تعانيه مصر من ضعف وفساد ، أما مسألة السودان فهى لن تحل إلا بالحرب . ويعزو إلى البريطانيين الدور الحاسم فى إتاحة القوة اليهودية الكبيرة الصاعدة ، التى يعارض قيامها . « هم الذين أتوا بكم إلى هنا (أيها اليهود) أمدوكم بالمال والسلاح . لكن العرب سوف ينتصرون فى الحرب إن شاء الله » . وكانت الكلمة الأخيرة « إن شاء الله » صادرة من عزم وإخلاص عميق . وقال بأن العرب ، بعد أن ينتصروا سوف يحكمون البلاد عن طريق الانتخاب الحر . وهو يتحدث عن الفلسطينيين العرب بازدياد شديد . فقد جاء مع زملائه من أجل تحريرهم ، ولم يستطيعوا أن يقيموا صلة بهم ، وهو يشك فى أنهم جميعاً « طابور خامس » أفسدهم اليهود بالخمى والنساء .

وتعتبر كلمات الضابط الشاب الأسير - وفقاً لرأى المؤرخ الإسرائيلى - تعبيراً نموذجياً عن الآراء والانطباعات التى كانت سائدة بين قطاع كبير من الضباط المصريين ، كما اتضح بعد ذلك ، فهى قرية من « الفلسفة » التى ظهرت بعد ذلك بسنوات فى كتاب ناصر .

أطلق سراح محمد أحمد حسن فى ١٩٤٩م ، واستمر فى خدمة الجيش . وفى ١٩٥٦م ، رقى إلى رتبة الصاغ ، وعين قائداً للحرس الوطنى بمنطقة القناة ، وفى ١٩٦٤م ، رقى إلى رتبة العقيد .

وعندما تأسس تنظيم الضباط الأحرار فى أواخر ١٩٤٩م ، تشكلت لجنة تأسيسية . وقد ضمت هذه اللجنة فى بدايتها خمسة أعضاء ، ثم زيدت إلى عشرة بعد فترة قصيرة ، أما

الأعضاء الخمسة الأول فهم : ناصر ، وكال الدين حسين وحسن إبراهيم وخالد محيي الدين ، وعبد المنعم عبد الرؤوف ، وكان الخمسة الآخرون هم : جمال سالم ، وعبد الحكيم عامر ، وعبد اللطيف البغدادي ، وأنور السادات . وظل خارج اللجنة كل من : ثروت عكاشة ، ويوسف منصور صديق ، وعلى صبرى . وكان من بين هؤلاء الضباط الأربعة عشر ، عشرة ضباط برتبة الصاغ واثنان برتبة البكباشي هما : جمال سالم ، يوسف منصور صديق ، واثنان برتبة اليوزباشي هما : حسن إبراهيم ، وخالد محيي الدين والبكباشي زكريا محيي الدين . وكانت أعمارهم تتراوح بين الثامنة والعشرين والثانية والثلاثين ، باستثناء يوسف صديق الذي كان عمره آنذاك ٣٩ عاماً .

لم يكن هؤلاء الشباب ضباطاً مجهولين ذاع صيتهم فجأة بعد انقلاب ١٩٥٢م ، فمن بين مائة يوزباشي رُقوا إلى رتبة الصاغ في نوفمبر ١٩٤٨م ، كان هناك أربعة لايزالون في ١٩٤٦م برتبة الملازم . وكان ثلاثة من أولئك الأربعة الذين حصلوا على ترقية استثنائية أعضاء باللجنة التأسيسية للتنظيم .. عامر ، وصلاح سالم ، وكال الدين حسين ، كما حصل ثلاثة آخرون على أوسمة بعد انتهاء حرب فلسطين ، وهم : ناصر ، والبغدادي ، وزكريا محيي الدين . وقد نال صلاح سالم شرف أن يكون أول مصري يدخل غزة بعد رفع الحصار عن الفالوجا ، وتصدرت صورته الصفحة الأولى في جريدة « الأهرام » في أول مارس ١٩٤٩م . أما السادات ، فد كان ذائع الصيت بسبب مغامراته في العمل السري مع الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى ، ونشاطه مع الجماعات الإرهابية بعد ذلك .

كأ أن هناك خمسة من أولئك الضباط من خريجي كلية أركان الحرب ، هم : ناصر ، وصلاح سالم ، وزكريا محيي الدين ، وعامر ، وعكاشة . وقد تخرج جميعهم في الدفعة التاسعة بكلية الأركان التي بدأت في سبتمبر ١٩٤٦م ، وانتهت في مايو ١٩٤٨م ، وهي الدورة الوحيدة التي شهدتها الكلية في الفترة ما بين ١٩٤٥م ، ونهاية ١٩٤٨م . ولم يقبل بهذه الدفعة سوى ٢٦ ضابطاً من بين مائة ضابط تأهلوا للدراسة بها . وسوف يشغل معظم خريجي تلك الدفعة - إضافة إلى الخمسة السابق ذكرهم - بعد ذلك مناصب عسكرية وسياسية بارزة وهم : عبد المحسن كامل مرتجي ، قائد القوات المصرية في اليمن في ١٩٦٦م ... محمد صديق سليمان ، رئيس الوزراء في سبتمبر ١٩٦٦م ، كمال هنري بادير وزير المواصلات بالوزارة المذكورة .

في ١٩٥٠م ، اختير ناصر رئيساً لتنظيم الضباط الأحرار ، وتشكلت من بين أعضائه الموجودين بالقاهرة « قاعدة » من كل من : ناصر ، وعامر ، وزكريا محيي الدين .

وقد قام التنظيم ، كما يذكر السادات ، على نظام الخلية وينقسم إلى خمسة أقسام : العضوية

والتدريب ، الأمن الإرهاب ، الدعاية ، والمالية .: أى تمويل الأنشطة ومساعدة أسر الأعضاء . وهو يؤكد على أن هذا الشكل التنظيمى كان قائماً بالفعل منذ ١٩٤٥ م . بيد أن التنظيم على أساس الأقسام ظل - فى الممارسة - حبراً على ورق ولم يؤخذ به .

فى أكتوبر ١٩٥٠ م ، ظهر أول بيان عن الضباط الأحرار ، وفى أكتوبر ١٩٥١ م صدر العدد الأول من « صوت الضباط الأحرار » وقد طبع من هذه النشرة سبعمئة نسخة وأرسلت للضباط بالبريد . واشترك فى تحريرها كل من ناصر ، وخالد محيى الدين ، وحسن إبراهيم ، وأنور عبيد .

لقد لعبت علاقة الضباط الأحرار بالكيانات السياسية الأخرى ، دوراً حاسماً فى تطور التنظيم ، وقد فرضت هذه المشكلة نفسها منذ ١٩٤٩ م ، وظلت تلازمهم - بصورة أو - بأخرى - على الدوام . وكان اهتمامهم كبيراً بالمنظمات الجماهيرية القرية منهم .. الإخوان المسلمون حتى ١٩٥٤ م ، والبعث السورى فى ١٩٥٨ م ، ١٩٦٣ م وفقاً لما يقول اليعازر فى كتابه السابق .

وبالإضافة إلى الإخوان المسلمين - كما تؤرخ الرؤى الغربية والإسرائيلية - مد الضباط الجسور مع الشيوعيين والوفد . وكان خالد محيى الدين هو همزة الوصل ، وربما كان عضواً بمنظمة « حدتو » الشيوعية . وعن طريق خالد التقى ناصر بممثلى الشيوعيين ، الذين ربما كانوا يعتقدون بأن الضباط من مؤيديهم أو حتى أعضاء بتنظيمهم . وحسبما يروى أبو الفتح ، فقد أدرجوا ناصر بتنظيمهم تحت اسم حركى هو « موريس » ويرقم عضوية ١١٧ . أما الوسيط الأساسى بين الضباط والوفد ، فقد كان ثروت عكاشة ، وكان ناصر يلتقى كثيراً بصهره أحمد أبو الفتح رئيس تحرير « المصرى » الذى عمل فى الأيام الأولى التى أعقبت الانقلاب كمستشار له ومتحدثاً باسمه ، وهى المكانة التى شغلها ، فيما بعد ، محمد حسنين هيكل ، وعن طريقه ، توافرت لناصر فى ٢١ يوليو المعلومات التى جعلته يحدد يوم ٢٣ يوليو كموعده للانقلاب ، وكان لناصر علاقاته بوفدين آخرين ، لكنه كان يخفى علاقاته المتعددة تلك ، ونجح فى إقناع كل منهم بأنه الوحيد محل الثقة . وكان قادراً على معرفة آرائهم وخططهم دون الإفصاح عن نواياه ، وعرف كيف يجمع أمور تنظيمه فى قبضته دون أن يكشف عن دوره أمام التنظيمات الأخرى ، كل ذلك من أهم قدراته ... كسب ثقة العديدين فى وقت لم يثق فيه سوى فى قلة محدودة . وقد أثار النصر الذى حققه الضباط الأحرار فى انتخابات نادى الضباط ، اهتمام غير المصرين أيضاً ، وبخاصة المخابرات الأمريكية . وكان الضباط أنفسهم يودون إامة صلات معهم كى يضمنوا عدم تدخلهم عندما يحين

الوقت ، فالولايات المتحدة ، من منظور الضباط ، كانت أفضل الدول التي يمكن الاتصال بها . فهي القوة الأعظم ، ولا مصلحة لها في استمرار الأوضاع القائمة . كما أن الأمريكيين يسعون إلى وضع حد للنفوذ البريطاني في الشرق الأوسط كي يفوزوا وحدهم بعوائد النفط ، ويقفوا ، في الوقت نفسه ، في وجه التغلغل السوفيتي . وقد تحقق للضباط الاتصال بالأمريكيين على يد على صبرى قائد الأسراب بسلاح الطيران انذاك ، وهو يمتلك عدداً من القدرات تؤهله لهذا الدور .. ذكاؤه الحاد ، وأصوله الأرستقراطية ، ثم موقعه بمخابرات سلاح الطيران . وأثناء إحدى حفلات الكوكتيل التي أقيمت بالإسكندرية في ١٩ يوليو ، السبت السابق على الانقلاب ، أُلح بعض الضباط الأحرار إلى زملائهم الأمريكيين بعزمهم على الإطاحة بفاروق ، وقد دهشوا لرد الفعل المُشجع من جانب الأمريكيين . وفي الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٣ يوليو ، أبلغ على صبرى نائب الملحق العسكرى بالسفارة الأمريكية نبأ الانقلاب ، وأعطاه - باسم الحكام الجدد - تأكيداً لضمان أرواح وممتلكات الأجانب في مصر . وكان هذا أول عمل دبلوماسي يقوم به الضباط .

يشوب التقديرات المتاحة حول حجم عضوية الضباط الأحرار تضارب شديد ويفوق السادات ، بالطبع ، جميع التقديرات ، فهو يشير إلى أن التنظيم في ١٩٤٧م ، كان « يضم أكثر من ألف ضابط » . وهو رقم يعادل أكثر من ثلث عدد ضباط الجيش المصرى في ذلك الحين . لكن نشرة « صوت الضباط الأحرار » لم يطبع منها في أكتوبر ١٩٥١م سوى سبعمئة نسخة كما سبق وأسلمنا . ويذكر لاكوتير أن التنظيم كان يضم عند وقوع الانقلاب « حوالى ٢٥٠ عضواً » . ويحدد خالد محيى الدين ، في ١٩٥٨م عدد الأعضاء بـ ٧٠٠ فقط . وفي ١٩٦٢م ، يصرح ناصر بأنه « كان هناك بالقاهرة ٣٠٠ ضابط يؤيدوننا تأييداً مطلقاً » ولم يسمح للعديد منهم بالاشتراك في الانقلاب لأسباب أمنية ، وأن « ٩٠ ضابطاً لا يحملون سوى الأسلحة الصغيرة هم الذين استطاعوا السيطرة على أمة » . وإذا ما استبعدنا مبالغة السادات ، فإن التفاوت بين التقديرات المختلفة - يصبح على عكس ما يبدو للوهلة الأولى - ضئيلاً . فقد كانت هناك خلايا مغلقة تضم كل منها ما بين ١٠ - ١٥ عضواً . ترتبط بكل خلية حفنة قليلة من الرجال الذين يمكن الوثوق بهم وتكليفهم بالمهام ، وكل واحد منهم على صلة بواحد أو اثنين من أعضاء اللجنة التأسيسية دون علم بتفاصيل الهيكل التنظيمي أو البرنامج أو أسماء الأعضاء . وفيما بين يناير ويوليو ١٩٥٢م ، تنامت هذه المجموعة واجتذبت إليها كثير من المتعاطفين . وكان الخط الفاصل بين تلك الدوائر مرناً ، خاصة بين المتعاطفين وجموع الضباط . ولا نعرف من أسماء أعضاء التنظيم قبل الانقلاب ، سوى ما يزيد على الخمسين اسماً بقليل .

ولقد صدرت عن نجيب ، عندما كان يتحدث عن الفرق بين ناصر وفلسفته في ١٩٥١م ، ملاحظة بالغة الدلالة على أيديولوجية الضباط ، فهو يقول : « بما أن كلانا ليس فيلسوفاً فلربما كان الأفضل أن نسميها (سيكولوجية الثورة) . وهناك تفسير آخر يحمل نفس الروح قدمه عبد القادر حاتم ، إحدى الشخصيات البارزة بين الضباط الأحرار ، عندما قال : « أن الأسلوب الذي اتبعه زعماء الثورة كان يعتمد في مرحلة من المراحل على المحاولة والخطأ ، وتمكنت الثورة في مرحلة تالية من وضع الأسس والقواعد » . وإذا كان الحال كذلك فيما بين ٥٥ - ١٩٥٩م ، فما بالك بما كانت عليه الأمور في الفترة من ٤٨ - ١٩٥٢ . ويمكننا القول - كما تقول الرؤية الغربية والأجنبية - أن الضباط الأحرار وطنيون ويرفضون الأوضاع القائمة ، لكنهم لم يكونوا يمتلكون أيديولوجية واضحة . ويمكننا أن نرى ذلك في بياناتهم التي صدرت قبل الانقلاب .

ثالثاً : الرؤية الناصرية لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار :

لقد ورد في الرؤية الغربية والإسرائيلية السابقة إشارات مستمدة من رؤية رجال يوليو الناصريين لتاريخ تنظيم الضباط الأحرار ، ولنشاطه وتعداداته ، وأفكاره وغير ذلك ، ورغم ذلك تبقى بعض التفاصيل الهامة التي يريد مؤرخو الثورة من الناصريين (إن جاز التعبير) أن يوردها^(١) .

* وبداية يورد (أنور السادات) في كتابه (صفحات مجهولة) ، معلومات هامة جديدة بالتسجيل لأنه فيما بعد تنصل من هذه المعلومات بل ونسب النجاح في تشكيل (الضباط الأحرار) ، وفي أحداث الثورة ذاتها إلى نفسه (انظر كتابه « البحث عن الذات ») ، إذن من المهم القراءة في كتبه الأولى ، لما لها من دلالة ، وأورد عبد الناصر أيضاً مذكرات هامة نشرت في مجلة المصور عام ١٩٥٢م وكذلك صلاح نصر في مذكراته وغيرهم من قادة الثورة .

وبداية يقول السادات في كتابه (صفحات مجهولة) :

« .. وكان جمال الذي يعمل هو جمال الناصح الذي مرت به تجارب السنوات الست الكثيرة . سنوات الحرب . وما تخللها من أحداث داخلية وخارجية . وما رآه فيها من هزات عنيفة ومن محاولات وطنية وأخرى خائنة ومن بطولات زائفة وأساليب خادعة ومن أوضاع غريبة حلت بالجيش أو فرضت عليه ... » .

(١) انظر قائمة تفصيلية بالمراجع الناصرية بشأن هذا الجزء في نهاية الكتاب .

وكان إخوانه الذين تعرف بهم وربطت بينه وبينهم أواصر الصداقة والاجتماع على الهدف قد بدأوا يندمجون فى صورة منظمة .

إن القصة الحقيقية للضباط الأحرار لم تكتب بعد . قصة التضحية وإنكار الذات قصة الجنود المجهولين الذين التفوا حول هذا الشاب طويل القوام . وآمنوا بفكرته وأحبوه . واستمدوا إيمانهم من إيمانه .

وقد مرت عليه عملية الإعداد فى مراحل ثلاثة . الأولى خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٤٢م وسنة ١٩٤٥م وهى فترة صعبة قام خلالها بنشر مبادئه وإشعال الروح الوطنية وكان أول وهج لذلك هو حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، الذى أهدرت فيه كرامة الوطن .

ولقد كانت فرصة طيبة لكى يملأ قلوب الضباط بالحماس ووجد جمال فرصته فى التعرف إلى النفوس التى كانت حوله ، ومدى إيمانها بالعمل للوطن .

كان يستمع صامتاً . ويستدرج من يرى فيهم روى الوطنية إلى امتحان دقيق ، ويضعهم تحت الاختبار ، ومن هنا كان إخوانه وأعوانه نماذج صادقة من الوطنية والإيمان بمصر . والفداء والتضحية . كانوا . كأخاهم الأكبر . يؤمنون بأن يقدموا روحهم فداء لمصر . ويهبوا نفوسهم خالصة .

ودخلت الحركة فى الدور الثانى توا ، بين ١٩٤٥م ومايو ١٩٤٨م إذ بدأت تأخذ شكلاً منظماً وأصبح من حول جمال مجموعة كبيرة .

يقول جمال « .. كنا مترددين - فى هذه الفترة - أول الأمر فى اللحظة التى نسلكها لتحرير الوطن . وهل نبدأ حربنا بالاستعمار أولاً أم نبدأها بأعوانه ، ولكن ترددنا لم يظل إذ رأينا أن الاستعمار لا يستطيع أن يثبت أقدامه إلا باعتماده الكامل على أعوانه من الخونة أو الأشخاص الذين تتفق مصالحهم مع سياسة المستعمر المتقلبة . المتغيرة حسب ظروفه وأهوائه فى تقريب الأشخاص أو الأحزاب .. » .

وقد اعترضت طريق المرحلة الثانية عقبات « كان أهمها عدم وجود الثقة فى النفوس . فالفرد لا يثق بنفسه ولا بزميله . وكانت هذه أصعب فترة مرت بنا . لذلك بذلنا جهدنا فى بث الثقة بين الضباط . وكنا ننتفع بالصداقات التى تربط الضباط بعضهم ببعض لإيجاد هذه الثقة وعدم إفشاء الأسرار الشخصية للأفراد ثم أسرار حركتنا .

واستطاع بذلك ضم أحرار جدد إلى صفوفنا فى الوقت الذى كانت المخابرات السرية والبوليس السىاى ينشط فى تعقب أى حركة . ولكننا نجحنا بفضل الإيمان بالله والإيمان

بالوطن والصبر والعزيمة .. » .

وقد روى أنور السادات قصة حدثت في هذه المرحلة تصور إلى أى مدى كان جمال عبد الناصر يصنع ثورته .

« .. كنت أتعجل وكان جمال يتريث . حتى أتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى عقب مصرع أحمد ماهر . وذهب النقراشى إلى السفارة البريطانية فقابله كليرن على سلم السفارة . وكانت هذه القصة حديث مصر .

فقد كانت قصة بغيضة فاضحة . ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمال الجنود . فقد كانت خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكذب يشير إلى مطالب مصر حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية . وقال للنقراشى دعك من هذا الكلام فإن حديث الجلاء والوحدة ليس إلا حديث خرافة .

وكانت لطمة قاسية أردنا أن نردها .

وذهبت إلى جمال . وفى يدي خطة من التشكيل الشعبى لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها . واستمع إلى جمال طويلاً . وناقش خطتي مناقشة كاملة . وأقر كل أطرافها وعناصرها . ولكنه فى آخر الأمر هز رأسه وقال لا : نحن لا نريد أن نعيد مأساة السودان التى وقعت منذ عشرين عاماً .

وكانت حملة فلسطين ونتائجها هى روح هذه المرحلة الخطيرة الحاسمة .

وكان جمال قد انتهز هذه الفرصة فقدم استقالته ليشارك فى التطوع لفلسطين وليحارب بنفسه وكان ذلك قبل دخول جيش مصر الحرب بصفة رسمية . وقد اتخذ هذا القرار بالرغم من أنه لم يكن له ولأولاده مورد آخر ، ولكن طلبه رُفِض ، وتحقق أمله بأن سافر مع القوات المصرية وفقاً لما يورده أنور السادات .

« ... وسارع الضباط الأحرار فى التطوع مع البطل أحمد عبد العزيز . وكان أغلب المتطوعين من الضباط الأحرار الذين سارعوا لنجدة إخوانهم العرب واشترك الجيش المصرى . فى حرب فلسطين ، وبدأت الحياة تظهر كل يوم بوجه جديد وبدأت النفوس تتحد بعد أن جمعتها الآلام ... » .

وكانت معركة فلسطين هى بؤرة الثورة . فهناك بين خطوط القتال وخنادق الحرب كان جمال يجتمع بصلاح سالم وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وكال الدين حسين وغيرهم

من زملائه . كانوا يتناجون بمصر وأمور مصر ، وقد تأكدت بينهم وحدة التفكير وروابط الثقة .

وكشفت فلسطين لجمال عبد الناصر عن دوره الحقيقي . وأكدت في نفسه حاجة مصر إلى القائد والزعيم والمنقذ .. فقد كشفت عن مخاز ومآسى جعلت أفكاره تتبلور ضد فاروق ورجاله ، وخاصة لما كان يلمسه من احتياجات الجيش إلى ذخيرة وإمكانيات لا تتوفر له . ثم قصة المجدل التي كان الجيش يتوجه لأخذها بأمر من فاروق دون أن يكون لديه أى استعداد .

وكشفت فلسطين عن بطولة جمال عبد الناصر فقد قاد المعارك التي وكلت إليه بزوح عالية ، وكان يتصدر جنوده دائماً في المعارك .. مما أدى إلى إصابته برصاصة فوق القلب فأرسل إلى مستشفى غزة للنقاها لمدة شهر ، ولكنه لم يحتمل البقاء في السرير ، فهرب بعد بضعة أيام وعاد إلى فلسطين .

ويصف جمال شعوره في هذه الفترة ، يقول :

« .. لقد كنا نحارب في فلسطين ولكن أحلامنا كانت في مصر . كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا في خنادقه .. ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا الذي تركناه للذئاب ترعاه » .

« .. وفي فلسطين كانت خلايا الضباط الأحرار تدرس وتبحث وتجتمع في الخنادق والمراكز .. » .

وقال الشهيد أحمد عبد العزيز أن ميدان الجهاد الأكبر هو في مصر .

وفي الفالوجا : كانت هناك تجربة أخرى .

« كانت الفالوجا محاصرة . وكان تركيز العدو عليها ضرباً بالمدافع والطيران تركيزاً هائلاً مروعاً . وكان جمال يقول لنفسه ها نحن في هذه الجحور محاصرين . لقد غرر بنا ودفعنا إلى معركة لم نعد لها .. لقد لعبت مطامع ومقدرات وشهوات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح . » .

« وهذا وطننا هناك .. أنه فالوجه أخرى على نطاق كبير حاصرته المشاكل والأعداء وغرر به » .

وكان جمال أركان حرب الكتبية السادسة بنادق وحوصرت في عراق المنشية . وهوجمت

مرتين . وانتصر جمال . انتصر بقوة أعصابه ومبادئه فقد استدعى نصف القوات العسكرية في الجانب الآخر من حدود المعركة دون أن يعلموا أن اليهود قد توغلوا هذا التوغل الخطير في صفوفهم واقتحم جمال المعركة بالمدد الجديد وانتصر ..

لقد شهد جمال معركة فلسطين منذ يومها الأول إلى يومها الأخير . من ١٦ مايو ١٩٤٨م إلى ٦ مارس ١٩٤٩م . فماذا أعطته . ماذا أمدت هذه الشخصية الثائرة التي كانت تعد عدتها لعمل ضخم كبير .

لقد أعطته فلسطين الحقيقة الأخيرة .. الإيمان الأكيد بأنه على الحق .. وبأن مصر تمر بمرحلة الغروب . غروب الدولة الظالمة الفاجرة . المستبدة . ليشرق على يديه فجر جديد . والقول لأنور الجندى في كتابه مصدر سابق ص ٤٩ .

ومن أهم هذه المواقف ليلة ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م . وقد روى جمال هذا الموقف الخطير وفي مذكراته المنشورة بمجلة المصور في نوفمبر ١٩٥٢م على النحو التالي :

« كان أخرج موقف هو ليلة ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ - كنت أركان حرب الكتبية السادسة التي كانت تحتل عراق المنشية في منطقة الفالوجا المحاصرة . وكانت عراق المنشية تبعد عن الفالوجا بحوالي ٣ كيلومترات ، وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، أبلغني قائد إحدى السرايا أن اليهود قاموا بهجوم ليلي ، وأنهم استطاعوا أن يتسللوا خلال سريتهم وأنهم يندفعون إلى داخل عراق المنشية ولم يكن عندي احتياط سوى عشرين جندياً فقط . ولكنني تمكنت بواسطة هذا الاحتياطي الصغير أن أسد المنافذ المؤدية إلى رئاسة الكتبية . وبعد ساعة كان اليهود يحتلون ثلثي البلدة . ونحن نحتل الثلث الآخر . وكانت قواتنا موجودة في خنادقها حول البلدة ، كان الموقف غاية في الخطورة والخرج ، وكان الحل الأول هو طلب معونة من الفالوجا . إذ أن لديها قوات احتياطية كبيرة . وقد وعدوني بإرسال قوة أستطيع بها أن أقوم بهجوم مضاد لطرد قوات العدو من البلدة وبدأت أنفذ خطة أخرى هي سحب بعض الأفراد من القوات الموجودة بالخنادق لتعزيز الاحتياطي الموجود حول مركز رئاسة الكتبية . وحتى الساعة الرابعة لم يصل أى شيء من الفالوجا . واستنتجت أنهم لم يبتوا في في : هل يرسلون قوة أم لا يرسلون وكان تفكيرهم أنهم لو فعلوا ذلك سيكون مصيرهم مثل مصيرنا تماماً : وهو القتل أو الأسر .

ولم يكن أمامي غير حل واحد في هذا الوقت العصيب الخرج . هو اعتمادنا على أنفسنا فأصدرت الأوامر بسحب جميع قوات الكتبية من الخنادق وجمعها في ثلث البلد الذي كان

لا يزال في أيدينا ، وقد تم سحب هذه القوات بكل هدوء وعند أول ضوء من الصباح كانت جميع أفراد الكتيبة تقريباً تكون قوتين متقاربتين وبدأنا في تنفيذ خطة الهجوم المضاد لطرده اليهود . وكانت مفاجأة مذهلة لليهود ، الذين لم يتوقعوا انتظاراً ودامت المعركة الحامية من الساعة السادسة إلى التاسعة وانتهت بقتل ٣٠٠ يهودي وأسر خمسة منهم وفرت باقي القوات المعادية التي كانت في قلب البلدة . وعند الساعة الحادية عشر تقريباً استعادت قواتنا مراكزها حول البلدة .

« .. وعدنا من فلسطين في مارس ١٩٤٩م وبدأنا نجمع صفوفنا بعد أن تفرقت جموعنا . وقتل في الحرب عدد كبير من الضباط الأحرار . وتخلف البعض منا في الطريق . إذ رأى أنه لا أمل لنجاح خططنا إلا بالاتصال بالملك السابق والاتحاد معه في حربنا مع المستعمر وأعوانه من الخونة . واتصلوا برجال الملك السابق فساقطهم شرورة ومفاسده . وحادثتهم عن خططهم . لقد كانوا وطنيين . ولكن الغواية أضلتهم عن الطريق الصحيح . ورأينا ازاء ذلك أن نخطط أعمالنا بكثير من الحذر لأن البعض يعرف الكثير من أسرارنا وهو متصل بالملك ورجاله .

وتظاهرت أنا وزملائي أمام هذه الجماعة بأننا صرفنا التشكيلات التي كنا أقمناها . وأنه أصبح لا هم لنا إلا أكل العيش .. » .

وكانت هزيمة فلسطين هي نقطة البداية .

عاد جمال وإخوانه بعد رفع حصار الفالوجا ... وما كاد يصل إلى بيته حتى حضر لزيارته من طلب إليه مقابلة رئيس أركان حرب الجيش الذي طلب إليه مقابلة رئيس الوزراء في ذلك الوقت (إبراهيم عبد الهادي) حيث وجهت إليه تهمة العمل ضد القصر ولندع جمال عبد الناصر يروي بقلمه قصة هذا التحقيق :

كان هذا أول تحقيق معي وأنا ضابط . ولو أنه لم يكن أول تحقيق معي . فقد أجروا معي عدة تحقيقات من قبل وأنا طالب بالمدارس الثانوية .

حضر إلي أحد الضباط نحو الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢٥ مايو . وأخبرني أن رئيس هيئة أركان حرب الجيش يطلبني لمكتبه . وسألني وهو مضطرب عما إذا كنت قد عملت شيئاً يستحق المؤاخذه فطلبت من زوجتي أن تبلغ عبد الحكيم عامر بأمر استدعائي إذا لم أعُد حتى الساعة الرابعة ، فقد أحسست بالخطر وكانت التهمة الموجهة إلي في ذلك الوقت هو تدريب المجاهدين في فلسطين .

وأجرى رئيس الوزراء التحقيق بنفسه معى . وقد دام هذا التحقيق سبع ساعات فى حضور الفريق عثمان المهدي رئيس أركان حرب الجيش وحضر اللواء أحمد طلعت رئيس البوليس السياسى جانباً منه .

ولقد كانت أعصاب رئيس الوزراء ثائرة فى ذلك اليوم . وكان يسألنى عن الضباط الذين اشتركوا معى فى التدريب . وكان يهددنى بإحالتى إلى النيابة والبوليس لتأخذ الإجراءات معى . وقد كانت هذه الإجراءات تعنى الذى كان الشعب بأجمعه على علم به .

ولقد كنت مالكاً لأعصابى فى ذلك اليوم . وطلبت منه أن يواجهنى بالملغين .

وسألنى فى التحقيق هل عندى أسلحة فى منزلى . فقلت له عندى ذخيرة يهودية من فلسطين تبلغ حوالى ٢٠٠ طلقة مدفع ستين . ولقد فقد رئيس الوزراء الكثير من أعصابه فى ذلك اليوم . وكان يقول لى بعد أن ضاق صدره من إصرارى وصمودى أمام تهديداته ، لا أدرى ماذا أعمل معك .. ضابط كبير مثلك قد تصدر إليه الأوامر فجأة لمقاومة أى حركة ثورية .. كيف يكون الوضع .. وكيف نطلب من الإنجليز الخروج .. والواضح على هذا الحال . أنكم تقولون أننى جبان ولست بجبان إلا فى حالة واحدة فقط . وهى يوم يعتدى على إنجليزى واحد حتى ولو كان مرتدياً بنطلوناً مقطعاً .

وكان رئيس الوزراء يقول فى ثورته : هل تريدون أن يحتل الإنجليز القاهرة والإسكندرية . لقد وجدت فى قصر الملك مفرقات .

وأنا أود أن أعرف ما الذى نعمله إذا جرى حاجة للملك فإن ظفر اصبع قدمه بالعائلة المالكة كلها .

وبعد سبع ساعات وكنت قد خرجت من مكتبه ليقوم رئيس هيئة أركان الحرب بمحاولة إقناعى بالاعتراف ثم طلبنى إبراهيم عبد الهادى مرة أخرى وقال : روح يا ابنى .

وطلب منى الفريق عثمان المهدي أن يتوجه معى لإحضار الذخيرة الموجودة فى منزلى والتى حفظت فى خزانة مدير المكتب القائمقام عبد العزيز فتحى حتى استولينا يوم ٢٣ يوليو على رئاسة الجيش ووجدها عبد الحكيم عامر فى خزانة مدير مكتب رئيس هيئة أركان حرب الجيش .

وانتهى التحقيق فى الساعة الثامنة . وتوجهت إلى منزل عبد الحكيم عامر فوجدته قد اتصل ببعض الضباط الأحرار الموجودين فى القاهرة . وكانوا مجتمعين به فى منزله . وكان هذا أول يوم لى فى الأجازة التى أخذتها من عملى فى الإسماعيلية . وكانت لمدة شهر .

وقد بدأنا في وضع خططنا في ذلك اليوم . و في نهاية الشهر كان شملنا قد اجتمع ورأينا أننا نحتاج إلى خمس سنوات لتعبئة ضباط الجيش حتى نستطيع التخلص من النظام كله ، أى أننا كنا سنقوم بحركتنا في عام ١٩٥٤م وليس في عام ١٩٥٢م كما دفعتنا الظروف والحوادث إلى التفكير في تنفيذ الخطة .

وتعددت بعد ذلك اجتماعاتنا في كل مكان وفي منازل متعددة .

« ونقلت في شهر أغسطس إلى القاهرة وبدأت في شهر سبتمبر ١٩٤٩م في التنظيم الجدى والخروج بالحركة إلى نطاق واسع ، فبشنا العيون في كل مكان في القصر وفي القيادة العامة للقوات المسلحة وفي البوليس السياسى ، وفي مختلف الأسلحة والوحدات ، وكانت هذه العيون تنقل إلينا كل المعلومات التى تصل إلى المسؤولين في ذلك الوقت عن حركة الضباط الأحرار .

وفي مذكراته يقول عبد الناصر :

ورأينا أن ننشر آراءنا ودعوتنا بين صفوف الضباط على نطاق واسع عن طريق المنشورات السرية .

واشترينا آلة رونيو لطبع المنشورات وآلة كاتبة وقام زملائنا من الضباط بشرائها ، وقد وضعنا هذه الآلة في منزل أحد زملائنا لأنه كان متصفاً بالمرح الذى يبعد عنه أى شبهة ، وبدأنا بطبع المنشورات في داره بكبرى القبة .

وصدر أول منشور للضباط الأحرار في شهر نوفمبر ١٩٤٩م ، وقد تضمن تحليلاً وسرداً للحالة وللمأساة فلسطين ، وكان جمال وإخوانه يقومون بتوزيع المنشورات على صناديق البريد ، وعلى فروع التوزيع في الوحدات والأسلحة المختلفة ، وكانوا يطبعون في المرة الواحدة ألف منشور ، وكانوا يحصلون على حاجتهم من الورق والخبر من الجيش ، وكان يتم توزيع المنشورات يتم بعضه بواسطة البريد والبعض الآخر باليد .

ثم انتقل زميلنا من منزله في القبة إلى حى يكاد يكون غير معروف فيه ، فانتقل إلى الجيزة ، واستمرت المطبعة في عملها وفي منزله حتى بدأت الثورة في ٢٣ يوليو .

وكان جمال وعبد الحكيم وكمال الدين حسين وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى يوزعون هذه المنشورات باليد في الجيش وكان البغدادي وحسن إبراهيم يقومون بالتوزيع في الطيران ، ووزع عبد الحكيم عامر وصلاح سالم باليد في فلسطين ، وقد قامت السلطات المختصة بضبط هذه المنشورات مرة واحدة في البريد ، إذ أنها شكت في محتويات ظروفها التى كانت من

مقاس واحد ، فغير جمال طريقة التوزيع بالبريد .

وكان لكل ضابط من الضباط الأحرار مهمته الخاصة ، فكان على البعض منهم مراقبة الضباط عند قراءتهم للمنشورات ونقل تعليقاتهم على ما جاء فيها وضم الأشخاص الذين يبدون تشجيعاً للحركة بعد وضعهم تحت المراقبة .

ويقول السادات في كتابه :

استمر جمال يعمل بهمة مع إخوانه في توسيع نطاق التنظيم ونشر الدعوة وتأخير المتأخرين حتى سنة ١٩٥٢ م .

وكان الملك السابق يبدى اهتماماً كبيراً بحركة الضباط الأحرار ، ويعمل للقضاء عليها ، وبدأ جمال وإخوانه يرتبون أنفسهم للمعركة ليكونوا مستعدين في أى وقت .

وفي أكتوبر ١٩٥١م أعلن رئيس الوزراء إلغاء معاهدة ١٩٣٦م ، وبدأت على أثر ذلك معركة القنال بين الفدائيين المصريين وبين الجنود الإنجليز وكان موقف الوفد بصفته الحزب الحاكم مخزياً .

وحمل جمال على أكتافه أكبر عبء في أعمال الفدائيين .

أن أحد لم يكن يعرف هذا الدور الضخم الذى قام له دون إعلان أو دعاية .

ولكن الموقف تحول تحولاً خطيراً حين حرق الحيازة القاهرة (٢٦ يناير ١٩٥٢م) ويصور السيد أنور السادات هذه الفترة فيقول : مثلما كان حادث ٢٦ يناير مفاجأة كبيرة لنا فقد كان أيضاً حافزاً على ضرورة تحديد موعد الحركة بصورة نهائية ، ولأن وقوع هذا الحادث كان ايذاناً ببدء عهد من النكبات والكوارث ، والإرهاب الملكى فى البلاد ، كان لابد بالطبع أن يوضع حد لهذا الجو الذى وجدت مصر فيه ، وكنا قد رتبنا أنفسنا على أن نضع هذا الحد مهما كانت عواقب المخاطرة .

وقد تساءل كثيرون لماذا لم تستغل حوادث ٢٦ يناير وخاصة أن قوات الجيش كانت تحتل الشوارع ، وكان التجول ممنوعاً بعد غروب الشمس ، ولكن جمال عبد الناصر يجيب على هذا السؤال بقوله : كان الوضع يستلزم المحافظة على الأمن فى البلاد وكانت الظروف لا تحتمل حوادث جديدة .

وهكذا يرى السادات الموقف العام قبل الثورة .

رواية أخرى : رواية صلاح نصر :

صلاح نصر أحد الضباط الأحرار ، ورمز مخيف فى ذهن المؤرخين لثورة يوليو . إذ أن مآسى المخابرات المصرية ارتبطت به ، وكان لرؤيته بحكم موقعه فى تلك الأجهزة ، أهمية مما يقول عن الثورة وتنظيم الضباط الأحرار .

يقول صلاح نصر فى مذكراته :

(كان من الأخطاء الجسيمة التى تنسب إلى تاريخ الثورة ، أنها لم تحفل بتسجيل أحداثها فى حينها ، وبخاصة أحداث فترة الإعداد للثورة .. ولذا تحدث الكثيرون عنها سواء كانوا مشاركين فيها أو مراقبين لها .. وتجاوز البعض حدود الحقيقة إما لإظهار نفسه بصورة البطولة ، وإما ليلبدو أنه عليم ببواطن الأمور ، قريب من أصحاب النفوذ .. وخرجت على السطح صورة مشوهة متناقضة ، كانت الأساس الذى بنى عليه البعض تنظيم الضباط الأحرار فى خيالهم) .

فمن قائل أن تنظيم الضباط الأحرار يرجع إلى عهد بعيد منذ قيام الحرب العالمية الثانية ومن قائل أنه تم تشكيله قبل ذلك عام ١٩٤٢م إلى غير ذلك من المعلومات التى لا أساس لها .

وساعد على بلبلة أفكار الناس انتماء بعض الضباط الأحرار قبل انضمامهم إلى التنظيم إلى بعض التيارات السياسية مثل جماعة الإخوان المسلمين أو إلى التيار الماركسى الذى كانت تمثله الأحزاب الشيوعية المصرية ، والتى كانت تعمل بأسلوب العمل السرى ، ناهيك عن تنظيم الضباط الوطنيين الذى كان يتزعمه رشاد مهنا والذى كشفت السلطات عنه النقاب فى أواخر الأربعينات ، كذا الأحزاب التقليدية التى كانت قائمة قبل الثورة وبخاصة أحزاب الوفد والسعديين والأحرار الدستوريين .. أما ما يقال عن حركة عزيز المصرى ومحاولته الهرب فى طائرة حربية إلى أعداء الإنجليز ، فلم تكن سوى عملية صغيرة محدودة ، ولم يكن لها أدنى علاقة بتنظيم الضباط الأحرار الذى لم يكن قد تكون بعد ، اللهم إلا من ناحية انضمام بعض الضباط الذين كانوا على اتصال بعزيز المصرى إلى تنظيم الضباط الأحرار وبعد تكوينه فيما بعد .

حقاً كانت هناك عدة تيارات سياسية داخل الجيش المصرى قبل قيام الثورة ، لكنها كانت محصورة وضيقة ، وكانت أغلب هذه التيارات تركز على المسائل الحيوية المصرية ، التى كانت تشغل رأى العام المصرى حينئذ وأهمها قضية التحرير من الاحتلال البريطانى وإقامة حياة ديمقراطية سليمة تحقق عدالة اجتماعية ، وتقضى على فساد الأحزاب

على أن تشكيل تنظيم الضباط الأحرار بدأ حقيقة في حصاد حرب ١٩٤٨ م . كانت هناك هزيمة الجيوش العربية مجتمعة أمام عصابات إسرائيل ، وفرض مجلس الأمن الهدنة في ظروف ليست في صالح العرب ، فضلاً عن المعلومات التي ذاعت بين ضباط الجيش المصري عن الأسلحة الفاسدة ، ومتاجرة الملك فاروق بأرواح ضباطه وجنوده .. كل هذا كان له أكبر الأثر على تجمع كثير من الأفكار بين ضباط الجيش .. ولم يكونا في حاجة إلى أكثر من تجمع كثير منهم في تنظيم يعمل بالأسلوب السري ، ويشكلو أنفسهم في خلايا أشبه بتلك الحلقات المعروفة في العمليات السرية . وهكذا قام عبد الناصر في أواخر عام ١٩٤٩ م بإنشاء نواة تتكون من ستة من الضباط ، أطلق عليها اسم « الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار » ضمت كلاً من البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر ، والبكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف ، والصاغ أركان حرب عبد الحكيم عامر بممثلين عن المشاة والرائد حسن إبراهيم ممثلاً للطيران ، والرائد أركان حرب كمال الدين حسين ممثلاً للمدفعية ، واليوزباشي خالد محيي الدين عن المدرعات . على أن البكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف أبعد عن الهيئة ، ولم يفصل من التنظيم وذلك لمحاولته احتواء تنظيم الضباط الأحرار داخل جماعة الإخوان المسلمين التي كان ينتمي إليها .. ولذلك ظل يعمل في إحدى خلايا التنظيم حتى قيام الثورة .

وقامت الهيئة التأسيسية بتكوين خلايا داخل الجيش ، وكان كل عضو في هذه الخلايا الرئيسية يكون بدوره خلية في تشكيله أو وحدته العسكرية .

وفي عام ١٩٥١ م اتسع نطاق رئاسة تنظيم الضباط الأحرار فأضيف إليه كل من الصاغ أركان حرب صلاح سالم وعبد اللطيف بغدادى .. وكان أنور السادات قد أعيد إلى الجيش وضم إلى تنظيم الضباط الأحرار ووافقت الهيئة التأسيسية على ضمه إليها .. أما جمال سالم فقد ضم في أواخر عام ١٩٥١ م بعد عودته من الخارج على نحو ما سأبين فيما بعد .

والواقع أن الهيئة التأسيسية هذه كما كنا نطلق عليها كانت حبراً على ورق .. فمعظم أعضائها موزعون بين المناطق والتشكيلات العسكرية وكانت تنقلات ضباط الجيش تحتم على التنظيم إعادة تشكيل الخلايا في بعض الأحيان .

وللتاريخ فقد كان عبد الناصر هو العقل المدبر للتنظيم بينما كان عبد الحكيم عامر هو الدنيامو أو المحرك لنشاطه وبلا شك كان له الفضل في تجنيد أكبر عدد من الضباط الأحرار .

(١) صلاح نصر : ثورة يوليو بين المسير والمصير : الجزء الأول : الأصول ، مطبوعات مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر - دبي - ١٩٨٦ م ص ١١٣ .

ويرى صلاح نصر في مذكراته أيضاً أنه قد كثر الحديث عن عدد الضباط الأحرار الملتحقين بالتنظيم ، فبينما قال البعض أن التنظيم كان يضم ما يربو على مائة ضابط من مختلف الأسلحة ، قال آخرون أنه وصل المائتين ، وزعم قائلون بأنه أكثر من الخمسين بقليل ... وكل هذه التقديرات غير صحيحة .. فحتى عام ١٩٥٥م كان هناك عدد من الضباط الأحرار غير معروفين ، فكلفني عبد الناصر وكنت أعمل حينئذ مديراً لمكتب القائد العام للقوات المسلحة ومسئولاً عن التوجيه السياسي داخل القوات المسلحة بحصر أسماء الضباط الأحرار .

وكنا قبل قيام الثورة ندفع اشتراكاً شهرياً قدره خمسة وعشرون قرشاً كاشتراك رمزي وللصرف منه على طبع المنشورات الخاصة بالتنظيم ، وكان نظام الخلايا لا يسمح لعضو في خلية أن يتصل بأي عضو آخر في خلية أخرى أو حتى يتحدث مع أي إنسان دون إذن من رئاسة التنظيم .

وقد قمت بحصر أسماء الضباط الأحرار بالاستعانة ببعض أعضاء الخلايا ، وكان عبد الناصر هو الشخص الوحيد الذي يعرف أغلب أسماء الضباط الأحرار وإن كان لم يرههم جميعاً .

ولكى يكون الحصر سليماً قمنا بتقسيم الضباط الأحرار إلى مجموعتين : مجموعة اشتركت في خطة ليلة الثورة وتنفيذها سواء بتحريكها بقوات من الجيش ، أو الاشتراك في عمليات اعتقال كبار الضباط ، وهذه المجموعة هي التي استولت على السلطة في القاهرة صباح ٢٣ يوليو ، ومجموعة أخرى تنتمي إلى تنظيم الضباط الأحرار ولكنها لم تشارك في أحداث ليلة ٢٣ يوليو لكونها كانت خارج العاصمة موزعة على تشكيلاتها العسكرية في المناطق العسكرية المختلفة وهذه المجموعة قامت بتأمين وحداتها صباح ٢٣ من يوليو .

وقد بلغ عدد الضباط الأحرار وفقاً لهذه الكشوف ثلاثمائة وتسعة وعشرين ضابطاً حراً اشترك منهم فعلاً في أحداث ليلة ٢٣ يوليو ما لا يقل عن ثمانين ضابطاً حراً .

وفي مثل ظروف الثورة يدعى البعض أعمال البطولة وينسبون لأنفسهم أعمالاً لم يقوموا بها ، أو يزعمون بأشياء غير حقيقية ولذا جاءت المعلومات عن أحداث الثورة خالية من الدقة بل مشوهة في كثير من الأحداث .

وربما كان هذا ما دفعني إلى أن أكتب بالتفصيل خطة تنفيذ الثورة ودور الكتيبة الثالثة عشرة مشاة وأسماء الضباط الذين اشتركوا فيها . لا للتباهي والتفاخر ولكن إقراراً للحق وتسجيلاً للتاريخ ، فقد ضاعت أسماء بعضهم في نسيان التاريخ .

أعود للحديث عن رئاسة تنظيم الضباط الأحرار ، التي بلغ عددها تسعة أفراد وقد ظلت

هذه الرئاسة مجرد تنظيم على ورق حتى قيام الثورة .. وكان عبد الناصر يتصل بأفرادها وفقاً للظروف والتطورات وبخاصة أن نصف عددها كان يعمل خارج القاهرة في السنة الأخيرة قبل قيام الثورة .. وكان هؤلاء منضمين إلى خلايا في المناطق التي يعملون بها .

وكنا قبل الثورة نحاول أن نبحث عن رتبة كبيرة تصلح لكي تكون واجهة مقبولة لتولى رئاسة الثورة ، فقد كانت معظم رتبنا العسكرية تتراوح بين رتب البكباشي والصاغ واليوزباشي والملازم ، أى أن معظم الضباط الأحرار كانوا من الرتب الصغيرة والمتوسطة .

ومن الأسرار التي يوردها صلاح نصر في مذكراته أنه كان قد تم الاتصال قبل قيام الثورة باللواء أركان حرب أحمد فؤاد صادق ، وكان يتمتع بشهرة مرموقة بعد تعيينه قائداً عاماً للقوات المصرية في فلسطين عام ١٩٤٨م بعد أن خلف اللواء الموادي القائد السابق .. كما كان يتمتع بشخصية محترمة ، وكان من الضباط القلائل القدامى الذين درسوا في كلية الأركان حرب، فضلاً عن أنه كان ينتسب إلى أصل سوداني .

ولذا كان يعد اللواء أحمد فؤاد صادق واجهة مناسبة لتقديمه للشعب كقائد للثورة .. ولكن حدث ما خيب الآمال ، فحينما فاتحه صلاح سالم في الأمر بتكليف من الثورة اعتذر اللواء صادق وقال : أقسمت بيمين الولاء لمولانا الملك ، ولكن إذا نجحت الثورة فسأكون أول من يساندها .

فطرحنا هذه الفكرة جانباً .. والحق أن الرجل مع أنه رفض الانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار ، فقد احتفظ بالسر ، وكان في استطاعته تبليغ الملك بنشاطنا ، وخاصة أنه كان محل ثقة من الملك .

واتجهت أنظار الثورة إلى شخصية أخرى .. ووقع الاختيار على اللواء أركان حرب محمد نجيب ، وكان يتمتع بسمعة طيبة وكفاءة مشهورة .

وكان علينا كتنظيم سرى أن نجري اختباراً لمدى شعبية نجيب في الجيش ، ولمدى قوتنا في الصراع مع الملك ، ومن ثم كانت أزمة انتخابات النادي التي تحدثت عنها سلفاً .

على أن ثمة قصة حدثت لعبد الناصر في عهد وزارة إبراهيم عبد الهادي عام ١٩٤٩م كادت تفشى بالتنظيم .. ذلك أن عبد الناصر استدعى يوماً إلى مكتب الفريق عثمان المهدي رئيس أركان حرب الجيش وانتظر في مكتب البكباشي عبد العزيز فتحي مدير مكتبه .. وبعد فترة وجيزة استقل الثلاثة السيارة إلى مكتب رئيس الوزراء دون أن يعرف عبد الناصر أسباب استدعائه .

وأثناء انتظاره في مكتب سكرتير رئيس الوزراء أحس عبد الناصر بنوع من القلق ، إذ كان يحمل في جيبه بعض الأوراق التي قد تكشف نشاطه السرى ، فضلاً عن بعض أسماء الضباط الأحرار ، فاستأذن كر يذهب إلى دورة المياه وفي المرحاض أخرج هذه الأوراق ومزقها ثم ألقى بها في المرحاض وعاد إلى مكتب السكرتير .

وأحس عبد العزيز فتحى بأن عبد الناصر قد تخلص من بعض الأوراق فسأله : هل معك أوراق سرية ؟ أجاب عبد الناصر : لقد تخلصت منها .

ودخل عبد الناصر لمقابلة رئيس الوزراء الذى حذره من أى نشاط سياسى ، ولم يفه عبد العزيز فتحى بشىء عن الأوراق وكان لهذا التصرف أثر طيب في نفس عبد الناصر الذى ظل يذكر هذا الحادث على أنه ضرب من المروءة من عبد العزيز فتحى .. فلما جاءت الثورة كان عبد العزيز فتحى من الضباط الكبار القلائل الذين استمروا في العمل وكان محل ثقة كبيرة من عبد الناصر .

سردت هذا الحادث لأن عبد الناصر كان يعده من الأحداث المهمة ، فلو قدر أن قام أحد بتفتيشه وعثر على هذه الأوراق لكانت أضرت كثيراً بقضية الثورة .

وما أن تم للثورة النصر ، حتى بدئى في إعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة .. فبالإضافة إلى الأفراد التسعة الذى شكلوا الهيئة التأسيسية قبل قيام الثورة ، أضيف في الخامس عشر من أغسطس ١٩٥٢م إلى رئاسة التنظيم كل من اللواء محمد نجيب ، والقائمقام يوسف صديق ، والبكباشى زكريا محيى الدين ، والبكباشى حسين الشافعى ، والقائمقام عبد المنعم أمين .

والواقع أنه لم يكن هناك تشكيل حقيقى للمجلس قبل قيام الثورة ، فلما قامت الثورة أصبح من الضرورى إنشاء رئاسة تسير الأمور التى واجهت الثورة بعد الاستيلاء على السلطة .. وقد روعى في هذا التشكيل تمثيل الأسلحة جميعها في المجلس ، ووضع عامل الأقدمية محل الاعتبار بقدر الإمكان حتى لا تسود الفتنة بين الضباط الأحرار ، وبخاصة بين الذين كانوا يطمحون إلى الانضمام إلى المجلس ، ويرون أنهم أحق من بعض من عينوا في المجلس .

كان هذا التشكيل من الأسباب الرئيسية لتبرم كثير من الضباط الأحرار في الأسلحة المختلفة ، وفي أزمة اعتصام سلاح الفرسان عام ١٩٥٤م ، ثم المطالبة بإعادة تشكيل مجلس الثورة على أساس انتخاب حر يجريه الضباط الأحرار ويمثل الأسلحة المختلفة بنسب عادلة .

وقد حاولت السراى احتواء تنظيم الضباط الوطنيين ، ففكرت فى إنشاء حرس سرى خاص يحمى الملك ، ويقوم باغتيال خصومه من تنظيم الضباط الوطنيين .

وفعلاً تم إنشاء الحرس ، وعرف هذا الحرس باسم الحرس الحديدى استقطب بعضاً من ضباط تنظيم الضباط الوطنيين عن طريق الدكتور يوسف رشاد اللطيب بالخدمات الطبية والذى انتدب للسراى ليعمل طبيباً خاصاً للملك وياوراً له .

ولقد قام هذا التنظيم بعدة عمليات إرهابية منها إطلاق الرصاص على مصطفى النحاس فى ٥ من أبريل عام ١٩٤٨م فى محاولة فاشلة لاغتياله ، كذا محاولة نشف منزله بسيارة محملة بالديناميت فى الخامس والعشرين من أبريل .

ومع أن هذا التنظيم لم يكن له أى انتماء رسمى للسراى أو الجيش . فقد كان محمد حيدر وزير الدفاع يعلم به ويباركه ويشد من أزره .

وكان من أفراد البارزين الضباط مصطفى كمال صدقى وعبد الرؤوف نور الدين ، وحسن فهمى عبد المجيد ، وسيد جاد .. كما انضم إليه أنور السادات عن طريق الدكتور يوسف رشاد .

على أنه يجدر بى أن أنوه عن تشكيل هذا الحرس الحديدى وكيف تم انتقاء ضباطه . كان قد تشكل تنظيم سرى فى الجيش من الضباط أطلق على نفسه اسم « الضباط الوطنيين » وكان زعيم هذا التنظيم البكباشى رشاد مهنا (الوصى على العرش بعد قيام الثورة) . وكان رشاد مهنا من الضباط المشهود لهم بالكفاءة والسمعة الطيبة والوطنية . كان هدف هذا التنظيم توعية ضباط الجيش لما يجرى من فساد فى البلاد والقيام بعمليات اغتيال لبذور الفساد .

وفعلاً قامت هذه الجماعة بإصدار منشورات سرية نددت فى بعضها بفساد قيادة الجيش تحت رئاسة إبراهيم عطا الله رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت ، بل وصل الحد إلى قرار اغتياله .

ولكن لم يكتب لهذا التنظيم الاستمرار ، إذ سرعان ما انكشف للسلطة - بعد أن وشى بهم أحد الصولات - وتم القبض على أفراد التنظيم تمهيداً لمحاكمتهم .

ولكن السراى لم تقدم أفراد التنظيم للمحاكمة ، وصدرت الأوامر بالإفراج عنهم ، وإعادةهم إلى الجيش ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى عدم رغبة السراى فى إثارة البلبلة بين ضباط

الجيش ، ومحاولة احتواء هذه المجموعة لخدمة الملك .

ولذا لم يكن غريباً أن ينحى إبراهيم عطا الله « الذى قررت الجماعة اغتياله » من مركز رئيس أركان الحرب للجيش وتعيين بديل عنه عثمان المهدي الذى أمضى أغلب خدمته فى ياوران الملك فاروق .. ثم يحىء محمد حيدر من خارج الجيش - وهو ضابط سجون - ليعينه الملك فى منصب وزير الحربية.، بأمل أن يسيطر على الجيش .

ولكن هذا التعيين لم يكن مؤقتاً ، إذ لقي استياء عاماً بين ضباط الجيش وبخاصة الضباط من الرتب الوسطى والصغيرة .. وكان ذلك محل نقد وجدال بينهم^(١) .

رابعاً : الرؤية الإسلامية لنشأة تنظيم الضباط الأحرار :

سوف نورد هنا ودون تدخل الا فى الهامش وفى حدود البحث العلمى رؤية إسلامية هامة لمفكر إسلامى شاب ينتمى إلى حركة الجهاد الإسلامى فى مصر ، وهو (أسامة حميد)^(٢) ، ونظراً لما يتمتع به من عمق ودقة فى الرؤية فإننا لن نحذف كلمة مما قاله ، وذلك لأهميته من ناحية ، وأيضاً حتى نكون موضوعيين أيضاً فى تناولنا لتاريخ هذه الفترة ، هذا وسوف نورد رؤية الإسلاميين فى جميع مراحل وأجزاء هذه الموسوعة انطلاقاً من القنوات التى أوردناها فى المقدمة ، والآن ماذا يقول أسامة حميد فى رؤيته لتنظيم الضباط الأحرار ؟ يقول :

عندما كان الإخوان ينشئون تنظيمهم السرى (١٩٤٠ م) - كان حسن البنا يكلف نائبه محمود لبيب بتكوين وإدارة تنظيمين سرين فى كل من الجيش والشرطة ، وبالطبع كان لابد من اختيار اسم للتنظيم يبعد به عن الارتباط بالإخوان - فاختار محمود لبيب لتنظيم الجيش اسم « الجنود الأحرار بالجيش » وأحياناً « الضباط الأحرار » .

وفى ديسمبر ١٩٤١م أرسلت « لجنة الجنود الأحرار بالجيش » عريضة إلى الملك طالبت بما يلى :

- ١ - بث الروح فى أفراد الجيش المصرى ضد الجيش البريطانى .
- ٢ - مقابلة الاعتداء بالاعتداء ﴿ ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .
- ٣ - القبض على أى فتاة مصرية تسير مع أى جندى بريطانى .
- ٤ - الإفراج عن عزيز المصرى وعن عدد من الطيارين .
- ٥ - إلغاء معاهدة ١٩٣٦ م .

(١) صلاح نصر : مصدر سابق ص ١١٦ .

(٢) أسامة حميد - موجز تاريخ مصر فى الحقبة العلمانية - بحث بدون ناشر - القاهرة ١٩٨٦ م .

٦ - منح الجندي حق محاربة ما يخل بالقانون .

كان أول من انضم للتنظيم لثان : عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حموده - قاماً بدورهما بضم خمسة من زملائهم (عبد الناصر - كمال الدين حسين - سعد حسن توفيق - خالد محيى الدين - صلاح الدين خليفة) .

وكون هؤلاء الخلية الرئيسية التى تفرعت عنها فيما بعد سلسلة من الخلايا^(١) .

ويذكر السادات أن الضباط عرضوا على حسن البنا خطة لإبادة الجيش الإنجليزى عند عودته من العلمين ولكن البنا أجهد بالبكاء « فلم تكن هناك قوة كافية لتنفيذ الخطة »^(٢) .

كان محمود لبيب هو المشرف على اجتماعات كل الخلايا^(٣) وكان هو الوحيد الذى يعرف أفراد التنظيم كله - وفي البداية دار جدل بين حسن البنا ومحمود لبيب (وربما اشترك في النقاش آخرون) حول ما إذا كان ينبغي الاهتمام بغرس القيم الإسلامية في نفوس الأعضاء أم يكتفى بتجميع العناصر الوطنية المتحمسة ثم يأتي تحويلهم إلى الإسلام في مرحلة لاحقة - وفي النهاية انتصرت وجهة النظر الأخيرة - وهكذا كان كثير من أعضاء التنظيم لا يحملون الفكر الإسلامى - وكانت كل أفكارهم لا تعد وبعض التصورات السطحية الهلامية .

ولكن بسبب النضال ضد الإنجليز وشن الإخوان لحرب عصابات في عام ١٩٤٦م - فقد قام أفراد التنظيم بمبايعة الإخوان وقام بعض أعضائه بتدريب التنظيم السرى للإخوان (الذى كان يقوده السندى) بهدف مواصلة النضال ضد الإنجليز^(٤) .

ويبدو أن عبد الناصر كان أكثر تحمساً - بدليل أن محمود لبيب عندما اعتلت صحته أفضى بأسرار التنظيم لعبد الناصر - وفي الحقيقة أن محمود لبيب رغم مركزه الهام داخل الإخوان - كان (متساهلاً) في بعض أفكاره ولم يكن يرى تعارضاً بين الوطنية المصرية

(١) كان من أعضائها : عبد اللطيف البغدادى - عبد الحكيم عامر - السادات - ثروة عكاشة - توفيق عبده إسماعيل - إبراهيم الطحاوى - صلاح سالم - حسين الشافعى - حسن إبراهيم .

(٢) أنور السادات : أسرار الثورة المصرية ط ١٩٥٧م ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) في مذكراته التى نشرها بمجلة المصور (٣١/١٠/١٩٥٢م) قال عبد الناصر أنه انضم للتنظيم الذى كان يقوده الصاغ م . ل . ومع ذلك قال عبد الناصر في مرحلة لاحقة أنه هو مؤسس التنظيم - ثم قام السادات بدوره بأدعاء تأسيسه للتنظيم وأنه « سلم لعبد الناصر واشترك حمروش بدوره في حملة التزييف تلك » .

(٤) راجع مثلاً : شهادة إبراهيم بغدادى في : حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ج ٤ طبعة بيروت ١٩٧٧م .

والإسلام^(١). وهكذا لم يكن هناك حرج من تفضيل عبد الناصر على غيره من قدامى الإخوان^(٢).

في ذلك الوقت أيضاً كان بعض الوطنيين بالجيش يعملون على محاربة الإنجليز والوفد^(٣) من خلال تنظيمات صغيرة هي أقرب ما تكون إلى الشلل ، ولكنها - في مرحلة لاحقة - تحولت إلى أداة في يد الملك لتصفية خصومه (الحرس الحديدي) فقد اقتنع معظم الأعضاء بجذوى الاستناد إلى الملك في غمرة عدائهم للإنجليز والوفد - وكان السادات أحد الذين عملوا في الحرس الحديدي .

وفي ذلك الوقت أيضاً كان بعض ضباط الصف والجنود يأخذون طريقهم إلى تنظيمات شيوعية (ولكن بقي عددهم محدوداً جداً) .

ومع تجمد النضال ضد الإنجليز جزئياً - بسبب انسحابهم من مدينتي القاهرة والإسكندرية - اعتباراً من سنة ١٩٤٧م ، وبسبب اشتداد الصراع الداخلي في مصر بين القوى السياسية ، شعر بعض الضباط بالإحباط وبخطورة الارتباط بتنظيمات قائمة - وطبعاً كان ذلك بسبب قلة وعيهم - ذلك أن نظام التنشئة العسكرية يجعل الإنسان ينفر من الفوضى ويشكل عقله بطريقة لا يستطيع معها أن يتفهم مغزى التحولات الاجتماعية في مرحلة مخاض خطيرة كمرحلة ١٩٥٢/٤٥ - وبسبب إهمال الإخوان في تقديم برنامج تثقيفي محدد للضباط - فقد اتجه بعضهم للاتصال بالتنظيمات الشيوعية التي كانت تمتلك نظريات ومناهج كفيلة بشغل وقت العضو وإثارة الجدل - وهكذا انضم خالد محيي الدين إلى منظمة أيسكرا

(١) راجع بعض أفكار محمود لبيب في ثنايا روايته لأحداث فترة من حياته التي صدرت تحت عنوان (حماة السلوم) عن دار الانتصار ١٩٨٠ (وإن كانت المخطوطة قد كتبت قبل وفاته سنة ١٩٤٨) ومن الكتاب يتضح أن محمود لبيب - إضافة لقبوله بالفكرة الوطنية كان يحترم أشياء غريبة مثل ما يسمى بالانضباط العسكري والشرف العسكري .. الخ (والقول لأسامة حميد) .

(٢) خاصة وأن هؤلاء لم يختلفوا كثيراً في طريقة تفكيرهم عن محمود لبيب - راجع مثلاً مذكرات حسين حمودة بعنوان : أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون دار الزهراء للإعلام العربي - ١٩٨٥م .

(٣) مثلاً عندما كان النقراشي يقول للإنجليز «أيها القراصنة أخرجوا من بلادنا» كان النحاس - وهو غير ذي صفة رسمية - يرسل برقية إلى مجلس الأمن يقول فيها أن النقراشي لا يمثل الشعب المصري ولذلك قرر أحد تنظيمات الضباط إعدام النحاس - وبعد فشل محاولتهم إقترحوا نسف منزله على من فيه ولكن عارض بعضهم بحجة أن في ذلك قتل الأبرياء - انظر تفاصيل كثيرة عن أحداث متشابهة في : حمروش - الجزء الأول (مصر والعسكريون) ص ١١٢ - ١١٦ .

الشيوعية ومنها إلى حدثو - ولكن بسبب خيانات حدثو عندما اندلعت حرب فلسطين فقد انفض من حولها معظم من انضموا إليها - وفي الحقيقة لم يكن هؤلاء الضباط ملحدين (وان كان اعتناقهم النظرية الاقتصادية الشيوعية أخرجهم عن الإسلام بالطبع) .

وبسبب حرب فلسطين فقد تفكك الهيكل التنظيمي للضباط (الذى كانت عوامل تفككه موجودة فى الأصل) - وبعد انتهاء الحرب - وفى مطلع ١٩٥٠م تشكل تنظيم « الضباط الأحرار » من جديد - وكانت لجنته التأسيسية هذه المرة مكونة من خمسة أشخاص : عبد الناصر - كمال الدين حسين - عبد المنعم عبد الرؤوف - حسن إبراهيم - خالد محيى الدين^(١) ولم يكن على صلة تنظيمية بالإخوان سوى عبد المنعم وإن بقيت لكمال الدين حسين صلات بالإخوان (ولكن بصورة غير تنظيمية) - وبعد عدة شهور ضم خمسة آخرون للجنة التأسيسية : صلاح وجمال سالم - عبد اللطيف بغدادى - عبد الحكيم عامر - السادات . وهكذا أصبح التنظيم على صلة بالإخوان (عبد المنعم عبد الرؤوف) وبالشيوعيين (خالد محيى الدين) وبالمملك (السادات) .

وبعد ذلك بدأ التنظيم (الذى انتخب عبد الناصر رئيساً له) حملة أرسل فيها الآلاف من المنشورات على عناوين ضباط الجيش وبدأت حملة واسعة لتجنيد أعضاء جدد (وصل عدد الضباط غداة الانقلاب إلى ٢٦٧) .

ورغم أن بعض قيادات التنظيم كانت معروفة للنظام (مثلاً على أثر تصفية التنظيم السرى للإخوان سنة ١٩٤٨م اكتشف النظام علاقة عبد الناصر بهم واستدعاه رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى وحذره من أى ارتباط بالإخوان^(٢) - رغم ذلك فقد كان تحرك التنظيم سهلاً بسبب قوة المد الشعبى وتفكك أوصال النظام وضعف أجهزة الأمن^(٣)

اتصل عبد الناصر بكل من الإخوان ومصر الفتاة والوفد والشيوعيين وعرض عليهم مساعدة التنظيم فى الانقلاب - فتشكك الجميع فى أهدافه ومشروعه - فاتجه بعدها لجمع عدد كبير من الضباط (من الغرز والبارات على حد تعبير كمال الدين حسين فى رسالته الشهيرة

(١) حمروش ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) فى هذا اللقاء قال عبد الناصر لرئيس الوزراء أنه معجب بالإخوان ولكنه ليس عضواً فى تنظيمهم أما علاقته بمحمود لبيب فقد بررها بأنهما عملاً معاً لتنظيم الدفاع عن فلسطين .

(مذكرات عبد الناصر فى عدد ٥ ديسمبر ١٩٥٢م « مجلة المصور ») .

(٣) يذكر حمروش أن عدد ضباط المخابرات الحربية وقتها لم يزد على ١٥ جندي بعضهم فى التنظيم وأن عدد ضباط القسم المخصوص (مباحث أمن الدولة حالياً) لم يزد على ٢٤

لعبد الناصر بعد ذلك) - وقد أطلق على هؤلاء الضباط من باب السخرية « كالة العدد »
وكان عبد الناصر يجمعهم في جلسات لتحضير الأرواح (لكى يختبرهم على حد
تبريره)^(١)

ونظراً لأن عبد الناصر كان برتبة مقدم فقد سعى التنظيم للإتيان بواجهة له يكون برتبة
كبيرة - وهكذا وقع اختيارهم على أحد الضباط الوطنيين (محمد نجيب) بعد أن أبلى بلاءً
حسناً في حرب فلسطين .

الأصول الاجتماعية والفكرية :

لم يكن عدد أفراد الجيش المصرى يزيدون على ١٥,٠٠٠ غداة توقيع معاهدة ١٩٣٦م -
وكان جل هؤلاء من أبناء الإقطاعيين والمترفين ولكن بسبب إحساس الإنجليز بتفاقم الخطر
النازى - فقد فتحت أبواب الكلية الحربية على مصاريعها لتخرج أكبر عدد من الضباط وفى
أسرع وقت - ومن الدفعات الأولى من خريجي الكلية بعد ١٩٣٦م كانت قيادات تنظيم
الضباط .

لقد كان معظم الضباط من الطبقات المتوسط - لأن المصاريف المرتفعة للكلية لم تسمح
للفقراء بدخولها - ولكن لم يكن فيهم أبداً ابن لإقطاعى أو رأسمالى - وإن كان بعضهم
(عبد الحكيم عامر - بغدادى) من أبناء العمد - ومن بين ٢٦٧ ضابطاً لم يكن هناك سوى
قبطى واحد .

وبسبب انتقال الضباط من المدارس الثانوية إلى الكلية الحربية مباشرة - وبسبب طبيعة
الحياة العسكرية - فلم تتح فرصة لبلورة أفكار وتكوين مدركات عن العالم من حولهم -
وفى ذلك يقول حمروش (ج ١ ص ٢١١) « يصعب القول بأن الضباط فى مجموعهم أو
فى الأغلبية من قياداتهم كانوا من المثقفين لأن طبيعة الضباط وتعليمهم وعزلتهم عن المجتمع
تجعل منهم فئة خاصة تتعامل مع الحياة بالأسلوب الذى اعتادته فى الجيش والذى يغلق دائرة
التفكير غالباً فى حدود إعطاء الأوامر وتنفيذها » - ولم يكن من بين الهيئة التأسيسية للضباط
من حصل على شهادة جامعية سوى خالد محيى الدين (بكالوريوس تجارة) .

ولذلك فمن الإجحاف أن نقول أنه كان لحركة الضباط فكر (باستثناء بعض الإخوان

(١) راجع وصفا لجلسة تحضير أرواح فى بيت عبد الحكيم عامر حسب رواية عبد الناصر لها فى عدد
٧ نوفمبر ١٩٥٢م من مجلة المصور .

والشيوعيين) - بل أن السادات نفسه عزا نجاح الحركة إلى « عدم وجود نظرية خاصة بها » لأن النظرية « قد تتعرض للجدل فتعرض الجماعة للانقسام ولذلك أرجع الفضل في نجاح هذه الثورة إلى شيء أهم من المبادئ - إلى الصداقة العزيزة الوثيقة التي ربطت بين كل من شارك فيها !! »

وقد برر عبد الناصر في وقت لاحق (سنة ١٩٦١ م) هذا الموقف فقال : « ماكانش مطلوب مني أبداً في يوم ٢٣ يوليو أني أطلع معايا كتاب مطبوع وأقول أن هذا الكتاب هو النظرية - مستحيل - لو كنا قعدنا نعمل الكتاب ده قبل ٢٣ يوليو ماكانش عملنا ٢٣ يوليو لأن ماكانش نقدر نعمل العمليتين مع بعض » .

ان الافتقاد إلى فكر جمال عبد الناصر (حسب روايته في فلسفة الثورة) ينظر إلى القضية الفلسطينية باعتبارها مجرد عامل مهدد لأمن مصر .

أما السادات فقد ذكر أكثر من مرة أنه (وعى) تاريخ مصر من كتب الرافعي (فهل هذا يكون قد وعى شيئاً) - أن أكثر النماذج الصارخة في خطورة الافتقاد إلى فكر هو إعلان الانقلابيين بأن الثورة (غير دموية) - فكيف تكون ثورة وفي نفس الوقت غير دموية . وبسبب الافتقاد إلى فكر فقد كان طبعياً ألا يتم تحديد العدو بدقة - ورغم أن مقر الحركة الصهيونية كان قد انتقل إلى أمريكا بعد ١٩٤٥ م ورغم دور أمريكا الواضح في حرب ١٩٤٨ م فلم يكن الضباط (باستثناء الإسلاميين يكرهون أمريكا - وإن كان حمروش يحاول تبرير ذلك) (ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٨) بقوله « والمقطوع به أن الأمريكيين قد وجدوا في التنظيم السري لحركة الضباط الأحرار بعض ما يحقق لهم أهدافهم في المنظمة ولكنهم لم يستطيعوا أبداً أن يكونوا مسيطرين عليه »^(١) .

(ولماذا يرهقون أنفسهم بالسيطرة عليه مادام يحقق أهدافهم ؟) .

وبسبب الافتقاد إلى فكر فلم يكن للتنظيم برنامج محدد^(٢) - بل ولم يكن للتنظيم لائحة (لأنه لم يتسع الوقت لكتابتها^(٣)) - وعندما علم الضباط باكتشاف أمر التنظيم - لم يدروا

(١) طبعة بيروت ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٨ ، الموقف العربي ج ٢ ص ١٥ .

(٢) تزعم بعض الدراسات أن برنامج الضباط كان الأهداف الستة التي كتبها عضواً في حديثو (أحمد فؤاد وخالد محيي الدين) وعلى الرغم من أن هذه الأهداف لا تشكل إلا صياغة شرية إنشائية حول بعض مطالب القوى الجماهيرية فقد صرح صلاح سالم أحد قادة التنظيم بأنه لم يسمع عن هذه الأهداف ولم يعرفها إلا بعد نجاح الانقلاب (حمروش ١٨٠) .

أما أول بيان أذيع عن حركة الجيش فقد ذكر « قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا في الجيش رجال شق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم وإنني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم » .

(٣) حمروش ج ١ ص ١٧٨ .

ما يفعلون - وفي ١٩ يوليو ١٩٥٢م قرروا اغتيال ٣٠ شخصية من المفسدين (منهم فؤاد سراج الدين - حافظ عفيفى - حسين سرى عامر) ولكن بسبب افتقارهم إلى سيارات فقد تطور تفكيرهم إلى التخطيط للسيطرة على الإذاعة لإعلان بعض مطالبهم ، ولكن وبنفس السرعة والارتجالية - تقرر عمل انقلاب كانت نسبة نجاحه في تقديرهم ٢٠٪ - وكان انقلاب ٢٣ يوليو .

ورغم ذلك - فيجب ألا نسخر من الطريقة التي حدث بها الانقلاب - لأنه طبقاً لسنن الله كان لابد من سقوط النظام الليبرالى بوصول الظلم نقطة معينة - وطالما أن الإسلاميين تقاعسوا في ذلك الوقت - فقد أراد الله أن يعلمنا أن عدداً من الضباط الذين ... لا يحملون فكراً ، قد تمكنوا وبطريقة ارتجالية - من إسقاط الحكم عندما توفر لديهم التصميم على ذلك) .

* * *

انتهت رؤية أسامة حميد ، والتي تقدم بإيجاز شديد ، تأريخاً إسلامياً أصولياً لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار ، وهى رؤية يرد عليها في العديد من النقاط وبخاصة مسألة العلاقة بين الإخوان والتنظيم ، والولايات المتحدة الأمريكية والتنظيم ، وبخاصة إذا ما قارن ذلك بالحقائق التي أوردتها الرؤية الغربية السابقة ، ولكن ورغم كل ذلك فنحن لا ننكر علمية تلك الرؤية ، وصدق أغلب ما توصلت إليه من نتائج ، بل ونشيد بصاحبها الذى أسند رؤيته إلى مصادر تاريخية معروفة ، بل وناصرية أيضاً (نموذج أحمد حمروش) مما ينفي عنه شبهة الانحراف بالحقائق عن مواضعها .

خامساً : المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م :

كان المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م يبنىء بانفجار هائل ، فالقاهرة كانت قد احترقت ، والأوضاع السياسية تتردى ، والسفارات الأجنبية بدأت تنشط ، وتستقطب القوى الجديدة الصاعدة .

في غمرة من هذا المناخ الخائى جاءت منشورات الضباط الأحرار لتعكس حقيقة الوضع ، ولنتأمل ما ورد في بعض منها .

يقول منشور صادر عام ١٩٥١م : « أن هيئة الضباط الأحرار تطالب بأن تكون مهمة الجيش هى تحقيق استقلال البلاد ، ولا تقبل أن يستعمل في القضاء على الحركات الوطنية .. ولا تقوم للجيش قائمة إلا في بلد متحرر قوى : نحن نطالب بتسليح الجيش من جميع الدول التي تباع لنا سلاحاً شرقية كانت أم غربية » .

« ونطالب بإطلاق جميع الحريات للشعب إذ لا يمكن لشعب أن يكافح الاستعمار وهو مكبل بقوانين تقيد حريته ». وعندما رزق فاروق بطفل في ١٦ يناير ١٩٥٢م ، قبل عشرة أيام من « السبت الأسود » وأقيم عرض عسكري بتلك المناسبة ، استنكر الضباط هذه « المهزلة » واستخدام الجيش في أمور لا تليق بوظيفته ، لكن البيان لا يكشف عن عدااء مبدئى للعرش ، بل على العكس يعتبر ميلاد ولي العرش « مناسبة سعيدة » ويستطرد البيان قائلاً : « فاليكم يامن تجمعون المال من عرق الشعب لتنفقوه في غير صالح الشعب .. إليكم يامن تسوقون البلاد إلى هاوية سحيقة لتصلوا إلى مآربكم الخاصة ، إليكم كلمتنا هذه لتكون نذيراً لكم ، عليكم تثوبون إلى رشدكم ، وترجعون عن غيكم » .

« وأنتم أيها الضباط ، إليكم هذا الموجز لما يحدث اليوم من مهازل ، فكونوا يقظين لما يدبر لجيشكم وبلادكم ، ولا تنهونوا في حقوقكم قدر أثمة » . وفي أواخر يناير ، وبعد « السبت الأسود » ، صدر بيان إلى الضباط يخبر من « الخونة من المصريين » الذين يسعون إلى استغلال الجيش في قمع الشعب ، في حين أن رسالة هذا الجيش هي دحر العدوان الخارجى . « إن الوطن في خطر .. التفوا حول الضباط الأحرار ففى ذلك نصر لكم وللشعب الذى أنتم جزء لا يتجزأ منه » . وهم يعلنون في بيان آخر منسوخ بخط اليد « كنا نعتقد أن المحنة التى أصابت البلاد فى حرب فلسطين قد أعطت درساً قاسياً للمسئولين لينهضوا بالجيش ، ويعملوا على تدريبه وتسليحه ويبعدوه عن تلك المظاهر الخادعة ، كالاشتراك فى الحفلات وإقامة الزينات . والعالم اليوم تمر به المحن والأخطار فتهدم أركانه وتستعد الأمم كل طارئ وتوجه الشعوب والحكومات إلى كل ما هو نافع ، ومفيد ، إلا نحن فى مصر حيث يصر سادتها وأولى الأمر فيها أن يعيشوا عيشة الدعة والبهجة ، فيقيمون الاحتفالات والمباهج بمناسبة وغير مناسبة ، علها تنسى الشعب ما هو فيه من جوع وعرى وحرمان » .

إن هذه البيانات تعكس بوضوح ما كان يثير ثائرة الضباط الأحرار : تدهور وضع الجيش على الجبهة وفى داخل البلاد ، والتفريط فى استقلال البلاد ، وإسراف الأرستقراطية فى مقابل الفقر المدقع الذى يقاسيه الشعب ، لكن هذه البيانات كلها لا تتضمن مطالب محددة ، سواء بالنسبة للمشكلات الداخلية أو الخارجية ، باستثناء ما يتعلق بأوضاع الجيش ومهمته .

والحقيقة أن أوضاع الجيش فى ١٩٥٢م ، كانت محوراً للصراعات السياسية التى سبقت الانقلاب . وجاءت أزمة تعيين وزير الحرية لتقدم سبباً مباشراً للاستيلاء على الحكم بواسطة الضباط .



عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وقوفاً ، وأمامهما جمال عبد الناصر ثم عبد اللطيف البغدادي وأنور السادات وحسن ابراهيم وزكريا محي الدين . كما يرى محمد نجيب الذي استدعته الثورة ليكون واجهة جماهيرية لها - ويوسف صديق أول من خرج بقواته من الضباط الأحرار ، ولم يظهر : حسين الشافعي - صلاح سالم - جمال سالم - خالد محي الدين - وعلى الحائط نتيجة عليها صورة الملك فاروق والتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

فبعد « السبت الأسود » استقالت حكومة الوفد ولم تستطع بحكومتها علي ماهر والهلالي الاستمرار في الحكم ، فكلف الملك حسين سري ، في الثاني من يوليو ، بتشكيل حكومة جديدة . وأراد حسين سري أن يهدىء من حالة القلق بين الضباط ، فاقترح تعيين نجيب وزيراً للحرية ، ولو كان قد أخذ باقتراحه هذا ، فربما سارت الأمور على نحو يختلف عما آلت إليه . لكن الملك ، بعناده الأحمق ، رفض الاقتراح ، وتولى حسين سري وزارة الحرية ، وفاض الكيل بالضباط .

قبل ذلك بفترة قصيرة كان أحد جواسيس القصر قد شاهد اليوزباشي حسن علام ، من الضباط الأحرار ، وهو يحمل إحدى نشرات التنظيم . وفي ١٣ يوليو قدم إلى المحكمة العسكرية ، حيث حكم عليه بالإعدام . وفي ١٥ يوليو ، أمر الملك بحل مجلس إدارة نادي الضباط ونقل أعضائه إلى مواقع بالأرياف بعيداً عن القاهرة . ولم يعد الضباط الأحرار ينجشون على مناصبهم فقط ، وإنما على حياتهم أيضاً . فمضوا قدما في الإعداد لانقلابهم . وفي الوقت نفسه ، رأى سري استحالة البقاء في منصبه ، فقدم استقالة حكومته في ٢٠ يوليو ، وطلب الملك ، مرة أخرى ، إلى الهلالي تشكيل الوزارة . وفي ٢١ يوليو علم أحمد أبو الفتح أن وزير الحرية المنتظر هو حسين سري عامر .. العدو اللدود للضباط الأحرار ، والذي نجما بأعجوبة من رصاصات ناصر قبل ذلك بستة شهور ، والذي يعلم تماماً أن القاتل المجهول هو أحد الضباط المناوئين له ، وعندما علم أبو الفتح بالاتجاه إلى تعيينه أسرع إلى إبلاغ ناصر عن طريق عكاشة ، وفي ذات الوقت ، علم الضباط أنه تحدد يوم ٢٤ يوليو موعداً لتنفيذ حكم الإعدام في حسن علام . ولذلك ، حدد ناصر الساعات الأولى لليلة ٢٣ يوليو ، موعداً للانقلاب ، وبالفعل أصابت الدهشة الهلالي عندما ذهب إلى الإسكندرية (حيث يقضى القصر والحكومة فصل الصيف) ليعرض على الملك أسماء الوزارة ، وفوجيء بتعيين الملك للقائم مقام إسماعيل شرين وزيراً للحرية ... وشرين هو سليل أسرة محمد علي ، وحصل على رتبته العسكرية بسبب مصاهرته للملك ، فهو زوج فوزية أخت فاروق . وقد رأى الضباط في تعيين شرين استفزازاً لهم .. ونهاية للعرش . وبينما كانت الوزارة الجديدة تقسم اليمين الدستوري في الإسكندرية ، كان الضباط الأحرار في القاهرة قد أتموا استعدادهم ، ليستولوا على حكم البلاد خلال عشر ساعات . وقد كان .

هذا وتورد الدكتور/ لطيفة محمد سالم^(١) وصفاً مثيراً للساعات الأخيرة في عهد النظام الملكي ، ولل ساعات الأولى في عهد الثورة التي قادها تنظيم الضباط الأحرار فيما يلي :

(١) د . لطيفة محمد سالم - فاروق وسقوط الملكية في مصر (١٩٣٦م - ١٩٥٢م) - مكتبة مدهولى - ١٩٨٩م ط ١ - ص ٩٨٧ وما بعدها .

بدأن الأحداث تتوالى سريعاً منذ مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢م في وقت لم يقدر فيه فاروق خطورة الموقف في الجيش ، حقيقة أن نشاط الضباط الأحرار أقلقهم ومنشوراتهم أثارتهم وتحركاتهم سببت له الريبة ، ولكن مع ذلك كان على يقين من أن هذا جميعه فقاعات هوائية إذ ترسب في أعماقه لآخر لحظة أن الجيش جيشه هو ، مطيع له ، منفذ لأوامره ، فالثقة المتزايدة في النفس سيطرت عليه من ناحية ، والإحساس بقوته وجبروته أعطاه التأييد في التصرفات من ناحية أخرى ، وخاصة بعد أن أدرك أن كبار رجال الجيش حوله يحملون عرشه ، هذا بالإضافة إلى أن حاشيته صاحبة التأثير عليه هونت له الأمر ، وبالتالي تحدى وقرر التصدى والإطاحة بتلك الشردمة الصغيرة التي اعتقدت أنها بؤرة الضباط الأحرار ، وبالفعل كانت التحريات تجري في كل مكان لسحق هذه الحركة ، مما دفع بأصحابها للتعجيل بها . ونحن هنا لا نقيم حركة الضباط الأحرار ، فكفاءتهم وتضحياتهم وشجاعتهم وجسارتهم ووطنيتهم أمر مفروغ منه ، ولكن المتبع لأحداث الحركة منذ ليلة ٢٣ يوليو يجد أن الظروف ساعدتهم ودفعت بهم إلى القيام بانقلابهم ، وأنه كان من الممكن لأى عارض أن يعترضهم ويفشل التخطيط ويذهبوا وراء الشمس ، فقبل الانقلاب بيوم ، ورغم الحيلة الشديدة التي التزم بها أصحابه ، علم المسئولون - وكانوا بمصيف الإسكندرية - أن هناك أمراً يدبره الجيش أكدته التحركات داخله .

وكان فاروق في تلك الليلة وبعد تشكيل وزارة الهلالى وتأديتها اليمين قد هدأ يقيناً منه بأن المشكلات التي اكتنفت الحكم ربما تنتهى ، ولكن سرعان ما تبددت الصورة بوصول نبأ الحركة إليه عن طريق محمد حسن ، فأمر بالاتصال بمحمد حيدر . وحسين فريد ، وأبلغ الأخير أحمد كامل بأن الحركة بسيطة وسيتولى قمعها . أيضاً اتصل النجومي من القصر بحسين فريد ، وكان قبض عليه في مكتبه بالرئاسة ، ومن ثم رد عليه عبد الناصر وأفهمه أن رئيس الأركان في جولة تفتيشية . وتلقى محمد نجيب مكالمات تليفونية من وزير الداخلية ووزير التجارة والصناعة ورئيس الوزراء لوقف الحركة وتهدة الحال والتنبيه بأن النتائج ستكون وخيمة وخاصة أن القوات البريطانية على مقربة ويخشى من تقدمها ، ولكن في نفس تاء. اللحظات كان الضباط قد استولوا على مبنى القيادة وتحركت المدرعات ودخلت القاهرة وقبض على اللواءات ودخل محمد نجيب مقر القيادة .

وحتى الساعات الأولى من صباح ٢٣ يوليو لم يكن فاروق يتوقع أن يكون الأمر أكثر من انتفاضة ، وأنها ليست إلا زوبعة في فئجان وعلى وجه الخصوص بعد أن طمأنه كل من النجومي ومحمد حيدر ، والأخير اتصل بقائد المدفعية ورد عليه نقيب انتحل شخصيته وأكد له سلامة الموقف ، وبالتالي نقله الملك وأدخل في روعه أن قوات المدفعية كلها رهن إشارة

القائد الأعلى ، وما لبث الأمر أن علم بما قام به الضباط ، وعندما سمع أن هناك بياناً سيذاع مع افتتاح الإذاعة أمر كريم ثابت منع إذاعته ، فبادر بالاتصال بمحطة إرسال أبو زعبل وطلب فك المحطة ، وأصدر مرتضى المراغى أمر بقطع التيار الكهربائى ، ولكن أحد الضباط أسرع للمحطة وهدد بالسلاح وأدارها . ورأى فاروق إمكانية إحباط الحركة عن طريق حمن عاكف الذى طار من الإسكندرية إلى ألماتة وهبط على مقربة من السرب الملكى ليطير به إلى أنشاص ومن هناك يتولى المقاومة . ومنى بالفشل لوجود كورونات الجيش ولوصول قوات أطلقت نيرانها فأصابت الطائرات الملكية ببعض الطلقات ، وانتهت حركته بالعودة إلى قصر المنتزه

واتصل الهلالى بالملك وطلب منه تفويضاً للاتصال بالقوات الثائرة وبحث مطالبها ، فأعطاه إياه فطلب من قائد الحركة تأجيل إذاعة البيان ، ولكن الخطة نفذت ، وأذاعه السادات X باسم محمد نجيب الذى أعلن نفسه قائداً عاماً للقوات المسلحة - فى الساعة والنصف من صباح ٢٣ يوليو ، ولم يتعرض بكلمة صريحة لفاروق وأشار إلى الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وهزيمة فلسطين والخيانة ، وبين دور الجيش وهدفه ، وألقى المسؤولية عليه ، وطالب بالتزام الهدوء والسكينة ، وطمأن الأجانب على أرواحهم ومصالحهم ، وأيقن فاروق خطورة الموقف ودقته وانهارت حالته وانقلب استهتاره إلى خوف سيطر عليه ، ودق تليفونه عدة مرات عند السفير الأمريكى ، وفى كل مرة يقول له بوضوح أن التدخل الأجنبى فقط هو الذى يمكن أن ينجيه هو وأسرته ، وإن لم يطلب بالتحديد تدخل القوات البريطانية إلا أن هذا الأمر كان واضحاً .

ويتصل كافرئ بالقائم بالأعمال البريطانى ليقف على رد الفعل عليه ، فيبين له أن عليه تبليغ الملك بأن قائد القوات البريطانية بلغ تبليغاً كاملاً بالأحداث ، وأن وجهة نظره - أى كريسول - الشخصية أن المسألة داخلية بحتة ، وأنه لا يعتقد أن الحكومة البريطانية ترغب فى إستخدام القوات البريطانية لهذا الغرض ، وسأل كريسول السفير الأمريكى عما يمكن أن تكون هذ الإجابة سبباً فى مغادرة فاروق مصر ، فأجابه بأن الملك فى حالة ذعر رهيب ، لكنه سيعمل كل ما فى وسعه ليجعله هادئاً ، وثابتاً فطلب منه القائم بالأعمال البريطانى أن يعطيه مثل هذه النصيحة منه أيضاً ، ويسجل للندن أنه لم تقدم طلبات من المنشقين بعد للملك ، وأنه إذا حافظ على هدوئه فربما يتخطى الأزمة ويخرج منها كحاكم دستورى ، وقد بين لكافرئ - الذى عندما تنقطع الإتصالات التليفونية يبعث إليه برسوله - بأنه لا يزال

يمكنه الاعتماد على البحرية . وفي اللحظة التي كتب فيها كريسول هذا الخطاب لحكومته ، وصل رسول من طرف محمد نجيب - أرسل عن طريق عضو من السفارة الأمريكية - ومعه رسالة بأن الحركة في مجموعها عمل داخلي وهدفها الرئيسى القضاء على الفساد وأن أى تدخل بريطاني سيقاوم .

وتبعث الخارجية البريطانية بردها الفوري الذى توافق فيه على رأى ممثلها بعدم التعرض للحركة لما فى ذلك من نتائج سيئة للغاية ، وأن على كافرئ تهدئة فاروق ، وتتعشم أن يحرص على عدم إتخاذ أى عمل وهو فى حالة الرعب التى تملكه ، وإن عليه الاستمرار فى الإتصال بحكومته التى يمكنها الإتفاق مع محمد نجيب على الشروط ، كما تستحسن أن يجرئ ممثلها الإتصالى بقائد الحركة ، ويكتب وزير الدفاع البريطانى ليؤيد موقف كريسول لما فى ، الوضع من حساسية ، ويبين أنه من الأساس ضرورة تجنب أى عمل يثير القوات المسلحة المصرية ، وأنه لم تظهر أية مخاطر سواء علأ أرواح البريطانيين أو ممتلكاتهم فى مصر ، وأيضا على أمن القوات البريطانية فى منطقة القناة ، وعليه فيجب إلا تتخذ أية تحركات خارج منطقة القناة أو أى عمل يخطط لإغلاقها .

وكان البكباشى ملور قد ذهب فى الساعة الحادية عشرة صباحا إلى القائد المصرى لمنطقة القناة وأثناء الحديث معه إتصل به محمد نجيب ، وعندما علم بوجود الضابط البريطانى طلب التكلم معه ، وسأله عما ستقوم بعمله القوات البريطانية إذا طلب الملك منها التدخل ، فأجابه بأنه ضابط صغير ولا يعرف ، وهنا أخذ القائد المصرى سماعة التليفون لينقل إليه يقينه من أنه لم يكون هناك تدخل لإنقاذ الملك من الوحل الذى وضع نفسه فيه ، ويعت كريسول بمساعد الملحق العسكرى مع بعض أعضاء السفارة .

وفى موضع آخر تذكر د . لطيفة أن الملك فاروق راح عندما شعر بنهايته يعد لآخر رحلة له ، ولم يكن باقيا إلا ساعات قليلة ، ويسجل أنه اصطحب معه صناديق وحقائب وطرود بلغت ١٥٠ فى عددها وقليل من الملابس ، ولم يتمكن من نقل حاجياته الشخصية حيث كانت فى القاهرة ، أيضا لم يصطحب معه شيئا وقت أن ترك قصر المنتزه إلى قصر رأس التين . لكنه أمر بإحضار حقيقتين من القصر الأول وكان شغوبا بهما ، وقام بالمهمة ساعى بوللى . وبهذا الصدد أثرت مشكة عقب السفر مباشرة إذ أدلى بوللى بالقول أن فاروقا أخذ معه مجموعة من سبائك الذهب ، مما أثار الضباط وأغضبهم وجعلهم يضغطون على أن تحاصر المحروسة بطائرات حربية لإعادتها ثانية بمن عليها ، وتدخل كريسول وأخبر على ماهر بأن هذا العمل سيكون حقيرا وغير مهذب ويسبب إنطبعا يؤسف له فى الخارج ، وأنه لا بد أن ينزل فاروق وأسرته بسلام إلى البر ، ويمكن للحكومة بعد ذلك الإتصال الدبلوماسى

بحكومة إيطاليا لإعادة المحروسة وسبائك الذهب . ومن ثم نشر تكذيب بأن ما صرح به بوللى مضلل ، وأن الإجراءات التفتيشية للمحروسة كانت دقيقة حتى لقد أعيد منها إلى القصر ما أخذ من غير الحاجيات الخاصة لفاروق . والواقع أن الجزم فى مسألة هذه السبائك صعب ، فإحتمالات التنفيذ قائمة نظراً لأن مثل هذا السلوك ليس بمجديد على فاروق ، فله السوابق فى ذلك ، بالإضافة إلى شهوته للثروة خاصة أنها آخر فرصة ، كما أن احتمالات عدم وقوعها واردة نظراً للإرتباك الذى أحاط به وبجاشيته - التى كانت تتولى المهمة فيما سبق - مما يعوق التنفيذ .

وتناول فاروق غداءه على المائدة الملكية ، واستعد للرحيل وكان مرتدياً لباس أمير البحر ، ويذكر أنه أرسل كلمة إلى زوجته السابقة عن طريق أحد الخدم تفيد بأن بناتها قررن السفر مع أبيهن . ولم تصل الرسالة إلا بعد أن غادرت المحروسة الإسكندرية ، وبالتالي فلم تأت لتوديعهن ، وقد خشى أن يبعث بهن لوداعها فرجماً لا يعدن ، والتقى فاروق بأخته فوزية وفايزة وزوجيهما ووالدة ناريمان ، وفى الساعة الخامسة وصل للقصر رئيس الوزراء وكافرى ومعه سامبسون ، وتحدث فاروق مع السفير الأمريكى قائلاً : أمل ألا يكون ما قمت به من عمل فى هذا الصباح ما يسبب إزعاجاً لك مع حكومتك ، فأجابه بأنها مهتمة للغاية بسلامته ، وقد كان حريصاً على تلك الحماية حتى آخر لحظة ، وينقل كافرى لحكومته أن فاروق ركز فى حديثه معه أمام رئيس الوزراء على أنه لم يهرب وإنما أرغم على مغادرة البلاد ، ويصور حالته فيذكر أنه لم يكن سعيداً وبدأ عليه القلق بشأن مستقبل مصر ، وقد طلب منه أن تقابل يخته إحدى قطع البحرية الأمريكية فى مكان ما بالبحر المتوسط لحمايته ، ولكن السفير الأمريكى جعله يفهم عدم إمكان تلبية مثل هذا الطلب ، ويبين على ماهر إنه تحتاج بأن الاسطول فى أثينا والوقت ضيق . وشكر فاروق رئيس الوزراء وطلب منه إعداد الأمور لابنه الذى أصبح ملكاً لمصر ، فرد عليه بأنه سيقوم بعمل كل ما فى إمكانه ، ولم يعط وعداً قاطعاً ، وأخيراً توجه فاروق حديثه إلى كافرى وعلى وماهر معا ويصرح بأن الذين اضطروه للخروج من مصر مجرمون تماماً وأنهم لن يستمروا فى الحكم إلا أياماً قليلة .

ورست المحروسة على رصيف رأس التين فى الساعة الخامسة ، وأعطت القيادة الأمر لجلال علوبة بالإقلاع بها وإعادتها ، ورافقه بعض " حة " ، كما سمح لستة ضباط من الحرس الملكى وبوليس القصر بالسفر عليها والعودة معها ، إلى السادات مهمة الإشراف على خروجها إلى عرض البحر . وكان فاروق قد تعهد بإعادتها فور نزوله للبر ، ولكن وكما يذكر كريسول لحكومته فإن الشك الذى ساور الضباط بخصوص عدم تنفيذ تعهده والإحتفاظ بها أدى إلى إصدار التعليمات للسفير المصرى فى روما أن يعيدها حتى لو كان هناك إدعاء بأنها بحاجة

إلى عمرة عاجلة في حوض إصلاح السفن بإيطاليا . وفي الساعة الخامسة والنصف غادرت ناريمان وأحمد فؤاد وفريال وفوزية وفادية القصر حيثما استقلوا زورقا بخاريا إلى المحروسة ، وحيا فاروق موظفيه وضباطه ، وكانت الساعة السادسة إلا عشر دقائق ، ولما لم يكن محمد نجيب قد حضر بعد ، انتفض واقفا وقال إنه انتظر طويلا ، ووضع قدمه على آخر درجة من سلم القصر وانزل العلم الملكي من سارية القصر ، وعلى أثر نزوله تفقد حرس الشرف وعزفت الموسيقى السلام الوطنى . وتقدم الضابط الذى كان يحمل العلم ، فطواه وسلمه له كما تقضى التقاليد العسكرية ، وحلقت أربع طائرات نفائة مشاركة في التحية ، واطلقت المدفعية ٢١ طلقة وأدى حرس الشرف التحية العسكرية ، ويسجل كريسول الموقف للندن بناء على وصف السفير الأمريكى ، فيذكر أن ضباط الحرس والخدم انهاروا وانهمكوا في البكاء ، ولكن فاروق كان رابط الجأش . وصافح المودعين ، وتوجه لرئيس الوزراء قائلا : «ادعو لكم بالتوفيق وأتمنى كل الخير للبلاد ، ويجب على الإنسان أن يخضع لحكم الظروف والأقدار ، وأسأل الله للجيش وللبلاد كل نجاح ، وواضح الإدارة في هذا القول الذى لا ينم عما في قلبه من حقد وكراهية لرجال الجيش القائمين على الحركة وهو ما سبق ان عبر عنه ، ولم يستطع على ماهر في تلك اللحظات الحرجة إلا أن يمسح دمعة طفرت من عينيه تأثرا ، فمن الضروري أن شريط الذكريات دارت عجلته بسرعة أمامه من إستقباله في نفس المكان عند عودته من بريطانيا للمناداة به ملكا عقب وفاة أبيه إلى لحظة الوداع . وركب فاروق الزورق البخارى وفي معيته بعض رجال القصر متجها إلى المحروسة بينما كانت المدمرة فاروق تواصل إطلاق مدافعها تحية له^(١) .

* وهكذا ... بدأ عهد جديد ، على أنقراض عهد سابق .. وبدأ صباح ثورة يوليو يشرق ، ولكن إشراقه اختلف عند الكثيرين ... وكأن الاختلاف هو سمة هذه الحقبة من تاريخ مصر المعاصر .

(١) د . لطيفة سالم - مصدر سابق - ص ١١٦



في الأشهر القليلة الأولى للثورة لم يكن أحد قد عرف بعد أسماء أعضاء مجلس قيادتها ولم يكن أحد قد عرف دوره كقائد للثورة ورئيساً لجلسها ، وكان يتردد على مبنى مجلس الوزراء في شارع قصر العيني ، فإذا ما نزل من سيارته سكت كل ضجيج وتنبه الضباط الحاضرون ، ولفتت هذه الظاهرة نظر المصور فالتقط له يوماً هذه الصورة وفي فكره أنه لابد أن يكون مهماً ، وبعد قليل عرفت الحقيقة وأعلن الدور الحقيقي للبكاشي جمال عبد الناصر .

... ملحق الفصل الثانى

معنى الثورة فى مدركات عبد الناصر

معنى الثورة :

الثورة : تغيير أساسى لنظام المجتمع تبدأ بها قلة تعبر عن الكثرة . ويتسع نطاقها تعبيراً ومشاركة بحيث يتيسر عن هذا الطريق وحده إيجاد التغيير المطلوب .
(العيد الثالث عشر للثورة ١٩٦٥/٧/٢٦ م)

* الثورة والإنقلاب :

فرق كبير بين الثورة وبين الانقلاب .. أما الثورة فهي الحصول على السلطة من أجل التغيير الواسع .. تغيير المجتمع من الواقع الذى يثور عليه إلى المستقبل الذى يطالب به .. قد تبدأ الثورة بالقلة ، وإن كانت أهدافها تعبر عن أهداف الكثرة .. ولكن الثورة بالعمل والممارسة من أجل تحقيق أهدافها .. تصل إلى حد التعبير عن الكثرة وتصل من الاستثناء إلى الكثرة .. عمل الثورة يتسع ويكبر وتزداد المشاركة كل يوم وكل ساعة وكل سنة ..

الإنقلاب جماعة من الناس تتآمر بالمؤامرة أو المغامرة ويصلو إلى السلطة والسلطة هدفهم .
(العيد الثالث عشر للثورة ١٩٦٥/٧/٢٦ م)

لقد كان يمكن أن يتحول الحدث الكبير الذى جرى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م إلى مجرد تغيير للوزارة أو تغيير لنظام الحكم .. وكان يمكن أن يتحول إلى ديكتاتورية عسكرية تضيف إلى التجارب الفاشلة تجربة أخرى فاشلة .. لكن أصالة الوعي الثورى وقوته .. قررت أن يكون الحدث الكبير يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م خطوة على طريق تغيير جديد كامل يعيد الأمانى الوطنية إلى مجراها الثورى السليم .

الثورة ليست فرد .. إذا تخلصوا منه تنحل كل مشاكلهم ولا عدة أفراد إذا كانوا يتخلصوا منهم تنحل مشاكلهم ..

الثورة شعب .. الثورة تغيير مستمر بالشعب وبآمال هذا الشعب .

إن مصدر القوة العظيمة للثورة هنا أن الشعب قد تحرر وسوف يقدم الرجال واحداً بعد واحد ويصنع المعجزات معجزة بعد معجزة فى ثبات وفى عزم وفى دوام .

(العيد الثالث عشر للثورة ١٩٦٥/٧/٢٦ م)

*الثورة والسلطة :

كل ثورة في الدنيا تستولى على السلطة تقابلها مشكلة المحافظة على هذه السلطة وتوجيهها لتحقيق الهدف الشعبى ، كيف تستطيع أى ثورة استولت على السلطة أن تحافظ على هذه السلطة ؟

لو درسنا تاريخ حركات ثورية كثيرة نجد أنها حصلت على السلطة ولكنها لم تستطع أن تحافظ على السلطة أبدا .. ليه - فى رأى فيه مفاتيح كثيرة ضرورية لفهم المشكلة وفيه أسئلة كثيرة مثلا :

ما هو الخلاف الاجتماعى ؟

ما هو التناقض الطبقي ؟

ما هو التمزق الذى يمكن أن ينتج عن تدخل الدول الإستعمارية فى البلاد التى تشابه بلادنا ؟

السلطة فى النهاية هى الهدف التى تريد هذه الخلافات الاجتماعية والتناقضات الطبقيه والتدخل الخارجى أن تحصل عليه لكى تضمن توجيه الأمور لصالحها .

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧ م)

بعد قيام الثورة والاستيلاء على السلطة يجب على كل ثورة أن تبحث وتدرس كيف تحافظ على هذه السلطة .. إن أى ثورة تستولى على السلطة لا يمكن لها أن تحافظ على السلطة إلا إذا طبقت شعاراتها تطبيق واضح .

الرجعية أقوى من الثورة خصوصا فى أيامها الأولى . لأن الرجعية لها جذور والرجعية لها أسلحة والرجعية عندها أساليب ..

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧ م)

إن هناك نقطتين بارزتين فى كل ثورة :

١ - إن الثورة فى منطقتها مهما ذهب الفلاسفة فى تحديد الدوافع هى إرتفاع شعب من الشعوب فوق الأثقال والأغلال التى تقيده ، وتصميمه بالحزم والعنف على أن يقفز فوقهما إلى وضع يمكن جماهيره الحرة من أن تعمل بغير عوائق وتجند طاقاتها الكاملة لبناء مجتمع جديد

٢ - إن الثورة فى هدفها مهما تنوعت الاجتهادات : هى حياة أفضل بالنسبة للجماهير المعاملة وليست الشعارات هى الهدف وإنما الهدف هو تطوير المستويات الاقتصادية والثقافية

للشعوب وتأمينها ضد كل الضواغط .

(مجلس الأمة في ١١/٥/١٩٦٤)

إن المحافظة على هذه السلطة هو تجريد أعدائها - أعدائها الاجتماعيين من أسلحتهم الأساسية مع حساب أن العدو والرجعية من باب أولى بعد الثورة دائماً أقوى من الثورة خصوصاً إذا كانت أهداف الثورة غامضة .

(المصدر السابق)

الحقيقة لكي تحقق هذا الهدف لابد أن نكون على درجة كبيرة من الوضوح أولاً بيننا وبين أنفسنا ثم بيننا وبين الشعب .. أنت لما تقول إشتراكية معناها إنك تبقى ضد الإستعمار العالمى وضد الرأسمالية العالمية .

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧ م)

إذن توضيح أهداف الثورة .. وتجريد أعدائها من كل سلاح هو العامل الأول لضمان استمرار الثورة . العامل الثانى لإستمرار الثورة هو تجميع قوى الشعب العامل .

إذا لم يجمع الشعب العامل كله إلى يشعر أن الثورة قامت لتحقيق أهدافه وأمانه ستستطيع الرجعية والرأسمالية أن تجذب جزء كبير من هذا الشعب العامل وتغري به .. وتخدعه .. وخصوصاً جزء كبير من الطبقة المتوسطة بأفهامهم بأن مصالحهم مهددة .

معركة استمرار الثورة لازم تقوم على أساس علمى وعلى أساس واضح وعلى أساس سليم .

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧ م)



عبد الناصر

الفصل الثالث الضباط يحكمون

عبد الناصر واستقرار الحكم

١٩٥٢ ~ ١٩٥٤
السياسات والأفكار





الضباط يحكمون عبد الناصر واستقرار الحكم (١٩٥٢م - ١٩٥٤م) السياسات والأفكار

* كان عبد الناصر ، كما قال المؤرخون فيما بعد ، هو الدينامو ، والمحرك لإحداث ثورة يوليو ١٩٥٢م ، وكان اللواء (نجيب) هو الواجهة ، والمظهر العام الهادى الذى تم تقديمه للشعب ، وللسفارات الأجنبية ، صباح يوم ٢٣ يوليو ، كان مظهراً فقط ، أو هكذا أريد له أن يكون ، ولكنه حاول الخروج عن النص المعد له سلفاً ، فكانت نهايته بعد أزمة مارس ١٩٥٤م ، وطيلة الفترة من يوليو ١٩٥٢م حتى مارس ١٩٥٤م ، كان عبد الناصر وتنظيمه السرى (الضباط الأحرار) يحاولون خلق الاستقرار السياسى - كما يفهمونه - وكانت المصاعب عديدة ، وفى هذا الجزء من بحثنا ، نحاول تلمس بعضها ، وموقف عبد الناصر وزملائه منها ، خاصة وأن مصر كانت على شفا انفجار شعبى جارف عشية يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢م ، واستمرت الظروف الموضوعية المساعدة لهذا الانفجار لأكثر من عامين متواصلين إلى أن تمكنت قبضة عبد الناصر من الحكم ، ومن الإطاحة بكافة منافئيه .

وسوف نبحور الحديث فى هذا الجزء من الدراسة فى المحورين التاليين :

أولاً : وثائق انفجار يوليو (قراءة فى المقدمات) خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م)

ثانياً : سنوات القلق : التطورات السياسية والفكرية خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م)

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : وثائق انفجار يوليو قراءة فى المقدمات :

كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، هى النتيجة النهائية المتوقعة لمقدمات سياسية واقتصادية طويلة (سبق تفصيل بعضها فى الفصل السابق) وفى هذه العجالة ، نقدم بعضاً آخر من تلك المقدمات الطويلة التى مهدت الطريق أمام ضباط يوليو ، وبداية لتأمل الوثائق الدولية ماذا تقول عن تلك الفترة من تاريخ مصر المعاصر .

كتب السير «رالف ستيفنسون» يقول فى تقرير مطول وصفه محمد حسنين هيكل فى

كتابه الهام «حرب الثلاثين سنة : الجزء الأول ملفات السويس ص ١٣٣» بأنه كان أخطر وثيقة تشهد على العصر كله ، لقد كتب ستيفنسون يقول :

١- إن التدهور التدريجي للأمن العام والنظام ، وتطور الموقف السياسى المصرى منذ أن تولت حكومة الوفد السلطة فى يناير/ كانون الثانى ١٩٥٠م ، وعلى وجه الخصوص السرعة المتزايدة لهذا الاتجاه ، من الصيف الماضى ، وصولاً إلى آمال الشعب فى القاهرة ، وانهيار سياسة الوفد فى ٢٦ يناير/ كانون الثانى الماضى ، قد جعل الكثير من المراقبين ممن لهم معرفة جيدة بالتاريخ المصرى يشعرون بالتشاؤم البالغ بالنسبة للمستقبل . والتمعن فى التقلبات القصيرة المدى فى الأحوال هنا ، فلقد أخبرنى هؤلاء المراقبون إن كل هذه الأشياء إنما هى أعراض للإنهيار التدريجى والسريع لمصر إلى حالة الإفلاس المالى والفوضى الإدارية ، والحرب الأهلية المحتملة . وسيكون هذا متفقاً كلية من واقع التاريخ المصرى على مدى الثلاثة آلاف سنة الأخيرة .

٢- وإننى لعلى إقتناع بأن هناك الكثير من الحقيقة فى هذه النبوءة المقبضة ، ولذا فإن هذه لحظة مناسبة للنظر فيما إذا كان ينبغى لنا ، فى حقيقة الأمر ، ألا نتناول مشكلة مصر من وجهة نظر جديدة تماماً ، ولقد انبثقت سياستنا إزاء مصر حتى الآن أساساً من تخطيطنا الدفاعى من أجل شرق البحر المتوسط والشرق الأوسط ، والذي قام فى حد ذاته على افتراض أن مصر ستظل دولة مستقرة استقراراً معتدلاً ، وصديقة بشكل معقول . وعلى هذا الأساس فقد وجهت سياستنا نحو بلوغ إتفاق دفاعى تكون مصر به محور نظامنا الدفاعى فى هذا الجزء من العالم ، مع إعطاء مصر فى الوقت نفسه كل ما بإستطاعتنا أن نقدمه من دعم . على أن الأحداث الأخيرة قد جعلتنى أتشكك فيما إذا كان أى من الافتراضين - الإستقرار المعتدل أو الصداقة المعقولة - قائماً اليوم أو يحتمل له أن يسرى فى المستقبل .

٣- وليس من الممكن فى هذه الأيام العثور على علاج ناجح لمثل هذه الأمور . فعلى الرغم من أن المساعدة الاقتصادية وحدها يمكن أن تفعل شيئاً ما فى تقليل التوتر ، إلا أنه لا يمكن الإعتماد عليها وحدها لعلاج جذور المتاعب ، وهى جذور اجتماعية وسيكولوجية ، والتدخل العسكرى وإعادة إحتلال مصر . كما يقام من خلالها نظام إدارى أقوى مما يستطيع المصريون أنفسهم إقامته - نظام كرومرى آخر فى حقيقة الأمر - أمر مستبعد لعدة أسباب ، سياسية وعملية على خد سواء . ولذا فإننا مضطرون فى الوقت الذى نمارس فيه نفوذنا الدبلوماسى والاقتصادى ، ممارسة كاملة ، إلى أن نقبع فى الدور غير المريح للغاية ، وهو دور المراقبين بينما تعمل قوى الإنهيار والتفريق والفوضى على إعادة مصر تدريجياً إلى التبعية والدور

غير الخلاق الذى ظلت تلعبه فى هذه المنطقة منذ بداية العصر الإسلامى .

٤- كما أشعر إنه من الضرورى التحذير من أنه لم يعد لدينا ، فى رأى ، مبرر للأعتماد فى أى ظروف منظورة على موافقة مصرية لإعادة إحتلال بريطانيا للدلتا واستخدامها كقاعدة فى زمن الحرب ، بالرغم من أنه قد يمكن ترتيب تسهيلات فنية معينة ، مثل استخدام وسائل الإتصالات . والاحظ من الكتاب ، رقم ٦٤٤ (ام . اى) سى . أو . اس . الموجه من رؤساء الأركان السى (ام . اى) لى . دى . سى . سى . أنه يجرى الآن وضع خطط لتغطية كل من حالتى التعاون غير العسكرية المصرى (واحتماله - كما أوضحت أعلاه - بعيدا جدا) والعداء المصرى لنا فى زمن الحرب . ومن رأى أن الحالة الراهنة للرأى العام المصرى هى أن علينا أن نأخذ فى حسابنا ، فى الحالة الأخيرة ، حدوث مقاومة عنيفة لأى محاولة للحصول بالقوة على التسهيلات التى نحتاجها فى الدلتا ، وباستمرار الإلتزام من ناحية القوات ، «بإبقاء مصر عند أدنى حد» بدرجة أتصور أنها قد لا تكون مقبولة فى حرب كبرى ، ولا سيما عند بدايتها . ومصر الآن تموج بالقلق وتغص بالحملاء وبمنظمات ذات طابع وطنى متطرف أو ثورى (وهى فى كلتا الحالتين منظمات عادية لبريطانيا) . بحيث أنه حتى ولو نجحنا ، وباستخدام قوة السلاح ، وفى مواجهة مقاومة القوات النظامية المصرية ، فى أن نعيد ارساء وجودنا فى الدلتا ، فإننا سنواجه بطابور خامس نشيط للغاية ، ومثير للمتاعب يتكون من المتعاطفين مع العدو ولذا فلو كان تخطيطنا الإستراتيجى يقوم على أساس ثابت وواقعى فينبغى أن يكون الافتراض أننا سنستطيع ، فور نشوب الحرب ، أن نتحرك من مكان آخر ، وأن نعيد تنشيط قاعدتنا فى منطقة قناة السويس ، وليس أننا سنستطيع التحرك إلى الدلتا ذاتها ، وأن نستخدمها استخداماً كاملاً كقاعدة ، وفى كل الحالات ، بدون قبول التزام باهظ للغاية ودائم بأن نفعل ذلك باستخدام القوة .

٥- وإذا انتبهنا ، بكل تلك الأسباب ، إلى استنتاج أنه لا يمكن لإستراتيجيتنا أن تقوم بعد الآن على أساس مصر ، فسيكون من المهم بالدرجة الأولى أن نحجب مصر عن نفوذ قوى يمكن أن تكون معادية لنا ، وسيكون هذا هو الهدف الغالب فيما يتعلق بعلاقتنا بمصر ، وأرى أنه هدف أكثر سهولة إلى متناولنا من أن نحاول بناء مصر ثانية على الوضع الذى كانت عليه من قبل . فى الوقت الذى يمنع عنا فيه السلاح الرئيسى الذى يمكننا من ذلك ، ويبدو أنه لن يمكن للمشكلة السياسية المصرية أن تحل فى آخر المطاف إلا بطريقة من اثنتين : أما بحكم البلاد بطريقة مباشرة ، أو بطريقة غير مباشرة بواسطة قوة خارجية ، أو بترك مصر تسير فى طريقها الخاص . وليس من الممكن التوصل إلى حل وسط بين هاتين الطريقتين ، كما أوضحت ذلك بشكل متزايد التطورات منذ عام ١٩٣٦م . على أنه ، فى ظل البديل

الثاني ، فإن الهدف المحدود بحجب مصر عن النفوذ المعادي قد يكون عملياً أكثر من ذلك المتعلق بتأمين الظروف الضرورية لنظام دفاعي يعتمد على هذا البلد .

٦- وليس لي أن أتقدم برأى عن تفاصيل التخطيط الإستراتيجي . على أن خط التفكير الذي فصلناه فيما سبق يقودنا إلى استنتاجين :

(أ) إن النظام الدفاعي للشرق الأوسط ينبغي أن يتركز في منطقة الشمال الشرق لمصر حيث تلعب إسرائيل ودول الشام أدواراً هامة ، ويكون للأولى وضع رئيسي ، وهذا قد يؤدي إلى إقترح بنقل بعض قواتنا البرية المقاتلة تدريجياً إلى موقع ، يمكن لها منه أن تتعاون مع الجيش الإسرائيلي ، وأن تطور «باباً خلفياً» لخطوط الإتصال (مثل العقبة) .

(ب) إنه ينبغي خلق ضمان آخر للسيطرة الغربية على قناة السويس ، سواء بتدويل المنطقة أو خلاف ذلك ، لتحل محل مفهوم القرن التاسع عشر الذي كان قابلاً للتنفيذ ، اعتماداً فقط على وضعنا المهيمن في مصر ذاتها .

٧- ولذا فإنني أتقدم بالقول بأن الوقت قد حان لكي نضاعف من محاولتنا الراهنة للتوصل إلى تسوية دفاعية مرضية مع مصر ، خلال خطة محددة مرحلية (على أساس القوى الأربع) لكي نقيم الدفاع عن الشرق الأوسط على أسس أكثر ثباتاً عن تلك التي يوفرها المسرح السياسي المصري ، وهو ما يمكن لنا أن نرجع إليه وقت الحاجة ، وفيما يتعلق بمصر فيجب أن يكون الغرض هو حجبتها عن أي نفوذ معاد ، والقضاء على أي خطر لإقامة الكتلة السوفيتية لوضع مهيمن هنا ، وفي الوقت نفسه إقامة نظام جديد لمنطقة قناة السويس . إن أي دليل على إننا مستعدون للرجوع إلى مثل تلك الخطة البديلة ، وإننا مستعدون بالفعل لعزل مصر كعدو محتمل يجب أن يكون له أيضاً ميزة عرضية باستشارة المصريين أنفسهم إلى قبول إتجاه أكثر واقعية إزاءنا ، وهم لا يزالون مقتنعين بأنه لا يمكن لنا الإستغناء عنهم - وهي حقيقة تجعلهم متصلبين بصورة عمياء - وأي تصرف واضح يظهر عكس ذلك ، قد يجعلهم يبدون مزيداً من الحرص على تسوية مشاكلنا المشتركة ، والتي يبدو لهم في الوقت الراهن أننا نتحمل كل المسؤولية عنها ، ومن ثم تجلب علينا العار كله .

وذلك ما تقوله إحدى هذه الوثائق الدولية الهامة (وما أكثرها) . [انظر الوثائق المرفقة في نهاية الكتاب] .

وإذا ما تأملنا مذكرات رجال الثورة أنفسهم عن تلك الفترة ، لشاهدنا نماذج متشابهة ، ففي مذكرات (صلاح نصر - مصدر سابق ص ٨٥) نراه يرصد الحقائق التالية :



عبد الناصر بعد اعلان الجمهورية ١٩٥٤.

بعد إقالة حكومة الوفد ، كلف الملك على ماهر بتأليف الوزارة .. وكان على ماهر إلى إشراك الأحزاب السياسية المعارضة معه في الوزارة ، ظنا منه بأن تجمع الأحزاب سيفيد مصر .. ولكنه لم ينجح ، فقام بتأليف وزارة مستقلة لم يطل عمرها أكثر من أسابيع ، إذ قدم على ماهر إستقالته في اليوم الأخير من شهر فبراير عام ١٩٥٢ م .

وكلف الملك أحمد نجيب الهلالي بتأليف وزارة مستقلة .

وكان نجيب الهلالي من أقطاب الوفد ، ولكنه اختلف مع النحاس ورفض الإشتراك معه في وزارته الأخيرة .. فما أن تولى رئاسة الوزارة ، حتى أخذ يندد بسياسة الوفد ، ويطالب بحل مجلس النواب الوفدى ، وبإجراء إنتخابات جديدة .

واعتمد الهلالي في حكمه على علاقة التفاهم مع القصر ، بينما وقف موقف العداء من الوفد ، وموقف التباعد من المعارضة ..

ومع ذلك لم تعمر هذه الوزارة كثيرا ، إذ قدم الهلالي إستقالته في ٢٨ من يونيو عام ١٩٥٢ م ، وكلف الملك حسين سرى بتأليف الوزارة .

والواقع أن خروج الهلالي من الوزارة كان نتيجة مؤامرة قام بتديرها أحمد عبود وكريم ثابت وأنطون بوللى للتخلص من وزارة الهلالي ... وقيل أنهم اجتمعوا في باريس لتدبير المؤامرة ، وإن عبود دفع مليوناً من الفرنكات السويسرية ثمناً لرأس الوزارة .

وقام حسين سرى بتأليف الوزارة ، يدخل فيها كريم ثابت وزيراً للدولة ..

لقد أصبح الحكم في مصر مهلهلاً ، فالحكومات تتعاقب دون أن تستطيع أن تعيد الإستقرار للبلاد .. والناس يتحدثون عن الفوضى والفساد الذى يسود البلاد ، ويتوقعون أن أحداثاً داخلية جسيمة لابد أن تفرض نفسها .

وأصبح الحديث عن الضباط الأحرار يدور داخل الجيش في وسط الهيئات وجاء حادث نادى الضباط ، ليظهر للناس الصراع الخفى بين الملك والضباط الأحرار .

حالة من البلبلة الفكرية والتشوش تسود الجيش والشعب .. وكان حسين سرى يعلم بنشاط تنظيم الضباط الأحرار ... دون أن يعلم الأسماء .

وكانت إنتخابات نادى الضباط هى المظهر الواضح لصراع الجيش ، فاقترح حسين سرى على الملك أن يعين اللواء محمد نجيب رئيس النادى المنتخب وزيرا للحربية ، ظنا منه أن فى ذلك علاجا مؤقتاً للتذمر الذى كان يسود الجيش .. وفاته أن تنظيم الضباط الأحرار لم يكن

ينتمى إليه نجيب في ذلك الوقت .

ومع ذلك رفض الملك إقترح رئيس حكومته واعتبر هذا الإقترح بمثابة ضعف من رئيس وزرائه ، سوف يغرى هذه الشرذمة من الضباط للمغالاة في مطالبهم .

وقدم حسين سرى إستقالته فقبلها الملك ممتعضاً .. وقام بتكليف الهلالى بتأليف وزارة جديدة ، وحاول الهلالى تعيين محمد نجيب وزيراً للحربية ، فما كان من الملك إلا أن قام بتعيين قواد شيرين زوج اخته الأميرة فوزية وزيرا للحربية .

وكانت وزارة الهلالى آخر وزارة في عهد فاروق . وأصبح موقف تنظيم الضباط الأحرار حرجا ، فأى تأخير في تحرك التنظيم قد يمكن الملك من القضاء عليه .. ولذا كان لابد لنا أن نقوم بعمل شئ ما .. فحدث ما حدث ليلة ٢٣ يوليو على نحو ما سألينه^(١).

لقد تعاقبت أربع وزارات في مدى ستة أشهر .. صورة لحكم مهلهل ، تسوده الفوضى ، ويسوده الصراع الدامى بين الملك والجيش .. ولذا كان لابد أن ينشب التصادم وقد حدث . ويقول صلاح نصر في مذكراته أيضا :

أنه في أواخر يونية عام ١٩٥٢م صدرت الأوامر إلى الكتيبة الثالثة عشر مشاة (كتيبتى) بالتحرك من العريش إلى معسكر العباسية بالقاهرة بعد إنهاء مدة خدمتها في سيناء .

وكان من المفروض وفقا لتقالات وحدات الجيش ، أن تبقى الكتيبة في هذا المعسكر شهرين ريثما تستعد للتحرك إلى السودان ، لتغير كتيبة أخرى انتهت مدة خدمتها بالسودان .

وكان العرف أن تقوم الكتيبة المنقولة إلى السودان بتسليم جميع معدات عدا البنادق والرشاشات الخفيفة وذخيرة الخط الأول .. وحينما تصل الكتيبة إلى الخرطوم تسلم معدات الكتيبة التى ستغيرها .. وتعود الكتيبة الأخرى من السودان بينادقها ورشاشاتها فقط .

ولذلك صدرت إلينا التعليمات من رئاسة الجيش بتسليم حملة الكتيبة وعرباتها المجنزرة ومدافعها واحتياطى ذخيرتها .

وكان تنظيم الضباط الأحرار قد قرر من قبل تأجيل قيام الثورة عامين على الأقل من موعد قيامها .. وفى أثناء حريق القاهرة كانت هناك نية لقيام الثورة في شهر مارس عام ١٩٥٢م ،

(١) تكتسب مذكرات صلاح نصر أهميتها من القيمة السياسية لصاحبها ، والذي مثل رمزاً للرعب السياسى طيلة عهد عبد الناصر وللخص فى شخصه وسلوكه كل سلبات تلك المرحلة من تاريخ مصر ، من هنا كانت لرؤيته أهمية خاصة لمن يريد التأريخ للأحداث (المؤلف) .

ولكن هذه الفكرة استبعدت ، إذ لم تكن قد تأهنا بعد للعمل .. وكان القصر قد بدأ يحس بنشاط الضباط الأحرار ، وتحديهم للملك في إنتخابات نادى الضباط .

ولذا أسرع الملك وأصدر أوامره بسحب الجيش إلى ثكناته ، وبدأ يستخدم حرسه الخاص «الحرش الحديدى» فى تنفيذ عمليات الاغتيال .. وكان المرحوم اليوزباشى عبد القادر طه أحد ضحايا الملك فى عمليات الإغتيال .

وكانت هناك صلة قبل قيام الثورة بين تنظيم الضباط الأحرار وتنظيم «حدثو» الشيوعى أو ما يطلق عليه الحركة الديمقراطية للتجمع الوطنى ، وذلك عن طريق جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وأحمد حمروش .

وكان من المعروف أن عبد الناصر كان منضمًا إلى «حدثو» تحت اسم حركى يدعى «موريس» .

وتطورت الأحداث بعد إستقالة وزارة الهلالى الأولى فى ٢٨ من يونيو عام ١٩٥٢م ، مما عجل بموعد الثورة .. إذ بدأ الصراع بين تنظيم الضباط الأحرار والقصر يظهر على السطح .. وأثارت إنتخابات النادى غضب الملك ، وأخذت السلطة تسعى جادة لكشف التنظيم ، وأصبحت بعض الأسماء من ضباط الجيش معرضة للإعتقال والفصل ، وكان من بينها بعض الضباط الأحرار ، ومعنى ذلك أن تنظيم الضباط الأحرار أصبح معرضا للضرب من الملك .

*هذا ولقد جاءت المرحلة الفاصلة فى مرحلة ما قبل الثورة فى أول يوليو ١٩٥٢م حين قام جمال بالأجازة الثانية له بعد حرب فلسطين وتوجه إلى الأسكندرية ، وكان الجهاز كله يعمل فى صمت وسكون فى القاهرة ..

وفى يوم ١٢ يوليو عاد إلى القاهرة بعد أن اطمأن على قواته فى الأسكندرية .

وفى ١٥ يوليو بدأت الحوادث والأخبار ترد إلى جمال بعزل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش فى داخل الجيش ، ثم الإتجاه بعد ذلك إلى الشعب ، وبإتجاه الطرف الآخر إلى كبت الشعور القومى والتنكيل به .

وكانت هذه هى إشارة الخطر .

يقول جمال عبد الناصر فى مذكراته - مصدر سابق مجلة المصور ، نوفمبر ١٩٥٢م - : «فاجتمعنا وقررنا أن نتخذ إجراءً مضاداً وفى أقرب وقت ، فكان أماننا خطتان ، الخطة الأولى أن يقوم الجهاز الخاص بالعمل بإغتيال جميع الخونة المصريين ، والخطة الثانية كانت



عبد الناصر قبل أن يخلع الزي العسكري ١٩٥٣

أن يقوم جميع الضباط الأحرار بالعمل لتغيير النظام بأجمعه .

وقررنا في ١٨ يونيو تنفيذ الخطة الأولى ، بل لقد وضفت هذه الخطة فعلا موضع التنفيذ ، وصدرت الأوامر بتنفيذها في القاهرة والأسكندرية يوم ٢٠ يوليو ، ولكن ...

اجتمعنا يوم ١٩ يوليو ، ووجدنا أننا بذلك قد نقضى على حركة الضباط جميعا ، إذ أن النظام سيبقى مهما قتل من أنصاره وستكون النتيجة حملة من الإرهاب في الجيش وبين أفراد الشعب ، وسيكون الضرر الذى يحل بالبلاد كبيرا .

ولذلك قررنا إلغاء الخطوة الأولى ، وتنفيذ الخطة الثانية وكلف عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وأنا بوضع الخطة التنفيذية .

وصدرت الأوامر للضباط الأحرار بعدم ترك منازلهم من الساعة الثالثة بعد الظهر إلى السادسة يوميا ، واستدعينا من في خارج القاهرة بالأجازة للعودة إليها للإستعداد .

وفي يوم ٢٢ يوليو اجتمعت اللجنة التأسيسية لأخذ الأوامر النهائية ، وتم إصدار الأوامر في الساعة الخامسة .. وخرج أفراد اللجنة التأسيسية للتنفيذ .

هذا ويروى عبد الحكيم عامر قصة الساعات الفاصلة في تاريخ الثورة من خلال حواراته العديدة (انظر نص كلماته في أنور الجندى .. مصدر سابق ص ٥٧) .

«نحن في أوائل يوليو ١٩٥٢م والوزارة وزارة ، السيد حسين سرى ، وموجات السخط تجتاح النفوس ، وتزداد وطأتها كلما قامت وزارة وراحت أخرى بسرعة مجنونة يحرك خيوطها ملك مجنون وعصبة فاجرة ، وجاء فى جمال عبد الناصر ، وحسبتها زيارة عادية ، لكن كان لها ما بعدها فلا شيء وراء جمال عبد الناصر إلا الحسم .

سألتنى : هل سمعت بأمر الملك الخاص بإغلاق نادى الضباط ؟

وأجبت : نعم ..

وصمت جمال قليلا ، إلا أنه كان يادى التفكير ، كمن قد اتخذ قرارا بينه وبين نفسه .

ثم عاد وسألتنى : إيه رأيك .. أن حل مجلس إدارة نادى الضباط معناه إن الضباط سيصابون بهزيمة معنوية ينتج عنها تفكك رابطتهم وقوتهم .

واتبع كلامه بقوله : وحسين سرى عامر إذا أصر الملك على تعيينه وزيرا للحرية فمعنى ذلك أن أى ضابط «فيه رفق حيثهدل» ..

وتكلمت وأنا أعتقد أن كلامي سيطابق القرار الذي اتخذته بينه وبين نفسه ..

وقلت : مفيش حل إلا أن الحركة تتعمل ..

فقال : أنا فعلا وصلت إلى هذا القرار .

وتصافحنا .. وأصبحنا منذ هذه اللحظة داخل خط النار ، ولا خارجه كما كنا منذ دقائق ، ووجدنا أنفسنا في المعمة نجد ونكد ونسهر وننام (إن ثمننا). بعين واحدة ، والأخرى تراقب الاحتمالات والمفاجآت التي تحملها لنا الليالي .. وإتفقنا على إتخاذ إجراءات واسعة للإتصال بالضباط الموجودين بخارج القاهرة والموجودين بها ، وكثير منهم كانوا بالأجازات ، وأخذ البكباشي جمال على عاتقه أن يتصل بالضباط الموجودين بالقاهرة أساسا .

كان لابد أن أتصرف في حكاية الأجازة التي انتهت ، حتى أستطيع البقاء في القاهرة ، فذهبت إلى المستشفى العسكري وقلت «عيان» فقالوا «لأ مش عيان» ولازم ترجع وحدثك .. ياللا على رفع .. «ولكني قلت للأطباء» هو العيان يتقال له (لأ) كده ، مش تكشفوا عليه الأول «فسابوني ومسألوش فيا» وغبت عن المستشفى أسبوعاً كاملاً بلا أجازة ، فمت فيه بمهمتي من حيث الإعداد والتنظيم والإتصال .

... ودخلنا في اللحظات الحرجة ، ووضعت أكثر من خطة على أساس تقديرين اثنين لا ثالث لهما ، إما أن تقوم بعمل كامل لتنفيذ الحركة ، وإما أن يقسم الضباط أنفسهم إلى (٣٠ تيم) بأسلحة كاملة من الجيش ، وفي ساعة الصفر تخرج هذه الجماعات وتخلص البلد من السياسيين الخونة وعملائهم وتنظف البلد تنظيفاً شاملاً .

ثم اقتربت الساعة الحاسمة ، وكنا قد انتهينا من احصاء قوتنا ، والتعرف على امكانياتنا ، فرأينا أن الأساس الأول : وهو القيام بحركة كاملة هو الأساس الأمثل ، واتخذنا هذا القرار ، ذلك لأن التدبير الثاني فيه ضرر ، وهو أننا مهما خلصنا البلاد من المفسدين فإن أذناهم لا تنتهى .. وهنا رأينا أيضاً أن (تقدير الموقف) الذي حسبناه بعد عودتنا من فلسطين ، قد طابق الواقع تماماً ، ولقد ساعدتنا الظروف السياسية القلقة من ناحية وتدمير الضباط الشديد من تصرف الخونة في مصير الجيش وأنظمتهم وكرامتهم على أن تنفذ خططنا في سنة ١٩٥٢م

وفي مذكراته أيضاً يروى جمال عبد الناصر أن القصر في تلك الأيام لا يزال شاكا في قدرتنا على القيام بحركة كاملة ، ولكنه كان يريد أن يبطش بنا إستعادة لمكانته التي رأى أنها إهتزت إهتزازاً شديداً .

وقطع الطريق علينا لأنه كان يعتقد أننا وإن كنا أضعف من أن نقوم بحركة كاملة فنحن على كل حال نستطيع أن يكون التمهيد للحركة الكاملة ، لذلك كان يريد أن يفتك بنا ، وكان يدبر لهذا الفتك في نفسك الوقت الذى كنا نحن قد فرغنا تماما من وضع الخطة الحاسمة للفتك به وبعرشه وحكم أسرته للبلاد .

وفى الليلتين الحاسمتين بعد أن تحدد الموعد بدأ جو الثورة يأخذ طابعا رهيبا ..

ويقول عبد الناصر أيضا:

كنا نجتمع فى بيوت مختلفة ليقول كل لأخيه حقيقة ما يشعر به وما يحسه ، وقد اخترنا أن نضع رؤسنا فوق أكفنا لتستقر عليها ، وهى تقدم على هذا الخطر الجسيم والمغامرة التاريخية .

وكان لكل منا زوجة وأولاد وأسرة ومسئوليات ، كان لابد لنا من أن نفكر فيهما ونحن مقدمون على هذه المغامرة وكان السؤال الخافت الذى تسرب إلى قلوبنا هو : ماذا لو فشلنا وانتصر علينا المجرمون ؟

ولكن الروح التى أقبلنا بها على المعركة ، والدم الذى كان يغلى فى عروقنا ، والقوة التى أظهرتها لنا الوحدة والكفاح الذى عززته التضحية قد جعل هذا السؤال الهامس يخفت ويخفت حتى يتلاشى ، وأقبلنا على المعركة وليست لنا فكرة تراودنا سوى مصر وشعب مصر وجيش مصر : أما الحياة وأما الموت .. وأما الأولاد وأما الأمهات والأشقاء فلم يتسع لهم فى حركتنا مكان ، وأصبح مكانهم الداخلى بين صفوف ملايين الشعب التى تقوم على التضحية من أجل سعادتها وحياتها .

كنا مؤمنين بحقيقة ثابتة هى أن الشعب معنا وإن كتل الجماهير ستقف حائلاً بين خططنا وجواسيس المجرمين ، وأنا لو فقدنا الفرصة اليوم فإننا سنكسبها غدا .

وكان هذا هو ما يشجعنا ...

وقد سجل جمال عبد الناصر المواقف الحرجة التى صادفته ليلة ٢٣ يوليو فقال فى مذكراته :

مرت بى مواقف حرجة كثيرة ، ولكن أخرجها كانت ليلة الثورة ، كان موعد تحرك القوات الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٢ يوليو ، وكان موعد إحتلال رئاسة الجيش فى الساعة الواحدة والنصف يمحى تتقابل القوات كلها عند رئاسة الجيش لإحتلالها ، وفى الساعة الحادية عشرة علمت أن رئاسة الجيش احيطت خيراً بخططنا ، لأن أحد الضباط

المشاركين في الحركة ، عندما مر الضباط لأخذه معهم فطن أخوه إلى أن هناك حركة ما ، فحاول منع أخيه الذي رفض أن يستمع إليه . وقد ذهب هذا الأخ الممانع في إشتراك أخيه إلى سراى القبة ، وأخبر الضابط النوبتجي بالأمر ، الذي قام بإبلاغ سرى المنتزه حيث كان يقيم الملك السابق ، فصدرت الأوامر للفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب لإتخاذ الإجراءات المضادة لمناهضة حركتنا والقضاء عليها ، وذهب الفريق حسين فريد إلى رئاسة الجيش بكبرى القبة ، واستدعى إليه جميع قادة الجيش لوضع الخطة وتنفيذها فوراً .. وقد وصلتني هذه الأنباء الساعة ١١ وأنا بدارى ، بعد أن عدت وقد أعد كل شيء للتنفيذ ، وكان كل الضباط في أماكنهم استعداداً للبدء ، ولم أجد أمامي إزاء ما اتخذ لإحباط حركتنا سوى إعتقال رئيس أركان الجيش وجميع ضباط الجيش المجتمعين معه قبل انقضاء مؤتمريهم وتنفيذ خططهم .

لقد توجهت إلى منزل أخى عبد الحكيم عامر ، حيث كنا على موعد لتقابل في الساعة الثانية عشرة. ولتوجه معاً لأخذ قوة لتنفيذ فكرة الإعتقال ، غادرنا المنزل إلى قشلاق العباسية ، ولكننا وجدنا عدداً كبيراً من البوليس الحرنى رابضاً على باب القشلاق ، وهذا لم يكن ضمن خططنا ففهمنا فوراً أن الطرف الآخر قد بدأ العمل ، فتحركنا إلى سلاح الفرسان ، ولكننا وجدنا البوابة مغلقة وعليها قوات لم نستطع أن نعرف مع أى طرف تعمل هذه القوات ، معنا أو مع الطرف الآخر ، فقررنا التوجه إلى المأظن لإحضار قوة من هناك ، وفى طريقنا إلى المأظن - عند ميدان الكربة - رأينا على مدى البصر أضواء عربات كثيرة فى طريقها إلى القاهرة ، وكانت الساعة حوالى منتصف الواحدة ولم يكن هذا أيضاً ضمن خطة قواتنا ، ولقد كان المقرر أن تتحرك قواتنا فى الساعة الواحدة وأخذنا نملك ونقدر الموقف جيداً ، ونتساءل هل هذه العربات من قواتنا أم أنها تابعة لخطة رئيس هيئة أركان حرب الجيش التى بدأت فى التنفيذ ، ولكننا تأكدنا أنه من المستحيل أن يكون رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد بدأ تنفيذ خطته ، ورجحنا أنه لابد وأن يكون أحد زملائنا الضباط المشاركين معنا قد أخذته الحماسة فخرج قبل موعه ، وانتظرنا على جانب الطريق ، حتى تصل إلينا هذه القوات، وفوجئنا عند وصول أول عربة بأن الفرقة الثانية قد تحركت لتنفيذ خطة رئيس أركان حرب الجيش ، وفى أسرع من لمح البصر كنت وعبد الحكيم عامر محاطين بخمسة ضباط ملازمين مسلحين بالتومى جن وطلبوا إلينا أن نرفع أيدينا وأن نثبت فى مكاننا ، وكانت أخرج لحظة فى حياتى كلها فعلاً ، لقد اعتقدت أن الخطة التى وضعناها ورتبناها قد باءت بالفشل الذريع

وبعد لحظة وجدت أحد إخواننا ينادينى من العربة الثالثة ويقول لى فى فرح زائد : «لقد

أسرنا قائد الفرقة وقائد ثاى الفرقة وأنا مع قوتى» ولقد أحضرت معى جميع العربات التى قابلتها فى الطريق ، ونزل من العربة وحضر إلى قائلاً أن القوة التى معه هى ٨٠ جندياً فقط لأن باقى الفرقة فى فلسطين ، وعرفت فى هذه اللحظة أنه تحرك فى الساعة ١٢ بدلا من الواحدة .. ولم يكن أمامنا غير حل واحد فقط ، هو إحتلال رئاسة الجيش بهذه القوة التى معنا ، وتحركنا إلى الرئاسة بكوبرى القبة ، وبدأنا عملياتنا بمحاصرتها فى الساعة الواحدة إلا عشر دقائق أى قبل الموعد المحدد بأربعين دقيقة .

وبدئ فى توزيع القوة ، وقام عبد الحكيم عامر وضباط الكتيبة الشجعان وثلاثون جنديا فقط بمهاجمة رئاسة الجيش ، ولكن الباب الحديدى كان مغلقا ، وكانت عساكر رئاسة الجيش محتلة مواقعها وبدأت تطلق علينا النار ، واستمرت المعركة ٤٠ دقيقة ، وفى هذه الأثناء كانت قوات الفرسان قد بدأت فعلا فى التحرك من أماكنها وفى الساعة الواحدة والنصف سقط فى أيدينا مبنى رئاسة الجيش واعتقلنا كل من فيه ، وكان هذا العمل أول بادرة النجاح . ثم أصبح ٢٣ يوليو فأذيع أول بيان للثورة ، وتنفس الشعب وأحس بأن الضياء قد بدا وأن الفجر قد طلع .

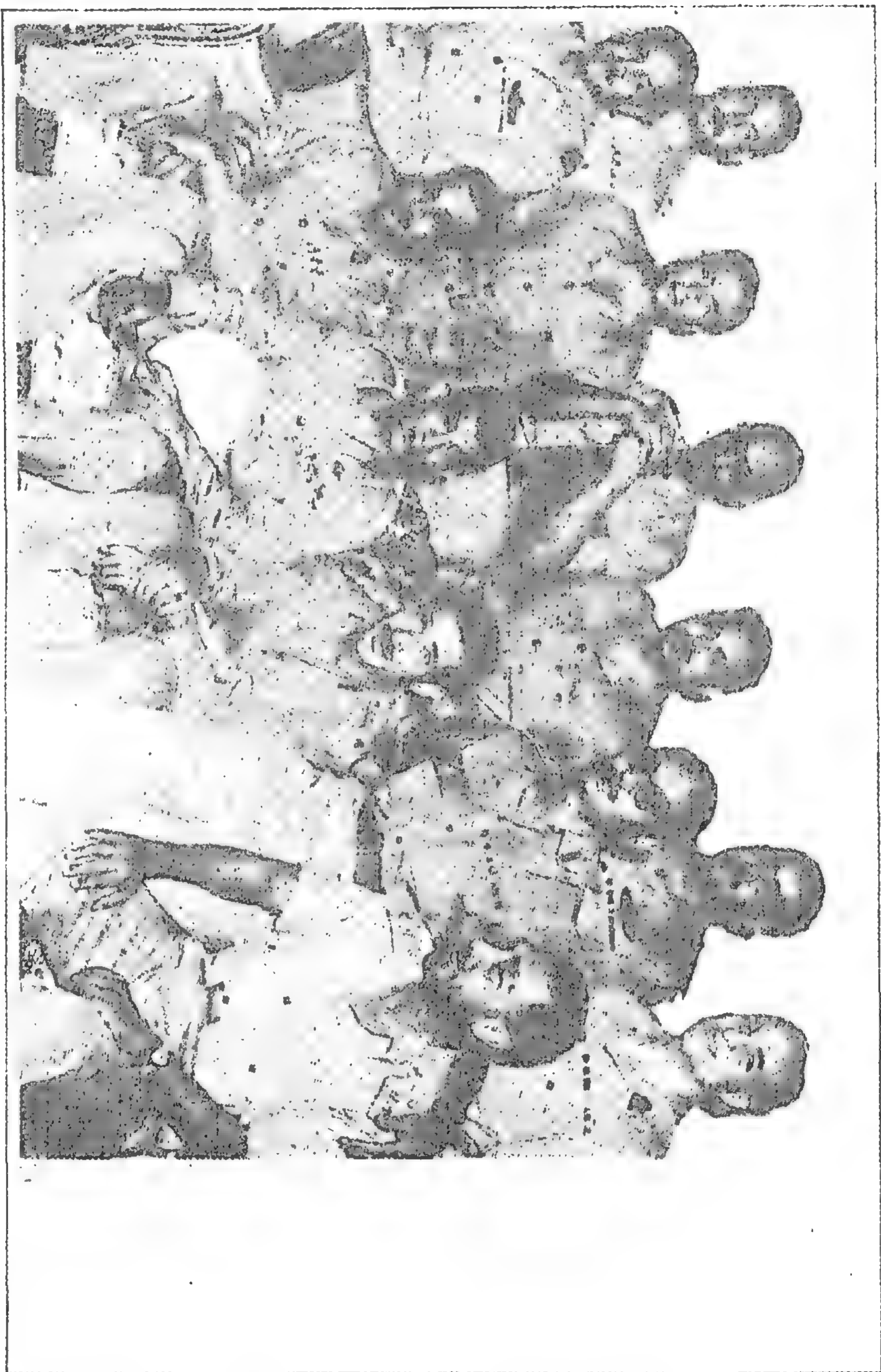
وقال جمال : إن روح الشعب فى ذلك اليوم أمدتنا بالقوة والعزم فلم نكن نتوقع هذا النجاح الغريب السريع ، فمضينا أقوياء أمناء نعرف مواضعنا من الشعب الكريم ومن قلوب أبناءه المظلومين .

لقد كان أول عرض فى العاصمة أحد الدوافع التى حركتنا دفعا إلى الامام ، ولقد وجدنا أن ملايين المصريين جميعا معنا ، فتطورت وسائلنا لتحقيق أهدافنا ، وإندفعت خطواتنا سريعة مفاجئة حتى إنتهت بعزل الملك الفاسد ...

وبهذا نجح جمال عبد الناصر .

*ومن طرائف ثورة يوليو ١٩٥٢م ، ما حاول السادات فيما بعد أن ينسبه لنفسه ، حين أوحى فى كتاباته العديدة (بعد أن أصبح رئيساً لمصر عام ١٩٧٠م وليس قبل ذلك) أنه هو المفجر الحقيقى لثورة يوليو ، ولتأمل ما يقوله أحد كتبة السادات المخلصين (موسى صبرى فى كتابه السادات الحقيقة والأسطورة) :

حول مشاركة أنور السادات فى الثورة ، يدل موسى صبرى على أن السادات لم يتهرب من المسئولية ليلة الثورة أيضا بشهادة الدكتور محسن عبد الخالق أحد الضباط الأحرار .. يقول عبد الخالق : «إن جمال عبد الناصر أرسل حسن إبراهيم بالطائرة لإبلاغ أنور



مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٢

السادات بالحضور إلى القاهرة قبل يوم ٢٣ يوليو ، وحضر أنور السادات ، ولما لم يجد خبراً أو رسالة من جمال عبد الناصر حتى حوالى الساعة الثامنة أو التاسعة كما يقول بالنص

اصطحب زوجته إلى السينما وترك خبراً لدى البواب بأسم السينما وأبلغه أنه إذا حضر أى شخص له ترك رسالة أن يحضرها إلى السينما ، وبلغ مدير السينما بأنه فى الداخل وينتظر صديقاً ، أو رسالة منه ورجاه أن يخبره إذا حدث ذلك .. ذهب جمال عبد الناصر لأنور السادات وكانت الثورة قد عرفت وترك رسالة سريعة للبواب . لم يتصرف البواب .. إنتهت السينما وخرج أنور حوالى الساعة ١٢,٤٥ أو ١٢,٣٠ بعد منتصف الليل ووجد رسالة جمال عبد الناصر ، فلبس الملابس العسكرية ، وذهب فوراً إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة .

هذه هى بالنص الشهادة التى اعتمد عليها موسى صبرى لينفى عن السادات هروبه من المشاركة ليلة الثورة ، وهى تنسب التقصير إلى البواب المسكين الذى لم يتصرف .

وهى شهادة غير صحيحة .. على الأقل لأنها تتناقض مع شهادة أنور السادات نفسه ، ولا يمكن أن ننسب إلى أنور السادات دور هو نفسه ينفيه ، أو نعرف ما دار ليلة الثورة ، ونبرره له ، وفى حين أنه له كلمات فى كتبه قاطعة .. تكذب تماماً هذه الشهادة بل إن السادات نفسه كتب إن عدم مشاركته فى الثورة تحول إلى نكتة يضحك عليها زملاؤه أعضاء مجلس الثورة كلما رأوه ... ويعايرونه لهذا الموقف .

قال لى حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة إنه طار إلى العريش وأخطر أنور السادات بأن موعد الثورة هو ليلة ٢٣ يوليو أى أن السادات كان يعرف موعد قيام الثورة .. وحتى لو لم يحدد له الموعد وطلب منه حسن إبراهيم مجرد التواجد فى القاهرة وفى وقت كان يعرف أن هناك تحديد لموعد قيام حركة الجيش فما كان يجب أن يهرب ويبرر عدم تواجده ، ليلة الثورة ، بأنه لم يجد عبد الناصر فى إنتظاره على محطة القطار كمعاداته .

وهو عندما كتب قصة الثورة كاملة ، أو يا ولدى هذا عمك جمال الذى يروى فيه قصة علاقته بجمال عبد الناصر ، لم يذكر أبداً أن جمال عبد الناصر كان ينتظره عندما يأتى من العريش ..

وكان قطار العريش يغادرها فى الصباح المبكر ، ويصل إلى القاهرة حوالى الساعة الثانية بعد الظهر .

ولو أن جمال عبد الناصر معتاد على إنتظاره على محطة القطار ، وأرسل يستدعيه لأن موعد الحركة قد تحدد ، حتى ولو لم يعين الموعد بالضبط - ولم يجد جمال عبد الناصر فى إنتظاره

كعادته ، فقد كان ذلك أدعى إلى أن يبحث عنه ، لا أن يتركه ويذهب إلى السينما .

كيف تصرف أنور السادات بعد أن أبلغه حسن إبراهيم بموعد الثورة ، يقول السادات :
«البحث عن الذات ص ١٤٠» وفى يوم ٢١ يوليو ١٩٥٢م أرسل عبد الناصر رسالة إلى مع حسن إبراهيم تسلمتها فى مطار العريش يطلب منى فيها أن أنزل إلى القاهرة يوم ٢٢ يوليو ولكنى لم أجد عبد الناصر فى إنتظارى على محطة السكة الحديد كعادته فقلت فى نفسى لابد أن الوقت لم يحن بعد ، لذلك توجهت إلى بيتى واصطحبت زوجتى إلى السينما ولكنى عندما عدت إلى البيت فى منتصف الليل وجدت بطاقة من عبد الناصر يطلب منى فيها أن أقابله فى منزل عبد الحكيم عامر الساعة ١١ مساءً ، وعلمت من البواب الذى سلمنى هذه البطاقة ، أن عبد الناصر قبل أن يترك البطاقة أتى إلى بيتى مرتين مرة فى الساعة الثالثة مساءً ، ومرة أخرى فى الساعة العاشرة مساءً .

شهادة أنور السادات نفسه لم يقل أنه ترك عنوان السينما مع البواب أو أنه أوصى مدير السينما .

وهو عندما يروى الواقعة فى قصة الثورة كاملة يضيف إليها أنه ذهب إلى السينما مع زوجته وأولاده ، وكانت السينما صيفية وتعرض ثلاثة أفلام طويلة ولم يذكر أنه ترك رسالة لعبد الناصر مع البواب .

فالتبرير الذى يقدمه محسن عبد الخالق - والذى اعتمد عليه موسى صبرى غير صحيح إذن بإعتراف أنور السادات نفسه !!

والأهم من ذلك أنه جاء ولم يجد جمال عبد الناصر فى انتظاره ، وقرر الذهاب إلى السينما ، والسينما الصيفية لا يبدأ عرضها إلا بعد غروب الشمس وبداية الظلام ، فلماذا سحب زوجته وأولاده وخرج من المنزل فى الساعة الثالثة بعد الظهر .. لأنه لو كان هناك أحد فى البيت لترك له عبد الناصر الرسالة فى البيت ، أو لأبلغها البواب لأسرته فى وقت مبكر .

معنى كلام السادات نفسه أنه جاء من العريش ، وأخلى شقته فصحب زوجته وأولاده - قبل الساعة الثالثة - وهو موعد مرور عبد الناصر الأول - ولم يعودوا إلى البيت إلا بعد منتصف الليل .

ألا يكون ذلك عن موقف متعمد . ولا تكون المسألة هنا ، هى الذهاب إلى السينما الصيفية المسائية ، ولكن الاختفاء حتى ما بعد منتصف الليل فى وقت كان مستدعى من العريش لعملية محددة ..

هذه هي الملاحظة الأولى .. ولنستمر في قراءة ما كتبه السادات « في البحث عن الذات حول مشاركته في الثورة .. بعد أن عاد من السينما » غيرت ملابسي وأخذت مسدسي معي وتوجهت إلى منزل عامر ، وطبعاً لم أجده ، فذهبت إلى ثكنات الجيش في العباسية لم أكن أعرف كلمة السر بطبيعة الحال ، فمنعوني من الدخول ، وعندما تبينوا رتبتي طلبوا مني أن ألزم بيتي ، فهذه هي الأوامر بالنسبة للضباط العظام ، وناورت وحاولت كثيراً ، ولكن دون فائدة .. كدت أجن ، فكيف تقوم الثورة أمام عيني ، وأنا لا أشترك فيها ، لقد كرست كل حياتي لهذه اللحظة بالذات ... من أجلها ، كافحت وعانيت ، بل وكنت في كل مرحلة من مراحل العمر .. فقيم كان كفاحي ، وقيم كان كياني ، وأنا أقف موقف المتفرج مما أعطى لهذا الكيان مبرراً لوجوده .

باعترافه هو يقول أنه كاد يجن ... لأنه لم يشارك في الثورة ليلة قيامها .^(١)

ولقد أذاع السادات البيان الأول للثورة بصوته للمرة الأولى على أرجح الأقاويل ثم أذاعته الإذاعة بصوت المذيعين بعد ذلك حتى سجل بصوت السادات بمناسبة مرور عام على حركة الجيش في عام ١٩٥٣م كجزء من تراث الحركة .

ولكن السادات فيما بعد - وهو رئيس - إستغل هذه الواقعة أبشع إستغلال .

أولاً .. أصبحت إذاعة السادات لبيان الثورة جزءاً من المادة الدراسية المقررة على المدارس ، حتى إن الكتب المدرسية إذا ذكرت ثورة يوليو تقرأها الإذاعة السادات للبيان ، لأنها لم نستطع أن نقول إن السادات هو الذي قام بالثورة ولكنها كانت تقول «إن ثورة يوليو - التي اذاع بيانها الرئيس السادات» .

ثانياً : أعاد السادات تسجيل البيان الأول للثورة بصوته في ظل ظروف أكثر تمكناً من كل النواحي ، وكان هذا أيضاً جزءاً من هوايته التمثيلية .

ثالثاً : يكرر السادات أكثر من مرة في البحث عن الذات هذه الواقعة التي سبق إن ذكرها في جملة واحدة في كتبه السابقة :

«ما أن طلع صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢م حتى هرعته إلى الإذاعة أعلن ميلاد الثورة ، ليشركني الناس ما أنا فيه من سعادة ص ١٤٢ » .

«قبل أن أعلن الثورة ص ١٤٣» كنت الوحيد من بين أعضاء مجلس الثورة الذي - كتبت

(١) عبد الله إمام : حقيقة السادات - ١٩٨٦م - د. ن. ص ٩٦ .



صورة معبرة عن الفترة الأولى في حكم عبد الناصر : النظر بأمل في المستقبل .

عليه مواجهة جميع الأحداث منذ إعلان قيام الثورة ، إلى خروج الملك من مصر فقد تسبب هذا في خلق حساسيات كثيرة بينى وبين زملائى فى مجلس الثورة خاصة وإننى كنت الاسم الوحيد المعروف بينهم لدى الجماهير نتيجة لنضالى السياسى ، وبعد أن خلقت منى الصحف والمجلات بطلا اسطوريا فى قضية أمين عثمان « ١٤٧ » وأعلنت ميلاد الثورة « ص ١٥٥ » .

والتماذج كثيرة لاستغلال السادات لواقعة قراءة البيان الأول للثورة الذى يقول زملاؤه أنها لم تكن عملية مقصودة .

هذا ويؤكد عبد الله إمام أن كمال الدين حسين قال له حول دور السادات ليلة الثورة لقد استدعى السادات من العرش بعد أن تحدد موعد الثورة .. وخطر بهذا الموعد .. وكان يعرفه جيدا .. لقد ذهب إليه حسن إبراهيم وأخبره بالموعد وليس من المعقول وهو يعرف الموعد أن يحضر فيجد من ينتظره فى محطة السكة الحديد .. ثم لماذا لم يحاول الاتصال بنا ليتعرف على حقيقة الموقف ، بدلاً من أن يذهب إلى السينما إذا كان يريد فعلاً الاشتراك فى الثورة التى جاء من أجلها وبناء على معلومات مؤكدة حددت له الموعد ، لقد كان مفروضاً وفقاً للخطة أن يقوم بالسيطرة على التحويلة التليفونية فى رئاسة الجيش ، ويبحث كيفية السيطرة على مصلحة التليفونات ، ولكنه جاء متأخراً بعد أن تم كل شيء .. فلم يجد له عملاً .. وهكذا أسندت إليه مهمة إلقاء البيان الأول للثورة .

وقال لى كمال الدين حسين : «ربما كان هناك من أذاع البيان قبله .. لقد كان لدى مهام فى تلك الليلة .. ولم أكن متتبعا بالضبط من الذى أذاع البيان فى الأول .. ولم تكن هذه قضية .. ولم يتصور أحد أن تكون ذات يوم قضية محورية تدور حولها ويكثر الحديث عنها .. لم نكن نتصور أنه سيأتى يوم يقف شخص ليقول إن أعجابه أنه أذاع بيان الثورة بصوته..!

إن هذا البيان لم يذع إلا بعد أن سيطرت الثورة سيطرة كاملة على كل شيء ... فلم يكن عملاً فداًئياً . لأنه تم فى ظل تأمين كامل .. وبعد أن سيطرنا على كل شيء .

وتذكر مذكرات ووثائق الضباط الأحرار أن الثورة قد واجهت منذ الأيام الأولى ثورات مضادة ، استطاعت أن تعالجها وتقضى عليها فى مهدها .. وتبين لنا أنه لا مفر من هدم أسس النظام القديم بأكمله كى تستمر الثورة . فكيف تستطيع الثورة أن تحقق أهدافها وبخاصة بعد أن تبين لها أنها ستمارس الحكم - فى ظل نظام ملكى لا يزال قائماً ، وفى ظل دستور عفى عليه الزمن ..

كان على الثورة أن تسقط دستور ١٩٢٣م ففى العاشر من ديسمبر سنة ١٩٥٢م أعلن سقوط دستور سنة ١٩٢٣م ، وقرار الثورة بتولى مهام السلطين التنفيذية والتشريعية فى فترة انتقال يتم فيها وضع الدستور الجديد الذى يتفق وأهداف الثورة .

ويقول صلاح نصر فى مذكراته :

ومن ثم أصدر مجلس قيادة الثورة مرسوما فى ١٣ من يناير سنة ١٩٥٣م بتأليف لجنة من خمسين عضواً لوضع مشروع دستور جديد .

وكانت الخطوة التالية التخلص من القوى السياسية القديمة ، فأصدرت الثورة قانوناً فى ١٦ من يناير سنة ١٩٥٣م بحل الأحزاب ومصادرة أموالها لصالح الشعب وتحديد فترة إنتقال لمدة ثلاث سنوات .

وفى ١٨ من يناير سنة ١٩٥٣م أصدر مجلس الثورة مرسوماً بقانون ينص على أن الإجراءات التى اتخذها «رئيس حركة الجيش» لحماية النظام تعد من أعمال السيادة العليا إذ اتخذت فى خلال سنة من تاريخ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ومعنى ذلك ان هذه التدابير لا تخضع لرقابة القضاء .

ولكى تأخذ الثورة وضعها الدستورى وتكمل الشكل القانونى لاستيلائها على السلطة ، قامت بإعلان دستور فترة الانتقال فى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣م ، وبموجب هذا الدستور انتقلت السيادة العليا إلى يد قائد الثورة ، وأصبح من حقه تعيين الوزراء وعزلهم .. أما السلطان التشريعية والتنفيذية فقد وضعتا فى يد مجلس الوزراء ، وتشكل مؤتمر مشترك من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ، لتسند إليه مسئولية وضع السياسة العامة للدولة ، ومحاسبة الوزراء .

وهكذا أصبحت الثورة تجمع كل السلطات ، فى يدها ، ولم تصبح أمامها أية عقبة سوى قيام النظام الملكى الذى يتناقض كلية مع أهداف الثورة ، ولذا جاءت الخطوة التالية مدعمة لإستمرار الثورة ، ففى يوم ١٨ يونيو عام ١٩٥٣م أعلن إلغاء النظام الملكى وقيام الجمهورية ، وتسلم محمد نجيب مسئولية رئاسة الجمهورية مع إحتفاظه بسلطاته القائمة فى ظل الدستور المؤقت .

وأحس محمد نجيب بأن قوته سوف تضعف بعد تعيينه رئيساً للجمهورية ، إذ أعفى من قيادة القوات المسلحة وتسلم قيادتها الصاغ عبد الحكيم عامر الذى رقى إلى رتبة اللواء عند تعيينه .. ولم يجد نجيب أمامه سوى معارضة إعلان النظام الجمهورى مبرراً ذلك بأنه ينبغى أن يتم ذلك عن طريق استفتاء شعبى عام ، كما عارض فى أن يقفز عبد الحكيم عامر أربع

رتب في ترقية اللواء ، موحيا للمجلس بأن هذا الإجراء سوف يثير نفوس الضباط ، ولكن جهود نجيب باءت بالإخفاق . .

وبعد إعلان الجمهورية طالب محمد نجيب بعدة حقوق منها سلطة حق الاعتراض على أى قرار يجمع يجمع عليه أعضاء مجلس الثورة ، وحق تعيين الوزراء وعزلهم ، وسلطة ترقية الضباط كما كان يحدث في عهد فاروق ، بل امتدت مطالبه إلى سلطة نقل الضباط في الرتب العليا ، وتعيين الملحقين العسكريين .

وكان رد مجلس الثورة على ذلك تجاهلا متعمدا من أعضائه ، مع سوء معاملة وتشهير بسلوك وسط الضباط الأحرار ، ومن ثم لم يجد نجيب أمامه سوى طريق واحد هو التقارب مع القوى السياسية القديمة يتبنى قضية الديمقراطية كما أوضحه فيما بعد .

*وهكذا بدأت أولى خطوات الحكم تستقر في أيدي الضباط الأحرار ولكن ماذا عن تفاصيل باقي الخطوات .

ثانياً : سنوات القلق : (التطورات السياسية والفكرية خلال الفترة ١٩٥٢م - ١٩٥٤م) .

كانت الفترة التي تلت استيلاء «الضباط الأحرار» فترة عدم استقرار سياسي واجتماعي ، تصارعت فيها القوى ، والمصالح ، وإنثرت أحزاب سياسية كانت ملء الأسماع والأبصار ، وظهرت أخرى إلى السطح السياسي ، كانت من قبل سرية ، أو محجوبة عن الشرعية ، وولدت قوى وتنظيمات سياسية ، استخدمتها السلطة في صراعاتها السياسية ، وفي إدارة الأزمات السياسية على اختلافها محليا ودوليا .

* في هذه الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م). وفي هذا المناخ القلق، كان على (الضباط الأحرار) أن يحكموا قبضتهم السياسية تأمينا لأهدافهم المعلنة (ما تعارف على تسميته بالمبادئ الستة) وغير المعلنة ، فماذا فعلوا وماذا حدث بينهم ومن حولهم من صراع سياسي ، وماذا حدث بسببهم من تطورات داخلية ودولية ، ذلك ما نرصده فيما يلي .

*بداية يحدثنا التاريخ أنه عندما تحدد أواخر يوليو ١٩٥٢م ، موعداً للإنتقال تصادف أن جميع أعضاء اللجنة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار أما أنهم من ضباط الأركان وأما إنهم يخدمون بوحدات خارج القاهرة . ولذلك كان من الضروري إشراك قادة الوحدات الموجودة بالقاهرة في رسم الخطة وتنفيذها . وكان من أبرز هؤلاء القائمين أحمد شوقي ، قائد الكتبية ١٣ ، التي تعتبر وحدة من الطراز الأول والتي أطلق عليها فيما بعد «كتبية التحرير» وكذلك

البكباشى يوسف صديق منصور قائد سرية مدفعية متوسطة ، وقد لعبت هاتان الوجدتان دورا حاسما فى ليلة الانقلاب . إذ كان موكلا إليهما مهمة إحتلال مقر القيادة العامة والقبض على قيادة الجيش .

وكان قد تم توسيع لجنة التنظيم فى منتصف يوليو ، وقد استمر تسعة من الأعضاء العشرة القدامى ، بينما خرج عضو واحد هو عبد المنعم عبد الرؤوف ، وأضيف أربعة آخرون هم : يوسف منصور صديق ، وزكريا محيى الدين ، وهو من قدامى المجموعة وكان حتى ذلك الحين ، لسبب أو لآخر خارج اللجنة ، والبكباشى حسين الشافعى من سلاح الفرسان ، ثم عبد المنعم أمين من المدفعية . وهؤلاء - إضافة إلى نجيب - هم الذين تكون منهم بعد ذلك مجلس قيادة الثورة .

وكانت أحد التفاصيل التى صادفتهم أثناء الإعداد للإنقلاب ، اختيار رجل يمثل الحركة أمام الشعب والعالم الخارجى . فقد كان كل قادة الضباط الأحرار ما بين صاغ وبكباشى ، ولم تكن أعمارهم تتعدى الخامسة والثلاثين ، وقد رأوا أنه من الضرورى وجود ضابط كبير على رأس الدولة . واتجه التفكير فى البداية إلى عزيز المصرى ، لكن المقاتل القديم رفض الدور ، كما أن الضباط لم يحثوه ، فماضيه الموالى للألمان معلوم للكافة ، بالإضافة إلى خشيتهم من أن يتحول بعناده وتهوره إلى عبء عليهم بدلا من أن يكون عوناً لهم ، وكان الرجل الثانى الذى حاولو إجتذابه هو اللواء أحمد فؤاد صادق ، الذى كان يقود القوات المصرية فى فلسطين منذ نوفمبر ١٩٤٨ ، ومشهود له بالشرف . وكان يجاهر بولائه للبريطانيين ، وهو فى الوقت نفسه ، خصم قديم للوفد ، وكان يبدى ، من حين لآخر ، تعاطفه مع الإخوان والضباط الأحرار ، وتولى صلاح سالم التفاوض معه ووعدته بمنصب رئيس الأركان ، لكن الرجل نمت إليه فى ذلك الوقت شائعة حول نية الملك لتعيينه فى نفس المنصب الذى تاق إليه طويلاً ، ففضل التكليف الملكى على وعود الضباط الصغار . لم يكن للشائعة أساس من الصحة ولم يتصل به الضباط ثانية ، وهكذا فقد كل شيء واستقر الأمر أخيراً على نجيب . وكانت إنتخابات نادى الضباط قد ضاعفت من شعبيته ، واكتشف الضباط من خلال تعاونهم الوثيق معه أنه رجلهم المأمول ، ولم يكونوا يدركون أنهم سوف يبدلون جهداً كبيراً للتخلص منه .

وضع عبد الحكيم عامر الخطة التنفيذية للإستيلاء على السلطة ، وأدخل زكريا محيى الدين عليها بعض الإضافات وبعد تعديل طفيف أقرها ناصر بشكل نهائى .

وفى إجتماع عقد فى الرابعة من مساء ٢٢ يوليو بشقة خالد محيى الدين ، تحدثت الواحدة



جمال عبد الناصر وعبد الحكيم سيارد واحده وطريقان !! عام ١٩٥٢

قد اتصل به من الأسكندرية مستعلما عن أنباء وصلته حول تحرك القوات بالعاصمة .
واستطاع نجيب أن يقدم له إجابات مضملة .

لم تصرف البسهوة التي تم بها الإستيلاء على الحكم أنظار الضباط الأحرار عن المصاعب التي يمكن أن تواجههم ، فبدأوا ، في التو ، في تعزيز المواقع التي استولوا عليها ، وكان هدفهم الأول منع التدخل الخارجي . وفي الرابعة صباحاً قام على صبرى بإبلاغ السفارة الأمريكية بتطور الأحداث ، وأكد لهم على ضمان حياة الأجانب وممتلكاتهم ، وقد قدم الأمريكيون ، الذين لم يفاجأوا أو يستاءوا مما حدث ، خدمة كبيرة للضباط في تلك الأيام الحرجة ، فقد اقنعوا الملك بالاستسلام ومغادرة البلاد ، كما نصحوا البريطانيين بالكف عن مساندته .

وكانت الخطوة الثانية للضباط الأحرار هي تشكيل وزارة جديدة ، وقد عهدوا بهذه المهمة إلى على ماهر .

وكانت الخطوة الثالثة هي طرد فاروق ، الذي كان موجودا بالاسكندرية ، فبعد السيطرة على القاهرة وضمان ولاء القوات في رفع ، أمكن للضباط السيطرة على الأسكندرية في سر . وكان السؤال الذي أثير آنذاك هو كيفية التصرف مع الملك . وقد ناقش الضباط المسألة على امتداد ليلة كاملة . فهم يتمتعون بديمقراطية تامة داخل دائرتهم الضيقة ، ويتخذون قراراتهم بالتصويت الحر . وكان هناك رأيان ، رأى يرى تقديمه إلى المحاكمة ، ورأى آخر يميل إلى إجباره على التنازل لصالح ولي العهد ، الطفل ، ومغادرة البلاد .

وصوتت الأغلبية لصالح الإقترح الثاني ، وخرج فاروق متوجها إلى منفاه ، وفي ٢ أغسطس تم تعيين مجلس للوصاية من ثلاثة أشخاص : الأمير عبد المنعم من الأسرة المالكة ، والدكتور بهي الدين بركات وهو قاض ورئيس سابق للبرلمان ، والقائمقام رشاد منها أحد ضباط الجيش البارزين (كما أوضحنا تفصيلا في الفصل السابق) .

في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م ، ولشهور عدة تلت ، لم يكن الضباط قد بدأوا بعد في استخدام كلمة ثورة ، والتي أصبحت محل التفاخر الرسمي . فالبيانات الأولى تتحدث عن « النهضة » وحركة الجيش المباركة ، وعندما فكروا في استحداث وسام جديد يمنح للضباط العاملين والمحالين بعد ٢٣ يوليو ، أطلق عليه « وسام التحرير » وذلك في أغسطس ١٩٥٢ م .

وبتاريخ ١٣ نوفمبر صدر مرسوم ينص على اعتبار كل تدبير اتخذته القائد العام للقوات المسلحة « باعتباره رئيس حركة الجيش » عملاً من أعمال السيادة . وتكررت الصيغة نفسها في المرسوم المؤرخ في ١٨ يناير ١٩٥٣ م ، والخاص بحل الأحزاب السياسية . وكان الدستور



عبد الناصر يتابع تقارير أجهزة المخابرات في بداية الثورة

صباحا كساعة للتحرك . وفي الساعة مساءً أخبر ضابط المخابرات سعد توفيق ناصر ، بأن القيادة العامة علمت بوجود حركة مريبة بين الضباط ودعت إلى إجتماع طارىء في تلك الليلة . وحاول ناصر وعامر الإتصال بزملائهما لتقديم الموعد ، وفشلا في ذلك .

وعلى الجانب الآخر ، كانت الأمور تسير بأسرع مما كان متوقعا ، وتحول إجتماع القيادة العامة إلى شرك أمكن للضباط عن طريقه الأيقاع بكل قيادات الجيش بضربة واحدة فعند منتصف الليل قامت سرية تابعة للكتيبة ١٣ بقيادة أحمد شوقي ، تصاحبها عربة مصفحة بقيادة يوسف صديق ، بمهاجمة مقر القيادة العامة ، وقد وقع تراشق قصير بالنيران سقط خلاله جندي واحد من كل جانب ، كما جرح اثنان آخران ، ثم استسلم الحرس ، وقام يوسف صديق وعبد الحكيم عامر ، يتبعهما بعض الجنود ، بإقتحام غرفة إجتماعات القيادة وهم شاهروا السلاح وطلبوا إلى الحاضرين تسليم أنفسهم . في البداية رفض حسين فريد رئيس الأركان ، ثم سلم مسدسه بعد أن أطلق ثلاثة أعيرة من خلال ساتر ، وألقى القبض عليه مع دسنة من اللوات والأميرالات ، وهكذا نجح الانقلاب بأسرع وأسهل مما يتصور مدبروه .

وفي نفس الوقت ، قام عدد من وحدات الجيش ، بقيادة الضباط الأحرار ، بالاستيلاء على النقاط الاستراتيجية بالقاهرة .. خطوط التليفون ، المطار ، محطة السكة الحديدية ، ولم تصادفهم مقاومة تذكر في تلك المواقع . وفي الواحدة والنصف ، استولت مدرعات حسين الشافعي على محطة الإذاعة ، بينما تولى جمال سالم قيادة وحدات العريش ، وتولى أخوه صلاح قيادة قوات رفع . وفي الثالثة صباحا جاءوا بنجيب من منزله إلى مقر القيادة ليصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة . وفي الساعة والنصف صباحا أذاع راديو القاهرة بيانه الأول إلى الشعب المصري والعالم ، نيابة عن الجيش . وقد صاغ البيان عامر وناصر ، وأذاعه السادات .

هل كان نجيب على علم بخطة الانقلاب ، أم لا ؟ لقد أصبح هذا السؤال مثار خلاف بعد ١٩٥٤ ، والحقيقة أنه كان يعلم ، ولا يعلم ، فهو يعرف عن حركة الضباط الأحرار ، لكنه لم يكن عضوا بها ، بل كان يؤيدها ويدعمها دون أن يعلم شيئا عن تنظيمها وخططها . وفي ٢٠ يوليو ، قام ناصر وعامر بزيارته لإبلاغه بخطة الانقلاب والدور المحدد له فيها ، لكنهما وجدا عنده اثنين من الضيوف لا يثقان بهما ، البكباشي مجدى حتاتة والصحفى محمد حسنين هيكل ، فلم يطرحا الموضوع الى جاءا من أجله . وعلى مدى اليومين التاليين فضل الاثنان عدم الإتصال بنجيب درءا للشبهات . وفي ليلة الانقلاب لم يبارح نجيب منزله . ولكن عندما حضر إليه اثنان من الضباط ليصحباه إلى مقر القيادة لم يبد دهشة . وكان وزير الداخلية

المؤقت في فبراير ١٩٥٣م ، أول وثيقة تتحدث عن سلطات «قائد الثورة». وفي نفس الشهر ، استخدمت للمرة الأولى عبارة «مجلس قيادة الثورة» .

ومن المعروف أنه وقبل الانقلاب كانت لتنظيم الضباط الأحرار علاقات متشعبة مع عدد من التنظيمات الجماهيرية ، لكنه لم يكن يتعاون معها ، وبعد الإستيلاء على الحكم ، استغل الضباط تلك الصلات في تدعيم نظامهم . فبعد أن حصنوا مواقعهم جيداً ، قاموا بحل جميع التنظيمات ، بلا إستثناء ، وبدأوا بالأحزاب البرلمانية وانتهوا بالأخوان المسلمين .

وعندما وقع الانقلاب لم تكن هناك صلة بين الضباط والجماهير ، وتركت الجماهير على سلبيتها ، ولم تدع لتسيير دفة الأمور ، أو المشاركة في ارساء الحكم الجديد . وقد منعت المظاهرات منعاً صريحاً في ٢٥ يوليو ، ومما لا شك فيه أن انقلاب يوليو ١٩٥٢م ، كان تدشيناً لمرحلة جديدة من التحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة في مصر ، ولكن لم تقم «ثورة» . ولم يكن الضباط على رأس ثورة ، بل انهم أجهضوها برغم تزييم بزي الثوار . فبينما أطلقوا ٢١ طلقة تحية للملك عند إبحاره من الإسكندرية في ٢٦ يوليو ، أطلقوا النار على عمال كفر الدوار الذين كانوا يهتفون للثورة ، وكانت المشائق من نصيب زعمائهم . لقد عقد الضباط الأحرار عزمهم على تأييد سلطانهم في مواجهة أية قوة أخرى .. سواء من اليمين أو من اليسار . وكان تفتيت قوة الطبقة العاملة مهمة سهلة نسبياً .. كانت قضاء على غريم محتل ، أما كشريك لهم ، أو كبديل . لكن المعركة من اليمين كانت صراعاً ضد خصم عتيق من أصحاب السلطة التقليدية وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل هي تطهير الجيش ، والقضاء على الأحزاب ، ثم الإصلاح الزراعي .

وكان طرد قيادات الجيش أول الخطوات التي اتخذت في نفس ليلة الانقلاب ، وتواصلت التغيرات الشخصية حتى استبدلت جميع قيادات الجيش تقريباً خلال فترة قصيرة من الزمن . وقد طرد أكثر من ٤٠٠ ضابط : معظم من كانوا برتبة القائمقام ، وكل أصحاب الرتب الأعلى من ذلك باستثناء نجيب الأميرالاي محمد إبراهيم ؛ واحيل عدد منهم إلى المحاكمة ، والباقي إلى الاستيداع ، لم يحل محلهم بالضرورة ضباط من أعضاء التنظيم ، فهؤلاء وهبوا أنفسهم للمناصب السياسية ، وتركوا تلك الرتب لضباط آخرين ممن يثقون في ولائهم ومن المنافسين لهم مهنياً ، وبهذه الطريقة ضمن قادة الضباط الأحرار ولاء عدد كبير من الضباط ، ونجحوا في الوقت نفسه في تحسين أوضاع الجيش .

ويرى المؤرخين أنه من الأحزاب ، فقد لعب ضباط الجيش لعبة القط والفأر ، فقور وقورع الانقلاب تسابق زعماء الأحزاب في تقديمهم التهانى لحركة الجيش معلنين تأييدهم لأهدافها .

وسواء كان الباعث على تصرفهم هذا هو إظهار التأييد اعتقاداً بأن الأمور مستظل في النهاية على ما هي عليه ، أو أنهم اعتقدوا بهذه الطريقة أنه يمكنهم الإبقاء على النظام الحزبي وأوضاعهم السياسية والشخصية ، فقد أخطأوا التقدير في كلتا الحالتين ، إذ أن الضباط كانت نياتهم مختلفة . وفي ٣١ يوليو ، صدرت الأوامر إلى الأحزاب «بتطهير صفوفها» أسوة بالجيش . كان الطلب خدعة ذكية ، فهو ظاهرياً ، يعترف بالأحزاب ، ولكنه يخضعها ، عملياً ، لسلطات النظام الجديد ، بل ويلقى بذور الفتنة فيما بينهم فزعماء الأحزاب لا يمكنهم رفض مبدأ التطهير بعد أن أعلنوا الولاء للنظام الجديد . وبعد أن وقعوا في المصيدة بقبولهم مبدأ التطهير ، انفجرت الصراعات والخلافات داخل كل حزب حول الأعضاء الواجب تطهيرهم ، في وقت إزدادت فيه الضغوط من أجل التوسع في التطهير ... وهددت الحكومة بالقيام بالعملية بنفسها إذا لم تطهر الأحزاب نفسها بنفسها . وفي ٨ سبتمبر صدر قانون لتنظيم الأحزاب يشترط موافقة الحكومة على برامجها وزعمائها . وسرعان ما ارتجلت الأحزاب القديمة لنفسها برامج جديدة .. قدم الوفد نفسه بإعتباره حزبا ديمقراطياً اجتماعياً سياسياً ، وأطلق السعديون - حزب رجال الصناعة - على أنفسهم «الحزب الديمقراطي الاجتماعي» ولم تضاف تلك المهزلة سوى المزيد من المسامير في نعش الأحزاب . الحزب الوحيد الذي حاول أن يقود معركة هو الوفد تلك القوة الشعبية الكبيرة بتاريخها الطويل في مقاومة الإنجليز والسراي ، وصاحبة القدرات السياسية العالية . وأصبحت شخصية النحاس عقبة في سبيل الضباط . وفي الوقت الذي كان الضباط يطالبون بإبعاده ، كانت الصحف الوفدية تنصدها العناوين المثيرة مثل «لا وفد بدون النحاس» كما أعلن هو بنفسه : «لن تستطيع قوة ، بعد الله جلت قدرته ، ان تنحني عن هذه المنزلة سوى الشعب دون سواه» . لقد كان الإعلان الحماسي بأنه لا وفد بدون النحاس حقيقياً تماماً ، وهو نفس السبب الذي دفع الضباط إلى المطالبة بإبعاده . أما تصريح النحاس بأن الضباط لا يستطيعون حياله شيئاً ، فقد كان نوعاً من التباهي ، الفارغ ، فبعد أيام قلائل قام نجيب بزيارة لمدن الدلتا - مسقط رأس النحاس ومركز النفوذ التقليدي للوفد - استقبل خلالها إستقبالاً حماسياً ، كما دب الخلاف بين الوفدين أنفسهم حول قضية النحاس ، وفي ٦ أكتوبر أصبح النحاس «رئيساً شرفياً» للحزب ، بما يعنى نهايته سياسياً .

ويرى المؤرخون أن النحاس لم يخرج من السلطة نظيف اليد ، فقد استغلت زوجته وأقرباؤه منصبه في تحقيق ثروات كبيرة . وكان يعارض الإصلاح الزراعي ، إلا أنه كان رمزاً لكفاح المصريين من أجل الاستقلال ، ومعارضاً للملك وقائداً لأكبر حزب سياسي ، ولم يكن التخلص منه بهدف التحول نحو ديمقراطية أفضل ، وإنما لاحكام قبضة الديكتاتورية .

كذلك فإن إستبعاد القيادة اليمنية للوفد لم يكن الغرض منه تمهيد الطريق أمام العناصر التقدمية ، وإنما لوضع حد للحركة الشعبية ، ثم كانت الخطوة التالية هى حل كافة الأحزاب السياسية ومصادرة أموالها ، فى ١٦ يناير ، وبعد ذلك بأسبوع - نصف عام على الإنقلاب - قامت «هيئة التحرير» .

وكان قانون الإصلاح الزراعى من أهم الإجراءات التى اتخذت ضد اليمين . وصدر القانون فى ٩ سبتمبر ، فيما بعد ، وبالمقارنة مع الإصلاح الزراعى الذى أنجز فى اليابان بعد الحرب العالمية الثانية - ناهيك عما تحقق فى بلدان الديمقراطيات الشعبية - فإن الإصلاح المصرى كان متواضعا فى توجهاته ، محدودا فى مداه . ومع ذلك فقد نجح فى تقويض الركائز الاجتماعية لسلطة الطبقة التى ظلت تحكم البلاد حتى ذلك الحين . كان ذلك أحد الأهداف الرئيسية من وراء المشروع ، وقد نجح بالفعل فى تحقيقه . صحيح ان ملاك الأراضى ظلوا على ثرائهم ، لكن أوضاعهم اختلفت تماما . فقبل ذلك ، كانوا يملكون الثروة ويوجهون الأمور فى قراهم بينما يعيشون فى المدينة ويتمتعون بأموالهم فى وقت تتزايد فيه قيمة ممتلكاتهم باستمرار ، وهم تلقائياً يدخلون البرلمان ويتلقون الرتب والألقاب .. وقد انتهى كل هذا ولن يعود . لقد أصاب الإصلاح الزراعى وغيره من الإجراءات التى اتخذها الضباط القطاع الأكبر من كبار الملاك بالشلل السياسى .

وبعد القضاء سياسيا على الأسرة المالكة ، وكبار الضباط ، وملاك الأراضى والأحزاب ، وخنق الحركة العمالية فى مهدها ، لم يعد هناك أدنى لبس حول من هم الحكام الحقيقيون للبلاد . وكالعادة فى الأنقلابات العسكرية ، وعد الضباط الأحرار بالعودة إلى ثكناتهم فى الوقت المناسب .. فالبيان الأول فى ٢٣ يوليو يؤكد على أن «الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور» . وفى بيان صدر يوم ٢٥ يوليو أعلن أن الاجراءات التى اتخذها الجيش «مؤقتة» وكل الذين يتولون مواقع القيادة فى هذه الحركة المباركة سوف يعودون لإداء واجباتهم المعتادة عندما يطمئنون الى تسليم البلاد ليد أبنائها المخلصين . كما صدرت فى أواخر ١٩٥٣م بيانات مشابهة حول إعادة الحياة البرلمانية وإجراء الإنتخابات فى مستقبل قريب . الخ . لكن الأمور كانت تسير ، عملياً ، فى إتجاه معاكس تماماً . ومن حيث المبدأ ، كان هناك خيارات ثلاثة أمام الضباط : النقل التدريجى للسلطة إلى آخرين ، أو السماح لقوة أخرى بمشاركتهم الحكم ، أو دعم سيطرتهم الفعلية على البلاد . وقد اختاروا البديل الثالث ، ولم يكن اختيارهم هذا بسبب غياب خيارات أخرى أمامهم .

كانت وزارة على ماهر كلها من المدنيين . وقد إستقالت هذه الوزارة في ٧ سبتمبر فقد رفض على ماهر ومعظم أعضاء وزارته الموافقة على قانون الإصلاح الزراعى ، وطلب إليهم ترك الوزارة ، وتشكلت وزارة جديدة في نفس اليوم برئاسة نجيب ، إضافة إلى توليه وزارتي الحرية والبحرية ، مع الإستمرار في منصبه كقائد عام للقوات المسلحة . وألقى القبض على العشرات من أعضاء الأحزاب السابقين .

وفي يونيو ١٩٥٣م ، وفي يوم اعلان قيام الجمهورية ، أدخلت تعديلات كبيرة على الحكومة ، احتفظ نجيب ، الذى أصبح رئيسا للجمهورية ، برئاسة الوزارة ودخل الوزارة ثلاثة وزراء من الضباط : ناصر نائبا لرئيس الوزراء ، والبغدادى وزيرا للحرية ، وصالح سالم وزيرا للإرشاد القومى ووزير الدولة لشئون السودان ، ورقى عامر من رتبة الصاغ إلى رتبة اللواء ، وعين قائدا عاما للقوات المسلحة . وفي أكتوبر إنضم إلى الحكومة اثنان آخران من الضباط : جمال سالم وزيرا للمواصلات وزكريا محيى الدين كوزير للداخلية مع منحه صلاحيات واسعة في إدارات البوليس والمباحث . وقد استمرت هذه الصلاحيات بيده منذ ذلك الحين ، سواء كان وزيرا أو نائبا للرئيس أو رئيسا للوزارة ، وحتى سبتمبر ١٩٦٦م .

وفي إبريل ١٩٥٤م ، تشكلت حكومة جديدة ، وأصبح ناصر رئيسا للوزارة التى بلغ عدد الضباط فيها ثمانية ، بخلاف نجيب الذى ظل رئيسا للجمهورية . وكان الوزراء الضباط الجدد هم : حسين الشافعى وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين .

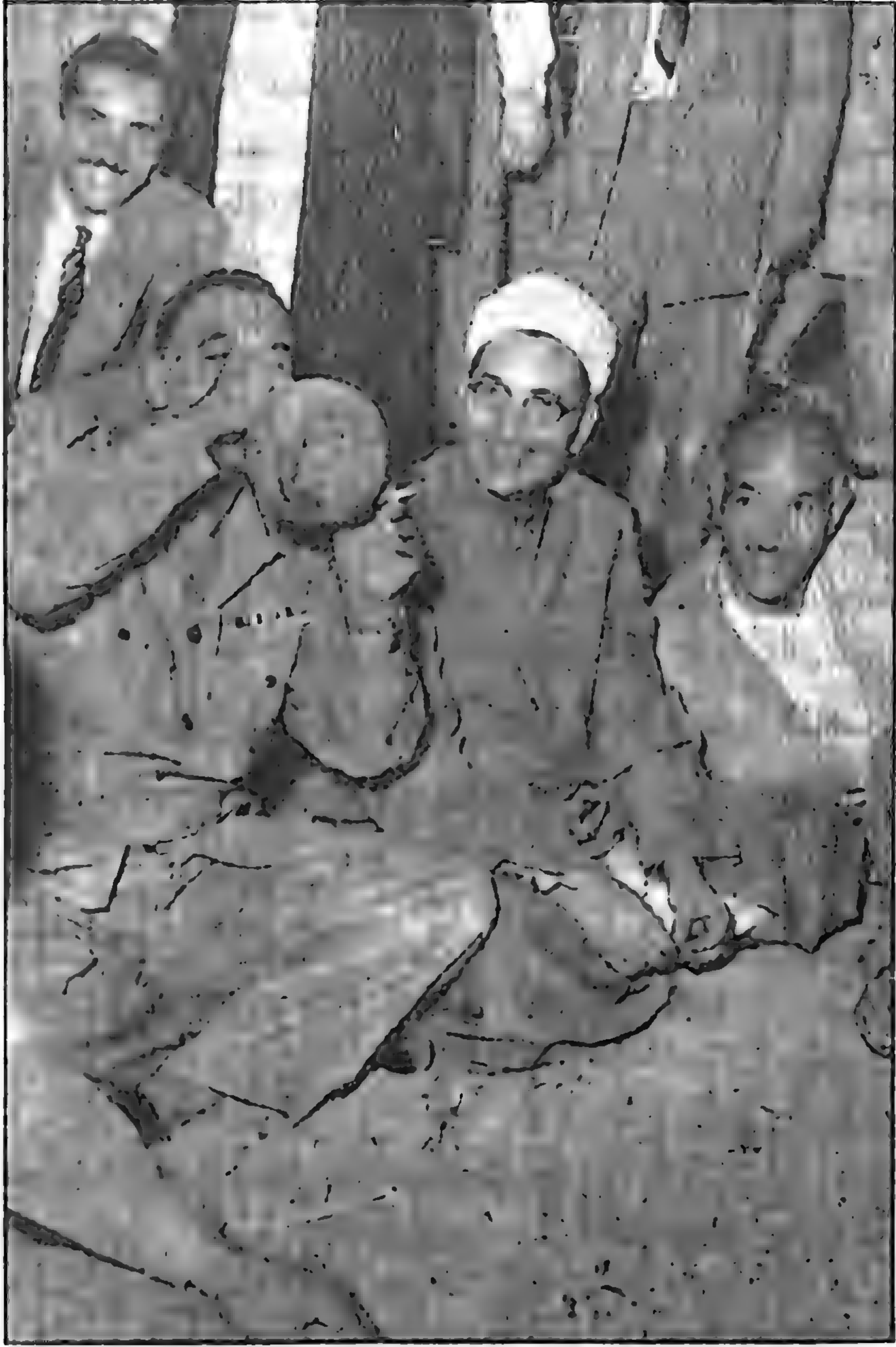
وفي سبتمبر ١٩٥٦ ، بعد إقرار الدستور الجديد خلع الضباط الزى العسكرى وصاروا يرتدون ملابس مدنية ، وكان نجيب قد خرج من الحكم وتم تصفية أغلب القوى السياسية المعارضة . ولم تضرب خصومها ضربات قاتلة وقد كانت - ولا زالت - تستطيع ، وأسرعت فأعلنت أنها تهىء الناس للحرية وتعددهم لحياة نيابية نظيفة في المستقبل القريب .

ومضى البناء قويا ، كان كل يوم بعام .. ورفعت مصر عن كاهلها ذلك الذى كانوا يسمونه الروتين .. وأكد جمال في كل خطبة وفي كل مناسبة أن كل وضع استثنائى سيزول وأنه يعد البلاد لحكم ديمقراطى سليم :

«إنها مرحلة تنتهى معها الإجراءات الإستثنائية التى كان لابد أن تصاحب الدور الأول للثورة ، الدور الذى كان عليها فيه أن تؤمن نفسها ، وحين أقول تؤمن نفسها فإنى أعنى الأهداف ولا أعنى الأشخاص ، الأهداف التى كنت أريد تأمينها هى الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ، والتى قامت من أجلها كل ثورة في التاريخ الإنسانى وهى أن يحكم الوطن بواسطة أبنائه من أجل أبنائه ، بعقل وعدل ، وأنا لا يعينى أن أؤمن الأشخاص فأنا أرى



النزول من السيارة .. أمام منزله عام ١٩٥٣



عبد الناصر يعلن تأميم شركة قناة السويس

أن لا قيمة للأشخاص إلا بالمبادئ التي يحملونها في قلوبهم .

لو كانت المسألة أن أؤمن شخص أو شخص زميل من زملائي بواسطة إجراء إستثنائي لكان الأمر سهلا ولكن أبسط ما فيه أن تؤثر العافية . وأن نبقي في مناصبنا التي كنا فيها قبل ٢٣ يوليو ، ولأنتهجنا بعد ٢٣ يوليو سياسة أخرى فيها نقسم الغنائم مع الذين يقتسمونها أو نسير على الطريق الذي كانوا يسرون فيه ، وما كان أسهل أن نخدع أو نضل ، ونأخذ مع ذلك تصفيق الناس ورضاهم

والمعروف أن الثورة قد شكلت (محاكم للثورة) و(محاكم للشعب) لمحكمة المعارضين لعبد الناصر وزملائه ، ولقد عاب عليه المؤرخون قسوتها وتفاهة القضية بها خاصة وأن أغلبهم كانوا من الضباط (الأحرار) .

المحاور الفكرية السياسية الحاكمة لمنهج عبد الناصر (١٩٥٢م - ١٩٥٤م)

* هذا وبالنسبة للمحاور الفكرية التي حكمت منهج عبد الناصر في حكم مصر فإنها وفقا لكلماته - وبنصها - تتمثل في الآتي :

* أننا نتجه إلى ثورة سياسية وفي نفس الوقت إلى ثورة إجتماعية ولن تتحقق هذه الثورة السياسية وهذه الثورة الاجتماعية إلا إذا تغيرت طريقتنا في التفكير ، وبدأنا عهدا جديدا مبني على حرية الفكر ونتخلص أيضا من الإستعمار الفكري ، ولن ننجح إلا إذا نظرنا إلى المجموع على أنه الدعامة الأساسية لهذا الوطن ولن نتمكن إلا إذا عملنا عملا قويا في بناء الجماعة .

* نحن نؤمن إيمانا عميقا بالفرد ونؤمن أيضا في نفس الوقت أن الوطن لن يكون قويا إلا إذا كان الفرد قويا ونؤمن أن واجبنا يحتم علينا أن نعمل على تقوية الفرد حتى يصل إلى تقوية الوطن في جميع الميادين .

* هدفنا الأكبر أن يتساوى كل فرد مع أخيه في الحقوق ، وأن يشعر كل فرد أن هذا البلد بلد لا عبيد ولا أسياد ، نريد أن يشعر كل مواطن أنه حر في تفكيره ، حر في عرق جبينه لا يتحكم فيه آخرون يشترونه ويتحكمون في مستقبله .

* إن هذه الثورة تهدف إلى العدل والمساواة وتمكن جميع المواطنين من الفرص المتساوية لكسب الرزق الحلال ، وتيسير لقمة العيش لهم وهذا لا يتأتى إلا بمضاعفة ثروة بلادنا ، ونحن في سبيل تحقيق هذه الأهداف كان لابد من هدم الفساد والملكية والأحزاب التي احتكرت المنفعة الذاتية لنفسها ، وكان لابد أن نتخلص من أعوان الإستعمار الذين تاجروا بوطنيتكم من أجل مصالحهم الشخصية .

* إننا عازمون على تطهير منزلنا وتقوية أنفسنا كمجتمع حر بعد أن حررنا سنوات طويلة تلك المعونة وتلك الحرية نتيجة لتك شئوننا في أيدي دخلاء يتصرفون فيها ويعبثون بها .
« إقتصدوا في عواطفكم » .

نطالب المواطنين بالمعرفة وتعمق الأمور حتى لا يتمكن أعداؤنا من خديعتنا مرة أخرى ، وأن هذه الأمة التي صمدت للمتعاب والألام أربعمئة سنة لم يأتها عريقة .

* إننا نعمل على تطهير مظاهر الحياة والنفوس من النفعية والإستغلال وأرجاس الماضي التركي والإنجليزى ، ورواسب التعفن السياسى جميعا ونبدأ بناء الشخصية المصرية من جديد دون عودة إلى التبشير بالأشخاص دون المبادئ حتى لا تميع ثورتنا كما ميع السياسيون ثورة ١٩١٩م ، وأنا أعلن أنني شخصا زائل أما الأهداف والأمال فهي الباقية .

* أعلنها صريحة إن هذه الثورة هدفها الأول هو الديمقراطية لأننا نؤمن بإرادة الشعب وقوته ولكن لن تكون للشعب قوة ولن تكون له إرادة إلا إذا أحس بالديمقراطية .

* لقد إستبد بنا التواكل مدة طويلة لأن أثار السياط على ظهورنا لاتزال تؤثر فى نفوسنا وقلوبنا ولا تزال تتفاعل مع شعورنا ومشاعرنا .

إن الإستعمار التركى والإستعمار الإنجليزى أوجدا فينا فئة من الطغاة ، وفئة من المستسلمين ، فإذا أردنا أن نحقق أهدافنا فيجب أن نتخلص من الطغيان ونتخلص من الأستسلام .

* إننا أيها المواطنون لم نفكر لحظة واحدة فى الديكتاتورية لأننا لم نؤمن بها أبدا فهي تسلب الشعب إرادته وقوته .

* إذا تسلحنا بالمعرفة أمكن أن نتلافى خداعا كثيرا ونعلم من هو المخادع ومن هو الصادق فنطالبكم بالتعمق في الأمور والمعرفة .

* إن الاربعمائة سنة الأخيرة كانت سنين شدادا على آبائنا وأجدادنا لأن هذا البلد كان يحكم لغير صالح أبناؤه بل لصالح الغزاة .

* إن المبادئ السليمة لا بد أن تنتصر مهما كانت المصاحب التي أمامها ويكون النجاح قريبا وسهلا إذا أحس كل فرد من أفراد الوطن بقيمته كفرد من المجموع وأحس في نفس الوقت بقيمة الآخرين .

* إن ثورتكم هذه وإن اتشحت بالرداء العسكري إلا أنها ثورة أخلاقية تهدف إلى تقويم ما فاتنا وخلق المواطن الصالح ، ولا شك أن أول خطوة في سبيل خلق المواطن الصالح هو منحه الحرية في إبداء رأيه .

* إذا أردنا أن نحافظ على العزة والقوة فلا بد أن نحرر العقل من كل آثار الماضي البغيض وأن نتجه إلى سياسة جديدة تبدأ من النشء وبهذا يمكن أن ننشئ وطناً كريماً يتمتع فيه المواطنون بالعدل والمساواة .

* إننا نحتاج إلى العمل والجهد والعزيمة حتى نحقق العزة التي ننادى بها ، إننا نحتاج إلى العمل وإلى الجهد ، وإلى كل فرد لنسير في الطريق الشاق الذي لم نقطع منه شيئا ، فإننا ما زلنا نعهد فيه ونعده ليكون الطريق إلى العزة والكرامة .

* لسنا موظفين ولكننا أصحاب رسالة ، نموت ونحن نكافح من أجلها . لقد قمنا بثورتنا يوم ٢٣ يوليو ونحن نعرف أننا قد نموت ، ولكننا آثرنا الموت والتضحية من أجلها ، ولكن الله لم يرضى أن يتخلى عنا ونصرنا أكراما لكم وللزمن الطويل الذي كابدتم فيه ألوانا من الظلم والإرهاق .

* أطلبكم يا شباب بأن تكونوا واعين أقوياء تحكمون العقل وتحكمون الفكر .

* إننا لم نعمل حتى الآن عملا يذكر ، بل إننا حتى الآن نعهد الطريق لنراه طريقا مستقيما يوصلنا إلى الحرية والكرامة والعزة .

* إن ثورتنا في ٢٣ يوليو ليست إلا نقطة الإبتداء دفنا فيها الماضي ليخرج المستقبل إلى النور والمستقبل وديعة في أيدينا وأمانة في أعناقنا .

* اجدد العهد على أن نكون لكم وبكم ، أن تكون لكم خداما يعملون لوطنكم ، ويسهرون

من أجل أولادكم ، ويشقون فى سبيل مجدكم ، وأن نكون خداماً صغاراً إن طمعوا ففى شرف الخدمة ، وإن زاحموا ففى سبيل العمل الصالح متأسين بقول خاتم الرسل والنبين : «اللهم أحيى مسكيناً وأمتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين» .

* لقد نسى بعضنا الماضى ونسى ما كنا نكابده فيه ، وهذا النسيان أخطر علينا من أعدائنا فإن أعدائنا نعرفهم ، ومظهرهم وحده يحفزنا إلى دوام اليقظة ، أما النسيان فيسلمنا إلى الإسترخاء والإستسلام .

* أريد منكم أن تحاسبونا على الملالم والجنيات وأن تقيسوا أعمالنا بالأمطار والأطنان والأرطل فنحن بنى ونقيم ، نحن نؤسس ونوسع ونرم ، وهذا كله عمل شاق يحتاج إلى معونتكم وإيمانكم ، ولسنا نود أن نشترى ثقتكم الغالية وتعاونكم المنشود بثمن بخس ، وإنما نريد أن ندفع فيه عرقاً يتصبب من الجبين ، وسهراً مرأ ، وعملاً متصلاً ، ونحن ندفع هذا الثمن راضية به قلوبنا طيبة نفوسنا لأننا نعرف أن من ورائه مجدا لهذه الأمة وعظمة لهذا الشعب وكرامة لهذا الوطن الذى نفتديه بالمهج والأرواح .

* ما جئنا اليوم نلهب العواطف ونثير الغرائز ولكننا جئنا هنا لنتلقى بكم ولنتحدث إلى عقولكم لا نريد أن نلهب العواطف فطالما سمعنا هتافاً طالما هللنا فماذا كانت النتيجة . أننا نطالبكم بالنظام لنسير متمسكين بالوعى حتى نحقق الأهداف تاركين الهتاف بالأسماء .

* استطعنا أن نقضى على الإستبداد السياسى الذى أشاعه حفنة من المصللين .

استطعنا أن نقضى على الإستبداد السياسى ونحن نهدف بهذا إلى حياة سياسية سليمة واستطعنا أن نحرر الغالبية العظمى لهذا الوطن .

* إن نزعات آئمة وأفكاراً شريرة ومذاهب مدمرة تزحف اليوم إلى عقولنا وقلوبنا من بلاد قريبة أو بلاد بعيدة لتحطم فى نفوسنا الإيمان بالمثل الإنسانية الرفيعة وتخدعنا عن حقيقة وجودنا الروحانى فى هذه البقعة من العالم التى خصها الله برسائله وأنبيائه وجعل أهلها رواد الحق والخير والجمال والفضيلة للبشرية كلها .

* إن هذا الشعب الذى كافح السنين الطويلة قد خلف حراً ليعيش حراً ولن يقبل فى يوم من الأيام أن يكون عبداً .

نعم إن أبائنا وأجدادنا قد ثاروا فى الماضى وكافجوا ولم يظفروا بنتيجة ثورتهم ويجب أن نتعلم من ظروفهم وأن نتبصر أمورنا وأن نتبين طريقنا وأن نتخلص من الأخطاء ونجتاز الصعاب التى صادفتهم .

وإننا لنعلم يقيناً أن هذا الشعب قد استعبده فئة طالما أبتزت منه الرزق ، ومعت عنه لقمة العيش وهذه الفئة مستعدة لإستعباده مرة أخرى متى سنحت الفرصة .

ولكننا إذا تبصرنا أمورنا ونظرنا إلى الماضي وأخذنا منه العبرة وانتفعنا بدروسه بهذا فقط نستطيع تحقيق أهداف ثورتنا وهي القضاء على الإستبداد السياسى والظلم الاجتماعى والإستعمار البريطانى .

أحب أن أؤكد لكم إن الطريق التى نسير فيها لتتخلص من هذه المآسى شاقة وطويلة ولكن بالإيمان والصبر والتعاون ستممكن من هذا كله .

* الصبر والعزم والوعى لا يمكن الرجعيين أن يعودوا بنا إلى الوراء ، إن الرجعية والحزبية يتربسان بكم الدوائر فتسلحوا بالروح العالية حتى لا يتمكن أعوان الإستعمار أن يرفعوا رؤوسهم من الجحور .

* بدأنا نؤمن بضرورة التخلص من الفردية ومن القضاء على هذه المعانى البغيضة التى عمل الإستعمار على تأصيلها فينا وبدأنا نؤمن بالقوة وبذلك شعرنا أننا فى طريقنا إلى التخلص من كل الرواسب القديمة التى تركناها وراء ظهورنا فإننا سننشئ مصر العظيمة التى يشعر كل فرد منها بالعزة والكرامة .

* إني اطلبكم بالآلا تطمئنوا مطلقاً لأن الأطمئنان قد يبعدنا عن هدفنا فإن الجهاد يشعر بالإطمئنان ولذلك لا نتحرك ، ونحن فى هذه الظروف المحيطة بنا يجب ألا نشهر بالإطمئنان لأننا لا نستطيع أن نخيف أحداً إلا إذا عرفنا الخوف وعرفنا كيف نخيف أعدائنا .

* لقد قضت الثورة على الرجعية والإستبداد ونفذ رأس المال . وعلينا ألا نسمح بهذه المآسى أن تعود وأن نتعمق فى كل شئ حتى لا نخدع مرة أخرى ونمسى ونصبح فإذا ثورتنا زوبعة مرت بمصر يوم ٢٣ يوليو ثم انقضت دون أن تترك جذورا ثابتة أو أثارا نافعة .

* نحن شعب قوى ينقصنا أن نصحح شخصيتنا ، ما أحوجنا إلى التخلص من روح الطغيان والإستبداد ، وهذا يتطلب من كفاحاً طويلاً مريراً يقوم على أسس من إدراك الواجب وإنكار الذات .

* إن فى هذا الشعب فئة من الناس أشد خطراً عليه من ألد أعدائه هى الفئة التى خلقت الطغاة السابقين ، فإن الطغاة الذين ظهروا فى بلادنا فى الماضى لم يستمرعوا الطغيان ، ولم يتشبثوا به إلا لأن ، بعض الناس أغروهم عليه ويسروا لهم سبله .

* إن الثورة تريد من الشباب العمل اليقظ والتطلع إلى المستقبل ورقابة الزعماء والحاكمين

وحسابهم إن أخطأوا أو ضلوا ومنحهم الثقة بهم إن أحسنوا وساروا في الطريق المستقيم .

* إن الجيش هو عنوان شرف الأمة وهو قبضتها التي تضرب بها المهاجمين وتلوح بها في وجه المتربصين ، وهو آخر الأمر خلاصة ما في الشعب من قوة وثروة وعلم وأخلاق ، فلن يكون في أمة ضعيفة جيش قوى ولن يكون جيش ضعيف في أمة قوية .

* إن مستقبل الشوب لا يبنى على التمنى وإنما يقوم على القوة والعلم والإغتناب ، والله لم يخلصنا عبثاً أو إرتجلاً أو مصادفة ، إنما جئنا إلى الدنيا نحمل رسالة الجندي والقائد المصلح والمؤمن القوى الأمين .

* إن مبادئ الثورة تتركز في أن يتمتع شعب مصر بحياة ديمقراطية صحيحة بدلا من الدكتاتورية البرلمانية التي عانا منها سنوات طويلاً ، ونحن الآن ما زلنا نبث مبادئ الديمقراطية في الشعب ولما نتعد بعد فترة الانتقال .

* إذا استطعنا أن نخلق هذا الجيل من الشباب القوى الوطني المؤمن بنفسه ووطنه جاز لنا أن نطمئن إلى أن هذه البلاد لن تنتكس أو تعود إلى الوراء .

وما كان الاستباق وراء العواطف إلا الطريق إلى الخداع والضلال وكم خدع الشعب في الماضي لأن حكام البلاد كانوا يستغلون عواطفه ويخدعونه .

وعن الإتهام الذي وجه خلال هذه الفترة لعبد الناصر بأنه كان ديمقراطياً وذلك بسبب أسلوبه في التخلص من خصومه ، نراه يقول في مذكراته (مصدر سابق) :

أنا لست دكتاتوريا ، ولا أريد الدكتاتورية ، لقد دعا مجلس الثورة الأحزاب غداة الثورة إلى تحمل المسؤولية فأبت إلا أن تسير على الطريق الذي إعتادت السير عليها ، إنها تريد أن تفعل الخير عن طريق الشر ، وما كانت طريق الخير في أى يوم من الأيام سوى الخير نفسه ، إنهم يتحدثون عن الديمقراطية فهل الديمقراطية في بقاء الجهل . وهل الديمقراطية في بقاء الأقطاع . وهل الديمقراطية في بقاء الفقر .

كيف يمكن أن نكون ديمقراطيين ونحن نستعبد ملايين الفلاحين . وكيف يمكن أن نكون ديمقراطيين ونحن لا نعرف للعامل حقاً ونعرض على أن نملك حق طرده في أى يوم وفي أية ساعة .

لقد كنا في الماضي نحكم ديمقراطياً . كان لنا ملك . وكان لنا مجلس نواب ومجلس شيوخ . فهل هذه هي الديمقراطية التي نريدها . هل نعود إلى ما كنا عليه ، وفيه كانت الثورة إذن .

أما كان في وسعى أن أقيم حكما ديمقراطيا نيايا على الأسس القديمة نفسها . أو حتى على أفضل منها . أما كان في وسعى أن أجمع مجلسا نيايا لمجلس الثورة فيه أغلبية كبرى . ولكنى لا أحب هذه الأساليب .

إن للثورة مبدأ مقررأ ، هو أن تحرر الفرد المصرى من كل عبودية وحتى تطمئن الثورة ، إلى أن الفرد المصرى قد تحرر فعلا . وأنه أصبح قادرا على أن يفرض ما يريد هو كمواطن ، له كل الحقوق التى يتمتع بها أى مواطن آخر ، حين أطمئن إلى هذا تكون رسالة الثورة قد بلغت غايتها .

إن الثورة ما قامت لتطرد فاروق وحده من مصر ، وإنما قامت لإنقاذ مصر ، ويجب ألا تتهم الثورة بالإجرام لمجرد إنها لا تريد إعادة الأوضاع الفاسدة إلى ما كانت عليه . يجب أن تتدى واجبها حتى النهاية . وهذا الواجب لا يمكن أن يتدى كاملا إذا لم يعرف الشعب المصرى حقوقه وواجباته وإذا لم يتحرر نهائيا من سيطرة السيد .

الديمقراطية ليست فوضى ، والحرية ليست حرية الفرد فى أن يفعل ما يشاء .

إن للديمقراطية حدودا . كما إن للحرية حدودا . وفى نطاق هذه الحدود تعمل الثورة . إن ثورة مصر ، هى ثورة الشعب ، لا ثورة جمال عبد الناصر .

حين تولينا الحكم . لم نتصل بأجنبى لنستعين به على الشعب . وإنما استعنا بالشعب على الأجنبى . وكان علينا أن نطهر البلاد من الفساد ، وطهرنا ما أمكنا منه وكنا مؤمنين بأنه لا سبيل إلى القضاء على الاحتلال الأجنبى وعلى الخونة وقد فعلنا .

وحين أدرك المستعمر أنه لم يبق لهم من يعتمدوا عليه فى البلاد ، حين أدركوا أن عيونهم فى البلاد قد فقدت نورها ، وإن أيديهم قد بترت ، يومها فقط ، شعروا بأنه لا سبيل للبقاء . ويومها فقط شعروا بأنه لا مناص من الرحل فكان الجلاء .

ولكن الجلاء لا يتحقق بوثيقة .

إن خطره يظل قائما مادام فى البلاد جندى أجنبى واحد .

ولكى نحدد المحاور الفكرية أكثر نرصد ما يقوله عبد الناصر من أقوال تحدد حقيقة شخصيته المخيرة سياسيا والهامة خلال هذه الفترة من تاريخ مصر . أنه يقول :

لا أسرار فى السياسة وليعرف الشعب كل شئ .

«لقد مضى الزمن الذى يمكن أن يعيش فيه السطحيون ..» .

«قوى الخير ستتصر حتما وتدوس قوى الشر بالأقدام» .

«قلت لكم فى مارس الماضى ، أننا لن نخادع ، أو نضل أو نستجدى ، قلت لكم هذا فى أصعب الأوقات ، كنت أحمل فى نفسى كل هذا ، وكنت أعلم أن هناك فئة تستجدى ، حتى إذا تمكنوا منكم فإنهم يستبدون بكم وبأرزاكم .

إن بلادنا اليوم تحتاج لكل فرد من أبنائها ، تحتاج كل فرد فى أبنائها فكريا وعقليا ونفسيا . لن تكون هناك حرية إلا إذا تحررت الأرزاق وتحررت لقمة العيش وشعر كل فرد أنه يعيش فى وطن تتكافأ فيه الفرص ، ويستطيع أن يقوم ما يريد ولا يحيا مهدداً فى رزقه ولا فى أولاده أو فى مستقبله .

«لا يجب أن يتنحى أى فرد منا جانبا من الحياة» .

ولما سأل عن أمله فى الحياة أجاب هذه الإجابة الحاسمة .. أن أرى الفرص متساوية متكافئة أمام جميع المواطنين الأحرار . وأن أرى أبناء مصر يعملون جميعا لبناء دولتهم شاهقة جبارة ، متساندين متكاتفين وإن أرى الأنانية والحسد والحقد والضعف المتفشية فى مجتمعنا قد انتهت إلى غير رجعة .

وهو يحدد التعبير حين يصور أمرا خطيراً ، تحس فى تعبيره مدى الوضوح الذى فى نفسه .. «هذه الثورة منذ أول يوم وهى لا تزال عاملة على إرساء قواعد هذه الحرية بأكمل معانيها فهى قد عملت على إقامة حكم العمل لصالح الجماعة .. أما القضاء على الأقطاع وعلى سيطرة رأس المال فقد بدأت الثورة طريقها إلى هذا الهدف واستطعنا بعد صراع طويل فى النواحي السياسية والاجتماعية أن نبني هذه الأسس وهذه المبادئ» .

والحزبية ما هى :

يقول جمال عبد الناصر «لقد كانت الحزبية والحزبية وحدها هى السبيل الذى استطاع به الإستعمار أن يتمكن من أراضينا . لقد كانت الحزبية هى العامل الأول الذى صرف هذا الوطن عن أهدافه وحرته التى نادى بها فى ثورة ١٩١٩ م .

والحزبية هى الداء الذى حول معنى حرية الأغلبية إلى حرية الأقلية . وكانت الحزبية أقلية تتحكم فى الأغلبية ، وكان الحكم قائماً لصالح الأقلية ، من أجل هذا تحكم فىنا الإستغلال وتحكم فىنا الإستبداد وتحكم فىنا رأس المال وتحكم فىنا الذين كانوا يرون مصالحهم تتحقق على حساب مصالح الأغلبية ...» .



عبد الناصر في منزله .. ١٩٥٣

ويعصور جمال عبد الناصر الحكم بعد فترة الإنتقال :

«لن يكون حكما حزبيا ولكنه سيكون حكما قوميا، إن الديمقراطية التي قمنا من أجلها في ٢٣ يوليو ديمقراطية سليمة نظيفة لا تسمح للأجنبي بالتدخل ولا للمستغل بالتحكم . إنها ديمقراطية قوية من أجل مصالح الأغلبية غايتها تحرير الفرد ، تحرير الرزق ، عدالة حقيقية ، وحرية فردية ، وحرية جماعية .

وفي يناير ١٩٥٦م لن تكون في مصر أحزاب ، بل سيكون هناك برلمان يعمل للوطن وللأغلبية ، لا يعمل لرأس المال ولا للأقطاع أو تحت توجيه أى قوة خارجية شرقية كانت أو غربية ولكنه سيعمل لمصر وحدها .. سيكون هناك جيش وطنى لحماية هذا الوطن لا لحماية حكم أو حكام لأنكم حينما قمتم بهذه الثورة قمتم لتحقيق أهدافها ولشيت هذه الأهداف ..» .

وحيثما رفع العلم المصرى على الشلوفة هزه هذا المعنى الضخم كخطوة كبرى فى تحقيق الجلاء فقال :

«الحرية ليست كلمة تقال ، ولكنها جهاد وعمل ، جهاد أمة وعمل شعب هذه الحرية التى نشعر بها اليوم ، نشعر بها فى كل شعرة من أجسامنا . سنحافظ عليها ، وسنعمل على تقويتها فى هذا الوطن ، هذه الحرية التى تسعطينا القوة فأننا حينما نشعر أننا قد تحررنا تحرراً كاملاً ، تحرراً داخلياً وتحرراً خارجياً ، وتحرراً من كل الإستغلال فى الداخل ، وتحرراً من الإحتلال الأجنبى ، حينئذ نشعر أن الوطن أصبح ملكا لنا جميعا .

وقال عن الجيش الذى تمنيناه فى ٢٣ يوليو هو جيش وطنى لحماية حدوده ، أن هذا الجيش لن يحمى الحكم والأفراد ولكنه سيحمى مبادئ هذه الثورة ومثلها العليا التى قامت من أجلها للشعب ..» .

وقال عن الجيش :

الذى تمنيناه فى ٢٣ يوليو هو جيش وطنى لحماية حدوده ، أن هذا الجيش لن يحمى الحكم والأفراد ولكنه سيحمى مبادئ هذه الثورة ومثلها العليا التى قامت من أجلها للشعب ..» .

ووقف جمال عبد الناصر فى معمل القزاز حيث بدأ يوزع أراضي الإصلاح الزراعى فقال :

تحديد الملكية التى تخلصنا بها من الإقطاع والإقطاعيين الذين ظلوا سنين طويلة فى هذا البلد يعبر عن معنيين رئيسيين المعنى الأول هو الحرية السياسية والتخلص من الإستبداد

السياسى وهذه الأرض هى العامل الأول دائما فى التوجيه السياسى فى هذا البلد والفلاح الذى كان يشتغل فيها ينظر إلى صاحب الأرض على أنه الرجل الذى يتحكم فيه ، وفى رزقه ، وكأن لا يستطيع أبدا بأى وسيلة أن يتخلص من التوجيه السياسى الذى يشير به عليه وكأن هذا التوجيه ينحصر فى نتيجة واحدة هى تحكم الإقطاع فى الحكم وتحكم الإقطاع فى سياسة الدولة .

هذه الأرض ليس معناها تمليك الأرض ولكن معناها التحرر والحرية ، التحرر من الظلم السياسى والحرية من التحكم فى الرزق والحرية فى التحكم من لقمة العيش .. » .

وفى مهرجان آخر للتوزيع أخذ يصحح الأخطاء التى وقع فيها بعض الناس ويربط الماضى بالحاضر ، لقد سلب محمد على الأرض من أصحابها وجاء جمال يعيدها إليهم :
«.... لقد سمعت من يقول إن الأرض ردت إلى أصحابها الفلاحين فى غمضة عين ، ولكن هذا اعتقاد خاطئ ، فالأرض التى توزع الآن كافح فى سبيل إستردادها أباؤنا وأجدادنا كفاحاً طويلاً مريراً شاقاً كانت له ضحايا فى الأرواح والأبدان بالمئات والألوف ذاقوا من مرارة الحرمان كؤوساً مترعة ، ولم تقعدهم الهزائم التى صادفتهم فى هذا الزمن الطويل عن مواصلة الكفاح لاسترداد الحقوق المغتصبة .

ارجعوا إلى مصر محمد على وأذكروا ما فعل ، أنه جمع مستندات تمليك الأرض من أصحابها وأحرقها وأصبح هو المالك لأرض مصر ثم بدأ يوزع الأرض على البطانة الأجنبية التى أحضرها معه من الخارج .

كانت معركة استمرت عشرات السنين ، وكان لها ضحايا ، فكيف يقال إن النصر جاء فى غمضة عين ، وكيف ينسى الذين ماتوا من الجوع والتعب والأذى والذين هاجروا من ديارهم التماساً للأمن والظلم يطاردتهم .

باسم هؤلاء الضحايا ثرنا نحن أبناء الفلاحين وكانت ثورتنا خاتمة هذه المرحلة الطويلة من الآلام والعذاب وقد كللها الله بنصر من عنده . » .

وهو لا ينسى أبداً أن يذكر الناس باليقظة والحرص .. «يجب ألا نطمئن أبداً ، لأن الطمأنينة تدعو إلى التكاسل ، وإذا تهاونا إنتقض علينا الإقطاع مرة أخرى ، وأنشب أظافر الاستغلال فى أعناقنا وعاد يتحكم فى أرزاقنا وفى حرياتنا .. » .

والصحافة التى قيل إنها أحرست فى تلك الفترة يرى بشأنها جمال عبد الناصر :

«لقد كنت أؤمن دائما أن مهمة الصحافة ليست مجرد سر الأخبار ، ومتابعة تطوراتها يوما بعد يوم ، ذلك جزء هام من طبيعة عملها لا أستطيع أن أنكره أو أقلل من أهميته ، ولكن أول واجبات الصحافة الرشيدة في البلد الرشيد ، أن تكون له بمثابة الأنوار الكاشفة على طريق الغد .

والمعلمون والتعليم : ماذا يقول فيها جمال عبد الناصر :

يقول «... إذا كنا قد حررنا الأرض من الإحتلال ، وإذا كنا نريد أن نحفظ بهذا النصر فلا بد أن نحرر العقل والنفس من آثار الإحتلال والإستعباد وهذه رسالتكم أيها المعلمون» .
إننا لم نخادع ولم نضل ، ولكن ستمسك بالمبادئ والمثل العليا ونطالبكم بالمبادئ والمثل العليا وأن تعلموا النشء ألا يخادع أو يضل ، وبذلك نحقق قيام الوطن الذي يتساوى فيه الجميع .

وهو يصور مسألة استخدام الدين في التوظيف السياسي في مصر قبل الثورة ...
كنا قبل الثورة ناثمين نشتكى لبعضنا وينتهى العمل بمجرد الشكوى ، وكانت النتيجة خضوعاً .

فباسم الخلافة والاحتلال التركي ضحكوا علينا باسم الدين وقضوا على الأخلاق وانتشرت الرشوة ونحن كشعب طيب كنا نصدق وكان المصير الإستغلال والإستعباد ، تحكموا فينا كأفراد وربوا في أنفسنا الخوف والفرع .

«.. لقد استبد بنا التواكل مدة طويلة ، لأن آثار السياط على ظهورنا لا تزال تؤثر في نفوسنا وقلوبنا ولا تزال تتفاعل مع شعورنا ومشاعرنا .

وإن الإستعمار التركي والإستعمار البريطاني قد أوجدا فينا فئة من الطغاة وفئة من المستسلمين فإذا أردنا أن نحقق أهدافنا فيجب أن نتخلص من الطغيان ونتخلص من الإستسلام ..» .

وهو يقول في مصلحة مصر :

«.. لو هيأت لي الأسباب كلها لبدأت أن أجعل لكل فرد من هذه الأمة كيانه الذي يشعره بأنه عضو نافع له قيمته بين مواطنيه فهذا يستطيع أن يشعر كل مواطن بأن مصر ليست ملكاً لأحد غيره وإن عليه أن يحمي حماها أو يغنى في الدفاع عنها ، ولن يتأتى هذا إلا إذا أصبح الفرد في مستوى من المعيشة يليق بآدميته ، هذا أول ما أطمع في تحقيقه



عبد الناصر في لقطتان مع طلاب المدارس ١٩٥٤

لا لإسعاد الأفراد فإن كان كل إنسان منا إلى زوال بل لإعزاز مصر ، ولتمكين مجدها وسؤدها إلى آخر الأبد ...» .

ويتكشف جانب من نفسيته عندما يتحدث في الإجابة على سؤال وجه إليه عن طريقته في الراحة بعد التعب .

«.. لا أظن أن لي طريقة في الراحة بعد التعب فحياتي كلها تعب ونضال .. ولا أظن أنني استمتعت بالراحة التي يتمتع بها سائر عباد الله على كثرة ما صادفني من أحداث كانت تعكر لحظات راحتي وتستنهضني للكفاح» .

ولو وزن الإنسان بين مقتضيات الراحة والكفاح لخرج من هذه الموازنة بنتيجة واحدة هي أن المحن في حياة الشعوب كالمحن في حياة الأفراد لا تدع لهم وسيلة للإستقرار ..

لقد كانت مصر مثقلة بالأخطاء ، بعناصر الفساد تنخر من الداخل ، وكان الإستعمار يجثم فوق صدرها ويستغل مواردها ويفسد علاقاتها بالدول الأجنبية .

وكان هذا الوضع لا يرضى أى مصرى حر ، فانشغل باله وحرّم الراحة على نفسه ثم إندفع في طريق طويل مرير . عساه يجد ما يخلصه من الفساد والمفسدين ، حتى إذا نجحت ثورة مصر وارتحنا من الفساد فى الداخل ولم يبق إلا أن نستكمل راحتنا بعد أن يغادرنا ديارنا آخر جندى بريطانى ولن يطول بنا إنتظار الراحة المرجوة .

وفى ذلك اليوم فقط سأشعر بالراحة ..

وعن رأيه فى المرأة يقول :

«إن مجتمعنا يخلو من المرأة الموحية مجتمع عقيم لا ينبج عظيمًا» ولا صاحب موهبة ، فالمرأة هى التى تصنع العظماء وتهب لهم المواهب العظمى لتصنع بهم المستقبل العظيم للوطن .

وقد كانت المرأة المصرية قبل ٢٣ يوليو تعمل فى نطاق محدود .. لا يهيء لها وسائل الإنتاج والعمل المثمر إذ كانت الحياة الفاسدة من حولها ومن حول المصريين جميعا تفرض عليها أن تستهلك نصف طاقتها لمقاومة عناصر الفساد والشر فى كل ميدان من ميادين العمل الخاصة والعامة . أما اليوم وقد زالت تلك الأسباب وإنزاحت من طريقها العقبات ، فقد إتاحت لها الفرصة لتحشد طاقتها كاملة للعمل الإيجابى المثمر سواء فى ميدانها الخاص أو ميادين الخدمة العامة ، إنها تستطيع أن تنقل الثورة البانية إلى كل نفس وإلى كل دار فى مصر وإلى كل جماعة عاملة فى البلاد فتثبت بذلك إنها نصف الشعب . بل إنها ذات أثر فى كل

تل هي المحاور الفكرية والإدراكية التي حكمت منهج عبد الناصر في إدارة الحكم خلال الفترة من ١٩٥٢م - ١٩٥٤م ترى هل يرى رجال الثورة نفس الرؤية لتأمل رأى أكثرهم حدة وعنف لتأمل ما يقوله صلاح نصر :

إنه يرى أنه ما إن نجحت الثورة في الإستيلاء على السلطة حتى ثار الجدل داخل البلاد وخارجها حول طبيعة ما حدث يوم ٢٣ يوليو .. فالبعض قال إنها مجرد إنقلاب محدود إستهدف قلب نظام الحكم القائم أو بمعنى أدق الإطاحة بالملك فاروق ، والقيام بضرب من الإصلاح وتطهير الحياة السياسية .. وقال البعض أنها ثورة ذات طبيعة خاصة تمهد لتطور تدريجي يحقق أهدافا إجتماعية وسياسية كانت تصبو إليها نفوس أغلبية الشعب .

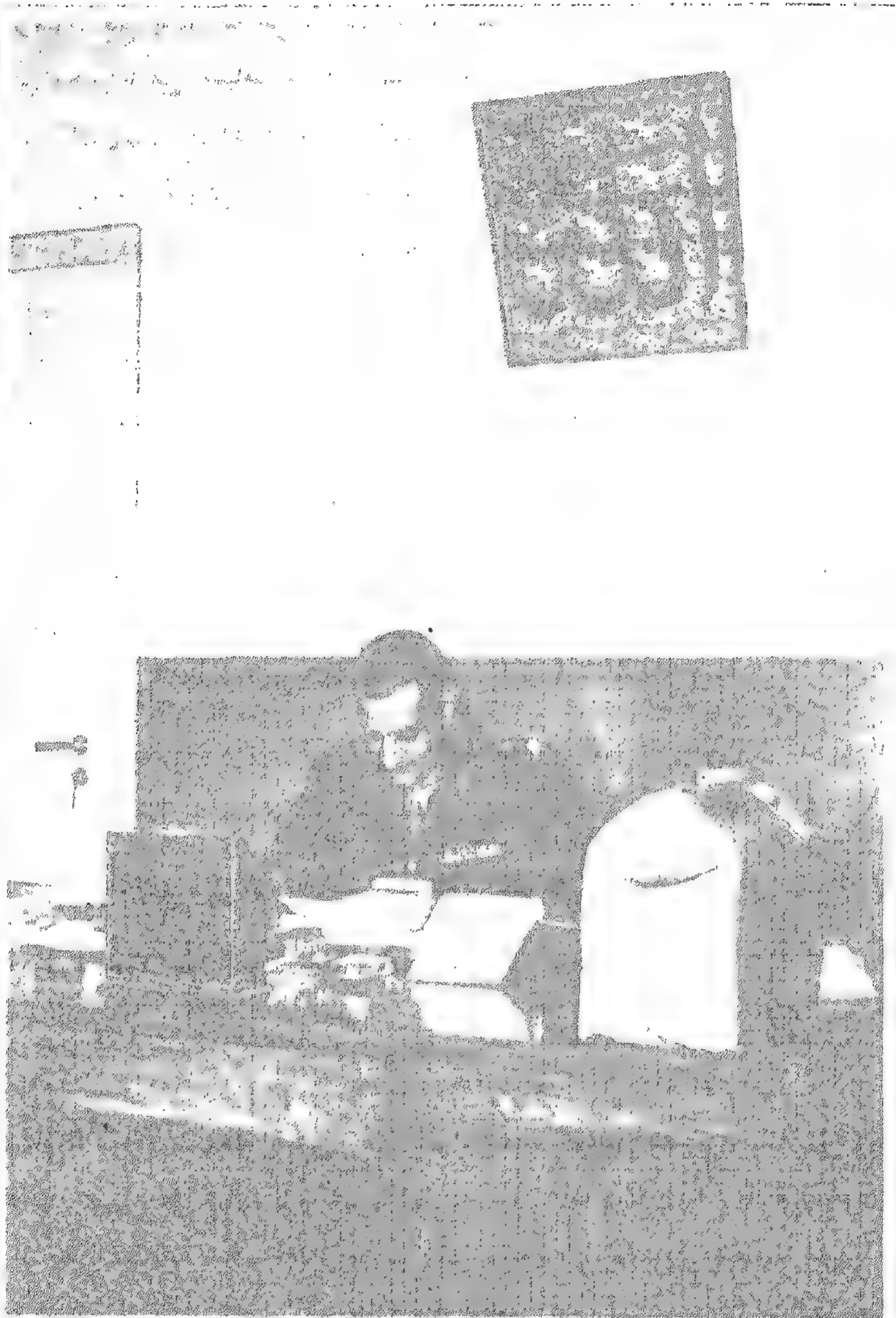
والواقع الذى لا جدال فيه أننا كنا - كتنظيم للضباط الأحرار - لم يكن لدينا قبل نجاح الثورة أى ، مشروع للإستيلاء على السلطة وممارسة الحكم بعد القضاء على النظام القائم .. بل رسخ في ذهن التنظيم مسألة تطهير الحياة السياسية في مصر بعد الإطاحة بفاروق وتسليم الحكم بعد ذلك إلى الطبقة البورجوازية الكبيرة التي كانت تحكم قبل الثورة .

وكان هناك مشروع بتأليف وزارة وفدية على أساس أن حزب الوفد كان يجدد حزب الأغلبية ، وذلك بعد أن يتم الحزب تطهير نفسه من العناصر التي أفسدت الحياة السياسية في ربع القرن السابق للثورة .. وكان يوسف صديث صاحب هذا المشروع ، وقد سجل أسماء الوزراء المرشحين بخطه ، ولكن هذا المشروع سرعان ما وئد ولم يخرج للنور .

ولقد أطلق على ٢٣ يوليو تسميات كثيرة : الإنقلاب .. الحركة .. الثورة .. ولم يحدد اسم لها في بادئ الأمر .. حتى بيننا الضباط الأحرار كان البعض يقول «الإنقلاب» والبعض الآخر يعبر عما حدث بالحركة المباركة ، بينما كان آخرون يطلقون إسم الثورة على ٢٣ يوليو ..

حتى عبد الناصر وهو الزعيم الفعلي لثورة ٢٣ يوليو وصاحب أفكارها على الرغم من محاولات البعض التشكيك في ذلك ، كان يستخدم كلمة الإنقلاب في بادئ الأمر للتعبير عن ٢٣ يوليو .

ويعبر البعض على أن عدم قيام أيديولوجية معينة مع بدء الثورة لا يجعل منها ثورة حقيقية .. بل مجرد إنقلاب عسكري هدفه تحقيق المبادئ الستة الشهيرة .. وقد نسي هؤلاء أنه ما كان مستطاعا في ذلك الوقت أن تتم الإطاحة بنظام الحكم السابق وتنفيذ أيديولوجية



عبد الناصر يقرأ في مكتبه ١٩٥٤

معينة مرسومة قبل إستيلائنا على السلطة وذلك لعدة أسباب : أولها أن تنظيم الضباط الأحرار تشكل من مجموعة من الضباط مختلفة المشارب والتفكير والاتجاه السياسى ، فمنهم الماركسيون ومنهم من كان ينتمى لجماعة الإخوان المسلمين ، ومنهم البورجوازي التفكير ، ومنهم الليبرالى الاتجاه ، ومنهم من لم يكن له موقف سياسى ولذا لم يكن فى استطاعة التنظيم أن يجمع هؤلاء الضباط حول أيديولوجية معينة محددة المعالم .. وثانيها كانت هناك قضايا مصيرية لها أهميتها مثل القضاء على الإستعمار الأجنبى وعملاته الخونة من داخل البلاد ، ومثل إتباع سياسة الحياد والإبتعاد عن الأحلاف التى تقيد حرية البلاد ، ومثل إقامة جيش وطنى قوى يستطيع أن يدافع عن الوطن ومن ثم كانت مسألة التحرير لها الصدارة .

وقد جذبت مثل هذه الأهداف أنظارنا وركزنا عليها كأهداف وطنية لها الصدارة والسبق .. وأخيرا لم يكن فى داخل التنظيم من يستطيع أن يقوم فى مرحلة الأعداد للثورة بعمل نظرية مدروسة متكاملة يتفق عليها الجميع .. ولذا آثرنا أن يسبق العمل النظرية ، أى نأخذ من التطبيق النظرية التى تناسب بلادنا وظروفنا وتقاليدنا .

إنه إعتراف ضمنى بغياب الرؤية والأيديولوجية الحاكمة ، وهو فى تقديرنا أهم نقاط الضعف التى ميزت حكم عبد الناصر خلال هذه المرحلة (١٩٥٢م - ١٩٥٤) .

أما عن أبرز ملامح فكر عبد الناصر أثناء تلك الفترة فإنها فضلا عما سبق تتمثل فى الآتى :
عن أسرة محمد على يقول عبد الناصر يوم ١٨ يونية ١٩٥٣م .

«... حين قمنا بثورتنا هذه باسم الشعب لم يكن هدفنا شخصا معينا فحسب . وإنما كنا

ندرك تمام الإدراك أن العلة الكبرى هى ذلك النظام الفاسد الذى فرضته على البلاد قسرا أسرة دخيلة عليها وعلى تقاليدها وكان هذا النظام يعلم تماما مبلغ إتساع الهوة بينه وبين الشعب فأراد أن يبقى سلطانه بحكم مطلق غاشم وأن يدعمه بالإستناد إلى عنصر أجنبى آخر فإنتهز الفرصة المواتية له ودعا الجيش البريطانى منذ سبعين عاماً ليسند عرشا متهاككا تحت سخط المصريين . ومن ذلك الحين قامت علاقة وثيقة على أساس المصلحة المشتركة المتبادلة بين هذين الغربيين وضحيتهما الأولى الشعب المصرى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عمل الإثنان على أن يجعللا من الإقطاع قوة يعتمدان عليها وقد بلغت هذه المخالفة الثلاثية وهذا الإسفاف فى الفساد والظلم فى شخص فاروق قمنا والشعب بالثورة وطردنا الطاغية وحططنا الإقطاع ، وبعد ذلك صار لزاما علينا أن نقضى على هذا النظام الغريب الفاسد . ومن هنا كان زوال الملكية أمراً محتوماً ..» .

الفساد الإقطاع :

يقول عبد الناصر يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ م :

« كان الظلم الاجتماعي يتجسم في كابوس الإقطاع البغيض فقد ورثنا طبقة من الحكام والإشراف ترفعوا عن الشعب وراحوا يستمتعون بنفوذهم وأموالهم ، وانقسمت البلاد إلى معسكر العبيد وطائفة الأسياد ورأينا الاستبداد السياسي يتجسم في ماردين هدامين هما الإحتلال الأجنبي البغيض والتاج المستهتر العرييد .

وبين هذا وذاك استغل النفوذ واستبيحت الحرمات وأثرى من أثرى على حساب الضعفاء والمظلومين وعمت الرشوة ، ومن كل مكان جارت أصوات الشعب المغلوب على أمره .

أما عن الجلاء فيرى عبد الناصر يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤ :

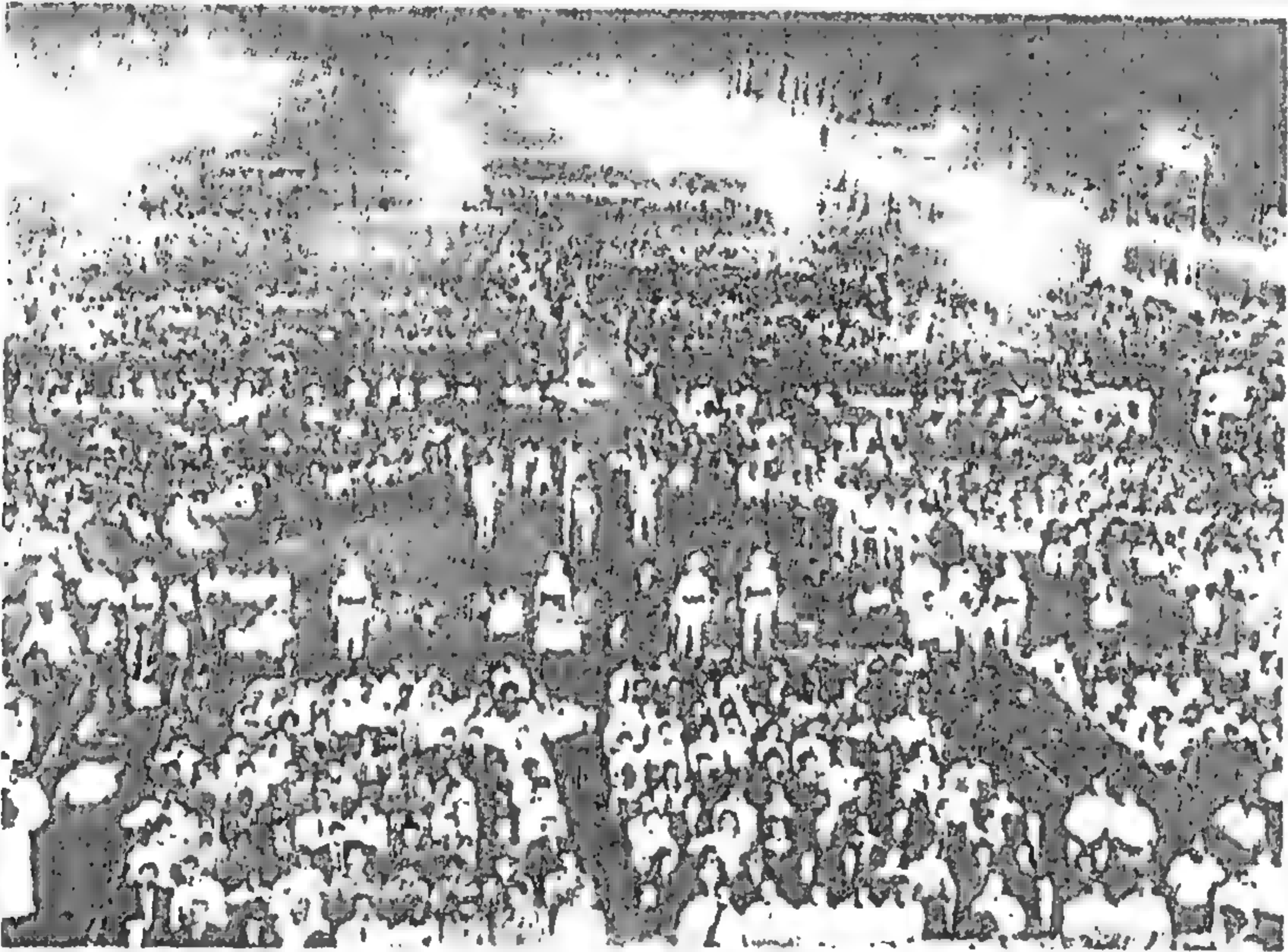
«.. إننا نعيش الآن لحظة مجيدة في تاريخ وطننا . إننا نقف على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا .

لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة ، منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلي فقد وقعنا الآن بالحروف الأولى - إتفاقا ينهى الأحتلال وينظم عملية جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر الخالدة وبذلك تخلص أرض الوطن لأبنائه شريفة عزيزة منيعة . بعد إن قاست اثنين وسبعين عاما مريرة حزينة .

إننى أسرح بخواطرى في هذه اللحظة المجيدة عبر أسوار الحياة إلى الذين جاهدوا من أجل هذا اليوم ، ولم يمتد بهم العمر ليعيشوه أسرح بخواطرى إلى الرحبات المقدسة التى تعيش فيها أرواحهم الخالدة .. وأشعر أنهم يتابعون ما فعلنا كما تابعنا نحن كل ما فعلوا وحملنا الأمانة بعدهم ورفعنا المشاعل على الطريق ..

إننى أتجه إليهم بقلب شعب وأتجه إليهم بوفاء جيل . إليهم جميعاً . الزعماء الذين كافحوا : أحمد عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول . والشباب الذين باعوا أرواحهم للفداء على كل بقعة من ثرى الوطن .

أتجه إليهم بقلب شعب وبوفاء جيل وأقول لهم : سوف نغضى على الطريق لن نضعف ولن نتخاذل . ولن ننسى الأمانة التى حملناها ولا الواجب الوطنى الذى عاهدنا الله أن نقوم به ...»



عبد الناصر يعلن تأميم شركة قناة السويس

أما عن تأميم قناة السويس :

فإن عبد الناصر يرى يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٤م :

«.. في الثلاثين من نوفمبر ١٩٨٤م منح فردناند دلسيس ترخيصاً بتأسيس الشركة العالمية لقناة السويس البحرية توصل ما بين البحر المتوسط والبحر الأحمر بإنشاء طريق للملاحة يصلح دائماً لمرور السفن الكبرى ولإستغلال هذا الطريق ، على أن تكون مدة الإمتياز هذا اليوم السابع عشر من نوفمبر ومنذ خمس وثمانين سنة افتتحت القناة للملاحة بعد. إن تم حفرها وإعدادها . وبدأت مدة الإمتياز في السريان . ولم يبق منها اليوم سوى أربع عشرة سنة وهو ما يعد في عمر هذا الإمتياز فترة نهايتها .

وإنها لمناسبة نقف عندها قليلاً نسدد الطرف نحو ماضينا لكنى ننسب إليه حاضرننا ثم نقيس عليه مستقبلنا .

إن من يستعرض الأحداق التى عاصرت إنشاء برزخ السويس وتلك التى تلت هذا الإنشاء لا يفوته أن يدرك ما كان للقناة من أثر خطير في تاريخ بلادنا جعلت منه تاريخاً حافلاً بالعبر مليئاً بالآلم الذكريات .

ألم تدفع مصر في هذا الطريق العالمى للملاحة ثمناً غالياً ألم تهدر حقوقها في تلك الفترة من تاريخها ؟ ألم تكن القناة من الأسباب الرئيسية التى دفعت بالإستعمار إلى إحتلال بلادنا بعد أن بيعت أسهم مصر فيها بأبخس الأثمان ؟ ألم يتخذ الإستعمار من القناة ذريعة يسوغ بها بقاء الإحتلال ومن الدفاع لربط مصر بعجلته ، ذلك عهد أحمد الله إن سجلنا نهايته وإنقضائه بإتفاق الجلاء ووالله ما كان لهذا العهد أن ينقضى لولا المشقة . ووالله ما إنقضى إلا بفضل كفاح طويل مرير إستغرق من الأجيال ثلاثة كفاح بدأه أجدادنا وحمل شعلته أبائنا وأوقد جذوته شبابنا .

وإذا كان لهذا الجيل وهو يؤدى التحية للأجيال السابقة إن عبدت له الطريق إذا كان له أن ينظر إلى حاضره بعين مستبشرة فلن تفر عينه بالمستقبل إلا إذا شهد الله على أن يقوم في الحاضر بمسئوليته كاملة قبل الأجيال القادمة .

لقد كانت مصر للقناة ذلك هو الماضى . ولم تعد مصر للقناة ذلك هو الحاضر ، وسوف تكون القناة لمصر ذلك هو المستقبل .

إنى اعلن باسمكم بداية الفترة التى تمهد لتسليم مصر مرفق قناة السويس عند إنتهاء مدة الإمتياز والقيام على إدارته وإستغلاله ، وإنه لواجب على حكومة الثورة أن تخص بعنايتها الفائقة

قناة السويس هذا الجزء الذى لا يتجزأ من بلادنا وأن نحرص كل الحرص على أن تقوم مصر بالأعباء التى تقع على عاتقها وعلى أن هذا الطريق العالمى للملاحة يظل مفتوحا مدارا خيرا لإدارة . .

وإذا كنا نبدأ هذه الفترة من الآن فلكى نتق الوقوع من جديد فى أخطاء الماضى عندما كانت المشاكل تفاجئنا عاجزين واتباعا لمنطق التبصر والحكمة وهما يقضيان بالتمهيد ليوم إنتهاء الإمتياز بإجراء الدراسات اللازمة وإعداد العدة لمواجهة المشاكل الدقيقة التى تلازم إدارة مثل هذا المرفق وإستغلاله وجعل مصر فى المرتبة التى يتيح لها النهوض بتبعاتها كاملة على أحسن وجه ..

ولقد بين عبد الناصر فى كتاب (فلسفة الثورة) أبعاد الثورة خلال فترة ١٩٥٢م - ١٩٥٤م) بقوله :

« .. وليس صحيحاً أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى أسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحاً كذلك أنها قامت بسبب الأسلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال أن ، السبب كان أزمة إنتخابات نادى ضباط الجيش » .

«لما الأمر فى رأى كان أبعد من هذا وأعرق أغواراً» .

ويحاول عبد الناصر أن يوضح الأسباب الحقيقية للثورة ، التى لم يستطع الآخرون أن يلموا بها .. وذلك إن عبد الناصر يرجع بتاريخ الثورة إلى زمن بعيد عن تاريخ قيامها فهو يقول :

«يريد بعض الناس أن يعتبروا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بمثابة نقطة بداية لثورتنا .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. إن ٢٣ يوليو لم تكن سوى المرحلة الأخيرة للثورة . إن بدايتها ترجع إلى الحادى عشر من يوليو عام ١٨٨٢م ففى هذا اليوم تعرضت مدينة الأسكندرية الوادعة إلى ضربها بالمدفع من المعتدين الأنجليز ... وتلا ذلك الإحتلال البغيض وثار مصر ، إذ قام أحمد عرابى الجندى القروى على رأس قوة من الضباط الأحرار والجنود لطرد المعتدين .. ولكن الثورة لم تحقق أهدافها .. وولدت الثورة من جديد وكانت لا تزال فى مهدها ، وكانت تحتاج إلى وقت لتنمو وتنضج قبل أن تستطيع أن تقرر قيامها .. وهكذا فإن أول هدف للثورة منذ أول يوم فى حياتها كان تحرير مصر .

ويعزو عبد الناصر السبب الرئيسى لقيام ثورة ٢٣ يوليو إلى إستعباد الأمبرياليين وصنائعهم



من سادة الأرض الإقطاعيين المصريين للشعب المصرى . فهو يقول فى كتاب فلسفة الثورة .
«وهكذا يكون من هدف الثورة الرئيسى تحرير العبيد أى الشعب ، ونضعهم - بدل
سادتهم - فى حكم البلاد .. إن الثوار المصريين شأنهم الثوار فى الماضى يحلمون بإنشاء حكم
الشعب .. إن ثورة ٢٣ يوليو هى تحقيق الحلم الذى يحلم به الناس منذ بداية القرن الماضى ..
أن يحكموا أنفسهم ، ويصبحوا سادة مصيرهم» .

ويقول عبد الناصر أن الجيش يمثل الشعب لأن الجيش من الشعب وإلى الشعب ..
وفى مناسبات عدة ، كان عبد الناصر يؤكد فى تصريحاته تمسكه بنظام ديمقراطى حر ،
ويعد بعودة سريعة إليه ففى ١٧ من يونية سنة ١٩٥٣م قال :

«إننى أؤمن بالديمقراطية الحقة ، لأننى أؤمن أن الشعب له الحق فى إختياره المحض لكل
ما يخص وجوده ومستقبله ، ومن ثم أرى أن الشعب ينبغى أن يترك حراً كى يختار النظام
المناسب لحكومته» .

على أن الديمقراطية التى كانت فى ذهن عبد الناصر تختلف عن الديمقراطية الغربية المعروفة .
فعبد الناصر بينما يقول أن الثورة تهدف إلى إقامة حكم الشعب للشعب ، كان يعلن أن
الجيش هو الذى يختار الحكومة التى تحكم نيابة عن الجيش ومن الواضح أن هذه الديمقراطية
تختلف تماماً عن الديمقراطية الغربية فهى نظرياً ديمقراطية تدرج من أسفل إلى أعلى كما فى
النظام الشيوعى ، ولكنها من ناحية التطبيق تصبح عبارة عن سلطة عليا تمارس السلطة كما
فى النظام الفاشى .

يقول بد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة :

«لقد كنت أتصور قبل ٢٣ يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة ، وأنها لا تنتظر إلا طليعة
تقتحم أمامها السور ، فتندفع الأمة ورائها صفوفاً متراسة منتظمة تزحف زحفا مقدسا إلى
الهدف الكبير» .

«وكنت أتصور دورنا على أنه دور طليعة الفدائيين وكنت أظن أن دورنا هذا لا يستغرق
أكثر من بضع ساعات ، ويأتى بعدها الزحف المقدس للصفوف المتراسة المنتظمة إلى الهدف
الكبير ، بل قد كان الخيال يشط بى أحيانا فيخيل إلى أنى أسمع صليل الصفوف المتراسة
وأسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم إلى الهدف الكبير ، أسمع هذه كله ويبدو فى سمعى
من فرط إيمانى به حقيقة مادية وليس مجرد تصورات خيال .. ثم فاجأنى الواقع بعد ٢٣

يوليو .. قامت الطليعة بمهمتها واقتحمت سور الطغيان وخلعت الطاغية ، ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصقوف المتراصة المنتظمة إلى الهدف الكبير .. وطال إنتظارها .. لقد جاءت جموع ليس لها آخر .. ولكن . بعدما أبعد الحقيقة عن الخيال .. كانت الجموع التي جاءت أشياء متفرقة .. وفلولا متنافرة ، وتعطل الزحف المقدس إل الهدف الكبير وبدأت الصورة يومها قائمة مخيفة تنذر بالخطر .

وساعتها أحسست وقلبي يملؤه الحزن وتقطر منه المرارة إن مهمة الطليعة لم تنته فى هذه الساعة وإنما من هذه الساعة بدأت ..

«كنا فى حاجة إلى النظام فلم نجد وراءنا إلا الفوضى .. وكنا فى حاجة إلى الإتحاد ، فلم نجد وراءنا إلا الخلاف .. وكنا فى حاجة إلى العمل ، فلم نجد وراءنا إلا الخنوع والتكاسل .. ومن هنا وليس من أى شئ آخر أخذت الثورة شعارها «الإتحاد ... النظام .. العمل» .

على أن شخصية عبد الناصر تغيرت مع ممارسة السلطة ، ففي بادئ الأمر ، كانت تصريحات عبد الناصر والتحقيق واضحة متناقضة فى بعض الأحيان ولكنه بعد أن غادر مصر

للخارج فى رحلته إلى السعودية وسفره إلى مؤتمر باندونج أحس بوعى جديد كرجل له رسالة إزاء العالم العربى والإسلامى كله ، ومن ثم ألقى بنفسه فى تيار السياسة الخارجية .

وكما قال عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة ، فإن مسار الثورة توقف على عامل المكان أو المجال وعلى عامل الزمن .. والعامل الأخير يرتبط بخاصة بتاريخ مصر الداخلى» .

ولقد أعلن عبد الناصر فى الكتاب ذاته :

إن رسالة مصر يمكن أن تتحقق فى ثلاثة اتجاهات ، أعنى المنطقة العربية ، والقارة الإفريقية والعالم الإسلامى .

«أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وإن هذه الدائرة منا ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعلا لا مجرد كلام ؟» .

«أيمكن أن نتجاهل إن هناك قارة أفريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها ، وشاء أيضا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أو لم نرد ؟» .

«أيمكن أن نتجاهل أن هناك علما إسلامياً تجمعنا وإياه روابط لا تقربها العقيدة الدينية

فحسب ، وإنما تشدها حقائق التاريخ ؟ .

ولقد أكد صلاح نصر فى مذكراته (مصدر سابق) حقائق أخرى متشابهة تؤكد هذه الرؤية الناصرية المبكرة والمحددة لمنهج فكر عبد الناصر خلال هذه الفترة القلقة من تاريخ مصر الحديث .

« كل هذه الحقائق أصيلة ذات جذور عميقة فى حياتنا لا نستطيع مهما نحاول أن ننساها أو نفر منها . »

وهكذا نجد أن أيديولوجية عبد الناصر حين قامت ثورة ٢٣ يوليو تبدو متناقضة مضطربة .. كانت تنبع من فكر عاطفى وإيمان دينى ، أكثر من نبوعها من نظرية إجتماعية ومن الواضح أن هذه الأيديولوجية لم تنتم إلى نظرية معينة ، بل اقتبست من أيديولوجيات مختلفة قديمة وحديثة .

ولذا لا نستطيع أن نقول أن الثورة قامت على أساس نظرية أيديولوجية معينة ، ولا بد لنا أن نتبع أحداثها وتطبيقاتها لنرى كيف تطورت ثورة ٢٣ يوليو وتدرجت وفقاً للظروف والأحوال التى فرضت عليها .

* وبعد

تلك كانت أبرز التطورات والأحداث والأفكار التى عاشتها مصر خلال الفترة الأولى المبكرة من حكم الثورة ، ترى ماذا حدث بعد ذلك من وقائع وأحداث لا زلنا نعيش آثارها ؟

.. ملحق الفصل الثالث

(مفهوم الديمقراطية عند جمال عبد الناصر)

إن المجتمع منقسم إلى قسمين ، أو منقسم إلى طبقتين : طبقة الملاك والمستغلين وطبقة الأجراء .

والملاك المستغلين الذين أقصدهم هنا ليس كل الملاك ، ولكن المالك الذى يستغل ملكيته حتى يحقق أكبر قدر من الإنتاج على حساب الشعب ، وكان فيه طبقة الأجراء الى هى تمثل العامل وتمثل الفلاح وتمثل الموظف وتمثل كل واحد يأخذ أجر ليعيش ، كل واحد يعمل من أجل أن يعيش .

والإقطاع والطبقة الرأسمالية جعلت من الحكم دائما أداة فى يدها لتحقيق أغراضها لحماية مصالحها ، ولأستغلال الأجراء ومنعهم من المطالبة بحقوقهم .

(العيد التاسع للثورة - ٢٣/٧/١٩٦١م)

إذا كان المجتمع إقطاعيا يكون حتما الحكم إقطاعيا ، إذا كان المجتمع رأسماليا يكون الحكم رأسماليا ، إذا كان المجتمع أساسا إقطاعيا رأسماليا وأن الطبقة الإقطاعية والرأسمالية هى التى تتحكم . يكون حتما الحكم هو التحالف بين الإقطاع ورأس المال .

من أجل هذا هناك علاقات وثيقة بين السياسة والإقتصاد .

(اللجنة التحضيرية ٣/١٢/١٩٦١م)

الديمقراطية الى كانت موجودة قبل الثورة ، لما كانت الرجعية تسيطر على إقتصاد البلاد وثروة البلاد كانت هى صاحبة النفوذ وكانت الرجعية هى صاحبة الإمتيازات كانت الديمقراطية مزيفة ، وكانوا يقولوا إن فيه حرية سياسية أو فيه ديمقراطية سياسية ، ولكن الإستغلال والإقطاع ورأس المال المستغل قضى على كلمة الديمقراطية إلى قالوها ، وعلشان كده إحنا بنقول لا يمكن بأى حال أن يقال إن هناك حرية إلا إذا توافرت الديمقراطية السياسية الإجتماعية .

(عيد الوحدة - ٢٢/٧/١٩٦٤م)

هذه الدكتاتورية التى استغلت كل الوسائل لتبقى الطبقة السائدة .. استغلت اسم الديمقراطية ، وهل يمكن أن توجد ديمقراطية بدون عدالة إجتماعية .. هل يمكن أن توجد ديمقراطية مع الظلم الإجتماعى .. إن الديمقراطية أساسا هى إقامة عدالة إجتماعية وإنصاف

الطبقة المظلومة. من الطبقة الظالمة ، الديمقراطية أساسا هي ألا يكون الحكم إحتكارا للأقطاع ولرأس المال المستغل ، بل أن يكون الحكم لصالح الأمة كلها ، أن يكون الحكم منصفاً للمظلوم من الظالم .

الديمقراطية .. لا توجد بمجرد إصدار دستور أو قيام البرلمان .. الديمقراطية لا يحددها الدستور ولا يحددها البرلمان .

الدستور يهب الحرية ، والدستور يعطى الديمقراطية ، ولكن الإقطاع يسلب الحرية والديمقراطية ، والإستغلال يسلب الحرية والديمقراطية . ديكتاتورية رأس المال تسلب الحرية والديمقراطية .. فلا حرية حقيقية .. ولا ديمقراطية حقيقية إلا بالقضاء على الإقطاع والإحتكار والإستغلال وسيطرة رأس المال .

(العيد التاسع للثورة - ٢٢/٧/١٩٦١م)

هل المقصود بالديمقراطية الديمقراطية الغربية ؟ هل المقصود بالديمقراطية الديمقراطية المجردة ؟ وهى المقصود بالديمقراطية إننا نعمل أحزابا ؟ وعندما وضعت هذه الأسئلة وضحتها لحضراتكم . وقلت فى كلامى إننى فى يوم من الأيام فكرت فى إقامة حزبين حزب يحكم وحزب يعارض ، ولكن فى أى إطار وفى أى نظام إجتماعى ، إنى أعتبر إننا فى ثورة ، ثورة إجتماعية ، الدولة لرأس المال ، الدولة التى يسمونها دولة ديمقراطية سواء تبادلها هذا الحزب أو ذلك فهى عبارة عن ديكتاتورية رأس المال .

(المؤتمر الوطنى ٢٩/١١/١٩٦١م)

الديمقراطية معناها تأكيد سيادة الشعب ووضع السلطة فى يد الشعب وتكريسها لخدمة أهداف الشعب .

الديمقراطية هى الحرية السياسية .

إننا بنقول لا يمكن بأى حال أن يقال أن هناك حرية إلا إذا توفرت الديمقراطية السياسية مع الديمقراطية الإجتماعية .

إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق فى ظل طبقة من الطبقات مع تسليمنا بوجود الصراع الطبقي ، وقلنا إن احنا فى تجربتنا من أجل حياة ديمقراطية سليمة ، لابد لنا أن نحقق الديمقراطية السياسية فى إطار الوحدة الوطنية وفى إطار تذويب الفوارق بين الطبقات وفى العمل على تصفية الرجعية .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٦م)

وفي عام ١٩١٩م قامت في مصر ثورة ، وكانت هذه الثورة تهدف إلى حياة ديمقراطية سليمة ، وكانت الثورة تنادى بالاستقلال التام ، واستشهد من استشهد .. وقتل من قتل ومات من مات من أبناء الشعب المكافحين الأحرار الذين خرجوا وليس لهم من مطمع أو هدف إلا أن يموتوا ويستشهدوا في سبيل تحقيق هذه الأهداف الكبرى التي كانت تنادى بها البلاد من الشمال إلى الجنوب .

كان كل بلد ينادى بها ، وكل فرد من أبناء هذا الجيل ينادى بها أسلمت البلد قيادتها إلى زعمائها اعتبرتهم أمناء على هذه الأهداف وهذه الآمال .

.. وبعد ذلك .. ماذا حدث ؟؟

هل تحققت الديمقراطية ؟؟

هل تحققت الحرية التي مات من أجلها أبناء هذا الوطن ؟

تطورت الأمور وانتهت ثورة ١٩١٩م بنص دستوري وحصلت البلد على دستور ١٩٢٣م هل طبق الدستور حسب مواده ؟ وحسب أبوابه وبندوده ؟

هل طبقت الديمقراطية بحيث تكون الحرية حرية شاملة ؟ . ما الذي حدث ؟ بدأت العوامل تتدخل .. العوامل الرجعية والعوامل الإستعمارية .. وبدأ أعوان الإستعمار يتآمرون مع الإستعمار على هذا الشعب .

بدأوا يعطون الشعب كلاما جميلا .. كلاما براقا .. وعود خلافة . ولكن ماذا كانت نتيجة هذه الوعود الخلافة وماذا كانت نتيجة هذا الكلام الجميل ؟

إنتكست ثورة ١٩١٩م وأصبحت الحرية هي حرية التحكم وحرية السيطرة وحرية الاستبداد وحرية الاستغلال . وبدأت فئة قليلة من أبناء هذا الشعب تعتبر أن هذه فرصة لتكسب لتغتنى وتجمع أكبر كمية ممكنة من المال . وهذا الشعب الذي قام وثار وقتل وقاسى وجابه الإستعمار . وبدأت هذه الفئة القليلة تتآمر .. تتآمر من أجل مصلحة خاصة .. وجدت هذه الفئة القليلة أنها لن تستطيع أن تقاوم الشعب وإنها لن تستطيع أن تقاوم الإستعمار في نفس الوقت ، وأيقنت أن الشعب لن يسلم ولن يستسلم . ولكنه سيحاول مرة أخرى .. أنه يطالب بحقه في الحياة ، سيحاول أنه يطالب بحريته .. سيحاول أن يطالب بعدالة إجتماعية .. سيطالب بحرية الرزق وحرية العيش .

فماذا كانت النتيجة ؟ إتجهت هذه الفئة المستغلة إلى الإستعمار لتعاون معه .
(المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية)

ولقد واجهنا منذ أول أيام هذه الثورة متناقضات كبيرة وكنا نشعر أن عدم التكافؤ الاجتماعي وعمد التكافؤ الاقتصادي ، لابد أن ينتج عنه عدم التكافؤ السياسي . وكنا نشعر أن من يملك الأرض والإقطاع يملك معهما حرية الناس ومن يملك رأس المال وأدوات الإنتاج يملك معهما حريات الناس . وعلى هذا آمنا أن الحرية لابد أن تكون حرية سياسية وحرية إجتماعية ولابد أن يتحرر الفرد من الاستغلال بكل معانيه .. الإقتصادي والاجتماعي حتى يستطيع أن يباشر حريته السياسية .

(المؤتمر الإفريقي الآسيوي ١٥ فبراير ١٩٦٢م)

إن الديمقراطية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا تحققت الديمقراطية الإجتماعية .. والديمقراطية الاجتماعية معناها تأمين الرزق للعامل وتأكيد الرزق للفلاح . ونحن نسير في سبيل تأكيد الرزق للجميع . كما نسير في سبيل القضاء على الاستغلال بكل معانيه أو السيطرة الداخلية بكل مقوماتها .

وإذا تحققت الديمقراطية الاجتماعية وأصبح كل فرد آمن على غده وآمن على رزقه ، فلا بد أن تتحقق الديمقراطية السياسية وأن الشخص الذي يأمن على يومه وغده لا يخاف أن يقول رأيه بوضوح وصراحة .. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يبيع نفسه أو يبيع صوته أو يبيع إرادته .

لا يمكن بأي حال إن إحنا نقول عندنا ديمقراطية وعندنا برلمان ، ونبص نلاق الإقطاعي هو الى بيروح البرلمان وصاحب رأس المال هو الى بيروح البرلمان .

طيب إزاي الإقطاعي بيروح البرلمان هل الفلاحين راضين .. لا الفلاحين مش راضين لكن لو الفلاحين ما أدوش للإقطاعي صوتهم بيحصل إيه ؟. الإقطاعي يهددهم . أو كان يقتلوهم كانوا يسلطوا عليهم أو يطرده من البلد هو وعيلته ما كانش الفرد سيد نفسه فكان الفرد يشعر أنه دائماً مهدد في يومه ومهدد في غده .

وكان الإقطاعي من دول ييقتدر ويقول أنا بطلب وزير الداخلية ، ويقضى على أى فرد أو أى عائلة تطالب بحقها ، بل كان أكثر من كده الإقطاعي الى عنده آلاف الفدادين يشتري أرض الى عنده قيراط أو قيراطين وفدان وفدانين وخمس فدادين . وإذا ما كانش يرضى يبيعها له بالسعر الى هو عايزه كان يستخدم الحكم .

(عيد السد العالي ١/٩/١٩٦٣م)

هذا هو ما سرنا عليه .. وهذا هو ما عملنا على تطبيقه ، حينما كنا ننادى بالحرية كنا نعنى حرية الفرد وحرية الإنسان وأمكنا أن نرى إلا حرية للفرد ولا حرية للإنسان إلا بإقامة

العدالة والمساواة والقضاء على الظلم الاجتماعى . وعلى هذا الأساس قضينا على الإقطاع وعلى هذا الأساس - قضينا على رأس المال .. ونحن نشعر اليوم أن الحرية الاجتماعية والديمقراطية تتحقق . وأن إعادة تكوين مجتمع جديد تتحقق لأننا منذ آلاف السنين كنا نعيش فى مجتمع يتتبعه الخلل الاجتماعى والخلل الاقتصادى . وبالتالي يتتبعه الخلل السياسى . وكنا نقاسى من هذا .. وعلى ذلك - فإننا نؤمن حتى تتحقق الحرية السياسية أنه لابد أن نقضى على عدم التكافؤ الاجتماعى وعلى عدم التكافؤ الاقتصادى ولابد أن يكون لأبناء الأمة الحق فى ثورة وطنهم القومية .

(المؤتمر الإفريقى الآسيوى ١٥ فبراير ١٩٦٢م)

كنا نعى أن الحرية تعنى التحرر السياسى ثم تعنى أيضا التحرر الاجتماعى .. كان التحرر السياسى والتحرر الاجتماعى ينادى ويطالبنا أن نقضى على الإقطاع وعلى الإحتكار وعلى سيطرة رأس المال . وعلى الإنتهازية السياسية بكل معانيها .. كانت الحرية تنادينا أن نقضى على عدم التكافؤ بين ربوع جمهوريتنا حتى تكون هناك عدالة ومساواة وحتى يكون هناك تكافؤ الفرص .. وكان هذا هو السبيل .. وكان هذا هو أمل كل فرد من أبناء الجمهورية العربية المتحدة . وكنا نشعر أن الكفاح فى هذه المرحلة من نضال الأمة العربية له مطالب تختلف عن مطالبه السابقة .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢م)

كانت الأمة تواجه مرحلتين من مراحل كفاحها ، مرحلة التحرر السياسى ومرحلة التحرر الاجتماعى وكانت مطالب كل مرحلة تختلف عن مطالب المرحلة الأخرى . وربما كانت المشكلة التى واجهتنا هى تداخل المرحلتين وتشابكهما مرحلة التحرر السياسى ومرحلة التحرر الاجتماعى والثورة الاجتماعية .

لقد تخلفنا طويلا عن العالم ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نفصل الثورة الاجتماعية عن الثورة السياسية . فبدون الثورة الاجتماعية تصبح الرجعية ويصبح الإقطاع والإحتكار وسيطرة رأس المال ويصبحون جميعا دكتاتورية تتحكم فى الشعب وفى رقاب أبناء الشعب جميعا .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢م)

الطبقات التى أتولدتنا ووجدناها الى هى طبقة الإقطاع والرأسمالية المستغلة كانوا يمثلوا طبقة الحكام . فيه الطبقة المتوسطة العمال والفلاحين موش دى الثلاث طبقات التى كنا موجودين فيها .. إتولدتنا فيها وعشنا فيها .. ولكن البلد كلها كانت بتشتغل لحساب مين ؟ حساب

الإقطاع .. لأن النفوذ وصلنا لهذا وصلنا أن السلطة والنفوذ والمال والأسلحة كلها والجيش والبوليس والدولة تيجى فى يد الطبقة الغنية .. الطبقة القوية .. الطبقة الإقطاعية . وطبقة الرأسمالية المستغلة .. بل أكثر من هذا - إن الطبقة هى التى عملت الدولة وهى التى عملت الجيش وعملت البوليس وعلشان تحمى مصالحهم وهم يعتبروا أنفسهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى البلد والباقي لازم يشتغلوا لهم لكى يحققوا المزيد من الأرض والمزيد من المال .. (المؤتمر الوطنى ٢٦ مايو ١٩٦٢ م)

وديمقراطية الاشتراكية تختلف عن ديمقراطية الرجعية التى جربناها فى الماضى .. كانت تعنى أن تتحكم فئة من الإقطاعيين وقلة من الرأسماليين وقلة من الإنتهازين السياسيين الى يبيعوا أنفسهم للإقطاعيين والرأسماليين ويستولوا على السلطة وعلى الدولة من أجل مصالحهم .. أما ديمقراطية الاشتراكية فهى ديمقراطية الشعب العامل الذى له الحق فى ناتج عمله وله الحق فى بلده . ديمقراطية الاشتراكية هى الديمقراطية الاجتماعية مع الديمقراطية السياسية .. هى القضاء على الإقطاع والقضاء على الاحتكار والقضاء على سيطرة رأس المال وإيجاد الفرص المتكافئة للجميع ، إذ لا يمكن أن تقوم ديمقراطية وهناك استغلال لرأس المال ، ولا يمكن أن تقوم ديمقراطية وهناك إحتكار أن الذى يمكن أن يقوم فى وسط هذه الظروف ليس إلا ديكتاتورية الإقطاع ورأس المال .

(العيد العاشر للثورة ٢٦/٧/١٩٦٢ م)

كان من الواضح منذ أول يوم من أيام هذه الثورة أننا لا نستطيع أن نحقق العدالة الاجتماعية إلا إذا قضينا على الإحتكار وسيطرة رأس المال .. وكانت الثورة منذ أول يوم لها ثورة سياسية وثورة اجتماعية .

ثورة سياسية ضد الاستعمار وضد أعوان الإستعمار ، ثورة اجتماعية ضد الإقطاع والاحتكار والإستغلال وديكتاتورية رأس المال . الشعب الذى كان يثن من ديكتاتورية رأس المال لم يخف ولكنه تصدى لديكتاتورية رأس المال .

كان هناك نضال من الطبقة المظلومة لتحصل على حريتها ولتحصل على المساواة .. وكان هناك نضال من الطبقة المتحكمة المسيطرة ، من أجل السيادة ومن أجل الاستعباد ومن أجل الاستغلال .

طبقة تعمل بالأجر تمثل ٩٥٪ من الشعب . وطبقة تملك كل شئ وتحصل على نتيجة عمل الشعب ، عندها أكبر سلاح وهو سلاح المال ديكتاتورية رأس المال ديمقراطيتها تعبر

عن - ديكاتورية رأس المال .

(العيد التاسع للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦١م)

«إن الديمقراطية عملة واحدة ذات وجهين : سياسى واجتماعى وبغير الوجهين معا تصبح عملة زائفة لا سعر لها ولا قوة .

إن الديمقراطية لا تتحقق فى كمالها إلا بقيام التنظيم السياسى شامخاً دافعاً لها ، وقيام المجالس الشعبية المنتخبة توقع بإرادة الجماهير الحرة كل قرار وتؤكد بالفعل لا بمجرد القول أن صوت الشعب من صوت الله» .

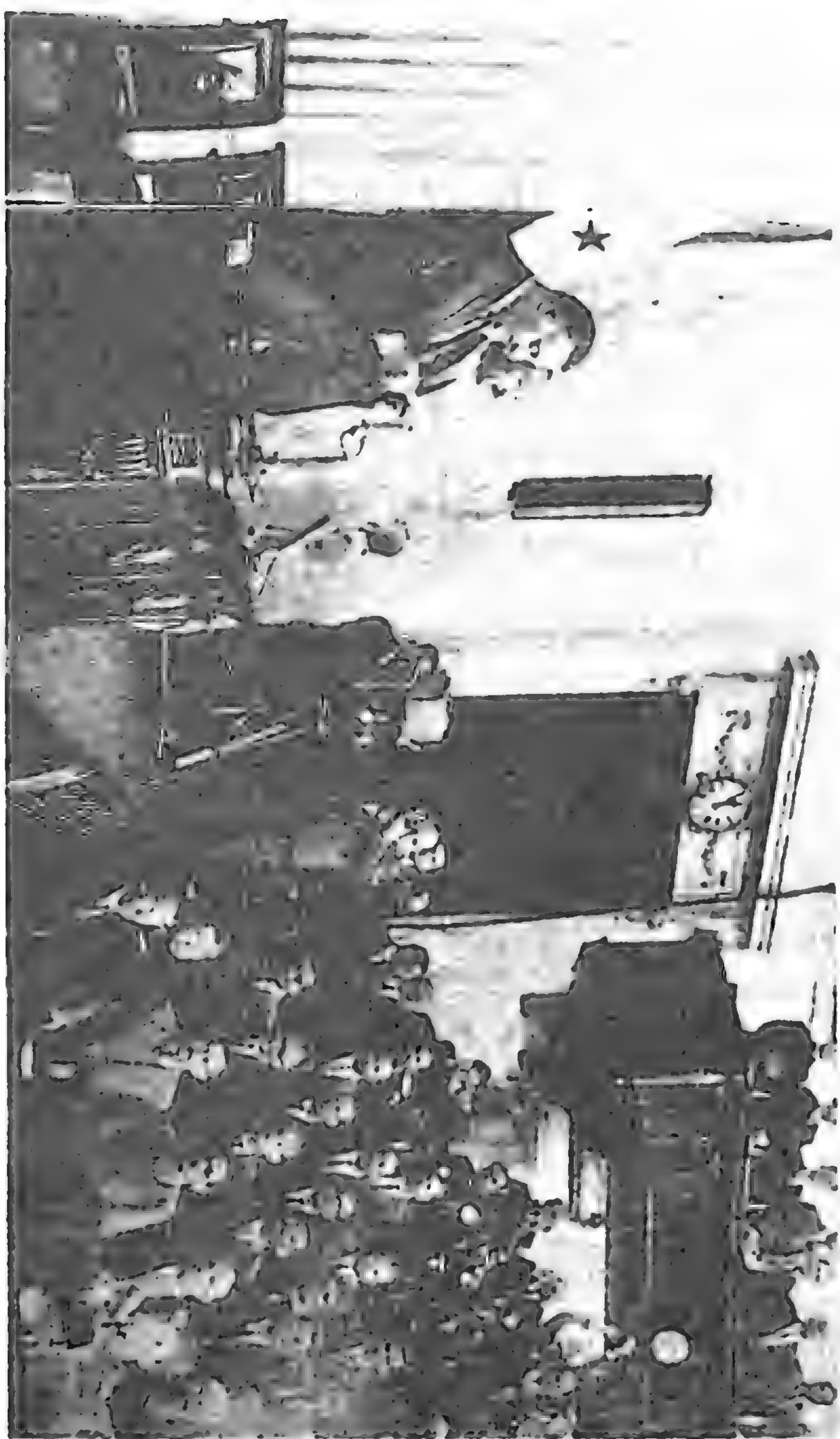
(إفتتاح مجلس الأمة ٢٥/٣/١٩٦٤م)



لقاء الجماهير ... بالقائد .. ترى هلى بقى الولاء !!

عندما التف الشعب حوله يوم أن قام بثورته فى يوليو ٥٢ كان يرى فيه رى مبادنه الستة أمله وأمل
بلاده فى البناء والقوة .. ومضت السنوات .. والبناء والقوة متلازمان على الطريق الذى رسمه «يد تبنى ..
ويد تحمل السلاح» والشعب أيضا من حوله يؤيد خطوات تنفيذ الأمل خطوة وراء خطوة ويحيطه .

يوم ٢٥ مارس عام ١٩٦٥ يحلف المين ... رئيسا للجمهورية



الفصل الرابع
عبد الناصر والصدّام الأول مع الإخوان
المسلمين

عام ١٩٥٤



عبد الناصر والصدام الأول مع الإخوان ١٩٥٤م

* طويلة هي قصة الصراع السياسى بين عبد الناصر والإخوان المسلمين ، معقدة هي فصولها ، ودرامية هي أحداثها ، فالوقائع والحقائق كثيرة ولكنها بفعل الزمن والعاطفة والتأويل بل والتوظيف السياسى لها باتت أكاذيب ، وترهات وزيف .

* إنها قصة ، الخيال فيها أكثر من الواقع ، والشجن فيها أمضى تأثيرا من الحقيقة المجردة ، لقد اختلطت الأشياء ، والأسماء والأزمان فى تلك القصة إلى درجة صعب فيها التأريخ الأمين ، إذ عندما يدخل الدين ، والسجن ، والسياسة ، والمصلحة إلى منطقة (التاريخ) فإن أمانة التسجيل ، والرصد ، والتوثيق ، تصبح موضع شك .

* وهذا حدث بالضبط فى قصة عبد الناصر والإخوان .

* فما أتى إلينا من روايات (ناصرية) لتلك العلاقة ، يغلب عليها الوصف السابق ، ويغلب عليه الغرض والهوى ، والمصلحة ، ونفس الأمر ينسحب على ما خلفته لنا أدبيات الحركة الإخوانية وبخاصة خلال السبعينات والثمانينات ، والتي قدمت لنا تفاصيل العلاقة مع عبد الناصر فى الخمسينات والستينات ، بطريقة غلب فيها الهوى والرغبة فى التشفى ، والإنقاذ ، ليس فقط من رئيس سابق أو نظام سياسى سابق ، بل من تجربة تاريخية كاملة ، بل من مجتمع كامل عاش تلك التجربة وتفاعل معها بحق .

* الروايتان .. قاصرتان فى تقديرنا ، وتستحقان التمهيد والفحص الدقيق ، وإعادة الفرز لمكوناتهما ، لاستبعاد الهوى (وما أكثره) وتثبيت الحقيقة (وما أقلها) .

* وتلك هى مهمة المؤرخين الأمناء ، وليس الأدعياء منهم .

* وما نحاول أن نقوم به هنا ، هو مجرد خطوة ، متواضعة على طريق هذا التمهيد والفرز ، اخترنا لها أهم حلقة من حلقات قصة الصراع بين عبد الناصر والإخوان ، حلقة الصدام الدامى فى عامى ١٩٥٤م ، وهى أول وأهم الحلقات كما يؤكد ذلك التاريخ .

* وما نقوم به هنا هو إعادة نقد ونشر النصوص الخاصة بالمحاكمات غير المنقوصة أو غير المفرضة كما حدث فى سلسلة كتب (محكمة الشعب) والتي حرص أولى الأمر من العسكر وقتها على أن يسبق وأن يلى كل كتاب مقدمة وخاتمة من الإهانات والإتهامات ومصادرة حق القارىء فى المعرفة وبناء رأيه المستقل ، فضلا عن التعامل معه على أساس أنه قاصر وغير

ناضج ويحتاج إلى الوصاية الكاملة قبل نشر أية نص من نصوص المحاكمات .

* وما نقوم به هنا على النقيض من ذلك تماما .

* فإننا سنقدم نقد وتلخيص للنصوص الحقيقية للمحاكمات ، دون تدخل بالوصاية أو المصادرة أو الإتهام المسبق ، سترك النصوص تقول بنفسها وتحكى بنفسها وقائع الصراع والأزمة ، مع تحقيق وتوضيح ما يستحق الإيضاح من وقائع قد تبدو مبهمه ، أو تحتاج إلى وقفة تحليلية أمانة ، أو إلى رد ونقاش .

* تلك هى مهمة هذا العمل ، ورسالته ، ومن هنا تنبع أهميته وتبلور .

* وفى سبيلنا للدخول إلى نقد وتلخيص الوثائق للمحاكمات التى جرت عام ١٩٥٤م للإخوان المسلمين والتى تجاوزت عدد صفحاتها الألفى صفحة ، قدمنا للعمل ، بمدخل تحليلى شامل يحتوى على موجز لتاريخ الإخوان المسلمين ، وملاح رؤيتهم لشخصية عبد الناصر والفرق بينهم وبين الجماعات الإسلامية الأخرى ، وشهادتهم التاريخية تجاه حادث المنشية (موضوع الصراع الدامى عام ١٩٥٤م) والشهادات التاريخية الغربية ، وغير الغربية لهذه الحادث ودلالاته السياسية والتاريخية ، ثم أتبعنا هذا المدخل بملخص للوثائق مرتبة ومحقة وفقا لجلسات المحاكمة مع الأحكام التى صدرت من واقع الأوراق الأصلية للتحقيق .

* ونأمل من الله أن يمثل هذا العمل إضافة للحركات الإسلامية التى رغم إختلافنا مع (بعض) رؤاها الفكرية ، و (بعض) سلوكياتها السياسية ، فإننا نعتبرها بحق أنبل فصائل الحركة السياسية المصرية والعربية المعاصرة ، وأكثر إتصافا بالواقع وبقضايا الأمة ومهمها ، وأقدرها على تحقيق أمانى الأمة ، وحفاظا على مصالحها ومستقبلها .

* فى هذا المدخل سوف نتناول عددا من النقاط الهامة التى تفيد فى فهم وتحليل الوثائق التى بين أيدينا ، وتبهر الطريق أمام عملية إستيعابها ، وسوف نوجز هذه النقاط فيما يلى :

أولاً : موجز تاريخ جماعة الإخوان :

بداية أسس حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين فى آذار / مارس عام ١٩٢٨م فى مدينة الإسماعيلية .. وكان ذلك بعد أربع سنوات من إسقاط الخلافة الإسلامية على يد كمال أتاتورك .

إنطلقت دعوة الإخوان من الإسماعيلية على يد البنا إلى كافة البلدان المصرية .. فكثر المؤمنون بالدعوة وازداد أنصارها ووجدت صدى طيبا لدى جموع الشعب

بعد أربع سنوات من تاريخ إنشاء الجماعة أصبح لها ما يقرب من عشرة فروع في المحافظات المصرية .. ثم أخذت هذه الفروع في الانتشار والإزدياد حتى أصبحت للدعوة شعبة في كل محافظة .

عندما قوى سلطان الدعوة وإزداد تأثيرها .. شعرت الحكومة بتهديد هذه الدعوى فبدأت في محاربتها بمساندة بعض القوى .. وكان أول هذه الحرب ... نقل البنا المرشد العام للإخوان إلى القاهرة سنة ١٩٣٣م ، وأقام المؤتمر الأول للإخوان المسلمين .

استمر البنا في نشر دعوته إنطلاقاً من القاهرة التي أنشأ فيها داراً جديدة للإخوان ... وأصبحت فيما بعد المركز العام للإخوان المسلمين .

تم تسجيل جماعة الإخوان المسلمين كهيئة رسمية . وبدأت في ممارسة أنشطتها المعلنة من خلال المركز العام للإخوان المسلمين في القاهرة .. والذي يتابع أنشطة الشعب المختلفة في المحافظات ..

فى عام ١٩٣٧م التقارب بين الإخوان والقصر فى مواجهة حزب الوفد

وفى سنة ١٩٣٨م استكملت دعوة الإخوان المسلمين عناصرها وتبلورت فى كامل صورتها ... وأصبحت تضم كافة الطبقات من عمال وفلاحين .. موظفين ومهنيين ، مهندسين وأطباء ... وغيرهم وأنشئ قسم خاص للأخوات المسلمات ... وبهذا صارت الدعوة واسعة الانتشار .

* ١٩٣٩م إنشقاق جماعة (شباب محمد) وإدانتها للبنا بسبب علاقاته مع القصر .

* ١٩٤٠م الإتصال الأول بين حسن البنا والضباط الأحرار من خلال أنور السادات .

وفى سنة ١٩٤١م تعرضت الجماعة لأول محنة .. وتمثلت فى ضغط الإنجليز على الحكومة المصرية خشية من عواقب قرار الحل ... فأصدرت قرارات بوقف الاجتماعات ومصادرة المجلات وإغلاق المطابع ... ونقل البنا إلى قنا ثم عاد مرة أخرى للقاهرة حيث تم إعتقاله ثم أفرج عنه ...

وفى سنة ١٩٤٢م تم حل البرلمان وأعيد إنتخاب برلمان جديد .. ورشح البنا نفسه فى تلك الإنتخابات عن الإسماعيلية ... وطلب منه رئيس الحكومة أن يتنازل .. وتنازل البنا عن الترشيح ... إلا أن الحكومة .. خشيت من سلطان الجماعة وقتها فأصدرت قرارها بإغلاق الشعب وضيقّت على الاجتماعات والأنشطة ... وكان ذلك تمهيداً لإصدار قرار حل

الجماعة ...

* ١٩٤٣م بداية إنشاء الجهاز السرى الخاص للإخوان المسلمين .

وفى سنة ١٩٤٥م قام الإخوان بترشيح أنفسهم لانتخابات البرلمان الجديد ... فقامت الحكومة بتزوير الانتخابات وتعمدت عدم إنجاح أى عضو من الإخوان ... فرفض الإخوان الانتخابات ونددوا بها .

وفى سنة ١٩٤٥م أيضا تم إعتقال البنا المرشد العام للإخوان بتهمة إغتيال رئيس الوزراء ... ثم افرج عنهم فيما بعد لعدم وجود إتهام لهم ...

* ١٩٤٦م تشجيع من الحكومة للإخوان فى نضالهم ضد الوفد والشيوعيين .

وفى سنة ١٩٤٧م صدر قرار تقسيم فلسطين ... فرفضه بعض الإخوان وبدأوا فى إعداد كتائبهم العسكرية لخوض المعركة ضد الإنجليز واليهود .. وشهدت أرض فلسطين بطولات معروفة لجنود الإخوان ... فى حين كانت الحكومة تمد جيشها بالأسلحة الفاسدة .

وفى ١٠ تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٤٨م أصدر سفراء أميركا وإنجلترا وفرنسا فى مصر .. بعد إجتماع لهم فى فايد ... قرارا بحل جماعة الإخوان المسلمين ... وتكليف الحكومة المصرية بتنفيذ ذلك ويتم الحل : بواسطة السفارة البريطانية فى مصر .

وفى ٤ كانون الأول / ديسمبر سنة ١٩٤٨م صدر القرار الحكومى بحل جماعة الإخوان المسلمين ... ثم فى يوم ٨ كانون الأول / ديسمبر صدر قرار عسكرى بمصادرة أموال وأموال وشركات الجماعات وتصفية المصانع والمطابع التى تمتلكها الجماعة وحظر الاجتماعات وإغلاق المقار الخاصة بالجماعة .

. بعد قرار الحل ... تم إعتقال جميع الإخوان .. وترك البنا المرشد العام وحيداً خارج السجن حيث لم يتم إعتقاله .. وكان ذلك تمهيداً لاغتياله ويعد هذا أكبر الاختبارات وأقساها عليه ...

وفى مساء السبت ١٢ شباط / فبراير سنة ١٩٤٩م تم اغتيال حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين أمام جمعية الشبان المسلمين فى القاهرة ... بواسطة عملاء الملك .. وتم حفظ القضية ضد مجهول .

وفي سنة ١٩٥٠م تم إختيار المستشار حسن الهضيبي مرشدا عاما للإخوان المسلمين بعد إستشهاد حسن البنا وكان له من العمر ٥٩ عاما .

وفي سنة ١٩٥١ صدر قرار مجلس الدولة بإعلان قرار حل الجماعة .. وتم الإفراج عن الإخوان وعادت الجماعة لصورتها الرسمية .. وأعيدت لها ممتلكاتها .. وأعيد فتح الشعب والمراكز ..

وفي سنة ١٩٥١م بدأ الإخوان يخوضون مرحلة جديدة من الجهاد ضد الإنجليز وكان ذلك على أرض قناة السويس ... وشهدت المعارك مواقف طيبة لجنود الإخوان .

وفي سنة ١٩٥٢ لعب الإخوان دورا أساسيا في نجاح ثورة ٢٣ تموز / يوليو وذلك الإشتراك مع مجموعة من ضباط الجيش ... وقام الإخوان بتأمين الشوارع وحراسة المباني الهامة .

* ١٩٥٣م الجهاز السري لإخوان يفلت من قبضة وسيطرة حسن الهضيبي وفي نوفمبر من هذا العام تم طرد عبد الرحمن السندی رئيس الجهاز من الجماعة وفي ديسمبر تم طرد صالح ع شماوى ومحمد الغزالى من الجماعة لتعاونهما مع عبد الناصر .

وفي يوم ٢٦ تشرين الأول / أكتوبر سنة ١٩٥٤م وقع حادث المنشية الشهير .. واتهم الإخوان بمحاولة إغتيال رئيس الجمهورية ... وإتخذ الحادث ذريعة للقبض على الإخوان ... وتم اعتقال عدة الاف وفي المعتقلات لاقى الإخوان صنوفا من التعذيب وصدر قرار بحل الجماعة ومصادرة ممتلكاتها وإيقاف نشاطها ...

وفي إحداث ١٩٥٤م إعتقل المرشد حسن الهضيبي وتم تقديم الإخوان للمحاكمات أمام ما سمي بمحكمة الشعب ... التى أصدرت حكمها بإعدام سبعة من الإخوان ... بينهم المرشد ... ثم خفف الحكم عليه لكبر سنه إلى السجن المؤبد ... ونفذ الحكم بالاعدام فى الستة الباقين فى يوم ٧ كانون الأول / ديسمبر سنة ١٩٥٤م .

وفي حزيران / يونيو سنة ١٩٥٧م استشهد العشرات من الإخوان المعتقلين حوالى ٢١ فى سجون طره وجرح منهم المئات فى مذبحة طره .. التى دبرها قادة السجون ... حيث أطلق الرصاص على الإخوان فى الزنازين .

بدأ رجال الإخوان الذين خرجوا من السجون فى تلك الفترة مع من بقى منهم خارج السجن فى تنظيم أنفسهم وإعداد صفوفهم .. وبدأوا فى دعوة الناس من جديد إلى دعوة

الإسلام ولكن في إطار من الحذر الشديد وتربص الحكومة بهم والتقت زينب الغزالي بعبد الفتاح إسماعيل في مكة من أجل هذا الهدف .

* ١٩٦٤م تم إرسال الجيش المصرى إلى اليمن وتم إطلاق سراح سيد قطب من السجن ثم إعادة اعتقاله عام ١٩٦٥م .

وفي سنة ١٩٦٥م تم القبض على الإخوان الموجودين خارج السجن .. ويقدر عددهم بنحو ٣٠ ألفا وحوكم الإخوان محاكمات عاجلة ... وصدر الحكم على ثلاثة منهم بالإعدام بينهم سيد قطب ... وحكم على عدة مئات منهم بالسجن .. ونفذ حكم الإعدام يوم ٢٩ آب / أغسطس سنة ١٩٦٦م .

* ١٩٦٨م الإخوان في المنصورة يتظاهرون ضد عبد الناصر وضد هزيمة ١٩٦٧م .

وفي سنة ١٩٧١م بدأ الإفراج عن الإخوان المعتقلين وخرج آخرهم عام ١٩٧٤م .

وفي يوم ١١ تشرين الثانى / نوفمبر سنة ١٩٧٣م إنتقل حسن الهضيبى المرشد العام للإخوان المسلمين إلى جوار ربه بعد صراع طويل مع المرض .. وكان له من العمر ٨٢ عاماً .

بعد خروج الإخوان من المعتقلات أعادوا تنظيم صفوفهم ... وبدأوا بممارسة الأنشطة المتاحة لهم وتم إختيار عمر التلمسانى مرشداً عاماً جديداً للإخوان المسلمين .

* ١٩٧٦م سيطرت الجماعات الإسلامية على اتحادات الطلبة وفي يوليو من هذا العام إعادة إصدار مجلة (الدعوة) والإخوانية وفي نفس العام ظهرت جماعة التكفير والهجرة بزعامة شكرى مصطفى ومن قبلها بعامين (١٩٧٤م) . ظهرت جماعة صالح سرية الشهرية بجماعة الفنية العسكرية .

وفي أيلول / سبتمبر سنة ١٩٨١م وقع صدام بين الحكومة والإخوان أدى إلى اعتقال المرشد العام عمر التلمسانى مع بعض قيادات الجماعة ... ومئات من أفرادها وصدورت مجلة الدعوة الخاصة بالإخوان وأغلق مقرها .. ثم بدأ الإفراج عنهم في أواخر العام نفسه . وشهدت أحداث أيلول / سبتمبر وقائع خطيرة كان أكثرها إثارة إستشهاد محمد كمال الدين السنائيرى أحد قادة الإخوان في السجن .

بعد الإفراج عن الإخوان ... قرر الإخوان البحث عن الوسائل التى تعيد لهم إتصالهم بالشعب المصرى .

وفي شهر أيار / مايو سنة ١٩٨٤م اتخذ الإخوان قرارهم بدخول إنتخابات مجلس الشعب على قائمة حزب الوفد ... ودخل بالفعل عدد من أفراد الجماعة مجلس الشعب .

وفي شهر أيار / مايو سنة ١٩٨٦م إنتقل عمر التلمساني المرشد العام للإخوان المسلمين إلى جوار ربه وتم إختيار محمد حامد أبو النصر مرشداً عاماً جديداً للإخوان المسلمين

وفي شباط / فبراير سنة ١٩٨٧م قرر الإخوان دخول إنتخابات مجلس الشعب على قوائم حزب العمل بالائتلاف مع حزبي العمل والأحرار ودخل منهم بالفعل مجلس الشعب حوالى الأربعين فرداً . وفي عام ١٩٩٠م حدثت إنتخابات جديدة لمجلس الشعب المصرى رفض الإخوان دخولها لعدم وجود ضمانات حقيقية للديمقراطية ولا يزال الإخوان يعملون بدون إعتراف رسمى من الدولة بهم ولا زالت قضية حل جماعتهم تتداول أمام المحاكم المصرية حتى اليوم ١٩٩٢م .

ثانياً : الإخوان والآخرون فى المحيط الإسلامى :

رصد الإخوان عددا من النقاط الفارقة ، بين طبيعة عملهم وطبيعة آدائهم السياسى ، وبين الجماعات الإسلامية الأخرى ، وهذه النقاط يمكن تلخيصها فى كتابات الإخوان المسلمين أنفسهم وفى المجلات التى يصدرونها وفى مقدماتها مجلة الدعوة ويمكن إستخلاص تلك النقاط فى الآتى :

(١) إن طريق الإخوان بعيد كل البعد عن المظاهرات والعنف والتآمر بهدف الوصول إلى الحكم طريق الإخوان هو طريق العمل المستمر لنشرة الدعوة الإسلامية بواسطة تعريف الشعب وخاصة الشباب بأسس الإسلام .

(٢) إن أفكار أولئك الشبان تتعارض - من ناحية المبدأ - مع الإسلام ، لأن الدولة الإسلامية فقط ، وليس أفراد منها هى التى تملك إتهام أفراد أو جماعات بالكفر ومن الناحية العملية فإن تبنى هذه الفكرة بواسطة الدعاة المسلمين يعزلهم ويجعل أغلب المسلمين يتنكرون لهم . إن مهمة الإخوان هى الدعوى الإسلامية وليست تكفير المسلمين نحن دعاة لا قضاة (إنظر تفصيل ذلك : مصطفى مشهور : نحن وغيرنا من الجماعات الإسلامية - العدد ٦٣ مجلة الدعوة) .

(٣) كل رجل مخلص شريف يعرف أننا والنظام الحاكم فى هذا البلد على طرفى نقيض فيما يختص بالبرامج والأوضاع . وسنظل كذلك إلى أن يأتى اليوم الذى تطبق فيه أحكام

الله وأوامره ولكن حتى يأتي هذا اليوم لن نكف عن الحركة ... والحركة عندنا ليست - كما يفهم البعض - هي إحراق وسائل المواصلات ، وتحطيم المحلات ونهب المنشآت ، إنما لا نقبل ذلك ... والله لا يرضى عن المخربين فما يتم نهبه وتدميره ليس ملكا لرئيس الدولة أو الحكومة إنما هو ملك خاص للشعب ولكل واحد منا .

(٤) إذا كان المقصود بـ «الحركة» التآمر لقلب نظام الحكم ، فليكن معلوما أن هذا عمل من يسعى إلى السلطة من أجل السلطة .

(٥) بالنسبة لنا لا نختلف على شخص الحاكم ولكننا نختلف على نوع الحكومة وشرعيتها .

(٦) إن حركتنا تقوم في إطار الرسالة الإسلامية ، إنما ننشد الحقيقة وندعو الناس للتجمع حولها لنقول لهم ما حلل الله لهم وما حرم عليهم .

(٧) ونحذر الناس من العلمانية المتكبرة في ثياب إسلامية من أجل عزل الشباب المسلم عن دينهم ببطولات مسمومة بقدر ما هي معسولة ... وفي تعليمنا الشباب نعتمد على كتاب الله وسنة رسوله .

(٨) لا مجال في البحث حول الإطاحة بالنظام فالأهم أن نقدم لهذا النظام ما يحسن منه تدريجيا .

(٩) إنما جزء من المعارضة الشرعية التي تعد من طلب النظام .

(١٠) إنما سنمارس قدراً كافياً من الضغوط على النظام للوصول إلى تحول سلمي في اتجاه ، الدولة الإسلامية ، التي تقام على أسس الشريعة «مصطفى مشهور» - المصدر السابق .

ورغم هذه الفوارق ، فإن قادة الإخوان حاولوا إستالة الجماعات الإسلامية الأخرى إليهم بشتى الأساليب وكان من بينها تبني مجلة الدعوة لأخبارهم وأفراد الصفحات لهم إلى أن يقول المرشد العام ، محذرا الحكومة وخاطبا لود الجماعات الإسلامية الأخرى :

(قبل أن تقيموا للشباب التشكيلات الرياضية أو الفنية ، أفسحوا لهم طريق التشكيلات الدينية ، ففي ثناياها ومن تعاليمها أن يكون الشباب قويا في جسده وفي علمه وفي خلقه وفي ثقافته وفي دينه ، الجماعة الإسلامية ، الواحدة عندما تدعوا الشاب إلى التمسك بدينه تعلمه أن الله يحب المؤمن القوى في كل شيء أكثر من المؤمن الضعيف في كل شيء ، إن الجماعات الإسلامية تعلم الشباب أن يخالط الناس وأن يصير على أذاهم ، وأن يأخذ بأيديهم إلى ما ينفعهم في دنياهم وعقباهم) .

ثالثاً : رؤية الإخوان لإشكالية الوطنية :

كان للإخوان المسلمين تميزهم الفكري ، وإسهاماتهم الجادة - رغم إختلافها معها - بشأن العديد من القضايا الهامة ، وتأتى قضية الوطنية ، والتي إستند إليها النظام الناصري في مشروعيتها عليها ، أساساً ، فهل كان المشروع الإخواني مناقضاً لهذه الفكرة والتي تحدد مستوى أول للإنتهاء هو هنا الوطن الأصغر ، ومستوى ثان له هو (دار الإسلام) ؟ ذلك ما تجيب عليه الأطروحات الإخوانية ، والتي نأتى هنا بنموذجين رئيسيين لها الأول يقدمه (حسن البنا) ، والثاني يقدمه (سيد قطب) فماذا عنهما ؟

(١) أطروحة حسن البنا :

ولد الشيخ حسن البنا عام ١٩٠٦م وإستشهد عام ١٩٤٩م ، وكان له تأثيراته العديدة على الفكر الإسلامى المعاصر ، وعلى الحركة الإسلامية فى الوقت ذاته ، وتميز دون سواه من قادة الحركات الإسلامية بإتساع أفقه وعمق نظريته ودقة أحكامه بشأن قضايا الواقع الإسلامى بإجمال ، وكان للحركة التى قادها (جماعة الإخوان المسلمين ١٩٢٨م - حتى الآن) إضافاتها الفكرية والسياسية على الصعيدين العربى ، والإسلامى ، وفى سياق رصدنا لقضية (الوطنية) داخل أدبيات الفكر الإسلامى المعاصر ، لا يمكننا تجاهل رؤية حسن البنا للقضية وهى رؤية تتميز بوضوح بين جانبيين :^(١) .

الأول : هو الإستخدام السياسى للمفهوم فى إطار الحركة الوطنية ضد الاستعمار ولتحقيق الإستقلال . وفى هذا الاستخدام تتجسد الجوانب الإيجابية لمفهوم «الوطنية» التى يؤمن بها البنا إيماناً يجعلها تسمو إلى أن تصبح ، فرضاً من الله هو الذى أمر به ، وجزءاً من تعاليم الإسلام ، ومن ثم فالإخوان كما يقول البنا أشد الناس تطرفاً فى الوطنية ، فى حب الخير للبلاد والجهاد فى سبيل تخليصها (من الإستعمار) وإرتقائها^(٢) فهم لا يطبقون أن يكون فى أرض الإسلام مستعمر واحد ويعملون بالنفس والمال فى سبيل تحرير الوطن الإسلامى العام .

أما الجانب الثانى : الذى ميزه البنا فهو المضمون العلمانى «للوطنية» الذى يقيم علاقة الولاء

(١) من الكتابات المهمة والجادة فى هذا الصدد انظر :

— إبراهيم البيومى غانم : الفكر السياسى للإمام حسن البنا - رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الاقتصاد - جامعة القاهرة - ١٩٩٠م .

— حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، القاهرة ، دار الشهاب د. ت .

— د. رفعت سيد أحمد : الدين والدولة والثورة ، طبعة ثانية ، القاهرة - ١٩٨٩م .

(٢) إبراهيم البيومى غانم ، مصدر سابق ، ص ٢١٨ .

بين الفرد والدولة - في أحد محاور - على أساس الإنتماء لرقعة من الأرض تشكل إقليم الدولة في حين لا يقيم أى اعتبار للعقيدة كأساس لهذا الولاء بحجة الحفاظ على «الوحدة الوطنية» بين المسلمين وغير المسلمين ويرفض البنا هذا المضمون العلماني للوطنية لأنه يتصل بالبنية الأساسية لمفهوم الدولة كما تصورها البنا ، ولا يتردد البنا في دحضة والتحذير من مخاطره فالعقيدة - في نظره - هي التي ترسم حدود «الوطن» و «الوطنية» وليست التخوم الأرضية أو الحدود الجغرافية ويؤكد في موضع آخر «إن العقيدة الإسلامية تعتبر الأرض كلها وطناً واحداً»^(١)

وفي نفس الاتجاه وإنطلاقاً من قناعات واحدة كان رأى حسين البنا بشأن الوجدتين العربية والإسلامية رؤية إذا ما قورنت برؤية بعض القوى الإسلامية اليوم ، فإنها تصبح أكثر تقدماً بمعايير الاستنارة وإستشعار هموم الأمة وتحديات مستقبلها وطبيعة الدور المناط بفرق الحركة الإسلامية لمواجهة تلك الهموم والتحديات ، فحسن البنا يرى بالنسبة للوحدة العربية أن هذا الإسلام نشأ عربياً ووصل إلى الأمم عن طريق العرب^(٢) ، ويرى أن الكتاب الكريم جاء بلسان يوم كان المسلمون مسلمين ، وقد جاء في الأثر إذا ذل العرب ذل الإسلام ، وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم ، فالعرب هم عصبية الإسلام وحراسه ، ويؤكد حسن البنا ، أيضاً ، أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : «ألا إن العربية اللسان ، ألا إن العربية اللسان» ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه - ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها وهذا موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية^(٣) .

وتزداد القضية وضوحاً في فكر حسن البنا ويرفع بشأنها أى تناقض بين الدوائر الإنتائية إذا ما كان الإسلام هو إطارها الصحيح ، وبخاصة بالنسبة لمجتمع مثل مصر وهنا يأتي فكره واضحاً عندما يرى :

إن مصر هي قطعة من أرض الإسلام وزعيمة أمم ، وفي المقدمة من دول الإسلام وشعوبه

(١) المصدر السابق ص ٢١٩ .

(٢) حسن البنا : موقف الإخوان المسلمين من الوحدة القومية والإسلامية - مجلة حوار - العدد الثاني - مصدر سابق ص ١٦٩ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

والمصرية لها في دعوتنا مكانها ومنزلتها وحققها في الكفاح والنضال .. إننا نعتر بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب ، عاملون له ، مجاهدون في سبيل خيره ، وسنظل كذلك ما حيينا ، معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة ، وإنها (أى مصر) جزء من الوطن العربى العام ، وأنا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام «العروبة - وهي الحلقة والدائرة الثانية والثالثة» - لها في دعوتنا - كذلك - مكانها البارز وحظها الوافر - فالعرب هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخير ، ويحق ما قاله ﷺ : «إذا ذل العرب ذل الإسلام» ! ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها إن هذه الشعوب الممتدة من الخليج إلى المحيط كلها عربية . تجمعها العقيدة ، ويوحد بينها اللسان ، وتؤلفها الوضعية المتناسقة في رقعة من الأرض متصلة متشابهة . لا يحول بين أجزائها حائل ، ولا يفرق بين حدودها فارق .. ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام . ولخير العالم كله .. ودعوتنا ذات مراحل . ونرجو أن تتحقق تباعا ، نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة ، تحتضن الإسلام ، وتجمع كلمة العرب ، وتعمل لخيرهم ، وتحمي المسلمين في أكناف الأرض عدوان كل ذى عدوان .. وواجب أن يعمل الإنسان لوطنه ، وأن يقدمه في العمل على سواه . وواجب أن نعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض .. وواجب أن نعمل للجامعة الإسلامية ، باعتبارها السبيل الكامل للوطن الإسلامى العام .. ولا تعارض بين هذه الوحدات ، بهذا الاعتبار ، فكل منها يشد أزر الأخرى ، ويحقق الغاية منها^(١)

* أخيراً ، لقد حاول البنا أن يقدم تعريفا جغرافيا للوطن ، يتسق تماما مع مفهومه السابق ، فالوطن - حسب رأيه - في عرف الإسلام يشمل القطر الخاص ... ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار ثم يرقى إلى الدولة الإسلامية الأولى التى شادها الأسلاف بدمائهم ولا تزال آثارهم فيها وكل هذه الأقاليم يسأل المسلم عنها بين يدي الله إذا لم يعمل على إستعادتها ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعا^(٢) ويردف البنا فقرته السابقة بالآية الكريمة وهى قول الله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (الأنفال من الآية ٣٩) وهذا التصور الذى تصوغه عبارات البنا ، مقرونا بالإشارة إلى الوظيفة الجهادية للدولة ، يمكننا أن نخلص إلى أنه قد أعاد صياغة

(١) حسن البنا : مجموعة الرسائل ، القاهرة ، دار الشهاب د. ت ، ص ٨٨ وما بعدها .

(٢) حسن البنا في رسالة إلى الأمة الناهضة ٢٩ شوال ١٣٥٥ هـ - ١٢ يناير ١٩٣٧ م - في إبراهيم

اليومى ، مصدر سابق ص ٢٢٠ .

مفهوم «الوطن» و «الوطنية» صياغة حركية تجعل قاعدة الدولة (إقليمها الأرضى) لا يستقر ولا يثبت إلا فى حالة واحدة فقط وهى أن يشمل الدنيا كلها أما قبل ذلك فتظل الدولة الإسلامية - حسب المنطق الذى يقود إليه تصور البنا - فى حالة «عدم إستقرار» طالما أنها لم تستكمل تحقيق رسالتها «كدولة عقيدية إسلامية» .

إن هذه الرؤية رغم مثاليتها - وربما بسبب منها - ظلت تعد محور الإجتهدات الفكرية لكل من تلى الإمام حسن البنا من قادة الحركة الإسلامية فى مصر وخارجها ، وصولاً إلى تحقيق الدولة الإسلامية العالمية ، أو ما يسميه البعض بالعالمية الثانية للإسلام .

(٢) أطروحة سيد قطب :

تعد رؤية سيد قطب بشأن قضايا الانتماء (من قومية ووطنية وإسلامية) أكثر أهمية عما سبقها من الرؤى ، وذلك لاختلاف السياق السياسى والحضارى الذى أتت فيه كلية ، فالرؤى السابقة أتت فى سياق غياب المشروع القومى الذى استقطب الأمة تجاه العديد من التحديات الخارجية والداخلية ، فى حين أن هذا المشروع كان فى قمة تألقه عندما سبق سيد قطب ورفاقه إلى أعواد المشانق ، وكانت إنجازاته المادية على أرض الواقع تستقطب تلك القطاعات التى عاناها (قطب) بخطابه السياسى والدينى ، وكانت صرخة قطب هى الإستثناء الوحيد - ربما خلال القرن العشرين داخل مصر - الذى لم يجد صدها المباشر إلا بعد رحيل صاحبه بسنوات .

* وتأتى أهمية رؤية سيد قطب أيضاً ، من زاوية أنه المفكر الذى خرجت من تحت عباءة (ظلاله)^(١) ، و (معاله)^(٢) ، كافة الأفكار الجهادية للتنظيمات الإسلامية الراديكالية خلال حقبتى السبعينات والثمانينات .

* لهذه الأسباب ولغيرها ، تأتى أهمية رؤية سيد قطب لقضية الانتماء بدوائرها المختلفة (الإسلامية - القومية - الوطنية) ، وبداية يلاحظ أن سيد قطب كان أكثر جذرية عمقاً من سبقيه فى رفضه لمفهوم (الوطنية) كلية سواء كان هذا المفهوم قائماً على أساس إسلامى أو علمانى ، فهو لا يرى سوى (العقيدة) كوطن ، وكان انتماء من هنا نراه يؤكد على سيادة الشريعة الإلهية ، والانتماء للحاكمية العليا : الله وذلك لأنه حين تكون الحاكمية العليا فى

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، ط ١٧ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

(٢) سيد قطب : معالم فى الطريق ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

مجتمع لله وحده متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية «تكون» هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية^(١) ، وحيث أن المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر خارج عن إرادتهم الإنسانية ، فهو المجتمع المتخلف ، أو المصطلح الإسلامى هو المجتمع الجاهلى^(٢) وحيث المعركة - وفقاً لهذا المنهج - بين المسلمين وخصومهم ، ليست معركة سياسية ولا معركة إقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها ، وسهل حل أشكائها ولكنها في صميمها معركة عقيدة ، أما كفراً أو إيماناً أو جاهلية أو إسلام^(٣) .

ويرى أيضاً أن هدف الإسلام لم يكن في يوم من الأيام هو تحقيق القومية العربية حيث : «إن هدف الإسلام لم يكن تحقيق القومية العربية ، ولا العدالة الاجتماعية ولا سيادة الأخلاق ، ولو كان الأمر كذلك لحققه الله في طرفة عين ، ولكن الهدف هو إقامة مجتمع الإسلام الذى تطبق فيه أحكام القرآن تطبيقاً حرفياً ، وأول هذه الأحكام أن يكون الحكم نفسه لله ، وليس لأى بشر ، أو جماعة من البشر وإن أى حاكم إنسان بل أى مسئول إنسان ، وإنما ينازع الله سلطته ، بل إن الشعب نفسه لا يملك حكم نفسه ، لأن الله هو الذى خلق الشعوب وهو الذى يحكمها بنفسه^(٤) .

إن الأمة عند قطب - تجمع بشرى حول مرتكز عقيدى لا حول راية وطنية أو قومية ، أو هي في جملة أخرى دار تحكمها عقيدة ومنهاج حياة وشريعة من الله ، وهي عقيدة يراها قطب تعلو فوق المقومات التاريخية لبناء الأمة ، من هوية وتشارك قانونى ، وتجانس ثقافى ، مما يعنى أنه تعمل مع هذا المفهوم بصيغة أقرب إلى الأيديولوجية منها إلى التحليل العلمى^(٥) ، ويرتبط بمفهوم (الأمة الإسلامية) ، لديه ، مفهوم آخر هو العالم الإسلامى (، أو (دار الإسلام) التى تضم كل أرض يعيش عليها مسلمون .

وطبقاً لرؤيته ، هناك داران : دار الإسلام ، وحماتها حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذى يسود فيه ، ودار الحرب ، وهي الأرض التى لا يهيمن فيها الإسلام ، ولا تحكم فيها شريعته ،

(١) سيد قطب : معالم في الطريق ، مصدر سابق ١١٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٤) نفس المصدر السابق ص ١٨٨ ع ٢٠١ .

(٥) د . محمد حافظ دياب : سيد قطب - الخطاب والأيديولوجية ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة -

١٩٨٧ م ص ١٣٧ - ١٣٩ .

بالقياس إلى المسلم وإلى الذمى المعاهد كذلك ، وتلك دار على المسلم أن يحاربها^(١) .

على ضوء هذا التصوير ، فإن هذه الأمة لا تملك الآن - وليس مطلوباً منها - أن تقدم للبشرية تفوقاً خارقاً في الإبداع المادى .. لا بد أن من مؤهل آخر لقيادة البشرية - غير الإبداع المادى - ولن يكون هذا المؤهل سوى (العقيدة) و (المنهج) الذى يسمح للبشرية أن تحتفظ بنتائج العبقريّة المادية^(٢)

إن الخطاب السياسى الإسلامى لسيد قطب بهذا المعنى يقوم على ثلاثة فروض وأفكار أساسية :

تتلخص الفكرة الأولى فيما يلى :

يعيش العالم اليوم وفى مقدمته العالم الإسلامى جاهلية جديدة كمتلك التى عرفها التاريخ قبل الدعوة الدينية الإسلامية وهذا ما يفسر لنا عموماً اللاأخلاقية واستتباب المادية وطغيان الحكام الكافرين والحيرة والوجودية ... الخ ، ولا يمكن لمسلم جدير بهذا الاسم أن يقابل باللامبالاة هذه الحالة الاجتماعية والسياسية ، إذ المسلم مجبر - وهذه فكرة أو فرض قطب الثانى - بحكم تعاليم دينه أن يقوم ما أعوج فى عالمنا هذا ، هذا التقويم ، وهو مناط برقة كل المسلمين ، ينبع من كونهم أودعوا من عند الله تبليغاً عالمياً ، وهو تبليغ يتمثل فى نشر وتحقيق كلمة الله ، لذا وجب على أهل الكتاب ، المسيحيين ، واليهود أن ينحازوا إلى الرسالة الإسلامية أو ألا يقفوا على الأقل عقبة دون إنتشارها .

وحسب رأى قطب لو لم يجد المسيحيون واليهود عن دينهم الأول والأصيل لأعتنقوا دين الإسلام الذى هو عقيدتهم الحقّة ، إذن الإسلام بحكم عالميته مجبر على الإنتشار لأنه لا يرتبط بوطنية ولا بقومية ولا بجنس ولا بطبقة إجتماعية ، جغرافيته الوحيدة هى جغرافية العقيدة ، ولكى يعيش الفرد المسلم هذه العقيدة التى تشمل حسب رأى قطب . وهذه فكرته الثالثة التى دافع عنها بقوة) - كل مظاهر الحياة أى الدين والدنيا والدولة ، لا بد من طليعة تكلف بالعمل لإقامة مجتمع مسلم ودولة مسلمة ، تتكون هذه الطليعة وهذا مفهوم مهم عند قطب كما يقول (أو ليفى كارب) من النخبة المؤمنة التى تمتاز بربوخ وقوة عقيدتها ولا بد لهذه النخبة من إعادة التجربة المحمدية بتمامها أى حتى فى تفاصيلها ومراحلها المكينة وتكون بثورة

(١) سيد قطب ، معالم فى الطريق ، ص ١٤٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٧ .

ثقافية تعبد الطريق ، والمرحلة المدنية وهى إقامة الدولة الإسلامية ، أى الحاكمة وذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية^(١) .

بهذه المعانى التى نستخلصها فإن سيد قطب يتفق مع سائر دعاة الإصلاح الإسلامى (بمن فيهم محدثو السلفيين) فى إقامة هذا الترادف بين (الإسلام) والفطرة ولكنه يذهب أبعد منهم ، ويتضح ذلك من موقفه من مسألة الدولة الوطنية فلسفة ومؤسسات ، فأمثال محمد عبده ، والأفغانى والكواكبي والبنا دخلوا معها فى حوار ، واجتهدوا فى تأويل الإسلام بها ، أو تأويلها بالإسلام ، فكانت إصلاحاتهم واجتهاداتهم ذات مسحة دينية .

أما عند قطب فإن هذه «الدولة الوطنية» مغيبة . هو يرفض نظريتها فى السلطة لأنها تجعل البشر هم مصدرها ، وتجعلهم الغاية من نظامها ، فهى دولة جاهلية .

إن اعتبار البشر مصدر للسلطة ، تشريعاً وتنفيذاً ، هو فى عرف قطب جاهلية لأنه خروج على عقيدة الاستخلاف فإن الإنسان مجرد وكيل لله على الأرض ، عليه أن يعمرها ويدير مجتمعها فيها طبقاً لشرعه ، فلا هو المالك الأصل لخيراتها ولا الحاكم الحقيقى بها ، بل هو مجرد وكيل مستخلف وكل نظام يقوم على غير هذا فهو جاهلية .

* «الجاهلية» يراها قطب عامة ، تماماً كما كانت الحال ، حين ظهور الإسلام ، فلا بد إذن من سلوك نفس المنهج الذى سلكه الإسلام الأول ، لا بد من العودة إلى الإسلام الأصل ، إلى الفطرة وتكوين «الفئة» المسلمة حقاً ، نواة المجتمع الإسلامى ، المتمثلة للإسلام عقيدة وسلوكاً ، تنشره بالدعوة فى مجتمع عاد إلى «الجاهلية» وتقتدى فى مرحلتها الأولى هذه بما كان عليه الإسلام المكي ثم تنطلق إلى المرحلة الثانية ، لتعميم الإسلامى بـ«الجهاد» وتقيم «الدولة الإسلامية» . هذا ولقد ارتبطت دار الإسلام ، ليست وطناً ولا جنساً ولا قومية ، ولا «دولة وطنية» وإنما هى دولة «الاستخلاف» والتى تقوم على الشرع الإلهى^(٢)

إن سيد قطب ، كما هو واضح كان جذرياً فى رفضه لكل ما هو دون الإسلام على صعيد الإنتماء ، وبخاصة تجاه إشكالية الوطنية ، ونحن نعتقد أن للسياق السياسى ، وللظروف

(١) أوليفى كاريه : الصوفية والسياسة (المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية - باريس - ١٩٨٤ م) عرض أسماء العريف المنار - العدد الأول يناير ١٩٨٥ م - دار الفكر العربى للأبحاث والنشر - باريس (ص ١٧١ - ١٧٣ .

(٢) د . على أومليل: هجرتان سيد قطب وطه حسين - مجلة فكر للدراسات والأبحاث القاهرة ، العدد ١٠ - ١٩٨٦ م ص ١٨ .

الموضوعية (سجن سيد قطب وإعدامه في قضية الصراع مع النظام الناصري عام ١٩٦٥ م) تأثيراتها المساعدة في علو نبرة الرفض في الخطاب القطبي تجاه هذه الاشكالية ، وتجاه غيرها من إشكاليات الفكر الإسلامى المعاصر ، وتميزت عن سابقتها من الرؤى وكان لإستشهاد صاحبها بسبب إيمانه بها ، تأثير نفسى هائل على من تلاه من الإسلاميين تجاه هذه الإشكالية بخاصة وتوارى العقل ، أمام العاطفة ، ودخل «الاستشهاد» مرة أخرى في صناعة السياسة ، وخلق الرؤى وتشكيل الوعي ، وعاشت السبعينات والثمانينات ، داخل عالمنا العربى ، ومصر منه بخاصة ، مرحلة من التحول والتوتر الفكرى شديدة ومؤثرة ، وكان (سيد قطب) هو بطلها الحقيقى رغم رحيله الجسدى عام ١٩٦٦ م .

رابعاً : رؤية الإخوان لشخصية جمال عبد الناصر :

تعددت زوايا الرؤية الإخوانية لشخصية جمال عبد الناصر الذى تدور من حوله وقائع هذا الكتاب وسوف نورد هنا رؤية أحد الإخوان لشخصية جمال عبد الناصر لعلها توجز كل الرؤى الإخوانية وتقدمها لنا فى بلورة واضحة إنها رؤية محمود عبد الحليم^(١) ، وشخصية عبد الناصر تتميز بالنسبة له فى الآتى من واقع جلسة طويلة منه قبل الثورة عام ١٩٥٢ م .

أولاً : أنه يتمتع بشخصية قيادية بدليل تزعمه لمجموعة متباينة من الضباط وكلها تدين بالخضوع له والائتمار بأمره .

ثانياً : أنه يتمتع بذاكرة وحافظة قويتين ، فقد كان فى سرده للأحداث التى كانت بينه وبين الإخوان يذكر كل حدث منها بتاريخه محدداً مع أن منها أحداثاً كان قد مضى عليها أكثر من خمسة أعوام وإذا فرضنا أنه كان قد عكف على تحضير هذا الحديث الذى تضمن عشرات الأحداث قبل أن نلتقى به ، فإن حفظ تواريخ هذه الأحداث ، وإلقاءها إلينا دون خلط أو خطأ ، ينهض دليلاً على قوة ذاكرته ومتانة حافظته .

ثالثاً : إنه ذو شخصية متماسكة ذات أعصاب قوية ثابتة ، لا تكاد تستجيب للمؤثرات الخارجية مهما قويت هذه المؤثرات - وقد شعرت بذلك فى أثناء إلقاءه حديثه الطويل دون أن يجرفه الموقف المثير جرفاً يخرج به عن سياق حديثه أو ينسيه ما رتب فى ذهنه من نقاط .. كما شعرت بذلك حين كنا نتحدث إليه ونحن مجموعة

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ - دار الدعوة - القاهرة - ١٩٨٦ م ص ٣٧٥ .

لها وزنها في الإخوان ، وكان حديثنا قى ذلك اليوم حديثاً عاطفياً فياضاً تنور له وتستجيب له عاطفة كل سامع .. ومع ذلك فإن ذلك لم يحرك عواطفه حركة توائم ما نغمره به من عواطف ، بل كانت إجاباته تتمشى مع المنطق الذي أختاره لنفسه - وتماسك الشخصية قد يكون نتيجة الثقة بالنفس أو قد تكون الثقة بالنفس وليدة تماسك الشخصية ، أو قد يكون التعبيران لصفة واحدة .

رابعاً : هناك ملمح من ملامح شخصيته كشف لى عنه حديثه الممتزج بالمرارة حين كان يتحدث عن لقاءاته مع الأستاذ المرشد العام ، وهذا الملمح لا زلت في حيرة من تسميته ، ولكننى أشير إليه بما كان يبعث هذا الحديث فى ملامح جمال وفى قسما ت وجهه ، وفى تقطيب جبينه ، وفى توقد عينيه ما يكاد يخيل إلينا أن لو كان الأستاذ المرشد أمامه لأطاح برأسه شفاء لما يتأجج فى صدره من غضب منه وحقد عليه .

وهو يرمى المرشد العام بصنقات لم نعهدها فيه ، ولم نسمع أن أحداً نسبها إليه - وفحواها أنه يتجاهل جليسه ويحقر ضيفه - ولست أدري لماذا يشكو جمال وحده دون غيره - على كثرة من قابل المرشد العام من جميع المستويات - ويشكو صفة لم يشك منها غيره من هؤلاء ، المتعاملين سواء منهم العدو والصديق .

خامساً : الملمح الخامس والأخير فى شخصية جمال هو عدم مبالاته بالقيم ولا بالعلاقات وهو ما يعبر عنه بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» . وهذا المبدأ يستبيح الدم والعرض مادام ذلك يحقق هدف الشخص . والهدف فى هذه الحالة عادة يكون هو السيطرة والاستئثار بالسلطة . وصاحب هذا المبدأ مادام يملك القوة فإنه لا يرحم ولا يرفعى إلا ولا ذمة .

ولقد وضع هذا الملمح حين كان جمال يتكلم عن طلبة الجامعة وأساتذتها وما أعده لهم من معتقلات أخذ يصف بشاعتها .. كما وضع حين كان يتكلم - وهو يشعر أنه فى مركز القوة - فتراه يرفض عروضنا عليه ، وهى عروض كان هو يتمناها من قبل ، وطالما سعى هو إليها ، وحين سعى وجد منا قلوباً مفتوحة ، وعواطف فياضة ، وتغاضيا عن الإساءة ... وناهيك ما كان منا عقب خروجنا من المعتقلات فى مارس ١٩٥٤م ونحن فى أوج القوة وهو فى حضيض الضعف ، وطلب أن يزور المرشد فى بيته ، فرحب المرشد بلقائه ونسينا ما كان من إساءاته التى بسطنا الحديث عنها من قبل .

وعلى كل فإن هذا الملمح الذى بدا لنا منه ما بدا فى هذا الاجتماع وكان مجرد كلام

وتهديد ، مما جعلنى أتشكك فى أصالة هذه الصفة المرذولة فى نفسه ، وأحسن الظن فأتصورها مجرد عارض نفسى تنزع إليه بعض النفوس فى أثناء الحديث لتظهر أمام مستمعيها بمظهر يتم بالقوة والبطش .. ولكن الأحداث بعد ذلك أبانت عن أن حسن ظننا لم يكن فى موضعه ، وأثبتت أصالة هذه الصفة فى نفسه ، بل وضحت أنها الصفة المسيطرة عليها ، والتى تتحكم فى جميع تصرفاته وخطواته .

خامساً : رؤية الإخوان لحادث المنشية : الشهادة الأولى :

هناك العديد من الشهادات بالنسبة لصدام ١٩٥٤ بين عبد الناصر والإخوان ، منها شهادة صلاح شادى والتلمسانى وصالح ع شماوى وجابر رزق وزينب الغزالى وغيرهم من الإخوان الذين ظهرت شهاداتهم فى السبعينات بعد الأفراج عنهم وفى مجلة (الدعوة) إلا أننا نورد هنا رواية حديثة نسبياً وهى أقرب للسرد الذاتى منها إلى التاريخ ومن هنا أهميتها ، نظراً لعقوبتها الشديدة وهى رواية «محمود عبد الحليم» أنه يحدد رأيه فى حادث المنشية فى النقاط التالية :

١ - إذا كان الإخوان يريدون إثبات عمل كهذا ، أفلم يكن الأولى بالقيام به إخوان الاسكندرية ، والمثل يقول «أصحاب الدار أدرى بمسالكها» والمفروض فيمن يرشح نفسه لمثل هذا العمل أن يرتب لنفسه خطة الحرب ، ولا يستطيع هذا إلا من له دراية كاملة بمعالم هذا البلد وأدق تفاصيل مسالكه .^(١)

٢ - لا شك فى أن جمال عبد الناصر ومن حوله من حرس حكومى يدخل فيه المباحث العامة والمباحث الجنائية والشرطة العسكرية والمخابرات العسكرية والمخابرات العامة وغيرهم - كانوا يتوقعون كل شئ من ناحية الإخوان لاسيما النظام الخاص . كرد فعل لحملاتهم الإستفزازية ، وهم فى نفس الوقت ملمون إلاما تاما بجميع شعب الإخوان فى القطر كله وبأفراد النظام الخاص على وجه الخصوص ، بدليل إنهم بعد حادث المنشية مباشرة ألقوا القبض على جميع أفراد هذا النظام فضلا عن إعتقال غيرهم من الإخوان .. فلو إنهم أرادوا منح محمود عبد اللطيف - وهو معروف لهم بالذات

ومعروف لجمال نفسه - من السفر إلى الاسكندرية فى ذلك اليوم لفعلوا - فعدم منعهم إياه يشم منه رائحة التواطؤ أو على الأقل التغافل لحاجة فى نفس يعقوب .. قد كان يعلمها محمود وقد لا يعلمها هو ويعلمها من يرأسه فى النظام الخاص .

٣ - لو كان الإخوان يريدون إغتيال جمال عبد الناصر ، فقد كانت أمامهم عشرات الفرص

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، مصدر سابق - ص ٣٩٧ .

لتنفيذ ذلك دون مخاطرة تذكر - ولو فرضنا أن كل الفرص فاتتهم وأرادوا أن ينفذوها بعد ذلك لما وقع إختيارهم على تنفيذها في حفل عام يضم هذا العدد الضخم وهم يعلمون أن رجال المباحث مندسون وسط كل صف من صفوف الجالسين والواقفين ، ولما إختاروا أن يصوبوا إلى مسدسا من أسفل إلى أعلى على بعد لا يقل عن عشرين مترا .. ولكن تصرفهم غير هذا التصرف الذى هو أشبه أن يكون عملا إستعراضيا منه بأن يكون عملا جادا .

٤ - إذا افترضنا جدلا أن هذا العمل قام به أفراد من الإخوان ، فإن إتيانهم بهذه الطريقة يدل على أنه ليس من تدبير هيئة كهيئة الإخوان المسلمين فيها من العقول ومن الخبرة مالا يتمخص عن مثل هذه الخطة الصيبانية ... وبهذا كان ينبغى إعتباره عملا فرديا لا علاقة له بدعوة الإخوان المسلمين ، ولا بهذه الهيئة المترامية الأطراف ، وما كان ينبغى أن تؤخذ هذه الهيئة بجريرة فعل فردى ، بل يؤخذ هؤلاء الأفراد وحدهم بجريرة ما فعلوا .. ولكن يبدو أن ، الهدف كان ميّتا لدى أصحاب السلطة .

ساساً : رؤية غربية للحادث :

نورد هنا رؤية ريتشارد ميتشل الهامة التى تعد بمثابة أطروحته للدكتورة (قبل وفاته) ، ونشرت في كتاب على جزئين ، يحمل عنوان الإخوان المسلمون ، نورد هنا رؤيته لحادث المنشية وتحديداً لعملية (المحاكمات) والتى سميت فيما بعد (بمحكمة الشعب) .

فماذا يقول ميتشل^(١) :

في الثانى من نوفمبر سنة ١٩٥٤م شكل مجلس قيادة الثورة (محكمة الشعب) لمحاكمة أعضاء الجماعة ، برئاسة جمال سالم وعضوية كل من أنور السادات وحسين الشافعى ، وكان أغلب الشخصيات الهامة في الجماعة قد تم إعتقالهم في الأسابيع القليلة الأولى التى أعقبت محاولة الإغتيال : ففى ٢٧ أكتوبر سلم هندأوى دوير نفسه ، وصدر قرار إعتقال المضيبي في ٣٠ أكتوبر (ليست هناك معلومات واضحة حول ما إذا كان قد سلم نفسه للسلطات) ، وفي ١٨ نوفمبر ألقى القبض على حميدة

(١) نشر كتاب ميتشل في مصر عام ١٩٧٧ ، انظر ريتشارد ميتشل (الإخوان المسلمون - الجزء الأول والجزء الثانى - مكتبة مدهولى ١٩٧٧م - مصدر سابق) .

لإشتراكه في أعمال الجهاز السرى ، وقبض على إبراهيم الطيب في الثانى عشر من نوفمبر وعلى يوسف طلعت رئيس الجهاز السرى في ١٤ نوفمبر ، وعندما تم إعتقال الأخير نشطت البورصة المصرية التى كانت - طبقا للتقارير - قد تعرضت للركود بعد محاولة الاغتيال ، وخلال تلك الفترة تم اعتقال كل الأعضاء الآخرين فى مكتب الإرشاد والمؤيدين البارزين للهضيبى ، وقد بقى ثلاثة فقط من بين هؤلاء الذين أُنفق على أنهم لعبوا دورا بارزا فى أحداث تلك الفترة مطلقى السراح حتى الآن وهم حسن العشماوى وعبد المنعم عبد الرؤوف أبو المكارم عبد الحى .

وفى التاسع من نوفمبر بدأت المحاكمات وكانت أولى القضايا قضية المتهم بإرتكاب محاولة الإغتيال محمود عبد اللطيف ، وطلب إلى ثلاثة من أبرز المحامين فى مصر - محمود سليمان غنام وفتحى سلامة ومكرم عبيد - أن يتولوا الدفاع عنه ، إلا أنهم رفضوا نظراً لأنهم اعتبروا مثل هذا (المجرم) غير جدير بأى دفاع ، وعينت المحكمة محاميا هو حمادة الناحل، الذى كانت تجربته الأولى والوحيدة مع الإخوان هى الدفاع عن مفتالى حسن البنا ، وأقر المتهم بأنه مذنب فيما يتعلق بتهمة إرتكاب (أفعال مناهضة لشكل الحكم الحالى) بإشتراكه فى مؤامرة إجرامية للقيام بعصيان مسلح وثورة وبالشروع فى قتل رئيس الوزراء ، وقبل أن تنتهى محاكمته فى ٢٠ نوفمبر تم إستدعاء تسعة عشر شاهداً ، كلهم من الإخوان المسلمين ، ثم استدعى الهضيبى للمحاكمة فى ٢٢ نوفمبر ، ثم استدعى فى تلاحق سريع كل من هنداوى دوير وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت ، ثم أعضاء مكتب الإرشاد ، لتنتهى المحاكمة فى الثالث من ديسمبر .

وفى الجلسات الأولى للمحاكمة أدى ذكر إسم محمد نجيب إلى عزله من منصبه كرئيس للجمهورية وتحديد إقامته فى منزله ، وكان نذير سقوطه ، ذلك الإستدعاء ، الذى تم فى نفس اليوم لأخيه على ، سفير مصر فى سوريا ، وزعم أن الإستدعاء تم للتشاور حول الموقف المتدهور للعلاقات بين مصر وسوريا ، ولقد ذكر إسم نجيب مع أسماء محمد حسن العشماوى وزير التعليم السابق (الذى اعتقل) وعبد الرحمن عزام الأمين السابق للجامعة العربية (الذى لم يتعرض للإعتقال) - وذلك فى سياق مناقشته للتخطيط لمظاهرة الشعبية ، وهى المناقشة

التي دارت بين الإخوان وتوصلو إلى ضرورة وجود شخصية وطنية تعمل على إعادة النظام فى البلاد ، وعندما إنتهت المحاكمة لم يكن هناك إى دليل مادى يثبت أن أيا ممن ذكرت أسماؤهم كان مشاركاً عن علم فى أى مرحلة من محاولة الإغتيال ، أو أن أيا منهم كان على علم بطبيعة الدور الذى رسمه الإخوان له ، ورغم توافر أدلة كافية على وجود نوع من الإتصال

بين نجيب والإخوان ، إلا أنه ليس واضحا الشكل الذى اتخذه هذا الإتصال أو إلى أى مدى تورط فيه نجيب ، وشهادة الإخوان فيما يتعلق بهذه النقطة لم تكن واضحة بما فيه الكفاية - بحيث أوحى بغياب أى تخطيط فعلى - ولم يقدم نجيب للمحاكمة ، ومن الواضح بالنسبة لنجيب على الأقل ، أن ناصر قد اختار اللحظة التى اكتسب فيها شخصية كبيرة لكى يسوى - دفعة واحدة وإلى الأبد - خلافه الذى لم يحل مع رئيس الجمهورية المتمتع بشعبية بين الجماهير ورغم أن عزل نجيب لم تكن له أصداء شعبية ، ألا أن أحد المراقبين لاحظ بذلك أنه نتيجة لذكر اسم نجيب فى محاكمات الإخوان ، تحلل الموقف تدريجيا من الموضوع الكامل إلى موقف يكتنفه الغموض فى أذهان الناس .

أما المحاكمة نفسها فكانت معرضا لا ينسى للحقوق التى تمتلكها الحكومات الثورية وتستحوذ عليها فيما يتعلق بالمعاملة القانونية الواجبة ، فقد كان واضحا منذ البداية أن استيضاح معالم الدغوى وتحديد مدى كل ذنب على حدة هو آخر ما كانت تستهدفه الحكومة ، وفى تلك القضايا التى عين فيها الدفاع من قبل المحكمة ، كان المحامون يسألون أسئلة ويصوغون تعليقات كان من الأفضل تركها للإدعاء ، أما القاضى (رئيس المحكمة جمال سالم - فقد نصب نفسه مدعيا عاما ، فكان يقاطع كما يحلّز له إجابات الشهود إذا لم تحز الإجابة رضاه ، وكان يضع الكلمات فى أفواههم ويكرهمهم أحيانا بالتهديد - على الإجابات المطلوبة ، وكانت أسئلته تصاغ بطريقة بحيث تحول دون أى إجابة تختلف عن الإجابة التى تطلبها المحكمة وأية محاولة لإضافة تفاصيل أخرى كانت تصد فى الحال ، وفى بعض الأحيان كان يشتبك فى حوار ومجادلة مع الشهود توج فيها إهانات وقحة ، وفى بعض الحالات كانت الإهانات تصدر من المحكمة وحدها ، وكانت المحكمة تمارس بحرية تامة مواجهة شاهد بآخر ، وتلفيق شهادة أحدهما لاستفزاز الآخر ، وكان يسمح للجماهير ، بل كان يشجع فى أحوال كثيرة ، بالمشاركة فى الضحك والسخرية من الشهود وتوجيه الإهانات لهم ، وفى مناقشة الشهود لم تكن غالبية الأسئلة الموجهة لهم مرتبطة بالجريمة ، فكانت تتضمن بدلا من ذلك إمتحانات فى تفسير الآيات .. القرآنية ، وقواعدها النحوية القصد منها إرباك الشهود .

ولقد اضطرب الشهود ، وإنتابهم الخوف ، كما إنهم فى الأغلب الأعم ، كانوا يفتقرون إلى الحياد ، أما الأدلة فكانت حافلة بالمتناقضات ، وكان مرجع ذلك لأسلوب معاملة المحكمة للشهود من ناحية وإلى تحفظ الشهود ، وعمد توفر الرغبة لديهم فى الإفصاح ، وفضلا عن ذلك فقد عكست هذه الأدلة من جهة ثانية وضع كل شاهد داخل الجماعة ، وبالتالي عكست المستويات والمنطلقات المتعددة التى نظر منها للمسائل موضع التحقيق ، كما أن

السهولة الملحوظة التي إنهار بها الولاء ، ووجه بها الأعضاء أصبح الإتهام كل منهم نحو الآخر ، أظهرت إلى أى مدى إهتزت مشاعر الثقة المتبادلة ، ونفس الشيء حدث أيضا في التحقيقات التمهيدية ، والتي ظهرت من خلالها معظم (الاعترافات) وكان من أسباب هذا الإنهيار السريع للبنية التنظيمية ما حدث من تعذيب في السجون على أن الأخطر من المحاكمة - أن ينظر مباشرة إلى وجه المضيبي .

ولقد قامت الصحف بالتغطية الكاملة لوقائع المحاكمة - بإستثناء بعض التعليقات البذيئة للمحاكمة - وكانت ترفق بنصوص أقوال الشهود تفسيرات مبهمة لم تكن دائما أو في أغلب الأحوال تنسجم مع الحقائق المعروفة ، على أن فصل الوقائع عن إفتتاحيات أعمدة الأخبار التي تنقل المحاكمات لم يكن متعذرا نظراً لأن معظم الشهادات كانت متاحة ، ولقد إعتمدنا على هذه الشهادات بصورة أساسية في محاولتنا صياغة روايتنا الخاصة للأحداث ، إنطلاقاً من أن هذه الشهادات وبإفترض أن الحكومة قد أخرجت من جعبتها - خلال المحاكمات والتحقيقات التمهيدية وفي الصحافة - كل ما تحوزه من بيانات حول نشاط الإخوان ، يمكن لنا أن نقدم بعض الملاحظات الموجزة حول إدعاء الحكومة وحول ما حدث بالفعل .

كانت الفكرة الأساسية التي صدر عنها الإدعاء بسيطة للغاية . فاغتيال رئيس الوزراء هي بداية (عصيان ذلك كان إنهيار الروح المعنوية للتنظيم فلم يكن الجهاز السرى الجديد قد تمرس فيما فيه الكفاية بحيث يطور الثقة المتبادلة بينه وبين الأعضاء ، أو ، وهو الأهم ، بين الأعضاء والقادة ، وفيما يتعلق بالحالة الأخيرة ، ورغم وجود سلطة عليا معترف بها رسمياً ، إذ أنه لم يكن هناك في واقع الممارسة ، تسلسل واضح ومحدد للسلطة ، وكان التنظيم العام للجماعة في حالة من الانقسام الداخلي العميق بخلافاته الداخلية المحترمة بحيث كان من السهل نسبياً العمل على تعميق ما أصابه من تفسح ، بالاعلان على أوسع نطاق جماهيرى يمكن من (اعترافات) و (خيانات) - بعضها حقيقى والبعض الآخر ملفق - تنسب إلى عدد كبير من أعضائه ، ومن الأمور ذات ، المغزى في هذا الصدد أن الجزء المتبقى من الجهاز السرى والذي كان ما يزال يمارس نشاطا ، قام - بعد أن نشرت الصحف بعض الروايات عن (الخيانة) المزعومة التي أدت لكشف مكان إختفاء المضيبي - بتوزيع منشور ينكر فيه هذا الزعيم ويؤكد التعاون المستمر والولاء الكامل للأعضاء ، وقد أضفت الصحف طابعا دراميا مثيرا على المسألة عندما لاحظت أن ، يوسف طلعت كان الرجل الوحيد الذى إستطاع - خلال مسلح دموى) يستهدف الأطاحة بالنظام الحاكم ، والمضيبي و (عصابته) هم المسئولون عن التخطيط المتعمد والواعى لهذا كله ، ولقد سبق إن رأينا أن الأمر لم يكن كذلك على وجه التحديد ، فالواضح أن محاولة الإغتيال قد وقعت لا بسبب النشاط الفعال

من جانب القيادة الجماعة بل وقعت بالأحرى نتيجة لعدم ممارسة هذه القيادة لنشاطها ، وكل صلة مباشرة أو حقيقة بين القادة وبين القيام بعصيان مسلح أو حتى إعداد خطط غير واضحة أو محدودة من أجل (مظاهرات شعبية) ظلت في الواقع مفتقرة إلى الدليل ، كذلك ظل دون دليل ، إن مسألة التظاهر قد تعدت مرحلة المناقشة ، بل ولم تتضح هوية المشتركين في المناقشات على نحو قاطع ، ولقد جسدت شهادة رئيس الجهاز السرى الخصائص الأساسية للإفتقار إلى القدرة على التخطيط ، فلقد أبدى جهلاً مطبقاً بالمسائل مثل تنظيم الأسلحة والتصرف فيها ومشكلات التماسك والتوزيع التنظيمي ، بل ووضح عدم إكترائه بها ، وتقدير طلعت المقدم للهضيبي في الأسبوع الأول من أكتوبر حول الإضطراب واليأس الذى أصاب الصفوف هو مثال واضح آخر على ذلك .

وعلى وجه الأجمال ، يمكن القول بأن الإخوان المسلمين - مع التسليم مرة أخرى بأن كل الأشياء التى يمكن تأويلها كأفعال مضرّة بالبلاد قد أذيعت على الملأ - كانوا بعيدين تماماً عن أن يكونوا نداً لخوض معركة مع الحكومة ، وربما كان في مقدورهم أن ينهضوا فحسب ، وعلى نحو تلقائى ، لتأييد حركة منتظرة ومرجوة من جانب الجيش ، ويجدر أن ننوه هنا إلى أن ناصر ونظامه كان يفتقر إلى التأييد في ذلك الوقت ولو أنه سقط صريعاً تحت وابل الرصاص الذى أطلق عليه لسقط بالتالى النظام الحاكم كما كان متوقعا ، ولكن مرتكب المحاولة - الذى شق بسبب إخفاقه - قد صار بطلاً قومياً .

أما الفقرة الثانية فى قرار الإنهام ، والخاصة بمسئولية الهضيبي وعصابته فهى أبعد من سابقتها عن المعقولة فى ضوء الشواهد المتاحة ، ذلك أن المحاولة كانت مسألة مبادرة فرد أو مجموعة داخل الجهاز السرى تمت دون علم باقى الأعضاء ، وربما دون علم قائد الجهاز نفسه ، كما أنه من المؤكد أن أحداً من الأعضاء من خارج الجهاز السرى لم يشارك فيها ، ولم يكن أحد من الشهود - باستثناء محمود عبد اللطيف صاحب المحاولة نفسه وهنداوى دوير رئيسه فى الخلية وإبراهيم الطيب رئيس مجموعة القاهرة - يملك أى ضوء مباشر على الإطلاق ليلقيه على المحاولة ، أما هؤلاء الأعضاء الذين كان ممكناً أن يدلوا بمعلومات مفيدة بالفعل (وهم حسن العشماوى وعبد المنعم عبد الرؤوف) ، فكانوا مطلقى السراح . ولم توضح المحكمة أو الشهود من هو الشخص الذى أصدر القرار فالتهمون إعترفوا بأنهم أخبروا بأن (القيادة) قد اتخذت قرارها بقتل ناصر ، لكنهم لم يتمكنوا من تعقب مصدر القرار إلى أبعد من رؤسائهم المباشرين ، ولقد لمح الطيب ، وهو يبلغ القرار إلى دوير ، إلى أنه لم يستطع الحصول على موافقة الهضيبي - ودلت الشواهد أثناء المحاكمة على أن الهضيبي كان بريئاً من قرار القتل ، وهو ما سبق أن أوضحناه ، وأنه قاوم مثل هذا الحل للمشكلة ، ولقد حاول

الطيب وعبد الرؤوف معا بالتخلص من الرئيس الرسمى للجهاز السرى ، يوسف طلعت ، الذى كان واضحا أنه يجهل الخطة الموضوعة لإغتيال ، والإحتمال الأقرب إلى الصحة هو أن عبد المنعم عبد الرؤوف كان المخطط الرئيسى للعملية وأنه تصرف بمبادرته الخاصة بتعاون محتمل - وأن لم يقم عليه الدليل - من الشيخ محمد فرغلى (مستشار الجهاز السرى فى اللجنة العليا وعضو مكتب الإرشاد) وبمساعدة الطيب الذى كان يملك صلاحية كافية بوصفه رئيسا لقطاع القاهرة ، لكى ينفذ أمراً من (القيادة) إلى دوير وعبد اللطيف دون أن يلاقى اعتراضاً .

على أن الدلائل لم تتوافر فى اتجاه نفي احتمال صدور قرار رسمى بعملية الاغتيال فحسب ، بل وأوضحت أيضا موقفا لم تعد فيه القيادة فى التنظيم العلنى والسرى تمارس السلطة الفعلية ، وقد سجل طلعت تلك الحقيقة ، فيما يختص بالمجموعة السرية عندما أورد فى تقرير له الجدل الذى ثار حول أساليب العمل بينه وبين الطيب وعبد الرؤوف وتجاهلها لآرائه وإستبعادهما الواضح له فى خططهم الخاصة ، ولم يصف طلعت فى شهادة كانت فى النواحي الأخرى صريحة ومباشرة إلى حد بعيد أية معلومات تتصل بعملها بمحاولة الاغتيال ، لسبب واضح هو أنه لم يكن يملك ذلك ، وكان الطيب فى مرحلة أخرى هو الذى عرض تزويد عبد الرؤوف بالأسلحة ، وليس طلعت الذى لم يكن يعلم الكثير حول موضوع توزيع الأسلحة .

وفى القطاع العلنى من تنظيم الجماعة كان الإضطراب أكثر تفشيا ، فالهضبيى فى إختفائه لم يكن على إتصال بالحالة الراهنة للأمور سوى فى أضيق الحدود ، بعد أن فوض أتباعه المخلصين فى ممارسة سلطاته فى كل من القطاعين - وتباعا ، عانى هؤلاء والمستويات الأخرى للقيادة سواء فى ذلك أصدقاء الهضبيى أو خصومه إحباطات تراكمت على مر الشهور فى العلاقات القائمة بينهم وبين الأعضاء - خلال يوليو وأغسطس وسبتمبر ومع تزايد عمق الأزمة فى الهيئة التأسيسية وبداية سفور ما أصابها من تفسخ ، بينما أملت حدة النزاع إصدار بيانات الولاء ، التقى أعضاء الهيئة التأسيسية (فى جماعات) لمناقشة موضوع إنتقال السلطة ومركز القوة عمليا إلى الجهاز السرى المجهول الهوية وغير القابل للإنضباط ، وفى مكتب الإرشاد عبر المعارضون لسياسية أنصار الهضبيى عن قلقهم المتزايد بسبب فقدان المكتب لنفوذه والإحباط الذى تعانيه إرادته .

وفى يوليو ومع ظهور منشور (الإخوان فى المعركة) ، قدم عبد العزيز عبد الستار ، وهو واحد من أقدم أعضاء الجماعة وعضو مكتب الإرشاد ، إستقالته من الجماعة ولم يوافق

على سحبها إلا بعد أن صدر أمر إلى كل الشعب بوجوب عدم اعتماد أية تعليمات موجهة للأعضاء إلا إذا كانت صادرة عن مكتب الإرشاد كذلك ذكر عضو آخر في المكتب هو عبد الرحمن البنا ، إن المكتب تخلى عن مسؤوليته فيما يتعلق بتنفيذ سياسة الجماعة وإدارة شئونها .

ولقد سبق أن رأينا ، في معرض الحديث عن توقيع المعاهدة مع بريطانيا في ١٩ أكتوبر أن عضوا ، هو كمال خليفة قد زار نائب رئيس الوزراء لتقديم تهائه وإن المجلس أرسل في ٢٤ أكتوبر مبعوثا خاصا إلى الحكومة يحمل عرضا آخر للمصالحة وأن أحد قادة الجماعة (عبد العزيز كامل) قام في ٢٦ أكتوبر وهو نفس يوم محاولة إغتيال عبد الناصر بزيارة هندأوى دوير ولم يحدثه الأخير عن الخطة الموضوعية . والتي كانت فى طريقها للتنفيذ فعلا . ومن بين مؤيدى الهضيبي وخصومه فى القيادات العليا للجماعة لم يكن هناك من يدري شيئا عن الأحداث المتوقعة ، ذلك أنهم كانوا بعيدين تماما عن أى إتصال حقيقى أو تأثير ملموس فى الأعضاء .

والشاهد الأكثر وضوحا على ما أصاب البنية الرسمية للتنظيم من شلل وتصدع يقدمه الأعضاء أنفسهم ، فجو الحيرة والغموض الذى أعقب إختفاء الهضيبي ، والذى نجم عن تصوير الحكومة الملتبس والمضلل لمجرى الصراع بين المتخاصمين داخل التنظيم إزداد تفاقمه نتيجة لاقتصار وسائل الإتصال على كل المستويات فى الجماعة - منذ أغسطس حتى أكتوبر - على المنشورات السرية وعلى الأحاديث الشفوية ، وكان الإهتمام الرئيسى للمنشورات - فيما عدا إستثناءات قليلة - يتركز فى الخلاف مع الحكومة ودعم الروح المعنوية بصفة عامة ، أما الإتصالات الشفوية فقد عقدها التشكك والمبالغة وهم مظهرين طبيعيين لموقف تفاقم توتره فى جو إنعدام الثقة الذى بدأ يستنزف القوة الأساسية للجماعة . والواقع أن أقوال الأعضاء فى المحاكمة كانت تجسيدا حيا لتلك التشكيلة من الشائعات والمعتقدات التى سادت فى كل من التنظيم العلنى والسرى فيما يتعلق بما قاله هذا الشخص أو ذاك من قيادات الجماعة وما أعتقده وفعله أو أراد أن يفعله .

لقد دفعت تلك الحيرة الشاملة يوسف طلعت إلى الذهاب للهضيبي فى مكمنه بالإسكندرية فى أكتوبر ، يلتمس من الزعيم أن يعود للظهور العلنى ، حتى ينقشع جو الإضطراب الذى إستقر فى رؤوس الأعضاء ، ونتيجة لفشل طلعت فى مهمته تلك ، إلى جانب كل عناصر عدم الإستقرار فى تسلسل السلطة ، أصبحت الفرصة سانحة أمام الراغبين فى العمل أن ينفذوا ما أرادوا ، ولقد صور أحد المشاركين فى محاولة الاغتيال ذلك الإضطراب والتشويش الذى

أصاب الجماعة على مستوى الأعضاء ، فقد تحدث هنداوى دوير عن فقدان الجماعة لاهتمام الأعضاء ، وبعد وصف الانقسامات القائمة داخل التنظيم ومحاولة تعديل تكوين الهيئة التأسيسية لكى تصبح أكثر تمثيلا للإخوان ، تحدث كذلك عن كيف فقدت الهيئة والمرشد العام القدرة على توجيه الأمور . وفى تلك الظروف أصبح الجهاز السرى هو الركيزة الحقيقية للنشاط ، وباستثناء الجهاز السرى ، وجدنا أن الجهاز الإدارى للجماعة قد أصابه الشلل ، ويقر خميس حميده نائب المرشد العام بأسف ناظرًا للمشكلة من الجانب الآخر بأن (القيادة) فشلت فى السيطرة على الجهاز السرى (١٤١) ولقد أوجزت تلك العبارة إيجازا موفقا المشكلة التى أدت مرة أخرى إلى إنهيار جماعة الإخوان المسلمين .

وفى الرابع من ديسمبر ، نطق الحكم الأول لمحكمة الشعب على هؤلاء الذين شاركوا فى محاولة الاغتيال والقيادات العليا للتنظيمين العلنى والسرى ، وحكم بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على سبعة من أعضاء مكتب الإرشاد وكلهم مستشارين للهضيبى ، هم كمال خليفة ومحمد خميس حميدة وأحمد عبد العزيز وصالح أبو رقيق ، وحكم على اثنين من أعضاء المجلس هما عمر التلمسانى وأحمد الشريطى بالسجن خمسة عشر عاما ، وأطلق سراح ثلاثة من أعضاء المجلس هم عبد الرحمن البنا وعبد المعز عبد الستار والبهى الخولى ، والثلاثة كانوا أصدقاء الحكومة وصدر الحكم بالإعدام على سبعة من أعضاء الجماعة هم : حسن الهضيبى ومحمود عبد اللطيف وهنداوى دوير وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت والشيخ محمد فرغلى وعبد القادر عودة ثم خفف مجلس ، قيادة الثورة حكم الإعدام بالنسبة للهضيبى إلى السجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على أساس أن الهضيبى ، ربما سقط تحت تأثير المحيطين به ، وهو رأى يعززه سوء حالته الصحية وتقدمه فى السن ، وقد رفضت الحكومة إتماماً قدمه عبد القادر عودة بإعادة النظر فى قضيته .

وفى التاسع من ديسمبر ورغم الإحتجاجات التى تصاعدت من أرجاء العالم العربى وبرغم حالة من عدم التصديق فى مصر ، تم تنفيذ أحكام الإعدام ، وقد سجل عدد من المراقبين الكلمات الأخيرة للمحكوم عليه بجوار المشائق : كان كل من محمود عبد اللطيف وهنداوى دوير يرتل الآيات القرآنية وقد ظهر عليهم - هكذا قيل - رعب شديد ، أما الطيب فقد صاح بغضب : المحكمة كانت مهزلة ، أعداؤنا هم قضائنا ، والتمس طلعت الصفح من الشيخ فرغلى ، الذى كان يشعر بأنه مسئول عن الإيقاع به ، ثم أضاف : ربما غفر الله لى ولهؤلاء الذين سببوا لى الضرر . أما فرغلى وكان فى حالة سلام واضحة مع نفسه ، فكان تعليقه الوحيد أنا مستعد للموت وإننى سعيد بلقاء ربى ، وأنهى «عودة» الدقائق الأخيرة من حياته وهو يقول ملوحاً : الحمد لله الذى أماننى شهيدا وأنه لقادر على أن يجعل دمى لعنه

تحقيق برجال الثورة .

واستقبل الناس في مصر أنباء الأعدام بصمت ذاهل مرتعب. واتخذت الحكومة احتياطا لها بتعزيز الدوريات والمواقع العسكرية حول المدينة وخارج البلاد ، وقامت مظاهرات الاحتجاج في الأردن وسوريا وباكستان ، وفي دمشق أقام مصطفى السباعي قائد الإخوان هناك صلاة الغائب على أرواح من أعدموا وطالب جمهور المصلين (بالانتقام للشهداء) وأيده الجمهور المتجمع ، ومرة أخرى وصلت العلاقات بين مصر وسوريا إلى نقطة التدهور .

وبعد شتى الإخوان جرت الأحداث في مناخ أكثر رداة وفوضى عمل المحكمة الثورية إلى ثلاثة أفرع يرأسها ضباط أقل رتبة وعندما أغلقت المحكمة أبوابها في بداية فبراير ، كان قد تم محاكمة ١٠٠٠ من الإخوان ، وعلى وجه الاجمال حكم على خمسين بالإعدام ، إلا أن الأحكام خففت جميعا فيما عدا ستة منهم ، ونصف هؤلاء الذين حوكموا تم الإفراج عنهم

أو حكم عليهم بالسجن مع وقف التنفيذ . كذلك مثل أغلب أعضاء الهيئة التأسيسية ، أمام المحكمة . إلا أن هؤلاء الأعضاء إما أفرج عنهم أو حكم عليهم مع وقف التنفيذ ولشهور عديدة فإن عددا لا يحصى من الإخوان الذين حوكموا وبرئوا والذين لم يقدموا إلى المحاكمة أصلا ظل داخل السجون، والجدير

بالذكر هنا أن من بين الإخوان الذين قدموا للمحاكمة لم يكن هناك غير تسعة وعشرين من القوات المسلحة معظمهم كانوا من القوات المقاتلة ، وقدموا جميعا في المحاكم الثانوية ، ودلالة ذلك في سياق الموقف العام للمحاكمات ، أن جريمتهم الأساسية هي جمعهم بين الإنتماء للدولة والجماعة معا ، ونتيجة ذلك بالنسبة لهم هي أن وضعهم كان شاذا ، من حيث أن وجود (الخلايا) التي تقوم بأعمال تخريبية داخل القوات المسلحة كان من الموضوعات الرئيسية للنزاع بين الحكومة والمضيق ، الذي أنكر بإصرار وجود هذه الخلايا ، أما الأحكام التي صدرت على كل من أبو المكارم عيد الحى وعبد المنعم عبد الرؤوف الضابطان الهاربان فكانت من نوع مختلف : إذ حكم عليهما غيايبا بالإعدام رميا بالرصاص .

تلك كانت رؤية غربية (محايدة نسبيا) لحادث المنشية والمحاكمات التي تمت بشأنه ومصير الذين تمت محاكمتهم إنها رؤية ريتشارد ميتشل وقد أوردناها كشهادة تاريخية ثانية لكي نعرف بوضوح ماذا حدث أثناء محاكمة الإخوان عام ١٩٥٤ م .

والآن ماذا عن الحقيقة بعد هاتين الشهادتين ؟

سابعاً : علاقة عبد الناصر بالإخوان : حقيقة صدام ١٩٥٤م :

* كانت العلاقة بين عبد الناصر والإخوان ، علاقة مريرة وصدامية إلى حد بعيد ، وسوف نورد هنا تفاصيل هذه العلاقة وتفاصيل الصدام (١٩٥٤م) مستنديين في هذا على أطروحتنا للماجستير والتي صدرت فيما بعد في كتاب يحمل عنوان (الدين والدولة والثورة) لإصدار دار الهلال والدار الشرقية وبتفصيل هذه العلاقة يتضح ما يلي :

بداية تعود العلاقة بين الضباط الأحرار والإخوان المسلمين إلى منتصف الأربعينات ، حين كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية في مصر تدخل مرحلة دقيقة في مواجهة القصر والإنجليز ، ومثلت هذه الأوضاع في مجملها ، نقطة الالتقاء التي وحدث أغلب القوى السياسية الوطنية وفي إطار تفاعلات الأربعينات ولدت العلاقة بين الإخوان المسلمين وتنظيم الضباط الأحرار ، ويرى البعض أن بداية تنظيم الأحرار تعود إلى عام ١٩٣٨ في منقباد ، عندما كان عبد الناصر وأنور السادات وبعض الضباط حديثي التخرج ، هناك ، فبدأوا في تشكيل تنظيمهم^(١) .

ومنذ ذلك الحين إنعكست على تنظيم الضباط الأحرار الأحداث التي أثرت على مجرى الحياة السياسية في المجتمع المصري ، وأهمها حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م وثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق وظروف الحرب العالمية الثانية ، ثم حرب فلسطين عام ١٩٤٨م التي تعد وبحق أحد الأسباب المباشرة التي عجلت بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ نتيجة لتزايد السخط في نفوس ضباط الجيش مما لاقوة في هذه الحرب .

وتمكنت الجماعات العقائدية ممثلة في جماعة الإخوان المسلمين ، والتنظيمات الماركسية ومصر الفتاة من إجتذاب بعض الشباب من ضباط الجيش إلى الإهتمام بالقضايا العامة ، وأدى ذلك إلى أن تتباين الاتجاهات داخل تنظيم الضباط الأحرار مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ، وأنور السادات ، وكال الدين حسين ، وانضم البعض الآخر إلى الأحزاب اليسارية مثل يوسف صديق ، وأحمد حمروش وخالد محي الدين^(٢) .

ويرى البعض أن إتصال جماعة الإخوان بالضباط الأحرار بدأ منذ الحرب العالمية الثانية ، وكان عزيز المصري يمثل نقطة البداية في هذه الإتصالات ، إذ أن صلة الإخوان بعزيز المصري

(١) أنور السادات : أسرار الثورة المصرية في : عبد الهادي الخطيب : الدور السياسي لحركة الإخوان المسلمين ، رسالة ماجستير - كلية الاقتصاد - جامعة القاهرة - ١٩٨١ ، ص ٢٦٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

كانت سابقة لصلتهم بالجيش ، وكذلك لصلة الضباط به ، فقد قام وفد من الإخوان وعلى رأسهم حسن البنا المرشد العام للجماعة باستقبال عزيز المصرى فى المطار ، أثر عودته من لندن عام ١٩٣٧م ، وقد استقبله فى المطار ثلاثة أشخاص يرتدون الملابس الإسلامية وقدموا له التحية^(١) .

ومنذ ذلك التاريخ توطدت العلاقة بين حسن البنا وعزيز المصرى ، ويشير أنور السادات إلى الإتصال الذى جرى بين الضباط الأحرار والإخوان بأنه قد قابل حسن البنا هو من قدمه إلى عزيز المصرى أول مرة وعرض عليه الإنضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين وكاشفة عن نشاطه فى جميع السلاح وتخزينه والتزامه السرية الكاملة فى ذلك حتى على الإخوان أنفسهم . ويذكر السادات أنه فرح يومها عندما عرف أن الضباط عندما يضربون ضربتهم سيجدون قوة شعبية تقف فى الصف الثانى مسلحة ومدربة^(٢) .

وقد حل عبد المنعم عبد الرؤوف محل أنور السادات كضابط إتصال بين الجيش والإخوان بعد القبض على السادات فى أغسطس ١٩٤٢م .

هذا وقد استمر التعاون مع الضباط حتى الثورة (١٩٥٢م) إلى أن كان عام ٩٥٤ م وهو العام الذى شهد الصراع فقد شهدت الفترة من يناير حتى أكتوبر ١٩٥٤م قصة الصراع بين جماعة الإخوان المسلمين ومجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢م ، حيث شهدت هذه الفترة صدامين مثلاً صدهما عنيفا فى علاقة الإخوان بالثورة ، ورتبت تصورات دينية وخبرات ذاتية متناقضة لدى طرفى العلاقة ، كان حربا بها أن تحدث صدامات أخرى ، ومواجهات أكثر دموية .

١ - الجولة الأولى للصدام يناير ١٩٥٤م : سبق قرار حل جماعة الإخوان المسلمين فى يناير ١٩٥٤م مقدمات عدة مثل الهجوم الضارى الذى قام به الإخوان على هيئة التحرير وتنظيمها الشبابى يوم ١٢ يناير ١٩٥٤م ، وقد بلغت ضراوة القتال بينهما أمام حرم الجامعة إلى حد استخدام الأسلحة والقنابل والعصى وحرق السيارات فى الجامعة فى ذلك اليوم وهو اليوم الذى خصص للاحتفال بذكرى شهداء معركة القناة ، وكان لوجود نواب صفوى زعيم منظمة فدائيان إسلام محمولا على أكتاف الإخوان تأثيره المباشر على إحتداد المواجهة بين الطرفين .

(١) ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون - مكتبة مدبولى - ١٩٧٧م مصدر سابق ، ص ٥٨ .

(٢) عبد الهادى الخطيب ، مصدر سابق ، ص ٢٦٣ .

بعد هذه المواجهة بيوم واحد ، ونتيجة لحالة الإضطراب والتخبط التي ميزت العلاقة بين الإخوان والثورة يومئذ ، أعلن مجلس قيادة الثورة قراره الخاص بمحل جمعية الإخوان المسلمين واتخذ القرار بالإجماع ، فيما عدا محمد نجيب الذي اعترض من حيث المبدأ وليس لأنه يشايع الإخوان^(١) ، ولكن عدم موافقة نجيب لم تؤثر في صدور قرار الحل فقد كان هو الصوت الوحيد المعارض ، ورغم أنه لم يكن على صلة بهم ، ولكن هذا الموقف أوجد في صدور زملائه الخشية أن يكون هناك تدبير ما بين محمد نجيب والإخوان ، ويلخص بيان مجلس قيادة الثورة الاتهامات الموجهة للإخوان المبررة للحل في الآتي :

- التقاعس في تأييد المرشد العام للحركة إلا بعد خروج الملك .
- عدم تأييد قانون الإصلاح الزراعي والمطالبة برفع الحد الأقصى للملكية في حالة التطبيق إلى ٥٠٠ فدان .
- محاولة فرض وصاية على الحركة بعد حل الأحزاب السياسية .
- إتخاذ موقف المعارضة من هيئة التحرير .
- بدء التسرب إلى ضباط الجيش وضباط البوليس وتشكيل وحدات تحت إشراف المرشد مباشرة .
- تشكيل جهاز سرى جديد بعد حل الجهاز السرى الذي كان يشرف عليه عبد الرحمن السندى منذ أيام حسن البنا .
- حدوث إتصال عن طريق الدكتور محمد سالم بين المستشار الشرقى للسفارة البريطانية في مايو ١٩٥٣ ومنير الدلة وصالح أبو رقيق ثم حسن الهضيبي بعد ذلك .
- زيارة حسن العشماوى يوم الأحد ١٠ يناير ١٩٥٤ م ، أى قبل قرار الحل بأيام للوزير البريطانى المفوض ثم عودته في نفس اليوم لزيارة أخرى إمتدت سبع ساعات^(٢)
- ولقد صاحب إصدار هذا البيان ، إعتقال حسن الهضيبي و ٥٤٠ عضوا بالجماعة في القاهرة والأقاليم^(٣) ، وفي اليوم التالى ولعدة أيام شنت الحكومة حملة صحفية ضد الهضيبي

(١) بتفصيل أنظر : د . عبد العظيم رمضان ، عبد الناصر وأزمة مارس ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

(٢) بيان مجلس قيادة الثورة بمحل جماعة الإخوان المسلمين . مصدر سابق .

(٣) عبد الله إمام : مصدر سابق ، ص ٦١ .

والجموعة المحيطة به ، وليس ضد الإخوان كجماعة ، وتركزت الحملة على مجموع الانتقادات التي ظهرت داخل التنظيم ضد الهضيبي وبوجه خاص فشله في الإقضاء بشخصية البنا ، وإساءته وإهماله لجوهر رسالته ، ولم يكن هناك ما يتصل بتهمة قلب نظام الحكم ، سوى إكتشاف مخبأ للأسلحة في عزبة يملكها أحد أعضاء الجماعة وقد إنتشرت على نطاق واسع شائعة تقول أن تلك الأسلحة هي بعينها الأسلحة التي سبق أن خبأها أعضاء المجموعة العسكرية قبل الثورة بأنفسهم هناك .

غير أن تنظيم الإخوان إستمر رغم هذه الضربات ، ورغم حله المستوى الرسمي وأصل عمله بشكل غير رسمي تحت القيادات غير الرسمية لعبد القادر عودة حيث إلتقى الأعضاء الذين لم يتعرضوا للإعتقال في جلسات صغيرة عقدت كل منها في بيت واحد منهم ، كذلك سارعوا بتنظيم شبكة لجمع وتقديم الإعانات لعائلات الأعضاء والمعتقلين ، ورغم أن الحكومة ألقت القبض على بعض الأعضاء ، وهم يقومون بتقديم إعانات إلا أنها لم تكن راغبة في عرقلة هذه العملية . وفي فبراير وخلال الأحتفال بالذكرى السنوى للبنا والذي أقيم في مقبرته ، أعلن عبد القادر عودة على الملأ إقتناعه بأن الثورة قد حققت أهداف حسن البنا^(١) .

وفي ذات الوقت حرص عبد الناصر على ألا يقطع الصلة نهائياً بالإخوان فقام في ١٢ فبراير وفي نفس الذكرى السابقة بزيارة قبر حسن البنا ومعه صلاح سالم وأحمد حسن الباقوري ، وخطب قائلاً : «أشهد الله إني أعمل وكنت أعمل لتنفيذ هذه المبادئ وأفنى فيها وأجاهد في سبيلها»^(٢) . وبدأ عبد القادر عودة مع آخرين سلسلة من المحادثات الخاصة مع الحكومة لاستعادة الشرعية للجماعة وقد طلب من الحكومة في هذا الصدد ، السماح له بزيارة السجون كما أتمس إستقالة الهضيبي وكانت هناك خطط أخرى قيد المناقشة شملت تأسيس تنظيم ديني جديد تحت قيادة عبد الرحمن البنا^(٣) .

وعلى أن كل شيء توقف فجأة ، بل وتبدل فجأة عشية الأزمة السياسية التي طوقت

(١) جريدة الجمهورية ١٣ فبراير ١٩٥٤م ، كذلك مجلة الدعوة بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٥٤ .

(٢) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ج ١ ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

(٣) مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٥٤م ، ص ٧ .

مصر كلها والتي سميت بأزمة مارس ١٩٥٤م وكانت بين محمد نجيب وعبد الناصر^(١) وتتلخص أسباب ووقائع هذه الأزمة في أنها كانت مرتبطة بمطالبة محمد نجيب بسلطات تتناسب مع مكانته وحول الأسلوب الواجب إتباعه في إدارة شئون مصر ، فمن وجهة نظر محمد نجيب الأكبر سنا أن عملية إبعاد كافة القوى الاجتماعية مع استمرار مسيرة الثورة أمر لا يحتمل ، ولا بد من مشاركة كل القوى في هذه المرحلة في إصلاح البلاد ، على الناحية الأخرى كان عبد الناصر وهو ابن جيل آخر وذو إقتناع مختلف ومتطور قد نفذ صبره حين أدرك أن مسألة الحفاظ على استمرار عملية التغيير وعمق تأثيرها تعنى أنه لا رحمة مع الذين يعارضونها .

ومع تزايد حدة العداء الجديد من القوى المعارضة تزايدت ضرورة إجراءات القمع ، وتصاعد الخلاف بين الرجلين حول من يمتلك سلطة الحسم الأخيرة في شئون البلاد وكيفية استخدام هذه السلطة ، ويتصاعد مع إستقالة محمد نجيب في ٢٣ فبراير وفي الليلة التالية داخل مجلس قيادة الثورة وفي ٢٦ فبراير وبعد تمرد سلاح الفرسان حيث كانت الأفكار الديمقراطية تجدد مجالا خصبا للنمو كنتيجة لوجود خالد محيي الدين ضابطا بمخابرات السلاح وثروت عكاشة أركان حرب السلاح الذي كانت تربط صلة النسب بأحمد أبو الفتوح رئيس تحرير المصري^(٢) .

بعد هذا العصيان المسلح وخروج مظاهرات تأييد لنجيب اضطرت مجلس قيادة الثورة أن يعلن إعادة تقليد نجيب لمنصب الرئاسة ، ولم تنته الأزمة لأن المشكلة الأساسية والخاصة بمن يملك السلطة وأسلوب إستخدامها ، ظلت دون حل ، وفي التاسع من مارس أعلنت الحكومة أن نجيب سوف يسند له ثانية منصب رئيس الوزراء ورئيس مجلس قيادة الثورة ، في ذلك الوقت كتب المضيبي رسالة لمحمد نجيب من السجن يطلب فيها الإفراج عن الإخوان المسلمين حتى تتم موازنة المواقف ، وإنضمت إليه مجلة الدعوة الناطقة وقتذاك بلسان حسن العشماوى ومجموعة المطالبين بالإفراج عن الإخوان وأصفة قرار الحل الذى صدر في يناير بأنه كان خطأ^(٣) .

(١) تفصيل دقيق للأزمة في : أحمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، مصدر سابق ، ص ١٣٧ - ٨٩ . كذلك : د . عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ، مصدر سابق ، ص ٢٥١ - ٢٢٠ - ١٨٩ أعداد جريدة الأهرام خلال الفترة (٢٨ مارس - ٢٥ إبرير ١٩٥٤م) .

(٢) أحمد حمروش ، قصة يوليو ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

(٣) الدعوة في ١٦ مارس ١٩٥٤ ص ١ .

وفي يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤م أعلن مجلس قيادة الثورة ، فيما إتضح بعد ذلك أنه كان مناورة بارعة من عبد الناصر أن الثورة قد إقتربت من إنتهاء مهمتها وأن ، البلاد سوف تستأنف الحياة البرلمانية السوية ، وفي ذات الوقت وتحت ظروف وتدخلات متعددة كان آخرها وساطة الملك سعود ، أمرت وزارة الداخلية بالافراج عن المضيبي والإخوان المسلمين تطبيقاً لقرار صدر بإلغاء قرار يناير ١٩٥٣م بشأن إلغاء الأحزاب السياسية ورفع الرقابة تماماً عن الصحف وأصبح في إمكان أى شخص أن يقول ما يشاء يومئذ .

وفي الثامن والعشرين من مارس وبعد ثلاثة أيام من الحرية الكاملة وغير المحدودة للمعارضة تحرك عبد الناصر وامتلات الشوارع يومئذ بالمظاهرات الشعبية التى تطالب بالحفاظ على الثورة وأهدافها وباستمرار إلغاء الأحزاب السياسية ، وإندفعت حشود ضخمة من إتحادات العمال والنقل التى خرجت فى ذلك اليوم ومعها الشباب المنتمى للمنظمات الشبابية الحكومية ، تحملهم عربات النقل الخاصة بهيئة النقل يعربون عن أن الثورة قد جاءت لتبقى ، وكان الإعتداء على جريدة المصرى وعلى مجلس الدولة ، هما من أبرز ما حدث فى هذه الأثناء ، وتم تدعيم هذه التحركات من الجيش ، وتحيدا من ضباط الصف ، والضباط المؤيدين لعبد الناصر أمثال كمال الدين رفعت ، وأحمد أنور ومجدى حسنين ووجيه أباطة وحسن التهامى ، ومحمد أبو الفضل الجيزاوى وسعد زايد وغيرهم .

وفي ذات المساء - ٢٩ مارس ١٩٥٤م - أصدرت الحكومة أوامر بحظر التظاهر منذ الآن فصاعداً ، وفى اليوم التالى وإستجابة للإرادة الشعبية السابقة قرر مجلس قيادة الثورة مرة أخرى أن يأخذ على عاتقه مسئولية الحكم كاملة ، وألغيت مرة ثانية كافة الأحزاب السياسية بإستثناء جماعة الإخوان المسلمين الذين وعد قادتهم بحسن التصرف ، والذين إتفقوا على أن يجنحوا للسلبية فى هذه الأيام الحرجة وأن يتعدوا عن الاشتراك فى أى مظاهرة معادية للمجلس وباتت البلاد فى قبضة قيادة الثورة مرة أخرى^(١) .

وهكذا أخرجت أزمة مارس الإخوان المسلمين من السجون ، وخلقت حالة من الهدوء المشوب بالحذر والتفجر المكتوم بينهم وبين الثورة ، وهو المتفجر الذى كان ينتظر عود الثقاب لإشعاله ثانية .

(١) أحمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ .

٢ - الجولة الثانية للصدام (أكتوبر ١٩٥٤ م) :

سبق أن رأينا أن الجهود كانت تبذل من أجل إعادة الجماعة إلى سابق عهدها قبل يناير ١٩٥٤ ، على أن تمارس نشاطها دينيا فقط ويكون مرشدها عبد الرحمن البنا ، وقد أتاح حضور الملك سعود إلى مصر لهم الفرصة ليرتفع صوتهم مطالبا بعودة الجماعة ، حيث كان من بين أهداف زيارة الملك سعود التوسط في أمر إعادة الجماعة ، وبالفعل نجحت الوساطة ورأت الثورة ، أن تعيد الجماعة ، وتم الإفراج عن الهضيبي والمعتقلين من الإخوان ثم صدر قرار مجلس قيادة الثورة بإعادة الجماعة وتسليمها ممتلكاتها ، وسمح للمرشد العام حسن الهضيبي وعدد من الإخوان بالسفر إلى سوريا والسعودية ، وهناك أدلى المرشد العام بتصريحات ضد الثورة وضد إتفاقية الجلاء . وفي ٢٧ يوليو ، أى وقت ان كان الهضيبي بالخارج أعلنت حكومتا مصر وبريطانيا موافقتهما المشتركة على عدد من المبادئ العامة كأساس لمعاهدة جديدة تسوى النزاع الإنجليزي المصري ، ولكن في ٣١ يوليو نشرت صحيفة بيروتية^(١) بأحرف ضخمة وعناوين بارزة ، رأى حسن الهضيبي في الإتفاقية ، وكانت النقاط الرئيسية في مقدمته هي كما يلي :

— كان من المفروض أن ينتهى أجل معاهدة ١٩٣٦م بعد أقل من عامين وإذا كان على بريطانيا أن تجلو عن القاعدة وأن تركها دون أساس قانوني لا يمكنها من العودة إليها فيما بعد ، أما المعاهدة الجديدة فتمنحها هذا الحق باشتغالها على مادة تسمح بإعادة تشغيل القاعدة في حالة حدوث أى إعتداء على أية دولة عربية أو على تركيا .

— المادة التى تسمح بإعادة تنشيط القاعدة في حالة إعتداء تركيا يربط مصر والدول العربية بها ، وبالتالي يربطهم جميعا بالمعسكر الغربى .

— الفقرة التى تسمح لبريطانيا بصيانة القواعد الجوية تمثل تهديدا لمصر وهى على المدى الطويل أداة لدوام السيطرة .

— المدنيون الذين سيناط بهم المساعدة في تشغيل المعدات هم ، بطبيعة الحال ، شخصيات عسكرية في ثياب مدنية .

— جددت الإتفاقية أجل معاهدة ١٩٣٦م لفترة خمس سنوات أخرى ، وسمحت بإجراء

(١) جريدة الهدف في ٣١ يوليو ١٩٥٤ ص ١ ، وقد تسربت نسخ كثيرة من هذا العدد إلى مصر وكذلك أذيع الحديث من راديو دمشق . نقلا عن : ريتشارد ميتشل : مصدر سابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

تساور لمراجعة الموقف عند إنتهاء فترة العمل بها ، وهو نفس النوع من البنود التى كفل فى الواقع الإستمرار الدائم لمعاهدة ١٩٣٦م ، بناء على هذه البواعث جميعا رفض الهضيبى الإتفاقية مؤكداً أن أى إتفاقية بين مصر وحكومة أجنبية ينبغى أن تعرض على برلمان منتخب بإرادة حرة وعلى صحافة متحررة من الرقابة وتملك حرية المناقشة ، وقد ظل التوتر الذى أثارته هذه الآراء محكوماً ومسيطرًا عليه طوال فترة تغيب الهضيبى الذى كان لا يزال فى سوريا ، وعبد الناصر الذى سافر إلى السعودية من ٥ إلى ١٧ أغسطس ١٩٥٤ بغرض الحج وحضور مؤتمر لقادة البلدان الإسلامية الذى اقترح عقده مؤخرًا فى مكة . وعاد الهضيبى يوم الأحد الموافق ٢٢ أغسطس وفى نفس اليوم بدأت الحكومة حملتها العنيفة لتنفيذ هجومه على الإتفاقية معتمدة أساسًا على إحياء قصة المعاهدة السرية التى قيل أن الهضيبى كان يتفاوض بشأنها مع البريطانيين فى ذلك الربيع والتى قيل أنه خلالها تنازل أكثر مما تنازلت الحكومة .

واستمرت الحملات المتبادلة بين الجماعات وبين الثورة طيلة شهرى أغسطس وسبتمبر عام ١٩٥٤ ، ويأتى شهر أكتوبر ليشهد إنفجار الصدام بين الإخوان المسلمين والثورة ، فمنذ الأيام الأولى للشهر قررت المجموعة التى سميت بقيادة الجهاز السرى ، القيام بإغتيال عبد الناصر^(١) والذى كانت سيطرته الفعلية على البلاد قد وضحت وتعددت ، وقد إختارت القيادة محمود عبد اللطيف وهو سمكرى من ضاحية إمبابة بالقاهرة ، لإنجاز العمل ، وكان هندارى دوير المحامى وقائد قطاع إمبابة هو الذى أبلغه بهذا القرار وترك له ثلاثة أيام مهلة لاتخاذ قراره ، وفى ١٩ أكتوبر وهو اليوم الذى وقع فيه عبد الناصر معاهدة الجلاء مع البريطانيين ، قرر محمود عبد اللطيف قبول مهمة اغتياله بسبب ما ارتكبه من خيانة بتوقيعة للمعاهدة التى أهدرت حقوق الأمة ، وقد خطط لتنفيذ المهمة فى نفس اليوم ، إلا أن الظروف لم تكن مواتية وسط هذا الحشد المتجمع والمختار بعناية لتنفيذ الخطة بنجاح لذا تم تأجيلها إلى وقت آخر أكثر ملائمة .

وفى الرابع والعشرين من أكتوبر زار كمال خليفة وهو واحد من أبرز أعضاء مكتب الإرشاد وأطال فى تهنئته بالمعاهدة ، وفى ذلك المساء وبينما كان عبد الناصر يلقي خطابه أمام حشد كبير من المواطنين بالاسكندرية إنطلقت عدة رصاصات وللحظة قصيرة توقف عبد الناصر عن الكلام بينما الرصاصات تدوى ، وكان محمود عبد اللطيف يجلس فى الصفوف الأمامية على بعد ١٥ مترًا من منصة الخطباء والضيوف ، وأصيب ميرغنى حمزة وزير السودان والمحامى

(١) د . عبد العظيم رمضان : الإخوان والتنظيم السرى مصدر سابق ، ص ١٣٣ - ١٥٠ .

أحمد بدر الذى كان يقف بجانب جمال عبد الناصر - الذى لم تصبه الرصاصات - والذى أصر على متابعة خطبته بعد ما حدث فى السراى من هرج مررداً قوله «أيها الرجال فليبق كل فى مكانه .. حياىى لكم ، وهى فداء لمصر ، أتكلم إلكم بعون الله بعد أن حاول المفرضون أن يعتدوا على ، أن حياة جمال عبد الناصر ملك لكم عشت لكم وسأعيس حتى أموت عاملاً من أجلكم وفى سبيلكم»^(١) .

تفاصيل الحادث

يحدثنا التاريخ أنه فى ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٥٤م تم توقيع إتفاقية الجلاء بين الحكومة المصرية وبين بريطانيا .

وكان الرئيس جمال عبد الناصر منذ بدأ المحادثات قد أخذ يقتصد بالظهور فى الأماكن العامة وبين الجماهير لتحاشى وقوع أى إعتداء عليه ، قد يؤجل إتمام الإتفاقية ، وبمجرد توقيعها أخذ فى الظهور كسابق عادته ، وتقرر أن يلقي خطاباً فى إجتماع عام بميدان المنشية مساء ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٤م .

وفى مساء ذلك اليوم وأثناء إلقاء الرئيس لخطابه أطلق شخص كان يجلس بين الجماهير أمام المنصة ، تسع رصاصات على الرئيس قاصداً قتله ولكنه أخطأه ... وأصيب بعض الذين كانوا يقفون بجواره بإصابات سطحية .. ومن بينهم السيد مرغنى حمزة وزير خارجية السودان الذى أصيب برصاصتين .

قبض على المتهم واتضح أنه يدعى محمود عبد اللطيف ويعمل سمكراً (بامبابة) واعترف بأنه من جماعة الإخوان المسلمين وأنه كان ينوى إغتيال الرئيس ، وأن الذى كلفه بتنفيذ هذه المأمرية محام بامبابة يدعى هنداوى دوير .. الذى القى القبض عليه ..

أسفرت التحقيقات عن أن الحادث مدير ومخطط له من أعلى المستويات فى قيادة الإخوان ، ويبدو أن إختفاء قادة الإخوان ، كان انتظاراً لما سيسفر عنه الإعتداء ، فإذا نجح بادروا

(١) تفاصيل الاعتداء على عبد الناصر فى :

— جريدة الأهرام بتاريخ ٢٥ ، ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م ، كذلك د . عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ، مصدر سابق ، الإخوان المسلمين والتنظيم السرى ، مصدر سابق ، ص ١٣٣ - ١٥٠ .

— ريتشارد ميتشل : مصدر سابق ، ص ٣٩٢ .

بالظهور منتهزين فرصة الفوضى والإضطراب الذى سيود مصر ، أما إذا فشل فسيمضون فى الفرار والتخفى . كما كشفت التحقيقات عن شخصيات أعضاء الجهاز السرى للإخوان بأكمله وتم القبض عليهم جميعا ، عدا بضعة أفراد تمكنوا من الفرار خارج البلاد ..

كانت الضربة التى وجهت إلى جماعة (الإخوان المسلمين) وجهازها السرى قوية بحيث كفلت إعادة الهدوء والاستقرار إلى الحياة السياسية فى البلاد .

وتجدر الإشارة إلى أن (الإخوان) قدموا لجمال عبد الناصر بمحاولة إغتياله حب الجماهير فى مصر والوطن العربى على طبق من ذهب كما قال البعض^(١) .

وقد أمر جمال عبد الناصر أن يصرف لزوجته الجانى محمود عبد اللطيف ١٥ جنيتها مصريا فى مطلع كل شهر وفقا لأحمد حمروش^(٢) .

وفيما يلي نص الكلمة التى ألقاها جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية :

أيها المواطنون . يا أهل الإسكندرية الأمجاد أحب أن أتحدث إليكم ونحن نحتفل اليوم بعيد الجلاء .. بعيد الحرية والاستقلال عن الماضى وكفاح الماضى .

تعالى هتافات المواطنين للرئيس .

كفى هتافا .. لقد هتفنا فى الماضى طويلا ... فماذا كانت النتيجة ؟ هل سنعود إلى الفوضى والتفريط .

لا تهتفوا باسم جمال عبد الناصر ... بل سيروا إلى الأمام .. ولنعمل جميعا لبناء هذا الوطن حرا سليما .

يجب أن نتقدم ، وأن نعمل للمبادئ والمثل العليا .

أصغوا إلى ، استمعوا فإنى أتحدث عن كفاحكم وكفاح آبائكم وأجدادكم .

لقد بدأت أنا كفاحى من هذا الميدان فى الإسكندرية .. كنت شاباً صغيراً عام ١٩٣٠ ومن هنا بدأت لأول مرة أهتف مع أخوانى أبناء الشعب للحرية واليوم أشكر الله .. فلقد أثمر كفاح آبائكم وأجدادكم ... وجميع الشهداء الذين استشهدوا فى هذا السبيل .

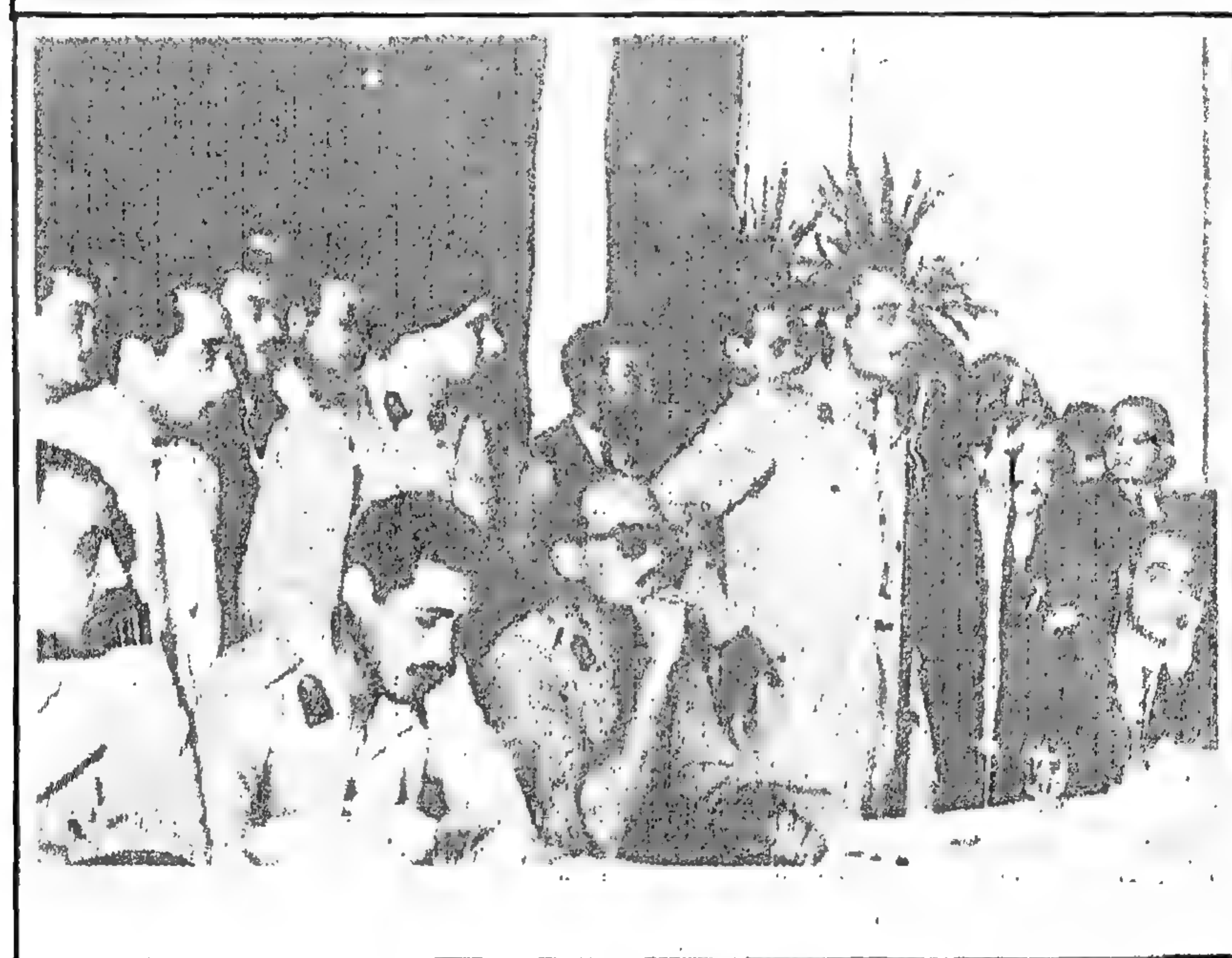
وهنا سمع دوى ٩ رصاصات موجهة إلى جمال عبد الناصر .

(١) فى خدمة الأمن السياسى ، لواء حسن طلعت ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) قصة ثورة ٢٣ يوليو ، أحمد حمروش ، ج ٤ من شهادة أحمد أنور .



أربع لقطات نادرة لحادث المنشية ١٩٥٤ قبل وبعد إطلاق الرصاص على عبد الناصر !!



وإنطلق عبد الناصر يقول : دمي فداء لكم ... دمي فداء لمصر .

هذا جمال عبد الناصر يتحدث إليكم ... لا تفزعوا فإنه ما زال يتحدث إليكم بعون الله ، بعد أن حاول المغرضون أن يعتدوا على حياته ..

إن جمال عبد الناصر منكم ولكم وحياته فداء لمصر وللوطن ..

أيها الناس .. ها هو جمال عبد الناصر ما زال بينكم .. لا تروعوا ولا تخافوا .. فأنا لست جباناً .. لقد ثرت من أجلكم ومن أجل عزتكم ومن أجل كرامتكم .

إن دمي من دمكم .. وسأعيش حتى الموت مكافحاً في سبيلكم .. ومن أجل حريتكم .. ومن أجل كرامتكم وعزتكم .

ليقتلوني .. فقد أودعت فيكم العزة .. ليقتلوني .. فقد أثبت في هذا الوطن الحرية والكرامة ..

ليقتلوني من أجل مصر .. من أجلكم .. من أجل أبنائكم وأحفادكم ..

يا أبناء مصر : كافحوا واحملوا الرسالة والأمانة . لقد ثرت من أجلكم وسأموت في سبيلكم . أيها المواطنون : إذا مات جمال عبد الناصر فإنه يموت مطمئناً لأنكم كلكم جمال عبد الناصر .. لا تخافوا الموت .. فالدنيا فانية .

أيها المواطنون : لن تكون حياة مصر معلقة بحياة جمال عبد الناصر بل هي معلقة بكفاحكم .

أيها المواطنون : سيروا إلى الأمام فمصر اليوم قد حصلت على عزتها وكرامتها وحريتها ، سيروا إلى الأمام على بركة الله نحو المجد والعزة والحرية .

بعد الحادث بـ ١٠ دقائق ... وبعد القبض على الجاني أصرت الجماهير على رؤية عبد الناصر ، وخرج عبد الناصر ثانية إلى الشرفة وألقى العبارات التالية :

أيها المواطنون : الحمد لله ... إن الله الذي أراد لمصر العزة يوم ٢٣ يوليو ، لم يخذلها ولن يخذلها أبداً .

الحمد لله على نجائي من أجلكم لا من أجل نفسي .

الحمد لله على نجائي لأحقق لكم العزة والحرية والكرامة .

الحمد لله الذى أراد العزة لمصر ولن يخذها أبدا .

وقيل وقت الحادث أن حادث الإعتداء كان نقطة هامة فى مشاعر الشعب الذى كان يرفض «إرهاب» الإخوان المسلمين قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ونقطة تحول أخرى لصالح شعبية عبد الناصر الذى قام بجولة يوم ٢٧ ، أكتوبر فى رحلة عودة من الاسكندرية إلى القاهرة ، ولقد قوبل بمظاهرات تأييد له^(١) .

وفى ليلة الحادث صدرت الأوامر بإعتقال الإخوان المسلمين وبدأت أكبر حملة شهدتها مصر حتى وصل الأمر إلى حد إعطاء المعتقلين بطاقات يسجلون فيها أسماءهم وعناوينهم لتدون فى كشوف سليمة^(٢) وشكل مجلس قيادة الثورة فى أول نوفمبر ١٩٥٤م محكمة خاصة باسم (محكمة الشعب) برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى ، فكانت بهذا رابع نوع من المحاكم تشكله الثورة بعد المجالس العسكرية ، ومحكمة الغدر ، ومحكمة الثورة ، وقد شكلت ثلاث دوائر فرعية من محكمة الشعب ، الأولى برئاسة اللواء صلاح حتاتة ، والثانية برئاسة قائد الجناح عبد الرحمن عنان ، والثالثة برئاسة القائمقام حسين محفوظ ندا ، ولقد اضطرب الشهود وإنتابهم الخوف ، كما أنهم فى الأغلب الأعم كانوا يفتقرون إلى الحياد ، أما الأدلة فكانت حافلة بالمتناقضات وكان يرجع ذلك لأسلوب معاملة الشهود من ناحية وإلى تحفظ الشهود وعدم توافر الرغبة لديهم فى الإفصاح ، وفضلا عن ذلك فقد عكست هذه الأدلة من جهة ثانية وضع كل شاهد داخل الجماعة ، وبالتالي عكست المستويات والمنطلقات المتعددة التى نظر منها للمسائل موضع التحقيق ، كما أن السهولة الملحوظة التى إنهار بها الولاء ، ووجه بها الأعضاء أصبح الإتهام كل منهم نحو الآخر ، أظهرت إلى أى مدى إهتزت ، مشاعر الثقة المتبادلة ، ونفس الشيء حدث أيضا فى التحقيقات التمهيدية والتى ظهرت من خلال معظم الإعترافات^(٣) .

وفى الرابع من ديسمبر نطق الحكم الأول فى (محكمة الشعب) تلتها الأحكام الأخرى ، فلقد بلغ عدد الذين حكم عليهم محاكم الشعب ٨٦٧ ، وعدد الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية من المتهمين الذين ينتمون إلى الجيش وعددهم ٢٥٤ ، وصدر الحكم بإعدام محمود

(١) ميتشل : مصدر سابق : ص ٣٠٣ .

(٢) أحمد حروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو — ٢ ، مصدر سابق ، ص ١٨٦ .

(٣) ريتشارد ميتشل : مصدر سابق ، ص ٣٠٩ .

عبد اللطيف ويوسف طلعت ، وهنداوى دوير ، وإبراهيم الطيب وعبد القادر عودة ومحمد فرغلى ونفذ الحكم فعلا . كما صدر الحكم بإعدام حسن الهضيبي ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم حكم على سبعة آخرين بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وهكذا ومع وصول الصدام الأول بين الثورة والإخوان إلى نهايته الدرامية هذه ، كانت الأوضاع في مصر قد تحددت تماما ، فعزلت محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ، وتم حل جميع الأحزاب السياسية ، بما فيهم الإخوان ، ووجود قيادتها داخل السجن ، وأغلقت جريدة المصرى ، والتي لعبت دورا كبيرا في أزمة مارس ١٩٥٤م ، وفشلت محاولات الانقلاب العسكرى وإنهاء التنظيمات العسكرية المستقلة أو التابعة للقوى السياسية الخارجية داخل الجيش ، ثم حلت مجالس نقابات الصحفيين وعينت لهم لجان مؤقتة موالية لمجلس قيادة الثورة ، وأخيراً حلت جماعة الإخوان المسلمين ، واستقرت الأوضاع تماماً للنظام السياسى الجديد^(١) .

مدخل إلى الوثائق :

والآن وبعد أن إتضحت الرؤى أو كادت بالنسبة لصدام ١٩٥٤م بين عبد الناصر والإخوان ، بقى أن نستمع إلى ملخص الوثائق التاريخية التى تروى وقائع هذا الصدام ، بقى أن نستمع إلى ملخص النصوص للمحاكمات التى تمت للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م والتى سميت في حينها (بمحكمة الشعب) .

* إننا نوردها هنا كاملة ملخصة ومحققة تاريخيا وعلميا وسياسيا ، محاولين في هذا أن نقدم التاريخ كما حدث بالفعل وليس كما أريد لنا أن نعرفه ، سواء من (أجهزة الثورة) أو كتاب (الإخوان المسلمين) ، ف كلا الطرفين أراد أن ينسب الحق إلى نفسه ، وأن يسىء الى الطرف الآخر بقدر المستطاع ، وأن يظهره في موقف المزيف للحقائق وللوقائع التاريخية .

* ونحن نريد هنا أن نختلف مع الاثنين بشأن ، (الحقيقة التاريخية) ذاتها ، إننا هنا نحاول أن نعيد تقديم الوثائق التى قدمت من قبل سواء تحت مسمى (محكمة الشعب) والتى صدرت في ٧ أجزاء شعبية متوسطة الصفحات ، دعائية التوجه ، ومنحازة من أول صفحة إلى منتهائها إلى طرف واحد . كانت بيده السلطة آنذاك ، هو عبد الناصر ورفاقه ، إننا نحاول أن ننقى

(١) يذهب صلاح عيسى إلى القول بأن السلوك السياسى للإخوان المسلمين خلال هذه المرحلة (١٩٥٣م - ١٩٥٤م) هو الذى دفع بعبد الناصر إلى التخلص منهم ، بل إلى أن يصير ديكتاتورا كما وصفوه : انظر صلاح عيسى : الإخوان المسلمين : من المسئول عن ديكتاتورية عبد الناصر ؟ جريدة الهدف الكويتية بتاريخ ١٩٧٧/٦/٣٠ .

هذه الوثائق ونحققها من أصولها بالفعل هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية نحاول أن ننقى هذه الوثائق من الإتهامات العنيفة (والعاطفية) التي صدرت على شكل كتب وروايات ومقالات ودراسات متفرقة للإخوان المسلمين وبخاصة في السبعينات والثمانينات من هذا القرن .

* إن ما نحاوله هنا ، هو أن نورد التحقيقات .. والمحاکات والأحكام كما وقعت بالفعل ، وليس كما أريد لها أن تقع (وفقا لما نشر من قبل الطرفين) تلك هي مهمة هذا الكتاب . والتي نطمح أن يكون قد حققها .

ملحق الفصل الرابع

الوثائق تتحدث عن صدام ١٩٥٤م .

(١) ملخص التحقيقات مع :

حسن إسماعيل الهضيبي مستشار سابق ومرشد الإخوان

- ١ - أحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة
- ٢ - تنظيم جهاز سرى مسلح لتنفيذ الانقلاب .

* ممثل الإدعاء في هذه القضية عبد الرحمن صالح ومصطفى الهلباوى وعلى نور الدين .
(المؤلف) .

المحاكمة فى سطور

* بدأت محاكمة حسن إسماعيل الهضيبي فى الساعة العاشرة والنصف من صباح الإثنين ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤م .

* استشرقت محاكمته خمس جلسات حيث إنتهت فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين مساء الخميس ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤م .

* استمعت المحكمة إلى ثمانية من شهود الإثبات .

* صدر الحكم فى صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م .

أجمع الشهود فى قضية حسن الهضيبي وهم من كبار رجالات الإخوان على ما يأتى :

* المرشد هو المسئول الأول عن الجهاز السرى وقد سحب السلطة من مكتب الإرشاد لينفرد بها .

* الجهاز السرى كان يراقب الإخوان المعارضين للهضيبي .

* حسن الهضيبي لم يوافق الحكومة على حل الجهاز السرى .

* فى منزل الشيخ فرغلى دبرت فكرة المظاهرة المسلحة فى إجتماع شاهده يوسف طلعت



حسین إسماعیل الهضیبی

قائد الاخوان فی حادث ١٩٥٤

وصلاح شادى .

- * الشيخ فرغلى «الشاهد الثانى» يعترف للمحكمة بأنه لم يقرأ إتفاقية الجلاء .
- * طالب الإخوان بفرض وصايتهم على الثورة وحاولوا التدخل فى المحاكمات العسكرية .
- * وافق الإخوان على فترة الإنتقال وتأجيل إعادة الحياة النيابية .
- * أمر الهضيبى بصرف ١٨٠ جنيها فوراً لشراء مطبعة رونيو حديثة لطبع المنشورات .
- * يوسف طلعت يروى قصة الجهاز السرى الرهيب فى صراحة ويقر أنه مخترع الحزام الناسف .
- * عبد المنعم عبد الرؤوف وضع خطة كاملة لإحتلال مجلس الوزراء .
- * الهضيبى لم يطلب من يوسف طلعت حل الجهاز السرى .
- * لم يجد الإخوان فى حرب فلسطين قائداً يقود متطوعيه .

محضر الجلسة

الثالثة عشرة لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا فى الساعة العاشرة والنصف صباحا بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الإثنين ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٤) .

المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكل برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائممقام أنور السادات والبكباشى (أ . ح) حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة . وبحضور البكباشى سيد سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل أول نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٢ سنة ١٩٥٤م محكمة الشعب والمتهم فيها حسن إسماعيل الهضيبى .

«وقد حضر المتهم ومعه محاميه الأستاذ سامى مازن» .

الرئيس - فتحت الجلسة .. المدعى .. المتهم موجود ؟
البكباشى سيد جاد (المدعى) - أيوه يا أفندم .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) - أنا حاضر مع المتهم بس لو سمحتم لى طلب أتقدم به
لحضراتكم ..

الرئيس - بس لما نقرأ الإدعاء أولاً .
اسم المتهم حسن إسماعيل الهضيبي والإدعاء :

«أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن فى الداخل والخارج وذلك أنه
فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله بمدينتى القاهرة والاسكندرية .

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة
وذلك بأن وضع خطة شاملة للقيام بإغتيالات واسعة النطاق ، وإرتكاب عمليات تدمير بالغة
الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى يرأسها على مقاعد
الحكم بالقوة .

ثانياً : نظم جهاز سرياً مسلحاً يخضع لرياسته ويأتمر بأمره مخالفاً بذلك قوانين الدولة .
وأعد هذا الجهاز لتنفيذ الانقلاب الذى دبره .
فهل أنت مذنّب أو غير مذنّب ؟

المتهم - غير مذنّب .

الرئيس - الدفاع كان عايز يقول حاجة ؟

الاستاذ سامى مازن (الدفاع) - لقد بذلت ما وسعنى الجهد لأحضر مستعداً ولكنى لم
أستطع لأنى أمضيت إلى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر فى السجن الحرنى والوقت لم
يتسع للإطلاع فإذا سمحتم لى بالأجل الذى يسمح به أمر تشكيل المحكمة فإنى أكون شاكراً .

(مداولة قصيرة بين أفراد هيئة المحكمة) .

الرئيس - المحكمة تأسف لعدم إجابة الدفاع لهذا الطلب لأن هناك شهوداً كثيرون ويمكن
فى خلال فترة سماع الشهود أن يستعد الدفاع والان نسمع الشاهد الأول .

البكباشى سيد جاد (المدعى) - الشاهد محمد خميس حميده .

« حضر الشاهد »

الشاهد الأول

محمد خميس حميده

تحدث خميس حميدة أمام محكمة الشعب حديثاً إستغرق ثلاث ساعات وكان يحاول دائماً أن ينفي عن نفسه كل إتهام ويحمّله لغيره من رجالات الإخوان . وكان مع ذلك يدور ويلف في حديثه ورغم ذلك كله ذكر عدة حقائق :

* فقال إن الهضيبي لم يكن من الجماعة ومجيئه مرشداً لم يكن قانونياً .

* وقال أنه طلب من يوسف طلعت عدم توزيع منشورات ضد الحكومة فرد عليه يوسف طلعت بقوله : « أنا لا أتلقى الأوامر منك ولكن ألقاها من المرشد مباشرة » .

* وقال أنه كان يتمنى أن يظل صيدلياً كما هو ولا ينضم للإخوان .

* وقال إن الهضيبي إختفى إلى أن يقع حادث .

* وقال إن الإخوان لم يدخلوا الوزارة بعد الثورة حتى لا يحدثوا للحكومة متاعب بإشتراكهم في الحكم .

* وقال إن الهضيبي منذ إن اختفى كان منفرداً بالسلطة وكان مكتب الإرشاد محروماً من كل السلطات .

الجهاز السري كان يتلقى الأوامر من المرشد مباشرة .

* وقال إن الجهاز السري وضع الإخوان المعارضين لسياسة الهضيبي تحت المراقبة فكان يبعث إليهم بخطابات تهديد .

* وقال إن الهضيبي كان يعلم بإختفاء عبد المنعم عبد الرؤوف من الحرس .

الرئيس - إسمك إيه ؟

الشاهد - محمد خميس حميده .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - صيدلي .

الرئيس - سنك كام سنة ؟

الشاهد - ٤٣ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

البكباشى سيد جاد (المدعى) :

اذكر للمحكمة معلوماتك عن النظام الخاص فى جماعة الإخوان .

الشاهد - كان فى جماعة الإخوان نظام خاص من حوالى سنة ١٩٤٢ أو قبل كده . وظل النظام قائما لغاية سنة ١٩٤٨م و ١٩٤٩م واختير الاستاذ الهضيبى مرشدا والاستاذ عبد القادر عودة وكيلا للجماعة وكان النظام موجوداً فى ذلك الوقت وكان فيه مشكلة حاول الاستاذ عودة بتكليف من المرشد علاج مشكلة النظام الخاص . فلم يتيسر له علاجها وبعد فترة أرسل لى الاستاذ الهضيبى وأخبرنى بأن النظام فيه مشكلة وبسببه للدعوة مشاكل وتوليت أنا وعبد العزيز كامل وحسين كمال الدين علاج ذلك . فاقترحنا حلاً للمشكلة وهو توحيد فكرة الجماعة واختير للنظام فى ذلك الوقت الأخ حلمى عبد المجيد مهمته أن يزيل الشائبة من الجماعة حتى تأخذ الجماعة كلها طابع واحد وإنتهت المهمة كلها عند ذلك الحد ورجعت المنصورة .

وفى فبراير ١٩٥٣م جيت القاهرة وانتدبت نائب مرشداً فوجدت الحالة متحسنتش والإضطراب قائم فى صفوف الجماعة وكان هناك أخ اسمه عبد الرحمن سندى هو المسئول فى المدة دى كلها عن النظام من يوم ما أنشئ فقلت له أن الإضطراب قائم وأن الوضع أصبح غير صحيح للجماعة وأنه لم يعد هناك ضرورة للنظام السرى بعد أن إبيح التدريب العسكرى وإنه يستحسن أن الإخوان يشتغلوا فى المحيط العام فوافقنى على ذلك ، وكان هناك خلاف بينه وبين الهضيبى ومشيت الأمور مدة شهر أو شهرين وبعدين جه عبد الرحمن السندى وقال لى : إن الفكرة أن نسير بالنظام إلى أن يأخذ الوضع الطبيعى ولكنى خشيت أن المرشد يعمل نظام جديد فى الجماعة فى حين أننا إتفقنا عل أن نسير بالنظام إلى الحل . فسألت الهضيبى عن ذلك فقال : أبداً ، وبعد كده عبد الرحمن السندى قال لى أنه لا يمكنه التعاون مع المرشد وتنحى واختير يوسف طلعت ليسير بالنظام إلى الوضع الطبيعى وده كان فى نوفمبر سنة ١٩٥٣م .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ما هى أسباب الخلاف بين السندى والمرشد ؟

خميس - السندى قال إن المرشد يعمل نظام جديد ومعنى كده أنه مطلوب تنحيته لأن معنى النظام الجديد هو عمل نظام غير النظام اللى كان موجود للسير فى الحياة الطبيعية .

الرئيس - ما معنى إنشاء نظام جديد ؟

خميس - يعنى الاستمرار فى تكوين نظام .

الرئيس - ما معنى إنشاء نظام جديد . وما الفرق بينه وبين القديم ؟

خميس - الأفراد الأول ميكونوش هم الأفراد الجدد والقيادة القديمة لا تكون هى القيادة الجديدة دى تقريبا الخطوط الرئيسية .

وهذا لأنه قد يكون عبد الرحمن السندى غير خاضع تماما للاستاذ الهضيبى . وذلك نظراً لأن هناك بين الهضيبى والسندى بعض الأمور منذ عين مرشدا وفيه نفور . فالسندى يرى أن الهضيبى مكنش يجب يكون مرشداً لأنه مش من تشكيلات الجماعة ده تقديره .

الرئيس - الأسباب أيه ؟

خميس - الهضيبى لم يكن من الجماعة ومجيئه لم يكن قانونيا .

الرئيس - لما عملتم لجنة لحل الإشكال وجدتم إيه ؟

خميس - وجدنا فريقين فريق يرى أن لا داعى الآن لهذا الوضع ولا النظام السرى ولا (التشكيلات) وبكفى التربية المتكاملة ، وفريق يرى أن وجود الجهاز السرى لا مانع منه ولما يحصل حاجة يبقى يروح أعضاء الجهاز السرى ، وإن التربية المتكاملة معناها أن الجماعة تنازلت عن فكرة الجهاد .

الرئيس - ما السبب الذى جعل الفريق الأول يدعو إلى حل الجهاز ؟

خميس - اللخبطة والحوادث اللى حصلت وخوفا من إن شابا يتورط فى عمل ويعرض الجماعة للهزات ، وعلى كل حال ياريتنى فضلت فى إجزاخانتى صيدلى بعيدا عن كل ذلك كان يبقى أحسن .

أخطأنا وقصرنا

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

إيه الإجراءات التى عملتها لضمان تنفيذ القرارات بالنسبة للإسلة .

خميس - كان يجب حصر الأسلحة ، وإحنا أخطأنا وقصرنا فى هذا ولم نعمله . واللجنة دى كانت قبل قيام الثورة فكنا رايحين نقدم الأسلحة لمن . فلما قامت الثورة إعتبرنا كل ما عندنا للثورة من رجال ومن أسلحة ، وما زلنا نعتبر هذا .

يوسف طلعت

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
من هم المسئولون ؟

خميس - يوسف طلعت وصلاح شادى مع الاستاذ الهضيبى

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
إيه علاقة يوسف طلعت بالمرشد ؟

خميس - مسئول عن النظام ويتبع المرشد مباشرة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
كيف اختاره لهذه العملية ؟

خميس - بعد تنحى السندى ومن معه يوسف كان معروف إنه راح فلسطين ومعروف فى النظام فالمرشد. سألتنى فيه وسأل بعض الإخوان فيه وفى الوقت نفسه قلنا مفيش مانع إنه يكون بدل السندى واختير يوسف طلعت .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
ما هى القواعد المنظمة للجهاز ؟

خميس - النظام هيئة تتبع المرشد مباشرة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
والأوامر تصدر له من مين .

خميس - من المرشد مباشرة .

أجازة للمرشد

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

إنت قلت إن يوسف طلعت بدأ يعمل تشكيلات ، مفهوم من هذا إنك عرفت إن النظام ينظم من جديد ولا يصفى . ماذا عملت ؟

خميس - فعلا الأوضاع بدأت تتعب . وحينما وكلنا بهذا وكانت الشكاوى كثيرة من النظام فقام فريق من الإخوان أعضاء الهيئة التأسيسية ووقعوا عريضة بضرورة تصحيح هذه الأوضاع واعتبار المرشد فى أجازة وضم الإخوان المفصولين وحل النظام السرى وتكوين مكتب إرشاد

جديد ووقع على العريضة ٧٠ عضواً .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
ليه اعطيتموه أجازة ؟

خميس - علشان انه مخفى .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
المرشد وضعه إيه بالنسبة للحالة دي ؟

خميس - المرشد متصل بالنظام السرى الجديد طبعاً .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) : إزاي ؟

خميس - لما المرشد إختفى . اختفى معه يوسف طلعت وصلاح شادى فالحالة اضطربت
وكان إحساسنا إن فيه تشكيلات .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
استنتجتم إيه من الاختفاء ؟

خميس - استنتجنا لخبطة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) : وضع ؟

خميس - منشورات تنزل من غير ما نعرف . واخوان اختفوا مش عارفين ليه واضطراب
عام .

وفى غياب المرشد صدر العدد (١١) من نشرات الإخوان فى المعركة (١) وأنا كنت
قابلت رئيس الوزارة بعد العدد العاشر وقررت أنا والإخوان عدم إصدار هذه النشرة وأنا
أرسلت لأحمد حسنين وهو أخ قديم وفى النظام السرى وقلت له أوقف إصدار هذه النشرة .
وبعد ذلك فوجئت بأن العدد (١١) نزل للإخوان فأنا قلت ليوسف طلعت إزاي العدد ده
ينزل فقال : أنا آخذ أوامر من حسن الهضيبي وليس منك . قلت له المرشد مش هنا الآن ،
فقال : إنه يتصل به فى سوريا .

تعيين المرشد

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :
متى عين الهضيبي مرشداً ؟ أذكر لنا كل الظروف ؟

خميس - لما طلعنا من المعتقلات علمنا أن بعض الإخوان يرشحون الهضيبي مرشداً لأنهم كانوا يعرفونه من قبل وأخذوا رأيي فقلت لا أعرفه وليس من الجماعة ، فقالوا ده راجل طيب ومستشار ووجوده يعطى فكرة كويسة عن الإخوان . فقلنا : لا لما يخرج باقى المعتقلين . ولما خرجوا اخترناه وكلمناه فرفض ، ثم اشترط أن يكون معه الاستاذ عبد القادر عودة وكيلاً .

فى تشكيل الوزارة طلب السيد الرئيس من الإخوان ترشيح بعض إخوان وزراء وكنا بالنهار فرشحنا ثلاثة هم منير الدله وحسن العشماوى والشيخ الباقورى . ويظهر حسن العشماوى لم توافق عليه القيادة لأنه صغير السن هو ومنير الدله ، فجبه بالليل وقال : ما فيش داعى ندخل الوزارة .

الرئيس - من اللى قال كده ؟

خميس - مكتب الإرشاد بالليل .

الرئيس - اللى رشح الوزراء مين ؟

خميس - الاستاذ المرشد .

الرئيس - دون الرجوع إلى المكتب ؟

خميس - أيوه . وبعدين المكتب رفض دخول الوزارة . « باب المنشورات والمستندات » .

الاستاذ مازن (المحامى) :

ده الوزارة اللى طالبه منكم وزراء .

خميس - وجود إخوان فى الوزارة قد يثير بعض الناس وبسبب مشاكل للحكومة .

الإخوان والحكومة

خميس - الإخوان فريقين فريق يرى أن التفاهم مع الحكومة ممكن وفريق يرى عدم إمكان ذلك .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

والفريق الذى يرى عدم التعاون يرى إيه ؟

خميس - الموقف السلبي .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

والمرشد رأيه إيه .

خميس - رأيه إنه شايف إن مفيش تفاهم سيتم .

الإستاذ سامى مازن (المحامى) :

هل ذهبت إلى المرشد إنت وعبد الرحمن البنا وكلمته فى هذا الشأن ؟

خميس - والإستاذ عبد الرحمن البنا قال إنه يقابل الصاغ صلاح سالم وإنه يرى إن الخلافات بين الإخوان والثورة يمكن تسويتها .

الرئيس - خلاف إيه ؟ الحكومة بتعمل حاجات . إنتم مش موافقين على إيه ؟

خميس - حل الإخوان .

الرئيس - الإخوان إنحلت ورجعت .

خميس - الإفراج عن بعض الضباط .

الرئيس - إيه سلطتكم يا جماعة إنكم تقفوا فى وجه القوات المسلحة وتطلبوا عدم محاكمة الإخوان .

خميس - لم يكن لنا الرجاء .

الرئيس - رجاء إيه ؟

خميس - العفو عن الضباط الذين اعتقلوا بسبب الإخوان .

الرئيس كان ده إمتى ؟

خميس - فى إبريل سنة ١٩٥٤ م .

الرئيس - وفى مايو سنة ١٩٥٣ م طلبت منكم الحكومة إيه ؟

خميس - حل الجهاز السرى فى الجيش والبوليس .

الرئيس - وعملتم إيه ؟

خميس - مفيش .

الرئيس - يبقى الحكومة تعمل إيه ؟

خميس - تحاكم الضباط اللى من الإخوان .

الرئيس - يبقى إزاي كنت بتعمل على إزالة النظام السرى فى الجيش من مايو سنة ١٩٥٣ م

وبعدين تيجى فى إبريل سنة ١٩٥٤ م تطلب الإفراج عن الضباط اللى فى الجهاز السرى ؟

خميس - كان الوضع كله سينتهى .

الرئيس - إزاي ده ؟

خميس - كان المطلوب الإفراج عنهم .

الرئيس - ليه ؟ كان غرضكم إيه من هذا ؟ دى النية الوحيدة والظاهرة الوحيدة الى أظهرتموها فى خطة حل الجهاز إنكم تطلبوا الإفراج عن الضباط وإنكم تعيدوا التنظيم . وإنكم تعينوا يوسف طلعت رئيس له ثم عدم تلبية أى دعوة للحكومة فى الإجراءات التى طلبتها منكم . إيه كان . تكلم عن الموقف الإيجائى والا عايز تتكلم عن الموقف السلبى . عن المنشورات ضد الاتفاقية مع إنكم كنتم صالين معاهدة سرية لتحتل إنجلترا البلاد فى حالة خطر الحرب وإنكم عايزين الإنجليز يقعدوا كخبراء بملابس عسكرية . دى السلبية ؟ إنكلم يا أخى .

الرئيس - لما قابلت الرئيس جمال عبد الناصر إيه الكلام الى قلته بخصوص النظام السرى فى الإخوان ؟

الشاهد - الرئيس قال إنتم عندكم تشكيلات فى الجيش وفى البوليس ودى يجب ماتكنش موجودة وكان النظام كله .

الرئيس - ليه ؟

الشاهد - لأن وجوده يؤدى إلى خطورة وفوضى وإضطراب فى البلاد وما يصحش فعلا يكون موجود . وأنا قلت هذا فعلا .

الرئيس - ماذا كان جواب المرشد عندما أبلغته هذا ؟ وهل عرض الأمر على مكتب الإرشاد ؟
الشاهد - كان موافق - ولم يعرض الأمر على مكتب الإرشاد ولكن كل الى حصل علمه المكتب .

الرئيس - ما اتخذتوش أى إجراء لتنفيذ الحل ؟

الشاهد - لا لم يتخذ أى إجراء .

مكتب الإرشاد والجهاز السرى

الرئيس - مكتب الإرشاد يعلم بوجود جهاز سرى أو لا يعلم ؟

الشاهد - يعلم .

الرئيس - يعلم أنه برياسة مين ؟

الشاهد - يوسف طلعت وإن المسئول عن هذا الجهاز هو المرشد العام .

الرئيس - وهل يعلم مكتب الإرشاد أن هذا الجهاز تحت يده أسلحة ؟

الشاهد - يعلم أن في يده أسلحة .

الرئيس - هل يعلم مكتب الإرشاد أن هذا الجهاز السرى الذى تحت يده أسلحة طلبت الحكومة إلغائه ؟

الشاهد - أيوه يعلم .

الرئيس - ما الإجراء الذى اتخذته المكتب ضد رئاسة الجهاز والمرشد لتنفيذ طلب الحكومة بإلغاء هذا النظام السرى ؟

الشاهد - لم يتخذ أى إجراء .

الشاهد الثانى

محمد محمد فرغلى

الرئيس - الشاهد جاهز ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) :

أيوه يا أفندم .. محمد محمد فرغلى .

حضر الشاهد

الرئيس - إسمك إيه ؟

الشاهد - محمد محمد فرغلى .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - واعظ . بالإسماعيلية .

الرئيس منك ؟

الشاهد - ٤٧ سنة .

« وأقسم الشاهد اليمين »

تحدث محمد فرغلى أمام محكمة الشعب حديثاً استغرق ساعتين ونصف وكان هادئاً فى كلامه تعلو وجهه صفرة ظاهرة ويتملكه خوف واضح ممزوج بالحسرة والندم . وفى وسط هذه المشاعر كلها أدلى بحقائق رهيبة تتفق ومركزه فى جماعة الإخوان :

* فقال إن المرشد هو الذى إختار يوسف طلعت رئيساً للجهاز السرى لسابق معرفته به ولأن يوسف كان بين الذين عرضوا على الهضيبى منصب المرشد وسافر إلى الاسكندرية لمقابلته

لهذا الغرض .

* وقال أن المرشد لم يطلع مكتب الإرشاد على تفاصيل وإتصالاته بالإنجليز أثناء المفاوضات .

* وقال إن يوسف طلعت سافر أكثر من مرة إلى الاسكندرية واجتمع بالهضيبي .

* وقال أنه ليس من حق أى عضو من أعضاء الجهاز السرى التوقف عن العمل بإرادته وإن الغرض من إخراج السندى لم يكن تصفية النظام بل إحلال آخر محله يكون أكثر خضوعاً وطواعية للمرشد .

* وقال إن يوسف طلعت إقترح فى حديث بينه وبين صلاح شادى تنظيم مظاهرة مسلحة لمقاومة الإتفاقية ووافق صلاح شادى على ذلك .

* وقال ان حسن الهضيبي رفض القيام بأى إجراء لحل الجهاز السرى .

* وقال إن المرشد هو الذى قرر موقف الإخوان من الإتفاقية دون علم مكتب الإرشاد .

* وقال إنه لم يقرأ نص إتفاقية الجلاء وإنما قرأ نقطتها الرئيسية فقط وليس له أى إعتراض عليها .

* وقال إن المقصور من معارضة الإتفاقية إنما كان مجرد المعارضة فقط .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ما هى معلوماتك عن النظام السرى فى جماعة الإخوان المسلمين ؟

الشاهد - النظام فى جماعة الإخوان موجود من قديم فى عهد الإمام الشهيد حسن البنا وغرضه إعداد بعض شباب الإخوان لمكافحة الإستعمار والجهاد فى سبيل الله إذا اقتضى الأمر ذلك ولا يزال هذا النظام موجوداً فى الجماعة ويرأسه فى الفترة الأخيرة يوسف طلعت يعاونه آخرون وهذا النظام يتبع المرشد العام رأساً وليس من الأوضاع التى تخضع لمكتب الإرشاد .

وكان هذا النظام مرعوساً لعبد الرحمن السندى ثم إختلف عبد الرحمن السندى مع المرشد فى شأن قيام النظام فى الجماعة وكان الاستاذ الهضيبي لا يريد وجود النظام وإختلف مع السندى ثم تخلى السندى وتولى الأمر محمود الصباغ وتخلّى إلى أن اختار المرشد يوسف طلعت بناء على معرفة وطيدة بينه وبين المرشد ولأن يوسف من الإخوان الذين سعوا فى إختيار المرشد وسافر إلى الاسكندرية أكثر من مرة لإقناعه بقبول منصب الإرشاد وسعى لدى كثيرين

ليقبلوا ترشيحه للمنصب والمرشد يعرفه معرفة كاملة . ويوسف معروف من عهد الإمام الشهيد .

أسباب الخلاف

والمرشد كان لا يريد قيام النظام ولكن السندى بإعتباره أول من كون النظام ويؤمن به ويتعصب له هو ومن معه من الشباب فوقف وقال لابد من بقاء النظام وإستمراره . ولما قبل المرشد بقاء النظام حدثت خلافات في العمل فقد كان المفروض خضوعه خضوعاً كاملاً للمرشد والسندى كان يرى في نفسه سلطة عليا فكان يخرج عليه .

وقد وجه المدعى العام عدة أسئلة إلى الشاهد فأجاب عنها بالآتي :

* سئلت عن يوسف طلعت عند اختياري بإعتباري رئيس منطقة الإسماعيلية ويوسف عضو ووافقت .

* كان يعاون يوسف طلعت أحمد حسنين وإبراهيم الطيب والأول إختصاصه الأقاليم والثاني القاهرة .

* فيه تشكيلة خاصة بالبوليس برئاسة صلاح شادى وتشكيلة في الجيش برئاسة أبو المكارم عبد الحى .

* أنا وخميس لنا صلة بالنظام وليس في إدارته ولا في توجيهه ولكنها صلة بدأت عند الخلاف بين السندى والمرشد وكان وضعنا استشارى ولما إنتهى السندى إنتهت مهمتنا في شأن النظام .

إخراج السندى

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

كيف اخرج السندى من رئاسة النظام السرى ؟
فرغلى - لخلافاته مع المرشد ..

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

استقال أو اقيـل ؟

فرغلى - لما كانت خلافاته مع المرشد .. والناس الى تدخلوا رأوا أنه مفيش جدوى من إستمرار الحال والمرشد إنتهى إلى أنه لا يمكن بقاء السندى .. فلما علم السندى بهذا تنحى .

الاستاذ على نور الدين (المحامى) :

ألم يتقرر فصله ؟
فرغلى - لم يصدر قرار بفصله . ولكنه عندما علم أن مفيش مجال لبقائه فضل أن يتنحى حتى لا يواجه قرار الفصل .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
هل فصل بعد ذلك من الجماعة ؟
فرغلى - نعم . فصل من الجماعة ومعه ثلاثة آخرون من أعوانه .

الاستاذ على نور الدين (المحامى) :
إذن كان فصل السبندى أو إخراجهم من النظام ليس بالغرض منه تصفية النظام ؟
فرغلى - لا . بل ليحل محله آخر من النظام .

مجلس الجهاد الأعلى

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
يوسف طلعت يقرر أنه توجد لجنة عليا إسمها مجلس الجهاد الأعلى للنظام الخاص . وأن هذه اللجنة أنت أحد أعضائها .
فرغلى - أنا لا أعلم أن هناك لجنة عليا بهذا الاسم ولست عضوا فيها ..

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
ألم يكن يوسف طلعت يقضى بعض أيام فى منزلك بعمارة وهبه ؟
فرغلى - لا ماكنش يقضى بعض أيام ، وإنما كان يتردد فقط .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
آخر مرة كانت إمتى ؟
فرغلى - آخر مرة كانت بعد أن اختفى بأيام .. وجاء آخر مرة لأنه كان له بعض حاجات . وكان يريد أن يرسل لأولاده فلوس . فأعطاني عشرة جنيهات بإعتبار أن منزلى بالإسماعيلية وكان هو يقوم بإدارة قطعة أرض فى الإسماعيلية فقال لى أنه مش حيرجع إلى الأرض بعد كده وكان معاه سيارة وقال إنها تركها بالإسماعيلية فكلف أحد من الإخوان يتصرف فيها أو يسلمها للمركز العام ودا كان خلال شهر أغسطس .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
ألم يحضر إلى منزلك صلاح شادى وأبو المكارم ومحمود عبده أثناء وجود يوسف طلعت وقد درستهم موقف الإخوان من الحكومة ؟

فرغلى - بهذه الصورة لم يحدث . والى حصل إنهم كانوا يترددوا عندى فى بعض الأحيان والكلام فى موقف الإخوان من الحكومة كان دائماً بين الإخوان عامة لأن الخلاف كان معروفاً واتعب نفوس الإخوان وكان حديثهم فى الشهور الأخيرة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم يقترح يوسف طلعت فى هذا الإجتماع تنظيم مظاهرة مسلحة لمقاومة الإخوان للحكومة ؟

فرغلى - اذكر أن يوسف طلعت وهو يتحدث مع صلاح شادى عن معارضة الإتفاقية وطريقة المعارضة وإيقاف توقيعها قال يوسف أنه يستطيع عمل مظاهرة شعبية مسلحة ووافق صلاح شادى على ذلك .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل الجهاز السرى مسلح ؟

فرغلى - النظام له أسلحة موزعة فى الجهات .

الرئيس - جهاز سرى فى الدولة ومسلح ده مخالف للقوانين أو متفق معها ؟
فرغلى - مخالف .

الرئيس - مين اللى على رأس هذا الجهاز المسلح ؟

فرغلى - يوسف طلعت .

الرئيس - ويوسف يأتمر بأمر مين ؟

فرغلى - المرشد .

حل الجهاز السرى

الرئيس - يعنى جهاز سرى مسلح مكتب الإرشاد لا يعلم عنه شىء ورياسة الجهاز المطلقة لحسن الهضيبى والحكومة طالبت بحل الجهاز وكنت أنت بين الذين طالبتهم الحكومة . هل أبلغت هذا الطلب إلى المرشد ؟
فرغلى - نعم .

الرئيس - كان رده إيه ؟

فرغلى - قال المسائل دى عايزه وقت . وقال إن اللى فى الجيش جماعة مؤمنين بالفكرة وليسوا فى الجهاز وليس لهم نشاط . أما المدينون فدخل متعصبين للفكرة ومش من السهل إقناعهم بسهولة والمسألة عايزة وقت طويل .

إختفاء المرشد

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

إيه سبب إختفاء المرشد ؟

فرغلي - المرشد قال لبعض الإخوان إنه يخشى على نفسه الاغتيال وإنه اختفى حتى لا يحمل الجماعة تبعة ذلك ومن جانب آخر ليعطى الإخوان الذين يريدون التفاهم مع الحكومة فرصة التفاهم .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

متى إختفى يوسف طلعت وصلاح شادى وإيه الأسباب ؟

فرغلي - يوسف طلعت إختفى قبل إختفاء المرشد بفترة وجيزة وصلاح شادى إختفى مع المرشد فى نفس الوقت وأنا كنت حائر فى أسباب هذا الإختفاء .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

من أى ناحية لم تكن مرتاحاً ؟

فرغلي - لأن الجماعة كانت تمر بفترة حرجة فى الداخل للبخلافات بين الإخوان خارج الجماعة بسبب الخلاف بين الإخوان والحكومة .

المنشورات

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

المنشورات توالى فى فترة إختفاء المرشد فما تعليل ذلك ؟

فرغلي - ربما أن هذا ترتب على إحتجاب المجلة .

الرئيس - مجلة إيه ؟

فرغلي - مجلة الإخوان المسلمين .

الرئيس - كانت مجلة أو جريدة ؟

فرغلي - جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية .

الرئيس - وإيه الى وقفها ؟

فرغلي - رئيس التحرير قدم تقريراً لمكتب الإرشاد قال فيه إنه لا يستطيع نشر رأى الجماعة .

الرئيس - فى إيه ؟

فرغلى - فى المسائل السياسية وغيرها .

الرئيس - إيه رأى ده ؟

فرغلى - رأى الاستاذ الهضيبي فى الإتفاقية لم يسمح بنشره .

الرئيس : ما هو هذا البيان ؟

فرغلى : البيان عرض علينا بعد إعداده وكان بعد الإتفاقية وقد بين أضرارها .

الرئيس - بإعتبارك أحد واضعى البيان قول لنا فيه إيه .

فرغلى - البيان ينتقد رجوع الجيوش إلى البلاد العربية فى حالة ...

الرئيس الى ينقد مش ينقد بالمقارنة بين فكرته وما تم عليه العمل أو بالمقارنة للمثل العليا .

فرغلى - بالنسبة للحق الكامل للبلاد .

الرئيس - يعنى المثالية ؟

فرغلى - أيوه .

الرئيس - هل يجوز لشخص أن ينقد أمرا سبق إن أبدى فيه رأيا بالموافقة على أقل مما إنتهى

إليه هذا الأمر ؟

فرغلى - لا .

الرئيس - هل تعلم الأسس التى قبلها الهضيبي من الإنجليز للإتفاقية ؟

فرغلى - عندى علم بمقابلة المرشد للمستشار الإنجليزى وسمعت أن المستشار عرض ما يمكن

للإنجليز قبوله كأساس للإتفاق .

الرئيس - وبعدين الهضيبي لما قابل جمال عبد الناصر قال له إيه ؟

فرغلى - عرض على الرئيس جمال تقريرا عن مقابلة للمستشار فى مقابلتين .

الرئيس وبعدين تم إيه كعرض أو كراى للهضيبي نيابة عن الإخوان فى موضوع الإتفاق

مع الإنجليز ؟ دى نقط محددة .

فرغلى - والله أنا مش متذكر . واللى قيل لنا أن المقابلة كانت موضع إرتياح من الرئيس

وزملائه .

الرئيس - وبناء على ما قيل وما لا تذكره تكتب بيان تعرض فيه الإتفاقية ده كلام يقبله

العقل ؟

فرغلى - المسألة لم تعرض علينا كقواعد يقبلها الإخوان .

الرئيس - وإنما عرضت عليكم الإتفاقية كقواعد ينقدها الإخوان . ألا تعلم أن الهضيبي قبل الآتى :

أولا - وجود القاعدة . ثانيا - وفيها إنجليز عسكريين . ثالثا - معاهدة سرية لعودة الإنجليز لإحتلال مصر فى حالة خطر الحرب .
فرغلى - أنا لا أعلم ذلك .

الرئيس - ولا تعلم أن الرئيس جمال قال إننا لا نقبل هذه الأسس ؟
فرغلى - لا .

الرئيس - كيف تسمح لنفسك بالتوقيع على البيان وأنت تجهل ما وراءه ؟
فرغلى - أنا وافقت على نصه ولا أعلم ما وراءه .

الرئيس - واللى يوقعه وهو يعلم ما وراءه من المعلومات التى قلتها لك الآن ؟
فرغلى - يبقى غير متفق مع رأيه الأول .

الرئيس - يبقى تضليل . .

فرغلى - يبقى تناقض مع رأيه الأول .

فرغلى - نوع من الرأى .

الرئيس - حتى لو كان مخالفا للرأى الأول ؟

فرغلى - جازى عدل عن رأيه الأول .

الرئيس - يعنى لما أعطيك قرش تعريفه وتفرح به وأعطيك خمسة جنيه بعدها تفرح أم لا ؟
فرغلى - افرح .

الرئيس - أو تقول هات عشرة ؟

فرغلى - لا . لأن ده يبقى طمع .

الرئيس - واللى يطمع فى مصالح البلاد دون أن يظهر الحقيقة يبقى أيه ؟

فرغلى - الطمع فى مصلحة البلاد .

الرئيس - أنا أقول ويل للمصلين .. إذا كان الطمع مع إخفاء الحقائق يبقى إيه ؟

فرغلى - يبقى إخفاء الحقيقة .

الرئيس - واللى يخفى الحقيقة لماآرب يبقى إيه ؟

فرغلى - يبقى مضلل .

الرئيس - ومكتب الإرشاد كان طامع أو مضلل لما أصدر البيان ؟
فرغلى - المكتب كان مخلصا ولم يكن على علم بالحقائق .

الرئيس هل يصح أن يصدر بيانا وهو على غير علم ؟
فرغلى - المكتب كان خالى الذهن من الأحداث الماضية وهو لا يعلم الغيب .

الرئيس - يبقى الرقابة لما منعت البيان كان ليه يا فضيلة الشيخ ؟
فرغلى - مصلحة البلد .

الهضيبي والإنجليز

الرئيس - أنت كعضو مكتب إرشاد علمت أن فيه اتصال بين الهضيبي والإنجليز وبين الهضيبي وجمال عبد الناصر . هل عرض عليكم رأيه ؟
فرغلى - فى ذلك الوقت لم أكن عضوا فى المكتب .

الرئيس - ألم تسأل أحدا من الأعضاء إن كانت المسألة عرضت أم لا ؟
فرغلى - لم تعرض كما علمت .

الرئيس - كيف يسمح الهضيبي لنفسه بالإنفراد بهذا العمل ؟
فرغلى - كان فيه مجموعة من المكتب معه فى هذا العمل .

الرئيس - أبورقيق مكنش فى المكتب ولا منير دله .. مفيش غير حسن العشماوى .
فرغلى - الدكتور خميس كان معاه .

الرئيس - الدكتور خميس يقول إنه لم يعرض عليه الأمر .
فرغلى - معرفش .

الرئيس : إذن يبقى عرض الأمر على اثنين بس من مكتب الإرشاد . ده كويس ؟
فرغلى - لا .

الرئيس - لماذا تصرف هكذا ؟
فرغلى - جايز أخذ المسألة على عاتقه وحده .

الرئيس - وهل هذا من حقه ؟ أين الشورى ؟ المرشد متهم أمامك أهه ، بص شوفه يمكن أنت فاكر إنك لسه بتشهد فى قضية محمود عبد اللطيف . المرشد قاعد متهم عايزين نشوف

هل هو برىء أم لا ، لماذا تنازلتم عن الشورى ؟ هل هو رفض الشورى أم إنكم تنازلتم عنها وتركتم له وحده الإتصال بالإنجليز ؟

فرغلى - لو طلب منه مكتب الإرشاد المشورة اعتقد أنه مكتش رفض .

الرئيس - ولماذا لم تطلب أنت ؟

فرغلى - مكتش عضو .

« لم تقرأ الاتفاقية »

الرئيس - هل قرأت الاتفاقية ؟

فرغلى - نعم قرأت النصوص فقط .

الرئيس - قرأت ملحقات الاتفاقية ؟

فرغلى - أظن قرأتها .

الرئيس - أين ؟

فرغلى - كانت في صفحة في الجرنال .

الرئيس - ملحقات الاتفاقية كانت في ٣٠٠ صفحة فولسكاب .. قرأتها أين ؟

فرغلى - مش مستقر في ذهني .

الرئيس - الى مستقر في ذهنك إيه ؟

فرغلى - عندي فكرة .

الرئيس - أسألك فيها أو ترجع تقول مش متذكر ؟

فرغلى - أنا ذاكرتي ضعيفة شوية

الرئيس - بقى ده حال يرضى ربنا ، ده يرضى ربنا معنى ، لا تقرأوا الاتفاقية ولا ملحقاتها .

وتعارضوها ولما نسألکم فيها تقولوا ذاكرتنا ضعيفة .

فرغلى - إحنا لم نبد رأيا في النصوص النهائية والبيان كان خاصا بالنسبة للنصوص الموقعة

بالحروف الأولى .

الرئيس - تقدر تقول لى هى إيه ؟

فرغلى - هى الجلاء في عشرين شهرا والإحتفاظ بالقاعدة في حالة صالحة لعودة القوات إذا ،

هوجمت البلاد العربية أو تركيا . وإبقاء بعض الفنين وتكون إدارة القاعدة لشركات إنجليزية أو مصرية ويتسلم الجيش المصرى القواعد .

الرئيس - إزاي الجيش المصرى يتسلمها وإزاي تبقى قاعدة إنجليزية ؟
فرغلى - القاعدة إعتبرت مملوكة لمصر .

الرئيس - والمنشآت الباقية ؟
فرغلى - تسلم للجيش المصرى وبعض المنشآت تديرها شركات .

الرئيس - إيه بعض المنشآت ؟
فرغلى - مش عارف .

الرئيس - اعترضت على إيه ؟
فرغلى - على وجود أمور معلقة والمفروض إن القاعدة كانت مصر تتسلمها كلها دون تحفظ .

الرئيس - والحاجات بتاعتهم اللى رايحين يخلوها خلال العشرين شهراً ؟
فرغلى - طبعا ، تستلمها مصر خلال المدة .

الرئيس - وما يتبقى بعد ذلك يديره مين ؟
فرغلى - الشركات .

الرئيس - لحساب مين ؟
فرغلى - أصحابها .

الرئيس - أصحابها مين ؟
فرغلى - تعتبر مملوكة لمصر ولكن الموجودات ...

الرئيس - موجودات دى فين ؟
فرغلى - معرفش .

الرئيس - موجودة فى المخازن ؟
فرغلى - أيوه .

الرئيس - دى بتاع مين ؟
فرغلى - الإنجليز .

الرئيس - تدار لحساب مين ؟

فرغلى - الجيش البريطانى لمدة سبع سنين .

الرئيس - وبعدين ؟

فرغلى - تسلم لمصر .

الرئيس - تسلم لمصر أو إيه ؟

فرغلى - مش عارف .

الرئيس - يشيلوها ؟

فرغلى - أيوه .

الرئيس - رأيته إيه فى ده . إيه اللي مش عاجبك فيه ، معترض إيه ؟

فرغلى - مفيش إعتراض ، وكان مقصود بالبيان بيان حق البلد الكامل .

الرئيس - فيه حد فى البلد مش عارف الحق الكامل إيه ؟

فرغلى - معروف . وكان المقصود فائدة المفاوض المصرى فى موقفه من المفاوض الأجنبى .

الرئيس - حتى لو كان صاحب البيان قبل من الإنجليز أقل من ذلك ؟

فرغلى - أنا مكتتش أعرف .

الرئيس - كنت متعرفش . وكنت معتقد إن البيان لمساعدة المفاوض أو لبليلة الأفكار .

فرغلى - شخصيا كنت أرى أن هذا لتأييد المفاوض .

الشاهد الثالث

منير أمين دلة

الرئيس - الشاهد موجود ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) :

أيوه يا أفندم .. منير الدله .

(حضر الشاهد)

الرئيس - إسمك إيه ؟

الشاهد - منير أمين دله .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - مستشار مساعد بمجلس الدولة .

الرئيس - سنك كام سنة ؟

« وأقسم الشاهد اليمين »

تحدث منير دلة أمام محكمة الشعب حديثاً طويلاً جاء فيه أنه أكد للمحكمة أنه لا يعلم أن هناك جهاز سرياً في جماعة الإخوان . وكان يتهرب كثيراً من الإجابة بحجة أنه كان مريضاً ومسافراً . ورغم ذلك كله فقد أدلى بأقوال لا تقل خطورة عما ذكره غيره من أعضاء الجماعة :

* قال إن الإخوان لم يطلبوا العودة للحياة النيابية فوراً . وإن الإخوان ليس لهم برنامج مفصل لنظام الحكم .

* قال إن الشورى هي ركن من أركان الإسلام غير مطبقة تطبيقاً تاماً لا في الهيئة التأسيسية ولا في مكتب الإرشاد لأن مصدرهما الأول هو التعيين .

* وقال إنه ذهب والصاغ صلاح شاذى إلى الرئيس جمال عبد الناصر وطلباً منه أن يعرض عليهما القوانين قبل إصدارها حتى يتأكد التعاون والتفاهم بين الإخوان والحكومة .

* وقال إن الإخوان ليس لهم برنامج لحكم إسلامى وكل هدفهم هو الحكم بالشورى .

فترة الإنتقال والحياة النيابية

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم تعترض الجماعة على فترة الإنتقال التى قررت وهى ثلاث سنوات ؟
الدله - لا .. لأنها مدة معقولة لإجراء تطهير سياسى واجتماعى مطلوب للبلاد .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

وهل فى رأيك أن التطهير السياسى والاجتماعى تم الآن ؟
الدله - فى رأى الشخصى أنه لم يتم بعد . .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

لماذا تطالب جماعة الإخوان المسلمين الآن بعودة الحياة النيابية فوراً ؟
الدله - لا أعلم أنهم طالبوا بإعادة الحياة النيابية فوراً ولا أذكر أن هذا حدث سواء كان كتابة أو شفها أو بأى طريقة من الطرق .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل لجمعية الإخوان برنامج لنظام الحكم ؟

- الدله - ليس لجمعية الإخوان برنامج مفصل لنظام الحكم .
- الرئيس - نظام جمعية الإخوان نظام شورى أو غير شورى - إسلامى أو غير إسلامى ؟
- الدله - الواقع إنه نظام مبنى على الشورى .
- الرئيس - هل كنت تعلم بوجود جهاز سرى أو لا تعلم ؟
- الدله - لا يمكن أن أحدد .
- الرئيس - هل تعرف أن فيه جهاز سرى ؟
- الدله - أعرف أن هناك نظاماً خاصاً بوضع معين .
- الرئيس - يعنى تعرف أن فيه جهاز سرى موجود ؟ وهل هو مسلح أو غير مسلح ؟
- الدله - الواقع أنه كان فى وقت فلسطين مسلح .
- الرئيس - ملناش دعوة بوقت فلسطين .
- الدله - أنا حالياً ما عنديش فكرة عنه .
- الرئيس - هل يجوز فى نظام الشورى إنشاء جيش فى الجمعية دون موافقة الجمعية التأسيسية ؟
- الدله - لا .
- الرئيس - ده النظام اللى كنت تطالب الحكومة به ؟
- الدله - فرق بين الدولة والجمعية .
- الرئيس - ليه .. إنتم عندكم برلمان من ١٤٧ ومجلس وزراء من ١٥ زى الدولة تماماً .
- الدله - لم تحدد صورة للنظام البرلمانى الذى نطلبه وإحنا ماكنناش راضيين عن نظام الجماعة وكنا نحاول إصلاح نظام الشورى فى الجمعية خطوة خطوة .
- الرئيس - وعازين الحكومة تنط السور وتعمل نظام نياى .

جيش الإخوان

- الرئيس - هل تتصور أن مجلس وزراء لا يعرف أن فى الدولة جيش ؟
- الدله - لا .
- الرئيس - كنت تعرف أن عندكم جيش ؟
- الدله - لا يا فندم .
- الرئيس - عرفت دلوقت أو قبل دلوقت بشوية ؟

الدله - قبل دلوقت بشوية .

الرئيس - الجهاز السرى كان خاضع لمن ، لمجلس الوزراء ، متأسف لمكتب الإرشاد بتاع سيادتكم أو لغيره ؟

الدله - معرفش .

الرئيس - سمعت فى مايو ١٩٥١ ان الحكومة طالبت الإخوان بحل الجهاز السرى ؟
الدله - أنا سمعت بطلبات خاصة بنشاط الإخوان فى الجيش والبوليس وطلبت وقفه .

الرئيس - وبالنسبة للمدنيين ؟

الدله - لم أسمع .

الإخوان والوزارة

الرئيس - لقد تقول لنا ظروف ترشيح عدد من الإخوان للدخول فى وزارة الثورة بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ برئاسة محمد نجيب فاكّر التاريخ ؟
الدله - فاكّر الواقعة .

الرئيس - التاريخ كان ١٩٥٢/٩/٧ م .

الدله - اللى أعرفه إن حسن العشماوى كان فى مجلس قيادة الثورة .

الرئيس - عضو يعنى ؟

الدله - لا .. فى كوبرى القبة والرئيس جمال أبلغه وجهة نظره وكلم الاستاذ المرشد علشان يرشح وزراء ، فالمرشد قال له بضعة أسماء وبعد كده فى نفس اليوم المرشد قال أنا مقدرش أبت فى الأمر لوحدى .

الرئيس - رشح مين ؟

الدله - حسن العشماوى .. وحسن قال له إن الرئيس جمال يقول إني صغير والمرشد قال له أنت ومنير الدله وكال خليفة ومحمود أبو السعود .

الرئيس - الظاهر إنك ناسى أوى ... وبعدين ..

الدله - إنتهت المكالمة التليفونية على هذا .. وفى المكالمة الثانية المرشد قال أنا عايز أعرض المسألة على مكتب الإرشاد .

الرئيس - حسن العشماوى مش رد على المرشد وقال له القيادة مش موافقة علّى ولا على منير ؟
الدله - المكتب إجتمع وقال بلاش إشترك فى الوزارة .

الرئيس - ده كان غير ذى موضوع لأن الوزارة كانت تشكلت .
الدله - الرئيس نجيب إتصل بالمرشد وطلب منه وزير أو إثنين فالمرشد إعتذر وكان مكتب الإرشاد مجتمع والمرشد قال له بلاش لأن إشتراك الإخوان يسبب عيقات للوزارة .

الرئيس - تذكر يوم ما رحت لجمال عبد الناصر أنت وصلاح شادى سنة ١٩٥٣م ؟
الدله - فاكّر .

الرئيس - تذكر يوم ما قابلت جمال وطلبت منه أن تعرض عليكم القوانين قبل إصدارها ؟
الدله - كان حصلت مشكلة صادفت الثورة قبلها بيوم وإحنا رحنا علشان نقول للرئيس إن الإخوان يؤيدون الحركة ، وتطرق الحديث بين صلاح شادى والسيد الرئيس وقال له صلاح : حبذا لو أن الحاكم يقرب نفسه للشعب ويعرض عليه القوانين والمشروعات علشان لما تصدر القوانين الشعب ينفذها بروح .. وده كان رأى شخص لا يمثل الجماعة .

الرئيس - وأنت ألم تشترك فى هذا الحديث ؟
الدله - أنا اشتكرت فى حته تانيه.

الرئيس - وكنتم أنتم الشعب ؟
الدله - جزء منه .

الرئيس - والشعب أرسلكم علشان تطالبوا بالإطلاع على القوانين قبل إصدارها ؟
الدله - سأقول لسعادتك دلوقتى المقابلة دى بالتفصيل التى دار فيها .

الرئيس - التفصيل أن إنت وصلاح شادى طلبتم عرض القوانين عليكن قبل صدورها فالرئيس جمال قال لكن والله إحنا لا نضع أنفسنا تحت وصايتكم . قلم إنكم تمثلون الشعب قلنا لكم إنكم لا تمثلوا الشعب وإحنا نمثله أكثر منكم ، ودلوقت تقول إنك نسيت .
الدله - أنا أقسمت .

الرئيس - أنت أقسمت وادى إحنا شايفين اليمين إنتهى على إيه .. وإحنا أقسمنا يمين بيننا وبين الله ونعمل به .

الدله - الفكرة كانت عرض القوانين علشان تمام التعاون ومعرفة نية الحكومة .

الرئيس - والنية متقدرش تعرفها من الأعمال . تعرفها من الوصاية إالى عايز تفرنمها على الحكومة ؟

الرئيس - آمال تقدر تقول لى لما أمرر عليك القوانين يبقى إيه . لما نمرر عليكم المشروعات

يؤدى بنا إلى إيه ؟

الدله - زيادة التفاهم وتأمين للتفاهم المعروض . وتبادل الآراء ، واللى قلناه كان مجرد رأى شخصى فردى .

الرئيس - تعرف إيه عن جماعة الإخوان المسلمين . أنت لا عارف حاجة ولا فاكّر حاجة ، ورأيك إن الشورى بتاع الإخوان مش مضبوطة . طيب تعرف إيه عن جمعية الإخوان ؟
الدله - «سكت» .

الرئيس - إيه اللى تعرفه .

الدله - سعادتك تسألنى .

الرئيس - أنا بأسألك فى كل ناحية . مش عارفها . متعرفش حاجة تانية :... يا أهل البلاد ..
السيد منير الدله والسيد صلاح شادى جم قابلوا جمال عبد الناصر يوم أن قرر مجلس الثورة إلغاء الأحزاب وجم علشان يؤيدوا البكباشى جمال على شرط أن تعرض جميع القوانين عليهم ونعمل لجنة مشتركة بين الحكومة والإخوان تبحث القوانين قبل إصدارها . أدى الحكاية اللى تعثرت الثورة فيها وهى إلغاء الأحزاب . وفى اليوم ده أو تانى يوم جم يطلبوا وضع الثورة تحت النوصاية مقابل تأييد الحكومة وده كان على ما أذكر فى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٣ م .

الشاهد الرابع

سيد قطب

الرئيس : الشاهد الذى يليه .

البكباشى سيد جاد (المدعى) :
سيد قطب .

حضر الشاهد

الرئيس - إسمك إيه ؟

الشاهد - سيد قطب .

الرئيس - سنك كام سنة ؟

الشاهد - ٤٨ سنة .

الرئيس - الصناعة ؟

الشاهد - رئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين ..

« وأقسم الشاهد اليمين »

تحدث سيد قطب أمام محكمة الشعب حديثاً قصيراً ومع ذلك فقد ذكر حوادث هامة في شهادته القصيرة :

* فقال إن المرشد أخبره أثر عودته من سوريا أن هناك خطة سوف تنفذ ضد نظام الحكم الحاضر .

* وقال إن المرشد أخبره أن أغلبية رجال الجيش بقيادة محمد نجيب سيقومون بحركة مشابهة للحركة التي حدثت في سوريا .

* وقال إن المرشد أخبره أن الرئيس نجيب قد قام بشتى الاتصالات اللازمة مع الدول الأجنبية لتأييد إنقلاب الإخوان على أثر تنفيذه .

* وقال إن المرشد هو الذى أعطاه النقود اللازمة لشراء ماكينة (رونيو) لطباعة المنشورات .
الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

اذكر الحديث الذى دار بينك وبين المرشد بعد عودته من سوريا .
قطب - أعدت عليه ما اقترحته قبل ذلك مرات قبل سفره بأن الإخوان يجب أن يطالبوا بعودة الحريات والضمانات القضائية لأن هذا هو واجبهم الذى يجب أن يؤدوه نحو الله والشعب . وكان يقول إن الإخوان لا يقومون بحركة منفردة ولا بد أن يكون الشعب والجيش معهم ، وبعد عودته من سوريا قال : إن الجيش فيه أغلبية عظمى ستقوم بحركة شبيهة بما تم في سوريا من إختيار الجيش أن يعود إلى الثكنات ويسلم البلاد إلى المدنيين وإن الإخوان سيكون دورهم التأييد الشعبى للحركة الجديدة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

فهمت من المرشد أن فيه خطة لإحداث إنقلاب ؟
قطب - هو قال إن فيه ترتيبات داخلية عملت وكنت أريد أن أتأكد من أن الموقف فى مصر متصل بالموقف الدولى . والمرشد قال إن هذا معمول حسابه وإن الرئيس نجيب سيظل على رأس الدولة وسيعاونه الأشخاص الجدد .

الرئيس - ألم تسأل المرشد عن القوات التى ستعاون معه من الجيش والمدنيين ؟
قطب - فهمت أن اللواء نجيب سيكون على رأس الأغلبية التى تقوم بالضغط على بقية الجيش لإقناعه بالعودة إلى الثكنات وإعادة الحياة النيابية . ولم أسأل عن تفاصيل أكثر من ذلك .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل كلفك المرشد بشراء آلة الطباعة للمنشورات ؟

قطب - لم يكلفنى أنا . ولما أغلقت الجريدة لعدم إستطاعتى نشر ما أريده شكوت للمرشد وقلت له : يمكن أن تطبع التعليقات فى المكتب الإدارى فى القاهرة .. ووجدت أن المكتب ليس لديه ماكينات صالحة فأمر المرشد بشراء ماكينة جديدة بمبلغ ١٨٠ جنيها دفعها المرشد على دفعتين وسلمت المبلغ لمتدوب المكتب الإدارى لإستحضار الماكينة .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

كيف انتقل الحديث مع المرشد إلى حماية الحريات ؟

قطب - لأنى أعدت عليه إقتراحى الذى كنت أقترحه دائماً وهو وجوب قيام الإخوان بالمطالبة بعودة الحريات والضمانات وبذلك تكون الجماعة جماعة شعبية تطالب بقضايا الشعب ومظالمهم باعتبارها أكثر جماعة فى البلاد يجب عليها أن تقود الحركة الشعبية .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

الحركة الشعبية للمطالبة بالحريات .

قطب - فى هذه المرة كانت للمطالبة بالحريات .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

بالمظاهرات الشعبية .

قطب - المظاهرات وسيلة ، وهناك وسائل منها الخطب والمحاضرات وأحاديث الثلاثاء .

الشاهد الخامس

صاغ بالمعاش حسين حمودة

الرئيس - الشاهد الى بعده .

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) :

الصاغ بالمعاش حسين محمد أحمد حمودة .

حضر الشاهد

الرئيس - اسمك ؟

الشاهد - حسين محمد أحمد حموده .

الرئيس - الصناعة ؟

الشاهد - ضابط متقاعد .

الرئيس - الرتبة ؟

الشاهد - صاغ .

الرئيس - سنك كام سنة ؟

الشاهد - ٣١ سنة .

« أقسم الشاهد اليمين »

تحدث الصاغ بالمعاش حسين حمودة أمام محكمة الشعب حديثا هاما ولكنه ذكر بعض الحقائق التى كشفت عن أمور خطيرة :

* قال إنه قابل المرشد وصلاح شادى ويوسف طلعت فى منزل قصر النيل حيث أخبره المرشد أن الرئيس محمد نجيب «مطرشق» من أعضاء مجلس قيادة الثورة وأنه يعتمد على الإخوان فى التخلص من قادة الثورة .

* وقال إن الإتصال بين المرشد ومحمد نجيب كان يتم عن طريق البيوزباشى محمد رياض ياور رئيس الجمهورية السابق حيث كان يتصل بحسن العشماوى ليوصل التعليمات إلى المرشد .

* وقال أنه كان يدرب الإخوان عسكريا من سنة ١٩٤٥م وانقطع التدريب فى أزمة الإخوان الأولى بعد حرب فلسطين وبدأ التدريب مرة أخرى هذا العام فى شهر يونيو .

نجيب «مطرشق»

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

تعرف المرشد ؟

حموده - أبوه .

المدعى - قابلته قبل كده ؟

حموده - قبل الإعتقال فى بنابل فات على الدكتور غراب فى بيتى وقال المرشد عايز يقابلك فى بيت بجوار جريدة المصرى وأعطانى عنوانه وهو بيت أحد الإخوان . فذهبت إلى هناك وكان موجود المرشد وصلاح شادى والصابغ خليل . نور الدين .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

إيه إالى حصل فى الإجتماع ؟

حموده - المرشد قال إن رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب إتصل به وفهمه إنه مطرشق من أعضاء مجلس قيادة الثورة بسبب الحكم الدكتاتورى اللى فى البلد . وأن نجيب يرغب

في إقامة حكم نيابى ودستور ودى رغبة الهيئات الشعبية ومنها الإخوان وإن نجيب يريد الاستعانة بالمرشد لعمل ترتيب للتخلص من العهد ده ونجيب قال إن دعوة الإخوان دعوة حق وخير ويرغب في أن يرى المصريين كلهم إخوان .

والمرشد قال أنا جمعتكم بإعتباركم ضباط في الجيش والراجل ده مسئول عن المدنيين وتبين إن الراجل ده كان يوسف طلعت ..

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

كان حاضر الاجتماع ؟

حمودة - أيوه . والمرشد قال أنا تارك لكم التفاصيل .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

كيف كان يتم إتصال المرشد بنجيب ؟

حموده - بوساطة ضابط في الياوران اسمه رياض وواحد مدنى اسمه حسن ع شماوى . وهذا ما سمعته .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم تقابل يوسف طلعت بعد ذلك ؟

حموده - بعد كده اجتمعت أنا وأبو المكارم و خليل نور الدين وصلاح شادى في بيت أبو المكارم لبحث تنفيذ رغبة المرشد ومحمد نجيب . وكان يوسف طلعت حاضر ، وقال إنه يشرع في عمل جهاز جديد ، ويطلب الإنتظار سنة ليكون جهازاً من عشرة الاف من الإخوان لأن السندى يعاكسه .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ده كلام يوسف طلعت لكم ؟

حموده - أيوه . وصلاح شادى قال إن عودة ١٩ ضابط بوليس في الجهاز وبالنسبة للجيش كان عدد الضباط من الإخوان قليل جدا وإنتهى الأمر بأننا لم نستطع القيام بأى خطة وإعتقلنا في ١٨ يناير .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل دربت أحد من الإخوان ؟

حمودة : أنا دخلت الإخوان في سنة ١٩٤٥م في الجهاز السرى بتاع السندى وكنا ندرّب الإخوان وأما في الوقت الحاضر إحنا خرجنا من السجن في يونيو فاتصل بنا أبو المكارم وأنا

والخضري ورمضان وربيع وطلب منا إعادة تنظيم صفوف الجيش مرة ثانية بالاتصال بالإخوان الى في الجيش ، وأنا قلت لأبو المكارم أنا من يوم خروجي من السجن مفيش ضابط قال لي حمد الله على السلامة وعلى ذلك أنا مقدرش أتصل بهم فأمن عبد الخالق على هذا الكلام .

وبعد كده طلب مني أبو المكارم تدريب الإخوان وعرفني بالاستاذ إبراهيم الطيب أنا وفؤاد جاسر وقال إنه محامي في مكتب عودة ووكيل الجهاز الإداري للإخوان وعرفنا بعد كده بسليم وده كان يدعى إنه تاجر وتبين أنه طالب في الزراعة .

وسليم راح لفؤاد جاسر وعرفه بواحد من الإخوان علشان يدره وجاب لي واحد أدربه وكذلك جاب لربيع ورمضان وأنا مكتتش أعرف الشخص الى أدربه .

الرئيس - هل السرية بلغت في الإخوان لحد الأسماء ؟

حموده - أيوه .. والرجل ده قابلني في الجيزة ثم في باب الخلق ووداني في حوارى ملتوية ليلا وقابلني بثلاثة أشخاص باين إنهم طلبة وطلعنا في أوده على السطوح وقالوا إن الطلبة دول فصيلة من غير سلاح وقعدنا وانصرفنا .

وقابلته مرة ثانية في شارع عماد الدين ورحنا بيت في الحنفى وقابلت نفس الشبان ولم أعرف أسماءهم وقالوا إحنا مش قادرين نتدرب اليوم لأننا كنا سهرانيين في إجتماع الجمعية التأسيسية وبعد كده اعتذرت بأني مراقب .

الرئيس - الخطة اللي كانت مطلوبة كان غرضها إيه ؟

حموده - نخلص رئيس الجمهورية من مجلس قيادة الثورة .

الرئيس كان غرض الخطة إيه . إنت راجل عسكرى .

حموده - شيل أعضاء مجلس قيادة الثورة وبعدين محمد نجيب يبقى في البلد .

الرئيس - ومخلصتوناش ليه يا أخى ؟

حموده - وقالوا أنهم عايزين حكم نيابى .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

كيف اعقلت أخيرا ؟

حموده - اعقلت في بلد جنب رشيد في عزبة الشيخ حجازى النجار ويقرب لجمال ربيع .

الأستاذ سامى مازن (المحامى) :

إنت بتقول تواليت تدريب . كيف كان يتم ذلك ؟

حموده - فى البيوت .

الأستاذ سامى مازن (المحامى) :

أفراد أم جماعات ؟

حموده - أربعة أفراد .

الأستاذ سامى مازن (المحامى) :

حصل إجتماع بينك وبين يوسف طلعت بعد الإجتماع الى قلت عليه ؟

حموده - حصل إجتماعات فى بيت أبو المكارم وكنا نتكلم عما نعمله وإحنا أفهمنا يوسف ان ملناش إمكانيات فى الجيش ، وصلاح أفهمه إن البوليس مفيش فيه إمكانيات ويوسف قال انه بعد سنة يكون عنده عشرة آلاف أخ .

الشاهد السادس

هنداوى دوير

الرئيس - الشاهد اللى بعده ..

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) - هنداوى دوير

«حضر الشاهد»

الرئيس - إسمك إيه ؟

الشاهد - هنداوى سيد أحمد دوير .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - محامى .

الرئيس - سنك ؟

الشاهد - ٣٢ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

تحدث هنداوى دوير أمام محكمة الشعب حديثاً يتفق وإعتباره عنصراً هاماً فى مؤامرة إغتيال أعضاء مجلس قيادة الثورة . وهو الذى قدم المسدس لمحمود عبد اللطيف لإغتيال الرئيس جمال ووقف أمام المحقق وأمام المحكمة ليروى الأسرار الرهيبة عن جهاز الإخوان الخاص والخطة الدامية التى كانت فى طريق التنفيذ لإشعال نار حرب أهلية بالبلاد . وعاد

هنا فى قضية حسن الهضيبي ليؤكد ما جاء على لسانه فى قضية محمود عبد اللطيف :

* قال سلمت المسدس لمحمود عبد اللطيف وقلت له نفذ الخطة .

* وقال إبراهيم الطيب هو الذى كلفنى بأن أكلف محمود عبد اللطيف بتنفيذ خطة إغتيال الرئيس جمال على أن يعتمد محمود على نفسه .

* وقال أنا فهمت من حديث إبراهيم الطيب لى أن المرشد موافق على الخطة .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

أذكر الخطة التى بلغت إليك من قيادة النظام السرى لتنفيذ الاعتداء على الرئيس جمال تمهيداً لعمل إنقلاب .

هنداوى - الأستاذ إبراهيم الطيب جه قبل الحادث بحوالى ١٥ يوماً وقال إن خطة الإخوان هى الاعتداء على الرئيس جمال وأعضاء القيادة والضباط الأحرار وبعد كده الرئيس نجيب سيقوم بإنقلاب شعبى ويهدىء هو الحالة ، ده ملخص الخطة .

وأعطانى مسدس وقال لى إعطيه لمحمود عبد اللطيف علشان يتبع الرئيس جمال وكان يمر على كل يوم تقريبا وأخذت منه المسدس سلمته لمحمود وقال لى إن الخطة إن محمود يتبع الرئيس ويعتمد على نفسه فى ذلك .

وفى هذه الاثناء زارنى محمود الحواتكى وقال إن النظام السرى يقوم بإعداد عمليات إرهاب ولا يوافق عليها المرشد وأنا أمر على رؤساء المناطق أنبههم .

وأنا على أثر هذا قلت له يا محمود ما تعملش حاجة . وبعدين جانى إبراهيم الطيب وقلت له على حديث الحواتكى فأبراهيم قال لى : أبدا الحواتكى متصل بالمفصولين . المرشد موافق .

وهذه المسائل تركز على الثقة وأنا وثقت فى إبراهيم لأنه هو المتصل لى . وقابلت محمود عبد اللطيف وقلت له نفذ الخطة ، وكان مفروض أن الحادثة تقع فى مصر ولكن محمود قال لى أنا مسافر الإسكندرية لقتل الرئيس هناك ومسافر .

الرئيس - يعنى إنت فهمت من إبراهيم الطيب إن المرشد موافق على إرتكاب الحادث ؟
هنداوى - أيوه .

الرئيس - الهضيبي رئيس الجهاز السرى ؟

هنداوى - المفروض أنه رئيس الجهاز .

المدعى - ليه سألت إبراهيم الطيب عن رأى المرشد فى إرتكاب الحادث ؟
هنداوى - المفروض إن المرشد هو الرئيس للجهاز .

الرئيس ده إعتقاده ؟
هنداوى - أيوه .

البيعة للهضيبى

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :
أعضاء الجهاز السرى يقسمون يمين البيعة ؟
هنداوى - أيوه اليمين « أقسم بالله أن أكون حارساً لمبادئ الإخوان مجاهداً فى سبيل
الله على السمع والطاعة فى المعروف وأن أجاهد فى سبيل ذلك ما استطعت » .
الأستاذ على نور الدين (المدعى) : السمع والطاعة ليمين ؟
هنداوى - للمرشد العام .

الرئيس - يبقى مفهوم من القسم إن الجهاز تابع للمرشد العام ؟
هنداوى - أيوه .

الرئيس - يبقى إنت تعلم على سبيل اليقين إن الجهاز تابع للمرشد العام .
هنداوى - أنا أقسمت أيام حسن البنا .

الشاهد السابع أحمد فتحى البوز

الرئيس - الشاهد موجود ؟
البكباشى سيد جاد (المدعى) - أيوه يا أفندم . فتحى البوز .

الرئيس - اسمك ؟
الشاهد - أحمد فتحى على يوسف البوز .

الرئيس - صناعتك ؟
الشاهد - محامى .

الرئيس - السن ؟
الشاهد - ٢٥ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

تحدث فتحى البوز أمام محكمة الشعب حديث الرجل الذى يتولى رئاسة فصيلة الجيزة الإرهابية وكان أهم ما ذكره أنه حاول الإتصال بالمرشد فى مخبئه ليطلب منه وقف تنفيذ خطة الإغتيالات والإضرابات المسلحة ولكنه فشل :

* قال إن يوسف طلعت هو المسئول عن أمر الإغتيالات وإنه يتلقى أوامره من المرشد الرئيس الأعلى للجهاز .

* وقال بأن إبراهيم الطيب أبلغه بأنه سوف تقوم مظاهرات مسلحة عقب إغتيال الرئيس جمال وأنه سيتم فور ذلك إغتيال بعض أصدقاء الثورة ثم تقلب الحكومة ويتم الإستيلاء على مقاعد الحكم بالقوة .

* وقال إن الجهاز الخاص كان أداة لمحاربة الحكومة بسبب دوافع شخصية .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

اذكر للمحكمة كل ما جرى فى حديثك مع إبراهيم الطيب آخرة مرة .
فتجى - قال لى إبراهيم الطيب إن مسألة إغتيال جمال أصبحت مقررة وأن الأمور ماشية على ما يرام وإن الرئيس جمال تقرر إغتياله وكلف بذلك بعض الإخوان ولم يذكر لى اسماءهم وعلى الفور اتصلت ببعض الإخوان لأبلغهم هذا النبأ الذى كنا نعارض فيه . وكان علينا أن نتصل بجميع الإخوان لنحول دون تنفيذ أى شيء صادر من إبراهيم الطيب ، لأننا ماكانش مقتنعين به ، وقمت واتصلت بالحواتكى واتفقنا على أن آخذ غرب القاهرة والحواتكى شرق القاهرة وأن ننبه على أفراد الجهاز حتى لا يقع شيء .. وزيادة على ذلك اتصلت بالأستاذ عبد القادر عوده ، لأبلغه النبأ ، فقال إنه لا علم له بذلك . وأن هذا لا يمكن أن يقع فقلت له أنه من الضرورى إتخاذ إجراء لأن هذا العمل سوف يتم حتما . فقال لى : احضر لى إبراهيم الطيب . فقلت له إتصل به أنت . ولكنه قال : لا .. احضره لى لأنى مراقب، وفعلاً ذهبت لإبراهيم الطيب ، وقلت له : إن الأستاذ عبد القادر عايزه ضرورى . ولم أذكر له السبب الحقيقى لأنه هو لو كان عرف السبب ماكانش حضر معى .. وحددت موعد له مع الأستاذ عبد القادرى ولكن الطيب لم يحضر ، والأستاذ عبد القادر قال لى : استمر فى البحث وأنا سأبحث من ناحيتى . وبعد ذلك الأستاذ عبد القادر حددت إقامته وبعد ذلك بيومين وقع الحادث .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

إبراهيم الطيب كان يذكر لك ذلك بشكل حديث أو أمر ؟
فتحى - بشكل أمر تقرر .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل طلب منك الاستعداد ؟

فتحى - هو طلب منى أن أتصل بأحد الإخوان ليحضر له سلاح ، وفعلاً اتصلت بهذا الأخ ونهت عليه بعدم إعطاء إبراهيم الطيب أى سلاح . والأخ ده هو عبد العال المدنى . وفعلاً فعل كل ما قلته له لأننا نعرف إن السلاح سيستعمل فى أمور لا نقرها .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل ناقشت الطيب فى هذا الأمر ؟

فتحى : أيوه ، بينت له إن هذا الأمر خطير ، وأنه سوف يجلب الكوارث على البلاد وعلى الإسلام .. ولكن لم أسترسل معه فى المناقشة . وإتصلت بالأستاذ عبد القادر كما ذكرت ..

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل ما ذكره لك إبراهيم الطيب كان أمر صادر من القيادة العليا ؟

فتحى - هو كان أمر تقرر أنه صدر من المسؤولين الى فوق .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) - من المسئول ؟

فتحى - يوسف طلعت .

الرئيس - هل قال لك الطيب عن فكرة قتل الرئيس جمال ؟

فتحى - قال أنه سوف تقوم مظاهرات مسلحة عقب الحادث ويغتال بعض أعضاء رجال الثورة .

الشاهد الثامن

يوسف طلعت

الرئيس - الشاهد إالى بعده ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) - يوسف طلعت ..

«حضر الشاهد»

الرئيس - أهلاً سى يوسف .

الشاهد - ساكتاً .

الرئيس - إسمك ؟

الشاهد - يوسف عز الدين طلعت .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - تاجر حبوب .

الرئيس - سنك ؟

الشاهد - ٤٢ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

تحدث يوسف طلعت أمام محكمة الشعب وكان حديثه هاما ، فهو قائد الجهاز السرى ، وكان يدلى بالحقائق الدامية فى بساطة مذهلة وبكل هدوء . وكان فى نفس الوقت حاضرا البديهة وقد برزت صراحته فى أكثر من موضع .

* قال أنه رئيس الجهاز السرى للإخوان ومستول أمام حسن الهضيبي .

* وقال إن حسن الهضيبي لم يطلب حل الجهاز .

* وقال إن خميس حميده كان حلقة الإتصال بينه وبين الهضيبي .

* وقال إن التشاور على تسليح الجهاز كان مع إبراهيم الطيب وعبد المنعم عبد الرؤوف وأحمد حسنين .

* وقال إن خطة الجهاز السرى كانت تتلخص فى القيام بمظاهرات تحميها قوة مسلحة ثم تبدأ الاغتيالات .

* وقال إن الهضيبي أمر بقيام المظاهرات التى كان عبد القادر عودة مسئولا عنها وإن يوسف طلعت مهمته حمايتها بالفصائل المسلحة .

* وقال إنه هو الذى أعد الحزام النائف وسلمه لإبراهيم الطيب لاغتيال الرئيس جمال وإنه استوحى الفكرة من حادث السيد فايز .

* وقال إن هنداوى دوير تسرع فى تنفيذ الخطة ففشلت .

* وقال لرئيس المحكمة «انت كنت من الستة المقتولين يعنى كنا سنقتلك» .

* وقال عندما سأله الرئيس : هل أنت مؤمن : أنا مؤمن ولذلك فإننى أضحك من القدر ..

* وقال أنه عندما إطلع على منشور محمد نجيب ومنشور سليمان حافظ إجاز طبعها وأن إبراهيم الطيب كان يتولى الطبع وسيد قطب يتولى التحرير .

* وقال عندما نعت المدعى بأنه القائد الأعلى للجهاز « أيوه .. قول قائد أعلى .. كبر فى قيمتى علشان كل ما تكبروى تقطموا رقبتى .. أنا لا قائد أعلى ولا حاجة ، خليها بالبركة ، أنا نجار .. » .

* وقال إنه قرأ الإتفاقية بعد توقيعها بالحروف الأولى فوجد فيها بعض النقص ولما وقعت الإتفاقية نهائيا قرأها فوجد النقص قد زال وتداركه الجانب المصرى :

سأله المدعى عن مركزه فى الجهاز السرى وعن موعد تعيينه مسئولاً عنه فقال :

* أنا المسئول عن النظام السرى وقد عينت مسئولاً عنه بعد حادث السيد فايز بيومين أو ثلاثة . وفى يوم الحادث كان فيه إجتماع للإخوان حضر فيه فرغلى وخميس وأحمد زكى والصباغ وكان فيه خلاف بين السندى والمرشد وطلت من السندى أن يتتحنى فتتحنى . والموجودين رشحوا بعده ثلاثة ورفع الأمر للمرشد فعرضه على خميس وخميس وقع إختياره على .

وقابلنى بعد كده عبد المنعم عبد الرؤوف وعرض على مسألة الفصائل .

الرئيس - غرقك عبد المنعم ؟

الشاهد - غرقنى واللا ما غرقيش . المسألة انتهت والى حصل إننى انبسط من العملية دى وقلت دى نفتح الجهاز ، والسندى فهم أننا بنسرح النظام والتهم كانت تنهال علينا وواحد مره حط صابعه فى عينى .. وأنا قلت إننى فاهم فكرة الإسلام كويس . وبعدين جاءت بحنة الحل الأول للجماعة سنة ١٩٥٤م وبعدين قابلت إبراهيم الطيب وقلت له إنه ينبغى أن نفهم الفكرة دى فى الإخوان وبدأ الإخوان يدخلون التشكيلات .

أنا عندما أخذت هذه العملية فالمفروض إن الشيخ فرغلى دعانى للجنة وفيها أبو المكارم ومحمود عبده وصلاح شادى وفرغلى قال أنه يعتبر دى هى اللجنة العليا لتنسيق الجهاز فى سبيل الإسلام .

الرئيس - متى كان هذا ؟

الشاهد - بعد الإفراج علينا مباشرة . لأن المدة اللى قبل كده كانت لتصفية النزاع بين المرشد وعبد الرحمن السندى ، وكانت مدة مشاكل وحضرت الاجتماع والشيخ فرغلى قال إن دى هى اللجنة العليا ، وقال إن شغلنا مش مصر بس . وقال فيه قتال فى مراکش وكان عايز

ياخذ صفة للجنة من المركز العام .

واجتمعنا مرة أخرى ولم يحضر أبو المكارم هذا الاجتماع وقالوا كل واحد يقول قوله ويدلى بياناته عن قدرته . ولم اجتمع بهم بعد ذلك وسافرت حتى سمعت خبر طلب إعتقالى .

الرئيس - ماذا كان غرض الجهاز .

الشاهد - الغرض يختلف فى نفسية كل فرد .. يعنى الروح القديمة الى متأصلة فى نفس بعض الأفراد جعلتنى غير مستريح وأنا فى نفسى كنت أحمل معنى أتمنى فيه أن يكون الأفراد يحملون الإسلام حملاً صحيحاً .. وهذا ليس للتهرب . أنا مدان . ولكن الجو كان ..

الرئيس - كنت حاسس إن الجو إيه ؟

الشاهد - جو مش طعم .

الرئيس - جو مش طعم وعندما اتجهتم نحو التسليح للنظام ماذا حدث ؟

الشاهد - كنت اسمع إنى خائن وإنى عايز أسرح النظام .

لا سرية فى الدين

الرئيس - تذكر أيام حسن الهضيبى ما قال لا سرية فى الدين وخرج السندى ؟

الشاهد - مش متذكر .

الرئيس حاول أن تذكر ؟

الشاهد - الهضيبى كان بيقول إن الجهاز مش لازم يكون مع وجود جهاز خاص .

الرئيس - كيف خرج ؟

الشاهد - اللجنة قررت كده .

الرئيس - مش لازم تعرض على الهيئة التأسيسية ؟

الشاهد - اللجنة دى تتحكم فى النظام الخاص .

الرئيس - اللي حضر فيها سابق وفرغلى وخميس وأحمد زكى وانت ؟

الشاهد - أيوه .. ورشحوا ثلاثة واختارونى .

الرئيس - وعلى كدة تبقى تبع المرشد ؟

الشاهد - أmaal أكون تبع نفسى .

الرئيس - يعنى تبع حسن الهضيبى ؟

الشاهد - بإعتباره مرشدا للإخوان لو شالوه وجه واحد تانى أكون تبعه والعرف والسياسة كانت ماشية كده .

تصفية الجهاز

الرئيس - هل طلب منك حسن الهضيبي تصفية الجهاز ؟
الشاهد - لا . يمكن خاف أقول لغيرى من أصحاب فكرة بقائه .

الرئيس - المهم لم يقل لك . مش مهم السبب ؟
الشاهد - لا .. لم يقل لى .

الرئيس - تكلمت مع الشيخ فرغلى عن مظاهرات ؟
الشاهد - المظاهرات المسلحة ؟

الرئيس - أيو إيه الحكاية دى .

الشاهد - فى يوم عبد المنعم عرض خطة من خططه عبارة عن مظاهرة تحميها قوة مسلحة لترد الاعتداء على الأفراد إن حدث .. ويعقبها خطة إغتيالات فأنا حملت هذا رأى للمرشد . وده يمكن قبل حادث الإعتداء بحوالى ١٢ يوم . وكان فى الإسكندرية . وكانت أول مرة أقابله فيها بعد اختفائه . قلت له إن واحد من الإخوان بيعرض مشروع باغتيال مظاهرة مسلحة ترد الإعتداء الذى يقع عليها إذا حدث ، وإن يقوم المسلحون بإغتيال مجلس قيادة الثورة ، فقال لى إسمع يا فلان : أنا بقى لى كام يوم مش مستريح ومسألة الاغتيالات دى والقتل تضر بكم وإذا كنتم تستطيعون القيام بمظاهرة تشترك فيها جميع أفراد الأمة يكون مافيش مانع ، وتعرض الكلام على عبد القادر عودة والمظاهرة تكون مطالبها حرية الصحافة والبرلمان وفرض الاتفاقية عليه وفعلا رحت لعبد القادر وقابلت إبراهيم الطيب .

الرئيس - ما هى الاغتيالات التى قالها لك أنه كان غير مستريح لها ؟
الشاهد - هو نفسه بيتقول إن نفسه غير مرتاحة لحكاية الاغتيالات .

الرئيس - يعنى قوله إن بقى له كام يوم يفكر فى حكاية الاغتيالات . فهل معنى هذا إن كان فيه كلام عن إغتيالات قبل كده ؟
الشاهد - هو وضميره .

الرئيس - وبعدين رحت اللجنة لدراسة الإقتراح ؟

الشاهد - أيوه. قابلت إبراهيم الطيب وإعطيته ورقة يعطيها للاستاذ عبد القادر عوده وبعد يومين قابلت إبراهيم وقال إن عبد القادر عرضها على اللجنة . وبعد يومين قال لى : إن اللجنة غير موافقة . فسألته : هل هو تأجيل أم إلغاء . فذهب وعاد وقال : إنه تأجيل . وبعدين قابلت عبد القادر مرة فى بيته وسألته عن عدم الموافقة على المظاهرة فقال : يا يوسف يستحسن ننتظر شوية .

الرئيس - ما هى مسألة المظاهرة المسلحة ؟
الشاهد - مظاهرات وإغتيال بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة .

الرئيس - الوحشين فيهم ؟
الشاهد - وانت منهم .. مش عايز الكلام الحق .. والله يا شيخ أنا أقسمت يمين على أن أقول الحق . وأنا حسبى إن الله يعرف كل شىء . وكل غلطة عملتها سأقولها .

الرئيس - ما هى الغلطات ؟
الشاهد - عملت حزام وإعطيته لإبراهيم الطيب على أنه وسيلة من وسائل الإغتيالات .

الرئيس - لتفتال من ؟
الشاهد - لم أحدد . والله لو حددت لقلت .

الرئيس - إبراهيم الطيب قال انك اعطيت خطة كاملة لإغتيال جمال عبد الناصر .
الشاهد - جمال عبد الناصر الأول .. لا .. الكلام إنه حين الموافقة على المظاهرات تقوم ويعقبها الاغتيالات .

الرئيس - ما هو غرض المظاهرات ؟
الشاهد - خطة من ضمن الخطط التى يضعها قائد عسكري .

الرئيس - وما القصد ؟
الشاهد - إنت عايز الجد ؟

الرئيس - أيوه .
الشاهد - أنا وجدت نفسى بالنسبة لما صبحت عسكري أوصل الخطط .

الرئيس - وما القصد من الإغتيالات ؟
الشاهد - حسب ما فهمت يتغير الوضع الحالى ؟

الرئيس - ما الداعى ؟

الشاهد - مافيش حريات علشان نتكلم فى جرائد . والمعاهدة كان فيها ناقص شوية حاجات وقت ما عرضها عبد المنعم وأنا كنت مقتنع بكده .

الرئيس - أيه اللى كان ناقص ؟

الشاهد - مثلاً إنه إذا حصل حرب وجه الإنجليز هل سيخرجون وحدهم أو نحن سنخرجهم .. وإستفادتهم بكل المطارات . وبعد كده أنا قرأت المعاهدة وقلت لحسن العشماوى إن المعاهدة فيها حاجات كثير كويسة وده مثلاً خروجهم بعد أى حرب مباشرة واستيلاء الحكومة على كل المرافق وأخذ الرسوم على حاجاتهم وتطبيق قانون الشركات الأجنبية .

المظاهرات

الرئيس - من كان المسئول عن إخراج المظاهرات ؟

الشاهد - عبد القادر مسئول عن إخراج المظاهرة وأنا أحمى المظاهرة بإحضار مجموعة الفصائل .

خطة مهاجمة مجلس الوزراء

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

تلکم عن خطة مهاجمة مجلس الوزراء ؟

الشاهد - فى أول مقابلة بعد هروب عبد المنعم عبد الرؤوف وضع مشروع كبير وطلب ملابس وقال عاوز نعمل هجوم على مجلس الوزراء بملابس عسكرية علشان نعمل تضليل .

وكان عايز يقتحم مجلس الوزراء وهو كان يقول : إدينى قوة وماليكش دعوة . وكان يقول لى إنت مدنى .. وبعد إن عجزنا عن مطالبة سرحت الفكرة دى .. وبعدين جاءت حكاية تانية .. إذ فى يوم رحى البيت وجدته هناك ومعه إبراهيم الطيب وقال : عايزين نرجع للحكاية القديمة وهى مجلس الوزراء ، وقلت له : وماذا تريد ؟ قال : ناس وسلاح ، فقلت له : أحلام . فإبراهيم قال له : عندى السلاح فقال لى : ادخل بقى صلى .

الرئيس - ماذا كان غرضكم ؟

الشاهد - والله أنا كنت أدعو ربنا يوظ كل حاجة !

الرئيس - طيب ربنا إستجاب الدعوة .. وماذا كان الإتفاق الذى جرى بينكم ؟

الشاهد - نشيل الحكومة .

الرئيس - ماذا كان قصد المرشد عندما طلب إخراج مظاهرة ؟
الشاهد - والله أنا فهمت منه حكاية المظاهرة كتبرير للإخوان باعتباره عمل أدته نحو المعاهدة ويكون الإخوان أدوا واجبهم .

الرئيس - والحراسة مالوش دعوه بها ؟
الشاهد - والله دى تدخل فيها عبد المنعم والشيطان .

الرئيس - موجهها كلامه لحسن الهضبي - شفت الجهاز اللى عملته يا مستشار يا قصير الباع .. لماذا لم تحله ؟
المتهم - الحكومة لا تقدر أن تحله .

الرئيس - إحنا نحل أبوه ..
المتهم - ناس غير معروفين .

هنداوى تسرع

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :
قابلت إبراهيم الطيب بعد تسليمه الحزام ؟
الشاهد - إيوه .. قبل الحادثة وكان الحديث علشان عبد القادر بلغ الإخوان عدم إرتكاب اعتداءات وبعد الحادث سألته فقال : أخوك هنداوى تسرع .
الرئيس - تسرع فى التنفيذ . والفكرة موجودة بس الزمن لم يحدد ؟
الشاهد - أيوه .

المنشورات

وتحدث الشاهد عن المنشورات فقال : منشورات بتاع سليمان حافظ بعنوان رأى وزير سابق وواحد باسم محمد نجيب وواحد ثالث كمان وده شفته بعد طبعه .
الرئيس - عندما يضع إنسان اصبعه فى عين آخر لمن تكون المحنة ؟
الشاهد - لمن فقئت عينه . وأنا بشر أنا إنسان مش معصوم وأنا أحكى لك فإذا كان معنى الشر غلب على فالقصاص يأخذ حقه .
الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

صدر عدد من المنشورات بتوقيع حسن الهضيبي فما معلوماتك عنها وهل تعرض عليه المنشورات ؟

الشاهد - بس والتبي طول بالك على شوية .

الرئيس - أكثر من كده ؟

الشاهد - لا . يعني خللي أخلاقك أوسع مننا .

الرئيس - والله أنا لا أكرهك !

الشاهد - تعرف ليه ، لأنني لا أكرهك وأنا طمعان في كرمك أكثر .

الرئيس - طيب حاضر .

الشاهد - الجواب جه ممضي من الهضيبي وأنا سلمته لعبد القادر .. وده جواب مطبوع .. هات أرشيف المنشورات وأنا أطلع .

الأستاذ علي نور الدين (المدعى) :

الدكتور خميس طلب أن توقف نشرة الإخوان ؟

الشاهد - أيوه قابلته في المركز العام وقلت له الواحد محتار أنا عايز أروح فقال لي طول بالك وقال حاجة زي دي إزاي تنزل من غير إذنني : وأن أي حاجة تانية أعرضها على ، ولما أقول لك لا تنزل يعني ما تنزلش ، وتناقشنا في هذا .

الرئيس - من كان يطبع ؟

الشاهد - هذه النشرة أعطيها لإبراهيم وهو طبعها .

الرئيس - من كتبها ؟

الشاهد - مرة أخذنا شوية حاجات من سيد قطب .

ملخص أقوال يوسف طلعت

الرئيس - يعني أنا سأعيد كلامك وإذا كان مضبوط صدق عليه وإلا فاعترض ، إن هناك جهاز سري في الإخوان . والجهاز المصري مسلح وإنه لم يطلب منك حل الجهاز والتشاور عن التنظيم والتسليح كان مع الطيب وعبد المنعم وأحمد حسين ولم تكن تعرض التفاصيل على المرشد وبعدين عملتم خطط والمرشد لم يصدق على الإغتيالات وصدق على المظاهرات وعدت لعودة ثم أصدرتم أوامر للفصائل وهنداوى تسرع :

الشاهد - لم تصدر أوامر .. ده الطيب قال : أخوك هنداوى تسرع .

الرئيس - يعنى تسرع فى التنفيذ ؟
الشاهد - أنا لم إصدار أوامر وإلا قلت .

الرئيس - طيب وبعدين بعد عدم نجاح الخطة إجتماعى وعدت/للخطة الأولى وطلب عبد المنعم رجال وسلاح وملابس بوليس حربى . والجو بتاع الجهاز كان جو مش طعم وكان جو عصابات وروح مش كويسه . والمرشد طلب إزالة الروح دى . والنظام فيه أسلحة .. ده مخالف لقوانين البلد ؟
الشاهد - أيوه .

الرئيس - وما هو حكم الإسلام ؟
الشاهد - أن اسمع قوانين البلد .

مرافعة المدعى : على نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

قضاة الشعب : لقد شاءت إرادة الله - جلّت قدرته - لوطننا العزيز الخير والسلامة - فكان الحادث، المشؤم ، حادث الإعتداء على الرئيس جمال عبد الناصر النذير الذى أظهر لنا هذا الخطر الجسيم الذى كان يترصد بالوطن ليدمره وبالشعب ليشع فيه التقتيل والتخريب ويعود بنا القهقرى مئات السنين .

تلك آية من آيات الله ولا عجب أن يؤيد الله المؤمنين بنصره ويخزل الكافرين . فما بالكم بمن يدعون الإيمان بالله ويقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم . يستغلون دينهم للخداع وغايتهم الحقيقية المنافع والأغراض ووسيلتهم القتل والتخريب والتدمير ، لا عجب إذن أن يجذبهم الله ويكشف أمرهم ، أولئك قد ضلوا طريق الهدى ولن يجدوا لهم ولها ولا نصيرا .

هذه يا حضرات القضاة الجماعة التى يحاكم رئيسها وكبيرها الآن جماعة أراد رجالها وقادتها الوصول إلى كراسى بأى ثمن . فما راعوا ديننا ولا وطننا . فأخذوا فى التفرير باسم الدين الحنيف ليخفوا أغراضهم الحقيقية الإرهابية ، وما زالوا يدبرون ويجهزون حتى سقطت عنه الأقنعة وكشفت حقيقتهم فظهر للجميع واضحاً لا يحتاج إلى بيان .

وسمعناهم ينادون بالشورى ورأينا فى نفس الوقت كيف يطبقون نظام الشورى فيما بينهم فى داخل جماعتهم . وإن أول ما يطلب من العضو هو أن يقسم يمين السمع والطاعة للمرشد حتى يصبح مجرد آلة صماء فى هذا الجهاز المدمر .

إننا لا نتجنى ولا نظلّم يا حضرات القضاة إذا .. إتهمنا هذه الجماعة بالتضليل . تضليل من شأنه أن يودى بالوطن إلى الهلاك والدمار . فبالأسس القريب ضبط مخزن آخر للأسلحة في مدينة الإسماعيلية وجد به ٣ مدافع فيكرز واستن و ١٢ بندقية ومسدس و ١٥٩ قنبلة يدوية و ٥٠٠ كيلو جلجنايت علاوة على آلاف المفجرات والطلقات - هذا المخزن موجود في مدينة بور سعيد في منطقة القتال فلماذا لم يستعمل في وقت المعركة ضد الإنجليز ؟

* المتهم هو المسئول الأول عن الجهاز السرى . والرئيس الأعلى له .

هذه حقيقة لا شك فيها فقد أجمع الشهود وجميع من سئلوا في التحقيق من أعضاء الجهاز وقادته على أن المرشد هو الرئيس الأعلى للنظام السرى الذى يمسك بيديه الخيوط المحركة لأجهزة هذا النظام ، بحيث لا يمكن أن يصدر أى أمر بغير الرجوع إليه وإقراره .

* وذكر الشاهد محمد فرغلى صراحة في شهادته أمام المحكمة أن المرشد بعد أن كان ينادى بوجود حل الجهاز والاسرية في الدعوى عاد واقتنع بوجوب وجود هذا الجهاز وعهد برئاسته إلى يوسف طلعت . كما ذكر يوسف طلعت أن المتهم عندما كلف برئاسة الجهاز لم يطلب منه أن يصفى الجهاز .. قالها الشاهد يوسف طلعت صراحة .

* جاءت أقوال المتهم في القضية ناطقة بحقيقتين : الأولى إن المتهم أقر أمام المحكمة في شهادته أنه يعلم بوجود هذا الجهاز وأن أفرادَه يدربون على إستعمال الأسلحة تدريبات عسكرية مخالفاً بذلك قوانين الدولة .

الثانية - أنه هو الرئيس الأعلى لهذا الجهاز.

إذن فالتهم يقر في هذه الأقوال أن هذا النظام الخاص كان موجودا في الجماعة لعلمه . وإنه عين رئيسه يوسف طلعت ، ولكنه يتنصل بعد ذلك من المسئولية عن أعمال هذا النظام الخاص ، وعن الغرض منه .

* والوقائع المادية - يا حضرات القضاة - تقطع بأن المتهم كاذب وأنه ما أراد إلا التخلص من المسئولية . ولعل ما حدث أخيرا في صدد الخطة التي وضحت للانقلاب حيث سافر يوسف طلعت بعد وضع الخطة إلى الإسكندرية لعرضها على المرشد في مخبئه . قاطع في الدلالة على أن يوسف طلعت رئيس الجهاز لم يكن يأتمر إلا بأمر المرشد . وأن المرشد كان هو الرئيس الأعلى للجهاز الذى يجب أن تعرض عليه كل خطة لإقرارها .

يا حضرات القضاة :

تبين لكم من كل ما قدمنا أن المتهم قد أعد فريقاً من أتباعه في جيش سرى مسلح .

أعده ليشن به حرباً أهلية ضد الحكومة وضد أبناء الوطن المسالمين .. ووضع لهذا الجيش خطة لإشعال هذه الحرب الأهلية . بدأ بتنفيذها فعلا بمحادث الشروع في إغتيال رئيس الحكومة - ولولا لطف الله بهذا البلد الأمين ، لكانت المذابح ، ولكان التقتيل والتدمير ، والتخريب الذى كان حتماً سيعصف بكل مقومات الدولة ، وما وصل إليه الشعب بكفاحه من رقى وحضارة .

وإذا كانت هذه هى النتيجة الحتمية لهذه الجرائم أفلا يكون القصاص العادل لهذا ، هو بتر الأعضاء الفاسدة المخربة من جسم المجتمع . لتطهر البلاد من شرورها ، إننا نطالب باسم الشعب الذى يريد لوطنه نهضة دائمة ، وباسم الملايين التى تريد أن تعيش فى محبة وسلام نطالب قضاة الشعب بتوقيع عقوبة الإعدام على هذا المتهم وعلى من يثبت إشراكه فى هذا العمل الإجرامى .

«إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» .

قضاة الشعب . وفقكم الله .

مرافعة الدفاع : سامى مازن

سيدى الرئيس : حضرات الأعضاء المحترمين :

* إذا كان الأستاذ حسن الهضيبي قدم للمحاكمة فى هذه التهمة الخطيرة والتى هى حسب الوصف الذى أعطاه الإدعاء لها تتصل بإشخاص قضاته فإنه لا يجوز لأنه مؤمن بالإيمان كله أنه برىء مما هو منسوب إليه كما أنه مؤمن بأن القاضى إذا جلس مجلس الحكم انقطع ما بينه وبين الناس واتصل ما بينه وبين الله الحكم العدل القدير المتعال .

فالقضاة عبادة . وإذا كنت أريد أن أستهل مرافعتى فلم أجد خيراً لاستهلالها من أن أشهدكم وأشهد الله بأن حسن الهضيبي أشد الناس إستنكاراً للجريمة .

* عندما قامت هذه الدعوة لقيت إقبالاً وإستجابة منقطعة النظير وعلى حد ما قالته جماعة كبار العلماء فى هذا الأمر إن الجماعة كانت موضع إرتياح من الناس وإجتذاب جمهرتهم وهذا كان أمراً طبيعياً لأن النفوس إذا غلبها الشر أول ما تفرع إلى الدين وإذا ما غلبت على الناس شقوتهم وطغت المادية عليهم لا يجدون مخلصاً إلا بالروحانية لتسموا نفوسهم .

وكان منهاج الجماعة هو الذى دعا إلى إنشاء هذا النظام لأن المرشد حسن البنا رحمه الله حين أراد أن يبين وسائل الجماعة فى الوصول إلى هذه الأهداف قال فى رسالة له إن الخطب والدروس لم تجدى نفعا ولكن للدعوات وسائل لا بد من الأخذ بها وهى الإيمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل .

وقد فكرت طويلا فى معنى التكوين الدقيق حتى عثرت على حكم صدر من محكمة القاهرة الجنائية تعرض فيه لمعنى التكوين الدقيق فى حادث السيارة الجيب ولقيت فى هذا عجباً لأن التنظيم الدقيق الذى أعد فى هذا النظام الخاص كان استثنائياً عجيباً يبدأ بأمور هى غاية من الأهمية ، فمثلا الدعوى التى كانت أمام محكمة الجنايات المتهمون فيها قدموا بتكوين نظام متصل وهو ما عبر عنه بالتكوين الدقيق . وقال الحكم فى هذا الصدد كيف يكون التكوين ؟ فقبل أن الشخص يتعرف على إخوانه ويجلس معهم عشرات الجلسات ثم تبدأ مرحلة ثانية فثالثة تنتهى إلى إعداد الأشخاص إعدادا خاصا حتى يتحملوا عبء الجهاد وعند بحث الموضوع أمام محكمة الجنايات وجد كيف أن هؤلاء الأشخاص الذين يسمون بالمكونين يصلون إلى اغفاضهم فى تهيئة الشباب للوصول بهم إلى أغراضهم .

* كان المطلوب أمام محكمة الجنايات أن تصل المحكمة إلى سر هذا النظام حتى يمكنها إيقافه ، ولكنها لم تصل ولم تستطع تحقيق هذا الغرض ، ومرد هذا إلى النظام الدقيق السرى الذى يحتفظ كل فرد فيه بسريته حتى أن من يبيع السرية تقع عليه عقوبة الأعدام .

* الهضيبى كان من رآيه العدول عن النظام كلية وأنه يكتفى فى شأن التدريب الذى كات الحاجة ما زالت ماسة إليه إذ كان العدو ما زال جاثما على صدر البلاد . وفريق آخر رأى أن يبقى الجهاز حتى يعاون الدول العربية ولكن بصورة تبعد عنه الإرهاب .

ولكن قيل أن المرشد عين يوسف طلعت .. وقد قال يوسف طلعت هنا أن مأموريته كانت تصفية الجهاز أو بالأقل نزع الروح الشريرة منه . وفعلا شكلت لجنة لهذا الأمر ووضع نظام كفيل لجعل الجهاز يقوم بمجرد عمليات تدريب أو تفهيم للأعضاء .

وقد ذكر السيد الرئيس أن الجهاز إذا أصبح بهذه الكثرة واصبح كل فرد مسلحاً فإن الأمريكيون أخطر مما كان .. وهنا أود أن أشير إلى أن هذا الوضع حين حدث فى سنة ١٩٥٣م كان الأمر بيننا وبين الإنجليز من غير حل وكان الموقف يهيب نفوس الأمة كلها للجهاد والإخوان لم يخرجوا عن كونهم نفرا من هذه الأمة ، وعلى ذلك فبقاء الهيئة كان لها غرض . وكان الغرض معروفا وكل ما كان يجب أن يجرى حوله البحث هو أن ترتفع

السرية . والسرية كما قلت عبارة عن تكوين اتصالات وجلسات .

* قالوا أنه تكلم مع يوسف في شأن مظاهراته ، وما دام الأمر كذلك فلو كانت المظاهرة سلمية ولو كان المرشد خير يوسف طلعت من أى عمل إجرامى والمظاهرة لم تقع إلا أنه كان من الممكن أن تقع المظاهرة وكان يمكن أن تكون مسلحة ويقع إلتهام يؤدي لنتائج ومعارك ، هذه النتائج المفترضة والإلتهام الموهوم يتحمله الهضبي ويقال إنه وضع خطة لقلب نظام الحكم .

يقول المدعى أن رئاسة المرشد للنظام لا بد أن يعلم كل الحوادث التي يرتكبها الجهاز ، لماذا الإفتراض ؟ جماعة بها عدد وفير من الناس جاء شخص منها وشذ عن تعاليمه فهل لا بد أن يتحمل المرشد كل نتائجه ؟ هذا كلام لا يستسيغ المنطق وأركان الأفعال في مجموعها يعوزها الدليل . بل منقوصة لا أساس لها .

هل حسن الهضبي معارض للثورة متعارض معها لا .. أنه منذ أول يوم خرجت منه جميع التصريحات لتأييد الثورة التأييد الكامل لأن هذه الثورة يجب على كل إنسان أن يؤيدها . خلقت مصر خلقا جديدا . وقف كل موقف فيه معانى التأييد الكامل .

تعقيب حسن الهضبي

وهنا طلب المتهم أن يتكلم فقال :

* مسألة الجهاز دى بعد محاكمة السندى أمام ، الجنائيات سألت عن موضوع الجهاز ووجدت السندى واضع يده على الجهاز فقالت له ، يا سندى دلنا على أشخاص النظام وسلاحهم فقال اللي كشفته الحكومة واحنا حاولنا أن نعرف منه مسألة السلاح والأشخاص فلم نتمكن ، وشهد الشهود أنه كان يريد أن يسير الجماعة فى إتجاه خاص وفى هذا الظرف كان لى أن أقول إنى لا أعرف مكان السلاح أو أفراد النظام بعد قول السندى لى هذا . والسلاح لم يكن لشخص لمثلى معرفته ولا الأشخاص الذين تكون منهم النظام .

وأنا كنت أصبت بنشل نصفى والأستاذ سامى جاب شهادة من الدكتور المفتى تدل على حالتي . وهذه الشهادة الطبية .

وقرأ الأستاذ سامى ما زال ما جاء بالشهادة :

«أشهد إنى توليت علاج السيد الهضبي فى سنة ١٩٥١ من شلل نصفى وهذه الإصابة سببت له ضعفا فى الذاكرة» .

وأنا لما قبلت منصب المرشد قلت لهم أنا لا أقدر أن أباشر كل الأعمال وقد وجدت أنه يستحيل على أن أعمل مثل المرحوم حسن البنا لأنه هو كان مشرف على الجهاز بنفسه ، وأنا كلفت مباشرته الأستاذ عبد القادر عوده . وأنا لم أجد بدا من طرد السندى ولجأت لمكتب الإرشاد . وعندما عرض فرغلي إختيار أحد الإخوان يكون قريبا من الجهاز وينفذ خططه وعلى ذلك مكتب الإرشاد أقصى السندى وعين ثلاثة مشرفين على النظام عن طريق الشيخ فرغلي ، واللجنة كانت من حسين كمال الدين وكمال خليفة والشيخ فرغلي ، وأنا تركت العمل للدكتور خميس .

* وأنا والله لا أعلم عن هذه التنظيمات أى شىء ولا أدري عنها شيئا . وإحنا جب يوسف ليسير بالنظام نحو التصفية ، ولو كنا خلينا النظام ده ماكنشى يؤدى بنا لشيء ، ولكن قلنا إننا نفتح الباب وده يؤدى للتصفية وأنا والله العظيم برىء من هذه التهمة ولم أعلم بهذه الجريمة ولم آمر بها ولم أعمل لها ولم أسمع بها إلا ثانى يوم الحادثة الساعة ٨,٣٠ من الصحف والله على ما أقول شهيد .

تعقيب الإدعاء

وعقب على نور الدين المدعى العام على مرافعة الدفاع فقال :

* شاء الدفاع أن يشوش الحقائق لينتهى إلى عدم مسئولية المتهم مع أن الأدلة كلها ناطقة بأن المتهم هو المسئول بحكم وصفه الرئيس الأعلى للجهاز السرى الذى أعده للإنتقلاب .

* نحن نحاسب المتهم الآن عن الإنحراف بالدعوة والتستر على أغراضها الإجرامية . وقد تبرأت الدعوة منه ومن جماعته يوم أن انحرف بالدعوة وإتخذها ستارا للوصول إلى مآربه الشخصية والوصول إلى كراسى الحكم .

* لا يمكن أن يقال إن الجماعة للدين فقط وبعيدة عن الحكم ، ويرر تكوين جيش سرى مسلح فى داخل الدولة ويستند فى حكم صدر فى قضية السيارة الجيب وأنا بصفتى أحد أفراد الأسرة القضائية لا أتعرض للحكم ولا أقول أن أحد أعضاء المحكمة أصدرته وهو الأستاذ أحمد كامل قد انضم لجمعية الإخوان بمجرد إحالته إلى المعاش .

* جاء بالحكم الذى أصدرته محكمة الجنايات إن جماعة الإخوان تقوم على أساس تكوين نظام سرى ولذلك فههدف الجمعية تكوين جيش وقال الحكم أن النظام السرى كان متصورا به العبث بالأمن العام عن طريق الاغتيال لتحقيق أهداف قيادة الإخوان .

* الإتفاق الجنائى جريمة فى القانون ومجرد الإتفاق معاقب عليه سواء وقعت الجريمة أم لا ، وبعد ذلك يقول الدفاع إن الاتفاق الجنائى لا يقع إلا إذا كان هو مرتكب الجريمة .

* مسئولية المتهم فضلا عن رياسته للجهاز السرى وإشتراكه فى الإتفاق الجنائى هو المنظم له والمادة ٩٨ من قانون العقوبات تنص على هذا ، ونحن هنا فى وضع غير عادى والقوانين العادية موضوعة لغير هذه الظروف ونحن الآن أمام جيش سيقوم بحرب أهلية . فهل نشنق محمود عبد اللطيف ونترك هؤلاء فى الخارج ؟

* القضاء يبرأ من الهضيبي ومنصبه كمستشار سابق يضاعف من مسئوليته مما كان يجب ألا ينحدر إلى هذا المستوى الإجرامى الذى وصل إليه .

الحكم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المتهم حسن إسماعيل الهضيبي شنقا .

تصديق مجلس قيادة الثورة

« طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على المتهم حسن إسماعيل الهضيبي على مجلس قيادة الثورة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ فخففه المجلس إلى الأشغال الشاقة المؤبدة وذلك لأن المجلس - كما صرح الصاغ صلاح سالم - رأى إن المتهم ربما يكون قد وقع تحت تأثير المحيطين به من أعضاء الجماعة ومما يساعد هذا رأى مرضه وكبر سنه » .

(٢) ملخص التحقيقات مع يوسف طلعت

محضر الجلسة الثامنة عشرة لمحكمة الشعب

المنعقة علنا في الساعة العاشرة والرابع صباحا بمقر قيادة الثورة في الجزيرة يوم السبت ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٧٤هـ) .

المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائممقام أنور السادات أ . ح حسين الشافعي عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى محمد التابعى والاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٣ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها يوسف عز الدين محمد طلعت .

حضر المتهم .

الرئيس - المتهم موجود ؟

البكباشى محمد التابعى (المدعى) :

المتهم موجود والقضية جاهزة .

الرئيس - يوسف عز الدين محمد طلعت .

المتهم - أيوه يا أفندم .

الرئيس - الإدعاء المقام عليك :

أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن .. وذلك لأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولا : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض مه إحداث فتنة دامية بوضع خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق وارتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .



يوسف طلعت
قائد الجهاز السرى العقل المدبر لحادث ١٩٥٤

ثانياً : أدار جهازاً سرياً مسلحاً مخالفاً بذلك قوانين الدولة .

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - فيه حاجات مذنب فيها وفيه حاجات مش مذنب فيها .

الرئيس - قول اللي عايز تقوله . إيه الحاجات المذنب فيها وإيه الحاجات اللي مش مذنب فيها ؟
المتهم - أولاً أنا مذنب لأن كان لازم أسلم الحاجات قبل أن يقبض على ...

الرئيس - أنا باقول لك الآن تقول مذنب في أى حجة ومش مذنب في أى حجة .. أدار جهازاً سرياً مسلحاً مخالفاً بذلك قوانين الدولة .

المتهم - أنا اللي ادرته !! هم حطوني عليه ... والله دى مصيبة وانحطت على .. مصيبة حطوني فيها ولا شك القانون لا يسمح لذلك .. أمرى إلى الله ..

الرئيس - مذنب أو غير مذنب !؟

المتهم - مذنب .. لاني ماقلتش وقبلت .

الرئيس - أدار مع آخرين إتفاقا جنائياً . يعنى إنكم إتفقتم على بهدلة .. فيها دبح وتقتيل .
المتهم - لى كلمة في الحجة دى .. أولاً مسألة القتل والحاجات دى كلها .. كنت في الحقيقة أجارى عبد المنعم عبد الرؤوف في كلامه . والدليل إنك لا تجد في كلام أى واحد منهم إن فيه خطة إنتهينا إليها أبداً .. في الحجة دى أعتقد إن شاء الله حاطل مش مذنب فيها ...
(ضحك) في حجة القتل دى مش مذنب .

الرئيس - طيب .. مش عايز واحد محامى ؟

المتهم - لا .

الرئيس - ليه ؟

المتهم - قلبى .. أنا يعنى حاسس إن اللي ربنا يجيبه على لسانكم راضى به والمحامى حيمنع قضاء ربنا يعنى ؟ أنا حقول اللي في نفسى وإنتم تفهموه وأنا راضى .

الرئيس - ليه مش عايز محامين ؟

المتهم - ما باحبش محامين .. أصلى فاكر إن ربنا حيحاسبهم يوم القيامة لأنهم يدافعون عن ناس أحياناً بالباطل .. (ضحك) .

الرئيس - يعنى إنت حتدافع عن نفسك ؟

المتهم - حاقول الحق وبس . المسألة مش إن الإنسان يقول الحق وإنتم حضراتكم تحكموا ؟
والا حد تانى حيحكم !؟ مش حضراتكم حتحكموا ؟ أنا راضى .

الرئيس - شوف يا يوسف فتح ودانك دلوقت للكلام اللى حيقوله المدعى .. واعطيله ورقة وقلم يكتب فيها النقط (موجهها كلامه للمدعى) كل نقطة عايز ترد عليها فأخذ مذكرة بيها وفي الآخر ترد عليها .

المتهم - حاضر .

وهنا وقف الاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب يقول كلمة الإدعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى مصطفى الهلباوى

بالأمس قدمنا مرشد هذه الجماعة وقائدها الأعلى :

واليوم نقدم لكم الرجل الثانى فى هذه الجماعة أو العصابة المسلحة .. هذا الرجل الذى كان بالأمس نجارا فأصبح اليوم الجزار والجلاد وصاحب مصنع الموت فى هذه العصابة . وكل مؤهلاته قدرته على التدبير الإجرامى المتعطش إلى الدم الساخن . هذا العطش الذى جعل قلبه يخلو من كل ذرة من ذرات الشفقة أو الرحمة أو الدين هذه القدرة التى جعلته يشكر هذا الحزام الناسف الذى كنا نقشعر جميعا ونحن نستمع إليه .

* اعترف المتهم صراحة وحتى اليوم أنه الرئيس السرى المباشر للنظام السرى والمسئول عنه فى جميع أنحاء البلاد .

* وقرر المتهم اليوم أنه مذنب فى الإدعاء الثانى وهو الخاص بإدارة الجهاز .

* اعترف بأن خطة الاغتيالات الشاملة وحوادث التخريب والتدمير قد تم الاتفاق عليها فى منزل أخيه بشبرا بينه وبين عبد المنعم عبد الرؤوف وإبراهيم الطيب . وقد قال إن الخطة هو المسئول عنها وأنه أصدر أمره لإبراهيم الطيب بتنفيذها وإبلاغها للمناطق .

* قال إنه كانت هناك خطة لإقتحام مجلس الوزراء بعساكر يرتدون ملابس البوليس الحربى لإغتيال الرئيس وإنه كلف الصول بركات بشراء أربعين بدلة.. كما اعترف بأنه أعد الحزائب الناسف وسلمه للطيب .

* اعترف أن الجهاز السرى محالف لقوانين الدولة بل ومخالف لأحكام الإسلام . ومع ذلك يعترف بأنه إشتري للجهاز خمس مدافع استن .

* هذه هى إقرارات المتهم وهى كافية للإطاحة بعنقه .

* أناشدكم وأطالبكم باسم الشعب أن تطهروا أرض الوطن من مثل هذا المتهم الذى
ما فعل ولم يندم على ما فعل .

وعقب ذلك وجه الرئيس كلامه للمتهم :

الرئيس - نجيب محامى تقول له اللى إنت عايزه وهو يتكلم عنك ؟
المتهم - مش عايز حاجه خالص .. توكل على الله يا شيخ .

الرئيس - كل اللى عايز تقوله قوله .

مرافعة المتهم يوسف طلعت

* أولا يا حضرات مسألة النجارة مش عيب لأن دى صناعة سيدنا نوح وسيدنا يوسف
ومسألة تعطشى للدم فأنا خبطت فى منزل كان فيه ستن وبه مدافع فلو كنت كذلك للدفعت
عن نفسى ولكن يعلم الله أننى أفهم معنى الإنسانية وكان فى يدى سلاح ولكن ضميرى
وقلبى لم يسمح لى باستعمال أى شىء . والحقيقة إنى كنت عايش فى الجهاز فى رعب
وتهديد .

* ومسألة الحزام ده حتى الآن ناقص ولا أحد يعرف الشىء الناقص فيه ولن أقول السر
فى هذا إلا بينى وبينكم . حتى لا يستعمله ابن حرام .

* بعد السندى أنا وجدت الجو مهيئاً لتصفية النظام ولكن كان فيه ناس جعلونا نعيش
فى رعب بخجة المحافظة على التراث وهو الجهاز لفكرة الجهاد ومسألة الاغتيالات لا أحد
يقول إننى دبرت هذا ، وأنا سافرت الاسكندرية وقابلت عبد المنعم عبد الرؤوف وقلت
له على مسألة المظاهرة الشعبية من جميع الطوائف التى قال عنها المرشد ، فأنا قلت له
هذا فقال : إنهم يحصدوهم فى كل ناحية بالرصاص . فقلت له : أنا أرسلت لعبد القادر
عودة ولم يحضر بعد .. وبعدين عبد الرؤوف قال الخطة بتأعت الاغتيالات فأنا قابلت
إبراهيم الطيب .. وقلت له : اسأل الأستاذ عبد القادر . فعاد إلى وقال : إنه غير موافق
على المظاهرة وأنا والله وكتاب الله أنا لم أقل لإبراهيم الطيب خد خطة ونفذها وأنا كل
اللى حصل إننى بلغته إن فيه خطة وضعها عبد المنعم عبد الرؤوف .

* وبعدين جانى إبراهيم بعد الحادث وقلت له : إيه يا إبراهيم ؟ فقال لى أنه ذهب لهنداوى
فوجده سافر، فذهبت إلى منزل بالروضة وجلست به خمسة أيام وحدى ، وبعد ذلك رحت
بيت فى السيدة قال لى عليه إبراهيم الطيب فقابلت عبد المنعم عبد الرؤوف فقال لى :

إيه يا يوسف الشغل ده ؟ فقلت له : لعله خير . وبعدين عرض فكرة إقتحام مجلس الوزراء بملابس عسكرية . فقلت له : تفاهم مع إبراهيم . فسأله إبراهيم عن السلاح ، فقا له : عندي . وسأله عن الرجل فأجابه ، وبعد ذلك فقال لى : ادخل انت صلى . فقلت له : مش أقعد اتفاهم معاكم ؟ فقال : لا ده مش إسلام ده فن وعسكرية .. ادخل صلى .. وبعدين أنا أخذت على خاطرى وبكيت .

الرئيس - إنت تكلمت ودافعت عن نفسك ولكن أنا أرى أنه ليس كافيا ، ولذلك قررنا استحضار محام لك .
المتهم - مش عايز .

الرئيس - لا .. المحكمة ملاحظة إن المتهم غير طبعى لا سيما وقد سمع الإدعاء يطلب إعدامه ودى مسألة طبيعية . نجيب واحد يشرح كلامك .

دوقررت المحكمة إنتداب الأستاذ أحمد لطفى حسونه للدفاع عن المتهم والمحكمة رأت أن الأستاذ لطفى وقد حضر جميع جلسات القضية يمكنه تولى الدفاع عن المتهم .

مرافعة الدفاع لطفى حسونة

الأستاذ لطفى حسونة :

أنا مستعد للحضور . ولكنى أريد أى أجل للاطلاع ويكفينى ساعة لمناقشة المتهم فى بعض النقاط .

تم ترافع الاستاذ لطفى حسونة . وهذه مقتطفات مما قاله :

* إن المتهم الذى شرفتمونى للدفاع عنه لم يتقدم لكم ليقول أنه مجنون أو منوم ولكنه كما لاحظتم حضراتكم اعترف منذ الدقيقة الأولى للقبض عليه بكل ما يعرفه وسهل للأداة الحكومية أن تضع يدها على عناصر الشر .

* يوسف طلعت جاء اليوم واعترف والمتهم الذى يعترف ويدلى بما أعنهد لابد أن يكون هذا الإقرار أقرب إلى الحقيقة عنه من المتهم الذى ينكر كل شىء .

* وقال : إنه لم يتلق أمرا من أحد بحل الجهاز واعتقد أنه موجود على رأس الجهاز لتصفيته ولكنه دخل فى نفسه الرعب لا سيما بعد قتل السيد فايز . وحاول الإتجاه بالجهاز الإتجاه

السليم ولكنه للأسف لم يتلق أمرا من المرشد بحل الجهاز وكان تحت ضغط وإرهاب حتى أصبحت يده مشلولة . في الجهاز ، وأصبح الاشراف الخميس وفرغلي وأمثالهم وخرج الزمام من يده .

رجل جاي في بساطة يقول كل ما في قلبه وحضراتكم تقدررون إنه رجل اشترك في جهاز خطير كهذا وفي جمعية إجرامية كهذه وقدرروا الظروف المحيطة به واخلكموا بما ترون أنه العدل والله يوفقكم .

المتهم - تسمحوا لي أشكره ثم وجه الشكر للاستاذ لطفى حسونة على دفاعه عنه .

الرئيس - عايز تقول حاجة ؟

المتهم - لأ .

«رفعت الجلسة حيث كانت الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة» .

الحكم

في الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المتهم يوسف عز الدين محمد طلعت شنقا

تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها وقد عرض الحكم الصادر على المتهم يوسف عز الدين محمد طلعت على مجلس القيادة في يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق المجلس على الحكم» .

التنفيذ

في تمام الساعة الثامنة والنصف من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على يوسف عز الدين محمد طلعت حيث أعدم شنقا بسجن الإستئناف .

(٣) ملخص التحقيقات مع هنداوى دوير محضر الجلسة التاسعة عشرة لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا فى الساعة العاشرة والدقيقة العشرين صباحاً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة
يوم الإثنين ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٣ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ) .

المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م
(الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية
القائمقام أنور السادات والبكباشى أ . ح / حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى إبراهيم سامى جاد الحق المدعى والاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل
النائب العام عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

«قدمت القضية رقم ٤ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من هنداوى
دوير وإبراهيم الطيب» .

«حضر المتهم هنداوى دوير» .

الرئيس - المدعى .. المتهم موجود ؟

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) :

المتهم موجود والقضية جاهزة يا افندم .

الرئيس - المتهم هنداوى سيد أحمد دوير .

المتهم : أيوه يا فندم .

الرئيس - الادعاء المقام عليك :

أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن ، وذلك لأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر
سنة ١٩٥٤م وما قبله بمدينة القاهرة والإسكندرية :

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقا جنائيا الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة
بوضع خطة شاملة للقيام بإغتيالات واسعة النطاق ، وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة
وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد ، تمهيدا لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد
الحكم بالقوة .



المحامي أحد القادة المدبرين لحادث ١٩٥٤

ثانياً : أدار جهازاً سرياً مسلحاً مخالفاً بذلك قوانين الدولة ...

فهل أنت مذنّب أو غير مذنّب ؟

المتهم - غير مذنّب .

الرئيس - غير مذنّب فى أولاً وثانياً ؟

المتهم - إن شاء الله .. أنا يعنى مدين فى واقعة واحدة ، وهى واقعة حمل المسدس فترة معينة وإدبته لمحمود عبد اللطيف .. أما غير هذا .. لا ..

الرئيس - مش جايب محامى يا هنداوى ؟

المتهم - لا يا أفندم .. أنا أصلى محامى .

الرئيس - إنت يا هنداوى عايز تجيب شهود ؟

المتهم - لا يا أفندم .. أنا ما عنديش شهود .

وهنا وقف الاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب» .

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

* المتهم هنداوى ظهر إسمه على لسان المتهم محمود عبد اللطيف عقب القبض عليه بعد حادث محاولة اغتيال الرئيس جمال وقال لمحمود عبد اللطيف إن الذى أمره بإرتكاب الحادث هو هنداوى رئيسه فى الجهاز السرى .

وهنا بالتدريج ظهر المتهم وظهر أمر الجهاز بالتدريج سواء كان تصاعدياً أن تنازلياً وانتهينا إلى تبيان نظام الجهاز السرى وكيف تصدر الأوامر إليه .

* وأقول : أن هنداوى كان - فضلاً على أنه عضو أو رئيس فصيلة فى الجهاز السرى - فقد كان له دافع خاص من نفسه هو التعطش إلى إرتكاب الجرائم . ولم تحل ثقافته العالية - وقد بلغ فيها مدى واسعاً حتى صار محامياً - لم تردعه هذه الثقافة وأبى إلا أن يكون فى ذاته عاملاً أساسياً من عوامل الإرهاب والتخريب والإغتيال

* هنداوى دوير رئيس فصيلة إمبابة فى الجهاز السرى ولم يكتف بذلك وإنما كون من هذا الجهاز السرى فى إمبابة بالذات خلية خاصة ترأسها هو وجعل فيها عضوين هما سعد حجاج ومحمود عبد اللطيف لتكون هذه الخلية الصغيرة أداة إرهابية خطيرة .

* هنداوى دوير رئيس فصيلة إمبابة فى الجهاز السرى كان مرؤوسا لإبراهيم الطيب رئيس الجهاز السرى فى القاهرة الذى رأى إختيار خلية إمبابة لإرتكاب الحادث نظراً لنشاط هنداوى .

* اعترف هنداوى بأنه تلقى الأمر باغتيال الرئيس جمال عبد الناصر من الطيب وأنه تلقى منه السلاح وسلمه لمحمود عبد اللطيف ثم مونه بالتقود والطلقات وترك الأمر لمحمود ليختار طريقة تنفيذ الأمر

* اعترف هنداوى بأنه قال لمحمود عبد اللطيف أن له إختيار خطة الاغتيال . كما اعترف بأنه لما أخذ الحزام الناسف من الطيب عرضه على محمود عبد اللطيف ومحمد نصيرى وقد رفضا استخدام الحزام .

* وفشلت الخطة فلجأ المتهم إلى الهرب مع حرمه إلى المنيا ليدبر أموره ولما وجد أن محمود ذكر اسمه سلم نفسه للبوليس .

ويقول هنداوى أنه سلم نفسه لخدمة العدالة . وهذا غير صحيح لأن هنداوى بعد أن سلم نفسه ووجه بأقوال محمود عبد اللطيف وناقشه المحقق فى حوالى عشرين صفحة كان هنداوى يصر على الإنكار ولم يعترف إلا بعد مواجهته بسعد حجاج .

* ولو بقى هنداوى دوير لما بقى الاستقرار . إن الشعب يريد أن ترسموا له خطة الاستقرار فإذا ما أخذتكم الرأفة فلتكن بالشعب وحياة المتهم إزاء حياة الشعب لا تساوى شيئاً ، وإنى مصر ومصمم على طلب الإعدام .. وفقكم الله .

مرافعة المتهم هنداوى دوير

وترافع هنداوى دوير عن نفسه فسرد عدة وقائع عن نشاطه وتكليف المرحوم حسن البنا له بدخوله إلى معسكرات الجيش الإنجليزى فى التل الكبير . ومعرفة أماكن السلاح البريطانى وذكر أنه وضع فيها شنطة مفرقات وكانت الخسارة بين عشرة وخمسة عشرة مليون جنيه .

* زى المدعى العام ما شرح محمود عبد اللطيف أخذ المسدس منى . ده صحيح والحقيقة إنى قلت لمحمود عبد اللطيف : بلاش يا محمود ما تروحش ولكن هو راح .

الرئيس - ده يخالف ما جاء فى إعتراقاتك إنت قلت له مافيش داعى يا محمود طول بالك .

هو قال لك : لا ... فأنت قلت له : توكل على الله .
المتهم - الفقرة الأخيرة لا أذكرها .

الرئيس - الفقرة الأخيرة دى فى إعتراقاتك فى التحقيق وفى المحكمة هنا .

* وإذا قام إنسان لمحاربة الإنجليز وإنضم لجهاز سرى ثم انحرف بعض أفراد الجهاز لإرتكاب الجرائم فاللوم على الذين انحرفوا . وأنا لم انحرف .

* وزى ما قلت لحضراتكم أنا فى معنى الإستفادة من تسليم نفسى للسلطة المختصة وتسليمها الأسلحة ، أنا قمت بهذا واجبا على ولا أريد له ثمننا . وأنا قمت بهذا كواجب أشعر به كل الشعور وإلا لهربت . لذلك فأنا أضع نفسى بين أيديكم مطمئنا إلى عدالة المحكمة والله ولى التوفيق .

«ورفعت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة صباحاً»

(٤) ملخص التحقيقات مع إبراهيم الطيب محاكمة إبراهيم الطيب

بعد الإنتهاء من سماع مرافعة المتهم هندأوى دوير عن نفسه رفعت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة صباحا للإستراحة ثم أعيدت الجلسة فى الساعة الثانية عشرة إلا ربعا حيث قدمت قضية المتهم إبراهيم الطيب .

« حضر المتهم إبراهيم الطيب » .

الرئيس - المتهم موجود ؟

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) - أبوه يا فندم موجود .

الرئيس - المتهم إبراهيم الطيب إبراهيم صقر .. الإدعاء المقام عليه :

أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله بمدينتى الإسكندرية والقاهرة :

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقا جنائيا الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة بوضع خطة شاملة للقيام بإغتيالات واسعة النطاق وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيدا لأستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .

ثانياً : أدار جهازا سريا مسلحا مخالفا بذلك قوانين الدولة ..

فهل أنت مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - عاوز شهود يا إبراهيم ؟ وعاوز محامى ؟

المتهم - لا يافندم متشكر . أنا محامى وحدافع عن نفسى .

وهنا وقف الاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

* أقدم لكم إبراهيم الطيب ..

فهو المسئول عن الجهاز السرى فى منطقة القاهرة ولقد سألنا الكثير من أعضاء هذا الجهاز فاجتمعت أقوالهم واجمعوا على أن إبراهيم الطيب هو القوة البارزة فى منطقة القاهرة وهو المحرك للجهاز .

وقد اعترف المتهم بأنه رئيس منطقة القاهرة . وقد تجاوز نشاطه وتأثيره إلى أبعد من ذلك ، وقد قال يوسف طلعت أن إبراهيم الطيب اشترك إشتراكاً فعلياً فى المؤامرة الكبرى لقلب نظام الحكم التى دبرها المسئولون فى الجماعة ، ثم أخذ على عاتقه أن يقوم بتنفيذ قرارات القيادة فبادر إلى تجهيز العدد والعدد من الرجال والسلاح .

* والمتهم اعترف أمامكم بأنه سلم الحزام الناسف إلى هندأوى ثم اعترف بأنه احضر المسدس وأعطاه لهندأوى دوير وكان المتهم يستحثه ويؤكد له أن المرشد هو الأمر بالخطة .

* وشهد فتحى البوز أمامكم بأنه قابل إبراهيم الطيب قبل حادث محاولة اغتيال الرئيس جمال وفاتحه فيما وصل إلى الفصائل من أوامر وتناقشا . وصارحه إبراهيم الطيب بأن مسألة اغتيال جمال عبد الناصر قد تقرر ولا تناقشنى فيها .

* قال تعالى : « من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وأنا باسم الشعب أطالبكم بإعدام هذا المتهم بالحزام الناسف الذى أراد أن ينسف به جمال عبد الناصر .

وفقكم الله ووقى البلاد فتن هذا المتهم وأمثاله .

الرئيس - المتهم حثدافع عن نفسك ؟

المتهم - إننى مكتفى بما سبق أن أوردته فى الجلسة السابقة وما قلته فى التحقيقات . وأفوض أمري إلى الله .

الرئيس - المحكمة مصرة على أن تسمع دفاعك .. فأما أن تعيد كلامك أو تقوم المحكمة بانتداب محامى لك .

المتهم - أنا ممكن أخصها .

مرافعة المتهم إبراهيم الطيب

وكان دفاع المتهم قصيراً وهذا أهم ما فيه :

* ما قمنا به وما أعددنا له إنما كان يهدف أول ما يهدف إلى تحقيق الأهداف التي قامت عليها الثورة وهي كفالة الحريات وإقامة حكم نيابى سليم من الشوائب التي لوثته في الأزمنة السابقة . ومن ناحية أخرى إطلاق الحريات وبخاصة حرية الصحافة وهذه كما تعلمون هي المطالب التي قامت لها الثورة منذ اللحظة الأولى .

* وهذه المطالب هي التي دفعتنا إلى ما قمنا به حقيقة أننا كنا نعمل في جانب معين وكان عملنا إجتهدا والإجتهد يحتمل الخطأ ، فإذا كنا أخطأنا فهذا ما يتعرض له المجتهدون ، وأفوض أمري إلى الله .

«رفعت الجلسة في الساعة الثانية عشر ظهراً» .

الحكم

في الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المتهمين هنداوى سيد أحمد دوير وإبراهيم الطيب صقر شنقا .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الاحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها ، وقد عرض الحكم الصادر على كل من المتهمين سيد أحمد دوير وإبراهيم الطيب صقر شنقا على مجلس القيادة في يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق المجلس على الحكم .» .

التنفيذ

في تمام الساعة التاسعة من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على هنداوى سيد أحمد دوير حيث أعدم شنقا بسجن الاستئناف .

ونفذ الحكم الصادر على إبراهيم الطيب صقر شنقا في تمام الساعة التاسعة والنصف من نفس اليوم حيث أعدم شنقا بسجن الاستئناف .

(٥) ملخص التحقيقات مع

عبد القادر عودة

حسين كمال -

محمد كمال خليفة

محضر الجلسة

الحادية والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين مساء بمقر قيادة الثورة في الجزيرة ، يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٧٤) .
المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ،
(الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .
والمشكلة برياسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية
القضاء أم أنور السادات ، والبكباشي (أ . ح) حسين الشافعي عضوى مجلس قيادة
الثورة .

وبحضور البكباشي إبراهيم سامي جاد الحق المدعى ، والاستاذ عبد الرحمن صالح
وكيل النائب العام ، عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

« قدمت القضية رقم ٦ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من عبد القادر
عودة وحسين كمال الدين خليفة » .

« حضر المتهم عبد القادر على عودة » .

الرئيس - فتحت الجلسة ، المتهم موجود ؟

الاستاذ عبد الرحمن صالح (المدعى) :

المتهم موجود يا أفندم والقضية جاهزة ..

الرئيس - عبد القادر على عودة ..

الإدعاء المقام عليك :

« أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه في ٢٦ من أكتوبر

سنة ١٩٥٤ وما قبله في أنحاء الجمهورية :

أولاً : بوصفه عضوا في مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراك في توجيه سياستها



عبد القادر عوده
محامي وكيل جماعة الاخوان قال له فتحي البوز : أن الطيب قرر اغتيال الرئيس



حسن كمال الدين
استاذ جامعي والمشرق العام على جولة الإخوان ١٩٥٤

إلى استعمال العنف والإرهاب . وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً
لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .
ثانياً : أدار مع آخرين اتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة وذلك
بأن أشترك فى مؤامرة وضعت فيها خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق
وارتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد ، تمهيداً
لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - لا ، غير مذنب يا أفندم .

الرئيس - عندك شهود ؟

المتهم - لا والله ما عندىش وإنما أنا اطلعت على أقوال الشهود فى التحقيقات وأنا
حادافع عن نفسى .

الرئيس - طيب اتفضل اقعد .. المدعى ..

وهنا وقف الاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام والمدعى بمحكمة الشعب
ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

قضاة الشعب :

المتهم بإعتباره كان وكيلاً لهذه الجماعة ومتصل بالمرشد لا ينكر أنه كان يوجد
تنظيم سرى ولكنه يقول أنه لا يعرف شيئاً عنه بعد أن عينت لجنة من خميس ومن
أربعة آخرين لمبحث النظام وإعادة تنظيمه يقول كما أن النظام ده غير شرعى ولا
يتمشى مع الأصول الدينية . ولكنه ماذا فعل لحله ؟ لا شىء .. يوسف طلعت يقول
ويعترف - رغم أنه ينكر صلته بالجهاز - أنه عرض عندما دبر أمر المظاهرة السلمية
التى يعقبها الإغتيالات، الأمر على المرشد والمرشد وافق وقال له على شرط تعرض
الأمر على عبد القادر عودة وإن المتهم قال له انتظر لأن فيه لجنة حتجتمع لحكاية
المظاهرات . وقال يوسف طلعت أمام المحكمة أيضاً إن عبد القادر عودة مسئول
عن إخراج المظاهرات . يبقى لما يجى عبد القادر ويقول أنا ماليش دعوة بالجهاز
السرى يبقى كذاب . لأنك يا عبد القادر عودة ومعاك أعضاء فى مكتب الإرشاد
مختصين بهذه المسائل ونظرتم الموضوع وإنتهى الأمر بأنكم قلتم إن الخطة مش

الغيت .. لا تأجلت بس . وفرغلى قال فى أقواله إن عبد القادر عوده أعطى منشورين لطبعهم - المنشور الأول من رئيس الجمهورية والثانى منشور الوزير السابق اللى تبين أنه سليمان حافظ - أعطاهم لإبراهيم الطيب رئيس منطقة القاهرة فى الجهاز السرى وشريك المتهم فى مكتبه . ويقول عبد القادر عوده أنه يستنكر الجريمة ويستنكر محاولة الاعتداء . وده كلام من محكمة أهلية ولا يمكن أتصوره ويأبى الله إلا أن يسوق لنا الدليل لأنه مع المخلصين وعمره ما نصر مروغ أو منافق .. الرئيس - ممكن قوى أن ينصرهم علشان يأخذهم بما يفعلون وفيه إيه فى هذا المعنى ..

المتهم - «حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة»

الأستاذ عبد الرحمن صالح المدعى :

الحمد لله زى ما ربنا أخذكم ... وفيه دليل اقوى من كده وهو أن أحد أقطاب الجهاز السلى وهو رئيس فصيلة من الفسطاط .. (فتحى البوز) جه وقال أمامكم : أنه قبل الحادث بأربع أو خمس أيام قابلنى إبراهيم الطيب وقال لى : إنا قررنا القيام بانقلاب يبدأ بالاغتيالات وإنها مسألة قد تفررت وإن جمال قد انتهى . وفتحى قال بعد كده إن الحمية الإنسانية أخذته وبعد ما اتكلم مع الحواتكى ونجده إتجه إلى عبد القادر عودة - وهو أى عبد القادر عودة بيقول ماليش دعوة بالجهاز ورئيس فصيلة يتصل بيه ليه ؟ لأنه مالوش دعوة بالجهاز .. كذب - راح لعبد القادر عودة وقال له : أنا سمعت النهارده من إبراهيم الطيب إنهم قرروا القيام باغتيالات وقلب نظام الحكم واغتيال جمال .. فقال له المتهم روح شوف لى إبراهيم من تحت الأرض .

يا حضرات القضاة - إن السرية كانت سرية مطلقة فى الجهاز - ولا يمكن يخرج سر خصوصاً إذا كان متعلقاً بتنفيذ خطة إلا لواحد محل ثقة فى الجهاز وفتحى البوز راح لعبد القادر عودة وقال له كلام إبراهيم الطيب وإنتهى الأمر بوقوع الحادث - عملت إيه لما بلغك أن رئيس الحكومة حيقتل وإن الانقلاب دبر من شخص شريك فى مكتبك ؟ إن أضعف الإيمان يا راجل هو أن تمسك تليفون وتبلغ مأمور القسم بالحكاية . ولكن هل يهون عليك يا إبراهيم الطيب شريك فى المكتب ؟ وبعد كده تقول : موقفى .. بقى الموقف .. هو فيه العن من كده .. وهذه الواقعة بالذات ما تقدرش تغلفص منها أبداً يا عبد القادر . هذا عدا إنك إختصاصى فى المظاهرات .

وعبد القادر عودة لما إنقبض عليه طلع علينا بجواب بعته لرئيس الحكومة ... وده برضة من حكم ربنا أن يدينا السلاح الى يدينه ... فكتب يقول :

(لقد سمعت -- وده العجيب -- إن الشخص الذى حاول الإعتداء عليك يتمرن فى مكتبى فإذا صح هذا فإننىؤكد لك إننى لا أعلم شيئاً عن هذه الجريمة ...) - كذاب كذاب لأن فتحى البوز قال لك عليها قبلها بأربع أيام وفتحى البوز بره أنا محضرة لك بره . ثم يقول فى الخطاب : إذا ثبت أن لى يدا فى الجريمة فأنا أحل لك روحى ..

ثم يقول أيضا : لقد استطعت يا أخى بما لك من حكمة وسعة فى الأفق أن تمهد الجو بين مصر والإنجليز فى نزاع دام سبعين عاماً .

يا سلام .. بقى ده يمشى مع المنشورات ، الى بتقولو فيها : انتم سلمتم البلد للإنجليز واتهمتوه هو، وزملاؤه بالكفر - إلا تعلم إن من كفر مسلماً بالباطل فقد كفر . ويقول أيضا : وإنى أحب فىك سعة الصدر وسعة الأفق والتسامح وأرجو أن تهىء جوا من المودة بين الحكومة والهيئات - والجماجم والحكومة ..

يا سلام ده غلب فىكم كلمكم بالحسنى وأمهلكم وياما نصحكم فقابلتم هذا النصيح . وهذه السماحة بما لا يجب أن تقابل به .. ثم يقول فى الخطاب : أحب أن اطمئن إن حادث الاسكندرية لا يكون عقبة فى سبيل ما دعوت إليه من التسامح ..

إزاي الكلام ده ؟ هو انتم بس كنتم ناويين على قتل الرئيس ؟ ده انتم كنتم ناويين تخربوا البلد . وينتهى الخطاب بإقتراحات وهى العجب العجائب فقد قال : لا زلت أذكر إقتراحاتك بحل الجهاز السرى وتشكيلات الجيش والبوليس .

يا سلام إحنا فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٤م ، والمتهم يفتكر إقتراحات الرئيس الى كانت فى مايو سنة ١٩٥٣م يعنى افتكر دلوقت بس بحل تشكيلات البوليس والجيش والمدنيين وتسليم الأسلحة فيقوموا يردوا على هذه النصيحة الخالصة لوجه الله والوطن بتنظيم جديد وتسليح وتدريب فلما وقعت الواقعة وعرفوا إنهم لا مناص من أخذهم أخذ عزيز مقتدر . قالوا نرجع لزمان ونحتل التشكيلات ويقترح فى خطابه : أولا - يحل النظام الخاص وتسلم أسلحته وذخائره فى مدة تتراوح بين عشرة أيام أو اسبوعين ... وهذه النقطة بعد الإنكار اعتراف إن فيه نظام خاص مسلح ويقول كان : تبتعد الجماعة عن السياسة المحلية وتصرفها إلى الدعوة الإسلامية حتى تنتهى فترة الانتقال ويتم تنظيم الجماعة على هذا الأساس فى ظرف اسبوعين . يعنى عايز ينظم من جديد .

ثانيا - إصدار قانون بوقف عمل قانون الأسلحة والذخائر دون المحاكمة وإطلاق سراح جميع الإخوان المعتقلين بمجرد تنفيذ التعهد الأول ...

يا سلام .. والقنلة والمتآمرين عشان يرجعوا تاني ويتآمروا على حياة البلد دي عمله تعملها حكومة تحترم نفسها ؟

هذه هي الإقتراحات الرئيسية والمضحكة لإعتراف صريح إنه يعرف الجهاز السرى وأسلحته وأن الزوبعة كلها من غير حق قالها مضطرا لأنهم لا يقولون الحق إلا اضطرارا لأن شيمتهم الكذب والتضليل لا يصلحون ولكن دأبهم الفساد .

إن عبد القادر عودة يا حضرات القضاة لا يقل عن سبقوه من جهابذة الجهاز السرى أمثال يوسف طلعت وإبراهيم الطيب وهنداوى دوير فإذا طالبت حضراتكم بتوقيع جزء القصاص على هذا المتهم .. إذا طالبت بعنقه فإنما اطالب لشعب مصر وللمجتمع وللإخلاص بقصاص يحفظ للشعب طمأنينته وكرامته وإنسانيته والله يوفقكم دائماً إلى ما يحبه ويرضاه .

مرافعة المتهم عبد القادر

النظام الخاص وجد من أيام الشيخ البنا ولا أعلم كيف بدأ لأنى اتصلت بالجماعة فى نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، وجلعه لمساعدة فكرة الجهاد والشيخ البنا كان يرى أن ، البلد محتلة بالإنجليز وإن هناك سلطات ظالمة وأنه لكى توجد الشعور بالعزة والكرامة ينبغى أن يتعلم الشباب كيف يؤدى فريضة الجهاد . والجهاد فريضة دينية وينبغى لممارستها التمرن على السلاح .

والشيخ البنا أوجد هذا النظام لهذا الغرض ، وكان سرىا لأنه أنشئ فى وقت ما كان يسمح به علناً ، وكان الشبان محرومين من التجنيد العام . ولم يكنه هناك ضباط إحتياطيون أو حرس وطنى فكان القيد يرى إتحاد الروح الوطنية فى الشباب . وهذا على ما أعلم عن نشأة الجهاز .

وقد علمت أن الرئيس جمال طلب فى أواخر يونيو ١٩٥٣م حل الجهاز فى الجيش والبوليس . وأنا قابلت الرئيس وقال لى : أنه علم أن هناك توجيه عدائى من التشكيلات ضد رجال الثورة فأنا عدت إلى مكتب الإرشاد والمرشد وتكلمت فى هذا الموضوع ، ولكن المرشد أنكر وجود أى توجيه عدائى . ولم أصل إلى نتيجة لحل الجهاز . وكان أن حلت الجماعة فى فبراير ١٩٥٤م وقابلت الرئيس . وقبل إعادة الجماعة بشرط حل النظام الخاص وأنا شىخصيا وافقته على هذا . ومن ضمن طلبات تعليم الأسلحة . وكان يعرفها تماما لأنه

كان في معركة القنال وأمد هو ورجال الجيش الإخوان بالأسلحة .. وكانت الأسلحة غير كافية عند الإخوان . وكذلك السيد أنور السادات ... والسيد صلاح سالم .. فكان يعلم بوجود الأسلحة .

ولذلك فإن النظام لم يشأ للإستيلاء على الحكم بل لأغراض سامية .

مناقشة

الرئيس - ألم يقل لك الرئيس أن وجود نظام سرى في البلد يكون له غرض سرى وإن معنى وجوده إن هناك سياسة سرية وسياسة علنية ؟
المتهم - الحديث كان بيني وبين الرئيس جمال وقال : إن التوجيه لا زال مستمراً . وأنا قلت له : أنه لم يعد هناك توجيه . فقال : لا ..

الرئيس - يعني التوجيه لم يكن قاصراً على الحركة بل كان موجهاً ضد مصلحة البلد ؟
المتهم - هو كان غرضه المحافظة على المصالح العليا وأنا كتبت خطائى وعرضت فيه حل النظام وليس معنى هذا وجود النظام . وعرضت تسليم الأسلحة وليس معنى هذا علمى بوجود مكان الأسلحة . وإذا قال هذا أحد أكون مداناً . ولكن كل علمى أن هناك نظاماً فقط . كتبت هذا الخطاب وأنا مؤمن بكل كلمة فيه لم أقصد به خديعة أو حيلة وهذا اردده منذ نوفمبر ١٩٥٣م ومن يوم ما طلب منا هذا الرئيس جمال رددت هذا كثيراً .
وقال عبد القادر عودة في الدفاع عن نفسه ردّاً على أقوال البوز :

الذى حدث إن فتحى البوز حضر لى فعلا مساء يوم الخميس وقال لى أن هناك تعليمات لقتل الرئيس جمال . فقلت له : هاته وتعالى باكر وفعلا جاء فتحى البوز ولم يحضر الطبيب وهذه كانت أول مرة أعلم فيها إن إبراهيم الطبيب له صلة بالجهاز . وطلبت من البوز البحث عن الطبيب فأحضره فحدثته فى هذا وقد حلف لى بأغلف الإيمان أنه لا يوجد فى البرنامج شىء من هذا وإن البوز كاذب وفعلا صدقت الطبيب ولو كنت صدقت أو مالت نفسى إلى التصديق لأن هذا ممكن أن يحدث لأخبرت الرئيس جمال عبد الناصر بأن يحتاط إلى نفسه ولكن اعتقدت إن كلام البوز كاذب أو إشاعة .

الرئيس - إنت عايز فتحى البوز أولا ؟
المتهم - لا ، أنا مكنتى بأقواله ومصححتها ..

عبد القادر عودة ومحمد نجيب

وقال عبد القادر عودة :

بعد حل الإخوان واتصالي بالرئيس جمال كان فيه إتفاق على عودة الإخوان فى الوقت المناسب وحل الجهاز فى أقرب فرصة .. وكان من رأى عودة الإخوان حتى يمكن الإتصال بهم مباشرة حتى لا يوجهوا توجيهها غير سليم . وتحدثت مع الرئيس جمال فقال لى أن اتصل بالصاغ صلاح سالم ، وتقابلت معه فعلاً فى اليوم التالى وأبدت كثيراً من الحجج التى تؤيد عودة الجماعة بسرعة فامتنع . وقال : أنه سيحاول إثارة هذا الموضوع فى إجتماع مجلس الثورة ، ولكن لا يضمن موافقة الأغلبية . وأنا قمت بالاتصال ببعضهم وتكلمت معهم فى هذا الإجتماع ..

وكان من ضمن من اتصلت بهم اللواء نجيب فقال لى : أنه لا يمانع فى عودة الجماعة بشرط عدم وجود الهضيبي على رأسها . وبعد ذلك لم اقابل الرئيس جمال ولا غيره .

وحدث بعد ذلك التصورات التى حدثت يوم ٢٧ فبراير و ٢٨ فبراير وكان اليوزباشى محمد نصير بيتزوج وأخبرنى بما حدث فى الصباح واتصلت بالرئيس جمال فعلمت أنه قدم استقالته وأخبرنى صحفى من المصرى أن الإنجليز عند الكيلو ٥٥ وإن الوزارة إستقالت . وإن الرئيس نجيب يقوم بعمل مشاورات وتمت وذهب للإتصال به فلم أجده .

وعدت وثانى يوم علمت أنه توجد مظاهرات وإن الإخوان هناك وإن هناك رصاصاً أطلق على المتظاهرين . وأنا قلت لمن أخبرنى روح اصرفهم خالص ، وبعدين كمال السنائيرى طلب منى أن أذهب لأصرفهم لأنهم متعصين وهذا ثابت فى التحقيق فاطلعوا ليه إن شتتم وأما عن مظاهرة القصر الجمهورى فأنا ذهبت لفض المظاهرة فقلت أن الرئيس محمد نجيب يتكلم وواقف فى الشرفة فأشار لى وكان من الأدب أن أصعد إليه .

والنتيجة يا حضرات القضاة إن إبراهيم الطيب ويوسف طلعت والبوز وفرغلى شهدوا على أنفسهم وأنا لست أعز لديهم من أنفسهم .

اخلىص من هذا إننى ضد النظام وإننى لم أقره فى يوم من الأيام . وكونى لم أستطع حله فليس معنى هذا أنى أعاونه لقلب نظام الحكم . كما أنى لم أشترك فى التدبير أو فى عمل مظاهرات . وكان ما جاء على لسان الشهود هو أما إرجاء أو عدم موافقة وهذا لا يعنى موافقتى .

هذا وموقفى لا لبس فيه غبار وقد عشت فى حياتى قاضيا أحارب الجريمة وأكرهها وأذكر إننى وأنا شاب كنت إذا سلمت على شخص أعتقد إنه ارتكب جريمة فإننى أغسل يدى . وليس لى علاقة بأى عمل . والمسألة متروكة لحضراتكم . والله يتولانا جميعاً ويهديننا سواء السبيل .

بعد أن انتهت مرافعة المتهم عبد القادر عودة عن نفسه قدمت القضية المتهم فيها حسين كمال الدين أحمد إبراهيم وقد مثل الإدعاء فيها البكباشى محمد التابعى والاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضو مكتب التحقيق والإدعاء .

الرئيس - المدعى .. المتهم الثانى جاهز ؟
المدعى - أيوه يا فندم .

«حضر المتهم ومعه الاستاذ محمد هاشم للدفاع عنه» .

الرئيس - المتهم حسين كمال الدين أحمد إبراهيم الإدعاءات المقامة عليك :
أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن .. وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولاً : بوصفه عضواً فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين اشترك فى توجيه سياستها إلى استعمال العنف والإرهاب .. وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً : اشترك فى تنظيم جهاز سرى مغالفاً بذلك قوانين الدولة ..

مذنب أو غير مذنب ..

المتهم - غير مذنب ...

الرئيس - فيه شهود ؟

الاستاذ محمد هاشم (المحامى) - لا .

الرئيس - الإدعاء يتفضل .

وهنا وقف الاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى مصطفى الهلباوى

المتهم عضو بمكتب الإرشاد ورئيس مكتب إدارى بالقاهرة . وقد سبق أن تحدث زملائي عن هيئة مكتب الإرشاد وهى تعتبر السلطة التنفيذية التى تدير شئون الجماعة وهى المسئولة عن أعمالها وتصرفاتها . وقد سمعنا من الدكتور خميس ومحمد فرغلى أن مكتب الإرشاد كان هيئة تعلم بوجود النظام الخاص بينها وأن رئيس الحكومة طلب من كبار المسئولين فيها أن يحلوا النظام السرى . وإن يسلّموا أسلحته . وعرض الطلب على مكتب الإرشاد . ولكنه سكت وهذا السكوت أقرار ضمني بمسئولية مكتب الإرشاد عن هذا النظام وعن تصرفاته . وقد قال خميس : إن أعضاء مكتب الإرشاد كانوا طرايطير ، وإنه كان فى سلسلة أخطاء كانت تؤدى إلى حرب أهلية داخل الدولة .

والمتهم يعلم كثيرا عن هذا النظام السرى وعن أسلحته ويعلم بقيادة هذا النظام لأنه رئيس مكتب إدارى القاهرة يرأس المناطق التى قال محمود عبده إنها هى التى تمد النظام الخاص بالمدد الشعبى إذا أراد أن يقوم الجهاز بمظاهرات . وكان عضوا باللجنة التى عرض عليها إبراهيم الطيب فكرة قيام مظاهرة مسلحة .

والمتهم أيضا كما قال محمود عبده فى التحقيق أنه كان أحد أعضاء الجماعة التى اجتمعت فى عمارة الهامى بالروضة . وكان بالاجتماع رؤساء المناطق وعلى رأسهم إبراهيم الطيب .

وقال محمود عبده أيضا إن هذه الاجتماعات كان إحداها برياسة المتهم وأضاف إنها كانت لمناقشة الخطة .. وقال كذلك أنه ذهب إلى اجتماع بمنزل كمال خليفة بالدقى وحضره فرغلى . ويوسف طلعت وصلاح شادى والمتهم وهذا يبين صلته بالجهاز ويقول يوسف طلعت أنه تحدث مع المرشد فى شأن إختفائه فرفض المرشد أن يظهر وقال إن حسين كمال الدين كان موافقا للمرشد كل الموافقة .

ولذلك فإن المتهم الذى يدير مكتب إدارى القاهرة ويوزع المنشورات لا يمكن أن يقطع صلته بالجهاز بل يظهر إشراكه فى السياسة التى إنحرفت إليها جماعة الإخوان . من الدعوة إلى الدين إلى سياسة العنف والإرهاب .

ولذلك اطلب من حضراتكم أن تأخذوه بكل شدة .

مرافعة الدفاع الدكتور محمد هاشم

إن المتهم أستاذ مساعد فى كلية الهندسة وهو ابن الشيخ أحمد إبراهيم أستاذ الشريعة ومن أئمة الفقه فى العصر الحديث ومن أشد الناس تمسكا بالإسلام . وهو مكب على عمله ومنصرف إليه الأمر الذى دعا الحكومة لأن توفذه فى بعثة إلى أوربا فى سنة ١٩٥٣م . ثم تغيب سنتين فى الخارج بعد عودته إنتدب للتدريس فى العراق . ثم عاد إلى القاهرة فى سنة ١٩٥١م وأن عمله كرئيس لإدارة مناطق القاهرة لا يدل على إنتائنه للجهاز السرى لأن لإدارة مناطق القاهرة لا يدل على إنتمائنه للجهاز السرى لأن عمله علنى لا خفاء فيه .

ويقول الإدعاء إنه كان يدبر الانقلابات والإغتيالات وأدلتة مستمدة من أقوال بعض المتهمين . كذلك بقوله إن المتهم حضر إجتماعات لرؤساء المناطق بغمرة وبالهرم وبعمارة الهامى ، والمتهم ينكر واقعة حضور إجتماع غمرة والهرم . ويفسر حضور إجتماع عمارة الهامى بسبب ظروف تتلخص فى أن رؤساء المناطق التى يهيمن عليها . كانوا يخشون الإعتقال فاجتمعوا لتسليم رئاسة الشعب من محمود عبده الذى كان قد نقل إلى الصعيد .

مناقشة المتهم

الرئيس - المتهم عضو مكتب الإرشاد فما هى الإجراءات التى إتخذها للقضاء على الجهاز السرى المسلح بالجماعة ؟

المتهم - اللجنة التى كونت لبحث النظام قررت أنه لا يصح بقاء النظام . وعند فتح المعسكرات الشعبية سهل هذا قبول فكرة حل الجهاز ولكننا ذهبنا للتدريب فى هذه المعسكرات وإتباع الأوضاع المشروعة العلنية . والمكتب عندما لاحظ أن السندى خلف وعده بإنشاء التشكيلات ... المكتب قرر فصله . وما يثبت حسن نية المكتب أنه عندما علم بوجود منشورات قرر وقف المنشورات وكلف الدكتور خميس بوقفه . والمكتب كان هدفه إتباع الطرق المشروعة .

«انصرف المتهم» .

«بعد أن انصرف المتهم حسين كمال الدين حضر المتهم الثالث محمد كمال خليفة ومثل الإدعاء البكباشى سيد سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والادعاء» .

الرئيس - المتهم محمد كمال خليفة .
المتهم - افندم .

الرئيس - الادعاء المقام عليك :

(أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأمر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيدا لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة) .

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

وهنا وقف الأستاذ على نور الدين المدعى ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى على نور الدين

الإدعاء المنسوب للمتهم وهو أنه بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد أقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم ولذلك سنبين وضع مكتب الإرشاد فى الجماعة وكذلك الهيئة التأسيسية التى تعتبر برلمان الجماعة وأنا آسف لأن هذا الوصف لا ينطبق عليها . والحقيقة كما سمعتم إن الدكتاتورية طاغية هناك وأن المرشد هو ديكاتور الجماعة .

ووضع مكتب الإرشاد كجهاز تنفيذى يستتبع أن يتحمل كل أعضائه مسئولية أعمال الجهاز وبقائه والمسألة لا تخلو من أحد فرضين . وهو أما أن يكون العمل قد غرض على المكتب وأقره فيكون مسئولا . وأما أن يتخذ المرشد أو أحد أفراد الجماعة قرارا وعلم به مكتب الإرشاد وسكت عليه ويكون فى هذه الحالة أيضا مسئولا عنه لأنه بسكوته إقرار ضمنى له .

والإدعاء ينسب للمتهم أنه بهذه الصفة اشترك فى توجيه السياسة إلى العنف والإرهاب ودور المتهم واضح . وكان مظهر سياسة العنف فى حملة المنشورات التى قامت بها الجماعة وكلها تدعو إلى محاربة الحكم القائم ومقاومة الثورة . وسلسلة دعايات لتشكيك المواطنين

في نزاهة القائمين على الثورة .

ولقد أقر المتهم قيام نظام سرى فلست في حاجة إلى التدليل على ذلك بعد قيام الجهاز بإرتكاب جرائم في العهود السابقة . ولكن المتهم ذكر في التحقيق أنه لا يعلم كل ما يدور في الجماعة ، وعلى كل فقد قرر الدكتور خميس أن السندى عندما قرر فصله من النظام عرض الموضوع على مكتب الإرشاد فبعد طرح أمر رئيس الجهاز لا يمكن أن تصدقه عندما يقول عضو المكتب أنه لا يعلم عنه شيئاً .

وكذلك مقتل سيد فايز وعلم كل الإخوان أن هذا دليل على بقاء النظام وأن تحت يده أسلحة .. فالدفاع بالجهل بوجود النظام السرى غير صحيح لهذا الطلب من المحكمة توقيع أشد العقوبة عليه ..

مرافعة الدفاع الدكتور محمد هاشم

الواقع أن للدكتور كمال خليفة موقفين : الأول بإعتباره مجرد عضو في الإخوان والثاني باعتباره عضواً في مكتب الإرشاد . والموقف الأول فأنا لا أعدو الحقيقة إذا قررت عن إيمان لأن الدكتور خليفة كان زميلاً لى منذ الدراسة الابتدائية لأنه رجل ذو خلق ودين وإيمان .

وأنا لا أعدو الحق إذا قررت أنه التحق بجماعة الإخوان لأنه أراد أن يحقق خدمة لدينه عن هذا الطريق .

وهو بحكم هدوئه وأعماله وثقافته لا يتسع له الوقت لبحث وسائل الإرهاب ، وقد يعاب عليه أنه لم يتخذ موقفاً إيجابياً بوجود نظام خاص . ولكن اعتقد أن لحضراتكم بحكم ثقافتكم العسكرية وبحكم قيامكم بالشئون العامة وبحكم إمامكم بالحياة العامة تكونون أولى الناس بالحكم على ظروف الإنسان وإنه قد لا يستطيع أن يعلن عما في عزمه وأن كان يدبر شيئاً مرضياً ، فقد كان يخشى الظروف المحيطة به وقد يجد في نفسه حرجاً وهذه طبيعة الإنسان ولا نريد أن نحمل الإنسان أكثر مما يستطيع وينبغي أن نحمله مسائل في قدرته حتى نرتب نتائج تتماشى مع هذا التقدير .

ولذلك فالدكتور كمال خليفة لا يمكن أن ينسب إليه عمل من أعمال الإرهاب .

إذن فمن الجور العام والوقائع التي أسندها الإدعاء للمتهم لا يمكن أن يخرج بأن المتهم مسئول وأسأل الله لكم التوفيق .

الرئيس - احنا سكتنا لغاية الأمل بقى رصاص . والبلد كلها تقول إن الحكومة خايفة « الثورة إخوان » حتى امتلأت الأذان بالحديث .

المتهم - حكومة الثورة أقوى من حكومة إبراهيم عبد الهادى وتقدر تعمل كل شىء .

الرئيس - أنا حدثتك هذا كله لا رد على السيد المحامى لأنه عندما انتدب الدكتور كمال خليفة مديراً لمصلحة الطرق والكبارى . كان بناء على الحاحى رغم المعارضة القوية وأنا أحضرته لا لمجرد أمانته فقط بل لاعتبار فنى ... ونصحته وكلمته .

المتهم - أرجو أن أكون فى الإدارة قد سلكت مسلك قومى عالى وسيادتك تقدر هذا .

الرئيس - كل هذه النصائح لم تجعلك تقدر مسئولياتك كعضو إرشاد ، زميل طفولة ، وزميل آخر ، وشخص آخر .

المتهم - ما فى شك كانت نصيحة مخلصه .

الرئيس - أنا عايز أسمع دى علشان أخلص ذمتى من ربنا .

المتهم - أشكر لسيادتك النصيحة وأنا آسف .

«ورفعت الجلسة فى الساعة الواحدة والثلث من بعد ظهر يوم أول ديسمبر سنة ١٩٥٤م» .

الحكم

فى الساعة الحادية عشر من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها فى القضية رقم ٦ بالآتى :

أولاً : إعدام المتهم عبد القادر على عودة شتقاً .

ثانياً : بالأشغال الشاقة المؤبدة على حسين كمال الدين أحمد إبراهيم .

ثالثاً : بالأشغال الشاقة المؤبدة على محمد كمال خليفة .

تصديق مجلس الثورة :

«طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة

على مجلس القيادة للتصديق عليها ، وقد عرض الحكم الصادر على كل من المتهمين عبد القادر

عودة وحسين كمال الدين أحمد إبراهيم ومحمد كمال خليفة على مجلس القيادة فى يوم السبت

٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ . فصدق المجلس على الحكم» .

التنفيذ

في تمام الساعة العاشرة والنصف من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على عبد القادر على عودة حيث أعدم شنقا بسجن الإستئناف .

(٦) ملخص التحقيقات مع

منير الدله

صالح أبو رقيق

محضر الجلسة

الثانية والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علناً في الساعة الحادية عشرة والرابع صباحاً بمقر قيادة الثورة في الجزيرة يوم الأربعاء الموافق الأول من ديسمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٧٤هـ .

المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائم مقام أنور السادات والبكباشي (أ . ح) حسين الشافعي ، عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشي إبراهيم سامي جاد الحق المدعى والاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٧ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من منير الدله ، صالح أبو رقيق .

«حضر المتهمان ومعهما الاستاذان محمد هاشم للدفاع عن المتهم الأول ومحمد فهمي القلعاوى للدفاع عن المتهم الثاني» .

الرئيس - فتحت الجلسة .. المدعى .. المتهم موجود ؟
المدعى - أيوه يا فندم ... المتهمان حاضران ..

الرئيس - المتهمين : منير الدله وصالح محمد أبورقيق

الإدعاء المقام على كل منهما :

«أتى افعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن .. وذلك بأنه في يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله في أنحاء الجمهورية بوصفه عضواً في مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراك في توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لإستيلاء الجماعة التي ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

الرئيس - مخاطباً المتهم صالح أبو رقيق : مذنّب أو غير مذنّب ؟
المتهم - غير مذنّب .

الرئيس - فيه شهود .
المدعى - مافيش شهود .

الرئيس - الإدعاء جاهز ؟ اتفضل ..

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

نتقدم فى هذه الجلسة بطاخم جديد من أعضاء مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين ، فالمتهمان منير الدلة وصالح أبو رقيق فضلاً عن أنهما عضوان فى مكتب إرشاد تلك الجماعة فقد اختص بنشاط خاص وتوجيه خاص لسياسة جماعة الإخوان ، وجماعة الإخوان كما قلنا تدهرت بدثار الدين حتى لا تنكشف أمام المواطنين : فأرادت أن تظل فى سياستها الحقيقية كتومة لا تبوح إلا لذوى الأغراض فيها والمتفقين على تحقيق تلك الأهداف الدنيوية ..

والمتهمان كانا من هذا الصنف المختار فى داخل الجماعة ليصل إلى الأغراض ولو أدى الأمر إلى إتباع طرق ملتوية وإلى إتباع سبل غير مشروعة ولو أدى ذلك إلى سفك الدماء والدمار والخراب ..

هم يقولون : نحن إذا تدخلنا فى أمور الدنيا فذلك لأننا نريد حرية ونريد دستوراً ونسوا أو تناسوا إنهم فى ذاتهم لا يعرفون معنى الحرية ولا يعرفون معنى الدستور فتشكيل الجماعة هو أكبر دليل على إنها لا تعرف لهذا المعنى شيئاً . فالجمعية التأسيسية معينة ، وتعيينها من المرشد ، وهذا هو البرلمان . والجمعية التأسيسية المعينة يختار منها أعضاء لمكتب الإرشاد بواسطة الجمعية المعينة ، فيأخذو منهم ناس ويعينون كهيئة التنفيذية لهم وأكثر من هذا فإن لا الهيئة التأسيسية ولا مكتب الإرشاد يقدر يتكلم أمام الرجل الكبير الذى سمى نفسه المرشد . فكان الأمر أمر تحكم ودكتاتورى ، لا سلطان فيه لأحد إلا من كان ذو حظوة عند السيد الذى قال : أنا المرشد ..

وكان منير الدلة وصالح أبو رقيق من هذه الفئة . فقد إختارهما المرشد ليكونا بطانة خاصة له . وهذه البطانة تلزمنى أن أقف قليلاً فهى ليست من عندى وإنما قالها جهابذتهم

الذين حضروا هنا .. وقد سئل فرغلي : من هم الذين يوجهون الاستاذ الهضيبي ؟ فقال أنا أعرف أن هناك بعض الإخوان يميل المرشد لرأيهم ويتأثر بأرائهم ويقدرها مثل منير الدله وصالح أبو رقيق وصالح شادي وحسن العشماوى وفيه لسه أشخاص زى فريد عبد الخالق وعبد القادر حلمي .

ليه اتجهوا بالجماعة هذا الإتجاه اللي هو ضد مصلحة البلد وضد الدين اللي بتدعوا إليه الجماعة ؟

خميس : وكيل الجماعة يجيب على ذلك بقوله : « لما زعل صلاح شادي من السيد الرئيس بعد أن رفض ترشيح منير الدله والعشماوى للوزارة والمرشد زعل لأن ، ترشيحه مامشيش فاتفق مع المرفوضين فى توجيه سياسة حسب السياسة المتفق عليها ضد الثورة . إذن فحقيقة موقف الإخوان من الثورة جاى من هذا التاريخ لأنه - كما قال خميس - قبل هذا ماكانش فيه فكرة إنهم يدخلوا الحكم لأنه لم يكن الأساس فى سياستهم .

أما مسألة النظام الخاص وصلتهما به . فقد سئل محمد فارس عبد الحكيم فريح من الشرقية وعضو فى الهيئة التأسيسية فظل أربع ساعات يتكلم عن النظام الخاص فى الجيش والبوليس - ويهمنى من كلامه أن فريد عبد الخالق وحسن عشماوى وعبد القادر حلمي كانوا من ضمن المتصلين بالنظام فى الجيش .. إلى أن قام أحد الأعضاء وهو فهمي أبو غدیر وقال إزاي للحاجات دى ماكانش عارفينها .. فرد عليه صالح أبو رقيق وقال له : إن هذه الأمور لم يكن المرشد يصرح بها لكل الناس .

يعنى يا صالح إنت وثيق الصلة بهذا النظام لدرجة أن أحد زملائه قال إن دى حاجات ماكانش عرفينها فرد ، بقوله أنها مسألة سرية . فهنا نقطع بصلتك بالجهاز السرى وعليك به .

وبعدين كان رفيقا للمرشد فى البلاد الشقيقة علشان يفتروا علينا هناك بالمشورات والإذاعات . ولما وجه هنا عمل نفسه من الصالحين .

ومنير الدله وصالح أبو رقيق كانا من المتصلين برجال الحكومة فى صدر حل هذه التشكيلات وتدخلوا أيضاً بإعتراف صالح ومنير ، يبقى العلم متوافر فأنتم وجهتم المجرمين هذا التوجيه الخطير وجمعتموهم فى جماعتكم وأدخلتموهم الجهاز السرى فى الوقت الذى تقول لكم الحكومة ده فيه خطر .. تقولوا طيب لكن إحنا والمرشد ماشيين فى سكتنا من تحت لتحت .. تضحكوا على الناس وتضحكوا على ربنا كمان فى دعوتكم . ومش

في مصر بس لأ دول كانوا عاوزين يعملوا فتنة في الشرق فمنيير وصالح كانا من أعضاء مكتب الإرشاد وسبكتا وكان السكوت عن عمد فإنتي إذا ما قلت أن مستوى إجرامهم يعلوا على مستوى الذين ترافعت ضدهم من قبل فلا أكون مغالياً إذا ما طالبت بإعدام الاثنين . فأنا اطالب باسم الشعب بإعدام منير الدله وصالح أبو رقيق . لأن الذي يضاعف من جرم كل منهما أنه كان يواجه الحاكم بوجه ثم إذا ما خلا إلى شياطينه اتجه إتجاه الإجرام والله ولي التوفيق .

مرافعة الدفاع الأستاذ حسين أبو زيد

حضرات القضاة :

لقد استمعت إلى سيادة ممثل الإدعاء وقد جمع في إدعائه بين المتهمين في موقف كل منهما ويخيل إلى أن التفرقة واضحة ، وإن موقف مهمتي يختلف عن موقف الآخرين . فقد كان منير الدله عضوا في الجمعية التأسيسية طبقاً للأوضاع القائمة في الجماعة وحدثت خلافات وأراد البعض تغيير القانون النظامي للهيئة وأرادوا ضم بعض الأعضاء لمكتب الإرشاد .

ومنيير الدله لم يتقدم للإنتخاب حتى يقال أنه سقط فيه . وكونه متصلاً بشخص معين بالذات وتربطه به رابطة طبيعية يكون إنسجامهما طبيعياً بحيث إذا إنستجم منير الدله مع المرشد يكون هذا طبيعياً وليس معناه أنه يلتقي معه في الأغراض الخفية . وحتى إذا سلمنا بوجود الجهاز فإنه لا يمكن أن تسند إليه أنه شارك في توجيه الجهاز توجيهها إجرامياً . أو أنه كان يريد أن يستعمله في غرض إجرامى حتى يقدم الدليل على ذلك .

هذا بالإضافة إلى أن منير الدله كان مريضاً بالقلب ولديه شهادات طبية متعددة من إخصائيين وسافر عقب المرض إلى لبنان ومرض هناك وظل ملازماً الفراش حتى ١٠ أيام قبل ظهور إتجاهات الجهاز ... وإذا فمنيير دله بإعتباره عضوا في جمعية الإخوان لم يأت لنا الإدعاء بوقائع مادية تدلل على قيام الجريمة .

أما كونه عضوا في مكتب الإرشاد فالمرشد . هو رأس الجماعة ومكتب الإرشاد رأيه استشارى وأنا قلت إمبراح إن المرشد هو رأس الجماعة والمكتب دا كان استشارى بالنسبة للمرشد . ومنيير الدله لم يذهب من المرشد إلى البلاد العربية ولم يتصل به . ولم يتخذ في

المكتب أو في الجمعية موقف يساند فيه الجهاز أو يساند من يريدون متابعة الجهاز في أغراضه .
الرئيس - الأستاذ القلعاوى . يجب يتراجع دلوقت ؟ الأستاذ القلعاوى (محامى صالح أبو
رقيق) - نعم .

مرافعة الدفاع الأستاذ محمد فهمى القلعاوى

سيدى الرئيس .. إننى أود أن أؤدى واجبى كمصرى قبل أن أؤديه كمحام لأن التاريخ
الذى تعجازه مصر فى هذه الفترة دقيق . وقد قلت فى صراحة لموكلى اننى سأبدأ مرافعتى
كمصرى باستنكارى لتلك الجرائم إستككاراً تاماً وقد وافقنى موكلى واستكرها معى .
والإتهام محصور فى أن موكلى عضو فى مكتب الإرشاد ، وقول الإدعاء اليوم أنه يحاسب
المتهم على كونه عضواً فى الجماعة أو عضواً فى الهيئة التأسيسية فهذا لا أرد لأنه لم
يُرد بالإتهام الأصيلى . وقد عين المتهم فى مكتب الإرشاد فى أواخر مارس سنة ١٩٥٤م
وهو معتقل فى السجن والذى عينه الشيخ فرغلى وكان تعييناً مؤقتاً ، وذكر أن السبب
هو حسن سياسته بين الإخوان والحكومة .

وفى ٣ يونيو سافر إلى الحجاز يعنى المدة التى ظلها فى القاهرة هى إبريل ومايو والمتهم
يقرر أن الهضيبى لم يعينه - وسافر الحجاز مع الهضيبى وعاد فى ١٢ أغسطس سنة
١٩٥٤م يعنى يكون باقى على ٢٦ أكتوبر ٤ شهور . وعقب عودته مرض وظل ببلده
١٥ يوماً وعاد إلى القاهرة فوجد الإخوان على شقاق . وكان هناك خلاف مع السلطات
فشكلت لجنة وكان هو أحد أعضائها ليكون رسول سلام من قبل الإخوان مع الحكومة .
وصالح أبو رقيق من الناس المغروس فى نفوسهم حب الرئيس جمال عبد الناصر وهو
من الذين أحبوا الثورة ومبادئها .

أن هنداوى دوير قال عن الخطة والمتهمين وعن النظام السرى ولم يرد إسم المتهم
فى أى شىء وإبراهيم الطيب أزاح الستار فقال إن هناك مجلساً أعلى ليس فيه المتهم لهذا
فإنى أتمس رفض طلب الادعاء والحكم ببراءة المتهم .

(ثم رفعت الجلسة فى الساعة الواحدة وعشر دقائق بعد الظهر) .

الحكم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ أصدرت محكمة الشعب حكمها على كل من : منير أمين الدلة وصالح محمد أبو رقيق بالأشغال الشاقة المؤبدة .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها ، وقد عرض الحكم الصادر على كل من منير الدلة وصالح أبو رقيق على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق . المجلس على الحكم .

(٧) ملخص التحقيقات مع

- دكتور/ محمد خميس حميدة

- الشيخ / محمد فرغلى

محضر الجلسة

العشرون لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا في الساعة الحادية عشر والربع صباحاً بمقر قيادة الثورة في الجزيرة يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٤ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ) .

المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمستكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائم مقام أنور السادات والبكباشى أ . ح حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى سيد سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والادعاء .

* قدمت القضية رقم ٥ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من محمد خميس حميدة ومحمد محمد فرغلى .

حضر المتهم محمد خميس حميدة ومعه محاميه الأستاذ محمد هاشم ..

الرئيس - فتحت الجلسة ، المتهم موجود ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) -

موجود يا افندم والقضية جاهزة .

الرئيس - المتهم محمد خميس حميده ..

الإدعاء المقام عليك :

أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه في يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله في أنحاء الجمهورية بوصفه وكيلاً لجماعة الإخوان المسلمين :

أولاً : اشترك في توجيه سياسة هذه الجماعة إلى استعمال العنف والإرهاب وأقر قيام نظام



الدكتور محمد خميس
الصيدى ونائب المرشد



الشيخ محمد فرغلي
الواعظ الديني وعضو مكتب الإرشاد ١٩٥٤

سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى يتتبع إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً : اشترك فى تنظيم جهاز سرى مسلح مخالفاً بذلك قوانين الدولة ..

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - الدفاع عايز شهود أو أى شىء ؟
الأستاذ محمد هاشم (المحامى) - لا يا أفندم .

الرئيس - الادعاء ... اتفضل .

وهنا وقف الأستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى على نور الدين

قضاة الشعب :

نقدم لكم اليوم نائب الرئيس ووكيل الجماعة والمستشار الأول لعصابة الإرهاب والتضليل . كان المتهم أول من عهد إليه تنظيم الجهاز . فأسند رئاسته ليوسف طلعت .

* كان المتهم وكيلاً للجماعة فكان بذلك أول من علم بالجهاز السرى وحوادثه الدامية التى حدثت سنة ١٩٤٨م والتى كانت من تدبير الجهاز . وكان عليه عندما أسند منصب الإرشاد إلى الهضيبى أن يعيد تنظيم الجهاز بعد خروج بعض الأفراد منه . وكان كل همه إخضاع سلطة الجهاز للمرشد لكى يهيمن على الجماعة كلها .

* أقوال الشهود تدل على مسئولية المتهم . فقد قال فرغلى أن المرشد أخذ رأيه فى تعيين يوسف طلعت . لذلك فإن تعيين يوسف طلعت كان إعادة تنظيم الجهاز . وقال يوسف طلعت أن تعيينه كان بأمر المرشد وخميس . وأنه لا المرشد ولا أحد غيره طلب منه تصفية الجهاز .

* يدعى خميس بعد ذلك أن صلته انقطعت بالجهاز السرى . وقد قال التحقيق أن المرشد هو المسئول عن النظام الخاص ومن بعده الرئيس المباشر للجهاز . وهو فى هذا كاذب أو نصف كاذب . فالتهم له دوره ومسئوليته فى هذا لأنه استشير فى تعيين يوسف طلعت . كما أن فرغلى قال إنهما استشيرا فى تعيين يوسف طلعت رئيساً للجهاز .

* ادعى المتهم أنه كان يحارب الاتجاه المضاد للحكومة وحرص على أن يظهر بمظهر الحمل الوديع الذى لا يعمل شيئاً والذى كان حماسة السلام تهدئة النفوس . وهذا غير صحيح . فالتهم يقول هذا لدفع المسئولية عنه بل كان يستطيع بصفته نائباً للمرشد أن يفعل الكثير تهدئة أعضاء جماعته .

* مثل هذا الشخص أشد خطورة من العدو الظاهر لا يرعى ديناً ولا ضميراً . ومثل هذا تتضاعف مسئوليته ولهذا يطلب الإدعاء الحكم بالأعدام .

مرافعة الدفاع الدكتور محمد هاشم

حضرات القضاة :

* بدأت صلة خميس بالجماعة منذ مدة طويلة على عهد المرحوم البنا وعاصرها إلى اليوم . بدأ فرداً عادياً وانتهى الأمر إلى وكيل الجماعة ونائباً للمرشد فترة من الزمن . وقد قرر خميس إنه انتمى إلى هذه الجماعة بقصد تحقيق أهدافها من الناحية الخلقية والدينية .

* قرر أنه كان يوجد جهازاً فى عهد المرحوم البنا . وتبين بعد ذلك أن هناك إنحرافاً فى عهد المرشد الأول - وتوفى المرشد وخلفه المرشد الحالى وهنا يسأل خميس عندما علمت أن هناك انحرافاً فما الذى فعلته ؟ أنا أتصور موقفى مكان المتهم ماذا كنت أفعل :

أولاً : أعمل للقضاء على هذا الإنحراف .. ولكن ما هى إمكانياتى ؟ وما هى الصور التى كنت أتخذها ؟ هل من الممكن أن أتخذ إجراءً مادياً للقضاء على الجهاز فى يوم وليلة ؟ .. الحقيقة أن وكيل الجماعة ما كان فى قدرته عمل أى شئ والذى فى قدرته هو رأس الجماعة وهو المرشد .

* قد يقال كان على الدكتور خميس عندما عجز عن تصفية الجهاز أن يتنحى . ولكن هو فى جمعية وهو بين اعتبارين : بقاءه وهذا أصلح من خروجه لأنه كان يستطيع الإصلاح ، والأمر الآخر وهو متصور ذلك أن خروجه كان فيه شئ من الخوف وخشية من الذين

خرجوا من أعضاء الجهاز .

* الدليل على أن خميس حاول أن يصفى الجو وأن يعيد الوئام بين الجماعة والحكومة بدليل أنه عندما علم أن هناك منشورات وكان نائب المرشد إتصل بيوسف طلعت وقال له : بلاش الحاجات دى . وفجأة نزل منشور آخر . الدليل على هذا والمنطق الذى يؤيده ما قرره جميع المتهمين أن يوسف طلعت يأتمر بأمر المرشد دون غيره ، وعندما وجد الفرصة لإنزال المنشور أنزله . وهذا دليل على حسن نية خميس .

لذلك أرجو أن نعطيه فرصة جديدة لكى يظهر أنه مواطن صالح من جميع الوجوه . ولهذا وفى هذه الحدود أعتقد أن مهمتى قد إنتهت وأسأل الله لكم التوفيق .

الرئيس - لكم كلام يا خميس ؟

المتهم - لا متشكر ..

« رفعت الجلسة حيث كانت الساعة الثانية عشرة والرابع بعد الظهر » .

محاكمة محمد محمد فرغلى

بعد الإنتهاء من سماع مرافعة الدفاع فى قضية المتهم محمد خميس حميدة رفعت الجلسة للإستراحة فى الساعة الثانية عشرة والرابع بعد الظهر ، ثم أعيدت الجلسة فى الساعة الواحدة حيث قدمت قضية المتهم محمد محمد فرغلى وقد مثل الإدعاء فيها البكباشى محمد التابعى والأستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والادعاء ..

« حضر المتهم محمد محمد فرغلى ومعه الاستاذ محمد هاشم للدفاع عنه » .

الرئيس - المتهم موجود ؟

البكباشى محمد التابعى (المدعى) - موجود يا فندم .

الرئيس - المتهم محمد فرغلى

الادعاء المقام عليك :

« أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الدولة ، وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولاً : بوصفه عضو فى مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين اشترك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً

لاستيلاء الجماعة التي ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة وذلك بأن اشترك في مؤامرة وضعت فيها خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل في جميع أنحاء البلاد تمهيداً لاستيلاء الجماعة التي ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .

ثالثاً : اشترك في تنظيم جهاز سرى مسلح مخالفاً بذلك قوانين الدولة ..

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - الدفاع يطلب شهود ؟

الأستاذ محمد هاشم (المحامي) - لا .

وهنا وقف الأستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الادعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى الأستاذ مصطفى الهلباوى

* المتهم اليوم يا حضرات القضاة واعظ دينى . وعالم من علماء الأزهر الشريف . وخريج كلية أصول الدين . وظل بالإسماعيلية قرابة ٢٠ عاماً أقول هذا لأبين أنه بحكم ثقافته ومنصبه الرسمي كان واجباً عليه أن يبصر المسلمين بأحكام الدين وتعاليم القرآن ... لا أن يحفظهم آيات الجهاد من سورة آل عمران دون تفهيمهم معناها أو مدلولها .

* وقد قال يوسف طلعت ومحمود عبده أن مجلس الجهاد الأعلى ولد ورأى النور فى مسكن الشيخ فرغلى بعمارة وهبه وهو الذى سماه هذه التسمية .. وقال محمود عبده فى التحقيقات : أن فرغلى دعاه هو وأعضاء مجلس الجهاد - وهم يوسف طلعت وحازم وصلاح شادى - إلى مسكنه وعرض عليهم خطة القيام بمظاهرات مسلحة كمظهر من مظاهر معارضة الحكومة . ودعاهم مرتين فى مسكنه ليكونوا هيئة مجلس الجهاد الأعلى وليقرروا هذه الخطة .

فهذا المتهم الذى قال فيه يوسف طلعت أنه لا يجرؤ أن يوجه إليه أى سؤال أو يواجهه بشيء تظهر خطورته وسطوته وسلطانه بالجماعة ولذلك فأطلب أن تستعملوا معه كل الشدة التى تخولها لكم أوامر تشكيلكم ، والله يوفقكم .

مرافعة الدفاع الدكتور محمد هاشم

* حضرات القضاة :

الشيخ محمد فرغلى مقدم بإعتباره عضوا فى مكتب الإرشاد وعلى هذا الإعتبار إتهم بالإشتراك فى الجرائم .

يقول الإدعاء من أنه عضو مجلس الدفاع الأعلى ومستشار الجهاز السرى لا يقوم عليه دليل واحد فى الأوراق قال أن يوسف قرر أن الشيخ فرغلى عضو فى المجلس وهذا لم أعثر عليه فى الأوراق . وكذلك قول محمود عبده لم أجد منه شيئا . أما من كانوا يجتمعون عنده فكانوا يجتمعون عنده بإعتباره عضوا فى الإخوان وبإعتبارهم أعضاء فى الإخوان واسباغ صفة المجلس على الإجتماع تشديد فى التخريج لا يسمح به ما هو مدون بالأوراق .

الرئيس - أقوال يوسف طلعت فى صفحة ٣ .. قال إن عبد المنعم عبد الرؤوف من أعوانه أبو المكارم وهو عضو فى مجلس الجهاد الأعلى ويشكل المجلس من الشيخ فرغلى وعبد الحى وأبو المكارم وأنا أى هو وحل عبد المنعم عبد الرؤوف مكان أبو المكارم .. وأقواله ممضى عليها

الأستاذ محمد هاشم (الدفاع) :

لو سمح سيادة الرئيس أقوال محمود عبده .

الرئيس - قال ردا على سؤال سبب إجتماعه بيوسف طلعت أن الشيخ فرغلى دعاه لإجتماع فى منزله وكان هناك يوسف طلعت والحالة بين الحكومة والإخوان متوترة وطلت المجتمعون منى عمل مظاهرة مسلحة فرفضت .

الأستاذ محمد هاشم (الدفاع) :

على أية حال فيما يتعلق بأقوال يوسف طلعت من آخرين صوروا هذا التصوير وإذا عندما يتحدث مع الناس يطلق على الاجتماع مجلس الجهاد الأعلى . ولا أجد الدليل القاطع

على أن الشيخ فرغلى يعلم أن المجلس مجلس جهاد أعلى ، وكذلك أقوال محمود عبده لا تدل على أن الشيخ فرغلى هو الذى طلب القيام بمظاهرة ، ولكنه قال أن المجتمعين طلبوا القيام بمظاهرة ولا يمكن أن نصرفهم للشيخ فرغلى ونرتب هذه النتيجة إليه والله يوفقكم .

«ورفعت الجلسة فى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الظهر .

الحكم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م صدرت محكمة الشعب حكمها فى القضية الخامسة وكان حكمها الآتى :

أولاً : حكمت المحكمة على المتهم محمد خميس حميده ، بالأشغال الشاقة المؤبدية .

ثانياً : حكمت المحكمة على المتهم محمد محمد فرغلى بإعدامه شنقاً .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقاً للمادة السابقة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على كل من المتهمين محمد خميس ومحمد محمد فرغلى على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م ، فصدق المجلس على الحكم .

التنفيذ :

فى تمام الساعة العاشرة من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على محمد محمد فرغلى حيث أعدم شنقاً بسجن الإستئناف .

(٨) ملخص التحقيقات مع

- محمد حامد أبو النصر

- أحمد شريت

- عبد العزيز عطية

- عمر التلمساني

محضر الجلسة الثالثة والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علناً في الساعة الواحدة والأربعين بعد الظهر بمقر قيادة الثورة في الجزيرة يوم الأربعاء الموافق أول ديسمبر سنة ١٩٥٤م ، الموافق ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٧٤هـ .

المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة .

وعضوية القائمقام أنور السادات والبكباشي أ . ح حسين الشافعي ، عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشي سيد سيد جاد المدعى والاستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٨ سنة ١٩٥٤م لمحكمة الشعب المتهم فيها محمد حامد أبو النصر وأحمد أحمد شريت وعمر التلمساني وعبد العزيز عطية عوض الله .

(حضر المتهمون ومع المتهم الأول محمد حامد أبو النصر الاستاذ حسين أبو زيد للدفاع عنه) .

الرئيس - فتحت الجلسة .. المدعى جاهز .. المتهمين موجودين .

المدعى - أيوه يا أفندم ..

الرئيس - أسماء المتهمين محمد حامد أبو النصر وأحمد أحمد شريت وعمر التلمساني وعبد العزيز عطية عوض الله . والإدعاء المقام على كل منهم هو الآتى :

أتى افعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك بأنه في يوم ٢٦ من

أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأمر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

وقد سأل الرئيس المتهمين عما إذا كانوا مذنبين أو غير مذنبين فأقروا جميعاً أنهم غير مذنبين .

«وقد حضر الاستاذ أحمد أبو زيد عن محمد حامد أبو النصر وسيتولى بقية المتهمين الدفاع عن أنفسهم» .

الرئيس - الإدعاء ... اتفضل ..

مرافعة المدعى على نور الدين

حضرات القضاة :

الإدعاء ضد المتهمين هو أنهم إشتراكوا فى توجيه سياسة الجماعة إلى العنف والإرهاب بصفتهم من أعضاء مكتب الإرشاد وهذا الإدعاء نظاماً أن مكتب الإرشاد هو الهيئة التنفيذية للإخوان ومفروض فيه أنه يشرف على الاتجاهات الجماعية وتنظيماتها فهو بمثابة مجلس الجماعة وبوصفه هذا بتحميل أعضاءه المسئولية المشتركة عن الاتجاهات المخالفة للقوانين .

هذه المسئولية لا يمكن لأى فرد أن يتخلص منها متذرعاً بجهله لما يجرى داخل الجماعة لأن عضو الإرشاد يجب أن يقف موقفاً إيجابياً فى إدارة شئون الدعوة .

ولو أننا سمعنا هنا تنصل أعضاء مكتب الإرشاد من المسئولية بقوله أنهم لا يعلمون شيئاً عن الجهاز السرى إلا أن هذا الوضع ينفيه حقيقة الوضع القانونى والعملى لمكتب الإرشاد الذى عاصر من أول الأمر دعوة الجمعية .

والأمر الثانى هو أن الجهاز السرى كان محل إعتراض الحكومة أكثر من مرة . وكان ذلك كما قررنا منذ مايو ١٩٥٣م وأعضاء مكتب الإرشاد يعلمون ذلك بإعتراف الكثيرين منهم ولكن مصير هذا الطلب كان الإهمال المطلق ، ولم يكلف مكتب الإرشاد نفسه مشقة الإستجابة للحكومة .

ليس لنا بعد ذلك أن نقدم دليلاً آخر على علم أعضاء مكتب الإرشاد بوجود الجهاز وخطورته وعدم وقوفه موقفاً إيجابياً .

هل يستطيع واحد من أعضاء مكتب الإرشاد أن ينفي وجود جهاز سرى داخل الجماعة . كلا ؟ فكلهم يعلمون أن مسئولية مكتب الإرشاد في هذا مريجة واضحة . ومكتب الإرشاد مسئول عن إتجاه الجماعة للعنف والإرهاب وهذا الإتجاه بدأ بسلسلة منشورات معادية للحكومة وكان مكتب الإرشاد هو أول من بدأ هذه الحملة - حملة الكذب والتضليل - بمنشور أذاعه ينقد فيه الإتفاقية . وقد قال خميس في هذا : أن جماعة الإخوان نشرت رأيها وطعنت في الإتفاقية لتقوية ظهر المفاوضات المصرية ، سمعنا هذا وضحكنا له كثيراً .

وقد نوقش حول الأسس التي قبلها المرشد للإتفاق مع الإنجليز ، ومنها قبول المرشد عقد إتفاق سرى يسمح للإنجليز باحتلال مصر في حالة خطر الحرب . فأقر ذلك كله .

والمتهمون الماثلون أمامكم كلهم أعضاء في مكتب الإرشاد ويعلمون بوجود النظام الخاص . وقد اعترفوا بذلك في التحقيقات وكل منهم حاول بطريقة ما أن يبرر هذا الموقف السلبي في الجماعة .

ولكن ماذا عملوا ؟ ماذا اتخذ مكتب الإرشاد لمنع الخطر الجاثم ؟ لا شيء .. وقال خميس أيضاً عندما سُئِلَ عن رأيه فيمن أقروا حسن المضيبي على هذه السياسة فأكد أن ذلك جريمة وأن مكتب الإرشاد كان يجب أن يتخذ علينا .. وعلى ذلك فمكتب الإرشاد أجرم . فخميس قال ذلك وهو الواقع والمنطق . هذه هي مسئولية مكتب الإرشاد وأن القصاص يجب أن يوقع على هؤلاء المتهمين . وفقكم الله .

مرافعة الدفاع الأستاذ حسين أبو زيد

استمعت إلى الكلمة القيمة التي قالها الزميل ممثل الإدعاء التي قال فيها أن المسئولية تشمل جميع أعضاء مكتب الإرشاد . وأحب أن أقول أن مركز موكلتي بأنه عضو في مكتب الإرشاد - وقد أخبرني وأرجو أن يكون صادقاً - إن مكتب الإرشاد قسمان : قسم قاهري وقسم إقليمي . وموكلتي عضو إقليمي من منفلوط وهو مزارع لا يحضر القاهرة إلا قليلاً ولا يحضر كل الاجتماعات .

وهو يحب الثورة ورجالها ويخلص لها في جميع المناسبات كان يظهر الشعور الطيب



احمد شريت وعمر التلمساني وحامد أبو النصر

وعبد العزيز عطية من قادة الإخوان ١٩٥٤

نحو الثورة ورجالها وقد أرسل موكلى إلى جريدة الأهرام مقالاً يدعو فيه إلى التعاون بين الحكومة والإخوان وذلك فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٤م أى قبل أن تقع الحادث وعندما طلب الرئيس حل الجهاز . وأنا أعتقد أنه ليس شريراً وأنا أقول رأى فيه بمنتهى الصراحة . وهو أنه ليس شريراً ولا يحب الشر ويتعاون مع الشر . وبناء عليه أطلب البراءة .

مرافعة المتهم أحمد شريت

أنا متهم بالتستر على الجهاز السرى وقد بينت فى التحقيق أن علمى هو أنه جماعة رياضية غير مسلحة . وأنا بحكم وجودى فى أسبوط أحضر للقاهرة مرة كل شهر . ولم يعرض على مكتب الإرشاد أى شىء يتعلق بالجهاز .

ومنذ ذلك الحين وأنا دائم الإتصال بالإخوان وقلت لهم أن الإسلام لا يقر السرية وقلت ذلك للبهى الخولى وعبد المعز والحصرى ونور الدين وجوده وغيرهم . وقلت لهم أن السكوت على هذا بعد العلم جريمة .

وحضر إلى الاستاذ البهى الخولى فى أسبوط ومعه الاستاذ عبده قاسم وقال أن المعاهدة ستوقع ، ولا بد أن نقف موقفاً مؤيداً منها ، وإتفقت معهما على ذلك ولو فصلنا الإخوان . وحضرت للقاهرة فى ٢٠ أكتوبر وأعلن عن الغاء المكتب القديم وتشكيل لجنة لعمل مكتب آخر وإختارونى عضواً فى اللجنة لأنى معتدل وقد أذيعت هذه القرارات وبعض الإخوان رضوا عنها وبعضهم سخط . وبعض الشبان قلت لهم أن المعاهدة أفادتنا كثيراً وأفرض إننا مرتبطون بالإنجليز فى أربع عجالات وفكيننا عجلة ألا يكون ذلك تقدماً ؟ وإن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن الذلة والخضوع .

مرافعة المتهم عمر التلمسانى

أنا تحدثت فى مكتب الإرشاد إن فيه تشكيلات فى الجماعة ويجب عدم السكوت على هذا واستشهد على ذلك بالبنا والخولى وعبد المعز ، وعقب الجلسة تقابلت مع جوده ، وقلت له ما حصل فى جلسة مكتب الإرشاد من معارضتى للجهاز .

وفى سبتمبر الماضى كان الهضيبي مختفياً . وأنا أستنكرت هذا الوضع وقلت أنه لا يليق أن يختفى مرشد للمسلمين . وطالبت بإصدار بيان ينشر فى الصحف على أننا متعاونون

مع الحكومة ونشيد بالإصلاحات التي قدمتها للأمة

مرافعة المتهم عبد العزيز عطية

نحن بفضل الله مرتاحون تمام الراحة لأحكام المحكمة . وإن صفى فى الإخوان يرجع إلى سنة ١٩٤٢م وكنت أعطى دروساً بصفتى معلماً وفى سبتمبر الماضى إنتخبت عضواً فى مكتب الإرشاد . وكنا علمنا قبل ذلك أن هناك جهازاً سرىاً يرأسه السندى . وحصل منه حوادث مثل قتل النقراشى والغازندار رئيس المحكمة وغيره .

وفى يناير ١٩٥٤م حلت الجماعة وقبل ذلك حصلت حوادث شغلت مكتب الإرشاد مثل موضوع صالح عشناوى وموضوع إحتلال بيت المرشد والهجوم عليه واحتلال مكتب الإرشاد - تسمح لى سيادتلك شوية مية !

الرئيس - أيوه . كباية مية من فضلك .

عطية - «شرب» ثم قال : وبعد الحل صار الإخوان فى وضع مؤرجح لأنهم كونوا لجنة لإزالة سوء التفاهم مع الحكومة . وفى الاسكندرية أنا لم أكن أعرف شيئاً عن الجهاز السرى بصفته الحالية .

مناقشة المتهم

الرئيس - أنت قلت أنك لا تعلم إن فيه جهاز سرى بالمعنى الذى عرف أخيراً يعنى كنت تعرف أن فيه جهاز سرى بوضع آخر ؟

عطية - عاوز أقول أنه فى الاسكندرية ظهر إن فيه جهاز سرى وأسلحة وموضوع محمد سليم ده خاص بمسألة ، لم تظهر إلا فى أن القراقصى جاء مرة وأبلغنى أن محمد سليم كان فى مصر وأنا لا أعلم إن سليم زى يوسف طلعت رئيس جهاز سرى .

« رفعت الجلسة فى الساعة الرابعة والنصف مساء » .

الحكم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها على كل من :

١ - محمد حامد أبو النصر بالأشغال الشاقة المؤبدة .

- ٢ - أحمد أجمد شريت بالسجن خمسة عشر عاماً .
٣ - عمر التلمساني بالسجن خمسة عشر عاماً .
٤ - عبد العزيز عطية عوض الله بالأشغال الشاقة المؤبدة .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على كل من : محمد حامد أبو النصر ، وأحمد أحمد شريت ، وعمر التلمساني ، وعبد العزيز عطية عوض الله على مجلس القيادة في يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق المجلس على تلك

(٩) ملخص التحقيقات مع

- عبد المعز عبد الستار

- عبد الرحمن البنا

- البهى نجا الخولى

محضر الجلسة

الرابعة والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا فى الساعة الثانية عشرة ظهراً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الخميس ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٦ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ .

المؤلفة جميعاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائممقام أنور السادات والبكباشى (أ . ح) حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى محمد التابعى المدعى والاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٩ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من عبد المعز عبد الستار .. وعبد الرحمن البنا والبهى نجا الخولى .

(حضر المتهمون) .

الرئيس - فتحت الجلسة ... المتهمون عبد المعز عبد الستار، عبد الرحمن البنا ، البهى نجا الخولى :

أتوا أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن ، وذلك لأنهم فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفهم أعضاء فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراكوا فى توجيه سياستها إلى استعمال العنف والإرهاب وأقروا قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى ينضموا إليها على السلطة بالقوة ..

«وقد آل الرئيس المتهمين عما إذا كانوا مذنبين كما أقروا أنهم سيتولون الدفاع عن أنفسهم».



عبد الرحمن البنا وعبد المعز عبد الستار والبهى الحولى من قادة الإخوان ١٩٥٤

مرافعة المدعى مصطفى الهلباوى

متهمون اليوم - يا حضرات القضاة - ثلاثتهم أعضاء مكتب الإرشاد ومن كبارهم وائتمته . نشأوا مع نشأة هذه الجماعة وبقوا فيها حتى تكشف للناس الحقيقة الخفية لهذه الجماعة وعرف الناس عنهم ما عرفوا حتى آمن المواطنون أنها جماعة تلبس الحق بالباطل وهدفها الوصول إلى مناصب الحكم عن طريق رجالها أو عن طريق فرض الوصاية على الحكومات وأحد المتهمين شقيق مؤسس هذه الجماعة وثانيهم زميل له فى الدراسة وثالثهم واعظ دينى من وعاظ الحكومة وخريج الأزهر الشريف .

سلطة المكتب

أما عن مكتب الإرشاد فهو السلطة التنفيذية فى الجماعة وبجانبه الهيئة التأسيسية وهى برلمان الجماعة ، وقد قال خميس أن مكتب الإرشاد هو الهيئة العليا . وقال يوسف طلعت أن جميع الجماعة خاضعة لمكتب الإرشاد .

إذن مكتب الإرشاد هو المسئول الأول عن إنحدار هذه الجماعة وإتجاه سياستها إلى الإرهاب والمنشورات ومحاولة قلب نظام الحكم عن طريق الإغتيالات والتخريب والتدمير .

وهذا المكتب تصدر عنه جميع القرارات وهو الذى يدبر سياسة الدعوة وبذلك يكون أعضاؤه مسئولين عن هذا الإتجاه وعن هذا الإنحراف .

ولو قلنا غير ذلك لما كان هناك داع لقيام مكتب الإرشاد . ويبدو عن إصدار مكتب الإرشاد بيانا عن الإتفاقية وعن رأيه فيها . إن مكتب الإرشاد يؤكد للناس حقيقة رئاسته لهذه الجماعة وهيئته عليها .

هذا هو مكتب الإرشاد وهذا هو وصفه فى الجماعة وإختصاصاته الواسعة الشاملة ويترتب على هذا إن الإختصاصات يقابلها واجبات ومسئوليات .

والآن كيف كان يتصرف المكتب فى شئون الجماعة وتخلى عن حقوقه فى تدبير الدعوة سمعنا من السنة الشهود أن هذا المكتب كانت قراراته إستشارية لا تلزم المرشد .

كما أن البيان الذى أصدره مكتب الإرشاد عن الإتفاقية لم يعرض على الهيئة التأسيسية .

وقال خميس : إن الأمر كان دكتاتورية وأن المرشد كان يتصرف كما يرى وأنه كان يدير الجماعة من مخبئه بواسطة بعض بطانته .

فماذا فعل المكتب فى الجهاز السرى المسلح ؟
قال خميس : إن جميع أعضاء مكتب الإرشاد وبعض أعضاء الهيئة التأسيسية يعلمون بوجود الجهاز الخاص ورئاسة يوسف له .

مقابلة الرئيس

وقد قال خميس : أنه ذهب مع عبد الرحمن البنا إلى رئيس الحكومة وتحدث معه عن التنظيمات السرية وطلب منه الإفراج عن ضباط الجيش من الإخوان .

وهذه الواقعة تدل على أن مكتب الإرشاد جميعاً كانوا على علم بقيام هذا النظام وعلى علم بأن هناك تشكيلات إخوانية فى الجيش والبوليس .

وقد طلب منهم رئيس الحكومة فى مايو ١٩٥٣م حل الجهاز وتسليم أسلحته فلم يستجيبوا وتحدوا الحكومة وأقروا لإختيار يوسف طلعت رئيساً لهذا النظام السرى .

فماذا فعل مكتب الإرشاد فى هذا الصدد ؟ لم يفعل شيئاً وآثر السكوت والتستر والخضوع ليوسف طلعت والمرشد وبطانته .

ماذا فعل مكتب الإرشاد حين سافر إلى البلاد العربية ليهاجم مصر ويدعو ضدها ؟

ماذا كان موقف هؤلاء المتهمين من هذا كله من الإرهاب ؟

قد يقول بعضهم أنه حين آنس من الجماعة هذا الاتجاه الإرهابى ، قدم إستقالته . هذا القول أيضا لا يمكن أن نغفیه من المساءلة، لأننا حتى لم نر واحداً منهم قبلت إستقالته - وكأن الإستقالات صورية يعقبا ماثرة على العلاقة بالمرشد والجماعة . والإستقالات لا تعفى من المسئولية .

وكان على الأعضاء أن يبصروا الحكومة ويبصروا الناس ويقولوا لهم : لا تصدقوا أن أهدافها دينية وأعلموا أن أهدافها سياسية للوصول إلى الحكم .

ولذلك أطلب عقابهم بالمواد المنصوص عليها فى أمر التشكيل .

مرافعة المتهم عبد المعز عبد الستار

أنا عينت في المكتب وكنت منتدبا للتدريس في كلية الشريعة بمكة منذ ١٩٥٢م وفي
سبتمبر أو أكتوبر ١٩٥٣م انتخبت عضوا في مكتب الإرشاد ولم أرشح نفسي وكنت عامل
عملية في المستشفى والمفروض أن إجتماعات الهيئة التأسيسية تكون في محرم والعام
الدراسي في الحجاز يبدأ في محرم ولهذا سافرت ولم أحضر إجتماعات الهيئة ولا مكتب
الإرشاد .

وبعد سفرى إلى الحجاز غبت إلى آخر رمضان . وعدت مرهقاً وسافرت إلى بلدى
وعدت إلى القاهرة وبعد العيد وكان المرشد سافر إلى البلاد العربية ولم أجمع به ولم أره .

ولاحظت أن الإخوان كانوا مختلفين ومتناكرين ومتفاعل في نفوسهم من المعانى مالا
أقرها ومالا أرضاها لأنى أو من بهذه الثورة ولا أحب أن أمتدحها حتى لا أكون مستشفعاً .

وإنى قلت فى خطبة إن الله بعث محمداً ليخرج الناس من عبادة الأشخاص إلى عبادة
الله وهذا ما فعلته الثورة وأقسم بالله الذى نفسى بيده لو علم أن واحداً منكم يستحق
المؤاخذه لقلت فى مواجهته وأنا لا يردنى عن الحق راد .

وحدث فى الإخوان انظاراً للذين حررهم من عبادة الداعون إلى عبادة الله ، وحررهم
من ضيق العيش بتحديد الملكية والإصلاح الزراعى . وهذا ما قلته فى الأزهر فى خطبة
لى عندما كان تحديد الملكية محل مناقشة .

وقلت أن الثورة أخرجت الناس من حق الحكام إلى عدل الإسلام والعدل كالصدق
لا يمكن أن يكون ملوثاً ولا يمكن أن يكون هناك صدق أسود وصدق أحمر ولكنه صدق
واحد هو مطابقة القول للحقيقة ، وكذلك العدل .

وأنا لست بصاحب الموقف الضعيف الذى ينبش فى الماضى وفى دفاتر المفلس ولكن
هذا هو موقفى .

مرافعة المتهم عبد الرحمن البنا

أثيرت دعاية قبل تعيين الهضيبي عن أربعة من كبار الإخوان يريدون الإستشار بالدعوة
ودعانى الأستاذ الدله قبل إنتخاب الهضيبي فذهب إلى منزله وكان رسوله عبد القادر حلمى

ولما ذهبت وجدت الباقرى وعشماوى وقال منير : أنتم الأربعة متهمون بالتنافس على رئاسة الإخوان .

فعجبنا لذلك . وقلنا أن طلب الرئاسة أمر يمنعه الإسلام وحكم الإسلام . وإن طالب الولاية لا يولى . وإن أحداً منا لم يطلب ذلك .

وانتشرت بعد ذلك دعايات تعرف الهضيبي الذى لم نكن رأيناه بعد وترشحه لرئاسة الإخوان ثم بدأت أحضر الجلسات وأقوم بما يفرض على عضو فى مكتب الإرشاد الذى آلت إليه مسئولية دعوة الإخوان فلاحظت أن كثيراً مما كنت أتحدث به لا يجد قبولاً ولا تجاوباً وإذا أردت أن أتحاكم الى الأعضاء أجد عدم إفساح مجال لى من الأستاذ الهضيبي .

وسارت الأمور فى هذا الجهاز الداخلى ونحن حينما نخلو إلى الله فى الصلاة ونبتهل لابد لكل مؤمن من لحظات بينه وبين ربه . كانت لحظتنا أن يصلح الله هذا الصف الذى ورثناه نقياً طاهراً متحاباً .

وكنا ندعو الله تبارك وتعالى أن ينقذ البلد من حكم كان يسير على غير الأحكام التى ترتضيها أمة تبغى المجد والكرامة . ودعا الصالحون كذلك وأذن الله لهذه الأمة أن يستجاب لها هذه الدعوات وتحقق الآمال وطلع على الناس يوم ٢٣ يوليو .

بيان ٢٣ يوليو

واستمعت أول ما استمعت إلى المذيع فاهتز قلبى وطرب سمعى .

وذهبت إلى الأستاذ الهضيبي فى الاسكندرية وأخذت معى الأستاذان طمان ونصير وتكلمنا وقلت له : إن هذا هو بدء الأمر الذى عشنا عليه وفجر أشرق شمس جديدة على البلد ولا بد من عمل تتخذه وسهر نسهره وربط بين الإخوان والحركة . فاختلف معى الهضيبي فى رأى فطلبت منه الحضور إلى القاهرة فلم يحضر إلا فى ٢٦ يوليو .

طالبت فى كثير من جلسات مكتب الإرشاد بالشورى وتبادل رأى وما قرره الأستاذ البنا من أنه لا يفرض رأيه على مكتب الإرشاد . وقلت للهضيبي أننا نريد أن نعرف خطواتك وإتجاهاتك فإذا قابلت وزير العدل فخذ أحداً من رجال القانون وإذا ذهبت لمقابلة صاحب إختصاص فخذ العضو المختص فى مكتب الإرشاد معك حتى يمكن متابعة خطواتك .

قال : ولم تطلب هذا ؟

قلت : هذا تقليد الإخوان وماضيهم .
قال : أنا لا أريد أن يذكر لى أحد الماضى .

إن مكتب الإرشاد لم يكن يعرف أكثر من الأمور العادية التى تعرض عليه ولم يكن يعلم أبدا وعلى الأقل لم يكن بعض أعضائه يسلمون بالعنف ولكن الأمر المريب الذى خفناه ورأيناه أنه ضرر هو ما تبع إتفاقية الجلاء .

وجاءت رحلة الهضيبي إلى البلاد العربية وقال أنه سيسافر الحجاز للعمرة . وأنا شخصياً طلبت منه أن أذهب معه للعمرة فقال لا .. أنا حروح بعض البلاد الثانية فقلت له : لما تروح البلاد الثانية خد حد معاك من مكتب الإرشاد فرفض .

مرافعة المتهم البهى نجا الخولى

كنت عضو مكتب إرشاد لمدة ٦ أسابيع على الأكثر وذلك إنى عقب فصل السندى قرر مكتب الإرشاد ضم عضو إليه وأنا قبل ذلك كنت معتكفا سنة ونصف سنة .

وقد حصل فى أثناء هذا أن أذيع خطاب أو منشور يطالب فيه المرشد بالحريات والحياة النيابية فأنا قلت ده معناه تدمير ما بنته الثورة والعودة إلى القديم وأنا أفهم أن الإخوان ما داموا أحراراً فى مركزهم العام وفى التنقل وفى الخطابة يقولوا عايزين إيه ؟ الإخوان متمتعين بالحرية إذن فهذا الطلب معناه خدمة الشيوعية وعودة الأحزاب إلى الدجل القديم والشعب لا يزال إلى الآن فى دور النقاها .

وكانت الهيئة التأسيسية وظروف خسرنا الجولة ولم نصل إلى شىء .

ويوم الثلاثاء وقع الحادث فى الاسكندرية وفى يوم الأربعاء الشعب ثار وحرق المركز العام واجتمعنا فى بيتى وقررنا فصل الهضيبي من منصب الإرشاد وحرمانه من عضوية الجماعة وأرسلنا ذلك إلى الصحف فلم ينشر .

الرئيس - أنت كنت على إتصال برئيس الحكومة خلال المدة اللى عملت فيها مجهودك ؟
البهى - أيوه لنستعين به حتى لا تتعطل جهودنا .

« رفعت الجلسة فى الساعة الرابعة والدقيقة الأربعين مساء » .

وقلت أن المعارضة العادلة هي المطلوبة . ورجال الثورة يكرهون التملق ويحبون من يصبرهم
بعبوبهم وأخطائهم . وإذا لم يعجبنا عمل من أعمالهم يبقى لازوم نذكر لهم حسناتهم ..
وقلت كفاية إنهم طردوا فاروق . وأعلنوا الجمهورية . وقربوا بين الطبقات . وقلموا أظافر
الإقطاع . وتكفى حسنة واحدة من هذه الحسنات لتذوب فيها كل الأخطاء إن كانت لهم
أخطاء .

الحكم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة
الشعب حكمها على كل من : عبد المعز عبد القادر وعبد الرحمن البنا والبهى نجا الخولى
بالبراءة .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

طبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من
المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على كل من :
عبد المعز عبد القادر وعبد الرحمن البنا والبهى نجا الخولى على مجلس القيادة فى
يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق على تلك الأحكام .

والله يقول الحق وهو يهتد

سیدن رحیمین محمد الشعب السلام علیکم ورحمة اللہ وبرکاتہ دے بعد تبارک اللہ
عنه یہ اللہ :-

١٩٤
 أنا صديقك الطيف محمد نقيب
 في هذه المسألة من الجاهل تعلم أنه قيادة الإخوان لا يأمر به إلا ما فيه خير
 الإسلام والسلم والصلح نكت أسبح كل أمر لمصلحة ودوره تردد أو مناقشة له هذا
 ما در عنه أنا من مسلمة يعلمونه للإسلام ويقدره من رواية الله في أي مل
 يعلمونه ذلك فكتب معهم على هذا الأسلوب وكتب أعيب على بعض المسلمين
 يناقشونه في أي أمر وأقول في نفسي إيه الطلب عندهم حب الجاهل في أي شيء وإياه
 كل أمر يأتين به الإخوان أمر أنه في طام هذا الأمر طاعة الله فالله حتى خسرني إلى النظام
 السر في هيئة الخاب المكونة من ثلاث أفراد وبعد تكوينه هذه الخلية بتليل طمأنيني أنا
 وسعدني بجمع مرام مثل أنذر الساعات وجره الجمهور بقرعها ومراقبة الخراس عليه
 ولزمت به أمة لا يتسام وبعد دراسة وأحب استقرا الأمر على مباحثته في باب دار الجريد وفي هذا
 الحجة قرأت الاستشارة لا تبين حقا الأمر هذه الاستشارة أيضا قد علمنا أن لها
 الأوامر التي عليه البنا في رسالة الماثورة وهي الأدعية والادوارد الثابتة مع الذين
 على الله عليه وسلم وهي ثابتة أنه الأثرية كانه خالصا لوجه الله ليسر الله وأنه كانه فيه ذلك
 يدقم الله وبعد قرأت لهذه الاستشارة أنا ان الأثر في توجيه المكاف بعهذه المهر ومال
 انظر اعمق يأتي أمر السنفذ وبعد ذلك انقل عنامه حتى علمت بعد ذلك أنه تبعية عليه
 خارج القامعه وسلم مكانه توجيهه هذا وسأدوير وقال أنا إلهام الأثرية فقلت
 خير إياه شاء الله وقيل إلى ما تبين أعبر في أنا وسعدني بجمع مرام بأمر الإخوان

بإنيال الرئيس على جمال به التماسه وقال لنا أي واحد منا خمسة الثلاثة صحتنا
له التماسه بنقد هذا الأمر فمن هذا الحية قرأت أيضا الاستاد به. هيا يوم قال
هنا راوون الأمر وكان لم يعطني سلاحي بعد وبعده هيا يوم به اعنه لي السلام
وقال مير علي بركة الله وقيل الحادث بيوم كابلته وأخبرت به الرئيس ما فرغتموه
لأقامه احتفالات شعب وطني ففترها لفرقة ولا يلزم قال سافر لي ولم ألكم في سافرت
وأرسلت الحادث ومعه نعمت الله على أني لم أذهب بدعاء الرئيس جمال عبر الناس
واقف به يومه الذي وأعلنت به التحية في اليوم الثانيه مع هذا وور دور به هنا
الاغتيال السياسي لم يكن به السلام في شيء وإنما ميراث وورثناه مع قبل وفي
أي أنه هذه العبارة هي من قول الكافر به الله الذي قالوا لانا وانا ما على الله وانا على
آثارهم ~~مكتوب~~ بنقد و به فلكن أسمع علم هنا مع قبل لنا قست كل أمر كما به أي شيء به
الاغتيال به وكننا أول من به في هذا الشأن لأن كننا أكثر كلام به عنه كقوله يقينه
بأنه للاسلام في ما يب أي أنه جميع السليم في مشاير به الأله ومغايير إلى هذا
بأنه لا يأخذ و به أي أنه يشترط به الله أمر حتى يقين و احقة في آخر الله للاسلام
أمن به ذلك واني قلت هذا الكلام لا لمعاني تقنين العزة. ولكن له ما
للجنة والا مر به يدع حواله المحكمه فمن صا به الشأن والله يقول الحق وهو
يوم من السبل» والسلام عليكم يا سيد الرئيس درسته الله وبركاته مع
محمد ومير الطيف

يعترف ويخط يده بمحاولة اغتيال عبد الناصر عام ١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

أذكر بعض عبارات كتابه قد ذكرها هذاون في بيع خاصة انا وهو وهذه العباد
من «إني الله يحب» انه بهذا الدم الساطع يجر في سبيل الله وكان في معظم مقام
البيع آخرهم بهذه الخطبة التي الكريمة «إني الله اشترونه المودعة انفسهم واموالهم
بأنه لهم الجنة» وقد ذكر هذاون دوير في شهادته ان كنت مقتبس كتابه اذكر
به وبهم انه يوجه هذا التمس الى قوسه صديقه سليم

مسعود عبد الله



فتحى البوز
المحامى أحد القادة الكبار ١٩٥٤

وثائق الإخوان وبياناتهم السرية أثناء صدام ١٩٥٤م بيان ونذير

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا
ونبينا محمد رسول الله وبصطفاه اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك ونشكرك وتتوسل إليك -
ونحمد لك الحمد كله وتتوكل عليك - حمداً ينم عما يجيش في صدورنا - وما يعتمل
في قلوبنا ..

وبعد .. فإن الأحداث تطورت داخل الإخوان ووصلت إلى درجة لم يعد يحتملها أى
مخلص لدعوة الإسلام . وإننا إذنا نحمد الله على السراء والضراء لنثق ثقة تامة في عدالته ..
ونؤمن إيماناً عميقاً في أنه ما من كرب إلا الله مفرجه وما من خطر يحيق بالجماعة إلا
والله كاشفه وراده إلى نحور الذين عميت قلوبهم ، فأخذوا يقررون مصيرهم المحتوم
بأنفسهم ، ولقد شاءت إرادة الله ولا راد لمشيئته أن يظهر نور الحق ويكشف عما يدور
في جنح الظلام ، مما يدبره حفنة من الخارجين على الدعوة ، الكافرين بمبادئها ..

أيها الإخوان الأحرار .. وصل الاستاذ الهضيبي إلى منصب المرشد العام في ظروف
ليست خافية على أحد من الإخوان وبمساعدة خصوم الدعوة ليسير بالجماعة في طريق
رسموه له ، أبعد ما يكون من مبادئ الجماعة ، أو ظل يتظاهر بالغيرة على الدعوة ، وبإيمانه
المتزايد على حقوق الإخوان ، وبدى للإخوان الأحرار مقاصده الحقيقية ، وخطته الملتوية
التي أراد بها أن يغير من نظام الجماعة حتى يضمن الموقف في يده ، ويظهر ذلك بجلاء
في اجتماعات يعقدها مع الخوارج لغاية اليوم ، ليحارب المؤمنين الثابتين على ما عاهدوا
الله عليه والإمام الشهيد .. أنه يريد إقصاء الأخ المؤمن الحاج صالح العشماوى لأنه كشف
عن انحرافه عن سبيل الرشاد ، وأظهر اجتماعاته الخطيرة مع أعداء الله من الإنجليز التي
حضرها واشترك في تديرها الخوارج (منير الدله ، صالح أبو رقيق) ولقد زاد الأمر خطورة
لا يمكن التغاضي عنها ، إذ اتجه الاستاذ الهضيبي إلى عقد اجتماعات سرية مع أعداء الله
من الأمريكيين فعقد مع (مستر لنت في وجود الخوارج ، محمود مخلوف مدير شركة
البيسى كولا اليهودية) وخيل إليه أن نبأ هذه الاجتماعات لن يصل إلى الإخوان .

أيها الأخ المؤمن .. لم يبق وقت قصير فهل صحوت من غفوتك وتداركت الفتنة ؟
وهل حزمت أمرك وأعددت المدة لليوم الفصل ؟ يجب عليك أن تعمل بكل ما أوتيت
من قوة لمبايعة الأخ الصالح الحاج صالح عشماوى مرشداً عاماً .. أنك إن فعلت ذلك
فقد أرضيت ربك وأرضيت روح الشهيد الإمام .

آن الوقت الذى لابد من نصرة الدعوة كما علمنا أياها فضيلة الإمام الشهيد وثبتت مبادئها ونظمها وتظهر الجماعة ممن كفر بها بعد أن ظل حيناً يتظاهر بالإيمان فحق عليه قول الله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ إِزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ .

أيها الأخ المسلم .. يقول الله عز وجل : ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ . وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ صدق الله العظيم .

أيها الأخ .. هذا هو الاستاذ الهضيبي ومن حوله ، وهذه هى طريقتهم ومدى إيمانهم بالدعوة الإسلامية ، ونحن الإخوان الأحرار ندعوك إلى القيام بدورك وواجبك الذى لا شك أنك ستقوم به بإذن الله ومشيتته .

والله أكبر والله الحمد الإخوان الأحرار

بسم الله الرحمن الرحيم منشور سرى للإخوان

نحمد الله سبحانه وتعالى على ما أولانا من نعمه فضلاً عميماً ، وخيراً كثيراً ، وجنبنا تبارك وتعالى مواطن الزلل وهفوات اللسان ، وزادنا إيماناً فوق إيماننا ، وقوى بالإسلام شوكتنا ، وألف بالتقوى والصلاح بين قلوبنا ، ووحّد أهدافنا لخير الدعوة الإسلامية .

أما بعد ، فيا أيها المؤمنون .. إن الأيام تمر بنا سريعاً وعجلة الزمان تقف والخطر يحدث بنا إن لم نتداركه أصابنا فى صميم دعوتنا التى كافحنا بدمائنا فى سبيل نشر لوائها بين العالمين ، ولقد كتب علينا أن نكافح من جديد ضد عدو من بيننا لبس مسوح الرهبان وكشفت الأيام عن حقيقته فإذا به مخادع منافق يستغل دعوتنا الإسلامية ، وأباح لنفسه ما حرّمه على نفسه فضيلة الإمام الشهيد ، ألا وهو الاستاذ الهضيبى ، الذى شرع فى بث روح الفرقة بين صفوفنا ، وأرادها نارا تأخذ اليباس والأخضر وأرادها فتنة تفرق صفوف الإخوان الذين ظلوا كالطود الشاخ ، تألبت عليهم جميع القوى لتفت فى عضدهم فلم تستطع ، حاربهم المستعمر وحالفه الملك المخلوع والأحزاب المنحلة مجتمعة فلم تصل إلى بغيتها ، وأراد الله للإخوان إمتحاناً رهيباً اجتازوه بقوة إيمانهم وتمسكهم بالدعوة إلى بناها فضيلة المرشد الشهيد حسن البنا وظل يكافح فى سبيلها حتى سالت دماؤه زكية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

أيها الإخوان .. سلك الاستاذ الهضيبى بالإخوان طريقاً أرادته لنفسه واستغله لشخصه ومن حوله ، وأباح مال الدعوة لغير غرضه ، ولنزوات دنيوية ومصالح ذاتية ، واستن عملاً ظنه يوصله إلى ما يريد ، فأبعد المخلصين عن مكانهم فى الدعوة ، وحشر المنافقين الوصوليين ، وغرته الحياة الدنيا وزينتها ، فنسى جلال الدعوة وهيبة المنصب الذى وصل إليه ، وانحرف عن الطريق السوى وأخذ يدعى على الشيخ الجليل عبد الرحمن البنا الكذب والبهتان ويرميه بقاسى القول فى جلساته الخاصة ، وهمس بين أصفياه متقولاً على المرشد الشهيد ، وأصبحت الجماعة من تديرته مهددة بالفتنة والفرقة وهو ما لم تقدر عليه جميع القوى فيما مضى .. ولم يكتفى بذلك بل أخذ يعقد الندوات مع أعداء الله من المستعمرين ويحرر معهم معاهدات وإتفاقات وما زال يقابل الإنجليز ، وكفر بنعمة الله وبدعوة الجماعة ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ من أجل ذلك كله أقسمنا بالله وبالروحانية التى تنبعث من الدعوة على ألا يهدأ لنا بال حتى تنقش الغمة وتزول المحنة التى أحاطت بالإخوان على يد الأستاذ

المضيبي وأعوانه وصممنا على أن نعمل جاهدين لعزله ومبايعة الشيخ الجليل عبد الرحمن
البنّا ونحن نعد العدة ولن يقف في سبيلنا شيء ما دمنا مؤمنين ومستبذل الدماء في سبيل الحق
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ .

شباب حسن البنّا
الله أكبر والله الحمد

منشور سبرى التأمين الفردى

تدور هذه الأيام معركة بيننا وبين المخابرات والمباحث وكل همهم جمع أكبر قسط من المعلومات عن نشاطنا والبحث عن القادة توطئة لتجريد حملة واسعة النطاق يقوم بها مئات من رجال البوليس الحربى عندما ينطلق صفير البدء ولمقاومة هذه المعركة ثلاث طرائق :

الطريقة الأولى : تم إعدادها والحمد لله المستعان .

الطريقة الثانية : سلبية ومبادئها السلبية هى :

١ - دقة الملاحظة : ومعناها إستطاعتك فهم وإكتشاف كل ما يدور حولك عندما تطل من نافذة منزلك أو يدق بابك شخص غريب ويوجه لك أو لمن يفتح له الباب سؤالاً أعزب ، وعندما تسير فى الطريق العام فتجد أشخاصاً يتبعونك أو يتسكعون فى المنعطفات وفى كل مكان فى المدينة أن ملابسهم وحلاقة رؤوسهم ونظرات عيونهم وحركاتهم ولهجتهم تفضحهم دائماً .

٢ - الخداع : ومعناه تضليل العيون والأرصاد عن سكنك وتحركاتك وملابسك وطريقة سيرك وعاداتك وعما إذا كنت بالمنزل أم خارجه ومن يكون أصدقائك وهل أنتم مجتمعون أم لا وهناك وسائل لا تعد ولا تحصى منها :

- أ - إنارة نور المنزل بينما أنت فى الخارج وأطفأؤه بينما أنت مجتمع فيه .
- ب - الخروج بملابس أفرنجية والرجوع بملابس مدنية متنوعة .
- ج - عقد الإجتماعات وقت القيلولة بمديقة الحيوانات أو الأسماك أو فى أحد القوارب الخ ..
- د - الاستعانة بالزوجات (الأخوات) أو ، الصبيان فى تبادل الرسائل أو نقل العتاد .
- هـ - التحدث تليفونيا مع أهل دارك مستفسرا عن نفسك فيجيب عليك أو على الوسيط (المعتمد من قبلك) بأنك مريض ولا تستطيع النزول من السرير .
- و - استخدم وسائل مواصلات متنوعة عند ذهابك للإجتماع منها الأقدام والدراجات الخ .
- ز - غير مسكنك بشرط نقل أثاث المنزل على مراحل زمية دون إشعار الرقباء بإستعمال العربات التى تدفع باليد كى لا تلفت النظر وليظن أنها مرسله للإصلاح مثلا ، ويتم النقل فى الصباح المبكر أو ليلا وخلاصة الخداع أن تكون طبيعيا ولكن فى دهاء وسعة حيلة ومكر .

٣ - التفكير دائما فيما يجول برأس المباحث وبذلك تستطيع أن تسبقه فى عمل مضاد

وتفوت عليه مقصوده وحيلته .

الطريقة الثالثة : إيجابية : ونود من الجميع الاستعداد لها فوراً وعدم التسليم إلا جثة هامة أو النصر المين إن شاء الله .

لهذا ندعو لإتباع الآتى :

١ - طهر دارك من جميع الأوراق السرية التى تدينك وإن كان ولا بد من وجودها فابتكر وسيلة سلمية للتخلص منها ومن آثارها عند حدوث كبسة .

٢ - خصص فرداً خارج الدار خاصة أثناء الاجتماعات الهامة لينذرك بالكبسة فى وقت مبكر .

٣ - ضع نصب عينيك أن القائمين بالكبسة جبناء خائروا العزيمة لأنهم يحاربون دعوة الحق . لهذا كان واجبنا جميعاً مقاتلتهم بغلطة وإيقاع أكبر ما يمكن من الخسائر فيهم وتضعف من روحهم المعنوية .

أما ياذا تفعل إذا أيقنت أنهم أتوا بالقبض عليك فاتبع الآتى :

١ - أغلق باب الشقة بإحكام وبترباس غليظ معداً من قبل وبالمفتاح وأشدد عليه بأثاث المنزل .

الخطوة

١ - فى حالة حل الجماعة أو تحديد إقامة أحد ضباط الأعصاب والاستعداد .

٢ - فى حالة الاشتباك بالإخوان وكثرة الاعتقالات تبدأ عملية التجريد من الداوريات وأماكن الجرس .

٣ - يتبعها عملية تصفية موقف الأفراد المعادين .

٤ - تعطيل وسائل المواصلات المذكورة فى الدراسة .

٥ - فى جميع الحالات السابقة تستمر عملية إصدار النشرات التى يصدرها الإقليم أو تصل إليه من القاهرة .

٦ - تستمر عمليات المقاومة حتى يكتب الله لنا النصر إن شاء الله .

٧ - عدم التبذير فى الرجال والمحافظة عليهم بقدر الإمكان وتجنب الأعمال المكشوفة .

ملحوظة : يبدأ فى هذه العمليات بعد العملية الرئيسية مباشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مهمة (الإخوان فى المعركة) أبها القارىء الكريم أن نعرض عليك الحقائق مسافرة -
دون غش أو غرض - لا رقيب عليها سوى الحق تبارك وتعالى - نرجو رضاه - وبالحق
تصدع لا تخشى فيه لومة لائم .

العدد ١١ - ذو القعدة ١٣٧٣هـ

السنة الأولى - يوليه ١٩٥٤م

الإخوان فى المعركة لسان الدعوة الإسلامية أقرأ فى هذا العدد

- امتداد معاهدة سنة ١٩٣٦ م .
- الاستعمار الأمريكى فى مصر .
- اتفاق سرى مع إسرائيل .
- أضواء على الموقف السياسى - الأخبار
- الضغط على حكومة الثورة .

«صورة زنكوغرافية للعدد (١١) من منشور الإخوان فى المعركة» .

امتداد معاهدة سنة ١٩٣٦م

معلوم أن المعاهدة التى وقعها النحاس فى سنة ١٩٣٦م مع الإنجليز ينتهى أجلها فى
سنة ١٩٥٦م ، وبذلك ينتهى الاستعمار البريطانى فى مصر وتحرر البلاد من جميع القيود
الإستعمارية ، وقد ظل الإنجليز فترة طويلة يرفضون الدخول فى مفاوضات مع الحكومة
المصرية (حكومة الثورة) مما دعا هذه الحكومة إلى الإلحاح فى فتح باب المفاوضات
والترامى على إقدام بعض الدول للتوسط بينها وبين الإنجليز ، فقد طلبت حكومة الثورة
من حكومة الهند ثم من حكومة لبنان ثم من أمريكا التدخل لدى الإنجليز للدخول فى
المفاوضات ، وأحسن الإنجليز بأن معاهدة سنة ١٩٣٦م أوشكت على الإنتهاء ولم يبق
من أجلها سوى سنتان ، وأحسوا كذلك بالفراغ الذى يعقب هذا الأجل ، فقبلوا الدخول
فى المفاوضات نزولاً على وساطة الوسطاء فى الظاهر ورغبة فى ملء الفراغ الذى يعقب
إنتهاء الأجل - فى الحقيقة - وقد تبين من أمر المعاهدة الأمور الآتية :

- (١) أن يتم الجلاء فى مدة سنتين ومعنى ذلك الجلاء الذى تفرضه معاهدة سنة ١٩٣٦ م .
 - (٢) قبول عودة الجيوش الإنجليزية والأمريكية إلى قاعدة القناة فى أى وقت تشاء إذا هوجمت تركيا .
 - (٣) أن تظل قناة السويس تحت إدارة البريطانيين من عسكريين ومدنيين (خبراء بملايس مدنية) ، ويبلغ عددهم ٤٠٠٠ أربعة آلاف ، وذلك لمدة عشر سنوات .
- وهذا فى حقيقته إمتداد لمعاهدة سنة ١٩٣٦ م ، وتجديد لها لمدة عشر سنوات أخرى ، فماذا كسبت مصر من ذلك ؟

اتفاق سرى مع إسرائيل

يشيع فى بعض الأوساط المطلعة على بواطن الأمور أن رئيس الحكومة المصرية عقد اتفاقاً سرياً مع إسرائيل على الأسس الآتية :

- (١) أن تقف إسرائيل موقف الحياد من النزاع المصرى البريطانى حول منطقة القناة .
- (٢) أن تقف الحكومة المصرية موقف الحياد من أى نزاع يقع بين إسرائيل وبين باقى البلاد العربية .
- (٣) أن تقوم كل من الحكومة المصرية وإسرائيل بالحراسة الدقيقة للحدود المشتركة فى قطاع غزة حتى لا يقع إعتداء من العرب على اليهود أو العكس .
- (٤) إن ينسحب الجيش المصرى من منطقة غزة ومن شبه جزيرة سيناء وتبقى فيه قوة رمزية .

وإذا صحت هذه الأخبار فإنها تكون كارثة من أعجب ما رأت الدنيا من الكوارث وإليك الشواهد الآتية :

- (١) صرح الصاغ صلاح سالم فى إجتماع له بضباط الجيش تصريحاً حاسماً مضمونه أننا سوف لا ندخل فى حرب مع اليهود ، وإننا سوف لا نشتبك معهم بأى حال من الأحوال ما دامت القوات البريطانية موجودة فى منطقة القناة .
- (٢) صرح أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة أمام كثيرين بأن قوة إسرائيل متفوقة بمراحل كثيرة عن قوة الجيش المصرى والجيوش العربية عامة وخصوصاً فى سلاح الطيران والبحرية .

(٣) تطبيقاً لهذا الإتفاق انسحبت فرق الجيش المصرى من منطقة غزة وسيناء ولم تبق إلا قوة بسيطة لا تستطيع مجرد الوقوف أمام أى هجوم إسرائيلى يقع على الحدود .

(٤) الموقف السلبي الذى تقفه فعلا الحكومة المصرية (الثورة) من العدوان الإسرائيلى على حدود الأردن ومدينة القدس وغيرها من البلاد العربية .

أخبار

* طلبت الحكومة البريطانية نسخة من قانون المجلس الوطنى الاستشارى على أثر البدء فى التفاهم بينها وبين الحكومة المصرية وذلك للنظر فيما إذا كان يصلح للتصديق على المعاهدة الجديدة أم لا ؟

* اشترطت الحكومة البريطانية أن تكون المحادثات مع الدكتور محمود فوزى وحده . على أثر طلب الحكومة البريطانية لقانون المجلس الوطنى أجلت الحكومة المصرية تشكيل هذا المجلس .

* اشيع فى بعض الأوساط أن البكباشى أنور السادات رقى إلى رتبة القائمقام وأحيل إلى المعاش ليعين رئيساً للمجلس الوطنى الاستشارى (المنتظر) .

* فصل من الخدمة وأحيل إلى المعاش - فى خلال شهر واحد - مائة ضابط من مختلف الأسلحة - وأغلبهم من سلاح الفرسان - وقد بلغ عدد المفصولين من الجيش إلى الآن حوالى الألف ضابط .

أضواء على الموقف السياسى

* صرح البكباشى جمال عبد الناصر لمندوب جريدة الديلى ميل (الإنجليزى) أن بريطانيا ستزعم الحركة التجارية فى مصر إذا سويت مسألة القناة وأنه بموجب الإتفاق العاجل مع بريطانيا ، وأكد جمال عبد الناصر أنه لا يستطيع إقناع الشعب المصرى بفكرة الجلاء فى الوقت الذى يبقى فيه فى القناة أربعة آلاف خير بزيهم العسكرى .

* نشرت جريدة ديلى إكسبريس البريطانية خبراً لمراسلها فى القاهرة بأن مصر تطالب بجلاء القوات البريطانية ، أما بريطانيا فتطالب بسرعة عودة جيوشها إلى منطقة القناة فى حالة نشوب حرب ، ونقل المراسل حديثاً عن مسئول فى السفارة البريطانية قال فيه أن مسألة الزى العسكرى للفنيين قد تم الإتفاق عليها وأما مسألة السماح للقوات البريطانية

بالرجوع إلى القناة في حالة الإعتداء على تركيا فقد حصلت بريطانيا على موافقة الحكومة المصرية في شأنها نظير أن تتخلى بريطانيا عن تمسكها بوجوب إرتداء الزي العسكري للفنيين ، وذكر المراسل أن جمال عبد الناصر هو الذي إقترح هذا الحل وأبلغه إلى السفير الأمريكى لعرضه على السفير البريطانى .

الإستعمار الأمريكى فى مصر

أعدت وزارة المستعمرات الأمريكية (النقطة الرابعة) سلسلة مشروعات تستوعب نشاط الوزارات المصرية تقريبا ، حتى أصبح لها ما يزيد على ثلاثين مشروعاً داخل البلاد المصرية في سائر الوزارات ، وفي هذه الوزارات ، أموال أمريكية وخبراء أمريكيان وموظفون تابعون لإدارة النقطة الرابعة ، وقد أعطت الحكومة المصرية (حكومة الثورة) لأمريكا إمتياز البحث عن البترول في الصحراء الغربية في مساحة تزيد عن جميع الأراضي المزروعة والمعمورة في القطر المصرى ، وتفيد بعض الأنباء أن أمريكا ستقيم في هذه المناطق عدة مطارات وستنشئ عدة مستعمرات أمريكية ؟ ومع ان الاستعمار الأمريكى ما زال في بداية عهده في مصر فقد حصل على كل هذه الإمتيازات في عام واحد في عهد حكومة الثورة السعيد ؟

«صورة زنكوغرافية لصفحات العدد (١١) من منشور الإخوان في المعركة» .



الشهيد سيد قطب
إعدام مفكر = إعدام أمة

=====

بسم الله الرحمن الرحيم
ان مهمة (الاخوان في المعركة)
ايها القارئ الكريم ان تعرض
عليك الحقائق مافرة - دون غش
او غرض - لا رقيب عليها سوى الحق
تبارك وتعالى - ترجو رضاء -
وبالحق تصدع لا تخشى فيه لومة لائم

=====

العدد ١١ - ذو القعدة ١٣٧٣
الطبعة الاولى - يوليوس ١٩٥٤

الاخوان في المعركة

لسان الدعوة الاسلامية

=====

=====

=====

=====

اقرأ في هذا العدد

== اقتصاد معاهدة سنة ١٩٣٦ ==
== الاستعمار الامريكى فى مصر ==
== اتفاق سري مع اسرائيل ==
== افسوا على الموقف السياسى ==
== الغنط على حكومة الثورة ==

= الاخيار =

« صورة وكنوغرافية للعدد (١١) من منشور الاخوان في المعركة »

استدراك معاهدة سنة ١٩٣٦

معلق من المعاهدة التي وتمها التحسين سنة ١٩٣٦ مع الانجليز
بمنهج اجلبا في سنة ١٩٣٦ ، وذلك بفتح الاستعمار البريطاني في مصر
وتحرير البلاد من جميع القيود الاستعمارية فوجد ظل الانجليز فترة طويلة
يرتفع الدخول في مناصات مع الحكومة المصرية (حكومة الثورة) ما دما
هذه الحكومة الى الانكسار في فتح باب المفاوضات والتراخي على اقتسام
بعض الدول للتوسط بيننا وبين الانجليز فقد طلبت حكومة الثورة من
حكومة الهند ثم من حكومة لبنان ثم من امريكا التدخل لدى الانجليز
للدخول في المفاوضات فرفض الانجليز بان معاهدة سنة ١٩٣٦ اوكت على
الانتها ، ولم يبق من اجلبا الا سنننا فواضوا كذلك بالترغ الذي يعجب
هذا الاجل فقبلوا الدخول في المفاوضات نزولا على وساطة الوصفا ، في
الظاهر وفيه في مل الدراع الذي يعجب الانتها الاجل في الحقيقة -
وقد تبين من امر المعاهدة الامور الآتية :

- (١) ان يتم الجلاء في مدة عشرين ومضى ذلك الجلاء الذي تقرر
معاهدة سنة ١٩٣٦ .
- (٢) قبول مودة الجيوش الانجليزية والامريكية الى قاعدة القاعة لسي او
وقت تناء اذا هوجمت تركيا .
- (٣) ان نذل قاعدة قناة السويس تحت ادارة البريطانيين من عسكريين
ومدنيين (غيرهم) بملايين مدنية) بمبلغ عشرين ١٠٠٠ اربعة
آلاف ، وذلك لمدة عشرين سنوات .
- وعدا في حليته امتداد لمعاهدة سنة ١٩٣٦ وتجديد لها لمدة
عشرين سنوات اخرى ، لما اذا كسبت مصر من ذلك ٢٢٢
- اتفاق سرى مع اسرائيل
- والتي في بعض الاوضاع على السلطة على بواطن الامم ان رئيس الحكومة
المصرية عند التفاوض مع اسرائيل على الامور الآتية :
- التي في الحقيقة الثانية

الخبيرة

« طلبت الحكومة البريطانية نسخة من قانون المجلس الوطني الاستشاري
في اثر البدء في التناهم . بينها وبين الحكومة المصرية وذلك للتفكير
فيها اذا كان يصلح للتصديق على المعاهدة الجديدة ام لا ٢٢٢ »
« انتشرت الحكومة البريطانية ان تكون المعاهدات مع الدكتور محمود
مسعود وحده . »

« على ان طلبت الحكومة البريطانية لقانون المجلس الوطني اجلت الحكومة
المصرية تشكيل هذا المجلس . »

« اتفق في بعض الاوضاع ان الجبائي انور السادات رضى الى وقت النظام
واحيل الى المعائن لمجيى رئيسا للمجلس الوطني الاستشاري (للتفكير)
« اصل من الخدمة واحيل الى المعائن في خلال شهر واحد - مائة
خاضع من مختلف الاسلحة - والليهم من سلاح الفرسان - وقد بلغ
عدد المتطوعين من الجيوش الى الآن حوالي الالف خابط . »

انوار على الدرق السياسي

« صرح الجبائي جمال عبد الناصر لعدد من صحف الدبلي (الانجليزية)
ان بريطانيا ستقوم الحركة التجارية في مصر اذا سويت مسألة القاعة
وانه يرحب بالاتفاق الماثل مع بريطانيا فواكه جمال عبد الناصر بان
لا يستطيع اقتناع القسب المصري بكرة الجلاء في الوقت الذي يبقى فيه
في القاعة اربعة آلاف غيرهم العسكري . »

« نشرت جريدة ديلي اكسپريس البريطانية خبرا لمراسلها في القاهرة بان
مصر تطلب الجلاء القوات البريطانية فاما بريطانيا فتطالب بمسودة مسودة
جيوشها الى منطقة القناة في حالة نشوب حرب فونقل المراسل حد يثن عن مسئول في
البقية في صفحة . »

(١) ان تلق اسرائيل موقف الحماد من النزاع المصري البريطاني حول منطقة
القاعة . »

(٢) ان تلق الحكومة المصرية موقف الحماد من اي نزاع يقع بين اسرائيل
وبين باقي البلاد العربية . »

(٣) ان تقوم كل من الحكومة المصرية واسرائيل بالمراسلة الدبلوماسية
الحدود المشتركة في تطلع فترة حتى لا يقع اعتداء من العرب على
اليهود او العكس . »

(٤) ان يدسح الجبش المصري من منطقة غزة ومن ثمة جزيرة سيناء
وتبقى فيه قوة ودية . »

وإذا صحت هذه الاحكام فانه تكون كارتة من يعجب ما رأت الدنيا
من الكوارث واليك التواهد الآتية :

(١) من الصالح صلاح سالم في استماع له يساط الجبش فمصر حاسما
مستوى اننا سوب لا تدخل في حروب مع اليهود فواتنا سوب لا ننكح
معهم في حال من الاحوال ما دامت القوات البريطانية موجودة في
منطقة القاعة . »

(٢) من احد اهداف مجلس قيادة الثورة امام كثيرين بان لوز اسرائيل
مطوقة براسل كثيرة من لوز الجبش المصري والجيوش المصرية مائة
ونصرا في سلاح الطيران والبحرية . »

(٣) تطبنا لهذا الاتفاق انسيت لوز الجبش المصري من منطقة غزة وسيناء
ولم تبق الا لوز بسيطة لا تستطيع جرد الرغف امام اي مصري
اسرائيلي يقع على الحدود . »

(٤) المواقف التي الذي تقه لوز الحكومة المصرية (الثورية) من
المدون الاسرائيلي على حدود الارض وبديهة اللدس وغيره
من البلاد العربية . »

الخبيرة في صفحة ٤

ملحة المنشور في الصفحة الرابعة

السفارة البريطانية قال ليه ان مسألة الزى العسكري للثوريين
قد تم الاتفاق عليها واما مسألة السلاح للثورات البريطانية
بالمنهج الى القاعة في حالة الاعتداء على تركيا فلا حملت
بريطانيا على مواظبة الحكومة المصرية في شاتها فطيران تنقل
بريطانيا عن تسكها بجوب ارداء الزى العسكري للثوريين
وذكر المراسل ان جمال عبد الناصر هو الذي اقترح هذا العمل
وابلته الى السفير الامريكي لعرضه على السفير البريطاني . »

الاستعمار الامريكي في مصر

لهدت وزارة المستعمرات الامريكية (النقطة الرابعة) حلقة
مصرفات تدوم جميع نشاطات الوزارات المصرية فتركيزا حتى اصنع
لها ما يريد على ثلاثين مشروعا داخل البلاد المصرية في حاسر
الوزارات وفي هذه الوزارات اموال امريكية وغيرها اميكا وبولفون
تايحوى لادارة النقطة الرابعة ، وله لعلت الحكومة المصرية
(حكومة الثورة) لادريكا امتياز البحث عن البترول في الصحراء
الشربية في مساحة تزيد عن جميع الاراضي المزروعة والمحسورة
في القطر المصري ، وتزيد بعض الاثنية ان امريكا ستلهم في هذه
الناطق عدة طارات وستنش عدة مستعمرات امريكية ٢٢٢
وبع ان الاستعمار الامريكي ما زال في بداية عهد في حاسر
فقد حمل على كل هذه الاضارات في عام واحد من عهد حكومة
الثورة السعيد ٢٢٢

« صورة زنگرافية لصفحات العدد (١١) من منشور الاخوان في المعركة »

الفصل الخامس
عبد الناصر والانتصار الأول
حرب السويس
١٩٥٦



عبد الناصر والإنتصار الأول (حرب السويس ١٩٥٦م)

كانت حرب السويس ١٩٥٦م ، نقطة فاصلة في الصراع الدولي حول الشرق الأوسط ، وكانت إيذاناً بسقوط الإمبراطوريات الإستعمارية القديمة (بريطانيا وفرنسا) وصعود الإمبراطوريات الجديدة (الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة) ، ولأول مرة أثت القطبية الثنائية الجديدة المتحكمة في العالم آنذ ، من خارج أوروبا التقليدية ، وأتمت معها سياسات ومصالح وحروب جديدة كان لمصر - عبد الناصر - نصيب وافر منها .

* ولأهمية وخطورة هذه (الحرب الفاصلة) ، والتي كان لإدارة عبد الناصر السياسية البارعة (على حد وصف محمد حسنين هيكل في كتابه الهام ملفات السويس) أو تلك المثير للإعجاب (على حد وصف الصحفي الأمريكي الشهير ساي سالزبيرجر في كتابه «آخر العمالقة») ، لأهمية هذه الحرب ، فإننا سوف نعقد لها هذا الفصل الموجز محللين إياها من خلال المحاور التالية :

- أولاً : بيئة الحرب : المناخ العربي والدولي عشية حرب السويس .
- ثانياً : واقعة الحرب : التفاصيل العامة .
- ثالثاً : تقديم المفكرين المصريين لحرب السويس .
- رابعاً : نتائج الحرب .

* وبتفصيل ما سبق يستبين الآتي :

أولاً : بيئة الحرب : المناخ العربي والدولي عشية حرب السويس :

كان العالم مع بدايات العام ١٩٥٦م ، قد بدأ في التحول التدريجي تجاه ذاته وتجاه قضاياها الأساسية ، ومع إقتراب هذا العام من نهايته ، كان العالم قد تبدلت بعض ملامحه ، وكان لواقعة السويس الفضل الأول في إحداث هذا التبدل ، فلقد جاءت الحرب في وقت لم يعد فيه مجال للشك في أن شكل النظام الدولي الجديد مكون من قطبي يستأثران بقمة النظام .

وكانت الولايات المتحدة قد بدأت في ممارسة دور نشط في المنطقة العربية مستندة إلى النفوذ المتراكم للدول الإستعمارية الأوروبية ودعت إلى مشاريع الدفاع عن الشرق



الرئيس الشهيد دمعت عيناه وقد قبل علم مصر ورفعته على السارية التي تعلو مبنى شركة قناة السويس السابقة .. بعد أن أنزل علم الشركة .

الأوسط والحلف المركزى .

وقد بلغ التوتر الدولى أشده، نتيجة اتساع مجالات العمل السياسى الخارجى للدولتين العظيمين وقيام الولايات المتحدة بإنشاء سلسلة من الأحلاف العسكرية التى تحيط بالإنحد السوفيتى .

وحاول الإتحاد السوفيتى باستمرار النفاذ من هذا الطوق بتشجيع حركات التحرر وإثارة المشاكل فى وجه الإستراتيجية الأمريكية عن طريق مساندة دول العالم الثالث المستقلة حديثاً والتى اتبعت سياسة الحياد وخصوصاً بعد موت ستالين ١٩٥٣م والتى إنعكس آثارها على المنطقة العربية بعقد صفقة الأسلحة التشيكية مع مصر فى ١٩٥٥م .

ويمكن تلخيص الأوضاع الإقليمية فى المنطقة فى الآتى وفقاً لما ذكره اللواء الدكتور/ محمود خليل فى رسالته للدكتوراه عن (الأمن القومى العربى والمصرى) :

أ - لم يكن عدد الأقطار المستقلة يتعدى ثمانية أقطار وهى مصر وسوريا والعراق والسعودية والأردن واليمن ولبنان وليبيا ويلاحظ أن كل الأقطار كانت تعتمد تماماً على القوى الغربية فى التسليح ما عدا مصر التى لجأت للكتلة الشرقية كما يلاحظ تفوق إسرائيل منذ قيامها فى القوة العسكرية على قوة تلك الأقطار كلها^(١) .

ب - تركز الصراع داخل النظام فى تلك الفترة بين مصر والعراق حول مسألة التحالف مع الغرب وبالذات حلف بغداد حيث قررت الجامعة العربية فى ديسمبر ١٩٥٤م على أن الدفاع عن البلاد العربية لا يتم إلا بتوثيق الروابط العسكرية فيما بينها لكن العراق أعلن توقيع ميثاق للتحالف مع تركيا فى فبراير ١٩٥٥م .

وقد أيدت مصر كلا من السعودية وسوريا واليمن ووقعوا معا ميثاق تضمن رفض الدخول فى أى أحلاف ، والتعاون فيما بينها فى المجالات العسكرية والإقتصادية .

وهكذا استمرت العلاقات بين السعودية ومصر خلال هذه الفترة وثيقة وشهدت إتفاقات عسكرية بينهما وإنضمت إليها اليمن .

«أما سوريا فقد لعبت دوراً كبيراً ضد محاولات مصر فى الجامعة العربية لإدانة وعزل العراق فى فبراير ١٩٥٥م لكنها كانت منقسمة على نفسها إزاء حلف بغداد

(١) صلاح العقاد . قضية فلسطين . المرحلة الحرجة ٤٥ - ١٩٥٦ . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة . ١٩٦٧ . ص ٧٢ وما بعدها .

وتشكلت جبهة جديدة من العناصر الوطنية المعادية للغرب ووصلت للحكم وفور توليها الحكم أعلنت تأييدها لمصر ووقعت معها معاهدة دفاع مشترك .

وأما الأردن فقد كان يخضع لضغوط شديدة من قبل العراق وبريطانيا للإنضمام لحلف بغداد وأرسلت بعثة تمبلر لجذب الأردن في ديسمبر ١٩٥٥م لكنها أدت إلى أزمة داخلية شديدة حيث إستقال الوزراء الفلسطينيون من الحكومة ونشبت المظاهرات وتم طرد غلوب باشا في مارس ١٩٥٦م ثم وصلت حكومة وطنية للحكم في إنتخابات ١٩٥٦م في أكتوبر ووقعت معاهدة دفاع مشترك مع مصر ووافق الأردن على وضع قواتها المسلحة تحت قيادة مصر .

ج - كانت العلاقة بين الأقطار العربية والكيان الصهيوني علاقة حرب وصراع منذ مايو ١٩٤٨م والتي قامت على أساسها إجراءات المقاطعة العربية لإسرائيل في جميع الميادين والتزمت الأقطار العربية بقرار مجلس الجامعة العربية في إبريل ١٩٤٩م يرفض الدخول في أى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل .

وأما عن الجانب العسكرى فإنه في فبراير ١٩٥٦م إتسمت الجبهتان الشرقية والشمالية بالهدوء فيما عدا الإعتداءات الإسرائيلية على قرى الضفة الغربية وبحيرة الحولة وأما الجبهة المصرية فقد سادها الهدوء بصفة عامة إلى أن قامت إسرائيل بغارتها الوحشية على قطاع غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥م والتي ترتب عليها آثار خطيرة حيث أنه حتى ذلك التاريخ كانت القضايا الداخلية هي الغالبة على إهتمامات الحكم بحيث لم تكن القيادة المصرية قادرة على أن تدخل إسرائيل كعنصر أساسى من عناصر طموحاتها السياسية .

كما تؤكد الدلائل أن الإتجاه الرسمى بالنسبة للتسليح لم يتسم بالحماسة الشديدة أو يقتصر باعتبارات الأمن الخارجى لأن الخطر الإسرائيلى لم يكن ماثلا مثل أخطار الوجود العسكرى البريطانى والإنقسامات الداخلية . فى أنه يمكن القول بأنه لو لم تحدث غارة غزة لاستمر النظام لوقت أطول لا يعطى الخطر الإسرائيلى وزنه لاستمر يقلل من أهمية التسليح لأغراض الأمن الخارجى .

ولكن تلك الغارة كانت هى الدافع الذى جعل التسليح يأتى فى مقدمة أولويات القيادة المصرية .

د - رفض الولايات المتحدة تمويل السد العالى وسحب العرض بطريقة تشكك فى سلامة

الإقتصاد المصرى وترجع الأسباب الحقيقية إلى صفقة الأسلحة التشيكية وإقامة علاقات دبلوماسية مع الصين وقيام مصر بدور قيادى فى الوطن العربى وأحد مظاهرات معارضة حلف بغداد كما كانت القضية بالنسبة لبريطانيا وفرنسا تتعلق أيضا بسياسة مصر العربية حيث تجد بريطانيا المتاعب منها فى الأردن والعراق وتجد فرنسا منها المتاعب فى الجزائر وشمال أفريقيا .

وهكذا تعود أسباب العدوان الثلاثى إلى سياسة مصر العربية أكثر منها ما يتعلق بشركة القناة التى أمت .

هذا ويلاحظ أن عبد الناصر كان يرى فى إسرائيل خطرين إبان هذه الأزمة :

- خطر واقع بالفعل وهو ضياع حقوق الشعب الفلسطينى .
- خطر تزايد احتمالات وقوعه وبوقوع غارة غزة أصبح هذا الخطر واقعا بالفعل أى خطر التوسع الإسرائيلى .

مع وجود ارتباط بين استمرار ضياع حقوق الشعب الفلسطينى وبين استمرار وجود خطر توسع إسرائيل بحيث أن مقاومة أى من الخطرين يعتبر فى الوقت نفسه مقاومة ودفعاً للخطر الآخر .

ويلاحظ أن غارة غزة هى محط رؤية عبد الناصر والقادة العرب لإسرائيل على أنها تشكل الخطر الرئيسى على الأمن المصرى والعربى .

ويظهر ذلك من مقارنة رؤية عبد الناصر لإسرائيل قبل وبعد غارة غزة فقبل غارة غزة فى يناير ١٩٥٥م أعلن «مهما يكن من أمر فإننا لا نريد أن نكون البادئين فى الصراع فليس للصراع والحرب مكان فى سياستنا الإنشائية التى رسمت لتحسين أحوال شعبنا .. أن أماننا الكثير لنعمله فى مصر وأمام بقية الدول العربية الكثير من المهام كذلك وستضيع الحرب علينا كثيراً مما نسعى إلى تحقيقه .

أما بعد غارة غزة فى ٣ مارس ١٩٥٥م إذا كانت إسرائيل تعتقد أنها هزمت الجيش المصرى عام ١٩٤٨م فهى تهددنا الآن واليوم أقول لها نحن لها وأن الجيش المصرى تحت قيادة عبد الحكيم عامر يختلف عن الجيش قبل ذلك وأن الأساليب التى ساعدت على هزيمتنا فى الماضى قد إختفت ولن تعود أبداً وأتينا سندافع عن الشرف وعن الوطن وسنرد العدوان بالعدوان وأن جميع إمكانات مصر ستعبأ فى هذا السبيل^(١) .

(١) راجع بصفة أساسية مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر . القسم الأول

٢٣ يوليو ٥٢ ، يناير ١٩٥٨ ص ٦٨١ - ٦٩١ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ص ٢٧٧ .

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

جمال عبد الناصر

عن الإمام أحمد ملك المملكة المتوكلية اليمنية

سمو ولي عهد المملكة المتوكلية اليمنية

سيف الإسلام محمد



خارجا من مركز قاية تحت الأرض في غزة عام ١٩٥٦

والطريف أن عبد الحكيم عامر لم يفعل شيئاً تجاه إسرائيل طيلة حياته العسكرية وكانت نهايته بعد هزيمة ١٩٦٧ وقيل أنه قتل من عناصر دفعها صديقة عبد الناصر إلى ذلك .

ثانياً : واقعة الحرب : التفاصيل العامة :

كثيرة هي المعلومات الخاصة بحرب السويس ، ولكننا سوف نورد هنا أكثر تحديداً وأهمية ، وإيجازاً ، وذلك من وقائع الوثائق الدولية المتاحة ، وبخاصة تلك التي أوردها محمد حسنين هيكل في كتابه (ملفات السويس) .

فماذا تقول وقائع تلك الحرب ، من خلال ما أتيج لنا من وثائق ؟

لقد كانت مرحلة تنفيذ قرار تأميم قناة السويس بعد سحب تمويل السد العالي وما يتبعها من أحداث مجالاً خصباً للدبلوماسية ، ففي الوقت الذي كان يحرص فيه عبد الناصر على تأكيد أن قرار التأميم قرار نهائي غير قابل للمناقشة أو المساومة ، كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تشنان حملة سياسية عالمية هدفها فرض إدارة دولية على القناة وذلك من خلال مؤتمر دولي في لندن لمناقشة شكل تلك الإدارة .

وقد انعقد مؤتمر لندن يوم الخميس ١٦ أغسطس وقد توصل مؤتمر لندن إلى إرسال بعثة إلى مصر برئاسة متريس ورئيس وزراء إستراليا وذلك بهدف التفاوض مع مصر حول إدارة دولية للقناة . وقد جاءت اللجنة إلى مصر وفشلت مهمتها بعد أن رفض عبد الناصر الإدارة الدولية للقناة .

ولم يقتصر الأمر عند فشل مهمة لجنة متريس ، ففي ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦ م ، قدمت كل من بريطانيا وفرنسا شكوى ضد مصر إلى مجلس الأمن بسبب تأميمها لقناة السويس . ولهذا قرر عبد الناصر أن يتولى الدكتور فوزى بنفسه تمثيل مصر في مجلس الأمن ، وكان عبد الناصر قد طلب من الدكتور فوزى قبل سفره إلى نيويورك أن يتحرك سياسياً بالطريقة التي يراها مناسبة على شرط واحد هو ألا تكون هناك إدارة دولية لقناة السويس ، وأنه إذا أصر الغرب على هيئة المتتبعين بقناة السويس فلتكن هذه الهيئة إستشارية تبدى آراءها لهيئة قناة السويس المصرية بطريقة لا تقيّد ولا تلزم .

وكان الدكتور فوزى قد وصل إلى نيويورك يوم ٣ أكتوبر ١٩٥٦ واتفق موعد وصوله بوصول أغلبية وزراء خارجية الدول الأعضاء في مجلس الأمن . وقام الدكتور فوزى بسلسلة من الإتصالات قبل إنعقاد المجلس إتضحت بها صورة الموقف والطريق الذي ستسلكه الأزمة في المجلس .

وفى نهاية إجتماعات مجلس الأمن تم التوصل إلى قرار المجلس والذي صدر فى ١٤ أكتوبر والذي تضمن ستة مبادئ هى :

- ١ - أن تكون الملاحة حرة ومفتوحة دون تمييز .
- ٢ - أن تحترم سيادة مصر .
- ٣ - أن تكون إدارة القناة منفصلة عن سياسات أى دولة كانت .
- ٤ - أن تحدد رسوم القناة باتفاق بين مصر والمتفعين بالقناة .
- ٥ - أن تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة .
- ٦ - يسوى الأمر بالتحكيم فى حالات النزاع .

ولم تتوقف الأحداث عند صدور قرار مجلس الأمن ، وكان يتم الإعداد للعمل العسكرى بشكل سرى ، ولم تكن المناقشات فى مجلس الأمن إلا إستهلاكاً للوقت حتى تحين اللحظة المناسبة بالعمل العسكرى والذي نظر إليه على أنه الحل المناسب لموقف مصر وإصرارها على حماية قرار التأميم وبالفعل فقد بدأت المؤامرة العسكرية تتضح بالهجوم الإسرائيلى على مصر يوم ٢٩ أكتوبر ، وهنا بدأت مرحلة جديدة من العمل العسكرى والدبلوماسى لمعالجة الموقف الذى نتج عن العدوان .

وفى الواقع أن الدبلوماسية المصرية قد استطاعت الحصول على معلومات تفيد بأن هجوما عسكرياً سوف يقع على مصر ، فكان الملحق العسكرى بالسفارة المصرية بباريس قد حصل على خطة العدوان وأرسلها مع الملحق الصحفى بالسفارة « عبد الرحمن صادق » ، الذى قابل عبد الناصر وأبلغه بالخطة ولم يصدق عبد الناصر ، كما أنه كانت قد تجمعت معلومات أيضاً لدى السفارة المصرية من العواصم الغربية وواشنطن وموسكو ، وكذلك حصلت المخابرات المصرية على معلومات عن التحركات العسكرية لبريطانيا وفرنسا .

وبالفعل بدأ الهجوم الإسرائيلى على سيناء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ م ، وفى ٣٠ أكتوبر دعى السفير المصرى فى لندن والسفير المصرى فى باريس إلى وزارة الخارجية فى كل من العاصمتين كى يتسلم كل منهما إنذارا بريطانيا وفرنسيا يطلب إلى كل من مصر وإسرائيل الإنسحاب بعيداً عن قناة السويس لمسافة عشرة أميال لأن وجود الجيوش المتحاربة بعيداً عن الممر المائى الحيوى مسألة ضرورية للأمة ولصالح العالم .

وقام عبد الناصر بعد تسلم مصر الإنذارين البريطانى والفرنسى بعقد إجتماع طارىء لمجلس الوزراء ، وعرض عبد الناصر موضوع الإنذارين وقد تم رفض الإنذارين بينما قبلتهما إسرائيل ، هنا بدأت مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر تتضح من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .

لذلك عملت الدبلوماسية المصرية على مواجهة العدوان بالعمل الدبلوماسي إلى جانب العمل العسكري ، وليس هنا مجال شرح أبعاد الكفاح المصرى المسلح ضد العدوان ، ولكن نحاول التركيز على دور الدبلوماسية المصرية من مواجهة العدوان على الساحة السياسية خاصة في مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة .

ففى ٢٩ أكتوبر، تقدمت الولايات المتحدة بطلب إنعقاد مجلس الأمن بصفة عاجلة لبحث توغل القوات المسلحة الإسرائيلية في الأراضي المصرية وخرقها لإتفاقية الهدنة المعقودة بين مصر وإسرائيل عام ١٩٤٩م . وهنا قام رئيس وفد مصر في الأمم المتحدة السفير « عمر لطفى » وكذلك السفير المصرى في واشنطن بشرح أبعاد الموقف ، ودعا عمر لطفى إلى طرد إسرائيل من الأمم المتحدة بسبب السياسة الوسعية لها تطبيقاً لأحكام المادتين السادسة والسابعة من الميثاق . وذلك في الإجتماع غير العادى لمجلس الأمن يوم ٣٠ أكتوبر ، أما في جلسة ٣٠ أكتوبر (المسائية) فكان الإقتراح على مشروع القرار الذى قدمته الولايات المتحدة والذي ينص في جوهره على ضرورة انسحاب إسرائيل فوراً إلى ما وراء خط الهدنة والإمتناع عن تقديم أية مساعدة عسكرية أو إقتصادية أو مالية إلى إسرائيل ، ألا أن بريطانيا وفرنسا استخدمتا حق الفيتو ضد مشروع هذا القرار .

ولذلك رأى هرشولد « سكرتير عام الأمم المتحدة في ذلك الوقت » أن الحل هو ضرورة عرض المشكلة على الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد قام المندوب المصرى السفير عمر لطفى بإتصالات مكثفة مع أطراف عديدة في سبيل إصدار قرار من مجلس الأمن بعرض القضية على الجمعية العامة في دورة طارئة . وبالفعل تم التوصل إلى قرار من مجلس الأمن لعرض القضية على الجمعية العامة وذلك يوم ٣١ أكتوبر .

وعندما إنتقلت القضية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فإن الدبلوماسية المصرية قد قامت بدور كبير ممثلة في وزير الخارجية المصرى الدكتور فوزى والسفير عمر لطفى من أجل تشكيل قوة الطوارئ الدولية ، بالفعل صدر قرار من الجمعية العامة في ٧ نوفمبر بالموافقة على إنشاء قوات الطوارئ وبدأ وصول تلك القوات إلى مصر يوم ١٥ نوفمبر .

وفي مرحلة ثانية من العمل السياسى من أجل العمل على إنسحاب قوات العدوان ، لعبت دبلوماسية الدكتور فوزى دوراً خطيراً في الضغط على المعتدين من جانب كافة القوى والسكرتير العام في نفس الوقت ، ونجح في أن يتمكن من أن يظهر القوى العالمية المختلفة وكان بينها تنسيقاً وإتفاقاً في مواجهة العدوان وبأنه يوجه تلك القوى في طريق واحد برغم ما بينها من تباين وإختلاف وقد ساعد الدكتور فوزى على ذلك عناصر النجاح التى كان يتمتع بها ، وهى مكانته العالمية في المنظمة الدولية والثقة في كلمته وحكمته ، وصلته الوثيقة

بالوفود ، ثم العلاقة الخاصة التي كانت تربطه بصديقه داج همرشولد . وبالفعل فقد تم إنسحاب آخر جندي من القوات البريطانية الفرنسية من على أرض مصر في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ م ، وفي مرحلة ثانية تم الإنسحاب الإسرائيلي في ٨ مارس ١٩٥٧ م . وبذلك نجحت الدبلوماسية المصرية في إدارة الأزمة ونجح قرار التأميم^(١) .

ولمزيد من التفاصيل نورد ما يلي :

تفاصيل ووثائق :

تقول رواية محمد حسنين هيكل : أن الهجوم الإسرائيلي على سيناء بدأ في الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٢٩/١٠/١٩٥٦ م بتقديم اللواء السابع المدرع في إتجاه موقع « الكونتيللا » . وبعد خمس دقائق من بدئه تلقى جمال عبد الناصر أول نبأ عنه وقد حملته وكالة الأنباء الأمريكية « يونائتد برس » كان في بيته وكان يشارك في إحتفال عيد ميلاد ابنه « عبد الحميد » . وقرأ « جمال عبد الناصر » التقرير ثم غادر الإثنان الغرفة التي كان يجرى فيها حفل عيد الميلاد ، وتوجها إلى غرفة مكتب الرئيس في بيته ، ومنها إتصل « عبد الحكيم عامر » تليفونيا برئاسة أركان حرب الجيش المصري في كوبر القبة يستفسر عن أية معلومات لديها ، لقد وزعت القيادة الإسرائيلية أنباء الهجوم على وكالات الأنباء في نفس اللحظة التي دارت فيها محركات الدبابات . وبدأت التفاصيل تردد دقيقة بعد دقيقة .

« كان التحرك العسكري الإسرائيلي مفاجئاً لجمال عبد الناصر ولم ير سبباً واضحاً يبرره في هذا التوقيت بالذات . فقد كان الموقف على خطوط الهدنة المصرية هادئاً طوال الأسابيع الأخيرة . فمنذ بدأت أزمة القناة ولاح خطر التدخل العسكري البريطاني الفرنسي في منطقتها - تقرر سحب مجموعة الجيش الرئيسية من سيناء وترك ست كتائب فيها فقط ، وكانت الفكرة من السحب أن لا تنعزل قوات سيناء عن الدلتا إذا ما قام الإنجليز والفرنسيون بهجوم يستهدف قناة السويس . وجرى توزيع الكتائب الست التي بقيت في سيناء على طول خطوط الهدنة مع إسرائيل بوضع كتيبتين في منطقة أم قطف وكتيبتين في منطقة الشيخ زويد

(١) عمر عز الرجال - دور وزارة الخارجية في صنع القرار : تأميم شركات قناة السويس - مجلة اليقظة العربية - العدد ٣ ، السنة ٥ - مارس ١٩٨٩ - ص ٩٤ .

وكتيبتين في منطقة العريش تعززان قوات الحرس الوطنى الموجودة في قطاع غزة كانت المواقع المصرية شبه خالية إلى درجة دفعت الجنرال « بيرنز » كبير مراقبى الهدنة إلى أن يكتب تقريراً « داج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة يقول له فيه « أن تقلص حجم القوات على الخطوط المصرية يمثل إغراءاً شديداً لإسرائيل » .

ولكن جمال عبد الناصر إستبعد أن تقرب إسرائيل من هذا الإغراء في هذه المرحلة . كان تقديره وقت اشتداد خطر التدخل البريطانى الفرنسى - إن إسرائيل سوف تتردد حفاظاً على صورتها العامة في آسيا وأفريقيا وأمام الرأى العام العالمى عموماً - في القيام بدور التابع لأثنين من الدول الإستعمارية الكبرى .

وفي نفس الوقت كان تقديره وبعد تراجع خطر التدخل البريطانى الفرنسى عقب إنتهاء مناقشات مجلس الأمن - إن إسرائيل لن تسارع بالعمل المسلح وإلا فإنها سوف تظهر نفسها في صورة من يعيد تأزيم الموقف في الشرق الأوسط بعد أن بدت احتمالات إنفراجه وأن ذلك سوف يعرضها للوم شديد ويضعها في موقف سياسى صعب قد تفضل تجنبه » . وهكذا بدأ الهجوم الإسرائيلى على مصر في ذلك اليوم عملاً غير مفهوم في أهدافه ومقاصده وفقاً لمفهوم عبد الناصر .

وترك « جمال عبد الناصر » بيته وتوجه إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة في كوبرى القبة وهو ما زال يتساءل عن أهداف الهجوم الإسرائيلى مستبعداً تماماً إمكانية تواطؤ إسرائيل في عمل مشترك مع بريطانيا وفرنسا ، وهذه هي رواية محمد حسنين هيكل والتي تؤكد أن عبد الناصر كان قصير النظر في مجال رؤيته للخطر الإسرائيلى .

كان إهتمام عبد الناصر قبل ذلك بساعات قليلة متوجهاً إلى الأردن فقد تكررت التحرشات الإسرائيلية له (طبقاً لخطة الخداع الإستراتيجى ولم يكن « جمال عبد الناصر » بالطبع على علم بها في تلك الساعات) ولقد ركز من جانبه على تدعيم دفاعات الأردن وبعثت إليه بشحنات من الأسلحة وأسراب من الطائرات هدية من مصر . وتلقى من الملك « حسين » ملك الأردن خطاباً بتاريخ ٢٧ أكتوبر (أى قبل يومين اثنين من بدء الهجوم الإسرائيلى) يشيد بهذه المساعدة قال فيه الملك « حسين » : « أن الأردن صابر وهو يتلقى من مصر العزيزة العون الأخوى ويرى المشاركة القوية المتمثلة في شحنات الأسلحة من مصر

شقيقة (.

وكانت قرارات عبد الناصر منذ وصل إلى رئاسة القوات المصرية موجهة لمقاومة الهجوم الإسرائيلي . وكانت هناك خطة طوارئ معدة لهذا الإحتال وقد راجعها « جمال عبد الناصر » مع رؤساء أفرع القوات المسلحة في إجتماع عقده معهم بسرعة بينما كانت تحركات التشكيلات تجري بالفعل على رمال الصحراء ، كانت خطة المواجهة المصرية تقوم على ثلاث عناصر :

١ - على الكتائب الست الموزعة على خطوط الهدنة أن تتمسك بمواقعها لمدة ٤٨ ساعة وألا تسمح للقوات الإسرائيلية بأن تندفع في العمق .

وكذلك كان على قوات الحرس الوطني في غزة أن تتجنب الإشتباك في القطاع فإذا فرض عليها أن تشتبك دخلت معركة خنادق بهدف كسب الوقت .

٢ - في ظرف ٢٤ ساعة لابد أن تكون الفرقة المدرعة الرابعة قد عبرت قناة السويس إلى الشرق وتقدمت إلى نقطة تجمع في موقع « بير روض سالم » في قلب سيناء حيث كان التقدير أن تدور المعركة الأساسية في ضرب الهجوم الإسرائيلي .

٣ - يقوم الطيران المصري بغارات شبه إستطلاعية في مدى الـ ٢٤ ساعة المقبلة بحيث يكون مستعداً لمساندة المدرعات في المعركة الأساسية . وأما البحرية فقد كان دورها مقيداً في المراحل الأولى عن تقدير بأن منطقة الشرق البحر الأبيض المتوسط تعج بالأساطيل .

ولم تمض غير ساعات قليلة حتى دعى السفير المصري في لندن والسفير المصري في باريس إلى وزارة ، الخارجية في كل من العاصمتين لكي يتسلم كل منهما إنذاراً بريطانياً - فرنسا يطلب إلى كل من مصر وإسرائيل الانسحاب بعيداً عن قناة السويس لمسافة عشرة أميال لأن وجود الجيوش المتحاربة بعيداً عن الممر المائي الحيوى مسألة ضرورية لسلامته ولصالح العالم .

ويقول هيكل :

والآن بدا شبح التواطؤ ماثلاً للعيان ولكن « جمال عبد الناصر » كان غير قادر على التصديق ولعله لم يصدق تماماً إلا عندما إنتهت فترة الإنذار في الساعة السادسة بعد الظهر بتوقيت القاهرة - وبدأت أول غارة للطائرات البريطانية على مطار « ألماظة » الملاصق لبيته .. (إن هذا القول لهيكل يسيء لعبد الناصر أكثر مما يخدمه) .

وقد شاهد « جمال عبد الناصر » الغارة بنفسه فقد سمع أزيز الطائرات المغيرة بينما هو في مكتبه في البيت مجتمعاً مع السفير الأندونيسى في القاهرة الذي جاء يحمل إليه رسالة من رئيسه « أحمد سوكارنو » .

وهرع « جمال عبد الناصر » إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فقد كان تطور الأمور الآن يقتضى إعادة النظر في الخطط المصرية .

كان مكتب « عبد الحكيم عامر » حينما دخل إليه « جمال عبد الناصر » مزدحماً بعدد من الزوار بينهم بعض أعضاء مجلس الثورة القدامى وعدد من الوزراء وعدد من قادة القوات المسلحة . وكان الجو مشحوناً بالقلق والعصبية ونتيجة لهما إحتدت الآراء وانقسمت إلى رأيين غالبين :

* الرأى الأول - وقد تبناه « عبد الحكيم عامر » - وهو منطق الوطنية الشهيدة التى يتحتم عليها أن تقاتل فى مواقعها ومهما كانت الظروف إلى آخر طلاقة وإلى آخر رجل .

* والرأى الثانى - وقد تبناه السيد « صلاح سالم » عضو مجلس قيادة الثورة السابق - وكان محكوماً بالمنطق « الواقعى » الذى وجد مصر تواجه ثلاثة أعداء فى وقت واحد بينهم اثنان من القوى الكبرى - وهو حجم من القوة لا قبل لمصر بمواجهته - ومن ثم فقد إقترح « صلاح سالم » ب « أسى وحزن أنه لا خيار أمام جمال عبد الناصر » غير الإستسلام وبسرعة قبل أن يتمكن الطيران المعادى من تدمير مرافق مصر الحيوية وتمزيق جيشها وتهديم مدنها .

وتقول رواية هيكلى ما يلى :

وفى اللحظة التى دخل فيها « جمال عبد الناصر » القاعة كان « صلاح سالم » يشرح رأيه الواقعى ، ولم يتراجع « صلاح سالم » عما كان يقوله وإنما كرره أمام « جمال عبد الناصر » وأضاف إليه : « إنك قمت بخدمة عظيمة لهذا البلد وضحيات كثيرة من أجله والآن فقد كتبت عليك المقادير أن تضيف لتضحياتك تضحية أخرى وأن تقبل تسليم نفسك . إن « إيدن » أعلن فى خطابه أن الحرب تستهدفك أنت وليس الشعب المصرى فإذا عرفوا أنك على إستعداد لتسليم نفسك توقفت الحرب على الفور » ، ثم استطرد « صلاح سالم » قائلاً أنه « يعرف أن السير همفرى تريفيان » السفير البريطانى فى القاهرة لم يغادرها بعد وإذا توجه « جمال عبد الناصر » لمبنى السفارة وسلم نفسه فإن ذلك كفيل بحل الأمور .

ولم يفقد « جمال عبد الناصر » أعصابه لهذا الذى سمعه فقد أدرك أن أبعاد الموقف أهم من أى اعتبار يتعلق بالأشخاص ، ومضى يشرح وجهة نظره فقال « إنه لو كان يعرف أن المعركة هى شخصه لابتعد بأى وسيلة عن مسرح الحوادث ، ولكن المستهدف هو مصر وشعبها وإذا لم يقف الشعب المصرى فى هذا الموقف ويخوض المعركة دفاعا عن وطنه ومستقبله فإن مصير الأمة العربية كلها يصبح معرضاً للضياع » .

ثم توجه « جمال عبد الناصر » إلى مكتب رئيس هيئة أركان الحرب تاركاً زحام مكتب القائد العام ، وهناك دعا إلى إجتماع محدود حضره بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق والمشاركون فى الحكم وقتها . ودعى إلى الإجتماع وزير الخارجية الدكتور «محمود فوزى» ، وعدد محدود من القادة العسكريين والمستشارين السياسيين .

وكان إتجاه الإجتماع مؤيداً لوجهة نظر « جمال عبد الناصر » وإن كان الدكتور «محمود فوزى» قد أبدى ملاحظة قال فيها « أن كل شئ يتوقف على أوضاع الإستعداد فى القوات المسلحة وعلى إمكانيات تعبئة الشعب لحرب طويلة . وفى كل الأحوال فإن المارك لا تخاض فى ميادين القتال وحدها وإنما تخاض فى ساحات السياسة الأوسع والأكبر وأنه حتى إذا استطاعت قوات الغزو أن تحتل منطقة قناة السويس فإنه على ثقة بمبادرة مصر وأصدقائها على خوض معركة ناجحة فى الأمم المتحدة تعبىء العالم ضدهم وترغمهم على الرحيل» .

وطرح « جمال عبد الناصر » خطته لمواجهة الموقف الطارىء وكان أول بند فيها هو ضرورة إرجاع الفرقة المدرعة الرابعة التى عجزت فى الليلة السابقة إلى سيناء ووقف تقدم كل التشكيلات الأخرى التى كان مفروضاً أن تلحق بها .

وإن على الكتائب الست فى مواقعها المتقدمة فى سيناء أن تواصل مقاومتها كما كان مقرراً لمدة ٤٨ ساعة لكى تتمكن الفرقة الرابعة من إتمام إنسحابها عائدة إلى الدلتا . وإعترض « عبد الحكيم عامر » لأن سحب القوات الآن « عار يلحق بنا » ورد عليه « جمال عبد الناصر » بأنه «إذا كنت ستسحب لتقاتل فى معركة أحسن لك ولمعركتك ولخططك فهذا ليس عاراً فالعار هو أن تنسحب للهرب» .

ولم يقتنع « عبد الحكيم عامر » وقرر « جمال عبد الناصر » أن يتحمل المسئولية بنفسه فأصدر قراره بالإنسحاب من سيناء ووصل به الأمر إلى حد أنه إتصل بنفسه على خطوط

الإتصالات العسكرية بعدد من قادة الكتائب يقول لهم أن « الخطة المصرية للحرب يجب تعديلها بعد أن أصبح نزول الإنجليز والفرنسيين في منطقة قناة السويس محققاً . وإذا حدث ذلك فإن الجيش سيجد نفسه مشطوراً إلى قسمين أحدهما يواجه الهجوم الإسرائيلي في سيناء معزولاً عن قواعده ، والثاني يخوض المعركة ضد الغزو الإسرائيلي محروماً من نصف قواته . وأن الأولوية الأولى يجب أن تتركز ضد الغزو البريطاني الفرنسي فإذا ما تم دحره حان الوقت لمواجهة إسرائيل .

كان المنطق بسيطاً ومقنعاً وإستجابات القوات وإستعداد « عبد الحكيم عامر » أعصابه عندما وجد أن تحركات القوات تسير وفق الخطة الجديدة بما فيها أن الكتائب الست المتمركزة على خطوط الهدنة شمال سيناء كانت تحارب معركة تمكنت فيها من إيقاف تقدم الجيش الإسرائيلي للمدة التي كان مطلوباً منها أن تقاتل لمنع تقدمه وهي ٤٨ ساعة .

كانت بقية خطة « جمال عبد الناصر » في المواجهة تقتضي إبعاد الطيران المصري تماماً عن المعركة لأنها أصبحت غير متكافئة وليس مهما تدمير الطائرات المصرية على الأرض لكن المهم الحفاظ على الطيارين المصريين وعددهم محدود .

وبعد ذلك كانت هناك ضرورات الإستعداد لحرب شعبية ممتدة ضد الإحتلال فيما لو إستطاعت قوات الغزو أن تتغلب على القوات النظامية للجيش المصري .

وأخيراً كان هناك القرار بضرورة تعطيل قناة السويس لوضع العالم أمام واقع جديد (وكانت هناك خطة طوارئ جاهزة لإغراق باخرة محملة بالأسمنت في عرض البحر لسده في اللحظة التي يكون فيها ذلك ضرورياً) .

ولقد فضل « جمال عبد الناصر » أن تخوض مصر المعركة العسكرية وحدها لأنها لا تستطيع أن تتحمل مسئولية ما يمكن أن يجرى على أراض عربية أخرى قد لا يستطيع أن ينجدها بقوات مصرية في الوقت المناسب . وكان تفضيله أن تقف الأمة كلها مع الشعب المصري بمشاعرها وبما تستطيع عمله دون القتال المسلح .

ومن هذا المنطلق كان رده على السيد « شكري القوتلي » رئيس جمهورية سوريا بأنه « لا يريد شيئاً من سوريا الآن سوى تأييدها السياسي وإنه من الأفضل أن يمضى الرئيس « القوتلي » في برنامجه المقرر لزيارة الإتحاد السوفيتي .

وحين إتصل به الملك « حسين » تليفونيا من عمان متحمساً بمشاعره وعواطفه ليسأله عما يطلبه من الأردن وجيشه في هذه الظروف ؟ كانت نصيحة الرئيس « جمال عبد الناصر » إليه على التليفون « إنتى أرجوكم ألا تطلقوا طلقة رصاص واحدة على الخطوط الإسرائيلية . ومضر لا تريد الآن من الأردن إلا أن يحافظ على نفسه » . وكان « جمال عبد الناصر » على علم بتربص إسرائيل بالضفة الغربية للأردن ، أو أجزاء منها وكان مصمماً على حرمانها من أية فرصة في هذه الظروف وعدم إعطائها أية ذريعة لتحقيق مطامعها .

ولم يقم « جمال عبد الناصر » بأى تحريض على تعطيل خط أنابيب البترول الذى يمر بسوريا رغم أنه يعرف أهميته الحيوية في المعركة .

وأكثر من ذلك ففى أول نوفمبر تلقى مدير مكتبه السيد « على صبرى » رسالة من « كيرميت روزفلت » يقول فيها أن حكومة الولايات المتحدة بما فيها الرئيس تمنى أن تبذل مصر أقصى مساعيها لإقناع السوريين بالمحافظة على خطوط الأنابيب ومحطات الضخ الثلاث الواقعة في الأرض السورية وأن أى تعرض لها يمكن أن تترتب عليه مشاكل كبيرة تؤثر على الغرب كله .

وعرضت رسالة روزفلت على « جمال عبد الناصر » بالطبع وكان قراره إخطار « عبد الحميد السراج » برسالة « كيرميت روزفلت » دون التعليق عليها بالموافقة أو بالرفض ، فقد كان حريصاً على أن يعرف السوريون حقيقة الموقف وأن يتصرفوا وفق هذه المعرفة . وعندما قام « عبد الحميد السراج » بنسف محطات الضخ وخطوط الأنابيب كان « جمال عبد الناصر » سعيداً وبعث لـ « السراج » رسالة من كلمتين : « سلمت يداك » .

ويروى (هيكلم) في كتابه :

أنه وفي إجتماع عقده « جمال عبد الناصر » مع الدكتور « محمود فوزى » قبل سفره إلى نيويورك لحضور إجتماعات الأمم المتحدة التى تناقش العدوان على مصر حدد « جمال عبد الناصر » موقف مصر من مختلف القوى الدولية على النحو التالى :^(١) .

١ - إن فرنسا لا أمل فيها وليس هناك ما نحرص عليه في علاقاتنا معها في الوقت الراهن

(١) محضر اجتماع عقده الرئيس « جمال عبد الناصر » في مجلس قيادة الثورة بالجزيرة لوضع خطوط عمل الوفد المصرى في نيويورك .

ومن المناسب تركها لإسرائيل تورطها إلى آخر الشوط وتخرج مركزها - وللثورة الجزائرية من ناحية أخرى تستنزف قواها وترهقها .

(تلقت الثورة الجزائرية أكبر شحنة من السلاح من مصر أثناء إحتدام المعارك على جبهة قناة السويس) .

٢ - إن بريطانيا قضية تختلف عن قضية فرنسا فبريطانيا الآن منقسمة على نفسها لأن نصف شعبها على الأقل يقف ضد العدوان في عاصمته ويتظاهر ضده ويضغط على حكومته وعلى رئيسها بشكل مؤثر وفعال وهذا عتصر مليء بالإحتمالات التي يمكن الإستفادة منها .

وهكذا فتح « جمال عبد الناصر » قناة إتصال مباشر مع عدد من زعماء حزب العمال الذين تعرف عليهم وبينهم « أنيورين ييقان » نائب رئيس الحزب و « جورج براون » الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية واللورد « شنويل » الذي كان وزيراً للدفاع (رغم أنه من أصل يهودي) .

وكان من أغرب الرسائل التي تلقهاها « شنويل » من « جمال عبد الناصر » في ذلك الوقت رسالة يسأل فيها الرئيس المصري - وزير الحرب البريطاني السابق سؤالاً لم يخطر لأحد على بال وهو إنني « أريد أن أستشيرك في الطريقة التي نعامل بها الجنود أو الضباط البريطانيين الأسرى في يد قواتنا ؟ فنحن لا نستطيع أن نعتبرهم أسرى حرب بمقتضى إتفاقيات « برن » لسبب واضح وهو أن الهجوم البريطاني على أراضينا جاء دون إعلان رسمي للحرب ، فإذا عاملناهم كمجرمين أو مخربين تسللوا إلى أراضينا فسوف يكون الحكم عليهم بالإعدام ؟ » وحمل « شنويل » هذا السؤال إلى المجلس وبدأت صيحات الأعضاء تصرخ في وجه « إيدن » : مجرم مجرم استقل استقل . ولم تهدأ الضجة إلى درجة أن « إيدن » ووزرائه اضطروا إلى مغادرة قاعة المجلس .

ولم يرض « جمال عبد الناصر » من جانبه بإعلان الحرب على بريطانيا واكتفى بقطع العلاقات معها ومع فرنسا . وكان وجهة نظره أنه إذا أعلن الحرب من ناحيته فسوف يكون مضطراً بعد عودة قناة السويس إلى حياتها الطبيعية أن يمنع بواخر بريطانيا وفرنسا من المرور في قناة السويس كما هو الحال مع إسرائيل إستناداً إلى حالة الحرب ، وكان في قرارة نفسه يدرك - رغم كل الظروف - أن تطبيق هذا الحظر على إسرائيل شيء - وتطبيقه على بريطانيا

وفرنسا شيء آخر وإلا فإنه يكون قد عقد المسائل لنفسه بأكثر مما هو ضرورى .

وفى يوم ٥ تشرين الثانى/ نوفمبر ، أرسل بولجانين رئيس الوزراء السوفيتى رسالة شديدة اللهجة إلى نظيره الإسرائيلى . وكانت لهجة رسالته غير عادية حتى بالنسبة للمراسلات السوفياتية لأصغر البلدان فى العالم الرأسمالى . وتقول الرسالة :

السيد رئيس الوزراء :

لقد أعربت الحكومة السوفياتية بالفعل عن شعها القاطع للعدوان المسلح الذى شنته إسرائيل ، وأيضاً بريطانيا وفرنسا ، ضد مصر ، والذى يشكل انتهاكاً مباشراً وصارخاً لميثاق الأمم المتحدة ومبادئها . وفى الدورة الاستثنائية الطارئة للجمعية العامة ، شجبت الغالبية الكبرى من بلدان العالم أيضاً العمل العدوانى الذى ارتكب ضد الجمهورية المصرية ، وطالبت حكومات إسرائيل وبريطانيا وفرنسا بأن توضع حداً للعمليات العسكرية دون إبطاء وأن تسحب الجيوش الغازية من الأراضى المصرية . إن الإنسانية المحبة للسلام بكاملها تستنكر بسخط الأعمال الإجرامية للمعتدين الذى إنتهكوا وحدة الأراضى الإقليمية ، وسيادة وإستقلال الجمهورية المصرية ، وبدون أن تأخذ هذا فى إعتبارها ، دأبت إسرائيل ، التى تعمل كأداة للقوى الإمبريالية الخارجية ، على القيام بمغامرات مجنونة ، متحدية بذلك جميع شعوب الشرق التى تخوض نضالاً ضد الإستعمار ومن أجل تحقيق الحرية والإستقلال لجميع الشعوب المحبة للسلام فى العالم .

إن هذه الأعمال التى تقوم بها حكومة إسرائيل تبين بوضوح القيمة التى تعلق على إعلاناتها الكاذبة عن حب إسرائيل للسلام ، وتطلعها إلى التعايش السلمى مع البلدان العربية المجاورة . وأن هذه الإعلانات من قبل حكومة إسرائيل لا تستهدف فى الواقع إلا أضعاف يقظة الشعوب الأخرى ، فى حين أنها تستعد لشن هجوم غادر على جيرانها وذلك إذعاناً لإرادة أجنبية والتصرف وفقاً لأوامر من الخارج ، إن حكومة إسرائيل تعبت على نحو إجرامى غير مسئول بمصير العالم ، وبمصير شعها ، إنها تبذر بذور الكراهية لدولة إسرائيل فيما بين الشعوب الشرقية ، وهو أمر لابد أن يترك أثاره على مستقبل إسرائيل ، ويشكك فى وجود إسرائيل ذاته كدولة .

إن الحكومة السوفياتية ، التى تهتم إهتماماً حيويًا بصيانته السلم ، والمحافظة على الهدوء فى الشرق الأوسط ، تتخذ فى الوقت الحاضر الخطوات لوضع حد للحرب وكبح المعتدين ،

ونقترح أن تنظر حكومة إسرائيل في ذلك ، قبل فوات الأوان ، ويجب أن تضع حداً لتدابيرها العسكرية ضد مصر . وإننى أناشدك ، وأناشد البرلمان ، وعمال دولة إسرائيل ، وأناشد كل شعب إسرائيل ، أوقفوا هذا العدوان أوقفوا سفك الدماء! إسحبوا جيوشكم من الأراضي المصرية ! وبالنظر إلى الموقف الذى نشأ الآن ، فقد قررت الحكومة السوفياتية أن تطلب من سفيرها في تل ابيب مغادرة إسرائيل والعودة إلى موسكو دون إبطاء . ونأمل أن تفهم حكومة إسرائيل فهماً كاملاً وتقدر تحذيرنا .

* ومن أروقة الأمم المتحدة أرسل الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس عبد الناصر برسالة هامة جاء فيها ما يلى :

إلى السيد الرئيس من الدكتور فوزى قابلت همرشولد مرتين في اليوم ثم :

١ - ذكر في شأن انسحاب القوات المغيرة :

(أ) أنه مواصل بمنتهى الحزم والسرعة جهوده للإسراع بالانسحاب تلك القوات - وذكر أنه سلم ليينو ، وجولدا مائير ولويد الأسئلة التالية طالبا أن يتسلم الرد عليها في وقت لا يتأخر عن الأربعاء ١٩٥٦/١١/٢١م حتى يستطيع أن يتقدم إلى الجمعية العامة بتقريره في هذا الشأن تنفيذاً لقرارها الخاص بالانسحاب وذلك في وقت لا يتعدى الخميس أو الجمعة ١٩٥٦/١١/٢٣م على أبعد تقدير .

(ب) أنه تم الإتفاق مساء أمس على أن تدخل بعض وحدات قوة الأمم المتحدة إلى بور سعيد وأن هذا سيتبعه غيره مما يساعد على سرعة الانسحاب ، وأضاف أن لويد مؤيد تماماً لفكرة الانسحاب وأن لينو ليس له في هذا شأن يعتد به .

(ج) ذكر أنه يلاقى مقاومة عنيدة من إسرائيل في شأن الانسحاب وأنه دارت بينه بهذا الصدد وبين جولدا مائير مشادة حامية مساء أمس .

٢ - حدثه عما جاء ببرقيتكم ٧٥/٧٣/٧٣ فذكر أنه مسارع إلى إتخاذ ما يلزم في هذا الصدد وأن دخول وحدات من قوة الأمم المتحدة بور سعيد سيسهل عمل هذا بالنسبة لها وأنه طلب من إسرائيل أن يدخل إلى منطقة غزة مراقبون على أن تتبعهم وحدة من قوة الأمم المتحدة وأضاف أن التقارير التى لديه عن غزة سيئة جداً .

٣ - تحدث عن الخطوط الرئيسية التي ينوى أن يسير عليها في تقريره عن القوة الدولية وتطهير القناة وأعلمنى أنه متحدث بمثل هذا مع لويد وفي أثناء إجتماعنا الثانى مساء اليوم سلمنى نسخة من نص التقريرين كما يرجح أن يطبعهما ويوزعهما صباح الغد ٢١/١١/١٩٥٦م ولا ينتظر همرشولد أن يكون هذان التقريران موضع مناقشة طويلة . وسنرسل النصين بالكر برفقتين مفتوحتين .

٤ - أعرب عن أسفه لأن موضوع الجمر يشوش على موضوع مصر في هذه الأيام .

وفي رسالة أخرى قال محمود فوزى :

زارنى شبيلوف ومعه نائبه وتحدثنا على الأخص في موضوع العدوان على مصر وتلاقت آراؤنا بشأنها . وأعرب شبيلوف عن تأييد حكومته التام لمصر في موقفها وفيما يتصل بوجود انسحاب القوات المغيرة حالاً وإنسحاب قوة الأمم المتحدة بعد ذلك وتعويض مصر على ما أصابها من إضرار وعدم البحث في قضيتى قناة السويس وفلسطين في الوقت الحاضر وأن عملية تطهير القناة لا يجب أن تبدأ إلا بعد الإنسحاب .

٥ - الوثيقة تشير إلى « مصدر جديد في مصر » تمكنت المخابرات البريطانية من الوصول إليه بضربة حظ ، ولدى شخصياً رأى في هذه المسألة ولكنى أمسك عن الخوض في التفاصيل الآن مقدراً أن وثائق أخرى سوف تكشف الحقيقة في المستقبل وحيث يظهر وجه الحق ويبين ، هذا مع تسليمى بأن الكثير مما أعطاه هذا المصدر للمخابرات البريطانية هو على وجه القطع من وحى الأهواء والأغراض !

٦ - وبصرف النظر عما تقوله الوثيقة بخصوص ضرب مصر قتل « جمال عبد الناصر » - فإن الوثيقة تشير إلى خطط لتدبير إنقلاب في سوريا ومن أهم بنوده العمل على إحداث إنقسام في حزب البعث الذى يقوه الأستاذ « ميشيل عفلق » - كما أنها تشير إلى مخطط لعزل الملك « سعود » ملك السعودية في ذلك الوقت بسبب « تعاونه » مع « جمال عبد الناصر » . أو بسبب ضعف قدرته على مواجهة « جمال عبد الناصر » ! .

وفي هذه النقطة فإن الوثيقة تشير تساؤلات معاصرة تتصل بالحاضر الذى نحياه الآن (وربما سنحت لى الفرصة لأتحدث عن هذه التساؤلات بالتفصيل فيما بعد) .

٧ - الوثيقة تظهر بما لا يقبل مجالا للشك أن التعاون مع إسرائيل عسكرياً ضد مصر كان

سابقاً في تفكير بعض الأجهزة البريطانية على الوقائع التي أعقبت قرار تأميم قناة السويس .
كذلك تظهر الوثيقة أن البريطانيين تشاوروا مع إسرائيل بشأن سوريا .

٨ - الوثيقة ملأى بالأسماء الرمزية وقد أرفقت بها ورقة تحمل أسرار هذه الأسماء الرمزية
وتفصح عن شخصيات أصحابها سواء كانوا من الأفراد أو الهيئات أو الحكومات .

٩ - لقد وجدت مرة أخرى مناسباً أن أترك لمركز الترجمة والنشر في « الأهرام » مسئولية
ترجمتها ضماناً لحيدة المعاني وحتى الألفاظ .

١٠ - وأخيراً فأنني أضع الوثيقة بالكامل تحت تصرف القارئ العربي مضيفاً بين قوسين
أسماء الحكومات أو الهيئات أو الأفراد الذين تعنيهم الرموز - مستعيناً في ذلك بالمفتاح الذي
كان مرفقاً بالوثيقة الأصلية .

وفي وثيقة دولية هامة تؤكد تواطىء المخابرات البريطانية والأمريكية قبل الحرب جاء ما
يلي حرفياً :

لقد وجدنا سموت (أم . آى . سكس . آى ، المخابرات البريطانية) في جولة إجتماعاتنا
الأخيرة أكثر حزمًا وتصميماً على العمل المباشر مما كانوا في آخر جولة عقدناها للتنسيق معهم
في الشهر الماضي .

وقد قالوا لنا :

(١) أن « ناصر » مصمم على تدمير إسرائيل ولن يقبل سلاماً معها أو صلحاً .

(٢) أنه بسبب هذا التصميم يسعى لتوحيد العالم العربي تحت قيادة مصر .

(٣) أنه من نتيجة هذا التصميم على (١) و (٢) - فإن ناصر الآن يمكن إعتباره في جيب
الإتحاد السوفيتي - وهذا تقديرهم الذي لا يترجحون عنه .

(٤) تقول سموت (أم . آى . سكس) أن ما سبق ذكره يغلب الآن على وجهة نظر الحكومة
البريطانية ، وأنه أفضى إلى عملية إعادة تقييم حاسمة للسياسة البريطانية في المنطقة ، وتدعى
أن وجهة النظر هذه عن ناصر تستند إلى إستخبارات سموت (أم ، آى . سكس) التي
جاءت أساساً من مصدر جديد في مصر تم الوصول إليه « بضربة حظ » وثق فيه سموت
(أم . آى . سكس) لأقصى حد ، وعندما أوجزوا لنا ، خمسة وعشرين تقريراً حصلوا

عليها ، فقد بدأوا بتقرير عن (الإشترابية الشعبية) صدر من نوفمبر الماضي .
وأكدوا أن جزءك كبيراً من أكثر المواد أهمية هي مواد وثائقية بطبيعتها ، وأن « زبدة ما
حصلت عليه سموث (أم . آى . سكس) خلال الشهور الماضية قد نقل إليها من خلال
الاتصالات بيننا ، ونقل في حالة التقارير الأكثر أهمية ، على مستويات أعلى (في رسائل من
« إيدن » نفسه إلى « إيزنهاور » شخصياً) وسموث (أم . آى . سكس) مصرّة على قولها
بأنه نظراً لأننا لسنا مستعدين كما هو واضح لقبول إعادة التقييم التي قاموا بها لناصر بصورة
حاسمة ، فإنه لا بد من النظر إلى تغطية إستخباراتنا لمصر باعتبارها تغطية ضعيفة . وقد وصفت
تقارير كيوبارك (سى . آى . إيه) أى وكالة المخابرات المركزية التي نقلت لسموث (أم .
آى . سكس) في الشهور العديدة أنها « نفاية » ، وتؤمن سموث (أم . آى . سكس) بأنه
ينبغي لنا إما أن نقبل تقاريرهم أو نقول أنها « زائفة » . أما أن نقبل الإستنتاجات التي إنتهوا
إليها أو نبين أنها ليست منطقية . وهم على أى حال يودون الإطلاع على أى دليل يثبت
أى وجهة نظر أخرى عن دوافع ناصر وعن الموقف .

هـ - وقد أكدت سموث (أم . آى . سكس) أن وجهة نظر الحكومة البريطانية حالياً هي
إنه ينبغي حماية المصالح الغربية في الشرق الأوسط (خاصة النفط) ، من التهديد المصرى
السوفيتى بأى ثمن . واستخدم من أسمايناهما « أ » (أم . آى . سكس) جورج يونج ممثل
المخابرات البريطانية و « ب » (اس . آى . اس) نيجيل كلايف ممثل جهاز الخدمة السرية
البريطانى وهو إمتداد للمخابرات البريطانية (تعبيرات مثل « إن بريطانيا مستعدة الآن لتحارب
معركتها الأخيرة و « أيا كانت التكلفة سنكون الكاين » . وعلى الرغم من إتفاقنا في الإجتماع
الأول على مناقشة مسارات العمل المتاحة ، لا وديوك (يو . اس . جى) أى حكومة
الولايات المتحدة الأمريكية) وللحكومة البريطانية ، فقد رفضوا إعطاؤنا تفاصيل خططهم
(ربما) كان ذلك راجعاً لعجزنا عن قبول تقديرات سموث (أم . آى . سكس) عن نطاق
العلاقة المصرية السوفيتية) وقدم لنا فقط موجز عريض من قبل من أسمايناهما « أ » (أم .
آى . سكس جورج يونج) و « ب » نيجيل كلايف (اس . آى . اس) في جلسات غير
رسمية وعلى ألا ينسب إليهما ذلك . وهما متلهفان لأقصى حد على تلقى رد فعل كيوبارك
(سى . آى . إيه) المبدئى خلال الأيام القليلة القادمة . مؤكدين أن الوقت أمر بالغ الأهمية
وأنه ينبغي إتخاذ إجراءات في سوريا خلال شهر واحد . وقد أوضحت سموث (أم . آى .
سكس) أنه إذا جاء رد فعل كيوبارك (سى . آى . إيه) مرضياً ، فإنها ستكون راغبة

في مناقشة الخطط التفصيلية مع نيرمان (كيرميت روزفلت مسئول المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط) . وقد تركت لدينا إنطباعاً بأن الخطط تحظى بموافقة فورمن (وزارة الخارجية البريطانية) وأنه حتى ، إجتماعات سنكرسون (جيمس إيكليبرجر) - تشابو ورث (الميجور جنرال السير جون سينكلير رئيس اس . آى . أس) ستكون موضع مناقشة مجلس الوزراء .

٦ - وفيما يلي إنطباعاتنا عن خطة الحكومة البريطانية ثلاثية المراحل (وقد اطلعنا سموت (أم . آى . سكس) على ذلك هذا الصباح ولم تعترض على إقتراحنا بأن نبرق بذلك إلى كيوبارك (سى . آى . إيه) وتعليقات « أ » (أم . آى . سكس) (جورج يونج) مبينة في الإقتباسات الواردة بين هلالين صغيرين :

(١) **المرحلة الأولى :** إحداث تغيير كامل في حكومة سوريا . وتعتقد سموت (أم . آى . سكس) أنها تستطيع أن تقوم بهذه العملية لوحدها . لكنها ستلجأ عند الإقتضاء إلى العمل المشترك مع العراق وتركيا ، وإحتمالاً مع إسرائيل . وإنطباعنا هو أن هذا الأمر نوقش مع الدولتين الأوليين وربما فى الثالثة (نوقش الوضع فى سوريا مع إسرائيل لكن ليس من زاوية الحصول على مساندتها الإيجابية) . ولسنا متأكدين من أن ذلك لن يتضمن عملاً عسكرياً عراقياً (أننا لا نعطي تأكيدات حول العمل العسكرى العراقى) ومع ذلك ، فلن يتم تغيير فى حدود سوريا رغم أنه ستقوم فيها حكومة موالية للعراق بصورة حازمة ، وتضمنت المناقشة الأولى عن الإجراءات المتعلقة بسوريا استخدام تعبير هو « توسيع نطاق النفوذ الهاشمى » . وبناء على تساؤلاتنا ، أعطيت لنا تأكيدات بأن هذا لا يتضمن وضع سوريا تحت حكم العائلة المالكة العراقية وأن تعبير « توسيع نطاق النفوذ بالعراقى » ربما كان أكثر دقة ، كذلك أشير إلى « النقطة العراقية الرابعة » بإعتبارها نوعاً من النشاط محل نظر . وخير ما يمكن بنا أن نتكهن به هو أن الحكومة البريطانية تنظر فى إستخدام بعض ، أو كل من المخططات التالية : إستخدام الأموال العراقية لمساندة الأحزاب السياسية الموالية للعراق والرد على الحملات الصحفية السعودية المصرية - المساندة النشيطة للجهود المبذولة لقسمة صفوف « إيه . أس . آر . بى » (الحزب الجمهورى السورى) من خلال « إيه . أف . ال . إيه . كيو » (حزب البعث السورى) و « أس . إيه . واى . واى . أى . دى » (غير واضحة أو محددة فى الأصل) - وإثارة الإضرابات القبلية فى الجزيرة وإثارة تركيا وإسرائيل للإضطرابات على الحدود مما يقتضى مساعدة العراق لإعادة

الإستقرار لسوريا - وإستخدام الـ « بى . بى . اس » (الحزب القومى السورى) للتسلل من لبنان . وتسلم سموت (أم . أى . سكس) بأن تولية حكومة مصرية جديدة تتوقف على السيطرة على رد الفعل السعودى وأن الحكومة البريطانية تأمل فى مساندة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) .

(ب) المرحلة الثانية : تود سموت (أم ، أى . سكس) مناقشة إمكانات كيوبارك (سى . آى . إيه) فى العمل السياسى . واعتقد أن سموت (أم . آى . سكس) مستعدة لبذل الجهود لإستغلال الإنقسامات فى الأسرة المالكة (السعودية) وإحتمال إستغلال موقعهم فى الإمارات المتصالحة (إمارات وسلطنات الخليج الآن) للتعجيل بسقوط سعود . وقد خرجنا بإنطباع مؤداه أنهم يقدرّون كثيراً إمكانات العراق تجاه المملكة العربية السعودية وإنهم ينظرون فى القيام بعمل مشترك مع العراقيين أو العمل من وراء جبهة عراقية فى حالة عدم رغبة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) فى مد يد المساعدة أو عجزها عن تلك (أعتقد أن مساندة أوديوك) (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) فى المملكة العربية السعودية ستفيد فى المرحلة الأولى لكنها ليست ضرورية بالنسبة لآليات الإجراء (أو الإنقلاب) الذى سيتخذ فى سوريا (لكن على الرغم من أن البريطانيين يدركون أن مسألة موافقة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) أو إذعانها عامل هام فى المرحلة الأولى . فإنهم مصممون على الشروع فى هذا العمل) . (من المؤكّد أن الإجراءات التى ستأخذها أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) ستساعد فى إبطال تأثير الإجراءات المصرية المضادة) .

(ج) المرحلة الثالثة : سيتم الاضطلاع بها توقعاً لرد فعل مصرى عنيف تجاه المرحلتين الأولى والثانية . وقد خرجنا بإنطباع هو أن نطاق الإجراءات البريطانية سيتناسب تناسباً مباشراً مع رد الفعل المصرى . ويتراوح هذا من فرض ، العقوبات المحسوبة لعزل ناصر إلى إستخدام القوة (البريطانية والإسرائيلية على حد سواء) لإسقاط الحكومة المصرية . (ونأمل فى أن تكون الحكومة (المصرية) الجديدة التى ستقوم أكثر إذعائاً) . (كما أن نطاق خطط العمل البريطانية سيتوقف على مدى مساندة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة) لنا . (علينا أن نواجه إمكان أن يغلق ناصر القناة ونود أن نعرف كيف سيكون رد فعل أوديوك (حكومة الولايات المتحدة) تجاه هذا . ونعتقد أن الإمكانيات المتطرفة

ستتضمن عمليات خاصة من قبل الإسرائيليين ضد مخزون مصر من إمدادات الذخيرة والطائرات والدبابات التي إشترتها حديثا . وكذلك الهجوم الإسرائيلى المباشر على غزة ومناطق الحدود الأخرى .

(٧) سيصل سنكرسون (جيمس ايكليجر) لنيويورك صباح يوم ٢ إبريل . وما لم تصدر تعليمات بغير ذلك سيبقى تشابو ورث (الميجور جنرال السير جون سينكلير رئيس سى . آى . اس) فى لندن لضمان إستمرار الإتصالات فى حالة ما إذا رغب المقر الرئيسى فى نقل رسالة حول هذا الموضوع قبل وصول نيرمان (كيرميت روزفلت) .

وقائع الحرب فى رواية متعاطفة :

نورد هنا رواية متعاطفة مع عبد الناصر ، وعلى الرغم من اللغة الدعائية إلا أن بها بعض الحقائق التى قد تفيد فى فهم ما جرى فى تلك الحرب ، أنها رواية دكتور محمد صقر خفاجة التى أوردتها فى بحث له بعنوان (مصر بينى دعائم نهضتها - إصدار ١٩٥٧ م) ونشر ضمن الكتاب الذى قدم له طه حنين عن (العدوان الثلاثى على مصر) وجاء فى رواية د . خفاجة ما يلى :

كان للعدوان الإسرائيلى تأثيره المباشر على أمريكا والاتحاد السوفيتى . ففى واشنطن كان الرئيس إيزنهاور يعرب عن « إمتعاضه من تلك المفاجأة الأليمة ، مفاجأة العدوان الإسرائيلى على مصر ، وترسل وزارة الخارجية ، بل يرسل الرئيس إيزنهاور نفسه المذكرة تلو الأخرى إلى الحكومة الإسرائيلية طالبا وقف العدوان فى الحال ، دون أن تكثرث حكومة بن جوريون بنداء أمريكا ، وذلك لعلمها أن وراءها حكومتين غادرتين فى إنجلترا وفرنسا قد افقتا على تنفيذ العدوان إذا قامت إسرائيل بالدور الأول فى المسرحية . ولم تنحصر الصدمة التى أصابت رأى العام الأمريكى فى الدوائر الحكومية ، بل أن الكثيرين من الكتاب وأعضاء الكونجرس أعربوا صراحة عن رأيهم عندما وصفوا العدوان الثلاثى بأنه مؤامرة تتم عن الغدر والنذالة ويراد بها خلق ذريعة لتدخل بريطانيا وفرنسا فى شئون مصر . بل أن الكثيرين من أعضاء الكونجرس الديمقراطيين والجمهوريين كانوا ينادون الحكومة الأمريكية باتخاذ إجراءات حاسمة ضد إسرائيل بمنع المساعدات المالية والعسكرية والاقتصادية عنها ، وبتحذير حكومتى ، بريطانيا وفرنسا من إستغلال الموقف وإلا تعرضتا لسوء العاقبة إذا ما توسعت العمليات الحربية فى

الشرق الأوسط .

ولا شك أن موقف الرأى العام الأمريكى كان له أكبر الأثر فى التأثير على الحكومة الأمريكية التى أبدت موقفا حازما مشرفا خلال الأزمة وبخاصة عندما نظر أمر العدوان الثلاثى أمام مجلس الأمن والجمعية العامة ، وكان جزاء الولايات المتحدة على موقفها الحازم هذا أن تعرضت من جانب أبواق الدعاية المسمومة فى بريطانيا وفرنسا إلى حملة شعواء إتهمت فيها أمريكا بمهادنة مصر . وإتهمت فيها الأمم المتحدة بأنها منظمة ظالمة مفرضة تخضع لإرهاب مصر وتهديداتها !! .. « نعم هكذا تعدت الصفاقة كل حدود المنطق بعد أن تكشفت بوادر الخراب الذى كان آتيا لا محالة فى إنجلترا وفرنسا إذا ما تمادتا فى غييهما . والقول هنا للدكتور محمد صقر خفاجة فى بحثه (مصر تبني دعائم نهضتها) :.

وكان موقف الإتحاد السوفيتى دون شك أكثر وضوحا فى موقفه إزاء العدوان ، لأن حكومته لم تكن مرتبطة مع إنجلترا وفرنسا فى أحلاف عسكرية كما كان الحال بالنسبة للولايات المتحدة . فلو أن تلك الأخيرة اقترحت سحق العدوان الثلاثى بالقوة وتأييد مصر عسكريا لكانت مهزلة دولية ينشق فيها الحلفاء على أنفسهم وتصارع قواتهم بعضها البعض .. لذا إكتفت الولايات المتحدة بالتأييد القانونى فى ظل ما تقره هيئة الأمم المتحدة . أما الإتحاد السوفيتى فقد كان « متحرراً » من أحلاف الأطلنطى وما شابهها من التنظيمات العسكرية ، ولذا جاء كلام ساسة الكرملين واضحا حازماً صريحاً ، مما أثار الفزع فى نفوس المعتدين وجلعهم يفكرون فى سوء العاقبة رغم تشدقهم وإدعائهم بوجود مؤامرة بين روسيا ومصر لتهديد السلم ، وما كان هذا الإدعاء الباطل إلا محاولة يائسة لتغطية سوء النية والغدر الذى تكشف للعالم فور قيام الدول الثلاثة بعدوانها على مصر .

وليس معنى ذلك أن أمريكا إنفردت بالعمل داخل الأمم المتحدة بينما إنفردت روسيا بالعمل خارجها ، بل أن المقصود من الإشارة إلى تحرر روسيا من روابط الأحلاف الغربية هو أن موقفها ساعدها على عرض الحلول العملية والدفاع عن مصر ضد العدوان إذا ما لم تمثل الدول المعتدية لقرارات الأمم المتحدة التى دأبت روسيا منذ اللحظة الأولى على تأييدها مشاركة بذلك الولايات المتحدة فى إتجاهاتها القانونية وتمسكها بأهداف الميثاق ، على أننا بينما كنا

نسمع أخبار متطوعين يريدون المحاربة في صفوف الدفاع المصرية متطوعين من الإتحاد السوفيتي والصين الشعبية كنا لا نسمع (ولا يعقل أن نسمع) عن متطوعين أمريكيين أو من إحدى الدول الغربية لأن حكم الواقع جعل من سياسة تلك الدول محالفة لإنجلترا وفرنسا من الناحية الواقعية وإن لم تكن قد أقرت عدوانها على مصر .

وقد بدا تأييد الإتحاد السوفيتي ، كما كان تأييد الولايات المتحدة ومنذ اللحظة الأولى للعدوان الإسرائيلي ، فتكلم المندوب الروسي في مجلس الأمن بلغة قانونية حازمة ، فقال متهماً بريطانيا وفرنسا بالتآمر على مصر : « إن الغزو المدبر يأتي من دولتين من الدول الدائمة في مجلس الأمن ، وهما بهذا تخرقان ميثاق الأمم المتحدة ، وتهددان السلم العالمي ، وتحاولان حل مسألة قناة السويس باستعمال القوة ، مما يثبت معه أن الهجوم الإسرائيلي كان مدبراً للتمهيد لهذا الغزو البريطاني والفرنسي . كذلك تجلّي موقف روسيا الحازم في توجيهها الإنذار الصارم إلى إسرائيل ، وإستدعاء السفير الروسي من تل أبيب احتجاجاً على عدوان إسرائيل الغادر . ولم يتردد رئيس وزراء الإتحاد السوفيتي ولم يدع في كلماته مجالاً للشك حين أرسل إنذار حكومته إلى كل من حكومتى فرنسا وبريطانيا مؤكداً أن الإتحاد السوفيتي مصمم على استعمال القوة لصد العدوان الإنجليزي فرنسي عن مصر إذا اقتضى الحال ذلك . وكانت كلمات المارشال بولجانين ذات ، معنى قاس مرير حين وجه كلامه إلى بريطانيا وفرنسا متسائلاً : « في أى وضع ستكون إنجلترا وفرنسا إذا ما كانتا هما ضحية لعدوان من جانب دولة ثالثة تحت يدها وسائل حديثة خفيفة للدمار كالأسلحة الصاروخية .. وما الفرق بين استعمال تلك الأسلحة ضد إنجلترا وفرنسا وإستعمال الأخيرتين لقواتهما الهجومية الهائلة ضد مصر الآمنة التى لا تملك وسائل الدفاع النسبية لصد هذا العدوان ؟ » .

ولم تقتصر حكومة الإتحاد السوفيتي على مجرد إرسال مذكرات الإحتجاج أو التهديد الأجوف ، بل إنها اقترحت الاشتراك مع الولايات المتحدة في إرسال قوة مشتركة من قوات الدولتين لصد العدوان الثلاثي على مصر ، إلا أن رد أمريكا على ذلك الإقتراح أشار إلى مخاوف الولايات المتحدة من أن إجراء كهذا سوف يعنى تصارع قوات دولتين من الدول الكبرى مع قوات دولتين أخريين ، وطالما أن الأمم المتحدة في إستطاعتها فرض قراراتها على المعتدين بعد أن نددت بموقفهم غالبية دول العالم ، والتوقف عن العدوان . هذا وقد زاد شعب مصر إطمئننا على سلامة مركزه وعدالة قضيته ما شاهده من تأييد الشعوب بالإضافة

إلى تأييد الحكومات . فقد نقلت الأنباء رغبة الآلاف من المتطوعين الروس للعمل بجانب القوات المصرية في دفاعها ضد المعتدين .. ولم تستطع الصين الشعبية الإعراب عن موقفها في الأمم المتحدة ، ولكن شعبها وقف وقفة مشرفة مشكورة حين أعلن أن نحو ربع مليون من الأهالي قد تطوعوا فعلاً لخدمة قضية السلام بمشاركة مصر في دفاعها ضد العدوان . إن تلك الآلاف - ليس في روسيا والصين فحسب ، بل في شتى أنحاء العالم - كانت تحس كمشعوب محبة للسلام في صد العدوان الغادر عن مصر وعن كل بلد آخر يقع ضحية لمؤامرات تجار الحروب ومهددي السلام .

ولم تكن دول العالم الأخرى أقل حماسة في تأييد قضية مصر ، وإن كان المقام يضيق بنا هنا لسرد جميع مظاهر الحماسة المتدفقة لنصرة مصر ضد المعتدين . ففي الأردن وسوريا والمملكة السعودية وغيرها من الأقطار العربية قامت الحكومات والشعوب تؤيد مصر وتعرض مساعدتها بكل ما لديها من إمكانيات ، وتعلن أن جيوشها وأرواح مواطنيها فداء لمصر . القطر الشقيق الذي كان يدافع مستبسلاً أمام عدوان مثلث غادر . وقد أثبتت معظم الأقطار العربية للمستعمرين كيف أن العدوان على دولة عربية يعد عدواناً على الأمة العربية بأسرها ، بل عدواناً على كل بلد آمن يناهض غدر المستعمرين وإستغلال المحتلين الآثمين .

وكانت تصريحات المسئولين في دول العالم تدل دلالة واضحة على استنكارهم الصارخ للعدوان على مصر ، كما تدل على وقوف تلك الدول حكومات وشعوبا في جانب الحق والعدل مهما كانت التيارات السياسية والحزبية داخل الدول وخارجها ، إذ لم يدع مركز مصر المشرف ودفاعها الباسل مجالاً لشكل أو تردد في أية دولة كانت تنظر إلى القضية نظرة بعيدة عن تضليل المعتدين . وليس أدل على الموقف المخزي لحكومات تجار الحروب والمتآمرين الغادرين من ذلك الصوت المدوي الذي إنبعث من حزب المعارضة في إنجلترا من غالبية الشعب البريطاني الذي كان ينجعل لسياسة حكومة المحافظين . فقد تجمعت آلاف الوفود من البريطانيين في المدن الإنجليزية تستنكر سياسة إيدن الخرقاء وتطالب حكومته بالإستقالة مؤيدة بذلك أصوات المعارضة البرلمانية التي قصرت بمعدل خمسين صوتاً عن إحباط مؤامرة المحافظين واستمرارهم للعدوان على شعب مصر الآمن .

وإن ما حدث من جانب ذلك الفريق من الشعب البريطاني الذي كان يتوخى الحقيقة ويعارض العدوان الغادر بقلبه وبكل ما كان تحت يديه من وسائل الضغط البرلماني ، لم يحدث

له مثل في تاريخ بريطانيا . لقد كانت أصوات المعارضة تهم إيدن بالإجرام ، وتطالبه بالاستقالة ، وتأمّره بالإفصاح عن الحقيقة والكف عن التضليل .. إن إيدن بتصرّياته الكاذبة المضلّة^{أما} أما أحق غبي أو مجنون متهور .. وفي كلتا الحالتين أننا لا نريده رئيس حكومة ... هكذا قال صوت من أصوات المعارضة العمالية ... أنكم عصابة من المجرمين سفاكي الدماء .. هكذا قال صوت آخر .. مجرم .. منافق .. كاذب .. أغرب عنا .. استقل .. داعية حرب .. اخرج من هنا .. هكذا كانت تدوى أصوات المعارضة في البرلمان البريطاني ، ولكنها ، كما قلنا ، الديمقراطية التي أعطت حكومة إيدن أغلبية خمسين صوتاً الحق في التمادى في حماقة وجنونه .. ثم بعد أن يلحق الخراب والدمار بالمدن المصرية ، والأضرار الاقتصادية والسياسية ببلاده ، يسارع إيدن إلى الاختفاء عن الأنظار ، ويسافر خارج بريطانيا . ليستريح من إتهام عصي .. هكذا وصلت هيبة السياسة الخارجية البريطانية .

في الأمم المتحدة :

يرى د . خفاجة ما يلي :

بلغ إهتمام الأمم المتحدة بقضية العدوان الغادر على مصر درجة لم تحدث من قبل في تاريخ هذه المنظمة الدولية . ولم تكن جلسات مجلس الأمن أو الجمعية العامة مجالاً للدعاية المنبرية والخطب المطولة كما كان يحدث في كثير من المواقف ، بل كان جل هم الوقود متجها إلى التكاتف للوصول إلى حل عملي سريع لوقف العدوان وردع المعتدين . ولم يحدث في تاريخ الأمم المتحدة أن فازت قرارات بشأن قضية خطيرة كهذه مثلما فازت به القرارات التي استنكرت العدوان وطالبت المعتدين بالانسحاب السريع . بل ليس من المبالغة القول بأن قرارات دول الأمم المتحدة تعتبر أخطر قرارات اتخذتها في تاريخها لأنها تمثل عملاً جماعياً ضد قول معتدية أوقفت عند حدها وطولبت بالتراجع ، فامتثلت لأمر الغالبية من دول ، العالم ، وهكذا أنقذ العالم من شر حرب ضروس أراد ، المتآمرون الثلاثة أن يجروا العالم إليها ، ولقد قيل الكثير من الأسانيد والحجج القانونية في الأمم المتحدة تأييداً لموقف مصر السليم ، كما أقيمت الكلمات الحماسية من مندوبي الدول المختلفة مثنية على موقف مصر المشرف في دفاعها عن نفسها ، ومستنكرة بشاعة الغدير العدوانى المثلث ، وكانت بعض الجلسات تستمر حتى ساعات الفجر ، ومندوبو

الدول مثابرون مصممون على إتخاذ قرارات حاسمة بينما مندوبو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وأستراليا يطلبون التسوية والتأجيل فى الوقت التى كانت طائرات المعتدين وقواتهم تنزل أبشع ألون الإعتداء على المدنيين الآمنين .

وكان أن أثبتت الأمم المتحدة وجودها على الرغم من مناورات إنجلترا وفرنسا واستماتتهما فى التأثير على الدول الصغيرة حتى لا تنضم إلى زمرة المستنكرين الحانقين على الغدر المثلث والمسؤولين عنه . وفيما يلى عرض سريع للأحداث التى جرت فى الأمم المتحدة نسرده على قدر ما يسمح به هذا المقال القصير :

٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦م :

تقدمت الولايات المتحدة بمشروعها الذى يقضى بإمتناع أى دولة عن إستخدام القوة أو التهديد فى منطقة الشرق الأوسط (وكان هذا موجهاً إلى إنجلترا وفرنسا) وبأن تنسحب إسرائيل على الفور من الأراضى المصرية إلى ما وراء خط الهدنة . ولكن إنجلترا وفرنسا عارضتا هذا القرار ، وأيدتا بذلك العدوان الإسرائيلى توطئة للسير فى مؤامرتهما .

٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦م :

بعد أن عارضت الدولتان المعتديتان مشروع القرار الأمريكى تقرر دعوة الجمعية العامة على الفور للنظر فى أمر العدوان المثلث (وذلك بناء على السابقة التى أخذ بها من قبل . وهى الإتحاد فى سبيل السلم) . وهنا أيضاً تحدث كل من فرنسا وإنجلترا العالم بأسره وعارضتا عقد دورة طارئة للجمعية العامة .. وفى اللحظة الذى كان مشروع القرار اليوغوسلافى يقدم فى مجلس الأمن لعقد الدورة الطارئة للجمعية العامة كانت إذاعة صوت بريطانيا تتشدد وتفاخر بأن الهجوم الجوى قد بدأ على مصر

أول نوفمبر حتى صباح ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦م ::

بحثت الجمعية العامة مشروع القرار الأمريكى الذى يقضى مرة أخرى بسحب القوات المعتدية إلى ما وراء خط الهدنة ويوصى بأن يمتنع أعضاء الأمم المتحدة عن القيام بأعمال حربية فى منطقة العدوان ، وأن تبقى الجمعية العامة فى جلسة طارئة حتى الإمتثال لهذا القرار ، ومرة أخرى تحدث الدول الثلاث الأمم المتحدة ١١ ففاز القرار بأغلبية ٦٤ صوتاً بينما عارضته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وأستراليا ونيوزيلندا . وفى اليوم الثانى من نوفمبر ،

حيث ثبت أن بريطانيا وفرنسا تستخدمان أسلحة حلف الأطلسي في العدوان على مصر ، أرسلت الولايات المتحدة مذكرة إلى الحكومتين المعتديتين تعترض على هذا المسلك وتذكرهما أن الأسلحة التي حصلنا عليها عن طريق إتفاقية المساعدة الدفاعية المتبادلة يجب ألا تستخدم في أغراض عدوانية . ولكن هذا لم يمنع بريطانيا وفرنسا من الإستمرار في العدوان وإستخدام تلك الأسلحة في الغارات الجوية على المدنيين الآمنين في مصر .

٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ م :

استمر العدوان الثلاثي على مصر ، وتقدمت كندا بمشروع قرار لإنشاء قوة طوارئ دولية تابعة للأمم المتحدة فوافقت عليه ٥٧ دولة ، وإمتنعت الدول المعتدية التي إستمرت في عدوانها على مصر . وفي نفس اليوم قدمت الدول الأفريقية الآسيوية التسع عشرة مشروع قرار يقضى بأن يتولى السكرتير العام للأمم المتحدة تنفيذ وقف إطلاق النار ووقف تحرك القوات الحربية والأسلحة إلى المنطقة ، وأن يقدم تقريراً في ظرف إثنتى عشرة ساعة عن مدى الإمتثال لهذا القرار ، وقد وافقت ٥٩ دولة على هذا القرار ، ورغم ذلك إستمر العدوان الثلاثي على مصر .

٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ م :

وافقت الأمم المتحدة بأغلبية ٥٧ صوتاً وإمتناع ١٩ دولة على مشروع قرار قدمته كندا وكولومبيا والنرويج يقضى بتكوين قوة طوارئ دولية تقوم بتنفيذ قرار الجمعية العامة الصادر في ٢ نوفمبر .

٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ م :

استمر العدوان على مصر ، واستبسل الشعب المصرى في الدفاع ، وتحمل الكثير من التضحية في سبيل إعلاء كلمة الأمم المتحدة ، ودافع الشعب ضد العدوان الغادر على بور سعيد ، ولم تستطع قوى الشر أن تنال من مصر ولا من كرامتها وبسالة شعبها .



عبد الناصر في الأزهر الشريف يوم بدأ العدوان الثلاثي على مصر وسنقاتل .. سنقاتل .. سنقاتل ولن نسلم

٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ م :

إزاء إخفاق السياسة العدوانية المثلثة وإزاء غضب الرأى العام العالمى ، وأمام إستبسال الشعب المصرى فى الدفاع عن كيانه رخصت الدول المعتدية وقبلت إيقاف إطلاق النار ابتداء من الساعة الثانية بتوقيت القاهرة من صباح السابع من نوفمبر .

إنتهت رواية د . محمد صقر خفاجة .

ثالثاً : نتائج الحرب :

أيا ما كان التقييم الذى سبق شأن حرب السويس فإننا نسجل هنا عدداً من النتائج الهامة لهذه الحرب .

١ - إن مصر قد أحسنت إستغلال ظروف المواجهة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية والصراع بين فرنسا وبريطانيا وأمريكا فى تأكيد دور مصر القيادى وفى العمل على تحقيق انسحاب للقوات المعتدية حيث خرج عبد الناصر من حرب ١٩٥٦ م وهو أكثر قوة من حيث الزعامة السياسية للعالم العربى .

٢ - أن أحد النتائج المترتبة مباشرة على الموقف السوفيتى من العدوان هو توثيق العلاقات المصرية - السوفيتية وبداية توطيد النفوذ السوفيتى فى المنطقة ، كما أن أحد النتائج المباشرة هو خلافة الولايات المتحدة لكل من بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط وطرح إيزنهاور لمبدأ الفراغ ومعارضة مصر له وتأكيدا على ضرورة الإستناد إلى دفاع عربى عن المنطقة ضد إسرائيل العدو الرئيسى وليس السوفيت .

كل تلك المتغيرات قد قادت إلى خلق بذور التصادم المصرى - الأمريكى والذى إكتمل بالإرتباط الإسرائيلى - الأمريكى بعد الحرب .

٣ - قد ظهرت مؤشرات عديدة لدور المنطقة العربية فى مساندة الصمود المصرى حيث قطعت سوريا أنابيب البترول التى تحمل بترول العراق إلى المتوسط ، كما أعلنت السعودية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع كل من بريطانيا وفرنسا وحرمت بيع بترولها لكل منهما كما رفضت ليبيا السماح للقوات البريطانية المراقبة على إقليمها أن تتحرك ضد مصر ، لكن لم تتحرك أية قوات عسكرية للدفاع عن مصر حسب ميثاق الضمان الجماعى كما أنه

لم تتحرك جيوش الحلف العربى المكون من سوريا والأردن والسعودية ومصر والذي تم التصديق على معاهداته قبل العدوان مباشرة .

كما لزمّت جامعة الدول العربية الصمت طوال فترة العدوان .

٤ - أن حرب ١٩٥٦ قد أكدت عدة مبادئ للأمن المصرى :

- أن سيناء لا تصلح لأى معركة دفاعية .

- أن الأخطار التى تواجهها مصر دائماً تأتى من الشمال والشرق نظراً للطبيعة المفتوحة للسواحل المصرية .

- ضرورة الإستناد للمنطقة العربية فى تدعيم الأمن المصرى .

- ضرورة التماسك الداخلى والتعاون الموثق بين القيادات السياسية والعسكرية .

- حسن إستغلال الإطار الدولى وتدعيم العلاقات المصرية - السوفيتية .

٥ - إن مصر قد إستطاعت تحقيق إنسحاب منظم للقوات المصرية من سيناء وبالتالى حافظت على قوة وتماسك الجيش والقوات المصرية وتبرز خطورة تلك النتيجة لو قارناها بالإنسحاب العشوائى لعام ١٩٦٧م والذي الحق خسائر فادحة فى الجيش المصرى حيث لم يكن فى مصر بعد ١٩٦٧م سوى قوات مهلهلة وقيادات مذعورة^(١) كما سنرى فى الفصول القادمة .

إن حرب السويس كانت بحق نهاية لعصر وبداية لعصر جديد ليس داخل مصر فحسب بل وفى العالم المحيط بها .

رابعاً: تقييم المفكرين المصريين لحرب السويس :

سوف نأخذ هنا مجرد نماذج لما كتبه علماء وأساتذة تاريخ فى تقييم الحدث ، وبخاصة أولئك الذين عاشوه وكتبوا عنه وسنمحو آرائهم فى الآتى :

(١) وجهة نظره حسين فى حرب السويس :

كان لظه حسين آراء ودراسات هامة فى كافة نواحي الحياة والفكر خلال المرحلة

(١) انظر لواء د . محمود خليل - مصدر سابق - ص ٣٩٣ .

السابقة على ثورة ١٩٥٢م ولكنه بعد الثورة تضاعلت المساحة التي أسهم فيها طه حسين على صعيد الفكر والسياسة ، وعلى الرغم من تضاعفها إلا أنه كان مساهماً في الأزمات بالرأى والرؤية الثاقبة وكانت حرب السويس ١٩٥٦م واحدة من تلك الأزمات التي أدلى فيها طه حسين بالرأى ، ففى كتاب صادر عن هذه الحرب وجدنا هذه الرؤية التي نورد أهم أجزاءها :

يقول طه حسين :

الإستقلال لا يستقيم للشعوب ولا يثبت فيها بالكلام مهما يكن بليغاً رائعاً ، وإنما يستقيم ويستقر ويثبت بالقوة التي تؤيده وتسندة وتحوطه وتذود عنه وعن الوطن كل من يطمح إلى العبث به أو الإعتداء عليه ، ومن أجل ذلك جدت الثورة فى تنظيم الجيش وتقويته والتمست له السلام الذى هو قوام القوة وملاك البأس ، وقد التمست هذا السلاح فى الغرب فلم تجد عنده إستجابة لها وإنما وجدت عنده البخل عليها والإشفاق منها والمكر بها والكيد لها والحذر من أن تصبح مصر دولة قوية يكبرها الصديق ويهربها العدو . فالتمست الثورة ما تحتاج إليه من السلاح حيث إستطاعت أن تجده ، وظفرت منه بما أرادت ، وهنالك ثارت ثائرة الغرب ، والغرب الأوروبى خاصة ، فأصبح المكر بها والكيد لها ظاهرين لا يستخفى بهما الإنجليز والفرنسيون ، وإنما يجاهرون بهما فى غير تحفظ ولا إحتياط ، وأمنت مصر قناة السويس غير متجاوزة حقها ولا مخالفة عن القوانين الدولية ولا ظالمة للشركة القديمة التى كانت تستغل القناة ، وهنالك صرح الشر ، وهنالك إنتهزت الفرص وإختترعت إختراعاً ، وأقبل الإنجليز والفرنسيون مجلبين بالقوة والبأس مجاهرين بالبغى والعدوان مخالفين عن أصول الحق والعدل والقانون معتدين على مصر الوادعة الآمنة التى لا تبغى لنفسها ولا لغيرها إلا الحياة الكريمة الرضية فى ظل العدل والحق والقانون والأخاء الإنسانى العام .

وكان هذا العدوان تمحيصاً للشعب المصرى من جهة . وإمتحاناً للإنسانية المتحضرة من جهة أخرى . فأما الشعب المصرى فقد تكشف عن حقيقته الخالدة وأظهر أنه يعرف النهوض بعبء الحق حين يجد الجد ، ويعرف الجهاد فى سبيل الحق حين يدعى إلى هذا الجهاد ، ويتعرض إستقلاله للخطر . وعرف أن كرامة الدنيا والآخرة لا سبيل إليها إلا بالجهاد والصبر والثبات ، وأثبت أنه يؤمن بدينه حق الإيمان ويستجيب لقول الله عز وجل ﴿ أم حسبهم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ .

وأما الإنسانية المتحضرة فقد أثبتت شعوبها منفردة ومجموعة في هيئة الأمم المتحدة أن هذه المثل العليا التي تقوم عليها الحضارة من الحق والعدل والإنصاف ليست كلاماً يقال وإنما هي حقائق واقعة لا تتردد الأمم في الذود عنها مهما يكن المعتدون عليها .

ونظر الإنجليز والفرنسيون فإذا مصر تلقاهم بثباتها الخالد العظيم وبتأييد الأمم المتحضرة كلها . وستثبت الأيام المقبلة أن مصر الثائرة ستقهر هذا الخطب كما قهرت خطوباً غيره من قبل ، وستنتصر على هذا العدوان كما انتصرت على أمثاله من قبل ، وأن الإنجليز والفرنسيين سيرتدون عنها مدحورين خائبين ، وسيقنعون من الغنيمة بهذا الخزي العظيم الذي سيعودون به إلى بلادهم ، وسيلقون به شعوب الأرض وقد ألقى على وجوههم أغشية من الخجل المذل الذي لا يليق بشعب كريم .

* تلك هي رؤية طه حسين في العدوان الثلاثي ، أو حرب السويس ١٩٥٦م ، وهي هامة وموحية في الوقت نفسه .

(٢) رؤية د . محمد أنيس :

يرى د . أنيس بإعتباره مؤرخاً له ثقله وقدره أن عام ١٩٥٦م بدأ ومصر قد حددت بشكل نهائي قاطع واضح سياستها في المعترك الدولي : تدعيم السياسة الإستقلالية عن الغرب ومحاربة الإستعمار في كل مكان بصفة عامة وفي المجال العربي بصفة خاصة . ثم خطت مصر خطوة أخرى في سبيل تدعيم سياستها الإستقلالية في مؤتمر بريوني فهذا المؤتمر لم يكن أكثر من محاولة لنقل الكثير من مبادئ مؤتمر باندونج من آسيا إلى أوروبا . وكان من الطبيعي أن يسلط الغرب كل قوته على مصر بعد هذا المؤتمر وبعد أن وضع للعالم مدى الخطر الذي يتهدد الإستعمار الغربي من جراء السياسة الإستقلالية التي تنتهجها مصر .

ويرى أيضاً في الخطاب الذي ألقاه عبد الناصر في ٢٦ يولية توضيح كاف لمدى الضغط الغربي الذي كان واقعاً علينا حينئذ . قال : « يريدون (الدول الغربية) منا أن ننفذ السياسة التي تملئ ، ولكن مصر أبت وأرادت إلا أن تكون لها شخصيتها المستقلة . فمنع عنا السلاح وسلحت إسرائيل وأصبحت خطراً يهدد ، وقالت بريطانيا نحن مستعدون لتسليحكم ولكن على شرط أن يسكت عبد الناصر في باندونج ودعونا ننفذ. خطتنا في

الأحلاف ، أصبح التسليح إذا أداة لتقييدنا وتقييد حريتنا ولكننا لسنا على إستعداد لدفع الثمن من شخصيتنا ومبادئنا وبهذا لم نستطع الحصول على أى شىء من السلاح لا بالثمن ولا مجاناً .

استطعنا بعد ذلك أن نحصل على السلاح من روسيا .. فحصلت ضجة ، ما سببها ؟ قالوا أن لديهم خطة وهى حفظ التوازن بين الدول العربية وإسرائيل ، طيارة للدول العربية كلها وأخرى لإسرائيل لحفظ التوازن . من الذى أقامكم أوصياء علينا لحفظ التوازن ؟ نحن لا نقبل وصاية أحد ، ولكنه الإحتكار للسلاح الذى كانوا يتحكمون به فينا فلما إستطعنا تحطيم هذا الإحتكار إنهارت كل خططهم . لم يستطع الإستعمار التحكم عن طريق منع الأسلحة .

وأرسلت أمريكا مستر ألن مندوبا لها ليحمل رسالة من الحكومة الأمريكية .. قالت الأنباء أنه يحمل تهديدا لمصر وإتصل بى أحد الرسميين الأمريكين لمقابلتى .. ونصحنى بأن أقبل الرسالة بأعصاب هادئة ، فقلت كيف أقبلها وفيها جرح للعزة المصرية ، فقلت لن يترتب عليها أى أثر عملى فهى مجرد رسالة ، فقلت أنى لست رئيس وزارة محترف ولكنى رئيس وزارة عن طريق ثورة ولن أتردد ، مندوبكم إذا حضر وتكلم كلمة سأطرده . هذا كلام رسمى سأعلن للشعب أنكم أردتم إهانة عزته وكرامته وسنقاتل جميعاً لآخر قطرة من دمانا وأنى سأقاتل فى سبيل مصر لآخر قطرة من دمي فهددوا بقطع المعونة فقلت سأعلن قطعها ونحن لن نتلقى دورساً فى السياسة .

حدث هذا الضغط وتلك التهديدات فى أكتوبر ١٩٥٥ - والقول للدكتور أنيس - ثم خططت الدول الغربية بعد ذلك خطوة أخرى للضغط على مصر تمثلت فى موقفها من مشروع السد العالى . ذلك أن كلا من إنجلترا والولايات المتحدة والبنك الدولى (وتسيطر عليه أمريكا) كانت قد وافقت على منح مصر مساعدات وقروضا تغطى العملات الأجنبية اللازمة لتمويل المشروع ثم عادت نتيجة لموقف مصر الدولى المستقل وعدائها للإستعمار وحربها لحلف بغداد ، فسحبت العروض التى قدمتها وعلقتها - نفاقا وكذبا - بحل المشاكل المتصلة بمياه النيل ليقعوا بين مصر من ناحية والسودان والحبشة وأوغندة من ناحية أخرى ، كما عمدوا إلى التشكيك فى سلامة الإقتصاد المصرى . وقابلت الحكومة المصرية سلوك الدول الغربية بتأميم شركة قناة السويس . ومع أن تأميم شركة قناة السويس

جاء من ناحية الترتيب الزمني رداً على موقف الدول الغربية من مشروع السد العالي فمن المعتقد أنه كان في أجندة السياسة المصرية منذ وقت غير قصير . ورغم أن هذا التأمين كان حلاً لمشكلة تمويل السد العالي وضرورة يحتملها التحرر الإقتصادي وتصفية الإحتكارية الأوروبية في مصر إلا أنه كان من ناحية أخرى بمثابة الجولة الرابعة في النضال بين مصر من ناحية والإستعمار الغربي من ناحية أخرى والإمتحان الثاني لسياستنا المستقلة .

ويرى د . أنيس من موقف إنجلترا وفرنسا إزاء مشكلة قناة السويس إنبعثت رائحة البارود . فرغم أن تأمين هذه الشركة من صميم أعمال السيادة المصرية إلا أن خطة إنجلترا وفرنسا كانت تهدف إلى أن تخلق منه أزمة سياسية مفتعلة ففاجأت الأوليان العالم بالتهديد بإستخدام القوة والتعبئة على نطاق واسع وتحرك قواتهما المسلحة وإتخاذ خطوات إقتصادية معادية ضد مصر ثم تدبير خطة تهدف إلى إيقاف الملاحة في القنال بتحريض المرشدين الأجانب وغيرهم من الموظفين في شركة القنال على الإستقالة بالجملة دون إخطار كاف للسلطات المصرية حتى إذا ما تعطلت الملاحة عمدت الدولتان إلى التدخل المسلح بحجة فتح القناة وحماية المصالح البريطانية والفرنسية المعطلة . أخفقت المؤامرة البريطانية الفرنسية وإستمرت الملاحة على حالتها الطبيعية في القنال . ولكن أزمة القنال كانت من المشاكل التاريخية النادرة التي كشفت عن عمق التناقض داخل معسكر الدول الغربية الثلاث ، بين الولايات المتحدة من ناحية وإنجلترا وفرنسا من ناحية أخرى وهو تناقض في أبداع حدوده خلاف حول الشكل أو الطريقة لا الجوهر لأن الولايات المتحدة تتحمل مسئولية متساوية فيما تطورت إليه أزمة الشرق الأوسط - وهو خلاف في مدلوله رغبة الولايات المتحدة في أن تحتل مكان الدولتين الإستعمارييتين في الشرق الأوسط تماماً كما فعلت في الهند الصينية . فالولايات المتحدة أبان أزمة القناة ورغم إشتراكها مع إنجلترا وفرنسا في كل الخطوات التي إتخذت ضد مصر كتجميد رؤوس الأموال المصرية في البلاد الغربية الثلاث ومحاولة تدويل إدارة القناة والضغط في مجلس الأمن ، كانت تعارض في إستخدام القوة ضد مصر ، وهذه المعارضة وهذا التناقض بصفة عامة بين الولايات المتحدة من ناحية وإنجلترا وفرنسا من ناحية أخرى وهو الذي دفع هاتين الدولتين إلى الإنفراد بالعمل المسلح ضد مصر وتدبير المؤامرة الثلاثية بالإشتراك مع إسرائيل . والحق أن موقف الولايات المتحدة غير المشجع من هذه المؤامرة كان من العوامل العامة في إخفاقها .

وبعد - فمن الواضح أن المؤامرة الثلاثية لم تكن تهدف فقط إلى تدويع القناة بالقوة ولا إلى تحطيم قوة مصر العسكرية بل كانت موجهة إلى إتجاه مصر السياسى الذى سارت فيه منذ مؤتمر باندونج ذلك الإتجاه القائم على إستقلالها الدبلوماسى فى المجال الدولى ومحاربة الإستعمار فى قوى الشعوب فى العالم وبالذات فى الشرق العربى . هذه هى الحقيقة الأساسية التى يجب أن نبدأ بها عند كل تقدير للموقف اليوم فلئن كانت إنجلترا وفرنسا قد أخفقتا إخفاقاً ذريعاً فى إجبار مصر على تغيير موقفها السياسى الدولى المستقل بالقوة وإذا كانت الولايات المتحدة بموقفها السلبى من حلفائها قد ساعدت على إخفاق خطة هاتين الدولتين فليس معنى هذا إطلاقاً أن الولايات المتحدة لن تتخذ من جانبها كل ما وسعها بالطرق الدبلوماسية وأنواع الإغراء والضغط لإجبار مصر على أن تغير موقفها الإستقلالى المتحرر . فالتقدير السليم للخلاف بين الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا أنه خلاف حول الشكل أو الطريقة لا الجوهر أو المضمون ، وهذه بالضبط هى معركتنا فى المرحلة القادمة معركة المحافظة على إتجاهنا السياسى المتحرر ضد ضغط الدبلوماسية الغربية .

ومن وجهة نظر د . أنيس أنه من التقدير السليم أيضاً أن نقول أن السياسة الإستقلالية التى سارت عليها مصر هى بعينها التى أنقذتها من المؤامرة العسكرية الثلاثية بل أنقذت العالم كله من حرب عالمية ثالثة . ففى حصر القوى المتحالفة معنا إبان هذه المعركة يجب أن لا ننسى أبداً دور القومية العربية والشعوب الآسيوية الأفريقية والدول الإسلامية الكبرى والرأى العام العالمى .

فالواقع أن الضمير الإنسانى لم يهتز كما اهتز لمصر فى أزمتها الأخيرة ، ولم يكن الرأى العالمى إيجابياً فى نصره الحق كما كان فى قضيتنا والمعسكر الشرقى لم يكن حاسماً فى ردع إنجلترا وفرنسا كما كان فى أزمة الشرق الأوسط والولايات المتحدة لم تقف موقفاً يهدد التحالف الغربى بالإنيار كما فعلت فى موقفها من الأزمة المصرية ولم يهدد الكومنولث البريطانى بخطر التفكك كما هدد اليوم .. كل هذا بسبب إتجاهنا السياسى المستقل وهو إتجاه ينبع من المصالح الحقيقية للشعب المصرى . فنحن نعادى الأحلاف الإستعمارية عامة لأنها موجهة ضد إستقلالنا وضد حرية الشعوب قبل أن تكون ضد الدول الشرقية . ونحن نعادى حلف بغداد بالذات لأنه يجبر شعوب الشرق الأوسط ومنها شعب مصر إلى عجلة الإستعمار بكل ما فيه من تخريب لمصالح هذه الشعوب الإقتصادية وإعتداء على سيادتها . ونحن نرحب بالسلام العالمى ، على أساس إندحار الإستعمار ، لأن السلام العالمى يمنح الشعوب بما فى ذلك شعب

مصر فرصة للبناء الداخلى .

وأخيراً يؤكد د . أنيس فى رؤيته التقييمية لحرب ١٩٥٦م أن إتجاه مصر السياسى المستقل منبعث تماماً من صميم مصالحنا الذاتية وإن كان يتربط أشد الارتباط بمصالح الشعوب عامة والشعوب العربية خاصة .

لقد أخفقت المؤامرة الثلاثية على مصر ، لا جدال فى هذا . وبقيت معركة الضغط السياسى علينا للحيلولة بيننا وبين السير قدما فى إتجاهنا السياسى المستقل .

(٣) رؤية الإسلاميين الأصوليين :

لكى تكتمل الصورة التقييمية لحرب السويس ، كان لابد من تقصى رؤية الإسلاميين الأصوليين ، وبخاصة العلماء والباحثين الجادين منهم ، ونحن نورد هنا - مع تسجيل اختلافنا فى العديد من النقاط معهم - رأى أسامة حميد ، أحد أبرز الباحثين الإسلاميين الملتهمين لتنظيم الجهاد الإسلامى فى مصر ، والذي يرى أن مهمة عبد الناصر خلال الفترة من ١٩٥٤م - ١٩٥٧م أى شاملة حرب السويس كانت هى تصفية القضايا الوطنية . ولنتناول بإيجاز رؤيته ودون تحريف .

بداية يقول أسامة حميد فى بحثه فى تاريخ مصر فى الحقبة العلمانية - مصدر سابق ص ٧٨ - لكى يمكن أن نحكم حكما صحيحاً على موقف العسكريين من القضايا الوطنية يجب أن ننظر إلى :

١ - تركيبتهم الفكرية والنفسية ومفهومهم للإنتماء وأثر ذلك على موقفهم من القضايا الوطنية .

٢ - تناقضات القوى العظمى فى ذلك الوقت ومدى تعويل العسكريين عليها .

بالنسبة للنقطة الأولى :

يمكننا أن نقسم العسكريين إجمالاً إلى :

* إسلاميون (سياسيون وليسوا أصوليين) : كمال الدين حسين - حسين الشافعى (رغم جرائمه فى حق الإخوان) - وهؤلاء كان عداؤهم للغرب واليهود من منطلق عقائدى - فمثلاً بمجرد أن نشبت حرب فلسطين - سارع كمال الدين حسين بالتطوع أما عبد الناصر

فقد أجل موضوع التطوع حتى يدرس الأمر على مستوى الدولة كلها حسبما يذكر حمروش .

* يساريون ، وهؤلاء - على قلتهم - لم يعادوا الصهيونية من الأصل - وبالطبع لم يكونوا معادين لأمريكا - بل أن الذى حذف كلمة « الأمريكى » من عبارة الإستعمار الأنجلو أمريكى فى منشورات الضباط الأحرار لم يكن سوى خالد محيى الدين (حسبما شهد لحمروش) .

* وطنيون (ومنهم كثير من المتطرفين فى وطنيتهم) مثل عبد الناصر - صلاح سالم وجمال سالم - بغدادى - السادات وعموما كان هذا الجناح يشكل أغلبية الضباط الأحرار - وهؤلاء لم يكونوا يحملون أية عقيدة - ويمثل أفكارهم أصدق تمثيل ما أورده عبد الناصر فى « فلسفة الثورة » حيث أوضح أن فهمه لقضية فلسطين مر بمرحلتين :
١ - كان يشترك فى الإضرابات احتجاجاً على وعد بلفور - ولكن كان ذلك مجرد « صدى للعاطفة » .

١ - ثم بدأ « الفهم يتضح عندما بدأ يدرس وهو طالب بكلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل » أ « ولما بدأت أزمة فلسطين كنت مقتنعاً فى أعماق بأن القتال فى فلسطين ليس قتالاً فى أرض غريبة (وكأن هذه البديهة محل شك) وهو ليس إنسياق وراء عاطفة وإنما هو واجب يحتمله الدفاع عن النفس .

(فإن هذا الفهم بمدركات فلاح مصرى بسيط مثلاً) .

ويحرص عبد الناصر على التأكيد فى فلسفة الثورة « وليس صحيحاً أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى أسفرت عنها حرب فلسطين وهو لا يحس بالإنتماء لفلسطين كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا فى خنادقه - ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب .

- كنا نحارب فى فلسطين ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر - بل أن عبد الناصر قد وصل به الأمر إلى أنه أعلن صراحة رفضه لحرب فلسطين (مذكراته بمجلة المصور أواخر ١٩٥٢م التى تساءل فيها لحساب من تدور تلك الحرب) - ومن المثير للسخرية أن عبد الناصر أورد فى فلسفة الثورة قصة لقائه بضابط إسرائيلى وطلبه الاستفادة بخبرات اليهود فى محاربة

الإنجليز !!

وإذا كان هذا هو موقف معظم العسكريين من إسرائيل - والقول لأسامة حميد - فلن نستغرب بعد ذلك من موقفهم من أمريكا - يقول السادات (البحث عن الذات) كانت صورة أمريكا في أذهاننا مقترنة بمناصرة حركات التحرر ويقول هيكل (في كتابه عبد الناصر والعالم) كانت الولايات المتحدة تحيط بها كل معاني النجاح والفتنة - براءة متسامية على الفشل الذريع الذي منى به الإستعماريون القدامى وكان الناس متجاوبين مع فكرة قيام الأمريكيون بدور رئيسي في الشرق الأوسط ومستعدين لقبولها^(١) .

بل إن المرء ليشك في أن العسكريين كانوا يعادون بريطانيا بحق - فقد كان تمثال أحمد ماهر قائماً أمام مجلس قيادة الثورة في الجزيرة ولم يستر هذا مشاعرهم وما زال التمثال قائماً إلى اليوم .

نخلص من ذلك إلى أن العسكريين :

- لم يكن لهم إلتناء أوسع من الإلتناء لمصر (حيث تم تقنين هذا الإلتناء في دستور ١٩٥٣ م) .
- لم يحملوا عقيدة معادية للأعداء التاريخيين والحضاريين للأمة .

ويرى إسامة حميد أيضاً :

ولذلك - فعندما سعوا لتحقيق العدالة الإجتماعية - لم يكن تعنيهم تصفية القضايا الوطنية التي لم يجرؤ حزب الوفد نفسه على المخاطرة بتصفيتها محافظة على ما قد يكون قد تبقى له من رصيد - وقد كان شعور العسكريين بعدم الإلتناء للعرب أو للإسلام مما سهل في تصفية القضايا الوطنية .

(١) قارن ذلك بسلسلة المقالات التي كتبها سيد قطب بمجلة الرسالة ١٩٥١ بعنوان « أمريكا التي رأيت » وفيها وصف أمريكا بأنها « لا تساوى شيئاً في ميزان القيم الإنسانية » (والقول للإسلاميين الراديكاليين) .

ولكن الأمور لم تسر كما خططوا لها - فيقول عبد الناصر « فوجئنا بغارة إسرائيلية على مدينة غزة »^(١) . (١٩٥٥م) وتوالت الغارات اليهودية على غزة وسيناء بعد ذلك (خاصة غارة مايو ١٩٥٥م) - والغارة على خان يونس في أغسطس ١٩٥٥م وإحتلال اليهود للعوجة في سبتمبر وغارتهم على الكونتلا في أكتوبر وعلى الصبيحة في نوفمبر ١٩٥٥م) - وقد أدى ذلك إلى إلتماس التأيد من خلال إئتاء أوسع - وكان الإئتاء العربى الذى قننه دستور ١٩٥٦م .

وبسبب تركيبتهم النفسية المستهتره (التى تبدو بوضوح فى وثائق تلك الفترة) - إضافة إلى عدم معاداتهم للغرب - بسبب ذلك لم يتصور العسكريون أن يعادوا الغرب - وحسب مذكرات البغدادي (ج ١ ص ٣٤٥) فقد إنقسم أعضاء مجلس القيادة آزاء العدوان الثلاثى إلى :

- صلاح سالم : إقترح التسليم للسفارة البريطانية^(٢) .
- على صبرى^(٣) (مدير مكتب عبد الناصر) أقترح قبول الإنذار الإنجليزى والتسليم للسفارة البريطانية .
- عبد الحكيم عامر (قائد الجيش) أقترح طلب وقف إطلاق النار تفاديا لتدمير البلاد وقتل المدنيين ولأن الشعب سيكره النظام والقائمين عليه .
- عبد الناصر : قرر الإنتحار وطلب من زكريا محيى الدين إحضار سيانور بوتاسيوم يكفى

(١) فى خطاب أول مايو الشهر (١٩٧٠) قال عبد الناصر : « بعد قيام الثورة كنا قد جمدنا اعتمادات القوات المسلحة وكان معنا بعد قيام الثورة أن نبني بلدنا وأن نحولها إلى دولة متقدمة فى الصناعة وفى الزراعة - كنا نريد أن نكرس كل شئ من أجل البناء - ولكن فجأة فى سنة ١٩٥٥ فوجئنا بغارة إسرائيلية على مدينة غزة » . لقد قتل فى غارة وحدها ٣٩ شخصاً وجرح العشرات .

(٢) راجع أيضاً شهادة مماثلة لمديلا مكتب عبد الناصر (الجيار) فى روز اليوسف عددى ١٢ يناير ، ١٥ مارس ١٩٧٦ .

(٣) راجع شهادة الجيار فى نفس العددين السابقين من روز اليوسف : لم يكن على صبرى من الضباط الأحرار لكنهم احتاجوه ليلة الانقلاب ليتصل بالسفارة الأمريكية وبعد ذلك عينه عبد الناصر مديراً لمكتبه ثم صار وزير شئون رئاسة الجمهورية ثم صار رئيساً للوزارة !!

لإنتحار كل مجلس القيادة .

— بعض الضباط أرادوا الإستمرار في القتال لأن دواعي الشرق تستدعي منا الإستمرار في القتال .

كل هذا بينا الشعب «يستهر بالغارات الجوية وكانت معنوياته مرتفعة» نحسب بغدادى .
وياله من موقف مثير للسخرية عندما كانت أولى مهام بغدادى بعد خروج قوات العدوان من بور سعيد أن يسحب السلاح الذى استولت عليه الجماهير لتحارب — بل الأكثر إثارة للسخرية أن واحد من جماهير بور سعيد قال له « خلى السلاح معنا يا بيه يمكن ييجوا الإنجليز تانى نبقى ندافع بيه عنكم » !!

وفي موضع آخر من بحثه :

كانت الصراعات بين القوى العظمى في ذلك الوقت مرتبطة بما أسفرت عنه الحرب العالمية الثانية ، أى صعود أمريكا وروسيا وأفول نجم فرنسا وبريطانيا وكانت الأخيرتان ما زالتا متشبهتين بنفوذهما في الشرق الأوسط وكانت أمريكا تريد طردهما نهائياً — وقد راهن العسكريون دائماً على الدور الأمريكى باعتبار أمريكا هي الجواد الرابع ولذلك كانت سلوكياتهم لا تتعارض في أى جزئية مع أهداف أمريكا حسبما سيتضح بإذن الله — ولما كانت الناس مفعمة بالكراهية لقوى الإستعمار القديمة فقد إستغل العسكريون تلك الفرصة لتصعيد الحملة الإعلامية ضد بريطانيا وفرنسا .

لقد سعت أمريكا إلى تحقيق (الإستقرار) للنظام الجديد في مصر .

وفي هذا الإطار ووفقاً لرؤية أسامة حميد :

١ — ضغطت على بريطانيا في موضوع الجلاء (لدرجة أن مفاوضات الجلاء لم تستغرق إلا أسبوعين) .

وهذا دليل على أن نقاط الخلاف قد سويت قبل الجلسات وكان ذلك بوساطة أمريكا كما يقول حمروش (ج ٢ ص ٣٤) .

٢ — في اليوم التالى لعدوان إسرائيل — أى في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦م — قدمت أمريكا إلى مجلس الأمن مشروع قرار يدين إسرائيل ويدعوا إلى إنسحابها ! ودعا كميل شمعون (أكبر

عميل أمريكي في المنطقة) في ١٠/٣١ إلى مؤتمر قمة عربي لإنقاذ عبد الناصر وعقد المؤتمر في بيروت في ١١/١٣ .

٣ - في هذا الإطار أيضا يمكننا أن نفهم مدى قيمة المخاطرة في عمل مثل تأميم القناة ودعم ثورة الجزائر^(١) .

وبسبب الرهان على أمريكا - لم يكن العسكريون يتصورون معنى الحياد - وعندما طرح الهضيبي الفكرة إستنكرها العسكريون واستغربوا^(٢) - وفي خطب عبد الناصر عن صفقة الأسلحة التشيكية أورد الشيء الكثير عن إلحاحاته على أمريكا وإخطاره للسفير الأمريكي بأن روسيا مستعدة لمصر بالسلاح - حتى أجمعوه أخيراً إلى روسيا .

إن أهداف أمريكا في مصر (منذ ١٩٥٠ م) كانت قد تحددت في :

- تصفية القضية الفلسطينية .
- فصل السودان عن مصر .
- إخراج الإنجليز من القناة .
- مقاومة الشيوعية (طالما أن هناك من يستطيع تأدية دورها دون أن يكون شيوعياً) .
- وبصرف النظر عن وجود تواطؤ بين العسكريين وأمريكا أم كان مجرد توافق - فإن الأهداف الأمريكية الأربعة هذه قد تم تنفيذها في زمن قياسي جدا (١٩٥٤ م - ١٩٥٧ م) وذلك وفقا لرؤية الأصوليين الإسلاميين الذين يمثلهم أسامة حميد .

(١) لا يعني ذلك التقليل من قيمة هذا العمل - وفي الحقيقة - فإن عبد الناصر بما ارتكبه من جبال من الجرائم كانت له حستان : دعم ثورة الجزائر - التأمينات .

(٢) راجع تفاصيل ذلك في : عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس - مدبولي - ١٩٧٥ .

ملحق الفصل الخامس (حرب السويس ١٩٥٦م فى مدركات عبد الناصر)

سنة ١٩٥٦م دخلنا معارك أيضا من أجل البناء ، من أجل التصنيع ، من أجل التنمية ، التنمية معناها ، رفع مستوى المعيشة لكل فرد من أبناء هذه الأمة وعلى هذا الأساس واجهنا مناورات . إيدن قال فى مذكراته ولو أنهم وعدونا بأنهم سيمولون السد العالى ولكنه لم يكن ينوى بأى حال من الأحوال أن يشترك فى التمويل ، أممنا قناة السويس .. أدينا الحق المغتصب لأصحابه .

(العيد العاشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٣م)

قدم لنا مشروع السد العالى فى ١٩٥٢م ووضعناه موضع الدراسة وقابلنا عقبة التمويل وتبين أن المشروع صالح وينتهى بعد عشرة سنوات . وإتصلنا بالبنك الدولى وطلبنا منه ، ونحن المشتركين فيه ، المساهمة فى التمويل . وقال إن فيه عقبات فهناك الإنجليز وإسرائيل فعندما تنهون خلافكم معهما نستطيع تمويل المشروع ، وليس عندكم نظام برلمانى فنطلب منكم عمل إستفتاء على هذا المشروع .

بعد مفاوضات من أجل السد العالى سحبوا تمويل السد العالى وردينا عليهم بعد ٣ أيام من سحب تمويل السد العالى أو أربعة .

(خطاب ١٠/٣/١٩٦٥م)

ثم بعد هذا حينما أجمعنا على بناء السد العالى لم نتردد فى تأمين قناة السويس لنسترد أموالنا ونبنى السد العالى .. والسد العالى الذى يزيد الأرض الزراعية فى بلدنا بمقدار الثلث .. السد العالى الذى أراد له الإستعمار ألا يظهر إلى الوجود .. أنه اليوم حقيقة واقعة .
(عيد الثورة الثالث عشر ٢٦ يوليو ١٩٦٥م)

معركة السد العالى كانت معركة كل واحد فيكم بل كل واحد عربى من أبناء الأمة العربية كان يعتبر معركة السد العالى معركة العزة .. معركة الكرامة لما سحب تمويل السد العالى أعتقدوا أن سحب التمويل أن السد العالى لن يبنى . إن إحنا حانركع على رجلينا ونستجدى ونشحت علشان يبنوا السد العالى ، إحنا شعب عمره ما ركع على رجله ولا استجدى ولا شحت .

السد العالى علشان يبنى خضنا معارك .. تأمين قنال .. التهديد .. الحصار الإقتصادى ،
تجميد أموالنا .. العدوان الثلاثى .. الحرب النفسية ... المؤامرات ..
(مؤتمر الاتحاد الاشتراكى ١٩٦٥/٣/٨ م)

* معركة تأمين قناة السويس :

أنا لن نكرر الماضى .. سنقضى على الماضى بأن نستعيد حقوقنا من قناة السويس ، هذه
الأموال أموالنا .. وهذه القناة ملك لمصر لأنها شركة مساهمة مصرية . ولهذا فقد وقعت
اليوم ووافقت الحكومة على القانون الآتى :

باسم الأمة .. رئيس الجمهورية .. مادة واحد : تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس
البحرية شركة مساهمة مصرية ..

(خطاب الأسكندرية ١٩٥٦/٧/٢٦ م)

لقد قبل تأمين القناة بثورة عارمة وحرب أعصاب وتهديد ووعد وكان الهدف هو
أنتم لم يكن الهدف هو جمال عبد الناصر .. لأن عبد الناصر وحده لا يمثل شعبنا ..
ولكن الهدف هو شعب مصر الذى سار فى طريق الحرية سار فى هذا الطريق يبنى وينادى
بالحرية .

* هزيمة العدوان الثلاثى :

السلاح الأخير وكلنا نعرفه ، هو إسرائيل عميلة الإستعمار ، حينما أراد أن يهاجم مصر
إعتمد أولاً على إسرائيل عميلته ، وحينما أقام الإستعمار إسرائيل بين البلاد العربية وبين
العرب كان يريد أن يجعل من إسرائيل رأس جسر له لتحقيق أهدافه بالقضاء على القومية
العربية ، وبالتفرقة بين العرب وبتفكيك وحدة العرب وتحطيمهم .. اتبع الإستعمار كل هذه
الوسائل وكان لابد لأستمرار المعركة مع الإستعمار وكما قلت لكم إننا حاربنا الإستعمار
أولاً لكي نخرجه من بلادنا ، واستمرت الحرب خارج بلادنا حتى لا يتمكن الاستعمار
من أن يعود إلينا تحت أى إسم من الأسماء كمناطق النفوذ والسيطرة المقنعة . أو أعوان
الإستعمار . أو أى أسلوب من الأساليب .

(المؤتمر العاوى ١٩٥٧/١٢/٥ م)

حينما أممنا قناة السويس ، كنت أعلم أن تأميم القناة يدخلنا فى حرب مع بريطانيا وفرنسا ، ولكن كان علينا أن نستخلص حقنا المغتصب وكنا نعتقد أننا قد نتعرض للعدوان ورغم هذا كنت على ثقة من أن هذا الشعب سيقا تل فى سبيل الحرية والكرامة وفى سبيل المبادئ التى آمن بها .. والشعب لم يتوان ولم يتأخر .. حينما واجهنا الإنذار البريطانى والفرنسى بأنهم يطلبوا تسليم بور سعيد والإسماعيلية والسويس فى ١٢ ساعة فسي تدخلوا فى الحرب إ لى كانت بقالها ٢٤ ساعة ما بيننا وبين إسرائيل .. رفضنا هذا الإنذار .. بعد كده بدأ العدوان علينا فى اليوم التالى ، وكنا نواجه معركة مع إسرائيل ، وفى نفس الوقت فى إنتظار عدوان .. أما فى بور سعيد أو فى الأسكندرية أو عن طريق ليبيا لأن القوات البريطانية موجودة فى ليبيا ولم نشعر أبداً بأننا قد نخسر هذه المعركة أمام دولتين من الدول الكبرى وهى فرنسا وبريطانيا ومعهما إسرائيل .

(خطاب فى ١٠/٣/١٩٦٥م)

* إنتصارات الشعب .. من معركة ١٩٥٦م :

لما هزمنا العدوان الثلاثى بعد ما أممنا القناة ، زادت آمالنا ، وزادت أمانينا وإتسعت ، وقلنا إن إحنا حددنا الملكية وقضينا على الإقطاع وإن إحنا تخلصنا من الملكية المتآمرة مع الإستعمار وتخلصنا من الرجعية . وكان لابد أن نسترد كل المصالح الإقتصادية الأجنبية .

(مؤتمر الإتحاد الإشتراكى مارس ١٩٦٥م)

فى أول سنة ١٩٥٧م وجدنا أو بالأحرى أممنا المصالح الأجنبية كلها الإقتصادية .. ابتدينا بالإنجليزية والفرنسية وكانت تمثل الجزء الأكبر ، ثم بعد هذا البلجيكية ده قبل قرارات يوليو سنة ١٩٦١م . رغم هذا ورغم الحصار الإقتصادى ورغم الحصار إ لى عمل علينا ما قدرناس نجيب قمح .. ما قدرناش نجيب أدوية .. إستطعنا إن أحنا نعيش ونطلع من المعركة منتصرين .

من المعركة وفى بور سعيد ، ومن قلب النار .. خرجت قرارات التمسير الإقتصادى لأصحاب البلد الحقيقية .. قوى الشعب العاملة ، اللى خرجوا يدافعوا عن الثورة ، اللى خرجوا يدافعوا عن البلد بأرواحهم ..

ومن المعركة فى بور سعيد ، ومن قلب النار ، خرجت الخطة الشاملة لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات تحقيقا للكفاية والعدل ..

ومن المعركة فى بور سعيد سنة ١٩٥٦م ، ومن قلب النار ، خرجت قوانين يوليو الاشتراكية التى أعلنت فى سنة ١٩٦١م ...

ومن المعركة فى بور سعيد ، ومن قلب النار ، استلهم الميثاق واهم فصول الميثاق وإحكام الميثاق ليكون منهجاً للعمل الثورى الكامل فى سعيه لأهدافه الشاملة ، ومن أجل الشعب العامل ومن أجل قوى الشعب العاملة ...

من المعركة فى بور سعيد ، ومن قلب النار .. لاحت مقدمات معارك المستقبل .
(عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢م)

كانت الهزيمة اللى لاقاها الأعداء ، واللى لاقاها العدوان ، لم تكن بأى حال من الأحوال ، نهاية المعارك ، ولكنها كانت تدل على أن هناك مقدمات لمعارك المستقبل نعيش فيها .

(عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢)

كان العدوان قد اندحرت قواته العسكرية عن مصر ، يجرب بكل طاقاته ، محاولة تحقيق أهدافه عن طريق غير طريق القوة العسكرية .. كانت الحرب الأقتصادية على مصر تحاول أن تحقق بالتجويع ما فشلت فى تحقيقه بضرب القنابل .. وكانت الحرب النفسية مع حرب التجويع تتجه إلينا تحاول أن تزرع الشك على أراضينا المؤمنة .. وتنشر رياح السموم فى أجوائها الطاهرة .

(إفتتاح مجلس الأمة ٢٠/٧/١٩٦٠م)

الفصل السادس
عبد الناصر وأعلام الوحدة العربية



عبد الناصر : وأحلام الوحدة العربية

إذا جاء الحديث ، اليوم ، أو غداً ، عن الوحدة العربية في أى مجلس فكرى أو ثقافى أو سياسى ، جاء بالضرورة ، الحديث عن (عبد الناصر) وذلك لأنه إرتبط منذ العام ١٩٥٣م (عام كتابة عبد الناصر لفلسفة الثورة وبدء إدراكه للدائرة العربية فى الإنتماء) ، فى أذهان العامة والخاصة (بإستثناء جزء منهم بالطبع) بمسألة الوحدة العربية والتي ظلت هاجساً دائماً يحرك خياله السياسى ، وسياساته وقراراته ومواقفه .

* من هنا ، وفى إيجاز شديد سوف نفرّد هذا الفصل للحديث عن أحلام الوحدة العربية (إنها أحلام لأنها لم تتحقق على أرض الواقع طيلة العهد الناصرى إلا فى الوحدة مع سوريا والتي سرعان ما أجهضت) . وعن عبد الناصر وأحلام الوحدة العربية نمحور الحديث فى العناصر التالية :

أولاً : قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢م وأثرها على وعيه القومى .

ثانياً : تطور الفكرة العربية فى مصر خلال العهد الناصرى (الواقع) .

ثالثاً : مدركات عبد الناصر لمسألة الوحدة (الحلم) .

رابعاً : رؤية الإسلاميين الأصوليين لمسألة الوحدة عند عبد الناصر .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢م وأثرها فى وعيه القومى :

إن المعلومات الوحيدة المتوفرة حول قراءات ، عبد الناصر قبل ١٩٥٢ هى المعلومات التى جمعها الكاتب السويسرى - الفرنسى ج . فوشيه وهى تحتوى على الكتب التى قرأها عبد الناصر عندما كان تلميذاً فى ثانوية النهضة فى القاهرة عامى ١٩٣٥م و ١٩٣٦م ، وعلى الكتب التى إستعارها من مكتبة الكلية العسكرية حين كان يدرس فيها عامى ١٩٣٧م و ١٩٣٨م ، وفيما بعد عندما إختير ليعلم فيها من ١٩٤٣م إلى ١٩٥٢م ، والجدير بالذكر هو أن هذه الجردة لقراءات عبد الناصر التى قام بها فوشيه لا تعطى أية معلومات عن قراءات عبد الناصر بين ١٩٣٨م و ١٩٤٣م وهى الفترة التى أمضى خلالها خدمة عسكرية لمدة ٣ سنوات فى السودان . كما أنها لا تلتفت إلى قراءاته خارج المدرسة والكلية العسكرية والتي تشمل الكتب والمجلات والجرائد العربية التى حصل عليها من خارج مكتبتى



في حلب .. حين خرجت كلها تستقبل الرئيس .. ودوت هتافات في سمع العالم كله ، ولم يستطع البطل
الشهيد أن يرى كل الجموع المترامية . فأتخذ الوضع ليلقى نظرة شاملة على الميدان الذي غص بال جماهير
الفقيرة .

المدرسة الثانوية والكلية الحربية . ولقد إهتدى الكثيرون من الكتاب والباحثين بقائمة فوشيه لقراءات عبد الناصر وعلقوا عليها . ولن نعود إليها نحن في بحثنا إلا للتساؤل عما إذا كانت تلك القراءات في هذه الفترة تلقى ضوءاً إضافياً على نوعية إهتمام عبد الناصر بمصر وبالمنطقة العربية ؟ .

والسؤال لمارلين قصر والتي تجيب : يؤكد عبد الناصر بنفسه أثر تلك القراءات في وعيه القومي فيقول : « ثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيرى حول هذا الموضوع (الوعي العربى) لما أصبحت طالبا فى الكلية الحربية أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة وأدرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التى جعلت منها فى القرن الأخير فريسة سهلة (...) ثم بدأ الفهم يتضح وتتكشف الأعمدة التى تتركز عليها حقائقه لما بدأت أدرس وأنا طالب فى كلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل .

نقدم فيما يلى تصنيفاً لقراءات عبد الناصر المعروفة فى مدرسة النهضة وفى الكلية الحربية وهى :

١ - دراسات دينية :

وقرأ فيها لكل من مصطفى كامل وأحمد أمين ، والأفغانى ومحمد عبده وعلى الغاياتى .

٢ - دراسات تاريخية :

يقرأ فيها لعبد الرحمن الرافعى : تاريخ الثورة المصرية ٣ أجزاء .

٣ - دراسات إستراتيجية :

المنشورات البريطانية حول الإستراتيجية العسكرية فضلا عن ١٦ مؤلفاً أجنبياً أوردتهم فوشيه فى بحثه .

٤ - دراسات سياسية :

وقرأ فيها كتاب المعجزة اليابانية ٣ أجزاء - مجلة تايمز والكواكبى : طبائع الإستبداد - أم القرى - ولشكيب أرسلان مقالاته حول الشرق نشرت فى الأخبار واللواء .

٥ - دراسات عن السير والشخصيات التاريخية :

يقرأ فيها عبد الناصر عن حياة روسوفولتير وبوناپرت (٤ أجزاء) وبسمارك وفوش ، وغارييلدى - غوردن - مارلبورو - تشرشل - هندنبورغ - وسيرة حياة مصطفى كامل ،

هذا فضلاً عن سير أخرى مكتوبة باللغة الإنجليزية .

٦ - دراسات أدبية :

وفيها قرأ لتوفيق الحكيم : عودة الروح وأهل الكهف ، وقرأ شعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم فضلاً عن دراسات أدبية أخرى لكتاب وأدباء إنجليز .

إن جزئية هذه القائمة ، كونها لا تحصى إلا قراءات عبد الناصر المسجلة في مكتبتي المدرسة الثانوية والكلية الحربية ، لا تسمح لنا إلا بإبداء بعض الملاحظات الأولية حول التأثيرات الفكرية الناتجة عن قراءاته :

أولاً : لا شك أنه يمكن الإعتبار أن عبد الناصر كون لنفسه ، من خلال قراءاته ، ركيزة ثقافية وعلمية متينة في الفترة الممتدة بين ١٩٣٦م و ١٩٤٦م ، ذلك أن هذه القائمة على جزئيتها ، تحصى حوالى ٧٥ كتاباً ذى قيمة علمية أطلع عليها ، مما يدحض بشكل قاطع مزاعم بعض المستشرقين أمثال فاتيكويتيس الذين صوروه كقائد « عديم الثقافة » .

تتوزع قراءات عبد الناصر المعروفة في تلك الفترة بشكل متساوٍ بين مواضيع متعلقة بمصر ومواضيع متعلقة بالعالم الخارجى .

أما عن الشخصيات التاريخية التى أثارت إهتمام عبد الناصر فالملاحظ كما سبق وأشرنا أن قائمة . فوشيه بقراءات عبد الناصر المعروفة قبل ١٩٥٢م ، تشير إلى أن عبد الناصر إهتم كثيراً بمعرفة سير حياة الشخصيات التاريخية الكبيرة ، ولا سيما تلك الشخصيات التى كان لها دور كبير فى بناء وحدة ومجد أممهم ، أمثال بسمارك وفاريب الدي ، ومصطفى كمال أتاتورك الذين كافحوا : أولهم من أجل الوحدة الألمانية ، وثانيهم من أجل الوحدة الإيطالية والثالث من أجل تكوين الأمة التركية الحديثة . وعلى المستوى المصرى الداخلى أهتم عبد الناصر بمعرفة سيرة حياة الشخصيات التاريخية الكبيرة ، ولا سيما تلك الشخصيات التى كان لها دور كبير فى بناء وحدة ومجد أممهم ، أمثال بسمارك وفاريب الدي ، ومصطفى كمال أتاتورك الذين كافحوا وعلى المستوى المصرى الداخلى اهتم عبد الناصر بمعرفة سيرة حياة مصطفى كامل الذى ناضل من أجل استقلال مصر ووحدتها الوطنية .

وأطلع عبد الناصر فى الميدان العسكرى والإستراتيجى على فكر كبار المنظرين فى



عد الناصر مع مجلس قادة الثورة الليبي ومعمّر القذافي

الإستراتيجية العسكرية أمثال كلاوز فيتس وليدل هارت وفولر ولندسل ، وعلى تجربة كبار قادة الفن العسكرى الحديث أمثال بونايرت أو بسمارك وفوش وهند نبورغ وتشرشل وفوردن وغيرهم .

عندما سأل سولز برغر مندوب « النيويورك تايمز » عبد الناصر فى ١٩٦٩م ، إذا كان هناك شخصية معاصرة تأثر بها ، أجابه : « أعتقد أن أكثرهم تأثيراً على ، كان الفريق عزيز المصرى ، لقد أعجبت به عندما كنت ضابطاً صغيراً ، فلقد كافح فى سبيل الإستقلال وأصر عليه ، ولقد إلتقيت به مرات عديدة قبل الثورة وبعدها إستمرت لقاءاتنا تتكرر حتى وفاته .

والجدير بالذكر أن عزيز المصرى عمل فى الكلية الحربية فى عامى ١٩٣٧م و ١٩٣٨م ، فى الوقت الذى كان عبد الناصر يتلقى دروسه هناك ، ومن المعلوم أيضاً عن المصرى أنه أسهم فى إنشاء التنظيمات السرية التى جمعت الضباط العرب فى الجيش التركى : « الجمعية القحطانية » و « العهد » ، كما أنه أسهم بعد الحرب العالمية الثانية بإنشاء أولى التنظيمات التى إهتمت بالقضية العربية فى مصر مثل « الجمعية الثورية العربية » و « الرابطة الشرقية » (١٩٢١م) .

وحول تكون الوعى القومى العربى لدى عبد الناصر قبل ١٩٥٢م تتقدم مارلين نصر بالإستخلاصات التالية :

أولاً : هناك تطابق أو توافق بين نشوء تيار (عربى أو عروبى) داخل الحركة الوطنية المصرية ، وتكون الوعى العربى لدى عبد الناصر وكلا الظاهرتين تبلورتا فى الثلاثينات .

ثانياً : لم يتكون الوعى العربى لدى عبد الناصر عبر تنظيم سياسى محدد . فعلى الرغم من كونه قد إلتحق بضعة شهور فى جمعية « مصر الفتاة » وناضل مع الشباب الوفدى ، فإنه لم يتأثر بهذه التنظيمات الخاصة بقدر ما تأثر بمجملى حركة التحرر الوطنية والقومية فى مصر والبلدان العربية المجاورة .

ثالثاً : تابع عبد الناصر ، عندما دخل المؤسسة العسكرية ، مشاركته فى الحركة الوطنية من أجل الإستقلال بتعميق معرفته بآلية السيطرة الإستعمارية على مصر والمشرق العربى عبر زعمائه فى الكلية الحربية ، وعبر مشاركته كمناضل وضابط فى الجيش المصرى



عبد الناصر وعرفات الملك حسين يوقعون اتفاقية القاهرة لإيقاف مذبحة أيلول الأسود عام ١٩٧٠

فى حرب فلسطين إلى جانب الجيوش العربية الأخرى .

إذا لم يكن للبعد العربى لوعى عبد الناصر القومى فى درجة الصفر عشية ثورة يوليو/

تموز ١٩٥٢م . إنما كان هذا الوعى كامناً وفى حالة « اللا منطوق » ولم يعلن عنه عبد الناصر عبر الكلام والكتابة إلا إنطلاقاً من ١٩٥٣م فى « فلسفة الثورة » ثم فى خطبة حيث بدأ يبلوره ويفصله وذلك كما سيظهر فى الأجزاء التالية .

ثانياً : تطور (الفكرة العربية) فى مصر خلال العهد الناصرى (الواقع) :

فى بحثه المتميز للسلام وأزمة الهوية فى مصر - القاهرة ١٩٨٥م يرى أستاذنا الراحل

د . فاروق يوسف أنه بإستمرار إختلاط المصريين بالعرب وتفاعلهم معهم قوى الإتجاه العربى وضعف كل من الإتجاه الإقليمى المصرى والعالمى والإسلامى . وبدأ كثيرون من الأقباط والمسلمين يؤيدون التيار العربى الجديد ، الذى يجمع بين الصفة الدينية الإسلامية والصفة العلمانية القومية . ومن الذين أيدوا التيار العربى بحماس من الأقباط مكرم عبيد . ويظهر ذلك من قوله « نحن عرب ويجب أن نذكر دائماً أننا عرب وقد وحدث بيننا الآلام والآمال ووثقت روابطنا الكوارث والأشجان وسهرتنا المظالم وخطوب الزمان كما تراجع كثيرون من أنصار التيار المصرى من المسلمين عن موقفهم السابق ومن تراجعوا عن فكرهم السابق بخصوص فكرة القومية العربية ولو بدرجات مختلفة الدكتور محمد حسين هيكل . والدكتور محمد عبد الله عنان ولو أنهما كانا يعتقدان أن الوحدة العربية بعيدة المنال فى الوقت الحالى . كما بدأت قيادات الأحزاب السياسية فى التحول إلى الفكرة العربية بما فى ذلك قيادات حزب الأحرار الدستوريين إمتداد حزب الأمة المعروف بدفاعه عن القومية المصرية . وكانوا يلجأون إلى العالم العربى للتشهير بالوفد . أما حزب مصر الفتاة فقد تضمن برنامجه الفكرة العربية .

وقد وصلت قوة الإتجاه العربى فى مصر إلى الدرجة التى جعلت أى إشارة مضادة له قد تؤدى إلى أزمة فكرية كما حدث فى بداية الثلاثينات عندما كتب طه حسين مقالاً فى جريدة كوكب الشرق الوفدية ذكر فيها خضوع المصريين فى الماضى « لضروب من البغى وألوان من العدوان جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين » وكان لذكر كلمة « العرب » ما أثار الكثيرون داخل مصر وخارجها ضده . وقد إنبرى

للرد عليه كتاب كثيرون ومصريون وعرب منهم عبد الرحمن عزام ومحمد علي علوبة وأحمد حسن الزيات وعبد القادر حمزة وعلى الجندي ... الخ ، وقد عقدت عصية العمل القومي عدة إجتماعات أصدرت على أثرها بيانات ساخطة ضد طه حسين بل وقد سار أعضاؤها في موكب إلى ساحة الشهداء يحملون كتب طه حسين حيث أحرقوها هناك ودعوا إلى مقاطعة مؤلفاته ، وما كان منه إلا أن تراجع في مقالاته اللاحقة وغير اتجاهه .

لقد كان إنشاء جامعة الدول العربية وإختيار القاهرة مقراً لها وإختيار أحد المصريين أميناً عاماً للجامعة إنما هو تجسيد للهوية العربية لمصر بموافقة حكومتها بالإضافة إلى شعور أغلبية شعبها بعروبة البلاد كما كان ذلك إعترافاً من البلاد العربية بالدور القيادي الطبيعي لمصر للعالم العربي . إلا أن هزيمة سنة ١٩٤٨م في حرب فلسطين كان لها آثار سلبية على الإتجاه العربي في مصر نتيجة لما قاساه الجيش المصري في الحرب دون أن تقم الجيوش العربية الأخرى بمساعدته برغم إستطاعتها القيام بذلك وخصوصاً الجيش الأردني والعراقي اللذان وقفا كمتفرجان في الحرب الدائرة بين الجيش المصري والعصابات الإسرائيلية بل لقد قام الجيش الأردني ببعض التصرفات التي ساعدت القوات الإسرائيلية وأضرت بالجيش المصري في أثناء عملية القتال . ومن ذلك إنسحاب الجيش الأردني من اللد والرملة . كما ظهر تواطؤ الملك عبد الله مع الإسرائيليين على حساب الجيش المصري والقضية العربية . وعندما ظهر كل هذا واضحاً بدأت حملة في بعض الصحف المصرية تنادي بالإبتعاد عن العرب والتكر للعروبة . وقد عبر عن ذلك أيضاً بعض أعضاء البرلمان عند مناقشتهم للموضوع وما ترتب عليه من مآسى .

لكن قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م قضت على هذه الردة - وقد نظر عبد الناصر إلى الحكومات العربية التي كانت قائمة في ذلك التاريخ على أنها مثل قطع الشطرنج تحرك بواسطة القوى الخارجية ولا إرادة لها وأن هذه الظروف العربية هي التي أدت إلى الهزيمة . ومنذ بداية الثورة وطوال عهد عبد الناصر شكلت الهوية العربية قيمة أساسية في صنع السياسة الخارجية المصرية . وإنغمست مصر بالكامل في المشاكل العربية من مساعدة لثوار تونس والجزائر والمغرب في الغرب إلى عقد ميثاق الدفاع المشترك مع اليمن والسعودية والأردن وسوريا في الشرق . ولقد نص الدستور الجديد الذي صدر سنة ١٩٥٦م بعد الثورة على هذه الهوية للبلاد عندما نص على أن مصر دولة عربية . كما وقف الشعب العربي بكامله من المحيط إلى الخليج بجانب مصر أثناء الإعتداء الثلاثي عليها .

وقد وصلت الفكرة العربية قمة إنطلاقها بقيام الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨م وتكوينهما للجمهورية العربية المتحدة التي دخلت في إتحاد كنفدرالى مع المملكة اليمنية في نفس العام لتكوين ما سمي بإتحاد الدول العربية . وقد زاد عدد المصريين العاملين في البلاد العربية وعدد الطلاب العرب الدارسين في مصر وأصبح الإتجاه العام في المنطقة العربية هو عمل توحيد ثقافى وإقتصادى بين البلاد العربية . وقد عادت مصر لتصبح مركز الثقل في العالم العربى بل والإسلامى ولتتبع صوراً مشابهة لصورتها أيام الحروب الصليبية وخصوصاً في عصر صلاح الدين الأيوبي ، حتى حاكمها جمال عبد الناصر فقد أصبح يماثل في صورته السياسية صورة صلاح الدين . وقد قدم دكيجيان جدولاً بيانياً للعلاقة بين الهوية المصرية والهوية العربية منذ سنة ١٩٥٢م ، ومنه يتضح أنه إبتداء من قيام ثورة ١٩٥٢م أصبحت الغلبة للتيار العروبي وأن ذلك قد برز بشكل واضح بعد فبراير سنة ١٩٥٥ وأنه بحلول سنة ١٩٥٩ كان التيار المصرى قد إندثر تماماً بينما التيار العربى قد تصاعد بشكل كاسح .

ويرى د . فاروق يوسف أن هناك بعض المشكلات والمشاكل في العلاقات العربية المصرية التي عادة ما تلقى بظلالها على مشكلة الهوية في مصر . فموضوع هوية مصر وإن كان قد حسم في بداية عهد الرئيس عبد الناصر لصالح الهوية العربية ، فإن هناك هويتين أخرتين في مرحلة كمون وممكن تنشيطهما كلما سمحت الظروف وهما الهوية المصرية والهوية الإسلامية . ولذلك فإن أى مشكلات في العلاقات المصرية العربية أو أية تطورات داخلية في مصر يكون لها إرتباط بذلك قد يكون لها أثر على مشكلة الهوية في مصر . وسوف نتبع بعض هذه المشكلات والتي أهمها : أولاً : إنفصال سوريا سنة ١٩٦١م ، وثانياً : هزيمة ، يونيو سنة ١٩٦٧م ، وثالثاً : السلام مع إسرائيل . وبتفصيل الجزأين الأولين نلاحظ ما يلي :

١ - إنفصال سوريا سنة ١٩٦١م :

يرى البعض في هذا الصدد أن إنفصال سوريا عن مصر في سنة ١٩٦١م وخروجها من الجمهورية العربية المتحدة كان أول الأزمات السياسية المصرية العربية منذ قيام ثورة سنة ١٩٥٢م التي كانت لها إنعكساتها على هوية مصر العربية . فلم يقف الأمر عند حد إنفصال سوريا بل أعقب ذلك هجوم عنيف على النظام المصرى من الدول العربية الأخرى وخصوصاً من سوريا والأردن والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية والعراق وخصوصاً أثناء إنعقاد مجلس جامعة الدول العربية في شتورا بعد الإنفصال مباشرة . مما

اضطر الرئيس عبد الناصر إلى إتخاذ قراراتين خطيرين لهما أثر على هوية مصر العربية القرار الأول هو إلغاء الإتحاد الكنفدرالى الذى كان قائماً بين المملكة المتوكلية اليمنية وإعلان ضرورة دراسة موضوع الوحدة العربية . والثانى إعلان انسحاب مصر من الجامعة العربية وإن كان القرار الأخير لم ينفذ بشكل نهائى .

ولقد ترك كل هذا فى نفوس المصريين مرارة وكانت له إنعكاساته السالبة على الإتجاه العربى فى مصر . ولكن بسبب وجود عبد الناصر على قمة النظام المصرى وهو الرجل الذى حسم الأمر لصالح الإتجاه العربى منذ بداية الثورة والذى كان يؤمن إيماناً مطلقاً بعروبة مصر ، فإنه لم يسمح لأى شخص داخل مصر أن يحاول إستغلال الخلاف المصرى العربى لصالح تقوية الإتجاه الشعبوى المصرى . كما فسر عبد الناصر إنفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة (نتيجة للحركة الإنقلابية فى سوريا التى قام بها الجيش هناك) على أنه صراع سياسى وصراع بين الطبقات الإجتماعية فى العالم العربى وبين الدول التقدمية والرجعية وإن الإستعمار والرجعية إنقضا على دولة الوحدة من أجل مصالحها وأن الشعب السورى نفسه برىء من تهمة الإنفصال^(١) .

وقد أكد تفسير عبد الناصر هذا لإنفصال سوريا عدم إستقرار الأوضاع السياسية بها بعد الإنفصال . وزاد من هذا التأكيد قيام الثورة فى المملكة المتوكلية اليمنية وإنتصارها وإتجاهها إلى مصر طالبة العون والحماية حيث أمدتها مصر بكل المساعدات اللازمة وأرسلت جيشها للدفاع عنها^(٢) ثم كان لإشتعال الثورة فى عدن والمحميات (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) بتأييد من مصر أثره أيضاً على إثبات حيوية الإتجاه العربى فى مصر . وقد أعقب ذلك إنهيار أنظمة الحكم المعارضة للنظام المصرى بقيادة جمال عبد الناصر فى كل من العراق وسوريا وما ترتب على ذلك من قيام الأنظمة الجديدة بالإنفصال

(١) بيان الرئيس جمال عبد الناصر الذى أذيع على الأمة العربية مساء ٥ أكتوبر سنة ١٩٦١ وكذلك خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٦١ ، هيئة الاستعلامات المصرية ، حطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٦٧ القسم الثالث ص ٥٥١ - ٥٥٦ ، ٥٦٦ - ٥٦٧ ، وكذلك فؤاد مطر ، بصراحة عن عبد الناصر ، حوار مع هيكى ، بيروت : دار القضايا العربية ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) عثمان سعيد الخليسى ، العلاقات المصرية السعودية ١٩٥٦ - ١٩٧٣ رسالة دكتوراة مقدمة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٢٧١ .

بعد الناصر لعمل وحدة ثلاثية مصرية سورية عراقية . وقد جرى لذلك الغرض ثلاث جولات لمحادثات الوحدة بين الدول الثلاث سنة ١٩٦٣م . وتم الإتفاق على بعض المبادئ بخصوص الوحدة الجديدة وغيرت أعلام الدول الثلاث لتصبح مشتقة من علم الثورة المصرية . وبالرغم من فشل هذه المحاولة لإقامة الوحدة بين الأقطار الثلاث فإن ذلك لم يضر بالإتجاه العربى فى مصر لأن قادة مصر حملوا حزب البعث العربى الإشتراكي فى سوريا والعراق مسئولية الفشل وبرثوا الشعبين السورى والعراقى من ذلك . وبالرغم من عدم قيام الإتحاد بين الأقطار الثلاث فقد ظل رمزه قائماً فى شكل العلم الموحد الألوان والذي هو أساساً يرمز للثورة المصرية العربية . وكان لإشتعال مشكلة فلسطين مرة ثانية فى بداية الستينات وعمل إسرائيل على تحويل مجرى نهر الأردن أثره فى التقريب بين مصر والعرب رغم الخلافات الشديدة التى كانت قائمة بين مصر وبعض الدول العربية بسبب هجوم عبد الناصر على الدول المحافظة وتأييده للأنظمة والتنظيمات الثورية فى العالم العربى ولوقوفه إلى جانب الثورة اليمنية . وقد نص فى دستور مصر الصادر ١٩٦٤م أيضاً على أن مصر جزء من الأمة العربية .

٢ - هزيمة سنة ١٩٦٧م :

يرى د . فاروق يوسف بشأنها ما يلى :

كان لهزيمة سنة ١٩٦٧م أثراً سلبياً على الإتجاه العربى فى مصر لعدة أسباب منها الخسائر الجسيمة التى لحقت بالجيش المصرى وبسبب الأثر السىء الذى تركته الهزيمة فى نفسية المصريين تجاه الأمة العربية بسبب ما عاناه الشعب المصرى نتيجة لذلك . ولقد حاولت البلاد العربية أن تشارك فى تخفيف قسوة نتائج الهزيمة . إلا أن المشاركة لم تكن بالقدر المناسب الذى يجعل المصريين يحسون فعلاً بأن العرب أمة واحدة وأن لهم ، مصلحة واحدة ومصير واحد . وزاد الطين بلة المعاملة السيئة التى عومل بها المصريون العاملون فى البلاد العربية الذين زاد عددهم بسبب قسوة الهزيمة وقلة مصادر الرزق فى مصر بعد سنة ١٩٦٧م وتهجم بعض العرب حتى من الفلسطينيين على الجيش والشعب المصرى . وبالرغم من ذلك لم يجرؤ أحد فى مصر على مهاجمة القومية العربية أو الإتجاه العربى وذلك بسبب وجود الرئيس جمال عبد الناصر على قمة النظام السياسى فى مصر . وتأكيذاً للإتجاه العربى فقد إقترح فى بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨م على أن ينص الدستور على تحقيق وتأكيد الإنتماء المصرى للأمة العربية تاريخياً ونضالياً ومصيرياً وحدة عضوية

فوق أى فرد .

إلا أنه نتيجة لضغط الظروف وقسوة المشاكل الاقتصادية وعدم حصول مصر على المساعدة المناسبة من الأشقاء العرب اتجه الرئيس جمال عبد الناصر تكتيكياً وليس إستراتيجياً إلى قبول الحل السلمى للمشكلة مع إسرائيل أو على الأقل إلى تجميد المشكلة مع إسرائيل أو على الأقل إلى تجميد المشكلة مؤقتاً حتى تلتقط مصر أنفاسها التى كانت قد تقطعت . وقد ظهر ذلك واضحاً فى قبول الرئيس جمال عبد الناصر لمبادرة روجرز وقد ترتب على ذلك حملة ضد مصر وخصوصاً من جانب النظام السورى ومنظمة التحرير الفلسطينية وبالطبع ترك ذلك مرارة فى نفوس المصريين . مما أدى إلى نمو الإحساس بالمصرية والتى عبرت عنها وسائل الإعلام المصرية بطرق مباشرة وغير مباشرة . كما إضطّر الرئيس عبد الناصر أن يعترف بذلك فى أحاديثه^(١) إلا أن قيام الثورة فى السودان ثم فى ليبيا سنة ١٩٦٩م وإتجاههما إلى مصر طلباً للوحدة حد من الهوة التى كانت قد خلقت بين مصر والعالم العربى ، ذلك على صعيد الواقع المعاش بألامه وحقائقه المرة التى تدفعنا إلى التأكيد على أن الوحدة العربية بمعناها الشامل والحقيقى لم تتحقق أبداً فى العهد الناصرى .

ثالثاً : مدركات عبد الناصر لمسألة الوحدة (الحلم) :

أنا سوف نورد هنا الرؤية التى وضعها عبد الناصر فى الفصل التاسع من « الميثاق الوطنى » والمعنون بـ « الوحدة العربية » ، والميثاق كما هو معروف يعد الإطار النظرى والفلسفى الحاكم لمدركات عبد الناصر فماذا لديه ليقوله عن الوحدة العربية .

(١) يظهر ذلك واضحاً فى الحديث الذى أدلى به الرئيس جمال عبد الناصر إلى الصحفى الأمريكى جيمس روستون رئيس تحرير صحيفة نيويورك تايمز فى ١٣/٢/١٩٧٠ ، وشترته صحيفة الأهرام بتاريخ ١٥/٢/١٩٧٠ أجاب عن سؤال عما إذا كان هناك ازدياد فى الشعور بالوطنية قائلاً : « قبل سنة ١٩٦٧ كان الشعور الأكثر ظهوراً هو الشعور بالقومية العربية وبعد سنة ١٩٦٧ ظهر أيضاً بالشعور بالوطنية المصرية إلى جانب الشعور بالقومية العربية ولكنه أردف قائلاً : (وأظنك تعرف أنهم عرضوا علينا صيغاً تنص على الانسحاب من سيناء وحدها ولم يوافق أحد على ذلك . وهذا هو الشعور بالقومية العربية والحقيقة أنه ليس هناك تناقض بين الشعور بالوطنية المصرية والقومية العربية) » .

يقول الميثاق :

(أن مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى تدعيمه وحمايته تمتد لتشمل الأمة العربية كلها .

إن الأمة العربية لم تعد فى حاجة، إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .

لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته .

يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل .

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان .

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير .

إن الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من أساسها مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات العربية ينظرون إلى الأمور نظرة سطحية .

إن مجرد وجود هذه الخلافات هو فى حد ذاته دليل على قيام الوحدة .

إن هذه الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى . واللقاء بين القوى المتقدمة، الشعبية فى كل مكان من العالم العربى والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والإنتهازية فى العالم العربى هو الدليل على وحدة التيارات الاجتماعية التى تهب على الأمة العربية وتحرك خطواتها وتنسقها عبر الحدود المصطنعة .

* ويرى الميثاق :

إن إلتقاء القوى التقدمية الشعبية على الأمل الواحد فى كل مكان من الأرض العربية وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الأرض العربية هو فى حد ذاته دليل على الوحدة أكثر مما هو دليل على التفرقة .

إن مفهوم الوحدة العربية تجاوز النطاق الذى كان يفرض إلتقاء حكام الأمة العربية ليكون من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات .

إن مرحلة الثورة الاجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحي للوحدة العربية ودفعت به خطوة إلى مرحلة أصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة .

إن وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية في الأمة العربية كلها .
وإختلاف الأهداف عند الفئات الحاكمة هو صورة من صور التطور الحتمى الثورى
وإختلاف مراحله بين الشعوب العربية .
لكن وحدة الهدف عند القواعد هى التى ستكفل بسد الفجوات الناشئة من إختلاف
مراحل التطور .
إن وحدة الأمة العربية قد وصلت فى صلابتها إلى حد أنها أصبحت تتحمل مرحلة الثورة
الإجتماعية .
ولا يمكن أن تدل أساليب الإنقلاب العسكرى . ولا أساليب الإنتهازية الفردية . ولا
أساليب الرجعية المتحكمة ، على شىء إلا على دلالتها بأن النظام القديم فى العالم العربى
يعانى جنون اليأس وأنه يفقد أعصابه تدريجياً وهو يسمع من بعيد فى قصوره المعزولة
وقع أقدام الجماهير الزاحفة إلى أهدافها .
إن وحدة الهدف لا بد أن تكون شعار الوحدة العربية فى تقدمها من مرحلة الثورة
السياسية إلى الثورة الإجتماعية .
ولا بد أن ينبذ الشعار الذى جرت تحته مرحلة سابقة من النضال الوطنى هى مرحلة
الثورة السياسية ضد الإستعمار .
إن الإستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادراً على مواجهة الشعوب مباشرة وكان مخبؤه
الطبيعى بحكم الظروف داخل قصور الرجعية .
إن الإستعمار نفسه دون أن يدرك ساهم فى تقريب يوم الثورة الإجتماعية وذلك حين
توارى بمطامعه وراء العناصر المستغلة يوجهها ويحركها .
وليس من شك أن الثورات الأصيلة تستفيد من حركات خصومها فى مواجهتها
وتكتسب منها قوة دافعة .

* ويرى الميثاق :

الإستعمار كشف نفسه وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها على التعاون معه وأصبح محتماً
على الشعوب ضربهما معا ، وهزيمتهما معا ، تأكيداً لإنتصار الثورة السياسية فى بقية أجزاء

الوطن العربى وتدعيماً لحق الإنسان العربى فى حياة إجتماعية أفضل لم يعد قادراً على صنعها بغير الطريق الثورى .

والعمل العربى فى هذه المرحلة يحتاج إلى كل خبرة الأمة العربية مع تاريخها الطويل المجيد ، ويحتاج إلى حكمتها العميقة ، بقدر حاجته إلى ثورتها وإرادتها على التغيير الحاسم .

إن الوحدة لا يمكن بل ولا ينبغى أن تكون فرضاً فإن الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تتكافأ أساليبها شرفاً مع غاياتها .

ومن ثم فإن القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة .

* ويذهب الميثاق إلى :

أنه ليس عملاً غير أخلاقى فحسب وإنما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية ومن ثم بالتالى فهى خطر على وحدة الأمة العربية فى تطورها الشامل .

وليست الوحدة العربية صورةً دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها لكن الوحدة العربية طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولاً إلى الهدف الأخير .

إن أى حكومة وطنية فى العالم العربى . تمثل إرادة شعبها ونضاله فى إطار من الإستقلال الوطنى هى خطوة نحو الوحدة من حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية فى الوحدة .

إن أى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل إرادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة العربية هى خطوة نحو الوحدة من حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية فى الوحدة .

إن أى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل إرادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة العربية هى خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد له ، وتمد جذورها فى أعماق الأرض العربية .

إن مثل هذه الظروف تمهد الطريق للدعوة إلى الوحدة الشاملة .

وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة ترى فى رسالتها العمل من أجل الوحدة الشاملة ، فإن الوصول إلى هذا الهدف ليساعد عليه وضوح الوسائل التى لابد من تحديدها تحديداً قاطعاً وملزماً فى هذه المرحلة من النضال العربى .

إن الدعوة السليمة هى المقدمة .

والتطبيق العلمى لكل ما تتضمنه الدعوة من مفاهيم تقدمية للوحدة هى الخطوة الثانية للوصول إلى نتيجة محققة .

إن إستعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه - كما أثبتت التجارب - فجوات إقتصادية وإجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كى تطعن من الخلف .

إن تطور العمل الوجدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عملية لملء الفجوات الإقتصادية والإجتماعية الناجمة من إختلاف مراحل التطور بين شعوب الأمة العربية هذا الإختلاف الذى فرضته قوى العزلة الرجعية والإستعمارية .

إن جهوداً عظيمة وواعية يجب أن تتجه أيضاً إلى فتح الطريق أمام التيارات الفكرية الجديدة حتى تستطيع أن تحدث أثرها فى محاولات التمزيق وتتغلب على بقايا التشتت الفكرى الذى أحدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وما تركتها دسائسها ومناوراتها من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف .

ومن وجهة نظر الميثاق :

أن الجمهورية العربية المتحدة وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية لابد لها أن تنقل «عوتها والمبادئ التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحججة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلاً منها فى شئون غيرها .

وفى هذا المجال فإن الجمهورية العربية المتحدة لابد لها أن تحرص على أن لا تصبح طرفاً فى المنازعات الحزبية المحلية فى أى بلد عربى ، إن ذلك أمر يضع دعوة الوحدة ومبادئها فى أقل من مكانها الصحيح .

وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية فإن هذه المسألة يجب أن تظل فى إطار المبادئ الأساسية ، تاركة مناورات

الصراع ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه إلى أهدافه وفق التطور المحلى وإمكانياته .

يرى الميثاق أن الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى .

أنها مطالبة بأن تتفاعل معها فكرياً من أجل التجربة المشتركة .

لكنها فى نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم .

إن قيام إتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى أمر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال .

إن ذلك لا يؤثر - ولا ينبغى له أن يؤثر - على قيام جامعة الدول العربية ، وإذا كانت الجامعة العربية غير قادرة على أن تحمل الشرط العربى إلى غايته العظيمة البعيدة فإنها تقدر على السير به خطوات .

إن الشعوب تريد أملها كاملاً .

والجامعة العربية - بحكم كونها جامعة للحكومات - لا تقدر أن تصل إلى أبعد من الممكن .

إن الممكن خطوة فى طريق المطلوب الشامل .

إن تحقيق الجزء مساهمة فى تقريب يوم الكل .

لهذا فإن الجامعة العربية تستحق كل التأييد على أن لا يكون هناك تحت أى ظرف من الظروف وهم تحميلها أكثر من طاقتها العملية التى تحددها ظروف قيامها وطبيعته .

ويختتم عبد الناصر رؤيته فى الميثاق قائلاً :

إن الجامعة العربية قادرة على تنسيق ألوان ضرورية من النشاط العربى فى المرحلة الحاضرة ، لكنها فى نفس الوقت تحت أى ستار وفى مواجهة أى إدعاء لا يجب أن تتخذ وسيلة لتجميد الحاضر كله وضرب المستقبل به .

وحول هذه الرؤية لمسألة الوحدة وحول غيرها من مدركات عبد الناصر المتناثرة فى خطبه

وأحاديثه يمكننا أن نرصد تأكيداً على كلمتين أو مفهومين بحاجة إلى تحليل ورصد .
الأول هو مفهوم (الوطن) ، أما الثاني فهو مفهوم (الأمة) ، وبشأنهما نسجل الآتي :

١ - الوطن :

يذهب د . سعيد بن سعيد في دراسة^(١) له إلى أن اللفظ لا يجد دلالة الكاملة ، التي نعرفها له في الحياة المعاصرة ، إلا في الفكر السياسي الحديث ، يكشف اللفظ عن وعي الانتماء إلى جماعة بشرية تشكل وحدة مستقلة بذاتها حيث لا يكون الاجتماع قائماً ، بالضرورة لا على أساس الانتساب إلى ديانة واحدة ، ولا بسبب التحدث بلغة واحدة ، ولا حتى بفعل الانتماء إلى حضارة واحدة . مصدر هذا الوعي هو الشعور بوجود تراب وطني محدد ، وحدود معلومة ، وحضور كامل ودائم للسيادة داخل تلك الحدود وفوق ذلك التراب .. وهو أكثر من ذلك الشعور برابطة « المواطنة » أي الشعور بأن نوعاً من الرابطة القوية تشد أفراد الشعب الواحد والمنتسبين إلى الوطن الواحد ، تشدهم إلى بعضهم البعض . لقد أبدع كل من جون لوك وروسو إبداعاً كبيراً في الحديث عن المواطن والمواطنة . فيما كان ، يؤسسان ، فعلياً : إحدى الأسس الثابتة التي ينهض عليها الفكر السياسي الحديث ، وسيعرف هذا المصطلح بروزه الكامل ابتداء من الثورة الفرنسية ، كما سنجد أن التأكيد عليه ، أكثر من غيره من المصطلحات الأخرى القرينة منه ، سيزيد في كل مراحل الكفاح من أجل التحرر الوطني ، أي في كل فترات الأزمة التي تخلق الشعور بتعرض « الهوية » إلى خطر الإبادة .

تسرب مفهوم الوطن إلى الكتابة العربية المعاصرة محملاً بكل الشحنات الوجدانية التي نقلها إليه عصر القوميات في أوروبا . سيرد المفهوم عند المفكرين العرب في القرن الماضي ، وحتى مطلع القرن العشرين ، يرد في معرض ترويجهم التلقائي للتراث الفكري الجديد الذي أنفتحوا عليه ، ولعلنا نجد في كتابات الطهطاوي وخير الدين التونسي ، وأديب إسحق على وجه الخصوص ، أفضل مثال على ذلك . ثم إننا نجد مفهوم الوطن يتداول عند المفكرين اللاحقين عليهم على نحو يزيد أن ، يلور شعوراً قوياً جارفاً بالانتماء

(١) سعيد بن سعيد : الخطاب القومي والمصطلح السياسي ، الناصرية نموذجاً - مجلة الوحدة - عدد ١٦

عام ١٩٨٦ ص ٤٧ وما بعدها .

إلى الوطن الواحد المهدد في كيانه الذاتى ، المهدد كدولة معلومة الحدود واضحة الهوية . هذا ما نجده ، على سبيل المثال لا الحصر ، فى خطب وكتابات كل من مصطفى كامل وعبد الله النديم ، فى مطلع القرن العشرين ، فى مصر . وما نجده فى المغرب ، قرابة الأربعين سنة بعد ذلك ، عند كل من علال الفاسى ومحمد بن الحسن الوزانى ، لا يجب أن ننسى أن المفكر القومى العربى هو أولاً صاحب دعوة إلى التحرر الوطنى من الإستعمار ، بمعنى أنه يناضل من أجل إستقلال بلد ضمن حدود معلومة ، وبلغه القانون ، صاحب دعوة إلى التحرر الوطنى من الإستعمار ، بمعنى أنه يناضل من أجل إستقلال بلد ضمن حدود معلومة ، وبلغه القانون ، فهو يناضل من أجل « دولة » تسعى لإسترجاع بعض أو كل من سيادتها المنتهكة . ولكنه هذا المفكر ، فى الوقت ذاته صاحب قضية ترى فى تلك الدولة واقع تجزئة مرفوضة ، ما دامت تلك الدولة لا تشكل سوى جزء من الدولة العربية الواحدة ، أى منهما هو « الوطن » إذن ؟ هل هو الدولة الواجب تحريرها ضمن حدود معلومة ، فى شروط السيادة على نحو ما يحددها الفقه الحقوقى المعاصر ، أم أنه مجموع الأوطان الجميلة الممتدة من الخليج إلى المحيط على نحو ما يقول الزهراوى ؟

فى كتاب « فلسفة الثورة » يتردد لفظ الوطن كثيراً من المرات ولكنه يأتى دائماً للتعبير عن مصر . يرجع جمال عبد الناصر بداية يقظة الوعى عنده إلى وجوده فى فلسطين محارباً فى صفوف الجيوش العربية سنة ١٩٤٨م فقد كنا نحارب فى فلسطين ، ولكن أحلامنا كلها فى مصر . كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا فى خنادقه ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه ، العمل التحرى من أجل « أرض عربية » هو الذى يفجر الوعى الوطنى ويذكىه كما يليق بموقف قومى حقيقى . ولكن متى أمعنا النظر قليلاً فإننا سنجد الحديث عن الوعى الوطنى يجعل حديثاً بوجود أرض معلومة الحدود وبوجود كيان متميز عن غيره من الكيانات السياسية الأخرى ومستقل عنها . فأتساءل الحصار الذى تعرض له الجيش المصرى فى فلسطين ، فى منطقة « الفالوجة » ، كان الضباط يرددون فيما بينهم إن وطننا هو الآخر حاصرتة المشاكل والأعداء . وعبد الناصر يصور الأمر فى صورة مماثلة وجدانية بين حصار « الفالوجة » وبين مصر ، الوطن المحاصر : « هذا هو وطننا هناك » ، إنه « فالوجة » أخرى على نطاق كبير ، وفى معرض تقويمه لثورة ٢٣ يوليو وللعمل الذى قام به الجيش يتساءل : « لقد آمنت بالجندية طول عمرى ، والجندية تجعل للجيش



عبد الناصر مع معمر القذافي وحسن البكر

واجباً واحداً هو أن يموت على حدود وطنه ، فلماذا وجد جيشنا نفسه مضطراً للعمل في عاصمة الوطن ، لا على حدوده ؟ .

الواقع أن كافة الشروط التي يجعلها الفكر السياسي الحديث ضرورية لإستقامة الحديث عن الوطن تجتمع في المواقف التي تعبر عنها الأقوال السالفة . الوطن له حدود معلومة ، وبالتالي فإن له أرضاً وتراباً وطنياً ، والوطن له عاصمة معلومة ، وبالتالي فإن له سلطة وإدارة وصورة ما للوجود السياسي حتى وإن كانت جميعها موضع إنتقاد جزئى أو كلى . ثم أن لهذا الوطن جنداً وشعاراً وتمثيلات دبلوماسية وما شابه هذا من رموز السيادة ، إن له اسماً دقيقاً يدل عليه هو مصر « وطننا هناك » ... صحيح أن « فلسفة الثورة » تتحدث عن دوائر ثلاث تنتمى إليها مصر هذه (العرب ، أفريقيا ، العالم الإسلامى) وصحيح أن مصر قد لا يكون سوى جزء من الدائرة الأولى (العرب) ، وعبد الناصر يلح على هذه النقطة كما هو معروف ، ولكن ما هو بين هو أن وعى الذات يتحدد كوعى بوجود « هوية مميزة » ، وبالتالي فهو وعى بوجود الوطن ككيان مفرد ، مستقل بذاته ، كمعنى يتوافق توافقاً كاملاً مع الفكر السياسي الحديث ومع الفهم الحقوق المعاصر .

في كتاب « الميثاق » يستطيع القارئ أن يلمس تقدماً كبيراً على « درب العمل القومى » ، وربما برز للمرة الأولى ، مع هذا النص ، هذا التمييز في الحديث عن الوطن بين « الوطن الصغير » و « الوطن الكبير » ، وربما ظهر مصطلح « الوطن العربى » في الكتابة القومية الرسمية للمرة الأولى ، وإن أعظم تقدير لنضال الشعب العربى في مصر ولتجربته الرائدة هو الدور الذى إستطاع أن يؤثر فيه في حياة أمتة العربية وخارج حدود وطنه الصغير ، إلى آفاق وطنه الكبير . ولا يعدم القارئ مواطن عديدة يلح فيها الميثاق على إبراز مصر كجزء أو قسم من الوطن العربى الواحد ، وعلى إبراز الوجه القومى العربى كل هذا من باب القول المكرور المعاد ، ولا يكاد القارئ يعثر لجمال عبد الناصر على خطبة واحدة من خطبه الشهيرة تخلو من الوقوف المطول عن هذه المسألة . ولكن القراءة التى تريد الوقوف عند دلالة الألفاظ ، والتى تجعل هدفها رصد أنماط تداول المصطلح السياسى الحديث في الخطاب الناصر نستطيع أن ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى وأن تتبين معطيات جديدة ومختلفة بعض الشيء .

تلاحظ باحثة لبنانية في دراسة حديثة لها حول « التصورى القومى في فكر جمال عبد

الناصر « بأن ما يدل عليه مفهوم الوطن العربى عند جمال عبد الناصر هو فى الواقع (مكان) ومجال جغرافى يمتد من المحيط إلى الخليج . وتضيف الباحثة المذكورة بأن أرض خاصة به وهو إنطلاقاً من هذا الواقع ليس هدفاً لـ « السيادة » أو « التملك » .

تنطلق هذه الملاحظة من تصور محدد لمعنى الوطن ، هو المعنى الذى أشرنا إليه فى بداية هذا القسم ، تصور يتطلب وجود الأرض أو التراب الوطنى من جهة أولى ، وإثبات كل الشروط اللازمة للتمتع بالحق فى السيادة من جهة ثانية ، وبالتالي فهى تنطلق من أرضية الفكر الحقوقى المعاصر وتنفس فى مناخ الفكر السياسى الحديث .

إن ما يكسب ملاحظة باحثنا وجاقتها هو أن ، الحديث عن الوطن ، فى حياتنا المعاصرة ، وسواء تعلق الأمر بالمجتمعات الغربية التى نشأ فيها هذا المفهوم أو اكتسب دلالة التى له اليوم ، أو تعلق بالمجتمعات التى إنتهى بها الأمر إلى إقتباس تلك الدلالة أو تبنيها (كما هو الشأن فى الوطن العربى) - فى كل هذه الأحوال لا يجد المفهوم مبرراته وأسباب وجود الكاملة إلا فى دائرة المنطلق المذكور . والحال أن للخطاب القومى العربى مسلمات ، وهو يحمل مضامين ، لا تجعله فقط غير ملتزم بمعطيات المفهوم السياسى (الوطن) ، بل هو يدينها ويرفضها بإسم أصالة ما . لذلك فإن هذا الخطاب يضيق ذرعاً بمفهوم الوطن ، وهو يستحيل عنده إلى لفظ أو « وحدة جامدة » كما تقول مارلين نصر . لذلك فهو إما أن يختفى كلية أو يكاد (ليس له وجود يذكر فى كتابة ميشيل عفلق وفى كتابه « فى سبيل البعث » تحديداً) ، وأما أن يغدو هامشياً يطفو على السطح حيث لا تربطه بالحقل الدلالى لخطابه الخاص رابطة قوية . وهذا ما نلمسه بالضبط فى كتابة جمال عبد الناصر .

٢ - الأمة :

وبشأن هذا المصطلح خلافاً لما يصادفه مصطلح الوطن من حصار وضيق ، داخل دائرة التداول القومى ، فإن مصطلح الأمة يلقى ، على العكس من ذلك ، كل إمكانيات التحرك الحر الذى لا تقيدته أى عوائق أو حواجز من داخله . والتعليل البارز لهذه الواقعة هو أن القومية نظرية فى الأمة أولاً وأخيراً . الأمة هى العصب المحرك فى الفكرة القومية ، ولذلك كان كل دعاة القومية قد أسهبوا فى الحديث عن « الأمة » ومعناها ؛ ودلالاتها وكاد إبداعهم يكون مقتصرأ على التفكير فى الأمة ، ولعل ما يكسب الناصرية صورة مميزة فعلاً ، فى دائرة الخطاب القومى ، هو بالضبط إنتباهها الذكى إلى وجود هذه الفوارق بين معنيين

كل من « الوطن » و « الأمة » .

وإذا ما رجعنا مرة أخرى إلى « التصور القومي » القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر فإننا نجد أن السيدة مارلين نصر ، التي توسلت في دراستها بمنهجية تحليل الخطاب السياسي ، تسجل بأن « دستور ١٦ يناير ١٩٥٦م ينص على أن الشعب المصري جزء من الأمة العربية » ، في حين لم يشر الدستور اللاحق عليه إلى أن مصر هي أمة . ثم أن مارلين نصر تلاحظ ، مباشرة أنه من حينه لم تعد تذكر في خطاب عبد الناصر إلا « الأمة العربية » ، ووصفت مصر بـ « الوطن » وتلاحظ ، في مكان آخر ، وبمنظرة ثاقبة أن جمال عبد الناصر « لا يصف الأفراد الذين يكونون الأمة العربية بأنهم مواطنون ، فهذا الأسم مقصور برأيه على أبناء الدولة الواحدة . فإنه بقدر ما يحيل لفظ الوطن إلى منظومة مرجعية دقيقة ، هي الفقه الدستوري الحديث ، فإن لفظ الأمة ، في التداول القومي العربي ، يهرب من تلك المنظومة ويتجه أكثر فأكثر نحو خصوصية مفترضة تعلوا على التأطير القانوني .

. الأمة في الخطاب القومي العربي كائن حي يتمتع بكل شروط الحياة ومقوماتها . « إنما الأمة تجربة رحمانية » ، كما يقول زكي الأرسوزي ، بمعنى أنها إمتداد لحياة الرحم . إن لها حاجات ومتطلبات تتبدل وتتغير بحسب مراحل الحياة للأمة وتطورها كما يذهب إلى ذلك ميشيل عفلق : « لكل أمة في مرحلة معينة من مراحل حياتها محرك أساسي يهز أعماقها ويفجر فيها ينابيع النشاط والحيوية والحماسة ويفتح له قلبها ، وهو بمثابة نقطة يتركز فيها إنتباه الأمة ، وتكون مفصحة عن أعماق حاجاتها في مرحلة ما » . ولأنها حية فهي أيضا بمثابة الشخص ولذا فإن جمال عبد الناصر يتحدث في المؤتمر الشعبي في القاهرة ، بعد مرور أربع وعشرين ساعة على قيام حركة الانفصال في دمشق ، يتحدث عن « دقات قلب » الأمة العربية وعن « نبضها » و « جراحها » ، ويقول بأن ما حدث وقع على مسمع منها وأنه يهز مشاعرها .

الأمة في الخطاب القومي العربي ، عموما ، إرادة وفكر قبل أي شيء آخر ، إنها ، حسب عفلق ليست مجموعا عدديا بل فكرة تتجسد في هذا المجموع كله أو بعضه . ولذلك فليس لهذه الفكرة صلة بالزيادة أو النقص في عدد الأفراد ، إذ ليس المجموع العددي مقدسا في حد ذاته بإعتباره عددا بل بإعتباره مجسدا لفكرة الأمة أو قابلا لأن ،



بن بىلا .. وبورقية .. وعبد الناصر : ذول المغرب حاضرة فى ذهب عبد الناصر

يجسدها فى المستقبل ، كل فرد من أفراد الأمة يجعل مكانه هذه الفكرة فى نفسه وكيانه « لأن الفكرة موجودة فى حالة البذور فى كل فرد من أفراد الأمة كما يقول ميشيل عفلق . وحيث أن الأمة كذلك فهى ، فى نظر المفكر القومى ، تملك كل مقومات الوحدة ومبرراتها ، وهذا ما نجد التأكيد عليه بشكل قوى عند جمال عبد الناصر . يفرد « الميثاق » بابا للحديث عن الوحدة العربية وصلة مصر بالوطن العربى ، ولكن ما يهمنا أن نشير إليه هو كيفية الحديث عن الأمة . ترجع الأدبيات القومية إلى إحدى النظريات الثلاثة التى يعتمد عليها الذين نظروا للقومية فى أوروبا فى القرن الماضى ، النظريات التى تنسب ، فى المعتاد ، إلى شعب من الشعوب بإعتبار أن ذلك الشعب يؤكد أكثر من غيره ، على عامل من عوامل الوحدة ، وهكذا يتحدث عن المدرسة الألمانية ، والإيطالية ، والفرنسية ، وبالنسبة لعبد الناصر فإن الأمة العربية تجمع بين العوامل الثلاث فى وحدة عضوية : « يكفى أن الأمة تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل . ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان . ويكفى أن الأمة تملك وحدة الأمر التى تصنع المستقبل والمصير » .

الأصل فى القوميات الأوروبية ، عند المثقف القومى العربى ، أن الأمة ، العماد الشرعى للقومية ، مشروع مستقبلى يتعين إنجازه تبعا لخطة وبرنامج دقيقين فهى إذن أمة قيد التكوين ، أما بالنسبة للأمة العربية ، فإنها كانت فى الأساس واحدة تامة الشروط ، وأن الدعوة إلى الوحدة هى طلب شرعى بالرجوع إلى التاريخ الطويل والحافل قبل ظهور الإستعمار الحديث ، وقبل أن تنكب الأمة بما أفرزه الإستعمار من إفرازات تهدد الأمة فى كيانها . هذه الإفرازات تشكل ، فيما بينها « تحالفاً معادياً لآمال الأمة العربية » ، على نحو ما يعبر جمال عبد الناصر عن ذلك : « التحالف الثلاثى : الإستعمار ، والرجعية على يمينه ، وإسرائيل على يساره » .

الأمة مفهوم محورى فى الخطاب القومى العربى فى مقابل لفظ « الوطن » ، الذى يظل على كل حال « وحدة جامدة » ، أو تعبيراً خالياً من الدلالة السياسية المعاصرة لأنه ، كما حاولنا أن نبين ذلك ، خطاب يحمل فى ذاته موانع وعوائق تحول دون التحقق الكامل لمفهوم الوطن فى دلالاته السياسية الحديثة ، كما أننا أشرنا إلى إنتباه عبد الناصر إلى هذه النقطة الدقيقة بالذات ، وإعتبرنا هذا الأمر خطوة متقدمة فى إستيعاب الفكر السياسى

الحديث عن طرف المفكر القومي ، فى إستيعابه فى جانب منه على الأقل . ولكن المثقف القومى محكوم بالمسلمات التى يأخذ بها والتى تؤسس ، فى إجتماعها وتفاعلها فيما بينها ، الخصائص الموجهة للخطاب القومى . ولذلك نجد أن هذا المثقف ، الذى يعلن عداؤه فى أحيان عديدة للفكر الغربى ويعتبر أنه ليست به حاجة إليه ، نجده لا يرفض المبادئ الكبرى التى تقوم عليها نظريات القومية (وحدة اللغة ، وحدة التاريخ وحدة الهدف أو المصير) ولكنه يسعى إلى تلوينها بـ « الخصوصية العربية » . هو من أجل ذلك يرجع إلى السجل الأول يقرأ فيه ، يرجع إلى التراث العربى - الإسلامى : يقر مفهومنا نشأ فى الغرب ، فى القرن التاسع عشر ، بسجل ثقافى وحضارى يرجع إلى العصور الوسطى الإسلامية . هو إذن يفصل المفهوم من المناخ الذى يتنفس فيه مناخه الطبيعى ، ويسعى إلى قصره على العيش فى مناخ مغاير وتربة مخالفة . وإذن فإن المصطلح السياسى الحديث يعرض ، من الوجهة النظرية ، إلى عملية تشويه يفقد بناؤه بملسها تماسكه النظرى ومن ثم دلالاته ومعناه الفعلين^(١) .

تلك هى حدود المدرك أو الحلم الناصرى بشأن الوحدة العربية وهو حلم مع الأسف لم يتحقق حتى هذه اللحظة .

هذا وإيجاز المدركات الناصرية تجاه مسألة الوحدة يمكننا الرصد العلمى لمراحلها على أنها ست مراحل فقط على النحو التالى :

- وحدة الصف العربى فيما بين ١٩٥٢م - ١٩٥٧م .
 - الوحدة الدستورية المصرية - السورية ١٩٥٨م - ١٩٦١م .
 - وحدة النضال السورى ١٩٦١م - ١٩٦٣م .
 - وحدة العمل العربى من أجل فلسطين ١٩٦٣م - ١٩٦٦م .
 - وحدة القوى الثورية : فبراير ١٩٦٦م - يونيو ١٩٧٦م .
 - وحدة العمل العربى : يونيو ١٩٦٧م - سبتمبر ١٩٧٠م .
- وهى مراحل على أهميتها إلا أن الواقع كان يناقضها تماماً .

(١) د . سعيد بن سعيد - مصدر سابق .

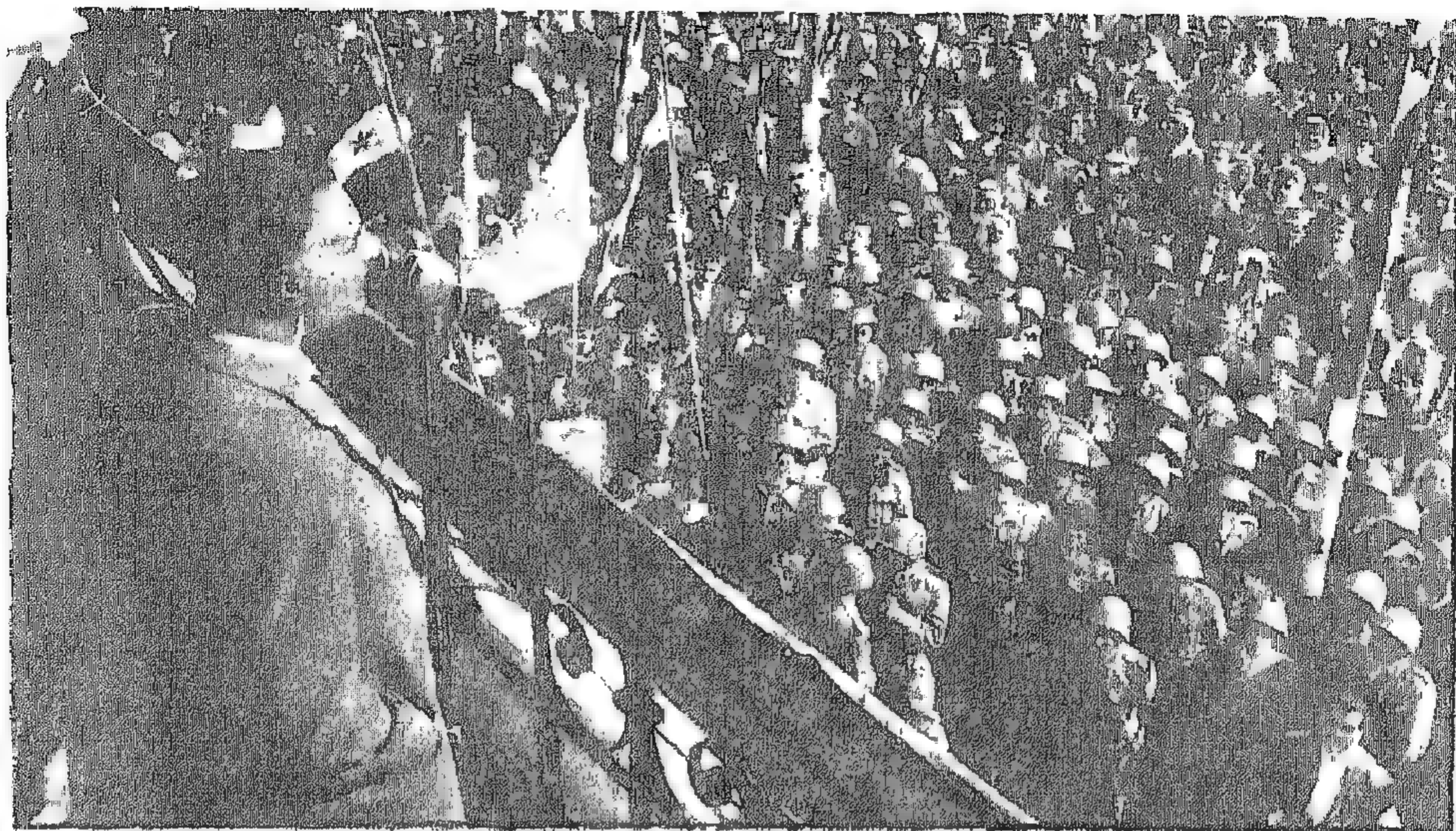
رابعاً : رؤية الإسلاميين الأصوليين لمسألة الوحدة عند عبد الناصر .

دائماً كان للإسلاميين الأصوليين ، موقفاً معارضاً لسياسات وسلوكيات وأفكار النظام الناصري ، وهو موقف رغم عدم عمليته في بعض تقييماته ، إلا أن الإتيان به يعد هاماً في سياق الحديث عن كافة ملامح التجربة الناصرية ، وقضية الوحدة : واقعاً وأحلاماً ، من أبرز هذه الملامح ترى كيف يراها الأصوليين .

سوف نورد هنا، رؤية فكرية هامة لأحد باحثي ومفكرى هذا التيار ، والذي سبق الإشارة تفصيلاً إلى رؤيته في أجزاء مختلفة من هذه الموسوعة ، أنه الأستاذ (أسامة حميد) ، أحد قادة جماعة الجهاد الإسلامى فى مصر ، وهذه هى رؤيته نوردها دون تدخل كبير . يقول أسامة حميد :

لم تكن تصفية القضايا الوطنية تقتضى فقط تصفية الإسلاميين - بل كانت تقتضى أيضاً القيام بحملة تضليل ضخمة لإيهام الشعب بأن النظام يحقق إنتصارات - وتضمن ذلك رفع النظام لعقيرته ضد الإستعمار والإمبريالية والصهيونية والرجعية .. الخ والمزايدة على قضية فلسطين والوحدة العربية (علماً بأن الوحدة العربية لم ترد بكلمة واحدة فى برنامج هيئة التحرير وكان عبد الناصر يستخدم تعبير الأمة المصرية حتى سنة ١٩٥٦م)^(١) .

(١) راجع : حمدي عبد العاضى صباحى : تطور مفهوم الوحدة العربية فى الصحافة اليومية المصرية (٥٢ - ١٩٦١) ماحستير فى الصحافة من جامعة القاهرة ١٩٨٦ .
أيضاً بيه بيومى عبد الله : تطور فكرة القومية العربية فى مصر - رسالة من معهد البحوث والدراسات العربية نشرتها افئئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .



في دمشق .. وفي جميع مدن سورية . كان لقاء القلوب بين الشعب وبطله .. بين أبناء سورية وجمال

وبسبب ظروف سوريا سنة ١٩٥٧م^(١) فقد التمس البحث السوري مخرجاً من أزمته بالوحدة مع مصر (بدأ ذلك في الحقيقة منذ ١٩٥٦م حيث استغل البحث الصعق الجماهيري في دفع الوزارة الإئتلافية إلى تبني الوحدة رسمياً) . وفي ١٩٥٧م عندما أشدت أزمة سوريا - دعا البرلمان السوري برلمان مصر إلى الوحدة فلم يعرهم برلمان مصر أى إهتمام - وبسبب مبادرة اليمين السوري وضغطه للوحدة مع نوري السعيد فقد هددهم ضباط الجيش السوري وخيروهم بين « المزة أو القاهرة » فقبلوا الوحدة مع مصر للأفلات من الضغط الجماهيري وريثما يعدلون خططهم .

جاء قادة الجيش السوري - كما يقول أسامة حميد في أحد مواضع رؤيته - وطلبوا من عبد الناصر الوحدة فرفض بشدة وقال لهم أنه « يريد بناء مصر لتكون قاعدة قوية لنضال باقى الشعوب العربية » وبعد ضغوط شديدة وافق عبد الناصر على الوحدة بشرط أن يسبقها تمهيد على مدى خمس سنوات كما طلب منهم تحقيق إتحاد لا وحدة .

(١) إن ظروف سوريا في ذلك الوقت حاح إلى مخلدات لترحها لكن يمكن تلخيصها في (وفقاً لرؤيته أسامة حميد) :

الظروف الدولية : كان هناك صراع نفوده أمريكا ضد كل من بريطانيا (التي سبغها العراق والتي تسعى لتعبد مشروع افلال الخصيب الذي يضمن السيطرة على سوريا) وروسيا (التي عقدت صفقه أسلحة صحنمة وفرض روسى كبير جهود وربر الدفاع السوري خالد العظم المتعاضف مع الشيوعيين) وفي ١٩٥٧م أحطت مؤامرة عراقية واسعة النطاق لقلب الحكم السوري وبعدها بشهور أحطت مؤامرة أخرى لقلب النظام وانفجر الموقف عندما طردت سوريا ثلاثة دبلوماسيين أمريكيين نهمة التخطيط لإسقاط النظام السوري .

الظروف الداخلية : كان برلمان سوريا (١٩٥٤) مكوناً من قوى كثيرة جدا ومتشردمة وحسب أمريكا من مساعى حزب الشعب الذي ضغط لحر سوريا إلى وحدة مع العراق ، كما حشيت من الشيوعيين الذين أرادوا تعزيز العلاقات مع روسيا ، فتوافقت أمريكا مع حزب البعث (لم يحقق إلا ١٥,٦% من مقاعد البرلمان) الذي أراد الخروج من عزلته وكذلك أراد استغلال نفوده الكبيرة في الجيش ونظراً لأن فكرة الانقلاب العسكرية لم تكن واردة أمام البعث (بعد أن أساء عبد الناصر لفكره الانقلابات العسكرية لما ارتكبه من ميع وبسبب جيود القوى السياسية السورية وقدرتها على سعيد انقلابات مضادة) نظراً لذلك طرح البعث موضوع الوحدة .

إن وحدة حقيقية . تؤدي إلى إستارة كل القوى الكبرى أما الإتحاد فهو يعطى عبد الناصر مجدداً شخصياً^(١) مع تفريغ الوحدة من مضمونها - وفي الحقيقة لقد اعترف أمام العسكريين السوريين بأن الدول ستقاوم الوحدة^(٢) وهو ما أوضحه بعد ذلك محمود رياض (سفير مصر فى دمشق) .

كانت سياستنا فى أن نتجنب الوحدة وعرفنا أنها ستثير كل القوى ضلماً وكان وكيلاً المخابرات (شعراوى جمعة وأمين هويدى) قد قدما تقريراً ، لعبد الناصر نصحا فيه « بتأجيل الوحدة » .

ولكن يبدو أن عبد الناصر إطمأن من عدم معارضة أمريكا للوحدة حال إتمامها - بدليل أنه عاد وقبل الوحدة - وفي الحقيقة لقد إعتبرت أمريكا الوحدة - فى إطار معين - أفضل وسيلة لتجاوز الأزمة السورية بعد أن فقدت كل البدائل الأخرى - يدل على ذلك أن أمريكا هى القوة الوحيدة التى لم تعارض الوحدة - بل أن دعمها لعبد الناصر ومساعدتها المالية قد ازدادت طوال فترة الوحدة . إن ما غمض من موقف أمريكا^(٣) قد يتضح إذا علمنا موقف روسيا من الوحدة (حيث ظروف الحرب الباردة تجعل أمريكا وروسيا على طرفى النقيض) - لقد أعلن خروشوف عداؤه للوحدة العربية وكان صدامه الشهير مع عبد الناصر سنة ١٩٥٩ م ، وفى اللحظات الحاسمة وقت الانفصال كان جروميكو يحرض الانفصاليين ويعدهم بالدعم من إذاعة موسكو .

وبعد إطمئنانه من جهة أمريكا - كان أمام عبد الناصر مشكلة أخرى هى خوفه من

(١) من مظاهر تمجيد عبد الناصر للقوة أنه نقل تمثالاً لرمسيس إلى أهم مادين القاهرة وسمى أهم شوارع القاهرة شارع رمسيس وسمى أول سيارة مصرية باسم رمسيس وهو ما يتناقض مع أفكار القومية العربية الحساسة لمثل تلك النعرات .

(٢) حمروش : عبد الناصر والعرب ط بيروت ص ٤٨ .

(٣) فى رسالة ماجستير ضخمة حاول محمد عبد المولى الزعبي دون جدوى أن يثبت أن أمريكا كانت تعارض الوحدة لكنه لم يجد دليلاً على ذلك سوى رسم ساخر (كاريكاتير) فى النيويورك تايمز . راجع : محمد الزعبي - الجمهورية العربية المتحدة : تجربة فى الوحدة العربية (١٩٥٨ - ١٩٦١) ماجستير فى السياسة من جامعة القاهرة ١٩٦٨ .

الجيش السوري الميسس - وكان عبد الناصر قد فرغ لتوه من تسريح ألف ضابط مصرى من الجيش بمن فيهم كل الضباط الأحرار - لأنهم صاروا - ميسسين - ولذلك اشترط عبد الناصر على السوريين حل كل تنظيماتهم الحزبية فوافقوا ظاهراً .

وكعادتهم - والقولة لأسامة حميد - فى خيانة القضايا الوطنية فقد عارض الشيوعيين الوحدة وهرب زعيم الحزب الشيوعى السورى إلى الخارج (وكان هذا أحد أسباب إعتقالات الشيوعيين سنة ١٩٥٩ م) أما الإسلاميون فى سوريا فقد رحبوا بالوحدة وإن أدانوا عبد الناصر وقال مرشد الإخوان فى سوريا (عصام العطار) كلمته الشهيرة « أنا مع الوحدة وضد عبد الناصر » .

أما البعث السورى فقد بدأ خطة للسيطرة على العالم العربى بإستخدام إمكانيات مصر المادية - وكان ، البند الأول من الخطة يقتضى وتبعيث الإتحاد القومى وتبعيت الوزارات التنفيذية التى استلمها وزراء بعثيون وتبعيث التعليم (هذه المصطلحات إستخدمها البعث فى نشراته السرية التى وزعت على أعضائه) ولكن عبد الناصر كان أشد دهاء وتأمراً من أشد الأحزاب السورية دهاء وتأمراً - وفى الحقيقة - لقد كان جهاز المخابرات الجبار (الذى تولاه عبد الحميد السراج رجل عبد الناصر فى سوريا) وهو الجهاز الوحيد الذى لم يخترقه البعث فى دولة الوحدة .

قوبل طلب البعث بتحويل دولة الوحدة إلى دولة عقائدية برفض حازم من عبد الناصر - ثم تلقى البعث لطمة أخرى عندما لم يحقق سوى ٢,٥ ٪ فى إنتخابات الإتحاد القومى . وإنفجر الخلاف علناً عندما إقترح البعث « تشكيل مجلس نضال سرى منا ومنكم »^(١) وهو ما قاله عبد الناصر بعد ذلك فى إحدى خطبه طلب البعث ثلاثة سوريين وثلاثة مصريين يشكلون لجنة تقرر كل الأمور « حوراني - ميشيل عفلق - البيطار ، عامر ، بغدادى ، زكريا محيى الدين) ولما رفض عبد الناصر تلك الأساليب انسحب البعث من الحكومة وبدأ بإطلاق إتهامات ضد عبد الناصر لم تطلقها عليه الدول المسماة بالرجعية .

كانت مخابرات عبد الناصر - بالتنسيق مع البعث - قد صفت الإخوان والشيوعيين خاصة

(١) هيكىل : ما الذى جرى فى سوريا ص ٩١ - ٩٢ .



عبد الناصر في دمشق مع شكري القزقل في اليوم التالي لإعلان الوحدة بين مصر وسوريا وقيام الجمهورية
المرية المتحدة

في الجيش السوري - وإرتكب السراج - والقول لأسامة حميد - فظائع تقشعر لها الأبدان (مثل قتل الشيعي اللبناني فرج الله الحلو وإذابة جثته في حمض الكبريت) - والآن جاء الدور على البعث - وبمجرد إتهام عبد الناصر للبعث بأنه « يحاول فرض نفسه على الأمة العربية وحده » فقد بدأت حملة رهيبة ضدهم من الإعتقالات والتعذيب .

عند هذا الحد كانت أمريكا قد إستنفذت أغراضها من الوحدة (حيث زال الخطران العراق والروسي) وكان البعث قد فشل في الضحك على عبد الناصر كما بدأت الرأسمالية السورية تتحرك بعد صدور قوانين يوليو (١٩٦١ م) الاشتراكية .

وفي أكتوبر ١٩٦١ م حدث الانفصال بالكيفية المعروفة - ووقع على وثيقة الانفصال أشد المؤيدين للقومية العربية والوحدة العربية وعلى رأسهم أهم قيادي البعث (حوراني - البيطار) وهرروا الانفصال بأن عبد الناصر إستهدف تشويه فكرة القومية العربية والوحدة العربية وخنق الحياة السياسية الديمقراطية وأد الحريات العامة وكأنه كانت هناك حريات عامة في مصر عندما طلبوا الوحدة معها سنة ١٩٥٨ م) - أما عبد الناصر فقد اعتبر الانفصال نقطة بدء لحماية الاشتراكية وحماية القومية العربية .

كان عبد الناصر - وفقاً لرؤية أسامة حميد - وكذلك كان كل حكام العرب الآخرين - في النظريات الغربية للأمن القومي (بمعنى أمن كل وحدة سياسية على انفراد) ، وبالتالي فإن الجغرافيا السياسية - وليس غيرها - ستكون المفسر الأول للصراعات العربية . طبقاً للجغرافيا السياسية للمنطقة لا يمكن أن تجتمع مصر والعراق في كيان واحد - وقد تمحورت السياسية العربية دائماً حول تنافسهما - ورغم وجود ثلاثة أنظمة توصف بالتقدمية في كل من مصر وسوريا والعراق سنة ١٩٦٣ م ورغم دخولهما في مشروع مشترك للوحدة فإن حقائق الجغرافيا تغلبت في النهاية .

وفي ذلك يقون أمين هويدى^(١) كانت أول مرة في التاريخ تتلاقى فيها القاهرة وبغداد - وكان هذا يشير بتطور كبير في المنطقة لولا الظروف التي حالت دون ذلك .

(١) في شهادته لأحمد حمروش ج٤ ص ٩١ كان أمين عويدى ممن عارضوا وحدة مصر وسوريا ثم صار سفير مصر في العراق .

إن هذا يطرح سؤالاً خطيراً : ما هو تبرير تقسيم عبد الناصر للعالم العربى إلى دول تقدمية وأخرى رجعية - خاصة وأن عبد الناصر فى ذروة المد الثورى كان مصراً على تحسين علاقته بأمريكا (رسالته الشهيرة إلى كيندى سنة ١٩٦١م) وخاصة وقد سارعت إحدى الدول الرجعية (اليمن) بالإنضمام إلى دولة الوحدة بين مصر وسوريا (١٩٥٨) - وهذا يقودنا إلى تساؤل آخر : وهل إنقلاب ١٩٦٢م فى اليمن كان فعلاً حركة ثورية ؟

يقول أحد الناصريين^(١) أثناء الدعم المصرى للثورة اليمنية خيل إلينا أننا أمام صراع بين الجمهوريين والملكيين بينما كان الصراع فى جوهره بين الشوافع والزيود (وفقاً لرؤية أسامة حميد) .

لقد أنفق عبد الناصر ٤ مليارات جنيه على الصراع بين الشوافع والزيود فى اليمن - وعندما وقعت النكبة (١٩٦٧ م) كان ٥٠,٠٠٠ جندي مصرى فى اليمن بينما لم يكن يدافع عن القاهرة سوى ٤٠٠ جندي .

إن الفقرات السابقة قد تكون (تحقيقاً بوليسياً) عن قضية الوحدة العربية - لكنها فى حد ذاتها ليست كافية لإيضاح موقف عبد الناصر من الوحدة - إن هذا الموقف قد يتضح إذا بحثنا عما قدمه عبد الناصر من خطوات تمهيدية قد تساعد فيما بعد على الوحدة .

ويختم أسامة حميد رؤيته الهامة والتى تعبر عن فكر تيار عريض من الحركة الإسلامية بقوله :

لا شك أن نوعين من الخطوات يمكن أن يخدم قضية الوحدة :

- تبنى قضية فلسطين وإسقاط جميع الأنظمة فى المنطقة من خلال ذلك .

- تخطيط الإقتصاد والمرافق بما يخدم هدف الوحدة فى النهاية .

وبالنسبة للنقطة الأولى فقد خطب عبد الناصر فى غزة عام ١٩٦٢م قائلاً : « أنا ماعنديش خطة لتحرير فلسطين - واللى يقول لكم عنده خطة لتحرير فلسطين يبقى بيضحك عليكم^(١) - وقد تحولت هذه العبارة إلى مقدمة لبرنامج يومى فى إذاعة الأردن .

(١) عادل حسين : نحو فكر عربى جديد - المستقبل العربى ١٩٨٥ ص ٢٣٩ .

(١) تم تزيف هذا النص فى جريدة الأهرام (١٩٦٢/٧/٢٧) فقد حذفت الجملة الأولى وحرفت الجملة الثانية إلى « أن الذى يقول أنه وضع خططاً لحل قضية فلسطين إنما يخدعكم » .

وبالنسبة للنقطة الثانية - فإن الدراسات التفصيلية تنفي وجود إتجاه لدى النظام لتوحيد المنطقة يوما - بل لم يكلف النظام الناصري نفسه إنشاء طريق برى يربط بين مصر والسودان .

* وبعد تلك كانت رؤية الإسلاميين لمسألة الوحدة عند عبد الناصر ، وهى رغم حديثها وعدم علميتها فى بعض المواضع إلا أن لها وجاهتها ، وتطلب منا الإنصات الجيد وإحترام صاحبها الذى تميز فى كل ما قدمه بالإلمام الوافى والعمق الفكرى ، إن هذا « الاحترام » قد يمثل بداية واعية لبناء وحدة عربية إسلامية جادة يقع على الإسلاميين أمثال (أسامة حميد) وعلى الناصريين القادرين على تقبل النقد بنائها .



معمر القذافي وأعضاء مجلس الثورة الليبي

ملحق رقم (١) الفصل السادس

[الوحدة العربية فى إدراك عبد الناصر]

(الشعب المصرى فى عمله فى الداخل ، لم يعزل نفسه عن حقيقة وجوده .. وإنما تفاعل الشعب المصرى ، مع أمتة العربية ، محطماً كل العوائق ، وكل الحواجز متخصياً لها).
(عيد الثورة الثالث عشر ١٩٦٥/٧/٢٢ م)

وإننا جزء لا يتجزأ من أمة عربية واحدة ، تاريخها واحد ، ونضالها واحد ، ومصيرها واحد .

(مجلس الأمة ١٩٦٥/١/٢٠ م)

إن الوحدة العربية ليست حركة عنصرية .. وإنما هى حركة أمة واحدة .. عاشت نفس التايخ .. وتعيش نفس النضال .. وتتجه لنفس المصير .
(حديث صحفى ١٩٦٤/٧/٥)

عروبة مصر ليست مسألة سياسية ولا مسألة تكتيكية .. وإنما قدر ووجود ، وحياة أمة واحدة .

صف واحد .. نضال واحد .. مصير واحد .
(عيد الثورة الثالث عشر ١٩٦٥/٧/٢٢ م)

إذا تكلمنا عن القومية العربية والوحدة العربية .. فإننا نتكلم عن دعوة لها جذور عميقة .. روينها بالدماء .. ورويناها بالأرواح .. وعمل الأجداد فى سبيل تقديسها .. ويبدل أرواحهم .. وتضحية أنفسهم .

(خطاب باللاذقية أكتوبر ١٩٦٠م)

إن قصة كفاح الشعب العربى ، وخطوات الكفاح واحدة ، لسبب واحد بسيط .. سبب كل فرد فى الأمة العربية يعرفه ويعلمه .. هو تشابه الظروف الكامل .. وتوافق هذه الظروف وترابطها .

وإذا قارنا مقارنة تاريخية ، بين كفاح الشعب العربى ، فى كل مكان ، وفى كل بلد من بلاد الوطن العربى .. فى العراق .. وفى سوريا .. وفى لبنان .. وفى مصر .. فإننا نرى الترابط بين المشاعر والترابط فى الحوادث .

فى كل وقت ثارت فيه بغداد ، كانت القاهرة تثور ، لأن المشاعر كانت تجمع بين بلدين .

فى كل وقت ثارت فيه دمشق .. ثارت فيه بيروت لأن الحوادث كانت تجمع بين بلدين .

كانت الحوادث فى العالم العربى مرتبطة متصلة .. العالم العربى كله يشعر بمشاعر واحدة فى وقت واحد ، لأن قضية العالم العربى هى قضية واحدة .. وقصة الكفاح فى العالم العربى قصة واحدة .. وإذا كان هناك تفاوت فى الزمن .. فإن هناك إتفاق فى الأهداف .. وإتفاق فى الآمال .

(عيد الثورة ٢٢/٧/١٩٥٨م)

إننا حين نتكلم عن القومية العربية ، فقد علمنا التاريخ ، أن الحفاظ على قوميتنا العربية فى الماضى ، كان السبب فى الحفاظ على حريتنا ، وعلى إستقلالنا .. وأننا حينما هبنا لندافع عن وطننا جميعاً وحينما لم ننخدع بالطائفية التى أرادت الحملات الصليبية أن تبثها بيننا ، واتحدنا جميعاً .

(خطاب باللاذقية أكتوبر ١٩٦٠م)

عندما كان العرب وحدة متماسكة ، إستطاعوا رد المعتدين على أعقابهم ، كما حدث أيام الحروب الصليبية .. ولكن بعد أن فرق المستعمرون بين العرب أصبحوا عرضة للهزيمة، وفريسة للسيطرة الأجنبية .. وكانت هذه الحقيقة ماثلة أمام عيني طوال فترة المناقشة التي كانت تدور حول وسائل الدفاع عن مصر .

ولأول وهلة ، إتضح لنا أن مصر مثلها في ذلك مثل كل جزء من أجزاء الوطن العربى لا يمكن أن تضمن سلامتها إلا مجتمعة مع كل شقياتها فى « العروبة » فى وحدة متماسكة قوية .

إن موقع مصر الجغرافى والإستراتيجى الهام ؛ كان دائماً هو نقطة الضعف بالنسبة لها .. وأنه سبب هذا الموقع الممتاز ، تسابقت الدول إلى إحتلالها .. لذلك كان هدفنا أن نجعل من هذا الضعف قوة .

وقمنا بعد ذلك بدراسة ثروات العرب وخاصة البترول .. وعرفنا أن هذا البترول يمكن إستخدامه لصالح العرب .. وهذا هو نفس الذى حدث للقنال .. وهكذا إتخذت القومية العربية طابعها ، كضرورة إستراتيجية .. وذلك لضمان سلامة الوطن العربى ... وكما ذهب سياسى ..

(حديث مع الصحفى الإنجليزى ديزمونت ١٩٥٧/٤/١ م)

إن سقوط أى بلد عربى إنما يكون دائماً هو البداية لسقوط باقى البلاد العربية وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى وقبل الحرب العالمية الأولى .. حينما تعرضت البلاد العربية للمحاولات الأجنبية للسيطرة والإحتلال .. وبدأ هذا الإحتلال ببلد عربى .. سرى هذا الإحتلال وهذه السيطرة سريان السرطان .. بين أرجاء الأمة العربية .

إن مصيرنا واحد ، وإن كفاحنا من أجل الحرية والإستقلال فى أى بلد عربى ، إنما يؤثر علينا فى جميع أنحاء العالم العربى .

(خطاب فى ١٩٥٩/٤/٢١ م)

إن الوحدة العربية موجودة فعلا بين أبناء الشعب العربى .. إن الخلافات قائمة بين النظم والحكومات .. ولكن إذا حدث شىء فى الجزائر ، تجد له رد فعل فى جميع أنحاء الدول العربية .. وإذا وقع شىء فى سوريا ، يكون له رد فعل فى جميع أنحاء البلاد العربية .

(حديث إلى تليفزيون كولومبيا ١٩٦٥/٧/٩ م)

إذن الوحدة .. هذه الوحدة من ناحية المصلحة .. هي قائمة .

وهذه الوحدة من ناحية المصير المشترك هي قائمة ..

ومن ناحية الماضي المشترك أيضا هي قائمة ..

وحدة المصير .. وحدة الوجود .. وحدتنا كدول عربية .

كنا على ثقة أن أمتنا إحنا حتى من ناحية مصلحتنا مرتبط بأمن الدول العربية الأخرى ..
وسلامتنا مرتبطة بسلامة الدول العربية الأخرى .

(خطاب فى ١٩٦٢/١٢/٢٣ م)

لقد كان الكفاح من أجل الوحدة ، هو نفسه الكفاح من أجل الحياة ، ولقد كان التلازم
بين القوة والوحدة أبرز معالم تاريخ أمتنا .

وما من مرة توافرت القوة .. إلا كانت الوحدة نتيجة طبيعية لها .

(مجلس الأمة ١٩٥٨/٢/٥ م)

إن تيار التاريخ يسير إلى الأمام .. وإن الدول الكبرى التى حاولت أن توقف هذا التيار
لم تستطع أن تغلب على التيار الطبيعى للتاريخ .. بالنسبة لشعب آمن بأن القومية العربية
والتضامن العربى سبيل الأمان والسبيل الوحيد للحماية ، والسبيل الوحيد لرفع مستواه ،
والسبيل الوحيد لتطويره اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً .

(خطاب بدء تنفيذ السد العالى ١٩٥٩/١١/٢٦ م)

إن القومية العربية التى إنطلقت لا يمثلها واحد ، ولا يمثلها حفنة من الناس .. لا يمثلها
جمال عبد الناصر ولا يمثلها أى شخص آخر .. ولكنها أنتم .. كل فرد منكم .. يمثل
هذا الشعب الذى قاتل .. يمثل هذا الشعب الذى صمم على الحرية ، وصمم على أن
ينتصر .

إن شعلة القومية العربية ستبقى أبد الدهر عالية مرتفعة ، أنها لا تنحصر فى شخص واحد
هو جمال عبد الناصر ولا تنحصر فى أفراد آخرين .. هم من يعملون مع جمال عبد الناصر ..
ولكنها تمثل الشعب العربى ..

القومية العربية هى أنتم هنا فى دمشق .. وأخوة لكم فى بغداد .. وأخوة لكم فى القاهرة ..

وأخوة لكم في عمان .. وأخوة لكم في بيروت ..

القومية العربية أخوة لكم في السودان .. وأخوة لكم في اليمن .. وأخوة لكم في ليبيا
هذه هي القومية العربية التي لن تستطيع أية قوة في العالم أن تحطمها أو تقضي عليها ..

ليست القومية العربية من وحى رجل واحد ، أو من وحى فرد واحد .. ولكنها من
وحيكم أنتم ومن وحى آبائكم .. ومن وحى أولئك الذين استشهدوا في سبيل هذه الأيام
التي نعيشها ، لنرى فيها الأمة العربية وهي تتحرر .

(خطاب بدمشق ١٨/٧/١٩٥٨ م)

ينبغي الفصل بين الوحدة العربية كتيار تاريخي قديم ومستمر ، وبين أى فرد يتحمل في
لحظة من اللحظات مسئولية العمل من أجلها .. أن دعوة الوحدة العربية بدأت من قبل جمال
عبد الناصر .. وستبقى بعد جمال عبد الناصر .

(حديث صحفي في ٥/٧/١٩٦٤ م)

إن الوحدة ثورة .. ثورة على ما كنا نعيش فيه .. ثورة على كل الأساليب التي مرت
بنا في الماضي .. وثورة تستهدف إقامة المجتمع الذي تريده ..

الوحدة في طبيعتها ، ليست إدماج إقليمين ، أو إدماج دولتين عرييتين فحسب ، ولكن
الوحدة كما لمستنا وأنا أقابل هذه الشعب في القرى والمدن .. هي تطور قومي إجتماعي
إقتصادي سياسي .

وحيثما كان الشعب ينادى بالوحدة .. وحيثما فرض الشعب الوحدة . إنما كان يثور ليحقق
لنفسه الثورة السياسية القومية العربية .. وفي نفس الوقت ليحقق أيضا الثورة الاجتماعية التي
عمل من أجل تحقيقها وكفح في سبيلها طوال السنين الماضية .. فإن الشعب حينما كافح
الإستعمار وتخلص منه .. فإن الإستقلال في حد ذاته لم يكن غاية .. ولكنه كان الوسيلة
لتحرير إرادته ليكون الشعب قادراً على أن يطور نفسه .. وعلى أن يضع الثورة السياسية
والثورة الاجتماعية موضع التنفيذ .

(خطاب بحلب ١٨ فبراير ١٩٦٠ م)

إن الثورة العربية الشاملة .. ما تزال هي القوى الأصلية القادرة ، على تحقيق الآمال العربية
كلها ، لكنني أود أن أقول بوضوح .. إن الثورة العربية الشاملة ، لا يمكن أن تكون مجموعة

من المغامرات أو الانقلابات ، وإنما هي الحركة التاريخية لجماهير الأمة العربية للقفز عبر التخلف .. إلى التقدم السياسى والإجتماعى والثقافى ، مستندة على القيم الحضارية للأمة العربية ، محققة بالنضال الثورى أهدافها .

(مجلس الأمة ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥ م)

إن الوحدة ليست نداء يردد أصداء الماضى .. وإنما الوحدة العربية أصلاً وأساساً هي نداء بالتجمع وإنطلاق إلى بناء المستقبل .. وتوفير رخائه .

(مجلس الأمة ٢٠ يناير ١٩٦٥ م)

إن أمل الوحدة بين شعوب الأمة العربية ، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا سبقته ، وتأكدت قبله ، آمال أخرى تفتح له الطريق وتمكن له .. وتخلق أنسب الظروف الملائمة له .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧ م)

إن مطلب الحرية السياسية ، لا بد له أن يسبق ويتأكد فى كل وطن عربى ... قبل أن يصبح أمل الوحدة العربية أمراً مطروحاً .. إن مطلب الحرية السياسية معناه لأى شعب ، أنه يستطيع أن يعلن رأيه ، ويبدى مشيئته .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧ م)

كذلك فإن مطلب الحرية الإجتماعية .. لا بد له أن يسبق ويتأكد ، فى كل وطن عربى ، قبل أن يصبح أمل الوحدة العربية قابلاً للتحقيق .. أن مطلب الحرية الإجتماعية معناه لأى شعب أنه يستطيع أن يقرر لنفسه .. وأن يسود على مصيره .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧ م)

هناك ترابط كبير بين الاشتراكية والوحدة .. ولذلك فإننا نقول باستمرار ، أننا لن نتحد أبداً مع أى بلد عربى إلا حين يطبق الاشتراكية .. ويعلن ماذا يعنى بالاشتراكية .. وبذلك لا تتعرض الوحدة للخطر .. لأن تطبيق الاشتراكية ، وإعلان محتواها ، يمنع الإنتهازية التى

تعلن أنها اشتراكية ، ثم تتحالف مع الرجعية ، فى تسديد الطعنات للوحدة .. إن هذا يقضى على العناصر التى وجدت بطبيعتها لتحارب الوحدة ..

إن الوحدة معناها الاشتراكية .. فلا بد للرأسماليين أن ينقضوا على الوحدة أولاً حتى

لا يقعون تحت بطش الإشتراكية ، كما يتصورون أن الإشتراكية تبطش بهم .. وهذا ما حدث فى تجربة الوحدة الأولى . ولذلك سميت الرجعية بالانفصالية ، لأن الانفصال حماية للرجعية من الإشتراكية وربما كان انقضاضهم على الوحدة ليس كرهاً فى الوحدة .. ولكنه كره فى الإشتراكية .

إن انتصار الحرية السياسية ، والحرية الاجتماعية ، فى أوطان الشعوب العربية ، معناه هزيمة الإستعمار وهزيمة الرجعية المتحالفة مع الإستعمار .. وهما معا أكبر العوائق أمام الوحدة .

الإستعمار يريدنا أمة عربية ممزقة ليسهل عليه مواجهة شعوبها .. كما أن الرجعية وراء الحدود المصنوعة ، قد استطاعت أن بتنى لنفسها امتيازات طبقية شرهة ، من هنا نقول أن أمل الوحدة حين يتحقق ، يصبح تتويجا لكل الآمال العربية الأخرى ، وهو فى نفس الوقت ضمان لها .. وهو الاطار السليم لتطور الأمة العربية ، ونموها المتكامل وفرصتها الحقيقية لبلوغ مستوى التقدم المنشود .. فى عصر تتسابق فيه الأمم إلى التقدم بسرعة مدهشة .. بعد أن استطاعت ثورة العلوم أن تطوع لخدمة التقدم الإنسانى أدوات ووسائل ، لم تخطر من قبل على البال ..

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧)

ان الحرية السياسية والاجتماعية مقدمات ضرورية للوحدة .. وليس معنى هذا أنه يتعين علينا الانتظار حتى يتحقق ذلك كله تماما فى كل أرض عربية .. لكى نبدأ الحديث أو العمل من أجل الوحدة .. أهداف النضال متداخلة .. أهداف النضال تعطى لبعضها ، وتأخذ من بعضها ، وتعزز إحداها الأخرى ، وتعزز بها .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧)

ملحق رقم (٢) الفصل السادس

أولاً : الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة
ثانياً : ميثاق الدول العربية المتحد بين مصر واليمن

أولاً : الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨/٣/٥ م
الباب الأول

- م ١ - الدول العربية المتحدة جمهورية ديمقراطية ذات سيادة ، وشعبها جزء من الأمة العربية .
- م ٢ - الجنسية في الدولة المتحدة يحددها القانون . ويتمتع بجنسية الدولة العربية المتحدة كل من يحمل الجنسية السورية أو المصرية ، أو يستحق أية منهما بموجب القوانين والأحكام السارية في سوريا ومصر عند العمل بهذا الدستور .

الباب الثاني

- م ٣ - التضامن الإجتماعي أساس للمجتمع .
- م ٤ - ينظم الاقتصاد القومي وفقاً لخطط مرسومة ، تراعى فيها مبادئ العدالة الإجتماعية وتهدف إلى تنمية الإنتاج ورفع مستوى المعيشة .
- م ٥ - الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون أداء وظيفتها الإجتماعية ، ولا تنزع الملكية إلا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل وفقاً للقانون .
- م ٦ - العدالة الإجتماعية أساس الضرائب والتكاليف العامة .

الباب الثالث

- م ٧ - المواطنون لدى القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة ، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .
- م ٨ - لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون ولا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لصدور القانون الذي ينص عليها .
- م ٩ - تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

- م ١٠ - الحريات العامة مكفولة في حدود القانون .
م ١١ - الدفاع عن الوطن واجب مقدس وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين والتجنيد إجبارى وفقاً للقانون .

الباب الرابع نظام الحكم الفصل الأول رئيس الدولة

- م ١٢ - رئيس الدولة هو رئيس الجمهورية ، وينشر اختصاصاته على الوجه المبين في هذا الدستور .

الفصل الثانى السلطة التشريعية

- م ١٣ - يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الأمة ، يحدد عدد أعضائه ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط أن يكون نصفهم على الأقل من بين أعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الأمة المصرى .
م ١٤ - يتولى مجلس الأمة مراقبة أعمال السلطة التنفيذية على الوجه المبين فى الدستور .
م ١٥ - يجب أن لا يقل سن عضو مجلس الأمة عن ٣٠ سنة ميلادية .
م ١٦ - مقر مجلس الأمة مدينة القاهرة ، ويجوز دعوته للإنعقاد فى جهة أخرى بناء على طلب رئيس الجمهورية .
م ١٧ - يدعو رئيس الجمهورية مجلس الأمة للإنعقاد ، ويفض دورته .
م ١٨ - لا يجوز أن يجتمع مجلس الأمة دون دعوة فى غير دور الإنعقاد ، وإلا كان اجتماعه باطلاً ، وبطلت بحكم القانون القرارات التى تصدر منه .
م ١٩ - يقسم عضو مجلس الأمة أمام المجلس ، فى جلسة علنية ، قبل أن يتولى عمله ، اليمين الآتية :

أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصاً على ج . م . ع ونظامها وأن أرعى مصالح الشعب وسلامة الوطن ، وأن أحترم الدستور والقانون .

- م ٢٠ - ينتخب مجلس الأمة في أول إجتماع عادي له رئيساً ووكيلين .
- م ٢١ - جلسات مجلس الأمة علنية ، ويجوز إنعقاده في جلسة سرية بناء على طلب رئيس الجمهورية أو ٢٠ من أعضائه - ثم يقرر المجلس ما إذا كانت المناقشة في الموضوع المطروح أمامه تجرى في جلسة علنية أو سرية .
- م ٢٢ - لا يصدر قانون إلا إذا أقره مجلس الأمة . ولا يجوز تقرير مشروع قانون إلا بعد أخذ الرأي فيه ، مادة مادة .
- م ٢٣ - يصنع مجلس الأمة لائحته الداخلية لتنظيم كيفية أدائه لعمله .
- م ٢٤ - لكل عضو من أعضاء مجلس الأمة أن يوجه إلى الوزراء أسئلة أو إستجابات وتجرى المناقشة في الإستجابات بعد سبعة أيام على الأقل من يوم تقديمه وذلك في غير حالة الإستعجال وموافقة الوزير .
- م ٢٥ - يجوز لعشرين من أعضاء مجلس الأمة أن يطلبوا طرح موضوع عام للمناقشة . لإستيضاح سياسة الحكومة في شأنه ، وتبادل الرأي فيه .
- م ٢٦ - لمجلس الأمة إبداء رغبات أو إقتراحات للحكومة في المسائل العامة .
- م ٢٧ - إنشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو إلغاؤها لا يكون إلا بقانون ، ولا يعفى أحد من أدائها في غير الأحوال المبينة في القانون ، ولا يجوز تكليف أحد أو أداء غير ذلك من الضرائب أو الرسوم إلا في حدود القانون .
- م ٢٨ - ينظم القانون القواعد الأساسية لجباية الأموال العامة وإجراءات صرفها .
- م ٢٩ - لا يجوز للحكومة عقد قرض أو الإرتباط بمشروع يترتب عليه إنفاق مبالغ من خزانة الدولة في سنة أو سنوات مقبلة إلا بموافقة مجلس الأمة .
- م ٣٠ - لا يجوز منح إحتكار إلا بقانون وإلى زمن محدود .
- م ٣١ - يعين القانون طريقة إعداد الميزانية وعرضها على مجلس الأمة ، كما يحدد السنة المالية .
- م ٣٢ - يجب عرض مشروع الميزانية العامة للدولة على مجلس الأمة قبل إنتهاء السنة المالية بثلاثة أشهر على الأقل . لبحثه وإعتماده وتقر الميزانية بابا بابا ولا يجوز لمجلس الأمة إجراء أى تعديل في المشروع إلا بموافقة الحكومة .

- م ٣٣ - يجب موافقة مجلس الأمة على نقل أى مبلغ من باب إلى آخر من أبواب الميزانية ، وكذلك على كل مصروف غير وارد بها ، أو زائد على تقديراتها .
- م ٣٤ - الميزانية المستقلة والملحقة تجرى عليها الأحكام الخاصة بالميزانية العامة .
- م ٣٥ - ينظم القانون الأحكام الخاصة بميزانيات الهيئات العامة الأخرى .
- م ٣٦ - لا يجوز فى أثناء دورة إنعقاد مجلس الأمة وفى غير حالة التلبس بالجريمة أن تتخذ ضد أى عضو من أعضائه أية إجراءات جنائية إلا بإذن المجلس ، وفى حالة إتخاذ أى إجراءات فى غيبة المجلس يجب إخطاره بها .
- م ٣٧ - لا يجوز إسقاط عضوية أحد من أعضاء مجلس الأمة إلا بقرار من المجلس بأغلبية ثلثى أعضائه ، وبناء على إقتراح ٢٠ من الأعضاء ، وذلك إذا فقد الثقة والإعتبار .
- م ٣٨ - لرئيس الجمهورية حق حل مجلس الأمة ، فإذا حل المجلس وجب تشكيل المجلس الجديد ودعوته للإنعقاد خلال ستين يوماً من تاريخ الحل .
- م ٣٩ - إذا قرر مجلس الأمة عدم الثقة بأحد الوزراء وجب عليه اعتزال الوزارة ، ولا يجوز طلب عدم الثقة بالوزير إلا بعد إستجواب موجه إليه ، ويكون الطلب بناء على إقتراح عشرين عضواً من أعضاء المجلس . ولا يجوز للمجلس أن يصدر قراره فى الطلب قبل ثلاثة أيام على الأقل من تقديمه ويكون سحب الثقة من الوزير بأغلبية أعضاء المجلس .
- م ٤٠ - لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الأمة وتولى الوظائف العامة . ويحدد القانون أحوال عدم الجمع الأخرى .
- م ٤١ - لا يجوز لأى عضو من أعضاء مجلس الأمة أن يعين فى مجلس إدارة شركة فى أثناء مدة عضويته إلا فى الأحوال التى يحددها القانون .
- م ٤٢ - لا يجوز لأى عضو من أعضاء مجلس الأمة فى أثناء مدة عضويته أن يشتري أو يستأجر من أموال الدولة ، أو يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو أن يقايضها عليه .
- م ٤٣ - يتقاضى أعضاء مجلس الأمة مكافأة يحددها القانون .

الفصل الثالث السلطة التنفيذية

م ٤٤ - يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ، ويمارسها على الوجه المبين فى الدستور .

م ٤٥ - لا يجوز لرئيس الجمهورية فى أثناء مدة رياسته أن يزاول مهنة حرة ، عملاً تجارياً أو مالياً أو صناعياً ، أو يشتري أو يستأجر شيئاً من أموال الدولة ، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو أن يقايضها عليه .

م ٤٦ - لرئيس الجمهورية أن يعين نائباً لرئيس الجمهورية أو أكثر ، ويعفيهم من مناصبهم .

م ٤٧ - يعين رئيس الجمهورية الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ، ويجوز تعيين وزراء دولة ونواب للوزراء . ويتولى كل وزير الإشراف على شئون وزارته ، ويقوم بتنفيذ السياسة العامة التى يضعها رئيس الجمهورية .

م ٤٨ - لا يجوز لنائب رئيس الجمهورية ، أو للوزير فى أثناء مدة تولية منصبه ، أن يزاول مهنة حرة ، أو عملاً تجارياً أو مالياً أو صناعياً ، أو أن يشتري أو يستأجر شيئاً من أموال الدولة ، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله ، أو أن يقايضها عليه .

م ٤٩ - لرئيس الجمهورية ، وللمجلس الأمة ، حق إحالة الوزير إلى المحاكمة عما يقع منه من جرائم فى تأديته أعمال وظيفته ، ويكون قرار مجلس الأمة باتهام الوزير بناء على إقتراح مقدم من خمس (٥/١) أعضائه على الأقل ، ولا يصدر قرار الإتهام إلا بأغلبية أعضاء المجلس .

م ٥٠ - لرئيس الجمهورية حق إقتراح القوانين والإعتراض عليها وإصدارها .

م ٥١ - إذا إعترض رئيس الجمهورية على مشروع قانون رده إلى مجلس الأمة فى مدى ثلاثين يوماً من تاريخ إبلاغ المجلس إياه ، فإذا لم يرد مشروع القانون فى هذا الميعاد إعتبر قانوناً وأصدر .

م ٥٢ - إذر رد مشروع القانون فى الميعاد المقدم إلى المجلس وأقره ثانية بموافقة ثلثى أعضائه إعتبر قانوناً وأصدر .

م ٥٣ - لرئيس الجمهورية أن يصدر أى تشريع أو قرار ، مما يدخل أصلاً فى إختصاص

مجلس الأمة إذا دعت الضرورة إلى إتخاذها في غياب المجلس على أن يعرض عليه فور إنعقاده فإذا إعترض المجلس على ما أصدره رئيس الجمهورية بأغلبية ثلثي أعضائه سقط ما له من أثر من تاريخ الإعتراض .

م ٥٤ - يصدر رئيس الجمهورية القرارات اللازمة لترتيب المصالح العامة ، ويشرف على إدارتها .

م ٥٥ - رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة .

م ٥٦ - رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات ، ويبلغها مجلس الأمة ، وتكون لها قوة القانون بعد إبرامها والتصديق عليها ونشرها وفقا للأوضاع المقررة ، على أن معاهدات الصلح والتحالف والتجارة والملاحة وجميع المعاهدات التي يترتب عليها تعديل في أراضي الدولة أو التي تتعلق بحقوق السيادة ، أو التي تحمل خزانة الدولة شيئاً من النفقات الواردة في الميزانية ، لا تكون نافذة إلا إذا وافق عليها مجلس الأمة .

م ٥٧ - لرئيس الجمهورية حق إعلان حالة الطوارئ .

م ٥٨ - تتكون ج . م . ع من إقليمين هما : مصر وسوريا ويشكل لكل منهما مجلس تنفيذي يعين بقرار من رئيس الجمهورية ، ويخص بدراسة وفحص الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للإقليم .

الفصل الرابع القضاء

م ٥٩ - القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون ، ولا يجوز لأية سلطة التدخل في القضايا أو شئون العدالة .

م ٦٠ - القضاة غير قابلين للعزل ، وذلك على الوجه المبين في القانون .

م ٦١ - يرتب القانون جهات القضاء وتعيين إختصاصاتها .

م ٦٢ - جلسات المحاكم علنية ، إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام أو الآداب .

م ٦٣ - تصدر الأحكام وتنفذ باسم الأمة .

الباب الرابع أحكام عامة

- م ٦٤ - مدينة القاهرة عاصمة ج . م . ع .
م ٦٥ - يبين القانون العام الوطنى والأحكام الخاصة به ، كما يبين القانون شعار الدولة والأحكام الخاصة به .
م ٦٦ - لا تسرى أحكام القانون إلا على ما يقع من تاريخ العمل بها ، ولا يترتب عليها أثر فيما وقع قبلها ، ومع ذلك يجوز فى غير المواد الجنائية النص فى القانون على خلاف ذلك بموافقة أغلبية أعضاء مجلس الأمة .
م ٦٧ - تنشر القوانين فى الجريدة الرسمية خلال أسبوعين من إصدارها ويعمل بها بعد عشرة أيام من تاريخ نشرها ، ويجوز مد هذا الميعاد أو تقصيره بنص خاص فى القانون .

الباب الخامس أحكام إنتقالية وختامية

- م ٦٨ - كل ما قرره التشريعات المعمول بها فى كل من إقليمى مصر وسوريا عند العمل بهذا الدستور ، تبقى سارية المفعول فى النطاق الإقليمى المقرر بها عند إصدارها . ويجوز إلغاء هذه التشريعات أو تعديلها وفقا للنظام المقرر لهذا الدستور .
م ٦٩ - لا يترتب على العمل بهذا الدستور الإخلال بأحكام المعاهدات والإتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سوريا ومصر بين الدول الأجنبية ، وتظل هذه المعاهدات والإتفاقيات سارية المفعول ، فى النطاق الإقليمى المقرر لها عند إبرامها ، وفقا لقواعد القانون الدولى .
م ٧٠ - إلى أن يتم تنفيذ الخطوات النهائية لوضع ميزانية واحدة تصدر إلى جانب ميزانية الدولة ميزانية خاصة يعمل بها فى كل من النظام الإقليمى الحالى لكل من سوريا ومصر ..
م ٧١ - يستمر ترتيب المصالح العامة ، والنظم الإدارية القائمة عند العمل بهذا الدستور

معمولا بها في كل من سوريا ومصر إلى أن يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية .

م ٧٢ - يكون المواطنون. إتحادا قوميا للعمل على تحقيق الأهداف القومية ولحث الجهود لبناء الأمة بناء سليما من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتبين طريقة تكوين هذا الإتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .

م ٧٣ - يعمل بهذا الدستور المؤقت إلى حين إعلان موافقة الشعب على الدستور النهائي للجمهورية العربية المتحدة .

ثانياً : ميثاق الدولة العربية المتحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية (٨/٣/١٩٥٨ م)

الباب الأول الإتحاد

- ١ - ينشأ إتحاد يسمى « الدول العربية المتحدة » يتكون من ج . م . ع والمملكة المتوكلية اليمنية والدول العربية التي تقبل الانضمام إلى هذا الإتحاد .
- ٢ - تحتفظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم الخاص بها .
- ٣ - مواطنو الإتحاد متساوون في الحقوق والواجبات العامة .
- ٤ - لكل مواطن في الإتحاد حق العمل وتولى الوظائف العامة في البلاد المتحدة دون تفرقة وفي حدود القوانين .
- ٥ - حرية التنقل في الإتحاد مكفولة في حدود القانون .
- ٦ - تتبع الدول الأعضاء السياسة الخارجية الموحدة التي يضعها الإتحاد .
- ٧ - يتولى التمثيل السياسي والقنصلي في الخارج هيئة واحدة في الأحوال التي يقدر فيها الإتحاد ذلك .
- ٨ - يكون للإتحاد قوات مسلحة موحدة .
- ٩ - تنظم الشؤون الاقتصادية للإتحاد وفقاً لخطط مرسومة تهدف إلى تنمية الإنتاج وإستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنسيق النشاط الإقتصادي .

- ١٠ - ينظم القانون شئون النقد فى الإتحاد .
- ١١ - ينشأ بين البلاد المتحدة إتحاد جمركى وذلك بالشروط والأوضاع التى يحددها القانون .
- ١٢ - ينظم القانون مراحل ووسائل تنسيق التعليم والثقافة فى الإتحاد .

الباب الثانى السلطات

- ١٣ - يشرف على شئون الإتحاد مجلس يسمى المجلس الأعلى يشكل من رؤساء الدول الأعضاء .
- ١٤ - يعاون المجلس الأعلى فى مباشرة سلطاته مجلس يسمى مجلس الإتحاد .
- ١٥ - يشكل مجلس الإتحاد من عدد متساو من ممثلى الدول الأعضاء ويبين القانون عدد أعضاء المجلس ومدة عضويتهم والأحكام الخاصة بهم .
- ١٦ - تكون رئاسة مجلس الإتحاد سنوياً بالتناوب بين الدول الأعضاء وترشح الدول التى تمت نوبتها من يتولى الرئاسة على أن يكون للرئيس نائب أو نواب من الدولة أو الدول الأعضاء فى الإتحاد .
- ١٧ - يختص المجلس الأعلى برسم السياسة العليا للإتحاد فى المسائل السياسية ، والدفاعية والإقتصادية والثقافية وإصدار القوانين اللازمة فى هذا الشأن وهو المرجع الأعلى فى تحديد الاختصاصات ، وتصدر قرارات المجلس بالإجماع .
- ١٨ - يصدر المجلس الأعلى القوانين الإتحادية التى يختص بإصدارها وفقاً لأحكام هذا الميثاق ، وذلك بعد موافقة السلطات المختصة فى كل دولة .
- ١٩ - يعين المجلس الأعلى القائد العام للقوات المسلحة للإتحاد .
- ٢٠ - تصدر الميزانية العامة للإتحاد بقرار من المجلس الأعلى ويعين القانون مواردها والحصص التى تؤديها كل دولة من الدول .
- ٢١ - مجلس الإتحاد هو الهيئة الدائمة للإتحاد ويتولى النظر فى الشؤون السياسية ويضع البرنامج السنوى المتضمن النظم والتدابير المؤدية إلى تحقيق الوحدة .
- ٢٢ - تعرض قرارات مجلس الإتحاد وبرنامج السنوى الذى يضعه على المجلس الأعلى للإتحاد للتصديق عليها ويبت المجلس الأعلى فى القرارات التى أصدرها

مجلس الإتحاد وإعترضت إحدى الدولتين أو الدول .

٢٣ - تتبع مجلس الإتحاد الهيئات الآتية .

أ - مجلس الدفاع .

ب - المجلس الإقتصادي .

ج - المجلس الثقافي .

وتعرض قرارات هذه الهيئات على مجلس الإتحاد للتصديق عليها .

٢٤ - يبين القانون طريقة تشكيل الهيئات التابعة لمجلس الإتحاد وإختصاصاتها .

الباب الثالث أحكام عامة وانتقالية

٢٥ - يصدر بتعيين المقر الدائم لإتحاد الدول العربية وحدوده قرار من المجلس الأعلى ويعقد مجلس الإتحاد والهيئات التابعة له جلساته في المدينة التي يحددها بصفة دورية .

٢٦ - يبين القانون القواعد التي تسرى على إقليم المقر الدائم للإتحاد .

٢٧ - تكون للقوانين الإتحادية قوة إلزامية في البلاد المتحدة ويعمل بها بعد ١٥ يوماً من تاريخ نشرها في الجريدة الرسمية للإتحاد ما لم ينص القانون على غير ذلك .

٢٨ - يعين رئيس كل دولة وزيراً لدى الدول العربية المتحدة ويختص بالإشراف على تنفيذ قرارات الإتحاد في الإقليم الذي يتبعه .

٢٩ - يعين رئيس كل دولة وزيراً نائباً عنه لدى رئيس أو رؤساء الدول الأخرى ويكون له صفة الوزراء المحليين .

٣٠ - يلغى التمثيل السياسي بين الدول أعضاء الإتحاد .

٣١ - تسرى القواعد الجمركية المعمول بها في الدول أعضاء الإتحاد إلى أن ينظم الإتحاد الجمركي بينها وفي خلال ذلك يجوز أن يضع القانون نظاماً جمركياً خاصاً للعمل بين الدول الأعضاء .

٣٢ - يعمل بهذا الميثاق من تاريخ الموافقة عليه وذلك إلى حين وضع النظام الدائم للإتحاد .

دمشق في ١٦ شعبان ١٣٧٧هـ الموافق (٨ مارس «آذار» سنة ١٩٥٨م)

الفصل السابع
عبد الناصر وإنجازات الداخل



عبد الناصر ... وإنجازات الداخل

بلا شك ، كان للحقبة الناصرية إنجازاتها الإيجابية على صعيد الداخل مثلما كان لها إنجازاتها على صعيد الصراع الخارجى والعلاقات الدولية ، وكان نجوار هذه الإيجابيات ، سلبيات عديدة ، وكان النظر إلى تلك الإيجابيات والسلبيات ، مختلفاً بين المدارس الفكرية المختلفة ، وأن النقد الحاد بالطبع من قبل الإسلاميين - خاصة الراديكاليين - منهم (كما سنرى) .

* وفى هذا الفصل الذى نعقده لإنجازات عبد الناصر بوجهيها (السلبى والإيجابى) ، سوف نكتشف ، وسعى لإكتشاف حقيقة ما حدث بالفعل فى الداخل المصرى . وفى سبيلنا لهذا الإكتشاف سنتعرض بالتحليل للمحاور التالية :

أولاً : المدركات الناصرية لقضايا الداخل (التنمية والإشتركية) .

ثانياً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤى متعاطفة .

ثالثاً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤى إسلامية .

رابعاً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤى موضوعية .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : المدركات الناصرية لقضايا الداخل : التنمية والإشتركية :

يمكننا أن نبلور مدركات عبد الناصر ، ونحددها تجاه مسائل التنمية والتطبيق الإشتراكى بالنظر الهادىء فيما أورده الميثاق الوطنى المعبر عن إيديولوجية النظام الناصرى ، فى فصله

الثامن والمعنون بـ (مع التطبيق الاشتراكي ومشاكله) وفيه يرى عبد الناصر أن العمل الإنساني الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع ولكي يحقق أهدافه ، ويرى أن العمل شرف . والعمل حق . والعمل واجب . والعمل حياة . وإن العمل الإنساني هو المفتاح الوحيد للتقدم .

وإن طبيعة العصر لم تعد تقبل وسيلة للأمل غير العمل الإنساني .

لقد استطاعت مجتمعات أخرى في قرون سابقة أن تحقق إنطلاقها بتوفير الإستثمارات للتنمية الوطنية عن طريق نهب أموال المستعمرات وإستغلال ثروات الشعوب وتسخيرها للعمل العبودي من أجل غيرها .

ويرى الميثاق أنه في مجتمعات أخرى تحقق الإنطلاق تحت ظروف سخرت فيها الطبقة العاملة بطريقة تتنافى مع الإنسانية لصالح الإحتكارات الرأسمالية الوطنية أو الأجنبية .

كذلك تحقق في تجارب أخرى تحت ضغط بالغ القسوة على الأجيال الحية سلبها كل ثمار عملها من أجل الغد الموعود الذي لم يتسطع أن تراه أو وصلت إليه وهي تحمل على قلبها أقبالاً من الكبت النفسي وتؤرق خيالاتها أشباحاً من الإرهاب والطغيان .

إن طبيعة العصر لا تحمل ذلك كله الآن .

إن البشرية تنهت إلى شرور الإستعمار ونذرت نفسها للقضاء عليه .

والطبقة العاملة لا يمكن أن تساق بالسخرة إلى تحقيق أهداف الإنتاج . والطاقات المبدعة للشعوب تستطيع أن تصنع الغد دون أن تساق إليه بخمات الدم الجماعية .

إن التقدم العلمي يجعل الوصول إلى الإنطلاق بغير هذه الوسائل البالية كلها أمراً ممكناً وقابلاً للتحقيق .

كذلك فإن طبيعة العصر ومثله العليا تجعل إستعمال مثل هذه الوسائل القديمة أمراً مستحيل الحدوث .

إن العمل الوطني المنظم ، القائم على التخطيط العلمي هو طريق الغد .

ويذهب الميثاق إلى أن العمل الوطني على أساس الخطة لابد أن يكون محدداً أمام أجهزة

الإنتاج على جميع مستوياتها بل أن مسؤوليته كل فرد في هذا العمل يجب أن تكون واضحة أمامه حتى يستطيع أن يعرف في أى وقت من الأوقات مكانه في العمل الوطنى :

إن ذلك يقتضى أن تتحرك الخطة الشاملة فى أهدافها الإقتصادية والاجتماعية إلى برامج تفصيلية تكون فى متناول يد أجهزة الإنتاج . إن ذلك يقتضى ربط الإنتاج كما ونوعا بحدود زمنية تلتزم بها القوى المنتجة على أن تتم العملية كلها فى إطار الإستثمارات المخصصة .

إن الكم والنوع فى عملية الإنتاج لا يمكن فصلهما عن حساب الزمن وحساب التكلفة . وإلا أفلت التوازن الحيوى لعملية الإنتاج وتعرضت الأخطار . والأمر كذلك أيضا فى برامج الخدمات .

إن وعى كل مواطن بمسؤوليته المحددة فى الخطة الشاملة . كذلك إدراكه المحدد لحقوقه المؤكدة من نجاحها هو فضلا عن كونه توزيعاً للمسؤولية على نطاق الأمة كلها بما يعزز احتمالات الوصول إلى الأهداف . هو فى الوقت ذاته عملية إنتقالية ثورية بمعنى العمل الوطنى من العموميات الشائعة المبهمة والغامضة إلى وضوح ذهنى وعملى يربط الإنسان الفرد فى نضاله اليومى بحركة المجتمع كلها ويشده فى إتجاه التاريخ كما أنه يوجه به حركة التاريخ فى نفس اللحظة .

ومن وجهة نظر الميثاق أن فلسفة العمل الوطنى يجب أن تصل إلى جميع العاملين فى الوطن فى كافة المجالات . بل ويجب أن تصل إليهم بالطريقة الأكثر ملاءمة بالنسبة لكل منهم . إن ذلك يكفل دائماً أن يكون الفكر على إتصال بالتجربة وأن يكون الرأى النظرى على إتصال بالتطبيق التجريبي .

إن الوضوح الفكرى أكبر مما يساعد على نجاح التجربة ، كما أن التجربة بدورها تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة تؤثر فى الواقع وتتأثر به . ويكتسب العمل الوطنى من هذا التبادل الخلاق إمكانيات أكبر لتحقيق النجاح .

وإنه لمن الزم الأمور هناك تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها للمستقبل . كما أنها تستكمل حلقة هامة فى الصلة بين الفكرة والتجربة .

وفى موضع آخر من الميثاق يرى أنه من الأمور اللازمة تشجيع كل المسئولين عن العمل

الوطني أن يكتبوا أفكارهم لتكون أمام المسؤولين عن التنفيذ كذلك من الضروري تشجيع كل القائمين بالتنفيذ أن يكتبوا ملاحظاتهم لتكون أمام المسؤولين عن التوجيه أن ذلك أمراً لا يمكن أن يترك للصدفة أو الإرتجال . وإنما ينبغي تنظيمه .

إن تنظيمه سوف يوفر للعمل الوطني ذخيرة هائلة بغير حدود لآفاق الفكر ممتزجة بدقائق التنفيذ العملي ، إن هذه الذخيرة سوف تساهم في رفع رصيد الكفاية الوطنية وتعميم نطاق الاستفادة بها .

إن فترات التغيير الكبرى بطبيعتها حافلة بالأخطار التي هي جزء من طبيعة المرحلة . على أن التأمين الأكبر ضد هذه الأخطار كلها هو ممارسة الحرية وخصوصاً بواسطة المجالس الشعبية المنتخبة .

أن العمل الوطني كله . وعلى جميع مستوياته لا يمكن أن يصل سليماً إلى أهدافه إلا بطريق الديمقراطية .

وعن وسيلة الديمقراطية يقول الميثاق :

ووسيلة الديمقراطية أن تتوفر الحرية في مراكز الإنتاج جميعها لكي يتمكن جميع العاملين فيها من أن يعطوا كل جهدهم الفنى والوطني من أجل كمال العمل على أن يتم ذلك بالطبع تحت إحكام تسلسل المسؤولية .

كذلك فإن وسيلة الديمقراطية أن تتحقق سلطة المجلس الشعبية على جميع مراكز الإنتاج وفوق كل أجهزة الإدارة المركزية أو المحلية .

إن ذلك يضمن للشعب باستمرار أن يكون سلطة تحديد أهداف الإنتاج ، وأن يكون في الوقت ذاته سلطة الرقابة على تنفيذها .

إن ممارسة النقد والنقد الذاتي يمنح العمل الوطني دائماً فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها دائماً مع الأهداف الكبيرة للعمل .

إن أى محاولة لإخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها في النهاية نضال الشعب وجهده للوصول إلى التقدم .

وإذا سمحت القيادات الشعبية بأن يحدث ذلك فإنها لا تكون مقصرة في حق الشعب

الذى صدرها للقيادة فقط وإنما هى فى نفس الوقت تكون قد عزلت نفسها عن جماهيرها وفقدت إتصالها بها . وسلمت بعدم قدرته على حل مشاكلها وبالتالي يصبح ولا مفر أمامها من أن تتنحى أو يسقطها الشعب ويسحب منها ما أسلمه إليها من مسئولية القيادة ..

إن حرية النقد البناء والنقد الذاتى الشجاع ضمانات ضرورية لسلامة البناء الوطنى ، لكن ضرورتها أوجب فى فترات التغيير المتلاحق خلال العمل الثورى .

إن ممارسة الحرية على هذا النحو ليست لازمة فقط لحماية العمل الوطنى ولكنها لازمة لتوسيع قاعدته وتوفير الضمان للذين يتصدون له ، فممارسة الحرية على هذا النحو سوف تكون الطريق الفعال لتجنيد عناصر كثيرة قد تتردد قبل المشاركة فى العمل الوطنى والحرية هى الوسيلة الوحيدة للقضاء على سلبيتها وتجنيدتها إختيارياً لأهداف النضال .

ويرى الميثاق أن ممارسة الحرية بعد العملية الثورية الهائلة لإعادة توزيع الثروة الوطنية فى يوليو سنة ١٩٦١م لا تشكل خطراً على أمن النضال الوطنى ، بل أنها صمام الأمان له فإنها تخلق القوة الشعبية القادرة على الانقضاء على كل محاولة للتآمر والقيام بالتفاف لسلب الشعب ثمار نضاله .

كذلك فإن ممارسة الحرية تخلق القيادات المتجددة للعمل الثورة وتوسع هذه القيادات وتدفعها دائماً إلى الأمام وتخلق قيادة من التفكير الجماعى القادر على صد نزعات التحكم الفردى . من ثم فهى توفر للعمل الوطنى ضمانات بعيدة المدى .

إن حرية القيادات يجب أن تستمد حقها من حرية القواعد الشعبية ولا تستطيع القيادات أن تمارس عملها بالإكراه والتعصب .

إن القيادة الحقيقية هى الإحساس بمطالب الشعب والتعبير عنها وإيجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها .

ولابد فى الدستور الجديد من تنظيم عملية رجوع القيادات الشعبية إلى قواعدها وتأكيد مسئوليتها أمام المتابع الأصلية لقوتها . ولابد لنا أن نذكر دائماً أن القواعد الشعبية مفعمة بالثورية الطبيعية وأن ثورية القواعد وإلحاحها الدائم من أجل التقدم سوف يكون قوة دافعة لثورة القيادة .

إن تحريك طاقات الشعب إلى العمل لا يجب أن يتم عن طريق إغراق الجماهير في الأمل .
أن التغير الكبير بطبيعته يصاحبه تطلع بعيد المدى إلى الأهداف المرجوة من النضال . لكنه
من إلزام الواجبات في تلك الفترة أن تتضح أمام الشعب بجلاء صعوبة الوصول إلى الأهداف
المرجوة . ان مجرد التغير الثورى فى أوضاع المجتمع القديم لا يحقق أحلام الجماهير ولكن
الجهود المتواصلة هى وحدها القادرة على الوصول إلى الأحلام .

وليس من حق أحد فى هذه المرحلة أن يخذع الجماهير بالمنى . وإنما تقتضى الأمانة الثورية
أن تكون لدى الجماهير صورة كاملة لمسئولياتها بلوغاً لآمالها .

إن ذلك أمر ينبغى وضعه موضع الاعتبار طول الوقت . وينبغى أن يصاحبه تقدير
للتطلعات الكبرى للجماهير . وتقدير فى الوقت ذاته للروح المعنوية لدى المسئولين عن قيادة
العمل تحقيقاً لهذه التطلعات .

ويرى الميثاق أن المراهقة الفكرية خطر ينبغى التصدى له والقضاء عيه . أن الذين يجمدون
الكفاح الوطنى بتفسيرات أو قوالب تحد قدرته على الإنطلاق أو تشيع فيه روح التردد إنما
يقللون من قوة المجتمع بقدر ضعفهم وعدم قدرتهم على التفكير الخلاق المنبعث من الواقع
الوطنى .

إن التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظة عالية الرنين .

إن تحرير الطاقات الخلاقة لأى شعب من الشعوب يرتبط بالتاريخ ويرتبط بالطبيعة ويرتبط
بالتطورات السائدة والمؤثرة فى العالم الذى يعيش فيه .

ليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من فراغ وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته .
إن الخطر فى المراهقة الفكرية فى هذه المرحلة إنما تخلق نوعاً من الإرهاب المعنوى يعرقل
التجربة والخطأ .

وفى موضع آخر من الميثاق يرى أن القيادات الجديدة المتصدية لتحريك التطوير الوطنى
قوة هائلة لا بد من حمايتها لتؤدى رسالتها الوطنية بالنجاح المطلوب . إن الثورة التى يملكها
هذا الوطن صانع الحضارة من الخبراء والفنيين فى جميع المجالات قيمة هائلة لا بد من الحرص
عليها وتنميتها وحمايتها .

وفي بعض الأحيان فإن هذه القيادات في حاجة إلى حمايتها من نفسها .

إن هذه القيادات قد تقع في خطأ أن المشاكل الكبرى للتطوير الوطنى تحل خلال التعقيدات المكتبية والإدارية . إن هذه التعقيدات تضع أعباء جديدة على العمل الوطنى دون أن تساعد .

إنها قادرة لو تركت لخطأ وهما أن تصبح طبقة عازلة تحول دون تدفق العمل الثورى وتجمد وصول نتائجه عن الجماهير التى تحتاج إليه . إن أجهزة العمل الإدارى ترتكب غلطة العمر إذا ما تصورت أن أجهزتها الكبيرة غاية في حد ذاتها . إن هذه الأجهزة ليست إلا وسائل لتنظيم الخدمة العامة وضمان وصولها على نحو سليم إلى الجماهير .

وبنفس المقدار فإن التنازع على السلطات يؤدى إلى شلل القيادات العاملة في التطوير الوطنى إذ تصبح كل منها عقبة أمام جهود أخرى . تجمد عملها وتلغى آثاره . كذلك فإن تكديس سلطات كبيرة في أيد قليلة يؤدى دون جدال إلى إنتقال السلطة الحقيقية إلى غير المسئولين عنها بالفعل أمام الشعب .

لقد كان هذا الاعتبار هو المصدر الحقيقى للقانون الثورى الذى صدر بأن يكون هناك عمل واحد للرجل الواحد إن ذلك لم يكن إجراء عدل فقط ولكنه كان محاولة للوصول إلى أن يكون الفرد المناسب في العمل المناسب لخبرته وقدرته .

والقيادات الجديدة لابد لها أن تعى دورها الإجتماعى ، وإن أخطر ما يمكن أن تتعرض له في هذه المرحلة هو أن تنحرف متصورة أنها تمثل طبقة جديدة حلت محل الطبقة القديمة وانتقلت إليها إمتيازاتها .

وفي موضع آخر من الميثاق يرى أن قيادة المشروعات الكبرى في عملية التطوير في حاجة أيضا إلى أن تؤمن بأن الإسراف حتى وإن لم تتبعه إستفادة شخصية هو نوع من الإنحراف فإنه إهدار لثروة الشعب التى هي وقود معركة التطوير .

والإسراف يشمل التضخم في مصاريف الإنتاج التى لا مبرر لها كما أنه يشمل في الوقت ذاته عدم تقدير المسئولية في دراسة المشروعات الجديدة . ويمتد إلى الإهمال في التنفيذ بدون اليقظة الواجبة لسلامة العمل .

إن تلك كلها من سمات مرحلة التغيرات الكبرى ومن أخطارها ولكن السيطرة عليها والحد من تأثيرها ممكن بممارسة الحرية .

إن العمل الثورى لا بد له أن يكون عملاً علمياً .

إن الثورة ليست عملية هدم انقراض الماضى ولكن الثورة هى عملية بناء المستقبل .

وإذا تخلت الثورة عن العلم فمعنى ذلك أنها مجرد إنفجار عصبى تنفس به الآمه عن كبتها الطويل . ولكنها لا تغير من واقعها شيئاً .

إن العلم هو السلاح الحقيقى للإرادة الثورية ومن هنا الدور العظيم الذى لا بد للجامعات والمراكز العلم على مستوياتها المختلفة أن تقوم به .

من وجهة نظر عبد الناصر فى ميثاقه أن الشعب هو قائد الثورة والعلم هو السلاح الذى يحقق النصر الثورى .

والعلم وحده والذى يجعل التجربة والخطأ فى العمل الوطنى تقدماً مأمون العواقب . وبدون العلم فإن التجربة والخطأ تصبحان نزعات إعتباطية قد تصيب مرة ولكنها تخطئ عشرات المرات .

إن مسئولية الجامعات ومعاهد البحث العلمى فى صنع المستقبل لا تقل عن مسئولية السلطات الشعبية المختلفة .

إن السلطات الشعبية بدون العلم قد تستطيع أن تثير حماسة الجماهير لكنها بالعلم وحده تقدر على العمل تحقيقاً لمطالب الجماهير .

ومن هذا التصور فإن الجامعات ليست أبراجاً عاجية ولكنها طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحياة .

ويقول الميثاق فى موضع آخر أن قدرتنا على التمكن من فروع العلم المختلفة هى الطريق الوحيد أمامنا لتعويض التخلف . بل أن النضال الوطنى إذا ما اعتمد على العلم المتقدم يستطيع أن يمنح نفسه فرصة أعظم للإنطلاق تجعل التخلف السابق ميزة أمام ما سوف يحققه التقدم الجديد .

إن الأمم التي أرغمت على التخلف . إذا ما استطاعت أن تبدأ الآن معتمدة على العلم المتقدم تضمن لنفسها نقطة بداية تفوق النقطة التي بدأ منها الذين سبقوها إلى المستقبل . ومن ثم تمنح نفسها قوة إندفاع أشد في اللحاق بهم والسبق عليهم .

إن المشاكل الإقتصادية والاجتماعية الكبرى التي يتصدى شعبنا اليوم لمواجهتها لابد لها من حلول علمية .

على أن مراكز البحث العلمى الآن مطالبة في هذه المرحلة من النضال ان تطور نفسها بحيث يكون العلم للمجتمع .

إن العلم للعلم في حد ذاته مسئولية لا تستطيع طاقتنا الوطنية في هذه المرحلة أن تتحمل أعباءها .

لذلك فإن العلم للمجتمع يجب أن يكون شعار الثورة الثقافية في هذه المرحلة على أن بلوغ النضال الوطنى لأهدافه . سوف يسمح لنا في مرحلة متقدمة من تطورنا بأن نساهم إيجابياً مع العالم في العلم للعلم .

وليس العلم للمجتمع عقبة تفرض على العلماء أن يلتزموا بمشاكل الخبر المباشرة وحدها ، إن ذلك يصبح تفسيراً ضيقاً لرغيف الخبز الذى نريده . إننا لا نستطيع أن نتقاعس لحظة عن الدخول منذ الآن في عصر الذرة .

ويرى الميثاق أننا تخلفنا من قبل عن عصر البخار وعن عصر الكهرباء . ولقد كلفنا هذا التخلف مع أن ظروف القهر الإستعماري الرجعى هي التي فرضته علينا كثيراً . وما زال يكلفنا الكثير . لكننا مطالبون الآن وعصر الذرة يشرق فجره على الدنيا أن نبدأ الفجر مع الذين بدأوه .

إن الطاقة الذرية من أجل الحرب ليست هدفنا ولكن الطاقة الذرية في خدمة الرخاء قادرة على أن تصنع المعجزات في معركة التطوير الوطنى .

على أنه يتعين علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التي تستمدّها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات .

إن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة . كما

أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الإحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات .

ويختتم عبد الناصر مدركاته في (الميثاق الوطنى) لأسس التقدم ورحانيتها بقوله :
وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فإن الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل والعليا وأشرف الغايات والمقاصد .
تلك هى مدركات عبد الناصر وبتفصيل لما يقصده بالتنمية وبالتطبيق الإشتراكى ومشاكله فى مصر .. ترى هل صادف الواقع تحقيقاً فعلياً لهذه المدركات أم أنه شهد قبرها ووأدها ؟
ذلك ما ستفصله المحاور التالية .

ثانيا : الإنجازات الناصرية فى الواقع « رؤى متعاطفة » :

هناك رؤى لعدد من المباحثين ، والتيارات الفكرية والسياسية يمكن أن تصنف فى خانة التعاطف مع التجربة الناصرية على صعيد الإنجازات الداخلية التنموية ومن هذه الرؤى نأخذ بعضاً منها كنموذج :

(١) التنمية المستقلة :

يرصد أصحاب هذه الرؤى أن قرارات ثورة يوليو توالى فى شتى المجالات منذ بدئها عام ١٩٥٢م^(١) قانون الإصلاح الزراعى ينزع سلاح الأرض من أيدي الإقطاعيين ويعيد توزيع الأرض على صغار الفلاحين .. تمصير للشركات الأجنبية - إنشاء المجلس الدائم للتنمية الإنتاج القومى .. إنشاء المؤسسة الاقتصادية نواة القطاع العام .. وبدأ تنفيذ برنامج شامل للتصنيع عام ١٩٥٨ م . وما أن بدأت سنوات الستينات حتى أنهى عبد الناصر الجدل الدائر حول إختيار طريق التنمية الإقتصادية ، بإختيار طريق التنمية المستقلة وذلك بعد سنوات من التجارب المتتالية سواء مع رأس المال الأجنبى فى بداية الثورة ، أو مع رأس المال المحلى بعد عدوان السويس ، فقد عدلت حكومة الثورة القانون لترفع نسبة مساهمة

(١) كنموذج لهذه الرؤى انظر الملف الذى نشرته مجلة الموقف لعرفى عدد يونيو ١٩٨٣ عن ثورة يوليو
وكانت أبرز دراساته فى مجالات التنمية (دراسة عبد القادر شبيب) ودراسة (عبد الفتاح الجبالي)
ودراسة (على فهمى) وسوف نستند فى فرعية التنمية المستقلة على هذه الدراسات .

رأس المال الأجنبي في المشروعات إلى ٥١٪ ورغم ذلك لم يزد ما دخل مصر من إستثمارات أجنبية خلال عامي ٥٣ - ١٩٦١م عن ٨,٧ مليون جنيه فقط .

وأغدقت حكومة الثورة على الرأسماليين إمتيازات لم يحلموا بها - وفقاً لأصحاب نفس الرؤية المتعاطفة - مثل خفض الرسوم الجمركية على إستيراد الآلات الزراعية ومستلزمات الإنتاج الصناعي ، وإعفاءات ضريبية وتسهيلات إئتمانية وضمان حد أدنى من الإنتاج وتقديم الأراضي مجاناً أو بتسهيلات وعمل مجلس الإنتاج القومي مستشاراً فنياً للرأسماليين ، يدرس لهم المشروعات ويقدمها صالحة للتنفيذ ومع ذلك عزفت الرأسمالية عن المشاركة في المشروعات الجديدة . وظلت تركز إهتماماً على الإستثمار في الصناعات الخفيفة والمباني السكنية ، وكانت النتيجة هبوطاً في الإنتاج الصناعي بمعدل ٤٪ عام ١٩٥٤م ، بينما كان قد وصل إلى ٦٪ عامي ١٩٤٩ . ومن هناك ان على الثورة أن تبحث عن سبيل آخر للتنمية لا يعتمد على رأس المال الأجنبي ولا على رأس المال المحلي الخاص ، بعد أن خذلها الرأسماليون الأجانب والمصريون ، وبعد أن تعرضت جهودها للتصنيع والتنمية للمضايقات والمتاعب منهم ، مثل رفض البنك الأهلي تمويل تجارة القطن والمضاربة على سعر الجنية المصري في الخارج وتهريب الأموال للخارج أيضاً .

وكان هذا الطريق هو طريق التنمية المستقلة ، ويقوم على ثلاث دعائم : قطاع عام كبير يضطلع بأعباء عملية التنمية . ولذلك تمت حركة التأميمات عامي ١٩٦١م ، ١٩٦٤م ، التي وضعت في يد الدولة دخلاً كبيراً ومستمراً لتمويل التنمية .. وخطه للتنمية متوسطة وطويلة المدى ، ولذلك وضعت ونفذت أول خطة للتنمية الإقتصادية في مصر (٦٠ - ١٩٦٥م) ودور كبير ومسئول للدورة في الحياة الإقتصادية ولذلك إتسع إشراف الدولة على عديد من الأنشطة الإقتصادية ، بدءاً بسياسات الإستثمار والإنتاج والإدخار ، ومروراً بعمليات النقد الأجنبي وإنهاءً بالتجارة الخارجية ... وأخيراً قيود على التراكم الرأسمالي الفردي في البلاد من خلال قوانين الإستثمار والتجارة والضرائب .

ويضاف إلى كل هذه المقومات .. الإهتمام بعد إتاحة الفرصة لأي سيطرة أجنبية على البلاد ، بتحجيم هذا الوجود ، وعدم السماح بقيام أى علاقات إقتصادية مباشرة بين رأس المال المحلي الخاص وبين رأس المال الأجنبي ، من خلال عمليات التخصيص للمصالح الأجنبية في مصر وحظر أعمال الوكالة لرأس المال الأجنبي على المصريين في القطاع الخاص ، وإحتكار



داخل أحد أنفاق السد العالى فى أسوان



السد العالي

القطاع العام والدولة لعمليات التجارة الخارجية والتعامل النقدي مع الخارج .

أما عن نتائج التجربة وفقا لدراسة عبد القادر شبيب (مصدر سابق) فيمكن إيجازها في أنها أصابت الخطة الخمسية الأولى لتنمية قدراً كبيراً من النجاح . وبلغ مجموع الاستثمار خلالها نحو ١٥٠٠ مليون جنية وارتفعت نسبة الاستثمارات إلى الناتج المحلي من ٥٪ قبل الثورة في أحسن الأحوال إلى ١٨٪ خلال سنوات الخطة . وإن كانت قد عادت إلى ٥٪ عام ١٩٧٤م ، وهو العام الذى شهد بداية التحول عن تجربة التنمية المستقلة في مصر ، والأخذ بما سمي بسياسة الإنفتاح الإقتصادي والتي تعتمد على رأس المال الأجنبي وترتبط بحركة الرأسمالية العالمية .

وحظيت الزراعة بنصيب هام من الاستثمارات خلال سنوات الخطة الخمسية (٦٠/١٩٦٥م) . وكان السد العالي أهم عناصر الاستثمار الزراعى . وحقق - كما يقول الدكتور الجريتلى فى كتابه - أغلب الأهداف المتوخاة منه وزاد إستصلاح الأراضى إلى حوالى ٨٣٠ ألف فدان وتم تحويل نصف مليون فدان إلى الرى الدائم ، وبالإضافة إلى زيادة الطاقة الكهربائية المتاحة . حيث يمد السد العالي حالياً البلاد بنصف طاقتها ، الكهربائية .

ومنذ قيام الثورة وحتى موت عبد الناصر تم إستصلاح ٨٩١ ألف فدان - كما تقول الدراسة التى قدمها الدكتور محمود منصور عبد الفتاح فى المؤتمر العلمى السنوى السادس للإقتصاديين المصريين عام ١٩٨١م . أما خلال سنوات السبعينات - وبعد هجرة تجربة التنمية المستقلة - فقد تم إستصلاح ٢١ ألف فدان فقط .

ونجحت الثورة فى تنمية شبكة الكهرباء بالتعاون مع فرنسا ومصانع الأدوية بالتعاون مع سويسرا وألمانيا وأمريكا والسوفيت ، وجمع الألومنيوم بالتعاون مع السوفيت ، ومصانع النسيج بالتعاون مع الهند وألمانيا وكانت الشركات الأمريكية تعمل فى مجالات البترول .

وساهم السوفيت من بين كل هؤلاء - كما شهد بذلك الدكتور عزيز صدقى - بدور كبير فى إقامة هذه القاعدة الصناعية ، وذلك بتقديم العون والخبرة والقروض لبناء ترسانات السفن وأحواض بنائها ومصانع للزيوت والحديد والصلب والأسمنت والألومنيوم . وكانت أهم مساهمة لهم فى بناء محطات القوى الكهربائية .

ونجحت الثورة أيضا فى بناء الآلاف من الوحدات السكنية لأصحاب الدخول المحدودة

والمتوسطة ومئات من المدارس لأبنائهم .

ووفقاً لأصحاب هذه الرؤى فإن نتيجة لذلك كله إستطاعت ثورة يوليو فى عشر سنوات وتمت قيادة عبد الناصر أن تقوم بتنمية أربعة أضعاف ما إستطاعت تحقيقه مصر فى الأربعين سنة السابقة على قيامها .

ونجحت بالتالى فى زيادة متوسط الدخل الحقيقى للفرد فى مصر بنسبة ٣,٦ خلال سنوات الخطة الخمسية الأولى (٦٠ / ١٩٦٥ م) بينما كانت النسبة ٢٪ فقط خلال السنوات فيما بين (٥٢ - ١٩٦٠ م) ، وتمثل ذلك فى زيادة إستهلاك الفرد خلال سنوات الخطة بنسبة ٢٪ .

ونجحت الدولة أيضاً فى ترتيب الفوارق بين الطبقات الفقيرة وأصحاب الدخل المحدودة . وإرتفع نصيب العمل من ٤٠٪ من الدخل القومى إلى ٤٧٪ فى نهاية الخطة الخمسية الأولى ثم إلى ٤٩,٥٪ فى بداية عام ١٩٧١م ورغم الهزيمة العسكرية . ولكنه لم يلبث أن بدأ فى الهبوط منذ عام ١٩٧٢م . وبدأ الإتجاه الصعودى لأصحاب الملكية فى عصر الإنفتاح . وطبقاً لآخر التقديرات يستأثر الآن الملاك بنسبة ٧٠٪ من الدخل القومى ، أى أكثر من النسبة التى كانوا يحصلون عليها قبل الثورة . وهو ما يعنى أن الفروق الطبقيه ، التى كانت أجد أسباب قيام ثورة يوليو ، أصبحت اليوم أكثر إتساعاً مما كان قبل عام ١٩٥٢م . ورغم ذلك نجد من لا ينجل ويتحدث عن وجود عدالة إجتماعية أو تحسن فى مستوى معيشة الفقراء بشكل عادل .

أما عن مؤشرات توزيع الدخل فى مصر على عهد عبد الناصر مقارنة بعهد السادات مثلاً فإن أول هذه المؤشرات هو النصيب النسبى للأجور فى الناتج المحلى الإجمالى . فإذا تتبعنا هذا المؤشر نجد أنه مر بمرحلتين الأولى من عام ١٩٥٠م حتى ١٩٧١م حيث إرتفع هذا المعدل من نحو ٣٨٪ عام ١٩٥٠م إلى نحو ٤٤٪ عام ٥٩ / ١٩٦٠م واستمر فى الإرتفاع حتى عام ٦٧ / ١٩٦٨م ، حيث بلغ حوالى ٥٠٪ . وقد ظل هذا المعدل ثابتاً خلال الفترة من ١٩٦٧م حتى ٧١ / ٧٢ ويعود ذلك إلى أن هذه الفترة قد شهدت تكثيف الجهود الرامية إلى إعادة توزيع الدخل مثل الإصلاح الزراعى وتخفيض إيجارات المباني السكنية والتأمينات والتحصير وما صاحبها من مزايا للعمال وكذلك تعديل قوانين الضرائب بما يزيد من درجة

تصاعدها وعدلت قوانين الإيجارات لصالح المستأجرين عدة مرات كما حدث توسع هائل في الخدمات الصحية والتعليمية ونظم التأمين .. الخ .

في حين أخذ هذا المعدل في الهبوط خلال فترة السبعينات إلى أن وصل إلى ٤٤,٨ ٪ عام ١٩٧٤م ثم هبطت هذه النسبة إلى ٣٠,٤ ٪ عام ١٩٧٩م . ولا يرجع هذا الانخفاض الكبير في هذه النسبة إلى الزيادة الكبيرة في العوائد البترولية وقناة السويس كما قد يظن البعض . لأن هذا الخلل في توزيع الدخل قد انعكس أيضا على قطاعات الإقتصاد القومى .

فقد إرتفعت عوائد التملك في الزراعة من ٧١,٧ ٪ إلى ٧٨,٣ ٪ بين عامى ١٩٦٩م و ١٩٧٩م وإرتفعت عوائد التملك في قطاع التشييد من ٤٢,١ ٪ إلى ٦١,٨ ٪ ، وأيضا في قطاع التوزيع تضاعفت هذه النسبة من ٤٣,٦ ٪ إلى ٧٥,٤ ٪ خلال نفس الفترة .. وبالطبع فقد سارت الأجور في إتجاه عكسى حيث قلت أهميتها النسبية بنفس القدر حتى أنه بحساب معدل التزايد في كل من الاثنتين خلال العشر سنوات نجد أن الأجور قد إزدادت إلى ٢٧٨ ٪ مما كانت عليه بينما عوائد التملك زادت إلى ٦١٤ ٪ عما كانت عليه .

ولكن يجب ألا يفهم من ذلك أن كل من يحصل على أجر إنما يقع في شرائح الدخل المنخفضة نسبياً فهناك الأجور المرتفعة التى يقع أصحابها في شرائح الدخل المرتفعة وأيضا لا يقل كل من لا يكون دخله في شكل أجر بالضرورة في شرائح الدخل العليا في المجتمع لأن هناك من يعمل في قطاع العمل غير المنظم (مثل الباعة الجائلين) وهؤلاء تكون دخولهم منخفضة رغم أن هذه الدخل لا تأخذ شكل الأجور .

ولا شك أن العامل الأساسى في تقوية هذه الإتجاهات هو سياسة الإنفتاح وذلك نتيجة طبيعية ، لقوانين النمو الرأسمالى من جهة وللخصائص الرأسمالية المحلية وميلها إلى الأنشطة التجارية والطفيلية من جهة أخرى ، وخاصة إذا أخذنا في الحسبان أن هذه السياسة تتيح الفرصة أمام من يملكون عناصر الإنتاج - رأس المال ، الأرض - إستغلالها في مشروعات خاصة وتحقيق أرباح كبيرة من ورائها لما تستمتع به من مزايا وخاصة الإعفاءات الضريبية والتي لا تفرق بين أنواع النشاطات المختلفة في المجتمع . وبالإضافة إلى ذلك التفاوت الموجود بين مرتبات العاملين في القطاع الخاص وبين القطاع العام - وتشير الإحصائيات في هذا الصدد إلى أن مرتبات العاملين في القطاع الحكومى والعاملين بالبنوك المشتركة تتفاوت فيما بينها فتتراوح نسبة إرتفاع المرتبات في أدنى درجات التعيين بنسبة ٦٠ ، ٣٠٠ ٪ وفي حالة

المؤهلات العليا تتفاوت هذه النسبة بين ٩٧٪ ، ٤٥٢٪ وتتضاعف هذه النسب في الإدارة العليا لتصل إلى أكثر من ١٨ ضعفاً لما يتقاضاه شاغله الوظائف العليا في الحكومة .

ومن المؤشرات الأخرى ما أشار إليه تقرير البنك الدولي في عام ٨٠ من إرتفاع نصيب أعلى خمسة في المائة من السكان في مصر من ١٧٪ من الدخل القومي في أواخر الستينات إلى ٢٢٪ في أواخر السبعينات بينما إنخفض نصيب أفقر ٢٠٪ من السكان من ٧٪ من الدخل إلى ٥٪ خلال نفس الفترة .

وهو ما يدل على مدى الخلل الذي حدث في توزيع الدخل في المجتمع المصري ككل خلال فترة السبعينيات عنه في الفترة السابقة عليه .

ووفقاً لدراسة عبد الفتاح الجبالي فلقد شهد الريف المصري تغيرات هامة في صدد توزيع الدخل فيما بين الستينيات والسبعينيات ، فمن المعروف أن قانون الإصلاح الزراعي قد ساعد - بعض الشيء - في تقليل التفاوت بين الدخل في الريف ، ذلك أنه بين سنتي ١٩٥٢م - ١٩٦٥م زاد عدد الملاك لأقل من خمسة أفدنة (وهم ٩٠٪ من الملاك) من ٢,٦ مليون إلى ٣ ملايين تمثل حيازتهم ٥٧٪ من المساحة المنزرعة بعد أن كانت ٥٣٪ فقط . هذا بينما ظل عدد المالكين لأكثر من ٥٠ فداناً على حاله حوالي ١٠,٠٠٠ مالك تناقصت حيازتهم من ٢ مليون فدان إلى نحو ثمانمائة ألف وانخفضت حيازتهم من ٣٤٪ إلى ١٢,٦٪ إلا أنه بدءاً من عام ٧٤ شهد الريف المصري تغييراً في غير صالح صغار المزارعين - فيشير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء - إلى أن المساحة المملوكة لصغار الملاك (أقل من خمسة أفدنة) قد انخفضت بشكل حاد بحوالي ٩٩٢ ألف فدان عن عام ١٩٦٥م ، وهو ما أدى إلى فقد صغار المزارعين لحوالي ١٣٪ من نصيبهم النسبي من أجمالي المساحة الزراعية خلال تسع سنوات فقط وانخفضت نسبة ما يملكونه من ٥٧,١٪ عام ١٩٧٥م إلى ٤٩,٨٪ عام ١٩٧٤م ، هذا بالرغم من أن وزنهم العددي قد بقي على ما هو عليه ، وفي الوقت نفسه استطاعت طبقة كبار الملاك التي كان حجم ملكيتها قد تقلص نتيجة لقوانين الإصلاح الزراعي - كما سبق الإشارة - أن تستعيد جزءاً هاماً من ملكيتها السابقة وترفع نصيبها النسبي من ١٢,٦٪ من إجمالى الأراضى الزراعية إلى ١٦,٣ عام ١٩٧٤م .

أما عن سياسات التشريع في العهد الناصري فيرى على فهمي أنه يكفي أن نستعرض هنا هذه السلسلة المجيدة من الإنجازات التشريعية الخالدة ، منذ إصدار أول قانون للإصلاح

لزراعى فى سبتمبر / أيلول ١٩٥٢م ، برغم الإعتراضات المتعلقة بالموضوع أو بالتوقيت ، وكيف أسهم هذا القانون وتعديلاته فى إحداث تغييرات أساسية وتاريخية فى هياكل القوى المسيطرة فى المجتمع المصرى بعامة والريف المصرى بخاصة ، مما كان له إنعكاساته الكبرى على التدرج الإجتماعى والتغير الإجتماعى وبناء القوة والسلطة فى المجتمع ، وتغير حقيقى فى الصورة الإجتماعية وهياكل العلاقات الإجتماعية الإقتصادية ، على الرغم من أن القانون لم يجرى عاكساً لكل الطموحات الشعبية فى هذا المجال ، كما أن ثمة التغيرات قد حدثت فى إدارة تنفيذه .

كما يمكن القول بأن الإقدام التشريعى على إلغاء الوقف الأهلى وإلغاء القضاء الشرعى ، على الرغم من تمكن وتجدد هذين النظامين فى المجتمع المصرى وفى الثقافة المصرية بإرتباطهما - على نحو ما - ببعض المفاهيم ذات الطابع الدينى ، كان مثل هذا التدخل التشريعى رعاية لمصالح هامة وضرورية .

ولعل سلسلة قوانين الاشتراكية من حيث التأميم ومشاركة العمال فى الإدارة والأرباح وتقنين بعض الخدمات الأساسية المقدمة لهم ، وما واكب ذلك من ضرورة التمثيل النسبى - فى حدود النصف بالأقل - للعمال والفلاحين فى المجالس النيابية ، لعل هذا أن يكون تنويعاً لثورة تشريعية حقيقية لحماية مصالح جماهير الكادحين ، برغم الكثير من المناورات فى التنفيذ لمسح مثل هذه المكاسب الشعبية ، وهى مناورات لم تكن القيادة الثورية طرفاً فيها بيقين ، وإنما كان مهندسوها بعض فئات الملتفين من الإنتهازين ومن لف لفهم .

كما يمكن الإشارة - وفقاً لما ذكره على فهى فى دارسته - إلى التعديلات المتلاحقة فى قواعد تنظيم العلاقة بين ملاك العقارات المبنية والمستأجرين ، والتى كانت تهدف - فى حق وفى عدل - إلى أن يكون التوازن فى صالح الفئات الضعيفة من المستأجرين الذين ينتمون فى الغالب إلى الفئات محدودة الدخل ، وجدير بالذكر - هنا - إلى أن المشرع المصرى - آنئذ - لم يكن ينظر بعين التشجيع إلى الإسكان الفاخر الذى إستشرى فيما بعد عبد الناصر على حسب الإسكان الشعبى والإقتصادى .

ومن هنا يمكن للراصد التقرير - فى موضوعية تامة - أن الإتجاهات التشريعية الرئيسية فى الفترة الناصرية كلها ، كانت من حيث مضمون المصالح التى تحميها ، هى فى خدمة



ومضى على الطريق يوزع أراضي الاقطاع على الفلاحين المعدمين . فلاح من ادكو يتسلم وثيقة الأرض

القضايا الأساسية لقطاعات كثيرة من جماهير الشعب العاملة والمطحونة تاريخياً وآناً ، إلا أن ما يمكن أن يؤخذ عليها أنها حاولت إقامة التوازن الذى ثبت - فيما بعد - أنه توازن وهمى ، ذلك أن الطبقات المستغلة (بكسر الغين) ما فتئت إن عادت إلى الظهور بعد فوات الفترة الناصرية على نحو أكثر إستغلالاً ، وهكذا تعلمنا التجربة التاريخية ، أن القاعدة التشريعية الثورية يجدر أن تكون بالغة الدقة والحسم معاً ، بحيث تلجأ إلى حماية مصالح الجماهير المستغلة (بفتح الغين) وفى نفس الوقت تعتمد إلى الإجهاز التام والحاسم على أى إمكانات لدى الفئات المستغلة (بكسر الغين) آناً ومستقبلياً وإلى الأبد .

ومع ذلك يؤكد على فهمى على حقيقة هامة وهى أن ذلك لا يمنع من التقرير أيضاً بأن مستوى الأداء والتنفيذ لم يكن - فى الكثير من الأحيان - على مستوى المصالح المسماة بالقاعدة التشريعية ، ولعل هذا أن يرتبط بعدم وجود أو عدم كفاية الإطارات الكفؤة والمبينة ووجود مناخ عام يسمح بتكريس الامعية والانتهازية ، وهى أمور كلها جذيرة بأن تناقش فى ضوء ضرورة تكامل وتناغم مراعاة القضية الإجتماعية وقضية الحرية فى آن واحد .

٢ - الملكية الزراعية :

فى دراسة هامة يرى د . عبد الفتاح عبد النبى أن قوانين الإصلاح الزراعى سعت إلى إعادة تنظيم الملكية الزراعية فى مصر حيث قضت بتحديد حد أقصى للملكية ، وإعادة توزيع ما زاد على ذلك على صغار الفلاحين وتحريم ملكية الأرض الزراعية على الأجانب وإلغاء الوقف الأهلى ، والحد من تجزئة الأرض لأقل من خمسة أفدنة وبالنسبة للحد الأقصى الذى يفرض على ملكية الأرض الزراعية حدد قانون الإصلاح الزراعى الأول الملكية بمائتى فدان ، وأوجب الإستيلاء على ما يزيد على ذلك خلال خمس سنوات من صدور القانون^(١)

وعلى الرغم من الحماس السياسى البالغ الذى صاحب صدور هذا القانون ، إلا أنه فى الواقع لم يكن حاسماً أو محكماً بدرجة كافية ، فقد شابه العديد من الثغرات ، ووجه

(١) عبد الفتاح عبد النبى : قضايا الريف المصرى بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - مجلة البقطة العربية عدد

مايو ١٩٨٦ .

بمشاكل جمعة خلال تطبيقه ، مما أتاح الفرصة واسعة أمام بعد الملاك الخاضعين له من التهرب بطريقة أو أخرى من أحكامه الأمر الذى قلل فى النهاية من حجم الأرض الزائدة المقرر الإستيلاء عليها .

فمن ناحية ، سمح القانون لكبار الملاك بالتصرف فى أراضيهم الزائدة بالبيع قطعاً صغيرة ، فسارع كبار الملاك إلى بيع أراضيهم حتى لا تخضع للإستيلاء ، وأتاح القانون لهم فرصة واسعة لإجراء بيع صورى مع استمرار حيازة الأرض . ومن ناحية أخرى إستفاد كبار الملاك من النص الخاص بإخراج أى مساحات مباعه من الإستيلاء إذا أثبت التحقيق أنها صدرت فعلاً قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أو قبل يناير عام ١٩٤٤م . إذا كان البيع لزوجة المالك أو أولاده وحفدته ، حيث تمكن الملاك أن يصطنعوا الكثير من العقود المزيفة التى مكنتهم من إستبعاد مساحات من أراضيهم من الإستيلاء .

كما سار تنفيذ القانون نفسه بخطى وثيدة نتيجة لكثرة العقبات والمشاكل التى واجهت تطبيقه ، فقد حدث أن إنشغلت قيادة الثورة بعد ذلك فى مواجهة القضية الوطنية ، وتركت اللجنة العليا للإصلاح الزراعى التى شكلت لتنفيذ القانون لتواجه بسلسلة طويلة من العقبات والتحايلات من جانب كبار الملاك أو قلة الإمكانات المادية والكفاءات البشرية المطلوبة ، فضلاً عن جهاز إدارى تحكمه بيروقراطية عنيقة لم يطرأ عليها أى تغير .

ولمعالجة ظاهرة إنتشار البيوع الصورية التى لجأ إليها كبار الملاك صدر القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٥٨م ، ليحدد الحد الأقصى لملكية الأسرة الزوج والزوجة والأولاد القصر بمقدار ٣٠٠ فدان ، غير أنه حصر حكمه فى المستقبل فقط ، دون محاولة المساس بالملكيات الموجودة وما يوج بها من زيادات .

ودعماً لسياسة توسيع قاعدة الملكية الزراعية ، وإعادة توزيعها على أساس عادل وسليم ، ولتقريب الفوارق بين أبناء المجتمع الواحد التى أعلن عنها النظام فى تلك الفترة . صدر القرار بقانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١م ليعدل الحد الأقصى للملكية ليصبح مائة فدان للفرد ، والحيازة الزراعية بخمسين فداناً للأسرة وكان أهم ما اشتمله هذا القانون أيضاً من تعديلات ، أنه ألغى الإستثناء الخاص بالأراضى البور ، ومنع بيع أى مساحة للأولاد أو لصغار الزراع ، وأعطى القانون الهيئة العامة للإصلاح الزراعى الحق فى الإستيلاء من تاريخ

العمل بهذا القانون على الأرض الزائدة .

وفى عام ١٩٦٢ م ، نوه الرئيس عبد الناصر فى الميثاق الوطنى إلى أن النية متجهة فى المستقبل إلى وضع حد أعلى لملكية الأسرة - الأب والأم والأولاد القصر - بما لا يتجاوز مائة فدان حتى لا تتجمع ملكيات فى نطاق الحد الأعلى تسمح بنوع من الإقطاع ودعا الأسر التى ينطبق عليها القانون خلال الثمانى سنوات القادمة بالتصرف ببيع الأراضى الزائدة عن هذا الحد إلى الجمعيات التعاونية للإصلاح الزراعى أو الغير .

وتداركاً لما أغفله القانون رقم ١٢٨ لسنة ١٩٦١ م من وضع حد أعلى لملكية الأسرة وتحقيقاً لما نوه إليه الميثاق ، صدر القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٩ م ليصبح الحد الأعلى لما يجوز أن يملكه الفرد خمسين فداناً وبحد أقصى للأسرة مائة فدان . وتستولى الدولة على ما لدى ملاك الأراضى الزراعية وغيرها على ما يزيد على هذا الحد الأعلى .

وجدير بالذكر أن الأرض المستولى عليها وفقاً لهذا القانون لم تبلغ فى جملتها التقدير المتوقع لها . وذلك لسبب بسيط هو أن الملاك أخذوا تحذير الميثاق مأخذ الجد وسعوا إلى التصرف فى المقادير الزائدة على أطيانهم بأساليب مختلفة إكتشفت بعضها لجنة تصفية الإقطاع التى شكلت عام ١٩٦٦ م لبحث تصرفات كبار الملاك . حيث بلغت جملة الأراضى التى فرضت اللجنة الحراسة عليها قرابة ٢٠٠ ألف فدان هى بعض الأراضى المهربة من قوانين الإصلاح الزراعى .

وتطبيقاً لهذه القوانين جميعاً ، آلت إلى الدولة ملكية ٩١٨,٦٥٠ ألف فدان حتى عام ١٩٦٨ م ، وزع منها ٧٥٥ ألف فدان إنتفعت بها ٣١٧,٤ ألف أسرة وتحولت بقية الأرض أما إلى بساتين تشرف عليها شركات اقتصادية أو حكومية أو أراض خصصت للمبانى والتوسع السكنى والمنافع العامة أو أراضى بور ضعيفة الإنتاج .

ويدور هنا تساؤل حول مدى إسهام هذه القوانين والإجراءات فى معالجة مشكلة تركيز الملكية الزراعية القائمة قبل الثورة . بعبارة أخرى ما هى التغيرات التى أحدثتها هذه القوانين على أوضاع الملكية الزراعية وإنتاجاتها فى الريف المصرى ؟

إذا إعتمدنا على المقارنة بين هيكل ملكية الأرض ، الزراعية قبل قانون ١٩٥٢ م ، وبين الهيكل المقابل عام ١٩٦٥ م ، سنلاحظ أنه بعد تنفيذ قانونى الإصلاح الزراعى حدث تغير

جذرى وهام لصالح أصحاب الملكيات الصغيرة .

(٥ أفدنة فأقل) . ولكن نلاحظ أيضاً أن ملكية الأرض خارج نطاق الإصلاح الزراعى . إنتهت إلى إتجاه نحو تركز الملكية فى نطاق الفئة من ٥ - أقل من ٥٠ فدان حيث يسير التطور فى إتجاه التركيز إلى أعلى والتشتت إلى أسفل وساعد على ذلك سياسة الإصلاح الزراعى التى أتاحت الفرصة كاملة للفئات الإجتماعية المتوسطة لشراء أراضي كبار الملاك الزائدة وإجراء التصرفات المختلفة ، وتوفير الأوضاع بينها . كما دعم من هذا الإتجاه المناخ السياسى والإجتماعى الذى ساد المجتمع خصوصاً بعد هزيمة ١٩٦٧م ، حيث أصبح سوق الأرض أكثر إنفتاحاً بعد أن خفت عوامل الضغط على حركته ، وتشير البيانات المستخلصة من دراسة عينات واسعة نسبياً حول توزيع ملكية الأرض الزراعية فى عام ١٩٧٣م إلى تغير كبير فى هيكل الملكية إذا قورنت هذه النتائج مع آخر إحصاء رسمى لهيكل الملكية عام ١٩٦٥م كما فى الجدول التالى :

توزيع ملكية الأرض الزراعية فى عام ١٩٧٣م بالمقارنة بعام ١٩٦٥م^(١)

الملكىة بالفدان		النسبة المئوية من الملاك		النسبة المئوية من المساحات	
أقل من ٥ أفدنة	١٩٦٥	١٩٧٣	١٩٦٥	١٩٧٣	
٥ - أقل من ١٠	٩٤,٥	٨٥,٦	٥٧,١	٢٦,١	
١٠ فأكثر	٢,٤	٧,٨	٩,٥	١١,٢	
	٣,١	٦,٦	٣٣,٤	٦٢,٧	

ويوضح الجدول مدى التغير الذى طرأ على حيازة ملكية الأرضى الزراعية وخصوصاً بعد حرب ١٩٦٧م حيث تتجه الأرضى الزراعية نحو مزيد من التركز فى الفئات الأعلى . كما تشير الإحصائيات التى جرت عام ١٩٧٧م إلى أن عدد الملاك الكبار الذين يمتلك كل

(١) عبد الفتاح عبد النبى - مصدر سابق - ص ٩٩ .

منهم خمسين فداناً فأكثر تصل نسبتهم إلى ٠,٣٧٠٪ من إجمالي عدد الملاك . ومساحة ما يمتلكونه ١٤,٥٪ من إجمالي الأراضي الزراعية . وعدد الملاك الذين يمتلك كل منهم عشرين فداناً فأكثر بما فيهم الذين يمتلكون خمسين فداناً فأكثر يبلغ عددهم واحداً في المائة فقط من إجمالي عدد الملاك وما يمتلكونه يساوي ٢٦٪ من إجمالي الأرض الزراعية .

هذا ويرى د . عبد الفتاح عبد النبي أن تولى عملية إستصلاح الأراضي قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ثلاث جهات رئيسية هي الشركات المساهمة والأفراد ومصلحة الأملاك الأميرية وكان يتم التصرف في هذه الأرض عن طريق بيعها للأفراد أو الشركات الخاصة من مزادات علنية لمن لديه القوة المالية على شرائها .

وقد إتجهت الدولة بعد قيام الثورة إلى التوسع في سياسة إستصلاح الأرض الجديدة ، كحل جذري للمشاكل الناشئة عن الإختلال في التوازن بين السكان والأرض .. وتولت وحدها عملية الإستصلاح عن طريق تكوين مؤسسات مستقلة ومتخصصة في عمليات الإستصلاح فأنشأت مؤسسة إستصلاح الأراضي ، ومؤسسة تنمية وإستغلال الأراضي ومؤسسة تعمير الصحارى ثم الهيئة العامة لتعمير الأراضي .

وفي إطار هذه المؤسسات وضعت الدولة خططاً طموحة إستطاعت من خلالها تحقيق أعلى معدل للإستصلاح وصل عام ١٩٦٥م إلى ١٥٠ ألف فدان ، وظل معدل استصلاح الأراضي في تزايد مستمر إلى عام ١٩٦٧م حينما بدأ معدل الإستصلاح في الإنخفاض بسبب توجه معظم نشاط شركات الإستصلاح لخدمة المجهود الحربي ، وتشير البيانات المتاحة أن جملة الأرض المستصلحة في الفترة من ١٩٥٢م - وحتى عام ١٩٨٠م وصلت إلى ما يقرب من مليون فدان شهدت فترة الستينات وحدها ٨٨٪ من الإجمالي الكلي للأرض المستصلحة طوال هذه الفترة .

هذا وكانت القضية الأساسية الثانية التي عالجتها قوانين الإصلاح الزراعي وسعت الدولة إلى مواجهتها تتصل بإعادة تنظيم العلاقة غير المتكافئة التي كانت قائمة قبل الثورة بين مستأجرى الأرض الزراعية وملاكها ، حيث كان يوجد ما يزيد عن ٧٠٠ ألف مستأجر يقومون بزراعة ما يقرب من ٦٠٪ من رقعة الأراضي الزراعية يتعرضون لمغالة شديدة من بجانب كبار الملاك والوسطاء في تحديد القيمة الإيجارية للأرض الزراعية ، وما يمثله ذلك من

ظلم وإرهاق بصغار الزراعى وتردى أحوالهم المعيشية ، لذلك صدر القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ م ، متضمناً أحكاماً تسعى لترتيب العلاقة بين المالك والمستأجر ثم صدر بعد ذلك القانون رقم ١٤٨ لسنة ١٩٦٢ م ، ورقم ١ لسنة ١٩٦٣ م ، بغية ضبط هذه العلاقة وضمان تنفيذ أحكام قانون الإصلاح الزراعى .

بيد أن الظروف الموضوعية ، والممارسة العملية كشفت عن وجود صعوبات ومشاكل عديدة عاقت تطبيق هذه القوانين على الوجه الأكمل فمن ناحية كان هناك الضغط السكاني المستمر على الأرض الزراعية ، ووجود فائض من القوى البشرية لم تتح لها فرص عمل بديلة أو جديدة ، فى الوقت الذى إتجهت فى المساحة الإجمالية للأرض ، الخاضعة للإيجار إلى الانخفاض من ٥٩٪ عام ١٩٥٠م إلى ٥١٪ عام ١٩٦١م ، نتيجة لإتجاه الملاك نحو زراعة أراضيهم على الذمة بإستخدام العمل المأجور ، والآلات ، الحديثة لتحقيق الربح ، وتعويض ما فقدوه من ريع بعد تحديد الملكية وحماية أنفسهم فى المستقبل إزاء ما قد تستحدثه قوانين الإصلاح الزراعى من حماية للمستأجر وصعوبة طرده أو إخراجه من الأرض .

يضاف إلى ذلك ظروف التحول فى التركيب المحصولى والأخذ بنظام التجميع الزراعى التى أشرنا إليها من قبل ، وقد أفضت هذه الظروف وغيرها إلى زيادة الطلب على إستئجار الأراضى ، وإتسع بالتالى مجال السوق السوداء فى إيجارات الأراضى حيث تراوح السعر السوق لها ما بين ٤ - ٥ أمثال الإيجار القانونى لها وفى هذا المناخ تعددت حالات التحايل على قانون الإيجار منها على سبيل المثال لا الحصر ، الإيجار الموسمى لزراعة واحدة ، أو أخذ كمبيالات ومستندات ومديونية موقعة على بياض ، وإرغام المستأجرين على توقيع عقود إيجار من صورة واحدة تحفظ لدى المالك ، والإمتناع عن تسليمهم مغالصات إلى غير ذلك من أساليب التحايل التى تفنن فيها الملاك وكشفت عن بعضها لجنة تصفية الإقطاع عام ١٩٦٦م^(١) .

وعلى ضوء ذلك ، كان من الضرورى إعادة النظر فى هذه القوانين ، وتعديلها بما يؤدى إلى إحكام ضبط العلاقة الإيجارية وإستقرارها . فمصدر القانون رقم ٥٢ سنة ١٩٦٦م ، متضمناً أحكاماً جديدة مهمة غيرت مسار هذا الخلل . .

(١) المصور : عبد الفتاح عبد النبى - مصدر سابق ص ٩٢ .

تلك كانت أبرز إنجازات الثورة الداخلية وفقاً لرؤى متعاطفة معها .

ماذا عن تلك المختلفة معها ؟

ثالثاً : الإنجازات الناصرية : رؤى إسلامية :

كانت الرؤى الإسلامية (والراديكالية منها على وجه الخصوص) مغللة في نقد عبد الناصر الناصر وتجربته في التنمية ، ولقد اجتهد أصحابها في البحث عن المعلومات التي تؤكد وجهة نظرهم واجتهدوا في توظيف هذه المعلومات بما يخدم رؤيتهم المعادية لعبد الناصر ، وسوف نورد هنا دون تدخل كبير ملخصاً لهذه الرؤية التي نعتقد أنها هامة .

بداية ووفقاً لهذه الرؤية يمكن أن معالجة هذه القضايا من زاويتين : التنمية - التوزيع^(١) .

وتدل الملاحظات وفقاً لأصحاب هذه الرؤى على أن العسكريين :

١ - لم يكن معظمهم يمتلك فلسفة إقتصادية لتحقيق العدالة التوزيعية - فضلاً عن أن يكون لديهم برامج مفصلة - وفي هذا الصدد يقول خالد محيي الدين لم يكن في برنامج الضباط الأحرار شيء عن الإصلاح الزراعي^(٢) بل ولم تكن فكرة الإصلاح الزراعي محل موافقة جماعية من ضباط القيادة^(٣) .

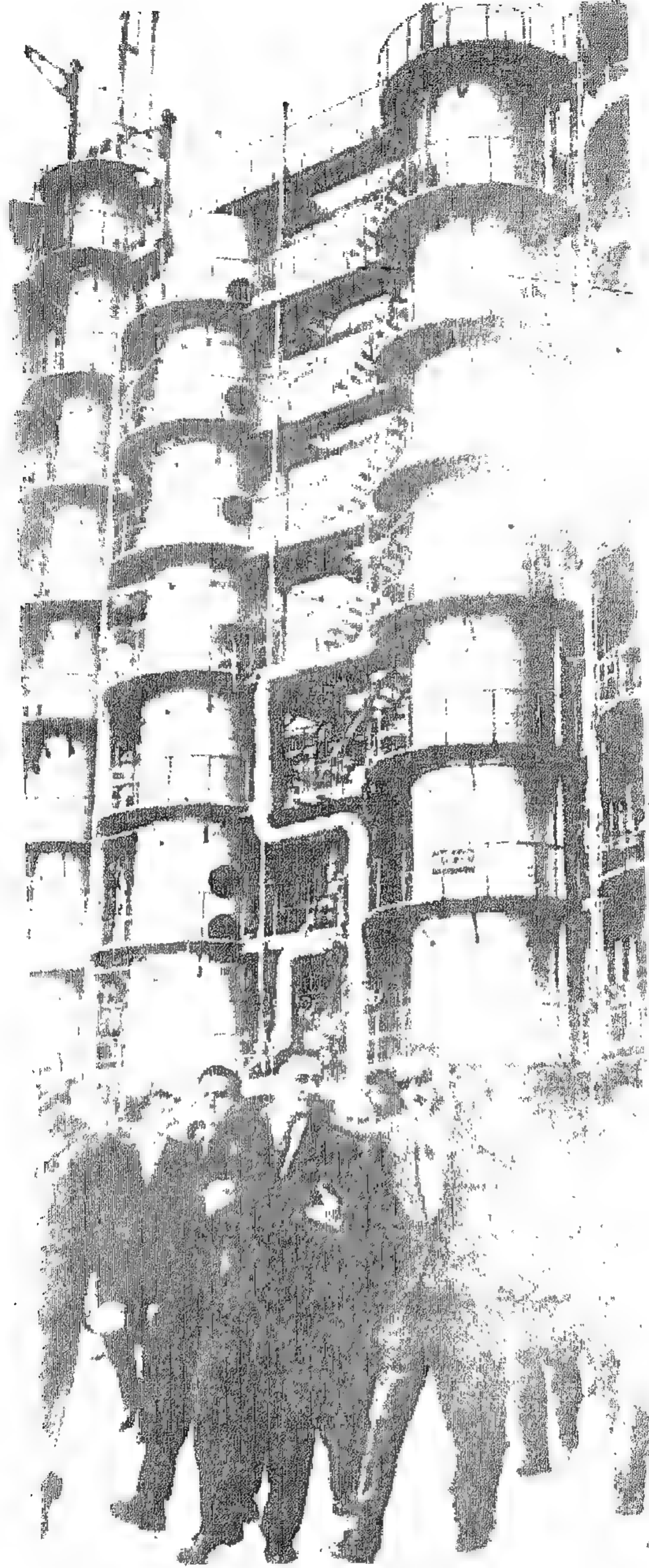
٢ - وإن كان العسكريون قد هدفوا إلى تنمية البلاد (بالمعنى الضيق للتنمية أي زيادة معدل النمو) واعتقدوا أن تصنيع البلاد هو الوسيلة الوحيدة وفي هطا الإطار بما يلي : (أ) تجريد أصحاب القوة السياسية في البلاد من مصدر قوتهم (الإقطاع) وفي هذا الصدد صدر القانون الأول للإصلاح الزراعي^(٤) .

(١) هذه الرؤية مأخوذة من بحث أسامة حميد عن مصر في الحقبة العلمانية - مصدر سابق .

(٢) شهادته لعبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٠ .

(٣) حمروش : البحث عن الاشتراكية ص ٣٩

(٤) اتفقت جميع الدراسات على أن هذا القانون لم يهدف إلى تحقيق العدل وفي الحقيقة لقد ذهبت أراضي الإقطاعيين الكبار إلى إقطاعيين صغار وليس إلى الفقراء (والقول لأسامة حميد في دراسته السابقة) .



في معمل تكرير البترول في السويس

(ب) لم تصدر ثروات الإقطاعيين وإنما أريد توجيهها للتصنيع - وفى هذا الإطار عدلت التشريعات الاقتصادية الخاصة باستثمار رأس المال وإنتهجت سياسة إفتتاح إقتصادى وصدر سيب من القوانين منها القانون ١٢٠ لسنة ١٩٥٢م الذى يعطى رأس المال الأجنبى الحق فى الإسهام بنسبة ٥١٪ فى المشروعات^(١) وقانون ١٥٦ لسنة ١٩٥٣م الذى يتضمن كل ما يخطر على البال من تشجيع وإغراء الرأسمالية على المساهمة فى التنمية^(٢) وقوانين للإعفاء من العقوبة على جرائم التهريب (القانون ١٨١ لسنة ١٩٥٣م) والسماح بتقاضى عمولات على التعامل مع الحكومة ذاتها (القانون ١٢٨ لسنة ١٩٥٣م) .

ولكن بسبب الإضطراب السياسى الذى يعقب أى ثورة فقد خشى الرأسماليون - واتجهوا بدلاً من ذلك إلى الإستثمار العقارى والمالى .

وكرد فعل ذلك إتجه النظام منذ ١٩٥٦م وجهة جديدة :

- تبنى الاشتراكية الديمقراطية التعاونية (منقولة عن دكتاتور البرتغال سالازار) .
- إنشاء القطاع العام .
- وبدأت عملية تمصير - ولكن ببطء - وشملت تمصير البنوك وشركات التأمين (١٩٥٧م) .

* قلنا - والقول للإسلاميين - أن القضية الإجتماعية لم تكن تستأثر على الإهتمام الأول وفور قيام الإنقلاب كانت هوية القائمين عليه وقد وضحت من خلال عدة وقائع منها :

- ١ - فى ١٢ ، ١٣ أغسطس ١٩٥٢م تظاهر عشرة آلاف عامل فى كفر الدوار مطالبين بحقوقهم ومعلنين تأييدهم للثورة - فتشكلت لهم محكمة عسكرية ميدانية أصدرت أحكاماً بالإعدام على عامل وخفير من البسطاء (خميس ١٨ سنة وبقرى ١٩,٥

(١) لم يكن مسموحاً بذلك فى الفترة الليبرالية .

(٢) صلاح زكى أحمد : القاموس الناصرى : المستقبل العربى ١٩٨٥ ص ١٨٠ - ١٨١ .

سنة^(١) . صدرت أحكام بالسجن على آخرين (منهم فتى عمره ١٨ سنة أما الأطفال الذين كان عمرهم ١٠ ، ١١ سنة فقد قدموا أيضاً للمحاكمة ولكن شاءت إنسانية المحكمة وعدالتها أن تحكم ببراءتهم رغم ثبوت جريمة سرقة بعض أثواب القماش عليهم حسبما جاء في الحشيات .

٢ - فى نفس الوقت قام فتى إقطاعى بلطجى (عدلى لملوم)^(٢) وعصابته بإقتحام مركز للشرطة وإطلاق النار فى تحد لقانون الإصلاح الزراعى فحاكمته نفس المحكمة العسكرية السابقة وأصدرت عليه حكماً بالسجن (وأفرج عنه صحياً بعد ذلك) .

٣ - فى فبراير ١٩٥٣م قامت أسرة الفتى الإقطاعية بمجزرة فى قرية كمشيش أسفرت عن إعدام ١٤ فلاحاً (منهم إمرأتان) ولم يمسههم سوء .

وقد استمر موقف العسكريين من الفقراء على ما هو عليه حتى مطلع الستينيات - فيذكر حمروش (ج ٣ طبعة بيروت ص ٧٦) أنه بعد وحدة مصر وسوريا قام بعض المصريين الفقراء ببيع منتجات مصرية على أرصفة دمشق - فقام الأغنياء السوريون بإبلاغ عبد الحكيم عامر الذى قرر ترحيلهم إلى مصر على الفور ووضعوا فى السجن حتى تم ترحيلهم على طائرات حربية .

(١) يقول أسامة حميد : من المثيرات شهود الإلتفات فى القضية كانوا من تنظيم حدثو الشيوعى الذى طالما تبجح بالدفاع عن حقوق العمال - وفيما بعد حاول أحمد طه (عضو مجلس الشعب الحالى وعضو اللجنة المركزية لحدثو وقتها وعضو المكتب السياسى وعضو السكرتارية المركزية ومسئول عن النقابات) حاول تبرير ذلك بقوله : « كان لدينا وعده من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بعدم إعدامهم فلما أعدموا أضعف هذا من موقفنا » عبد الناصر وأزمة مارس ص ٣٠٢ . وقد وصف هذا بيان شيوعى العمال المطالبين بحقوقهم « يجب أن يؤخذ هؤلاء المجرمون بكل شدة » .

انظر مثلاً على تزييف حمروش لهذا الموقف وتهربه من تحديد موقف حدثو (ص ٢٨٨) .

(٢) أسرة لملوم أصلاً من قبيلة لبيبة كانت تغير على الدلتا وكان جد عدلى أحد هؤلاء البلطجية (تصالحت) معه الحكومة وأعطته ألف فدان .

ويتجلى نفس موقف العسكريين فى مواجهتهم لكل النقابات^(١) .

لم يكن العسكريون يؤمنون بصراع الطبقات والقول لأصحاب الرؤية الإسلامية ، وفى ذلك يقول عبد الناصر (١٩٥٤/٧/٢٣ م) « إن حكومة الثورة هى حكومة كل طبقات الأمة حكومة العمال والفلاحين والمسؤولين والطلبة ورجال الأعمال الفقراء والضعفاء والأغنياء والأقوياء - إنها حكومة تنظر إلى مصر على إنها أسرة واحدة » .

ولذلك سعى العسكريون لتشكيل تنظيم سياسى يضم كل الطبقات فكان الإتحاد القومى (١٩٥٧ م) ، (منقول بدوره عن دكتاتور البرتغال سالازار) ولكن فى الحقيقة بقى الإقطاع مسيطراً على هذا التنظيم^(٢) .

ونظراً للقدرة الفائقة للرأسمالية على تكيف نفسها مع أية أوضاع مستجدة - فقد تفاقم خطرهما فى عهد عبد الناصر الذى قال (أنا كان عندى ١٠ - ١٢ مليونيراً أصبحوا حوالى ٣٠٠ - ٤٠٠)^(٣) (١٩٦١ م) . ولذلك أعاد عبد الناصر تقييم الموقف الذى كان يهدد بإعادة سيطرة الرأسماليين على الحكم - وطوال عام ١٩٦١ م كان عبد الناصر يمهّد لضرب الرأسماليين الجدد :

« لقد وقعنا ضحية وهم خطير وهو تصور إمكانية المصالحة مع الرجعيين على أسس وطنية » .

- « على أى شىء كانت تدل تجربتنا - هل إستطعنا أن نقيم عدالة إجتماعية - هل إستطعنا

(١) راجع : مصطفى كامل السيد : المجتمع والسياسة فى مصر (١٩٥٢ - ١٩٨١) المستقبل العربى ١٩٨٢ - وقد لخص الكاتب علاقة نظام يوليو بالنقابات بأنها مرت بعدة مراحل :

٥٢ - ١٩٥٤ المواجهة مع النقابات .

٥٤ - ١٩٥٨ وقف الانتخابات فى عدد من النقابات .

٦١ - ١٩٦٥ البحث عن الأسلوب الأمثل لتوافق النقابات مع السياسة الجماعية الحاكمة .

٦٦ - ١٩٦٧ استطاع التنظيم الطليعى الدخول إلى قيادة النقابات .

(٢) راجع شهادة فريد عبد الكريم بجريدة الأهالى عدد ١٩/٣/١٩٨٦ .

(٣) حمروش حده ص ٨٤ .

أن نقضى على الإستغلال السياسى والإستغلال الإقتصادى والإستغلال الإجتماعى - أبداً لم نستطع .

- قلنا نقضى على الإقطاع - هل قضينا على الإقطاع - الأسرة التى بقى لها ٢٠٠ فدان و ٥٠ فدان لكل ولد من أولادهم كتلوا هذه الأرض وأنا أعرف مناطق فيها ٣٠٠ فدان ملكية لعائلة واحدة ولا زالوا يعتبرون أنفسهم أسياد البلد كما كانوا قبل الثورة ولا زالوا ينظرون إلى الفلاحين كعبيد - هل نقبل هذا فى عهد الثورة .

- الأساس الذى بنى عليه الإتحاد القومى لم يكن بالأساس السليم شئ ضد العقل وضد الطبيعة - وإحنا كنا طيبين جداً وعائزين نلم الإقطاعى الى أخذنا منه ألف فدان مع الفلاح الى وزعنا عليه خمسة أفدنة - وكنا بنعتبر أنه حينسى ويقول إن إحنا نمشى فى المجتمع الجديد .

(حمروش ج ٥ ص ٨٧) .

وكان عبد الناصر بذلك يمهّد لمرحلة جديدة فى حقبة يوليو وفقاً لرؤية الإسلاميين .

وبسبب فشل الوحدة مع سوريا - وفقاً لرؤية الإسلاميين - ظهرت الحاجة إلى :

١ - تصفية الرأسمالية التى إستفحلت فى عهد عبد الناصر - وكانت السبب المباشر فى إحباط تجربة الوحدة .

٢ - ضرورة وجود عقيدة للدولة ووضع حد لمبدأ التجربة والخطأ - خاصة وقد إنقسمت حركة القومية العربية الآن إلى جناحين : ناصرى وبعثى وكان الجناح الأخير يمتلك نظريات متكاملة وكان ينتقد الناصرية فى إفتقادها إلى عقيدة .

وعن الإشتراك فى عهد عبد الناصر يرى الإسلاميين كان إحساس عبد الناصر بتفاقم وإستفحال الرأسمالية هو أحد أسباب إتخاذه لسلسلة القرارات التى سميت قوانين يوليو الإشتراكية (١٩٦١م) وبعد شهر واحد من صدورها كان الرأسماليون السوريون قد أحبطوا

الوحدة (وليثبت من جديد المبدأ القائل بأن القومية كانت طوال التاريخ حركة في خدمة المترفين)^(١) - وبعد أن تم الانفصال إزداد هامش المناورة أمام عبد الناصر لتحقيق المزيد من الإصلاحات الداخلية فقام عام ١٩٦٣م بتأميم ٢٩٣ شركة كما صدرت قوانين أخرى للإصلاح الزراعى .

هناك إنطباع ولدته الدعاية الناصرية مفاده أن فترة ٦١ / ٦٧ شهدت تحقيق العدالة الاجتماعية الحقيقية - وقد تولد هذا الإنطباع لدى بعض الناس من إستعراض الكم الضخم من القرارات والإجراءات التى إتخذت ولكيلا نأخذ القارىء فى دوامة هذه القرارات سنلخص حصيلتها فى عدة حقائق :

١ - لم يستفد الفقراء الحقيقيون من العهد الناصرى فى قليل أو كثير (راجع الأشكال البيانية رقم ١ ، ٢) - وعندما مات عبد الناصر كان فى مصر ٣ ملايين معدم^(٢) .

وفى الحقيقة فإن جميع ما وزع من أرض بمقتضى قوانين الإصلاح الزراعى بين عام ١٩٥٣م ، ١٩٧٠م لم يزد على ٨٠٠ ألف فدان (أى ١٣٪ من مساحة الأراضى الزراعية بمصر) وزعت بمعدل عدة قرارات لكل أسرة ولم يستولى قانون الإصلاح الزراعى الأخير (١٩٦٩م) إلا على ٣٥,٠٠٠ فدان (أى مساحة قرية مصرية كبيرة) .

وقد أثبت هذه الحقائق بالتفصيل كل من محمود عبد الفضيل^(٣) وإبراهيم العيسوى^(٤) وأحمد حمد الله السمان^(٥) وعادل الجيار^(٦)

(١) بالنسبة لأوربا - فقد كانت قبل عصر القوميات مقسمة إلى إقطاعات صغيرة وكانت تنقل المال بينها صعبا - فعمل الرأسماليون على توحيدها لتوسيع الأسواق أمامهم - وهكذا توافقوا مع دعوة بعض المفكرين للقومية (أسامة حميد) .

(٢) حمروش . البحث عن الاشتراكية . ط . الموقف العربى ص ٢٤٦ .

(٣) فى كتابه الهام : التحولات الاقتصادية والاجتماعية فى الريف المصرى ١٩٧٠/٥٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ .

(٤) فى دراسته : تطور توزيع الدخل وأحوال الفقراء فى مصر - مجلة مصر المعاصرة عدد أبريل ١٩٨٠ .

(٥) توزيع الدخل القومى فى مصر (١٩٨٠/٥٢) دكتوراه فى الاقتصاد من جامعة القاهرة ١٩٨٥ .

(٦) سياسات توزيع الدخل فى مصر - مركز الدراسات بالأهرام (العدد ٥٥) .

ولقد فشلت جميع البرامج - وفقاً للرؤية الإسلامية - للقضاء على نفوذ مقاولي الأنفار الذين كانوا يشغلون عمال التراحيل في ظروف بالغة البؤس - وفي السد العالي (الذى بلغت مكعبات الردم فيه ١٧ ضعف حجم الهرم الأكبر) .

وقد دفعت آلاف من العمال في مواقع العمل في ظروف بالغة السخرة لا تعرف الرحمة .

يقول عادل الجيار (م . س . ذ . ص ٢٩) ، بعد إستعراض مفصل للإحصائيات : « إن النتيجة التى ، يمكن التوصل إليها هى أن عمال الزراعة وخاصة عمال التراحيل - أفقر فقراء الريف - هم أقل الفئات التى إستفادت من قوانين الإصلاح الزراعى ومن السياسات الإقتصادية فى الريف المصرى وأن أوضاعهم التى لم يطرأ عليها تغيير ما خلال الخمسينات وحققت طفرة تحسن فى أوائل الستينات وفى السبعينات » .

٢ - أما صغار الملاك فلم يتغير وضعهم كثيراً - فحسب محمود عبد الفضيل : فى ١٩٥٢م كان ٩٤,٣% من الملاك يملكون ٢,١ مليون فدان . وفى ١٩٦٥م كان ٩٤,٥% من الملاك يملكون ٢,٧ مليون فدان . أى أن هذه الفئة لم يزد نصيبها إلا بمقدار عشر الأراضى الزراعية فى مصر .

٣ - إن النظام الناصرى نظام طبقى :

أ - فهو يكرس الفوارق بين الريف والحضر^(١) وهى نفس أساليب الإستعمار فى إيجاد طبقة مستفيدة من أوضاع التبعية - ويلاحظ أن التفاوت بين الريف والحضر كان أشد ما يكون فى ذروة الإشتراكية (١٩٦٥م) .

ب - وحتى داخل الحضر كان هناك تفاوت توزيعى ضخيم - بل إن مستوى هذا التفاوت قد إزداد فى ذروة ، الإشتراكية .

ففى ١٩٥٨م / ١٩٥٩م كان أفقر ١٠% من الأسر الحضرية تحصل على ٢,٢% من دخل الحضر ومن المثير أنه فى ظل الإشتراكية (١٩٦٥م / ٦٤) إنخفضت هذه النسبة إلى ٢,١% .

(١) أظهرت نتائج تعدد ١٩٧٦ أن ٥,٥% فقط من مساكن الريف متصلة بمصدر لمياه الشرب النقية وأن ٥٨,٢% من المساكن تحصل على مياهها من مصادر خارجية وأن ٣٦,٣% من المساكن لا تتوفر لها مياه نقية من الأصل - أيضاً أظهر التعداد أن ٨١,٤% من الأسر الريفية لا تتوفر لها مصادر الكهرباء (السمان ص ٢٤٨ ، ٢٥٠) .

وبينما كانت أغنى ٥٪ من الأسر في الحضر تحصل على ٢٠,٨٪ من الدخل سنة ١٩٥٩ / ٥٨ م . فإن نصيبها قد إزداد إلى ٢٢,٨٪ في سنة ٦٤ / ١٩٦٥ م ، (أحمد السمان م . س . ذ - ص ١٦٢ - ١٦٣) .

وهكذا توصل السمان (ص ١٦٣) إلى أن السياسات التي أدت إلى إستئصال أغلب الرأسماليين المصريين قد تسببت هي نفسها وغيرها من السياسات في وجود مجموعة أخرى من ذوى الدخل المرتفعة بحيث أن حجم المجموعة الجديدة يعادل تقريباً حجم الطبقة التي كانت موجودة في الخمسينات وهي نفس النتيجة التي توصل إليها أحد المعجبين بالناصرية^(١) .

قبل ١٩٦١ م سيطرت الطبقة الوسطى سياسياً ثم عقائدياً وبعد ١٩٦١ م سيطرت إقتصادياً - لكنها كانت هيمنة قصيرة الأجل فسرعان ما تحولت شرائحها العليا إلى بورجوازية من نوع جديد وبدأ التباعد بينها وبين عبد الناصر وهذه الفترة إذن تتميز بشدة التناقض بين عنفوان النظام وظهور إرهابات مرضه .

ويتجلى اتجاه عبد الناصر للطبقة المتربة في قضية كمشيش (١٩٦٦ م)^(٢) .

٤ - أجمعت كل الدراسات على أن الإنجازات البسيطة التي تحققت عادت وانتكست منذ ١٩٦٥ م بسبب إستنفاد الآثار التوزيعية لقوانين الإصلاح الزراعى وترتب على ذلك وعلى الفوارق الموجودة أصلاً بين الريف والحضر إن أصبح الريف طارداً للسكان وإزادات نسبة

(١) انظر عرضاً لرسالة فايز بكتاش : الناصرية أيديولوجية سياسية - دكتوراه من السوربون (١٩٧٧) ، في مجلة السياسة الدولية عدد أبريل ١٩٨٤ ص ١٦٦ - ١٦٩ .

(٢) يقول أسامة حميد : في ١٩٦٦/٥/٤ قتل عضو الاتحاد الاشتراكى بكمشيش (صلاح حسين) على يد أحد أفراد عائلة الفقى الإقطاعية - كان صلاح حسين عضواً فى الإخوان واعتقل سنة ١٩٥٤ بهذه التهمة - ولكنه أيد الثورة على أمل تحقيق العدالة حيث كانت التناقضات فى كمشيش صارحة (مجزرة ١٩٥٣ - السابق ذكرها) وعندما زار عبد الناصر المنوفية وحد شعارات « ثورة كمشيش تحيى الثورة الأم » فاستنكر ذلك أمام السادات (وهو منوفى) فاعتبر السادات ذلك ضوئاً أخضر للتصفية الجسدية لصلاح حسين - وبعد عملية إخراج مسرحى حكمت المحكمة ببراءة القاتل وأن القضية ليست سياسية وإنما قضية ثأر .

سكان الحضر من ٣٤٪ من عدد السكان سنة ١٩٥٢م إلى ٤٢٪ سنة ١٩٧٠م دون أن تتوفر للمهاجرين فرص عمل حقيقية أو يوضع تخطيط لاستيعابهم^(١) - مما دعا وزير الداخلية زكريا محيى الدين إلى إخراجهم من القاهرة بالقوة .

هـ - لقد بدأنا هذا الفصل باقتراض أن عبد الناصر قد أراد تجسيد القضاء "رطنية لكى يتفرغ لتحقيق العدالة وفى الحقيقة - إن المتابعة التفصيلية لقضية التوزيع فى تلك الفترة ستظهر حقائق مذهلة - وستهاوى بالتالى مقولتنا الأولى - ولكن يبقى أن نفسر لماذا لم تتحقق العدالة رغم الشواهد الكثيرة التى تدل على أن عبد الناصر كان يريد فعلا تحقيقها مثلا (إصراره على أن تختفى مهنة الخدم من مصر) .

إن السيطرة الإقتصادية لفئة من الناس تعنى سيطرتها السياسية - ولو حدث أن الجماهير سيطرت فعلا على مقدراتها الإقتصادية فستحول الدولة إلى نظام حكم جماهيرى حقيقى - وهذا سيهدد مكانة عبد الناصر كوثن - وطالما أن الفقراء الحقيقيين غير قادرين على تنظيم أنفسهم بسبب تدنى مستواهم التعليمى فلم يكن عبد الناصر بحاجة إلى تأييدهم - وهكذا إكتفى برشوة أهل المدن وتوسيع جهاز بيروقراطى ضخمة (أجمعت كل الدراسات على أنه كان يمكن الإستغناء عن أكثر من نصفه) - لكى يتحول هذا الجهاز إلى أداة تأييد للحكم (كانت معظم المعونات الأمريكية الغذائية فى الستينات تذهب للموظفين فى هذا الجهاز) .

إن فشل النظام الناصرى فى حل المشكلة الإقتصادية لم يقتصر فقط على التوزيع - بل تعدى ذلك إلى فشل فى التنمية - فبسبب تسلط مجموعة من الإنتهازين (أهل الثقة) على القطاع العام فقد بدأ الفساد يدب فى أوصاله من أول يوم - وقد فشلت محاولات تحقيق الإكتفاء الذاتى فى محصول إستراتيجى كالقمح - لقد فشلت الإشتراكية حتى فى تأمين رغيف الخبز - ففى ١٩٦٥م قال عبد الناصر : « إننا منذ ١٩٥٩م حتى الآن أخذنا المليون دولار ، مساعدات من أمريكا بل أن كل رغيفين فى البلد منهما رغيف مأخوذ كمساعدة من

(١) راجع : بيلي إبراهيم أحمد : مدى معالجة سياسات التنمية الاقتصادية لمشكلة البطالة فى مصر فى فترة الستينات - دكتوراه فى الاقتصاد من جامعة القاهرة ١٩٨٢ وقد خلص الباحث إلى (ص ٢٢٦) : « لم يكن القضاء على مشكلة البطالة هدفاً من الأهداف الانمائية المراد تحقيقها بجدية فى يوم من الأيام » .

أمريكا ، (حمروش - البحث عن الاشتراكية ص ١٤٣) .

ويذهب الإسلاميون إلى أن التحول الاشتراكي كان يقتضى تشكيل تنظيم سياسى جديد بدلاً من تنظيم الإتحاد القومى الذى حل - وهكذا أنشئ الإتحاد الاشتراكي العربى الذى فتح الباب لعضويته فى أول يناير ١٩٦٣م فدخله خمسة ملايين فى ٢٠ يوماً ولكن صدر قرار باستبعاد الإخوان والشيوعيين فلم يبق فيه سوى ، الإنتماءيين - وفى ذلك يقول جمال سليم^(١) : « كان أفراد الإتحاد الاشتراكي كالموظفين فى وزارة ما تنتمى إلى سلطة هلامية شائعة بين عدد من الأفراد لكل منهم رأيه وفكره وكان هذا هو المقتل الوحيد لثورة ٢٣ يوليو - على حد تعبيره - فالسلطة لا يمكن أن تشعل ثورة ولا تستطيع أن تبني حزباً - وذلك أن السلطة عندما تتحدث لتقتنع لا تستعمل سلاح للإقناع إنما سلاح الإرهاب - ومن هنا كان الإتحاد الاشتراكي يضم الحائفين والموظفين والإنتماءيين والمنافقين ولا يمكن أن تقوم ثورة بهذه التشكيلة العجيبة .

وفى دراسة على ١٣١ وزيراً الذين تولوا فى عهد عبد الناصر كان وزيران فقط يشغلان مناصب بالتنظيم السياسى مما يدل على فشل التنظيم فى إخراج زعامات^(٢)

ويرى الإسلاميون أنه وحيثما كان دفع الاشتراكات للإتحاد الاشتراكي إختيارياً فلم يسدد اشتراكات العضوية سوى ٢ - ٣٪ من عدد الأعضاء .

لذلك وصف عبد الناصر تنظيم الإتحاد الاشتراكي سنة ١٩٦٤م بأنه حتى الآن تنظيم على الورق وهذا لأننا حتى الآن لم ننظم العناصر الاشتراكية وكان هذا أحد أسباب إنشاء التنظيم البطيى .

تلك بتفصيل وأمانة رؤية الإسلاميين عن إنجازات عبد الناصر وهى رؤية يعيها عدم رؤية أى إيجابية على صعيد الداخل المصرى ويعيها توظيف المعلومة فى سياق مختلف عما وردت

(١) التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو فى عهد جمال عبد الناصر - مدبولى ١٩٨٢ - ص ٨ - كان جمال سليم متفرغاً سياسياً بالإتحاد الاشتراكي ومديراً لتحرير صحيفة الحزب وشارك فى التنظيمات السرية والعلنية على حد تعبيره .

(٢) عاطف العراقى - الزعامة السياسية فى مصر - دار المعارف ١٩٨٠ ص ١٦٢ .

فيه ، ويعيها اجتزاء بعض المعلومات من سياقها الحقيقى ، وعدم إيراد النص كاملاً ، مما يشوه الفكرة المستقاة من المعلومة وغيرها من العيوب والتي تؤكد أكر الحقائق الرقمية التالية .

رابعاً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤية موضوعية :

بعيداً عن التعاطف ، أو العداء ، وهو ما نحبه وما نقيم عليه هذه الدراسة الموسعة للحقبة الناصرية فإننا سوف نورد هنا حقائق وأرقام نتركها تتحدث عن نفسها ، وهى حقائق رصدتها أجهزة علمية محايدة^(١) ، وسوف نقصر الحقائق على فرعية واحدة من فروع الإنجازات الناصرية ، وهى مجال الإسكان والتشييد بإعتباره من أخطر وأهم جوانب التنمية ... فماذا تقول الأرقام والحقائق .

الفترة من ١٩٥٢م - ١٩٦١م :

عوامل مؤثرة على هذه الفترة :

١ - الظروف العسكرية :

ما كادت الحرب العالمية الثانية تخف أثارها وتبدأ عودة الأمور لطبيعتها حتى واجهت مصر عام ١٩٤٨م المشكلة الفلسطينية وما ترتب على ذلك من أعباء سياسية وإقتصادية حولت إنتباه الدولة عن التركيز على مشكلة الإسكان فيما قبل قيام الثورة عام ١٩٥٢م .

٢ - تشريعات الإسكان :

فى عام ١٩٤١م صدرت أوامر عسكرية (١٥١ لسنة ٤١) بتجميد الإيجارات وقد

(١) مصدرنا فى هذه الجزئية ما يلى :

— وزارة الإسكان والمرافق : تقرير الإصلاح التنظيمى والاقتصادى لقطاع التشييد - أغسطس ١٩٦٨ .

— المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى (١٩٥٢ - ١٩٨٠) المركز القومى للبحوث الاجتماعية - مجلد السكان .

— الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء الملاح السكانية والإسكانية لجمهور مصر العربية .

— مهندس : حسين السرجانى : مشكلة الإسكان بالجمهورية العربية المتحدة : أسبابها وحجمها - الإسكندرية ١٩٩٢ .

إستقرت هذه الأوامر بالقانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م كما صدر القانون رقم ١٩٩ لسنة ١٩٥٢م بتخفيض إيجارات المساكن التى إنشئت فى ١/١/١٩٤٤م حتى ١٨/٩/١٩٥٢م بنسبة ١٥٪ من قيمتها الإيجارية .

وفى نهاية الخمسينات صدر القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٨م بتخفيض إيجارات المساكن التى أنشئت فى ١٨/٥/١٩٥٢م حتى ١٢/٦/١٩٥٨م بنسبة ٢٠٪ . ولا شك أن بعضاً من التشريعات لم يكفل توازناً بين صالح المالك وصالح المستأجر .

٣ - سياسة الدولة :

من الأهداف السياسية لثورة ١٩٥٢م توفير العدالة الإجتماعية والعناية بمحدودى الدخل وفى هذا السبيل :

أ - صدر قانون الإصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢م بتقييد الملكية - وقد ساعد ذلك بطريق غير مباشر على تحول الإستثمار على تملك الأرض الزراعية إلى مجال النشاط العقارى .

ب - أسست الحكومة شركة التعمير والمساكن الشعبية عام ١٩٥٤م ومن أغراضها إقامة الوحدات السكنية لمحدودى الدخل .

ج - التحول الإقتصادى والإنتاجى إلى المشروعات الإنتاجية والصناعية وخاصة بعد عام ١٩٥٦م .

نشاط الحكومة والقطاع الخاص فى هذه الفترة :

١ - نشاط الحكومة :

أشرنا إلى أن الحكومة سنة ١٩٥٤م أسست شركة التعمير والمساكن الشعبية وقد قامت الشركة فى هذه الفترة بتنفيذ العديد من المشروعات نورد منها فى مجال الإسكان لمحدودى الدخل ما يأتى :

عدد ٢٠٧٨ مسكن بأمبابة .

عدد ١٤٠٦ مسكن بحلمية الزيتون .

عدد ٥٨٩ مسكن بحلوان .

كما قامت الحكومة عام ١٩٥٦م بعد الإعتداء الثلاثى على مصر بإعادة تعمير المناطق التى تأثرت بالعدوان على بور سعيد وإزالة الأحياء المتهالكة - وقد تم خلال ما يقرب من ستة أشهر تخطيط هذه المناطق وإنشئ بها ٤٥٤٩ مسكناً ولا ننسى هنا ما قامت به شركات المقاولات من جهد كبير فى إنجاز هذه المساكن إلى جانب كفاءة الإدارة فى توفير الاحتياجات من الموارد والمهمات وتشغيل العمالة .

٢ - نشاط القطاع الخاص :

أما بالنسبة لنشاط القطاع الخاص فلم يكن فى مجال الإسكان الشعبى ولكن كان إهتمامه الأكبر بالإسكان المتوسط والفاخر - إلا أن رغبة الملاك فى البناء كانت فى تذبذب بين الإقبال والإحجام نتيجة لما صدر من قوانين لتخفيض الإيجارات وللرهبة من صدور قانون للمباني يماثل قانون الإصلاح الزراعى - ولكن يمكننا أن نذكر بصفة عامة أن القيمة الإيجارية للمسكن خضعت فى الفترة من سنة ١٩٥٢م حتى ١٩٦١/١١/٥م للعرض والطلب وتقديرات المالك مع الأخذ فى الاعتبار التخفيضات التى قررتها الدولة فى التشريعات .

لذا فرغم عدم الإستقرار ودون تخطيط لنشاط الإسكان فى هذه المرحلة فقد كان الإنتاج الكلى للوحدات السكنية عالياً نسبياً إذ يقدر بحوالى خمسين ألف وحدة سكنية سنوياً فى الأعوام من ١٩٥٢م حتى ١٩٦٠م .

حجم الإسكان بالنسبة للإحتياجات :

تشير البيانات المتاحة إلى أن هذه الفترة تميزت بعدم وجود مشكلة إسكان فى مصر إذ يستفاد من تقارير الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ما يلى :

- ١ - عدد سكان جمهورية مصر العربية عام ١٩٥٢م .. ٢١,٥ مليون نسمة .
- ٢ - إجمالى عدد الوحدات السكنية عام ١٩٥٢م .. ٤,٥ مليون وحدة .
- ٣ - عدد سكان جمهورية مصر العربية عام ١٩٦١م .. ٢٦,٦ مليون نسمة .
- ٤ - إجمال عدد الوحدات السكنية عام ١٩٦١م .. ٥,٥ مليون وحدة .

وهذا يوضح أن متوسط عدد شاغلى الوحدة السكنية هو (٥) تقريباً ويكاد يكون هذا المعدل ثابتاً خلال هذه الفترة .

شركات المقاولات تكوينها - إدارتها - طاقتها التنفيذية :

كانت شركات المقاولات بصفة عامة خلال هذه الفترة منشآت خاصة يمتلكها ويديرها أصحابها وكانت تتخذ شكل المشروعات الفردية أو شركات الأشخاص ، وقليل منها إتخذ شكل شركات الأموال - وقيام الثورة عام ١٩٥٢م بدأ الأجانب من أصحاب هذه الشركات أو من العاملين بها تصفية نشاطهم في مصر - وإعتمد نشاط المقاولات على العديد من الشركات المصرية أو المختلطة ومن أبرزها :

شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح / شركة إيجيكو : شركة رولان / الشركة المساهمة المصرية (العبد) / شركة حسن علام / شركة مختار إبراهيم / الشركة الهندسية للصناعات والمقاولات العمومية (عثمان أحمد عثمان) / شركة المشروعات الهندسية والصناعية .

وكانت إدارة العمل بهذه الشركات تعتمد على المدير الفردى حتى بالنسبة لشركات الأموال التى كان يملك معظم أسهمها مجموعة من الأفراد القلائل .

وبتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م غادر مصر الكثيرون من الأجانب ممن كانوا يعملون بهذه الشركات مما فتح المجال لزيادة نشاط المقاولين المصريين مع زيادة حجم الأعمال التى أتاحتها مشروعات الثورة فى مجال التشييد كمشروعات الإسكان والمباني العامة والصرف الصحى والمياه والرصف والرى إلى جانب مشروعات الصناعة فى مجال الغزل والنسيج ومواد البناء والصناعات المعدنية والغذائية الخ .

ويمكن تقدير طاقة أجهزة المقاولات فى مصر فى نهاية هذه الفترة بحوالى مائة مليون جنيه سنوياً هذا بالإضافة إلى نشاط قطاع المقاولات المصرى بالبلاد العربية .

وكان رأس مال أى من شركات المقاولات الكبرى حينئذ حوالى مبلغ مائة ألف جنيه أما الطاقة التنفيذية للشركات الكبرى فكانت فى حدود أعمال قيمتها مليون جنيه سنوياً فى المتوسط .

ونظراً لأنه لم تكن لهذه الشركات هياكل تنظيمية وكوادر فنية تسمح لتطوير نظم الإدارة فقد كان ذلك سبباً فى الحد من تطور حجم أعمالها .

أما إسناد الأعمال لشركات المقاولات فى تلك الفترة فكان غالباً من خلال المناقصات العامة أو المحدودة ولهذا كان عامل المنافسة حافزاً لإنضباط الأداء ورفع الكفاية الإنتاجية وجودة الإنتاج حتى يمكن كسب ثقة العملاء من خلال التنافس على أفضل الأداء .

وقد بدأت بعض شركات المقاولات تدعيم كيانها بإنشاء ورش للأعمال التكميلية مثل : نجارة الباب والشباك والبلاط والرخام والمشغولات المعدنية .

وساعد على حسن أداء الشركات فى هذه الفترة وإنضباط مواعيدها توفر عناصر الإنتاج من مواد وعمالة ومعدات وخدمات .

ومنذ عام ١٩٦٠م أخذت الدولة بنظام التخطيط للتنمية .

وبدا واضحاً أن استثمارات التشييد تصل إلى حوالى نصف الاستثمارات الإجمالية مما دعا إلى التفكير فى كسر احتكار مجموعة المقاولين بعد أن تزايد حجم الأعمال فى مجال التشييد وهكذا تناولت قوانين يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١م بعض شركات المقاولات بالتأميم كما سيأتى ذكره فيما بعد .

مقاولو الباطن والعمالة الحرفية والأجور :

تعتمد شركات المقاولات فى المشروعات المسندة إليها على مقاولين يتعاملون معها من الباطن لتنفيذ أعمال الحفر والخرسانة والمباني والتجارة والبياض .. الخ كل فى حدود اختصاصه وغالباً ما توفر الشركة لمقاول الباطن المواد والمهمات ووسائل الإقامة فى المناطق النائية وعلى مقاول الباطن تجهيز العمالة اللازمة لتنفيذ الأعمال تحت إدارته وإشراف الشركة .

ويصعب أثناء الخمسينات الوصول إلى حصر لشركات المقاولات أو مقاولي الباطن إلا أنه حسب إحصائيات السكان عام ١٩٤٧م يبلغ عدد العمال الحرفيين فى مجال التشييد ١١٣,٣٦١ ألف عامل (عن كتاب العوامل المؤثرة فى نمو السكان د . أحمد أمين مختار) .

وكان للحرفة والمهارات الفردية شأنها فى تلك الفترة كما كان توفر العمالة معتمداً على التوريث والتلمذة الحرفية فى ظل كادر حرفى يحتوى المعلم والأسطى والمساعد والصبى .

لذا لم يكن من المستغرب أن يكون من بين أصحاب شركات المقاولات من برز من الحرفيين بكفاءته وشخصيته وخلقه .

كذلك إختصت بعض المدن والمناطق بتوفير نوعيات من العمالة :

فعمال بناء الطوب من زفتى وميت غمر والشوبك بالجيزة .

وعمال بناء الأحجار من درنكة بأسيوط وطره .

وعمال الخرسانة من قرى أسيوط وسوهاج وقنا .

وعمال البياض المتميز من الأسكندرية والقاهرة .

أما الأعمال التكميلية الخاصة بالنجارة والمشغولات المعدنية والبلاط والقيشاني فأغلب عمالها من سكان الحضر .

وبالنسبة لأجور الحرفيين فى تلك الفترة فإنه لتوفير العمالة وتوازنها مع العرض والطلب لم يطرأ على الأجور زيادة تذكر وكان حكمها حكم تكاليف المعيشة التى كانت مستقرة إلى حد مقبول .

جدول رقم (١)

مقارنة بين متوسط الأجور اليومية بالجنية
للعمال العاديين والحرفيين فى مجال التشييد

المهنة	عام ٢٩٥٢م	عام ١٩٦١م
عامل عادى	-١٥٠	-٢٥٠
عامل قروان	-٣٠٠	-٥٠٠
نجار مسلح	-٥٠٠	-٨٠٠
حداد مسلح	-٤٠٠	-٧٠٠
بناء/ مبيض/ مبلط	-٤٥٠	-٧٥٠
سباك	-٥٠٠	-٨٠٠
كهربائى	-٤٠٠	-٦٠٠

مواد البناء :

توفرت مواد البناء أثناء هذه الفترة وكانت أسعار المستورد منها والمحلى متناسبة مع مستوى المعيشة وعلى سبيل المثال كان الإنتاج المحلى من الأسمنت زائداً عن حاجة التشييد وبدأ تصدير الأسمنت عام ١٩٥٢م بكمية قدرهه ٤٠٠٠ طن واستمر التصدير فى الزيادة حتى بلغ ٦٥٠ ألف طن عام ١٩٦٠م / ١٩٦١م وبلغ ٥٤٨ ألف طن عام ١٩٦١م / ١٩٦٢م أى مـلا يزيد عن ٢٥٪ من الإنتاج المحلى الذى بلغ ٢٠,٠٩٣ مليون طن عام ١٩٦١م / ١٩٦٢م ويبين الجدول التالى بيانا بكميات الإنتاج والتصدير والإستهلاك المحلى للأسمنت (بالألف طن) كذا بيان الأسعار بالجنية .

جدول رقم (٢)

كميات الإنتاج والتصدير والإستهلاك المحلى للأسمنت

الإنتاج	الكميات	الإستهلاك	الاسعار للطن	بالجنية
السنة	المصدر	المحلى		
١٩٥٢	٨٣٨	٤	٨٣٤	
١٩٥٣	٩٦٨	١٤٣	٨٢٥	٤,٦٤٠
١٩٥٤	١١١٧	١٥٤	٩٦٣	٥,٦٤٠
١٩٥٥	١٢٤٩	٥٥	١١٩٤	٦,١٩٠
١٩٥٦	١٢٢١	١٣	١٢٠٨	٥,١٤٠
١٩٥٧	١٣٣٩	٢٢٨	١١١١	
١٩٥٨	١٥٢٤	٢١٩	١٢٦٣	الأسعار تسليم مصانع القاهرة داخل
١٩٥٩	١٧٥٤	٤٩١	١٢٦٣	أكياس ورق ٣ طيات يضاف
٦٠/٦١	٢٠٦٩	٦٥٠	١٤١٩	٥٦٠- للطن لجميع الأنواع
٦٢/٦١	٢٠٩٣	٥٤٨	١٥٤٥	للتسليم فى مصنع المكس حتى
				١/١/١٩٧٩م ومن عام ١٩٤٦م
				أضيف رسم الإنتاج بواقع ٧٧٠,
				مليم للطن وتزايد حتى بلغ ١,٥٠٠
				فى عام ١٩٥٨م .

ونشير فيما يلى إلى بعض أسعار مواد البناء عام ١٩٥٢ م :

مليم جنيه	
٤٤,٠٠٠	للطن حديد تسليح (أساسى) .
٣,٢٥٠	للألف طوب أحمر .
٧٠٠	للمتر المكعب زلط .
٣٠٠	للمتر المكعب رمل .
٩٠٠	للمتر المكعب جير .
١,٣٠	للطن مصيص .
٢٥,٠٠٠	للمتر المكعب خشب سويد .

أساليب التشييد :

لا شك أنه إذا توافرت العمالة المدربة التى تتسم بالمهارة الحرفية لتنفيذ المشروعات الهندسية وخاصة مشروعات الإسكان - فلا بد أن يتحقق حسن الأداء فى حدود تكلفة مناسبة وقد كان هذا هو الحال فى تلك الفترة (٥٢ / ٦١ م) فلم تختلف أساليب التشييد كثيراً عما كان متبعاً من قبل .

فأعمال الحفر تتم يدوياً باستخدام الأدوات ، البسيطة التقليدية والعمال متوفرون لدرجة تكاد تضيق بهم بعض مواقع العمل .

أما الخرسانة فكان هناك إهتمام باختيار مكوناتها من رمل وزلط ورقابة تدرجاً بهزها فى الموقع - وكان وكيل الخرسانة وخلطها يتم يدوياً مع استخدام طبالى الخلط - أو استخدام الخلاطات إذا كان هناك نص على ذلك فى العقود .

وكان قطع وتجهيز حديد التسليح يتم يدوياً - أما الشدات والفرم اللازمة لصب الخرسانة فتجهز من الأخشاب .

وكان استخدام السقايل الخشبية هو وسيلة الانتقال الرأسى والأفقى للعمال والمواد ، فلم تكن الأوناش والمصاعد قد إتجه التفكير لاستخدامها بعد .

وبصفة عامة كان إستخدام الأخشاب هو الأسلوب السائد للشدات والسقاييل لرخص أسعاره بالمقارنة للحديد رغم نسبة إستهلاك الأخشاب العالية ورغم الوقت والجهد الضائع فى إستخدامه .

إلا أنه كانت هناك قلة من الشركات المتخصصة فى أعمال الخرسانة والأجزاء الخرسانية سابقة الصب تؤدي أعمالها بأسلوب متطور فى تجهيز الحديد وعمل الشدات والفرم و خلط الخرسانة وصبها مع إستخدام معدات متطورة ومع دقة الإلتزام بالمواصفات .

وبالنسبة للمباني كان إستخدام الطوب الأحمر هو السائد إلى جانب إستخدام الطوب الرملى والأحجار حسب ظروف الموقع - إلا أن البناء بالحجر بدأ يتناقص لتحول العمالة عنه ولزيادة تكلفته ولتوفر الطوب الأحمر (فيما عدا المناطق الصحراوية والقريبة من المحاجر) لما يتراكم سنوياً بعد فيضان النيل من طمى على الجسور والجزر النيلية وكذا ما يتخلف عن أعمال التطهيرات .

وللتصميم أثره على أسلوب التنفيذ - فقبل هذه الفترة تم بناء عدد من عمارات الإسكان يكاد لا يزيد تصميم إرتفاعها عن عشرة طوابق حتى لا تتجاوز مصاريف الصيانة وتشغيل المصاعد والإنارة وطمبات المياه الحد الإقتصادى المعقول وأثناء هذه الفترة نشطت الرغبة فى إستغلال مواقع الأرض الممتازة والتي بدأت أسعارها فى الإرتفاع وكذا الرغبة فى زيادة إستثمار رأس المال مما دعا إلى الإرتفاع بالمباني السكنية وكان هذا حافزاً لبعض الشركات لتدعيم إمكانياتها ببعض المعدات المتطورة ، إلا أنه كان لتوفر العمالة الحرفية حيثئذ ما أمكن معه الإستمرار فى إستخدام الأساليب التقليدية فى غالبية المشروعات بما يحقق تنفيذ الأعمال بأسعار مقبولة دون إستخدام الميكنة .

أما أعمال التشطيبات للبياض والرخام والأرضيات وكذا الأعمال التكميلية الخاصة بالتجارة والأعمال الصحية والكهربائية فقد كان المجتمع ما زال متحفظاً بالنسبة للمواد المستحدثة البديلة والمصنعة - متمسكاً بإستخدام المواد التقليدية المتوفرة محلياً أو المستوردة وبالتبعية كان أسلوب التنفيذ تقليدياً وساعد على ذلك وفرة العمالة ومن سمات هذه الفكرة ما تميزت به من كفاية إنتاجية عالية إذ تم أثناء تلك الفترة الكثير من المشروعات بمستوى عال من الجودة فى مجال الإسكان والتشييد بصفة عامة مما يجعل هذه الفترة تعبر عن مرحلة متميزة فى التشييد .

تكاليف الإسكان :

إرتفعت تكاليف المتر المسطح من الإسكان خلال هذه الفترة تدريجياً وبمعدل مقبول يكاد يكون ثابتاً تتراوح نسبته بين ٢٪ ، ٣٪ سنوياً .

وكان متوسط تكلفة المتر المسطح من الإسكان الإقتصادي كالتالى :

عام ١٩٥٢م ٨,٠٠٠ جنيه

عام ١٩٦١م ١٠,٠٠٠ جنيه

كما كان متوسط تكلفة المتر المسطح من الإسكان المتوسط كالتالى :

عام ١٩٥٢م ١٢,٠٠٠ جنيه

عام ١٩٦١م ١٦,٠٠٠ جنيه

لذا كان عبء إيجار المسكن مناسباً بالنسبة لمتوسط دخل الأسرة .

الفترة ١٩٦٢ - ١٩٧٢م :

عوامل مؤثرة على نشاط الإسكان والتشييد :

١ - الظروف العسكرية :

تحملت موارد الدولة كثيراً من الأعباء المادية نتيجة للمجهود الحربى فى حرب اليمن وحرب يونيو ١٩٦٧م وما بعدها وذلك فى إقامة المنشآت والأعداد للنواحي العسكرية بما لم تتيح للدولة الإمكانيات الكافية لمشروعات الخدمات بصفة عامة .

٢ - التشريعات فى مجال الإسكان :

- صدور القانون رقم ١٦٧ لعام ١٩٦١م بتخفيض الإيجارات ٢٠٪ ابتداء من إيجار شهر ديسمبر ١٩٦١م .

- صدور القانون رقم ١٦٩ لعام ١٩٦١م بإلغاء الضرائب العقارية لشاغلى الوحدات السكنية (حوالى ٣,٧٪ من القيمة الإيجارية) .

- صدور القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٢م بتحديد القيمة الإيجارية للمسكن من تاريخ صدور القانون على أساس عائد سنوى قدره ٥٪ من قيمة الأرض ، ٨٪ من قيمة

المباني - وبذا أصبحت القيمة الإيجارية لا تخضع للعرض والطلب .

- صدور القانون رقم ٧ لعام ١٩٦٥ م بتخفيض إيجارات المساكن التي انشئت من عام ٤٤ حتى ١٩٦١/١١/٥ م بمقدار ٢٠٪ - أما المساكن التي انشئت من ١٩٦١/١١/٥ م حتى ١٩٦٥/٢/٢٢ م فتخفض بمقدار ٣٥٪

وقد يكون المبرر لإصدار هذه القوانين محاولة من الدولة لإيجاد التوازن فيما بين مستويات الأجور والمرتبات السائدة وبين القيمة الإيجارية للمساكن لا سيما وقد بدأت ظاهرة مغالاة غالبية الملاك في تقدير القيمة الإيجارية - ومن الواضح أن هذا التوازن قد أجرى بحكم القانون على حساب المالك .

وكان صدور هذه القوانين على مراحل وبأثر رجعي عاملاً من عوامل الهبوط التدريجي في نشاط الإسكان - إلا أن هذا النشاط لم يتوقف فقد إتجه البعض إلى الإستثمار في مجال الإسكان بعد صدور قوانين الإصلاح الزراعي وقرارات التأميم .

سياسة الدولة :

إتجهت سياسة الدولة في هذه المرحلة إلى الإقتصاد الموجه من خلال سيطرة الدولة على الإمكانيات المتاحة وأدوات الإنتاج لتحقيق خطة إقتصادية طموحة وفي سبيل ذلك أصدرت القوانين الاشتراكية بتأميم الشركات - ووضعت للتصنيع خطة طموحة إلى جانب مشروعات التنمية في مجال الري وإستصلاح الأراضي فلم يتح من خلال هذه السياسية الإمكانيات المادية بالقدر الكافي لمشروعات الخدمات وفيما يلي بعض عوامل كان لها تأثير على نشاط الإسكان .

أ - إعطاء الأهمية والأسبقية لتنفيذ مشروعات التصنيع ومشروع السد العالي ومشروعات إستصلاح الأراضي والري .

وقد إستنفدت هذه المشروعات الجانب الأكبر من مواد البناء المحلية والمستوردة من أسمنت وحديد تسليح وأخشاب مما كان له دائرة في الحد من نشاط الإسكان .

ب - نتيجة لخطة الدولة الطموحة زادت حجم خطة التشييد عن قدرات قطاع المقاولات المتاحة للتنفيذ - مما أدى إلى إرتفاع ملموس في أسعار الموارد والمعدات وتكاليف النقل والأجور .

جـ - . كان من معوقات الخطة عدم إحكام التنسيق بين قطاع التشييد وقطاعات الصناعة والتجارة والنقل إلى جانب عدم إتاحة القدر الكافي من النقد الأجنبي .

فأمكانيات قطاع الصناعة لم تكن قادرة على توفير مواد البناء بالكميات والمواصفات والمعدلات الزمنية المناسبة .

وأمكانيات قطاع التجارة ممثلاً في شركات القطاع العام للتجارة تتركز في إستيراد مواد البناء والأخشاب والمعدات ووسائل النقل وقد دعت ظروف العجز في النقد الأجنبي في كثير من الأحيان إلى توجيه الإستيراد نحو دول معينة (الكتلة الشرقية) للحصول على المواد ... والمعدات اللازمة للتشييد مع التجاوز بعض الشيء عن درجة صلاحيتها .

ويعتبر النقل عنصراً أساسياً في مكونات نشاط التشييد بالنسبة للإمداد بالمواد والمعدات في الوقت المناسب دون تعطل للعمالة بالموقع ورغم وسائل النقل المتاحة لدى شركات المقاولات التي كانت تحقق حوالي ٢٥٪ من إحتياجاتها من النقل فإن التنسيق بينها وبين قطاع النقل كان حيوياً وكان للإختناقات في النقل أثرها في مضاعفة تكلفة عنصر النقل أثناء تلك الفترة .

وزعم الأثر السلبي لبعض العوامل السابق ذكرها على نشاط الإسكان فإنه من خلال النظام الإقتصادي الموجه من الدولة وفي ظل تحديد فرص العمل والأجور والمرتبات ورقابة الأسعار كان التوازن ما زال محتملاً بين الدخل وأعباء المعيشة شاملة الإسكان .

تأميم شركات المقاولات والقوانين الاشتراكية :

١ - الهدف من التأميم :

لقطاع التشييد أهميته الخاصة بالنسبة للإقتصاد القومي - إذ يعتبر الركيزة الأساسية لتنفيذ مشروعات الخطة حيث تبلغ نسبة إستثماراته حوالي ٤٧٪ من إستثمارات الخطة .

وفيما قبل صدور القوانين الاشتراكية عام ٦١ بتأميم الشركات كان لشركات المقاولات في ظل القطاع الخاص حرية الإختيار في التقدم لتنفيذ ما يروق لها من المشروعات والإحجام عن التقدم للبعض الآخر حسب نوعية المشروعات ومواقعها وما تنتظره الشركة من عائد إلى جانب متظهر في بعض صور الإستغلال لمضاعفة الربح ... ونتيجة لذلك

نعتبر تنفيذ بعض مشروعات الدولة حسبما كان مقدراً لها بالخطوة .

ونظراً لأن الدولة كانت مقبلة فى الستينات على مشروعات عديدة ووضخمة للتنمية فى شتى المجالات الصناعية والزراعية والاجتماعية فقد إتجه التفكير إلى تجميع أجهزة الإنتاج وتوجيهها لتحقيق خطة الدولة وذلك بتكوين حاجز قوى من شركات المقاولات تحت سيطرة الدولة مع التنسيق بين هذه الشركات ومعاونتها وتوجيهها لتحمل مسئولية تنفيذ مشروعات الخطة فى مواعيدها وفى إطار التكاليف المقررة دون مغالاة .

٢ - القوانين والقرارات التى صدرت فى شأن قطاع التشييد :

نورد فيما يلى موجزاً لما صدر من قوانين أو قرارات فى هذا الشأن (عن تقرير الإصلاح التنظيمى والاقتصادى لقطاع التشييد والبناء - وزارة الإسكان - أغسطس ١٩٦٨) .

أ - صدرت القوانين الاشتراكية ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ لسنة ١٩٦١م بتأميم ١٧ شركة من شركات المقاولات كانت طاقتها التنفيذية حينئذ حوالى ١٥ مليون جنيه .

ب - صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٠٣ لسنة ١٩٦١م والذى بمقتضاه تحدد الحد الأقصى لأعمال المقاولات التى تشند للقطاع الخاص بمبلغ ٣٠ ألف جنيه لكل شركة سنوياً - ولم يكن هذا التحديد بالإضافة إلى طاقة الشركات المؤسسة ليسمح بإنجاز خطة التنمية الأمر الذى اقتضى صدور القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦١م بالسماح لشركات القطاع الخاص بطلب الانضمام للقطاع العام بنسبة ٥٠٪ (خمسون فى المائة) .

ج - فى أكتوبر ١٩٦١م صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ١٥٢٥ بإنشاء المؤسسة المصرية العامة للمقاولات والإنشاءات والتى بدأ إشرافها على ١٦ شركة من شركات المقاولات تشارك المؤسسة فى رأسمالها بنسبة ٥٠٪ وتمتلك البعض الآخر بالكامل ثم توالى قبول الشركات فى القطاع العام بنسبة ٥٠٪ حتى أصبحت الشركات التابعة للمؤسسة ٧٢ شركة .

فى نوفمبر عام ١٩٦٢م صدر قرار السيد / رئيس الجمهورية رقم ٣٢٢١ بإلغاء المؤسسة المصرية العامة للمقاولات والإنشاءات وإنشاء ثلاث مؤسسات عامة هى :
- المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الأعمال المدنية وتضم ٢٤ شركة .

- المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإسكان والمباني العامة وتضم ٣٦ شركة .
- المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المرافق وتضم ١٢ شركة .

د - فى ٨ مارس سنة ١٩٦٤م صدر القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٤م بتأميم شركات المقاولات والقطاعات الخاصة بأصحاب هذه الشركات تأمياً كاملاً وبأثر رجعى اعتباراً من ١٩٦١/٧/٢٠م وتشمل ذلك ١١٩ شركة ومنشأة .

هـ - فى ٩ مارس سنة ١٩٦٤م صدر القرار الوزارى رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٦٤م المنفذ للقانون رقم (٥٢) لسنة ١٩٦٤م متضمناً إدماج بعض الشركات وكذا نقل تبعية بعض الشركات بين المؤسسات النوعية الثلاث وأصبح عددها بعد الإدماج ٣٥ شركة .

و - فى ٦ فبراير ١٩٦٥م صدر القرار الجمهورى ٢٥٩ لسنة ١٩٦٥م متضمناً تعديل الهيكل التنظيمى لبعض الشركات التى سبق أن تقرر إدماجها بالقرار الوزارى رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٦٤م وبذلك أصبح عددها ٤١ شركة .

ز - فى ٢٤ مارس ١٩٦٤م صدر القانون ٣٩ لسنة ١٩٦٤م فى شأن تنظيم نشاط المقاولات خارج الجمهورية ووفقاً لأحكام القانون نقل إلى إشراف وزير الإسكان والمرافق الشريكتان الآتيتان :

الشركة الهندسية للصناعات والمقاولات العمومية « عثمان أحمد عثمان وشركاه » من المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الأعمال المدنية .

شركة النصر العامة للمقاولات « حسن علام وشركاه » من المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإسكان والمباني العامة .

كما صدر قرار السيد / وزير الإسكان والمرافق بنقل الإشراف إلى المؤسسة المصرية العامة وذلك بالنسبة للشريكتين الآتيتين :

شركة القاهرة العامة للمقاولات ؛
الشركة العربية العامة للمقاولات .

فى نوفمبر ١٩٦٥م صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٤١٦ و رقم ٤٤٢١ متضمناً إدماج المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإسكان والمباني العامة فى المؤسسة المصرية العامة لأعمال التشييد والبناء . كما أضيفت أعمال التصميمات إلى إختصاصات المؤسسة المصرية العامة للأعمال المدنية وتعديل تسميتها إلى المؤسسة المصرية العامة لأعمال التشييد والبناء - كما أضيفت أعمال التصميمات إلى إختصاصات المؤسسة الجديدة مع تحويل المؤسسة المصرية العامة للأبنية العامة إلى شركة مساهمة عربية (المكتب العربى للتصميمات والاستشارات الهندسية) ونقل تبعية هذه الشركة إلى المؤسسة الجديدة وكذلك تعديل تسمية المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المرافق إلى المؤسسة المصرية لأعمال المرافق وأصبحت وظيفتها إلى جانب أعمال المقاولات تخطيط ومتابعة تنفيذ أعمال المياه والمجارى بالجمهورية .

فى مارس سنة ١٩٦٧م صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٠٨ لسنة ١٩٦٧م متضمناً إنشاء مؤسسة عامة تسمى « المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المباني » تضم ١٩ شركة من شركات المؤسسة المصرية العامة لأعمال التشييد والبناء مع تعديل تسمية المؤسسة الأخيرة بعد فصل هذه الشركات عنها إلى المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإنشاءات المدنية وتضم ١٨ شركة من ضمنها شركات المقاولات التى كانت تابعة لمؤسسة أعمال المرافق .

كما تضمن القرار الجمهورى سالف الذكر فصل شركة المكتب العربى للتصميمات والاستشارات الهندسية عن إشراف المؤسسة وضمتها إلى إشراف وزير الإسكان والمرافق وفقاً لأحكام القانون ١٣٩ لسنة ١٩٦٤م .

والخلاصة أنه خلال الفترة صدر العديد من القوانين والقرارات بتأميم الشركات ودمج بعضها أو نقل تبعيتها فيما بين المؤسسات أو لإشراف وزير الاسسكان وقد بلغ عددها أربعة عشر فيما بين ١٩٦١م ، ١٩٦٧م كما تغير تنظيم وتسمية مؤسسات المقاولات النوعية ونقل تبعية الشركات إليها خمس مرات أثناء تلك الفترة .

وبهذه المناسبة تولى وزارة الإسكان فى الفترة ما بين عام ٦٢ ، ١٩٧٢م عشرة وزراء ولعل الصورة السابقة تعطى مؤشراً لحالة الاستقرار الإدارى والنفسى للعاملين بقطاع المقاولات فى هذه الفترة .

٣ - أوامر التكليف :

وإلى جانب ما صد من القوانين والقرارات التنظيمية التي أشير إليها فإنه نتيجة مغالاة بعض الشركات في الأسعار - أو لإتخاذ مواقف سلبية حيال التقدم للمناقصات رأت الدولة حفاظاً على تنفيذ مشروعات الخطة في مواعيدها وحسب تقديراتها إصدار القانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٦٢ م ، بتحويل وزير الإسكان والمرافق سلطة تكليف بعض الشركات بتنفيذ المشروعات - ووضع هذا القانون قواعد خاصة للمحاسبة بمقتضاها .

إنجازات التشييد في هذه المرحلة :

مع سيطرة الدولة على أجهزة التشييد - أخذت في تدعيم الهيكل الإقتصادي للدولة مع التركيز على مشروعات خططها القومية .

جدول رقم (٣)

ملخص الإستثمارات للخطة الخمسية الأولى ٦٠ / ١٩٦٥م والخطة الخمسية الثانية ٦٥ / ١٩٧٠م وما يخص التشييد في كل منهما (بالمليون جنيه)

الجهة	قيمة الاستثمارات في الخطة الخمسية		قيمة الاستثمارات في الخطة الخمسية الثانية		إجمالي الاستثمارات من ١٩٧٠ / ٦٥	
	جولة	ما يخص	جولة	ما يخص	جولة	ما يخص
	الاستثمار	التشييد	الاستثمار	التشييد	الاستثمار	التشييد
الزراعة	١١٨,٤	٤٨,٧	١٠٤,١	٣٦,٨	٢٢٢,٥	٨٥,٥
الرى والصرف	١٣٨,٢	٩٧,٤	١٤٨,٤	١١٩,٦	٢٨٦,٦	٢١٧,٠
السد العالي	٩٨,٦	٦٩,٣	٥٦,٧	٤٣,٤	١٥٥,٣	١١٢,٧
الصناعة	٤٠٣,٩	١٠٨,٨	٤٤٩,٧	١٣٢,٦	٨٥٣,٦	٢٤١,٤
الكهرباء	١١٢,٦	٢٨,٤	٢٤٩,٠	٥٩,٠	٣٦١,٦	٨٧,٤
النقل والمواصلات	٢٧٠,٨	(٨٦,١)				
					٢٩٢,٤	(٨١,٦)
قناة السويس	٣٣,٣	(١٩,٦)			٥٩٦,٥	١٨٧,٣
المباني السكنية	١٦١,٥	١٤٣,٦	١٥٣,٤	١٤٠,٤	٣١٤,٩	٢٨٤,٠
المرافق العامة	٥٠,٥	٣٦,٨	٤٤,٨	٢٤,٤	٩٥,٣	٦١,٢
الخدمات	١١٧,٨		٧٩,٩	(٤٧,٨)		
المال والتجارة	١٠,٢	٧٨,٠	٩,٨	٥,٣	٢٣٦,٢	١٣١,١٨
جهاز المقاولات	٨,٠		١٠,٥	(٠,٨)		
القاهرة الكبرى	—	—	—	—	—	—
المجموع بخلاف القوات المسلحة	١٥٢٣,٨	٧١٦,٧	١٥٩٨,٧	٦٩٠,٩٨	٣١٢٢,٥	١٤٠٧,٦٨

ومن متابعة الاستثمارات المخصصة للتشييد خلال ١٩٧١/٧٠ يلاحظ أنها انخفضت بشكل ملموس حيث تم توجيه استثمارات كبيرة خلال العام للأعمال العسكرية (عن كتاب الكفاية الإنتاجية في قطاع المقاولات د. خالد فودة) .

جدول رقم (٤)

قيمة ما تم تنفيذه فعلاً من استثمارات فى إنشاء الوحدات السكنية خلال الخطة
٦٥/٦٠ ، ٧٠/٦٥ (بالمليون جنيه)

نوع الإسكان	٦٥/٦٠	٧٠/٦٥
اقتصادى . وريفى	٦٩,٣	١٢٧,٢
متوسط	٥٠,٠	٧٤,٥
فوق المتوسط	١٥,٧	١٥,٠

ويلاحظ أن استثمارات الإسكان المنفذة خلال ٦٥,٦٠ بلغت ١٨,٨ ٪ من إجمالى التشييد كما يلاحظ أن استثمار الإسكان المنفذة خلال ٧٠/٦٥ بلغت ٣١,٤ ٪ من إجمالى التشييد .

قطاع التشييد وشركات المقاولات : تكوينها/إدارتها وطاقاتها التنفيذية .

١ - قطاع التشييد :

قطاع التشييد هو قطاع ذو إنتاج سلعى مباشر كما هو الحال فى قطاع الصناعة وقطاع الزراعة وفى إطار خطة الدولة يحدد لكل قطاع هدف واضح للإنتاج يصل إليه بتدرج مقدرة تحدد الخطة .

كما تحتسب القيمة المضافة لكل قطاع فى سنوات الخطة بالمقارنة لهذه القيمة فى سنة الأساس .

وبالرجوع للخطة الخمسية الأولى (٦٠/٥٩ إلى ٦٥/٦٤) يتبين أن قطاع التشييد هو القطاع الوحيد الذى خطط له إلا يزيد إنتاجه فى السنة الخامسة إلا بمقدار (٦٪) عن سنة الأساس بينما خطط لقطاعى الزراعة والصناعة أن يزيد إنتاجها بنسبة (٢٨ ٪ ، ٦٦ ٪) على التوالى كما هو موضح فى القسم الأول فى الجدول التالى :

جدول رقم (٥)
إجمالي الإنتاج القطاعي الزراعة والصناعة والقيمة المضافة
(بالمليون جنيه)

القطاع	(١) إجمالي الإنتاج		(٢) القيمة المضافة		نسبة الزيادة
	٦٥/٦٤	٦٥/٥٩	٦٥/٦٤	٦٥/٥٩	
الزراعة	٥٧٤	٧٣٦	%٢٨	٤٠٠	%٢٩
الصناعة والكهرباء	١٠٩٤	١٨١٤	%٦٦	٢٧٣	%٩٨
التشييد والبناء	١١٥	١٢٢	%٦	٥٢	%١,٩
قطاعات تدعيم الهيكل الاقتصادي	٣٥٨	٤٣٨	%٢٢	٣٦١	%٢١
قطاع التجارة	١٦٣	٢٠٨	%٢٨	١٢٧	%٢٨
قطاع الخدمات	٢٢١	٢٨٣	%٢٨	١٦٩	%٢٧
الإجمالي العام	٢٥٢٥	٣٦٠١	%٤٣	١٢٨٢	%٤٠

كما يتبين أيضاً في القسم الثاني في الجدول الخاص القيمة المضافة انخفاض مساهمة قطاع التشييد في مجموع الدخل في السنة الخامسة (٥١ مليون) إلى سنة الأساس (٥٢ مليون) أي بنسبة ٢٪ في الوقت الذي تزيد فيه قيمة مساهمة قطاع الصناعة والزراعة بنسبة (٩٨٪) (٢٩٪) على التوالي .

ومن الغريب أن يراعى زيادة عدد المشتغلين خلال سنوات الخطة في كل قطاع عدا قطاع التشييد فقط خطط لعدد المشتغلين أن ينخفض من ١٧٠ ألف في سنة الأساس ١٩٦٠ إلى ١٥٩ ألف في السنة الخامسة ١٩٦٥ كما يتضح من الجدول التالي :

جدول رقم (٦)
جدول عدد المشتغلين خلال سنوات الخطة

القطاع		جملة المشتغلين بالآلف	
		٦٠/٥٩	٦٥/٦٤
الزراعة		٣٢٤٥	٣٨٠٠
الصناعة		٦٣٢	٨٤٧
التشييد		١٧٠	١٥٩
قطاعات تدعيم الهيكل الاقتصادى			
التجارة		٦٣٣	٧٣٠
قطاع الخدمات		٧٩٣	٩١٤
الإجمالى		٥٩٧٥	٧٠٠١

(من تقرير الإصلاح التنظيمى والاقتصادى سنة ١٩٦٨)

ورغما من العبء الملقى على عاتق التشييد لتنفيذ أعمال تمثل ٤٧٪ من استثمارات الخطة (بخلاف المجهود الحربى) ورغما عن أن التخطيط بطبيعته يستهدف أن يحقق للاقتصاد القومى نمواً متوازناً وتوافقاً بين معدلات النمو فى جميع الأنشطة بحيث لا يسبق أحدهما الآخر أفيشكل أعباء تقصر عنها إمكانيات باقى الأنشطة أو يتخلف عنها فيعوق تقدمها - فمن الواضح أن قطاع التشييد لم يحظ من التخطيط بنفس العناية التى حظيت بها القطاعات الأخرى وكان لذلك أثره على إمكانيات الشركات وطاقاتها التنفيذية .

٢ - تكوين شركات المقاولات وإدارتها :

سبق الإشارة إلى أن إدارة العمل بغالبية شركات المقاولات كانت تعتمد فى الفترة السابقة على المدير الفرد الذى يرجع إليه فى كل أمور الشركة بحكم ملكيته وولايته على رأس المال - وله أسلوبه فى إدارة الشركة وكان لبعض الشركات هياكل تنظيمية ولوائح فى إطار هذا الأسلوب .

وكان فى صدور القوانين الاشتراكية وملكية الدولة لهذه الشركات ما يدعو لتطوير تكوينها وإحكام الإشراف عليها كأداة هامة من أدوات الإنتاج تعتمد عليها الدولة فى إنجاز مشروعات الخطة - واقتضى ذلك العمل فى بناء الهيكل التنظيمى المناسب للشركات ومراعاة أن يحكم سير العمل بها نظم ولوائح مالية وإدارية مع الاستفادة بالعنصر البشرى الموروث عن القطاع الخاص إلى جانب توفير الكثير من الفنيين والماليين والإداريين من ذوى الخبرة بالجهاز الحكومى أو النشاط الخاص استكمالاً لأجهزة الإدارة العليا بهذه الشركات - وصدور أوامر التكليف لخريجي الجامعات والمعاهد من المهندسين للعمل بها .

وقد تعرضت الشركات كوحدة اقتصادية فى أوائل هذه المرحلة إلى التحول المفاجيء فى التنظيم وفى الإدارة وفى زيادة طاقتها فلن تخضع للنمو الطبيعى إلى جانب ما تعرضت له بعض الشركات من عدم توفير الثقة والانسجام بين أفراد القطاع الخاص السابق ومن استجد عليهم فى ظل القطاع العام وكذا من ترجيح أهمية العنصر الفنى عن العنصر المالى .

وفى سبيل رفع الكفاية الإنتاجية وتنسيق جهود العاملين بها سارعت مؤسسات المقاولات المشرفة عليها إلى الاستعانة ببعض الخبراء المتخصصين فى الإدارة والتنظيم لبناء الهيكل التنظيمى المناسب للشركات وتوصيف الوظائف وتحديد اختصاصات أفراد الإدارة العليا - كما روعى ما أمكن أن يرأس الجهاز الإدارى ، للشركة أو يشترك فيه صاحب الشركة قبل التأميم .

وعلى العموم يمكن القول أن هذه الفترة كانت بداية للتنظيم الإدارى والمالى لشركات المقاولات تحت إشراف المؤسسات النوعية .

٣ - طاقة شركات المقاولات :

سبق أن ذكرنا أن طاقة قطاع التشييد قبل التأميم كانت حوالى ١٠٠ ليون جنيه سنوياً - بما فى ذلك طاقة الشركات التى أمتت وتبعت لوزارة الإسكان وكانت لا تتعدى ٢٥ مليون جنيه سنوياً - وفى الفترة بعد التأميم كان اهتمام شركات مقاولات القطاع العام (التابعة للإسكان والتابعة لجهات أخرى) موجهاً نحو مضاعفة قدرتها كى تتمكن من تنفيذ حجم الأعمال الضخمة الذى فوجئ بها القطاع العام فى بداية الخطة الأولى وقد نجح إلى حد

بعيد حتى بلغت قدرته التنفيذية عام ٦٤/٦٣ حوالى ١٤٩ مليون جنيه من إجمالى الإنتاج الكلى لقطاع التشييد فى ذلك العام وقدره ٢٠١,٥ مليون جنيه .

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن أجهزة التنفيذ التى يشملها قطاع التشييد تتكون من أجهزة تابعة للقطاع العام ويشمل :

- أ - أجهزة تابعة لوزارة الإسكان والمرافق .
- ب - أجهزة تابعة لجهات أخرى (الإصلاح الزراعى - وزارة النقل - وزارة تربية - هيئة قناة السويس - هيئة السكة الحديد - القوات المسلحة) .

ويمكن بصفة تقديرية اعتبار أجهزة وزارة الإسكان تمثل نحو ٥٠٪ من إجمالى طاقة التشييد واعتبار طاقة أجهزة القطاع الخاص نحو ٢٥٪ من إجمالى طاقة التشييد (*) .

ونورد فيما يلى حجم أعمال التشييد التى قامت بتنفيذها شركات القطاع العام التابعة لوزارة الإسكان .

(*) مذكرة بشأن تطوير قطاع التشييد للعرض على اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى - وزارة الإسكان والمرافق - القاهرة ٦٦/٦/٨ ص (١٠) (عن كتاب الكفاية الإنتاجية فى قطاع المقاولات د . خالد فوده)

جدول رقم (٧)

حجم أعمال التشييد التي قامت بتنفيذها شركات ومقاولات القطاع العام

السنة	إجمالي قيمة ما تم تنفيذه (مليون جنيه)
٦٢ / ٦١	٢٩,٦٦
٦٣ / ٦٢	٥٤,٥٠
٦٤ / ٦٣	٨٣,٦٨
٦٥ / ٦٤	٨٤,٢٥
٦٦ / ٦٥	١٠٠,٢٣
٦٧ / ٦٦	٩٢,٤٣
٦٨ / ٦٧	٨٠,١٧
٦٩ / ٦٨	٧٤,٢١
٧٠ / ٦٩	١٠١,٠٧
٧١ / ٧٠	١٢١,٢٧

عن الجدول رقم (٩) من تقرير الإصلاح التنظيمي والاقتصادي لقطاع التشييد والبناء
وزارة الإسكان ، وعن تقارير وزارة التعمير بالنسبة لعام ٦٧ / ٦٨ وما بعدها .

وقد كانت أهميته الكبرى في هذه الفترة لمشروعات الإسكان تمشياً مع الاحتياجات
الفعلية . وفيما يلي بيان الوحدات السكنية التي تم إنجازها في تلك الفترة (حسب ما
جاء بدراسة الفريق المشترك لوزارة الإسكان ووزارة التخطيط والهيئة الأمريكية للتنمية
الدولية) . (يونه سنة ١٩٧٦ م) .

جدول رقم (٨)

الوحدات السكنية التي تم إنجازها في الفترة من ٦١ - ١٩٧١

السنة	ما نفذ لحساب المحافظة والقطاع العام	ما نفذ لحساب القطاع الخاص	المجموع
٦٢ / ٦١	١٦٧٦٨	٢٥٦٧٥	٤٢٤٤٣
٦٣ / ٦٢	٣١٢٨٨	٢٢٥٩٠	٤٣٨٧٨
٦٤ / ٦٣	١١٨٨٠	١٠٨٦٤	٢٢٧٤٤
٦٥ / ٦٤	٩٠٢٠	٨٨٩٣	١٧٩١٣
٦٦ / ٦٥	٢٠٥٠٩	١٣٠٠٠	٣٣٥٠٩
٦٧ / ٦٦	٩٨٤٤	١٥٧٣٨	٢٥٥٨٢
٦٨ / ٦٧	١٠٩٦٧	٢٩٥٠٥	٤٠٤٧٢
٦٩ / ٦٨	٥٢٩٩	٢٨٧١٠	٢٨٠٠٩
٧٠ / ٦٩	٥٤٩١	٢٨٧١٧	٣٨٢٠٨
٧١ / ٧٠	٥٢٥٠	٢٢٥٢٠	٢٧٧٧٠

مقاولو القطاع الخاص والباطن والعمال - الهجرة - الأجور :

يصعب الحصول على معلومات وافية عن مقاولي القطاع الخاص والباطن وعمال التشييد في هذه الفترة نظراً لعدم توفر البيان أو لتضاربها .

وحسب ما جاء بدراسة الفريق المشترك بوزارة الإسكان ووزارة التخطيط مع هيئة التنمية الدولية يقدر عدد العاملين بقطاع التشييد سنة ٦٩ / ٧٠ بنحو (٣٨٧٩٠٠) - في حين يقدر عدد الحرفيين في التشييد بنحو (١٥٧٦٥٢) حسبما جاء بتقرير منظمة العمل الدولية سنة ٧١ ، كما تحدد بإطار الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للسنوات الخمس يوليو سنة ١٩٦٠ - يوليو ١٩٦٥ أن عدد المشتغلين بقطاع التشييد سنة ٥٩ / ٦٠ يقدر بنحو (١٧٠) ألف ، وفي سنة ٦٤ / ٦٥ يقدر بنحو (١٥٩) ألف حسب احتياج الخطة (كما جاء بتقرير الإصلاح التنظيمي والاقتصادي لقطاع التشييد والبناء وزارة الإسكان جدول رقم ٢) كما يتبين أيضاً في الجدول صفحة ٢١ الخاص بإجمالي إنتاج القطاعات

أن إجمالي التشييد والبناء قدر بقيمة (١١٥) مليون جنيه سنة ٥٩ / ٦٠ بقيمة (١٢٢) مليون جنيه سنة ٦٤ / ٦٥ أى بزيادة ٦٪ ونظراً لأن الأسعار زادت فى سنة ٦٤ / ٦٥ ، عنها فى سنة ٥٩ بحوالى ٥٠٪ فإن إجمالى قيمة التشييد بالخطلة سنة ٦٤ / ٦٥ بنسبة الأسعار سنة ٥٩ / ٦٠ تقلر بحوالى (٨١,٥) مليون جنيه - وذلك يفسر أنخفاض عدد المشتغلين بقطاع التشييد فى تنفيذ خطة ٦٤ / ٦٥ عنها فى سنة ٥٩ / ٦٠ ومعنى وجود فائض فى العمالة .

والى جانب انكماش حجم العمل بعد سنة ٦٧ فيما عدا (المجهود العربى) كان معدل الزيادة فى أجور عمال التشييد طفيفاً أثناء هذه الفترة بالمقارنة لارتفاع مستوى المعيشة مما دعا لهجرة الكثير منهم إلى البلاد العربية وراء العمل والأجر الأعلى .

كما اتجهت أيضاً شركات مقاولات القطاع العام تغطية لطاقاتها العاطلة إلى العمل خارج الجمهورية بالدول العربية (السعودية - الكويت - ليبيا - العراق - الجزائر) والدول الإفريقية (مالى - النيجر - ساحل العاج) ..

ونورد فيما يلى بيان بالأجور اليومية (بالقروش) للعمالة الحرفية أثناء تلك الفترة .

جدول رقم (٨)
بيان بالأجور اليومية للعمال الحرفية

المهنة	سنة ٦٢	سنة ٦٥	الأجر بالقـرش سنة ٧٠	سنة ٧٣
عامل عادى	٢٥	٣٥	٥٠	٦٠
عامل قروان	٤٠	٤٥	٥٥	٨٠
نجار مسلح	١٠٠	١٤٠	١٥٥	٢٠٠
حداد مسلح	٧٥	١٠٠	١١٥	١٥٠
بناء/مبيض/مبلط	٨٠	١١٥	١٣٥	١٧٥
سباك	١٠٠	١٤٠	١٥٥	٢٠٠
كهربائى	—	٩٥	١١٠	١٥٠

وكان من أسباب زيادة الأجور أثناء تلك المرحلة صدور قوانين التأمينات الاجتماعية وتحديد ساعات عمل وحد أدنى للأجور - وزيادة تكاليف المعيشة وتنفيذ عدد من المشروعات الحيوية فى وقت واحد فى بداية تلك المرحلة (السد لعالى - تهجير النوبة - المجمعات الصناعية) بدء عزوف راغبى العمل عن التشييد بحثاً عن مجال عمل أقل مشقة وأيسر دخلاً - إلى جانب هجرة الكثير من العمال للخارج .

ويبين الجدول التالى معدلات زيادة الأجور فى كل سنة منسوبة للسنة التى تسبقها والزيادة التراكمية بالنسبة لسنة ١٩٦١ (من بحث زيادة الأسعار خلال الفترة من يوليو ٦١ حتى مارس ٧٤ - تحت إشراف الدكتور مهندس محمد على المصرى - وزارة الإسكان والتعمير) .

جدول رقم (٩)
معدلات زيادة الأجور في كل سنة ١٩٧١ / ٦١

السنة	٦١	٦٢	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠
معدلات زيادة الأجر سنوياً	-	٣٠	٢٥	١٥	٦	٤	٢	٦	٧
الزيادة التراكمية للسنة الأساس ١٩٦١	١٠٠	١٣٠	١٦٠	١٨٦	١٩٧	٢٠٩	٢١٧	٢٢٦	٢٤٠

مواد البناء المحلية والمستوردة وأسعارها :

لم يستجد على مواد البناء الأساسية تغيير يذكر سوى التطور المحدود في استخدام بعض المواد المصنعة البديلة للوفر في التكلفة - كالخشب الحبيبي وبلاطات الأسفلت للأرضيات - واستخدام المواسير وبعض الأدوات من البلاستيك في أعمال الكهرباء والأدوات والصيحي .

وكانت مواد البناء المحلية (الأسمنت - الرمل - الزلط - الجبس) متوفرة أما الطوب الأحمر فقد بدأت أسعاره في الارتفاع نتيجة لهبوط حجم إنتاجه بعد إنجاز مشورع السد العالي وحجز طمي النيل خلف السد وتوقف تراكمه على الجسور والجزر النيلية .

جدول رقم (١٠)
الموقف بالنسبة للإنتاج المحلى للأسمنت ١٩٦٢ - ١٩٧٢
(الكميات بالآلف)

الأسعار باللطن بالجنيه المصرى						الاستهلاك	الكميات	الإنتاج	السنة
مخلوط	عصى	سريع	روتر	لوميت					
٢٠٩٦	٤,٦٤	٥,١٤٠	٦,١٤٠	٦,٦٩٠	٥,٦٤٠	—	٣٢٧	٢٢٧٣	٦٢/٦٢
٢٤٨٥						١٠	١٣٢	٢٦٠٧	٦٤/٦٢
٢٦٨٣	٤٨٣	٦,٠٠٠	٧,٠٠٠	٥,٥٥٠	٦,٥٠٠	٤٨٣	٢١٠	٢٤١٠	٦٥/٦٤
٢٣٧٧	١٥٥					١٥٥	٣٥٢	٢٥٧٤	٦٦/٦٥
٢٤٣١	٥٩					٥٩	٢٨٨	٢٦٦٠	٦٧/٦٦
٢٢٩٠	—					—	٦١٤	٢٩٠٤	٦٨/٦٧
٢٥٦٣	—	٧,٠٠٠	٨,٠٠٠	٨,٧٧٠	٦,٥٠٠	—	٨٨٥	٣٤٤٨	٦٩/٦٨
٢٧٨٤	—	٧,٠٠٠	٨,٠٠٠	٨,٥٥٠	٧,٥٠٠	—	٦٢٩	٣٤٠٣	٧٠/٦٩
٢٨٨٣	—					—	٩١٨	٣٨١١	٧١/٧٠
٤٥٨١	—	٨,٠٠٠	٩,٠٠٠	٩,٥٥٠	٨,٥٥٠	—	١١٧٦	٥٧٥٧	٧٢/٧١

(١٨ شهر)

الأسعار الموضحة للطن فى أكياس ٣ طيات تسليم مصانع القاهرة يضاف مبلغ ٥٦٠ مليم للطن الواحد لجميع الأنواع تسليم المكس الإسكندرية ، يضاف للأسعار نولون النقل والذى يحسب طبقاً لوسيلة النقل وموقع التسليم يضاف رسم إنتاج بواقع ١,٤٠٠ جنيه وأربعمائة مليم للطن اعتباراً من فبراير ١٩٧٢ وأضيف رسم خزانة بواقع ١,٠٠٠ جنيه واحد للطن .

جدول رقم (١١)
بيان عن الإنتاج المحلي والاستيراد من حديد التسليح

السنة	الإنتاج المحلي بالطن	المستورد بالطن	الإجمالي بالطن
٦٥ / ٦٦	١٧٧٣٢٤	—	١٧٧٣٢٤
٦٦ / ٦٧	١٧٢٢٦٣	٦١٧٧٩	٢٣٤٠٤٢
٦٧ / ٦٨	١٩٢٠٤١	٤٢٣٤٥	٢٣٤٣٨٦
٦٨ / ٦٩	٢٢٩١٤٠	٣٥٩٥٢	٢٦٥٠٩٢
٦٩ / ٧٠	٢٢٢٧٦٩	٣٤١٢٧	٢٥٦٨٩٦
٧٠ / ٧١	١٨٩١٩٦	١٠٣٧٨٢	٢٩٢٩٧٨
٧١ / ٧٢	٢٠٥٠٨٣	٩٠١١٢	٢٩٩٩٥

كما يوضح في الجدول الثاني تطور أسعار مواد البناء (شاملة النقل) خلال هذه الفترة .

جدول رقم (١٢)
تطور أسعار مواد البناء (شامل النقل) بالجنيه المصري

١٩٧٢	١٩٧١	١٩٧٠	١٩٦٩	١٩٦٨	١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	١٩٦٤	١٩٦٣	١٩٦٢	مواد البناء
٨٥	٨٠	٦٨	٦٥	٦٥	٦٢	٦٢	٦٠	٦٤	٦٠	٥٨	حديد تسليح ٣٧ بالطن
٨.٠٠٠	٧.٠٠٠	٧.٠٠٠	٧.٠٠٠	٦.٠٠٠	٦.٠٠٠	٦.٠٠٠	٦.٠٠٠	٥١٤٠	٥١٤٠	٥١٤٠	أسمنت عادي للطن (أساسي)
٩.٠٠٠	٨.٥٠٠	٧.٥٠٠	٦.٠٠٠	٧.٥٠٠	٧.٥٠٠	٧.٥٠٠	٩.٠٠٠	٧.٠٠٠	٦.٧	٣٦	طوب أحمر بالآلف
٢.٠٠٠	١.٨٠٠	١.٥٠٠	١.٥٠٠	١.٢٠٠	١.٠٠٠	١.٥٠٠	١.٥٠٠	١.٢	١.٠٠٠	٨٠	زلزله ٣٣
١.١٠٠	.٩٥٠	.٨٥٠	.٨٥٠	.٧٥٠	.٦٥٠	١.١٥٠	١.٠	.٠٧٠	٤.٥	٣٧	رمل ٣٣
٤.٨٠٠	٤.٥٠٠	٤.٥٠٠	٤.٦٥٠	٤.٦٥٠	٤.١٥	٤.١٥	٤.٣٥	٤.٨٠	٣.٠	٢٤٠	جير ٣٣
٩.٠٠٠	٩.٠٠٠	٧.٥٠٠	٦.٥٠٠	٦.٥٠٠	٥.٣٠	٥.٣٠	٥.٣٠	٥.٠	٤.٨٠	٤٣٠	جص بالطن
١٠.٠٠٠	١٠.٠٠٠	٧.٠٠٠	٧.٥٠٠	٧.٥٠٠	٦.٢٥	٦.٢٥	٦.٢٥	٦.٠٠	٥.٨٠	٥٢٠	بالطن
	١٠.٠٠٠	١٠.٠٠٠	٩.٠٠٠	٩.٠٠٠	٨.٠٠٠	٨.٠٠٠	٦.٠٠٠	٥.٠٠٠	٢٧.٠	٣٦.٠	خشب سويدي ٣٣
											١٠.٠٠٠

وقد حرصت الدولة على تثبيت أسعار مواد البناء خاصة المستورد منها وعدم زيادتها لنفس النسب التي زادت بها الأسعار في مناطق إنتاجها وذلك بتحملها فروق الأسعار - وفيما يلي بيان بمعدل زيادة الأسعار في مواد البناء بالنسبة لسنة الأساس ١٩٦١ (عن بحث زيادة الأسعار تحت إشراف الدكتور مهندس محمد على المصرى - وزارة الإسكان والتعمير) .

السنة	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	٧٠	٧١	٧٢
الزيادة التراكمية لأسعار مواد البناء	١٠٠	١٠٣,٤	١١١,٣	١٢١,٥	١٢٥	١٣٧,٣	١٥١	١٥٤	١٥٧	١٦٢,٧	١٦٤,٧	١٧٨

وقد اعترض خطة توفير المواد الكثيرة من الاختناقات بالنسبة للحديد والأسمنت والخشب كمواد أساسية حاكمة في التشييد إذ كان كثيراً ما لا يتوفر المطلوب من إحداها بالقدر الكافي مما كان له أثره على خطة التنفيذ .

ثامناً : أساليب التشييد :

كان من الضروري في تلك المرحلة تطوير وسائل التشييد من العمل اليدوي إلى الميكنة بما يساير التطور الجارى في مجال الصناعة - وكذا لدعم إمكانات التشييد في مواجهة الدولة - وقد تمت في هذه الفترة دراسات عديدة لاستخدام الميكنة في تطوير أساليب التنفيذ بشركات مقاولات القطاع العام - ومن هذه الدراسات : تصنيع قطاع التشييد - رفع الكفاية الإنتاجية لشركات المقاولات - الإصلاح التنظيمي والاقتصادي - دراسة مشتركة مع الخبراء الروس لتطوير وتصنيع طرق الإنشاء - زيادة ودراسة لمصانع المباني الجاهزة ببعض الدول الأوربية غير أنه بسبب ما تتطلبه الميكنة من استثمارات ضخمة إلى جانب ما عانته البلاد في خلال حرب ١٩٦٧ لم يكن في الإمكان اتخاذ خطوات إيجابية لميكنة أساليب التشييد وكان استخدام العمالة الحرفية في التنفيذ هو الأسلوب المناسب لظروف الدولة الاقتصادية وإمكانيات التمويل المحلي والخارجي طالما أن هذه العمالة فيها الفائض ولديها القدرة بوسائلها التقليدية على تحقيق الخطة المطلوبة . ولم تتمكن شركات المقاولات بصفة عامة من تطوير أساليبها ولم تسمح إمكانياتها إلا باستعاضة المستهلك من معداتها والحصول على بعض معدات أغلبها من دول الكتلة الشرقية - وذلك لعدم توفر النقد الأجنبي الحر .

تكاليف الإسكان وعبء المسكن ودخل الأسرة :

ارتفعت تكلفة مباني الإسكان هذه الفترة تدريجياً وباعتبار سنة ١٩٦١ سنة الأساس زادت التكلفة حوالي (١٠٪) سنة ١٩٦٢ وحوالي (١٠٠٪) حتى سنة ١٩٧٢ واتجه الأمر لضغط هذه التكلفة ما أمكن على حساب الوفرة في مسطح المسكن وخفض مستوى مواصفات الأعمال والمواد المستخدمة .

- وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان الاقتصادي عام ١٩٦٢ ١٢ جنيه .
- وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان الاقتصادي عام ١٩٧٢ ١٦ جنيه .
- وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان المتوسط عام ١٩٦٢ ١٦ جنيه .

وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان المتوسط عام ١٩٧٢ - ٢٢ جنيه .
وهذا يتيح قيمة إيجاريه للمسكن الاقتصادي حوالى ٦ جنيهات شهريا للوحدة ٥٠م^٢
كما يتيح قيمة إيجارية للمسكن المتوسط حوالى ١٢ جنيهاً للوحدة ٧٠م^٢ وبالمقارنة
لمستوى الدخل كانت قيمة الإيجار فى الحدود المحتملة ولكن عدم توازن العرض مع الطلب
كان له أثره على القيمة الإيجارية للمسكن كسلعة يتزايد عليها الطلب .

* تلك هى الإنجازات .. وفى مجال محدد (كنموذج قطاع الإسكان والتشييد) ، وبلغت
رقمية مصممة وهو ما يقدم فى أغلبه (وليست كله بالطبع) صورة عن إنجازات إيجابية محددة ،
على غير ما يذهب أعداء عبد الناصر . وتجربته وبخاصة من الإسلاميين والشيوعيين هذا مع
تأكيدنا على أهمية رؤيتهم وأهمية الإنصات إليها والتفاعل الإيجابى معها حرصاً على مستقبل
لن تقوم له قائمة إلا بتحالف بين كافة الاتجاهات والتيارات الوطنية .

ملحق (١)

الإشتراكية فى إدراك عبد الناصر

إن الأوضاع القديمة كلها ، تركت للشعب المصرى تخلفاً مروّعاً ، إن النهب والإستغلال عبر قرون ، نزحوا الجزء الكبير من الثروة المصرية وناتج العمل المصرى ، بل إنتى أكاد أقول ، إنها إستهدفت أن تنزح جزءاً من العزيمة المصرية ، حتى تقلل من احتمالات الثورة ، وتؤمن بالسيطرة ، مجال النهب والإستغلال إلى الأبد :

(العيد الثانى عشر للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٤ م)

إن إرادة التغيير الثورى ، التى تصدت للسيطرة ، تصدت أيضاً لآثارها ، وللآثار التى أحدثها النهب والإستغلال .. تصدت للتخلف .. إرادة التغيير التى أسقطت أسباب التخلف .. كانت هى نفسها التى فرضت خطة التقدم .

(العيد الثانى عشرة للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٤ م)

وكان النجاح العظيم يوم ٢٣ يوليو وخلوده .. كان هذا النجاح كبداية للثورة ومدخل لها .. إن الجيش أدرك مكانه ، وهو أنه جزء من هذا الشعب ، وبالتالي أظهر إرادته كجزء من الإرادة الشعبية ، ولم يكن الأمر بعد ذلك فى حاجة الى عناء كبير ، فإن القلة الرجعية الحاكمة وجدت نفسها تواجه الزحف الشعبى الباسل من غير سلاح فى يدها .

(مؤتمر الإتحاد القومى ٩/٧/١٩٦٠ م)

كان علينا أن نتحرر من الماضى .. كان علينا أن نتخلص من براثن الماضى . كان علينا أن نقوم بعملية كاملة لتطوير حياتنا .

كانت هذه العملية هى عملية الإنشقاق من الماضى والتحرر من الأغلال الغير المنظورة والأغلال المادية .. الثمانين ألف عسكرى إنجليزى الذين كانوا فى مصر .. السيطرة والإقطاع والإحتكار والرأسمالية المستغلة . والأغلال الغير منظورة التى هى التأثير الفكرى والإرهاب الفكرى .

عملية الإنشقاق من الماضى ، كانت هى طبيعة هذه المرحلة .. كان مطلوب إستخلاص الآمال الوطنية . كل الآمال الوطنية من كل الضياع التى تدور فيه فى حلقة مفرغة .. إستخلاص الآراء الوطنية من كل أنواع الضغط والقصر .. ثم إستخلاص الثروة الوطنية

من الإحتكار والإستغلال .. ثم البحث عن نقطة البداية السليمة التي نستطيع أن نطلق منها لأهدافنا الكبرى .

كل هذا كان مطلوب أن يتحقق ، مع معارك لا تنتهى مع كل أعداء الثورة الوطنية والثورة الإجتماعية التي كنا نمر بها من جانب كل اللي مش عايزين للتغير الحتمى أن يأخذ مجاله .. كنا عايزين نحقق هذه الأهداف .

ونحن فى وسط هذه المعركة .. الإستعمار كان لنا معه معارك .. المصالح الدولية ، التي كانت تعتبرنا داخل مناطق النفوذ ، كان لنا معها معارك ..
(خطاب فى ١٩٦٢/٩/٢٤ م)

إن شعوبنا لا تصنع بالإستقلال علما ونشيداً وصوتاً فى عداد الأصوات فى الأمم المتحدة فحسب ، ولكنها تريد ، إلى جانب ذلك ، أن يكون للإستقلال مضموناً إجتماعياً ، يصور كرامة البشر ، كما يصون الإستقلال كرامة أرضهم .. كل واحد واجه هذا التحدى حين كان يظن أن أصعب الأوقات قد فاتت بالخلاص من الأجنبى .. وكل منا بغير جدال وقف أمام هذا التحدى يسأل نفسه ، والآن ماذا أفعل ؟
(مؤتمر القمة الأفريقى فى ١٩٦٤*٧/١٧ م)

لقد كان إحراز النصر فى هذه المعركة ، هو الضمان الوحيد لتثبيت كل إنتصارات معركة الحرية السياسية وتدعيمها .. وكان لابد أن ينطلق الزحف نحو معركة الحرية الإجتماعية بجناحين من الكفاية والعدل ..

كانت الكفاية تعنى زيادة الإنتاج فى جميع المجالات .. زيادة رقعة الأرض الزراعية .. زيادة غلة كل فدان فى الأرض الزراعية .

كانت تعنى زيادة المصانع بالتوسع فيها طبقاً لخطة مطابقة لإحتياجنا وتدعيم الكفاية الإنتاجية لكل ما كان لدينا منها ولكل ما نبنيه عندنا من جديد .

كانت تعنى توجيه المال الداخلى وتحويله إلى طاقة خالقة وتحريكه بكل سرعة لتوسيع قاعدة الثروة الوطنية .

كانت تعنى التوسع الكبير فى وسائل المواصلات ، فى القوى الحركة فى الخدمات

التي تمكن القوى البشرية للوطن من أن تعطى للإنتاج دون ما عقبات أو موانع كل ما تملكه من قدرة على الفكر وعلى العمل ولقد كان ما تم إنجازه في هذا المجال ضخماً وكبيراً .
لقد أنشئت الأجهزة العاملة بكل الوسائل ووضعنا تحت تصرفاتها من الإمكانيات ما يمكنها من فتح الطريق أمام العمل الجدى فى جميع القطاعات .
(خطاب فى ١٦/١٠/١٩٦١)

ولا يمكن أن يخلق المجتمع الجديد ، بالشعارات وحدها بل بالعمل .. العمل هو الذى يخلق المجتمع الجديد .. العمل على إنهاء سيطرة رأس المال على الحكم .. والعمل على إنهاء الإقطاع .. والعمل على زيادة الإنتاج .. والعمل على عدالة التوزيع ..
سيطرة رأس المال على الحكم ، معناه ديكتاتورية رأس المال ، وبقاء البناء الاجتماعى والإقتصادى لخدمة مصالح فئة قليلة وطبقة محدودة .. لخدمة الطبقة الرأسمالية .

وإذا سيطرت الطبقة الرأسمالية على البناء الاجتماعى والإقتصادى ، فإن معناه السيطرة على الحكم بطريق مباشر أو غير مباشر .. ومعنى هذا ديكتاتورية الأقطاع وديكتاتورية رأس المال التى تحاول أن تخضع المجتمع كله للإستغلال والسيطرة ..

إننا رأينا قبل الثورة كيف أن الوزراء كانوا يشتغلوا عند الرأسمالية .. إزاي الوزراء يقبضوا ، إزاي الوزير كان فى الحكم ، وكان يأخذ ماهية من فلان أو فلان .. أمثلة بهذا الشكل كانت معروفة وإنقلت فى محكمة الثورة ..

إذن ديكتاتورية رأس المال تحكم ، سواء كانت هى فى الحكم ، أو تحكم بواسطة أعوانها أو عملائها وهى تبقى خارج الحكم ، ولكنها تدبر الحكم لمنفعتها ولمصلحتها من أجل إستغلال الشعب ، ومن أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح .

(عيد الثورة التاسع ٢٢/٧/١٩٦١ م)

تحالف الإقطاع ورأس المال قد سقط ، وإسترد الشعب أرضه ليزرعها .. يسنده تنظيم تعاونى . رأس المال يعطى ليهم كسلفيات بدون فوائد . إسترد الشعب المصانع من تحالف الإقطاع مع رأس المال ، للشعب .. للعمال .. يشتركون فى إدارتها ، ويشتركون فى أرباحها ، ويصبح العمال أسياد للآلات لا عبيد لها .. ولا وقوداً لهذه الآلات وفى حمايتهم كل إمكانيات التأمين الاجتماعى ضد الأمراض وضد الإصابة .. وضد البطالة وضد المرض

وضد الشيخوخة ..

إسترد الشعب أمواله المنهوبة . وجهها للتنمية الشاملة ، علشان يزرع أرض جديدة ليقم مصانع جديدة ، لبنى مراكز للخدمة الإجتماعية والصحية والثقافية جديدة . لرفع الحياة على أرض الوطن ، ولزيادة فرص العمل أمام أجيال تأتي إلى الحياة ، وتطالب بالحق فيها ، من أجل مجتمع يقوم على دعائم الكفاية والعدل .. ولقد كان منطقياً بهذا ضرورياً أن يخرج السلطة من تحالف الأقطاع ورأس المال .

(العيد الثانى عشر للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٤م)

لقد كان القضاء على الإستغلال مقدمة طبيعية لعدالة التوزيع .. ولقد وجهت إلى الإستغلال ضربات متلاحقة ، بدأت بالإصلاح الزراعى ، إلى تأمين قناة السويس ، إلى التخصيص ، إلى تأمين البنوك وشركات التأمين وتجارة القطن ، إلى قرارات يوليو المجيدة وقرارات أغسطس ١٩٦٣م وقرارات مارس ١٩٦٤م التى أنهت مشكلة التعويضات على التأمين ، وقامت بعملية تصفية للإمتيازات القديمة لم يكن منها مفر .

ولم يكن توجيه الضربات إلى الإستغلال موقفاً سلبياً ، ولكن تحويل رأس المال الضخم أداة الإستغلال الرئيسية ، إلى الإنتاج العام والخدمة العامة ، كان من أبرز نقط الارتكاز للعمل الوطنى الإيجابى .

إن تحويل المقادير الضخمة من رأس المال ، إلى ملكية الشعب العامل ، وإلى خدمته ، ساعدت إلى حد كبير ، على تعزيز العمل من أجل الكفاية ، وخدمت الفرص المتكافئة للمواطنين سواء بالطريق المباشر ، أو بالطريق غير المباشر .

إن الأرض التى وزعها الإصلاح الزراعى من أملاك أى إقطاعى قديم ، حولت فلاحاً معدماً وأسرته ، إلى مالك له حق الحياة .. ورأس المال الضخم ، الذى تحرر من الإحتكار ، شارك فى إقامة مصانع ، أتاحت عشرات الألوف من فرص العمل ، للذين كانوا يبحثون عن العمل ، وفوق ذلك فلقد فتحت أمام الألوف من الشباب المتعلم الذى كانت الحواجز تقف حائلاً أمامه أبواباً إلى مراكز القيادة فى وحدات الإنتاج الضخمة .

(مجلس الأمة فى ٢٥/٣/١٩٦٤م)

هكذا سقط الملك .. وسقط الحكم الملكى بعد أيام من إعلان الجيش لموقفه .

وهكذا سقط الإقطاع ، وسقطت سيطرة رأس المال على الحكم ، وفقدت الأحزاب القائمة مقومات وجودها ، وهكذا أصبح الطريق مفتوحاً لتصحيح الأوضاع .. ولقد كان مستحيلاً أن تبقى الفرصة حكراً بالوراثة لقلة من المواطنين .. وكان مستحيلاً أن يبقى الجهل والمرض والضعف حكراً بالوراثة لكثرة من المواطنين .

(مؤتمر الاتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩ م)

إن أخطر ما نواجهه اليوم ، وما سوف نواجهه ، هو أن شعبنا تخلف إيجاباً عن تقدمه ، بفعل ظروف مختلفة ، بعضها يرجع إلى عوامل داخلية ، وبعضها الآخر يرجع إلى عوامل فرضت عليه من الخارج فرضاً .

إننا لا نملك أن نتخلف إطلاقاً عن العالم الجديد ، ولقد بذلنا الكثير من التضحيات ودفعنا الكثير من الآلام .. إننا تخلفنا عن تطورين سابقين هما البخار والكهرباء ..

ولكن ذلك كله لا يقاس بما يمكن أن نتعرض له إذا فاتنا الفجر الجديد .. إن الذين يتخلون عن الفجر الجديد سوف يغامرون بحقهم في الوجود .

هذه هي صورة المشكلة التى تواجهنا ، وأحب أن أضيف إليها .. أن هناك نتائج سياسية كبرى سوف تترتب عليها ذلك أن الفوارق بين الدول التى تسير التطور الكبير القادم .. والدول التى تعجز عن مسايرته سوف تكون أكبر بكثير من الفارق بين دول الإستعمار والشعوب التى رضخت لطغيانه .

كانت حركة النضال اليومى للجماهير ، تؤكد لى فى كل لحظة ، أن هذا الجيل هو الذى اختار قدره بالثورة .. وهو الذى رسم لنفسه الطريق ، وحدد الهدف .

كانت الآمال طموحة ، وكان طموحها هو نفسه مسافة الرحلة إليها هو نفسه سبب التعرض الطويل للأخطار ..

ولكن هذا الجيل ، عقد عزمه منذ صنع الثورة ، على أنه لا بد من اللحاق بالأحلام الضائعة ، ولا بد من الوصول إلى مستوى التقدم المقبول عالمياً وإنسانياً .

(مجلس الأمة فى ١٩٦٥/٣/١٦ م)

إن إرادة التغيير .. هى إرادة هذا الشعب ، رفع مستوى المعيشة ، مضاعفة الإنتاج ، زيادة

الدخل القومي - هو سبيلنا لأن نعيش حياة سعيدة .. وعلى أن نوفر لأبنائنا حياة أسعد من بعدنا .

(خطاب في ١٩٦٣/١/٩)

أنه بات محتملاً أن نسرع خطانا على طريق التنمية بأكثر من هذا القدر . ولقد طلبت إلى الأجهزة المسؤولة عن التنمية أن تدرس إمكانية مضاعفة الدخل القومي في أقل من عشر سنوات ولا بد لنا أن نسير وأن نبني .. وما من جدال أن الإطار الاشتراكي للمجتمع الآن يساعدنا على دفع عجلة الإنتاج بسرعة أكبر مما قدرنا ونحن نضع الخطة .

(خطاب في ١٩٦١/١٠/١٦)

علينا واجب كبير من أجل بناء هذه الأمة ، ومن أجل أن ننجز في ٣٠ سنة ، ما أنجزته أوروبا في ٣٠٠ سنة .. إذا كنا عازمين تعيش عيشة سعيدة .

(خطاب في ١٩٦٢/٧/٢٤ م)

لازم نؤمن ونصمم على أن نتغلب على هذا التحدي ، الذي هو البيت الطين ، الذي ورثناه من عهد الإقطاع بيت الفلاح ، المسافة بينه وبين العمل التي لازم نقطع هذه المسافة في أسرع وقت علشان تقدر تقول إن إحنا فعلاً بنينا بلدنا وطورنا بلدنا ..

(عيد النصر السادس ١٩٦٣/١٢/٢٣)

وكان الاتجاه الذي انتهى إليه الشعب في الميثاق ، هو أن الحل الوحيد لمواجهة المستقبل ، وصنع التقدم المحقق فيه ، هو بذل الجهود المضاعفة ، من أجل التنمية مع الاحتفاظ للإنسان المعاصر ، بكل حقوقه في الحياة .

إن شعبنا خرج من هذه الدراسة الشاملة لموقفه ، ولمشاكله ، ولخططة المستقبل ، بما يمكن تلخيصه في جملة واحدة .. «إن تحدى الحياة يفرض عليه أن يقوم بما يشبه المعجزة .. من أجل التنمية باعتبارها الصيغة المحققة للتقدم في جميع نواحيه» .

ولقد كان الرأي الذي انتهى إليه إجماع شعبنا ، هو أن هذه المعجزة مع صعوبتها ليست مستحيلة بل هي ممكنة ، بالإرادة الإنسانية ، وبالعقل الإنساني ، وبالعقل الإنساني .

(مؤتمر التنمية الاقتصادية ١٩٦٢/٧/٩ م)

نبدأ من تخلف طويل ، أحدثه القهر والنهب الإستعماري ، وضاعفت مسافته عزلة عن

مجرى الحضارة فرضت علينا .

نبدأ ومن حولنا عقبات متشابكة ، تقتضيها الجهد الطويل لكي نعبّر على نقطة البداية الصالحة للمواجهة ، وعلى مركز الإنطلاق الموام .

نبدأ ومن وراءنا دفع متزايد من آمال شعوبنا التي أضناها الحرمان ، وتريد أن تعوض الماضي ، وتهرع لاحقة بالمستقبل .

نبدأ في جو مشحون بالمعتقدات الإجتماعية المختلفة ، كل منها تعرض علينا إجابة لا إجابة غيرها على التحدى الذى نواجهه .

نبدأ والمسافة بيننا وبين من سبقونا إلى التقدم تزداد إتساعاً بحكم الثورة العلمية وإحتلالاتها .

نبدأ والكثيرون منا يواجهون ظروفاً وقيوداً لا يستطيعون إخضاعها لآمالهم بين يوم وليلة .. مواردهم لم تخلص لهم بعد ، أو هي شحيحة لا تفى بالمتنظر ، والخبرة نادرة ، والتكنولوجيا الحديثة مخترعة أو هي غالية .

ما الذى تصنعه ؟ وأين الطريق الصحيح ؟

(مؤتمر القمة الأفريقى ١٧/٧/١٩٦٤م)

كان محتماً أن نفتح الطريق أمام العدل . ولقد كان ذلك يقتضى أن نسير في طريقين :

أولاً : تعبئة الإقتصاد القومى ، حتى تتسع أفاقه ، إلى حد يسمح لكل مواطن بأن يملك نصيباً منه .

ثانياً : محاولة تقليل حدة الفوارق بين الناس ، إحقاقاً لمبدأ العدل الإجتماعى ، وتمكيناً للإستقرار داخل الوطن .

(مجلس الأمة فى ٤/١١/١٩٦٠م)

سنة ٥٢ حصل إليه ! إليه الأموال اللى استثمرت من أجل التصنيع قبل الثورة سنة ٥١ كان اللى إستمر من أجل التصنيع مليون جنية و ١٠٠ ألف كمان أو ١٢٠ ألف كل الفلوس اللى صرفت على الصناعة من القطاع الخاص .

إحنا تركنا رأس المال يعقد الإتفاقات فى الخارج .. رأس المال بتوفر له العملة الصعبة .. بتوفر له جميع التسهيلات علشان يعمل ، وهو كل اللى عمله كان بيأخذ أرباح

المصانع ، إيه المخاطرة اللي فى مقابلها رأس المال كان بياخد كل هذه الفوائد ، مفيش مخاطرة ، بأى حال من الأحوال ، مشروعات طبعا تحولت إلى أرباح شخصية ، كلنا نعرف أن المشروعات الصناعية حققت أرباح كثيرة فى السنين الأخيرة ، نظراً لمنع إستيراد جميع البضائع الإستهلاكية وإحنا بنستورد فى الإستهلاك ١٠٪ ولكن ١٠٪ تبان لأن إحنا الإستيراد بتاعنا بيزيد ، ولكن الباقي الـ ٩٠٪ بنستورد المواد الخام أو السلع .
(خطاب فى ١١/٢٥/١٩٦١ م)

مشروع كهربية خزان أسوان ، من سنة ٢٥ كانوا بيتكلموا فيه فى خطب العرش ، طيب ليه ما تنفذش مشروع كهربية خزان أسوان ؟ لأن مشروع كهربية خزان أسوان لما يتنفذ حيققى فيه مصانع والمصانع بتزيد فيها العمال ، وبعدين يقولوا بعد كده لما العمال بيزيدوا فى المصانع حيصصل إيه ؟ . حيطالبوا بحقوقهم . ويعملوا تكتلات ، يبقى خطر عليهم ، وتبقى عمليات هدامة بالنسبة لحكم الطبقة المستغلة .

(خطاب فى ١/٩/١٩٦٣ م)

بعدين لما أعلننا تأميم الشركات البريطانية أو الفرنسية ، مش تأميم تأميم ، أعلننا تمصير .. على طول إتلما على بعض وتقدموا .. وكل واحد فيهم عايز يخبط شركتين ثلاثة من الشركات الممصرة سواء اللي أصلها فرنسية أم أصلها إنجليزية . وأنا فى هذا اليوم قلت إن جميع الشركات بتروح للقطاع العام ، لن نستطيع بأى حال إن أحنا نخلى الرأسماليين يزدوا من تحكمهم ، بأنهم يأخذوا أيضا ، ممتلكات فرنسا وممتلكات إنجلترا .

كانت الفرصة طبعا لينا فى هذا الوقت إن إحنا نقيم القطاع العام ، ونبدأ قطاع عام فعلاً ، على أساس واسع ، ونبدأ فى تطبيق الاشتراكية بمفهومها الحقيقى اللي بيدأ بخلق قطاع عام فى الصناعة وفى التجارة .

(اللجنة التحضيرية ١١/٢٥/١٩٦١ م)

بعد كده بدأ الإنحراف ، إنحراف إزاي ؟ بقى فيه قطاع عام ، بقى فيه قطاع خاص ، القطاع الخاص عايز يكسب ، الصناعة اللي كانت بـ ٢ مليون جنيه ، بقت ٨٨ مليون جنيه .

المباني اللي كانت فى ٥٢ ببنيتها بـ ٥ مليون جنيه ، تيجى فى سنة ١٩٦٠م الحكومة بتنزى بـ ١٦٠ مليون جنيه ، للعمليات اللي فى المشروعات الحكومية اللي لا أول لها ولا آخر .

الرأسمالية المستغلة تنفذ وتريد أن تربح ، موش الربح الحلال اللي مفروض يكسبه ، ولكن الربح الحرام .

بعض الناس رفضوا آلات جيه من الخارج ، دفعين فيها عملة صعبة .. فى التوريد بيرشوا .. فى التصدير بيرشوا .. وفى الإستيراد بيرشوا لأنه حايحقق أرباح وعمايز يحقق أرباح .

(خطاب فى ٢٥/١١/١٩٦١م)

فى سنة ١٩٦٠م أنا كنت أشعر إن إحنا يمكن الدفع الثورى غير قائم . الثورة بدأت تتعثر ، الرأسمالية المستغلة بدأت تنفذ ، وبدأت تنهرب ، وبدأت تتسلل للصف .. والأمثلة كانت واضحة أمامى ، وكانت باينة ، كان الخطر إيه ؟ الرأسمالية المستغلة والرجعية توشك أن تجند الثورة الوطنية أو تلم الثورة الوطنية لحسابها الخاص .

(خطاب فى ٢٥/١١/١٩٦١م)

لقد قمنا برحلة طويلة ، لكن كان من المهم أن تعود إلى قياس الطريق الذى قطعناه ، لكى نتأهب لمسئولية الطريق الذى ما زال يمتد أمامنا .. لكى يكون لنا ما حققناه ، دافعاً إلى ما ينبغى أن نحققه .. لكى ندرك بتقدير المسئولية لا يشوبه الغرور أو الإستعلاء ، إن أكتافنا تستطيع أن تتحمل عبء عصرنا وأمانيه ..

ولقد كانت تلك .. مرحلة التحول العظيم .. بكل أثقالها الضخمة وآمالها المكنة .. بكل أخطارها المروعة وإحتمالاتها المفعمة بالرجاء .

كانت فوق وجداننا أثقال قرون تضغط عليه وتشده ، وكنا نستطيع أن ننكص عن قبول تحدى العصر ، نكتفى بعد ٢٣ يوليو بتغيير فى شكل الحكم لا يصل إلى المضمون ، هروباً من فداحة المهمة التى تنتظر كل من يتصدى للتغيير الجذرى لأوضاع المجتمع .

وكان يمكن أن تشدنا الواجهات الشكلية للديمقراطية ، ولقد كدنا أن نقرب من هذا المنزل سنة ١٩٥٤م ، ناسين أن القوة السياسية فى أى مجتمع ، هى تعبير خارجى عن مواقع

القوة الإقتصادية ، ومهما أنشأنا من الواجهات ، ومهما أطلقنا عليها من الأسماء البراقة والصفات ، فلسوف يبقى دائما ، أن كل شيء خارجى ليس إلا غطاء للحقيقة الداخلية ورداء ، وإذا كانت القوة الإقتصادية ، كما كان حالها سنة ١٩٥٤م ، فى يد القلة ، فمعنى ذلك إن القوة السياسية كانت باقية فى يد القلة ، بصرف النظر عن بلاغة الشعارات ورنينها فى الأسماع .

وكان يمكن أن تقودنا ظروف الواقع ، إلى قبول أحكامها ، تظل الأمور تدور فى الحلقة المفرغة ، تضيع بدايتها ونهايتها .. كان يمكن أن نقبل فى هذه الفترة ما كان يبدو حقيقة واقعة ، وهى أن طاقاتنا الحالية ، لا تستطيع أن تصل إلى مستوى آمالنا ومن ثم فلا بد من التواضع بالآمال إلى قرب الطاقة الحالية .. ولقد كان من هنا التخوف من خطة لتنمية الدخل القومى ، تستهدف مضاعفته ، مرة على الأقل ، كل عشر سنوات .. ولقد كان التجاوز عن الأمل والقبول بظروف الواقع ، إستسلاماً له ، ويأساً من الثورة ، وتسليماً بعجزها عن التغيير الثورى .

كذلك كان يمكن أن يضللنا فى هذه الظروف ، مظهر الرخاء عن ، جوهر الرخاء ، إن الرخاء للقلة على حساب الكثرة فى المجتمع ، صدام فى داخله ، لا يمكن تجنبه ولا ضمان سلامته ، فضلاً عن عدم أخلاقياته ومنافاته لكل مبدأ إنسانى ، بل كل حق إنسانى .

ولقد أدركنا بوضوح ، أن التنمية لا بد أن تقترن بالتوزيع ، كذلك أدركنا ، أن سلامة الأقتصاد الوطنى ، لا تقاس بسعر القطع بالنسبة لعملتنا فى أسواق المضاربة الدولية .

إن السلامة الحقيقية للإقتصاد ، تقاس بقدرته على الإنتاج ، وليس يهمنى أن يظل النقد المصرى محتفظاً بشكل قيمته ، متحرراً عن أعباء التنمية ، متسكماً فى أسواق المضاربة الدولية عاطلاً مستهتراً ، لكنه براق المظهر يتحرك فى جو من الترف .. لم يكن ذلك ما نريده للنقد المصرى وما كان أسهل أن نوفر له ذلك الشكل الخارجى ، ونوفره عن العمل ، ونتركه للتسكع الطليق ، لكننا نطلب من كل قيمة فى وطننا ، كما نطلب من كل إنسان فرد ، أن يتحمل طاقته أداء للواجب .. ونهوضاً بأمانيه .

(مجلس الأمة ٢٥/٣/١٩٦٤م)

نتحدث عن رؤوس الأموال الأجنبية .. فنحن لم نشجع هذه الأموال التى أرادت أن

تستغل ، وفضلنا عليها القروض ، لأن رأس المال الأجنبي الذى يصل إلى الجمهورية العربية المتحدة ، إلى مصر ، يستخدم فى الإستثمار بالنسبة للصناعات الخفيفة والمتوسطة ، سيحقق كل عام أرباح ، وستصير المطالبة بتحويل هذه الأرباح إلى الخارج .

ومعنى ذلك أننا سندفع كل سنة فائدة محدودة لرأس المال تحول بالعملة الصعبة إلى الخارج ، ولهذا فنحن فى مرحلة تفضل فيها أن نأخذ القروض ، ونسدد لها على سبع سنوات أو عشرين سنة أو ١٢ سنة أو أكثر ، ولهذا عندما نأخذ رأس المال الأجنبي ننتهى منه بعد عشر سنوات أو أكثر .

وهناك إستثناء واحد لهذه القاعدة .. بالنسبة للصناعات التى تحتاج إلى إستمرار البحث العلمى وأساس راسخ للبحث العلمى كالأدوية مثلا أو المبيدات الحشرية ، وهذا طبق فى السنوات الماضية فى رؤوس أموال أجنبية إستثمرت بالنسبة لشركات الأدوية .. ولكن إشرطنا أن يكون نصف رأس المال أجنبى ، ونصف رأس المال وطنى .

والمثل الآخر ، هو بالنسبة للبتروىل ، ونحن لدينا مناطق واسعة ولم نبحث فيها عن البتروىل أبداً ، وهذا خارج عن قدرتنا ، ولدينا اليوم شركات ١٠٠٪ رأس مال وطنى عندها ٦١ منطقة تبحث فيها عن البتروىل ولدينا شركات أخرى ٥٠٪ رأس مال وطنى ، وقدرتنا لا يمكن أن تحقق إمكان البحث عن البتروىل فى جميع أنحاء البلاد .. ولهذا فى الأيام الأخيرة ، أعطينا لرأس المال الأجنبى الحق فى الإستثمار على أن يكون شريكا لرأس المال الوطنى ، أى رأس المال من القطاع العام .. وبهذا تكون الشركات مختلطة ٥٠٪ رأس مال أجنبى و ٥٠٪ رأس مال وطنى .

وعلى كل حال ، بالنسبة لرأس المال الأجنبى ، الذى يريد الإستثمار فى مصر ، ليس هناك قاعدة مطلقة ، ونحن نبحث كل طلب على حدة ، والطلب الذى نجد أنه يفيد التطور ، ويدخل ضمن الخطة ، ممكن أن نوافق عليه .

(المؤتمر الصحفى الدولى الثالث ١٠/١/١٩٦٣ م)

إن المصالح الرأسمالية المتحكممة فى الوطن ، أدركت منذ اليوم الأول ، أنها لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الحكم الذى وضعته الجماهير الثورية ، فى قيادة التغيير الذى بدأ مع ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م لكن الرأسمالية المتحكممة ، تصورت أنها تستطيع تعزيز مواقعها الفعلية ،

وزيادة تركيز إحتكارها للثروة ، من إحساسها برغبة الثورة في توسيع قاعدة الإنتاج .

ولم تدرك هذه المصالح أن أية ثورة تستحق هذه الصفة الجيدة .. يتعين عليها أن تسأل نفسها دائماً زيادة الإنتاج لمن ؟ .. ولقد بدأت الإرادة الشعبية الثورية تجيب على هذا السؤال عملياً بالإتجاه إلى إقامة وحدات إنتاج قوية يملكها الشعب ، نواة لقطاع عام ما لبث أن عزز نفسه بالسيطرة الكاملة على المال ممثلاً في البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية التي جرى تأميمها ونقلها إلى الملكية العامة ، ثم إتباعها بقرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١م التي ضمنت الملكية العامة للجزء الأكبر من وسائل الإنتاج خصوصاً في المجال الصناعي ثم رسمت الحدود الواضحة للملكية العامة بحيث تشمل الهياكل الرئيسية للإنتاج كالسكك الحديدية والطرق والموانئ والمطارات وطاقات القوى المحركة ووسائل النقل البرى والبحرى والجوى .. وبعد ذلك الصناعات الثقيلة والمتوسطة والتعدينية وصناعات البناء .. الجزء المؤثر من الصناعات الإستهلاكية بما لا يسمح بالإستغلال .

وارتبط لذلك تحقيق إشراف الشعب الكامل على التجارة الخارجية وكسر أى إحتكار فى التجارة الداخلية مع فتح مجاها واسعاً فسيحاً للنشاط الخاص .

وبذلك فإن الإقطاع التقليدى ، الذى أراد أن يهرب إلى المظهر المصرى للإستغلال الرأسمالى ، قد تهاوى من جميع أركانه وتداعى ، خصوصاً بعد أن فقد سند المصالح الخارجية شريكته فى نهب ثروة الشعب وجهده .

(إفتتاح مجلس الأمة ٢٥/٣/١٩٦٤م)

جربنا وسائل الإصلاح التقليدية .. جربنا التمسير قبل التأمين . ومصرنا وكالات ، ولكن وجدنا أن فيه أموال أيضاً تتحول للخارج ، وفيه إستغلال وكان هدفنا الأساسى أن نقضى على الإستغلال ، فكان لابد لنا من أن نتجه إلى التأمين ، وأن نضع الأسس التى تمكنتنا من إقامة عدالة إجتماعية . إقامة مجتمع متحرر من الإستغلال السياسى والإقتصادى والإجتماعى . (العيد العاشر للثورة ٢٢/٧/١٩٦٢م)

ولقد كان هذا يحتم وجود خطة شاملة ، يجرى التطوير الإقتصادى والإجتماعى وفقها ، وعلى أساسها ، ولكن وضع خطة شاملة كان يتطلب أن تستبين الصورة كلها ، وتدرس دراسة مفصلة ، وفى الوقت نفسه بدء العمل دون تأخير .

(مؤتمر الاتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩ م)

وليس التخطيط هو وضع كشف للأمانى والأحلام .. ومثل هذا التخطيط ضياع من الأوهام لا يصل إلى غير الفشل .. وأما التخطيط الناجح .. التخطيط العلمى فهو بمثابة التصميم الأصلى لبناء على إتساع رقعة وطن بأكمله ، البناء الإقتصادى والإجتماعى والثقافى .. يقوم على حساب دقيق لإحتياجات المستقبل ، وعلى حساب دقيق لتعبئة الموارد ، وعلى حساب دقيق لتحقيق المراحل مرحلة بعد مرحلة .. كما يركز كل طابق على ما تحته وتقوم الطوابق كلها على أساس متين .

(العيد العاشر للعلم ١٩٦٤/١٢/١٤ م)

الخطة الإنتاجية لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تقوم بها الدولة فقط ، ولكن يجب أن تكون على جميع المستويات ، فى جميع أنحاء الجمهورية ، وأنه حينما تقوم الدولة بخطة عاجلة للإنتاج فإن على كل مؤسسة ومصنع وشركة ، أن تقوم بدورها بعمل خطة تناسب محيطها وعملها . وبهذا تكون هناك خطط صغيرة متكاملة إلى جانب الخطة العامة الكبرى التى تقوم بها الدولة وتعمل على تنفيذها ، وتدعو الشعب إلى أن يتكاتف وإلى أن يضعها موضع التحقيق .

(خطاب بحلول ١٩٥٩/٧/١٤ م)

لم تكن مبادرة الجيش فى ٢٣ يولو ١٩٥٢م إلى التدخل ، إلا تعبيراً عن هذا الغليان ، ولقد كان تدخل الجيش يوم ٢٣ يوليو ، بمثابة فتح الباب أمام العمل الثورى . ولقد كان تصورى الشخصى كواحد من الذين إشتراكوا فى أحداث ٢٣ يوليو ، أن الشعب متحفز إلى ثورة ، وأن العقبة الوحيدة ، هى أن القلة الحاكمة ، سواء فى ذلك الإستعمار أو القصر أو الأحزاب أو الرجعية ، ترهب جموع الشعب لسيطرتها على الجيش وسلطتها فى إصدار الأمر إليه بقمع كل ثورة يخلج بها الكيان الشعبى .

وكانت خطة ٢٣ يوليو ببساطة ، تنجه فى عملها إلى مجرد أن يعلن الجيش موقفه بوضوح فى الصراع الذى يمزق الوطن ..

(مؤتمر الاتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩ م)

كان عندنا إستعمار بريطانى .. كان عندنا ٨٠ ألف عسكرى إنجليزى . كنا واقعين تحت سيطرة الملكية الرجعية .. كان الإقطاع يتحكم ورأس المال المستغل ، كان يسيطر ويحكم .. الإحتكار كان يسيطر .

كل هذه أوضاع قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

(خطاب فى ١٩٦٢/٩/٢٤)

ملحق (٢)

التشريعات المتصلة بنشاط الإسكان فى الفترة من عام ١٩٥٢م إلى عام ١٩٨٠م

أولاً : فى مجال التعمير والتخطيط والتقسيم :

- ١ - القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٤٠م فى شأن تقسيم الأراضى المعدة للبناء (معدل
بالقانون رقم ٢ لسنة ١٩٥١م) .
- ٢ - القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٤٩م باجازه تحديد مناطق صناعية فى المدن ومجاوراتها .
- ٣ - المواد من ١٠ - ١٥ من القانون رقم ٢٠٦ لسنة ١٩٥١م فى شأن المساكن
الشعبية
- ٤ - القانون رقم ٧١٢ لسنة ١٩٥٤م فى شأن حظر إقامة مبانى أو منشآت فى الأماكن
المجاورة للمصانع الحربية .
- ٥ - القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٥٦م فى شأن نزع ملكية الأحياء لإعادة تخطيطها
وتعميرها .
- ٦ - القانون رقم ١ والقانون رقم ٢ لسنة ١٩٧٣م فى شأن المنشآت والمناطق السياحية .
- ٧ - القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٤م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بالتعمير .
- ٨ - القانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٧٩م فى شأن إنشاء المجتمعات العمرانية الجديدة .

ثانياً : فى مجال الهدم والبناء :

- ١ - القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨م فى شأن تنظيم المبانى .

- ٢ - القانون رقم ٣٤٤ لسنة ١٩٥٦م فى شأن تنظيم وتوجيه أعمال البناء والهدم .
- ٣ - القانون رقم ٦٠٥ لسنة ١٩٥٤م فى شأن المنشآت الآيلة للسقوط .
- ٤ - القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٥٤م فى شأن تنظيم المباني (الذى ألغى القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٤٨م .
- ٥ - القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٦١م فى شأن تنظيم هدم المباني .
- ٦ - القانون رقم ٤٥ لسنة ١٩٦٢م فى شأن تنظيم المباني (الذى ألغى القانون رقم ٦٥٦ لسنة ١٩٥٤م .
- ٧ - القانون رقم ٦ لسنة ١٩٦٤م فى شأن أسس تصميم وبشروط تنفيذ الأعمال الإنشائية وأعمال البناء .
- ٨ - القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٦٤م بشأن تنظيم وتوجيه أعمال البناء .
- ٩ - القانون رقم ١ لسنة ١٩٦٦م فى شأن ترميم وصيانة وتعليق المباني .
- ١٠ - القانون رقم ٢٥٩ لسنة ١٩٥٦م المعدل بالقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٥٨م بإعفاء المباني المخالفة .
- ١١ - القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٦٦م بإعفاء المباني المخالفة التى اقيمت بعد العمل بالقانون رقم ٢٥٩ لسنة ١٩٥٦م .
- ١٢ - الباب الثانى من القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٩م فى شأن إيجار الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين (الذى حل محل القانون رقم ٦٠٥ لسنة ١٩٥٤م) .

١٣ - القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٧٦م فى شأن تنظيم وتوجيه أعمال البناء (الذى أُلغى كلا من القانون رقم ٤٥ لسنة ١٩٦٢م ، والقانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٦٤م) .

١٤ - الباب الثانى من القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٧م فى شأن تأجير وبيع الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين فى شأن هدم المباني غير السكنية لإعادة بنائها وفى المنشآت الآيلة للسقوط والترميم والصيانة (الذى حل محل القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٩م) .

١٥ - مجموعة القوانين المقيدة للبناء ومن أهمها قانون الزراعة الصادر عام ١٩٦٣م المعدل بالقانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٧٣م ورقم ٥٩ لسنة ١٩٧٨م وكذا قانون الآثار رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١م والتشريعات الخاصة بالمناطق الشاطئية والمطارات وقانون الطرق العامة رقم ٨٤ لسنة ١٩٦٨م الذى يفرض قيوداً على الأراضى الواقعة على جانبى الطرق العامة .

١٦ - القانون رقم ١٣٥ لسنة ١٩٨١م فى شأن المباني العامة .

ثالثاً : فى مجال الإسكان :

١ - القانون رقم ٢٠٦ لسنة ١٩٥١م الخاص بالمساكن الشعبية (المعدل بالقانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٤م ، والقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٦٠م) .

٢ - القانون رقم ١٢٩ لسنة ١٩٥١م بشأن قطع المياه الرئيسية عن الأماكن المؤجرة .

٣ - القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦م بأحكام قانون الجمعيات التعاونية .

٤ - القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٥٧م بشأن الإشراف على المساكن الشعبية .

- ٥ - القانون رقم ٢٣٠ لسنة ١٩٥٩م فى شأن إقراض الجمعيات التعاونية لبناء المساكن .
- ٦ - القانون رقم ١٠٩ لسنة ١٩٧٥م فى شأن التعاون الإستهلاكى الذى يسرى على الجمعيات التعاونية لبناء المساكن (الفى بالقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨١م بإصدار قانون التعاون الإسكانى) .
- ٧ - القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٧٠م فى شأن الحراس الخصوصيين .
- ٨ - القانون رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٦م فى شأن صندوق تمويل مشروعات الإسكان الإقتصادى .
- ٩ - القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨١م بإصدار قانون التعاون الإسكانى .

رابعاً : فى مجال تشريعات إيجار الأماكن :

- ١ - القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م فى شأن إيجار الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين وقد وردت عليه التعديلات التالية حسب ترتيب صدورها .
- ٢ - القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٩م بإضافة فقرة إلى المادة الثانية فقرة (هـ) بوضع حد لإستعمال حق المالك فى هدم الأماكن المؤجرة بقصد إستعمالها لدور التعليم الحرة أو الحكومية .
- ٣ - القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٤٩م بشأن العقوبة الجنائية التى توقع على المؤجر لمخالفة بعض أحكام القانون ١٢١ لسنة ١٩٤٧م .
- ٤ - المرسوم بقانون رقم ١٩٩ لسنة ١٩٥٢م بشأن تخفيض أجور الأماكن التى أنشئت منذ أول يناير سنة ١٩٤٤م بنسبة ١٥٪ .
- ٥ - القانون رقم ٦٥٧ لسنة ١٩٥٣م فى شأن الأجازة لناظر الوقف فى طلب الإخلاء إذا تنازل المستأجر عن الإيجار أو أجر المكان كله أو بعضه من الباطن .
- ٦ - القانون رقم ٥٦٤ لسنة ١٩٥٥م بشأن عدم سريان أحكام القانون رقم ١٢١م لسنة ١٩٤٧م على المساكن الملحقة بالمرافق والمنشآت الحكومية المخصصة لسكنى موظفى هذه المرافق وعمالها .

- ٧ - القانون رقم ٣٥٣ لسنة ١٩٥٦م بشأن وجوب موافقة اللجنة المشار إليها فى القانون رقم ٣٤٤ لسنة ١٩٥٦م لإمكان إخلاء المكان بسبب هدمه وإعادة بنائه .
- ٨ - القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٨م بشأن تخفيض أجور الأماكن المنشأة منذ ١٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢م بنسبة ٢٠٪ إبتداء من الأجرة المستحقة عن شهر يوليو سنة ١٩٥٨م .
- ٩ - القانون رقم ١٩٦٨ لسنة ١٩٦١م بشأن تخفيض أجور الأماكن التى أنشئت بعد العمل بالقانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٨م بنسبة ٢٠٪ وذلك إبتداء من الأجرة المستحقة عن الشهر التالى لتاريخ العمل بهذا القانون .
- ١٠ - القانون رقم ١٦٩ لسنة ١٩٦١م بشأن الإعفاء من الضريبة العقارية لبعض العقارات وتخفيض أجور هذه العقارات بمقدار هذا الإعفاء .
- ١١ - القانون رقم ١٢ لسنة ١٩٦٢م بتجريم خلو الرجل .
- ١٢ - القانون رقم ١٥٧ لسنة ١٩٦٢م بتعديل نطاق سريان القانون رقم ٢١ لسنة ١٩٤٧م .
- ١٣ - القانون رقم ٧ لسنة ١٩٦٥م فى شأن تخفيض إيجار بعض الأماكن .
- ١٤ - القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٥م الذى ألغى حق المؤجر فى طلب الإخلاء لحالة الضرورة أو الهدم لقصد إعادة البناء .
- ١٥ - القانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٦٦م بتعديل الفقرة الأولى من المادة الثانية من القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م المتعلقة بتقييد الإخلاء بسبب التأخر فى سداد الأجرة .
- ١٦ - القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٢م بتحديد إيجار الأماكن (المعدل بالقانون رقم ١٣٣ لسنة ١٩٦٣م) .
- ١٧ - القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٩م فى شأن إيجار الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين .
- ١٨ - أمر نائب الحاكم العسكرى رقم ٤ لسنة ١٩٧٦م فى شأن بعض التدابير الخاصة بتأجير الأماكن وتمليك العقارات المبنية والأرض الفضاء وإستهلاك المياه وخلو الرجل .

١٩ - أمر نائب الحاكم العسكري العام رقم ٥ لسنة ١٩٧٦م بتعديل بعض أحكام أمر نائب الحاكم العسكري العام رقم ٤ لسنة ١٩٧٦م .

٢٠ - القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٧م فى شأن تأجير وبيع الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجر والمستأجر .

٢١ - القانون رقم ١٣٦ لسنة ١٩٨١م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بتأجير وبيع الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجر والمستأجر .

خامساً : فى مجال المرافق :

١ - القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٤٦م بشأن صرف المياه للمحال العمومية والصناعية فى المجارى العمومية .

٢ - القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٥٠م الخاص بصرف مياه المباني والمواد المتخلقة فى المجارى العامة .

٣ - القانون رقم ١٩٦ لسنة ١٩٥٣م فى شأن صرف مياه المحال العمومية والتجارية والصناعية فى مجارى المياه .

٤ - القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٦٢م فى شأن صرف المتخلفات السائلة (إلغاء القوانين رقم ٣٥ لسنة ١٩٤٦م ورقم ٩٦ لسنة ١٩٥٠م ورقم ١٩٦ لسنة ١٩٥٣م المشار إليها) .

٥ - القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٧٤م فى شأن منشآت قطاع الكهرباء .

٦ - القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٧٨ بتنظيم الموارد العامة اللازمة للشرب والإستعمال الآدمى .

سادساً : فى مجال الصحة العامة وتحسين البيئة :

١ - القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٤٣م بشأن الباعة المتجولين .

٢ - القانون رقم ٧٦ لسنة ١٩٤٦م والقانون رقم ١٧٧ لسنة ١٩٦٠م فى شأن التخلص من البرك والمستنقعات ومنع إحداث الحفر .

- ٣ - القانون رقم ١٥١ لسنة ١٩٤٧م بتسوير الأراضي الفضاء والمحافظة على نظافتها .
- ٤ - القانون رقم ١٥٩ لسنة ١٩٥٣م فى شأن نظافة الميادين والطرق والشوارع وما إليها وتنظيم عملية جميع ونقل القمامة .
- ٥ - القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٧ فى شأن الباعة المتجولين (الغى القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٤٣م المشار إليه) .
- ٦ - القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٦٧م فى شأن النظافة العامة (وقد الغى القانون رقم ١٥١ لسنة ١٩٤٧م ورقم ١٥٩ لسنة ١٩٥٣م المشار إليهما) .
- ٧ - القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٧٨م فى شأن التخلص من البرك والمستنقعات ومنع إحداث الحفر .

سابعاً : فى مجال التراخيص للمحال بمختلف أنواعها :

- ١ - قرار وزير الداخلية فى ١٢ يوليو سنة ١٩٦١م ، بلائحة التيارات .
- ٢ - القانون رقم ١٣ لسنة ١٩٠٤م الخاص بالمحلات الخطرة والمقلقة للراحة والضارة بالصحة .
- ٣ - القانون رقم ٤٥٣ لسنة ١٩٥٤م فى شأن المحال الصناعية والتجارية وغيرها من المحال المقلقة للراحة والمضرة بالصحة والخطرة (الغى القانون رقم ١٣ لسنة ١٩٠٤م) .
- ٤ - القانون رقم ٣٧١ لسنة ١٩٥٦م فى شأن المحال العامة (الغى القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٤١م) .
- ٥ - القانون رقم ٣٧٢ لسنة ١٩٥٦م فى شأن الملاهى . (الغى قرار وزير الداخلية الصادر لسنة ١٩١١م فى شأن التيارات) .
- ٦ - قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٩١ لسنة ١٩٦٧م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بالأمن الصناعى والتراخيص بإقامة المحال الصناعية والتجارية والمحال العامة والملاهى .

ثامناً : فى مجال أملاك الدولة الخاصة :

- ١ - الذكريتو الصادر عام ١٩٠٢م بلاثحة شروط وقيود بيع أملاك الميرى الحرة .
- ٢ - القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٥٦م فى شأن الأموال المستردة .
- ٣ - القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٦٢م فى شأن التركات الشاغرة .
- ٤ - القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤م بتنظيم تأجير العقارات المملوكة للدولة ملكية خاصة والتصرف فيها المعدل بالقانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٦٧م .
- ٥ - القانون رقم ١٤٣ لسنة ١٩٨١م فى شأن الأراضى الصحراوية (الذى ألغى أحكام القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤م فيما يتعلق بالأراضى الصحراوية .

تاسعاً : فى مجال تملك غير المصريين للأراضى والعقارات المبنية :

- ١ - القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٣م بحظر تملك الأجانب للأراضى الزراعية وما فى حكمها .
- ٢ - القانون رقم ٨١ لسنة ١٩٧٦م بتنظيم تملك غير المصريين للعقارات المبنية والأراضى الفضاء .

عاشراً : فى مجال نزع الملكية :

- ١ - القانون رقم ٥٧٧ لسنة ١٩٥٤م بشأن نزع ملكية العقارات للمنفعة العامة أو التحسين (معدل) .
- ٢ - القانون رقم ٢٢٢ لسنة ١٩٥٥م بشأن فرض مقابل تحسين على العقارات التى يطرأ عليها تحسين بسبب أعمال المنفعة العامة .

حادى عشر : فى مجال استعمال الطرق والميادين العامة :

- ١ - المرسوم الصادر فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٨م بلاثحة الإعلانات .
- ٢ - القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٤٨م بإستعمال الطرق العامة وأشغالها .
- ٣ - القانون رقم ٦٦ لسنة ١٩٥٦م فى شأن تنظيم الإعلانات . (ألغى المرسوم الصادر

سنة ١٩٣٨م ثلاثحة الإعلانات) .

٤ - القانون رقم ١٤٠م لسنة ١٩٥٦م فى شأن أشغال الطرق (الغى- القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٤٨م) .

ثانى عشر : فى مجال المقاولات :

١ - القانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٦٢م فى شأن تنفيذ أعمال خطة التنمية الإقتصادية .

٢ - القانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٦٤م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بشركات المقاولات .

٣ - قرار رئيس الجمهورية رقم ١٢٠٣ لسنة ١٩٦١م بقصر أعمال المقاولات للحكومة والمؤسسات والشركات شبه الحكومية على الشركات التى تساهم فيها الحكومة والمؤسسات بنسبة لا تقل عن ٥٠% من رأسمالها (الحد المسموح به للقطاع الخاص مائة ألف جنيه سنوياً) .

٤ - قرار رئيس الجمهورية رقم ٨٧٥ لسنة ١٩٦٥م بجواز إدخال الجمعيات التعاونية للإنشاء والتعمير بالمحافظات ضمن الجهات المنصوص عليها فى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٢٠٣ لسنة ١٩٦١م .

٥ - قرار رئيس الجمهورية رقم ١٨٦٨ لسنة ١٩٧٤م بقصر أعمال المقاولات على الهيئات والمؤسسات العامة ووحدات القطاع - (رفع حد القطاع الخاص إلى خمسمائة ألف جنيه سنوياً) .

٦ - قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٧ لسنة ١٩٧٨م بإلغاء القرار رقم ١٨٦٨ لسنة ١٩٧٤م (الغى الحد الذى كان وارداً بالنسبة للقطاع الخاص .

٧ - القانون رقم ٧١ لسنة ٧٧ بفرض بعض الرسوم على مقاولى القطاع الخاص

الفصل الثامن عبد الناصر والعرب



عبد الناصر والغرب

تؤكد حقائق العهد الناصري ، أن ثمة كراهية متبادلة بين عبد الناصر والغرب ، وأن هذه الكراهية ، لم يشفع لها ذلك التقارب ، بل والغزل السياسي الملحوظ عند أهل الحكم من المحيطين بعبد الناصر بعد حرب السويس ١٩٥٦م ، فالغرب لم يكن يأمن بجانب عبد الناصر ، والأخير كان حذراً في تعامله مع المنظومة الغربية بشقيها (الإشتراكي) و(الرأسمالي) ولكن أبعاد وملامح هذه العلاقة ، نعقد الفصل الحالي لها ، وذلك عبر المحاور التالية .

أولاً : المدركات الناصرية للسياسة الخارجية مع الغرب .

ثانياً : رؤية عميل أمريكي لشخصية عبد الناصر .

ثالثاً : عبد الناصر والأحلاف الغربية في المنطقة .

رابعاً : رؤية الأصوليين والإسلاميين للبيئة الدولية وموقف عبد الناصر منها .

خامساً : قضايا التجسس لصالح الغرب : قضية مصطفى أمين (نموذجاً) .

وبتفصيل ما سبقي يتبين الآتي :-

أولاً : المدركات الناصرية للسياسة الخارجية مع الغرب :

كانت المدركات الخاصة بالموقف من الغرب (وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية) غير واضحة أو محددة بشكل كاف لدى عبد الناصر قبل حرب السويس ١٩٥٦م تحديداً واستمرت كذلك حتى اعلن (الميثاق الوطني) الذي يعد النظرية السياسية الناصرية الوحيدة التي تخلفت عن (جمال عبد الناصر) ، وذلك على إعتبار أن (فلسفة الثورة) و (بيان ٣٠ مارس) لا يرقيا إلى مستوى النظرية مع أهميتها بالطبع .

لذا ، فإننا سوف نتناول هذه المدركات النظرية تجاه الغرب من خلال ما قدمه الميثاق في مجال السياسة الخارجية ولكن لنحدد نقطة هامة مثاراً لجدل دائم بين السياسيين والمثقفين في مصر والعالم العربي . وهي علاقة (الضباط الأحرار) وخاصة عبد الناصر بالولايات المتحدة قبل الثورة إنما يمكن أن تؤكد مطمئنين الآتي :



في حفل استقبال بالهند في اكتوبر عام ١٩٦٦ وقد فوجيء بتأثر بالغ للسيدة أنديرا غاندي لم تستطع
أن تكممه فراحت تداريه بيديا

١ - أن جمال عبد الناصر وجد في إتصالات الضباط الأحرار في المخابرات برجال المخابرات الأمريكية ، ما يؤهله لمعرفة حقيقة الكثير مما تريده الحكومة الأمريكية ، وما تستطيع أن تقدمه في المقابل .

٢ - أنه خشى تدخل القوات البريطانية لإجهاض حركة الجيش ، فوجد أن ما يطلبه من الولايات المتحدة هو أن تمنع هذا التدخل ، ومن ثم قبل الإتصال بها دون أن يتصور أنه يمكن أن يدفع الثمن .

٣ - أنه أحس بأهمية ونفوذ (كيرميت روزفلت) أحد عملاء المخابرات الأمريكية في المنطقة آنذاك بإعتباره مستشاراً للرئيس الأمريكى ، ومن ثم أحس أن الإتصال به لن يضر إذا لم يفد .. وأغلب الظن أن لم يعرف في ذلك الوقت حقيقة إرتباطه بالمخابرات المركزية .

٤ - واضح أن تعيمات جمال عبد الناصر إلى ضباطه الذين قاموا بالإتصالات نفذت بدقة إلى حد أن كيرميت روزفلت لم يعرف - حتى بعد نجاح الثورة من الرأس المدبر لها ؟

٥ - إن كيرميت روزفلت الذى فشل في تغيير نظام الحكم ، بإنقلاب سلمى يقوم به الملك ، وبعض رجاله ، وجد أن قوة شابه في الجيش على وشك أن تتحرك حركة بدنية عنيفة ، سواء دعمها أو تجاهلها ، فسعى إليها حتى إذا ما أصبحت في السلطة ، وجد الأبواب أمامه مفتوحة ووفقاً لقول الكاتب الصحفى الساحر عادل حموده (إن هذه عادة الأمريكان ولن يشتروها يزرع غيرهم الشجرة في صمت ، ويقطفون ثم الثمار في صخب .

(عادل حموده : عبد الناصر، والحروب الخفية مع المخابرات الأمريكية الدار العربية القاهرة - ١٩٨٩ ص ١٢٤) .

تملك هي الحقيقة باختصار دون دخول في أوهام (جلال كشك) وروايات هيكمل وأحمد حمروش وصلاح الشاهد وغيرهم والآن ماذا عن المدركات الناصرية تجاه الغرب كما أوردها الميثاق : بداية يقول الميثاق ، (إن السياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة ، هي انعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى .

إن أى سياسة خارجية لأى وطن من الأوطان لا تكون إنعكاساً أميناً وصادقاً لعمله

الوطني ، تصبح إدعاءً يكشف نفسه بنفسه ويصبح نفاقاً وإتجاراً بالشعارات .

وإن تلك هي المهزلة التي تقع فيها الحكومات الرجعية حين تحاول التضليل أن تستعير سياسة خارجية براقية لا تكون صدقاً للواقع الوطني وتعبيراً عنه أن الشعوب الواعية تفضح هذه الحكومات وتقتص منها حساب الضلال الذي حاولت أن تزيفه عليها .

والسياسة الخارجية للشعب الجمهورية العربية المتحدة ، إنعكاس أمين وصادق لعمله الوطني تمتد في ثلاثة خطوط حفرت مجراها عميقاً ومستقيماً بنضال شعب باسل صعد لكل أنواع الضغط وإنتصر عليها) .

وفي مواضع أخرى يرى الميثاق أن الخطوط الثلاثة العميقة في السياسة الخارجية للجمهورية العربية تعبّر عن كل مبادئها الوطنية هي . الحرب ضد الإستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه في أقنعتة ، ومحاربتة في كل أفكاره ،

«والعمل من أجل السلام» لأن جو السلام وإحتمالاته هي الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطني .

تم التعاون الدولي من أجل الرخاء فإن الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلاً للتجزئه كما أنه أصبح في حاجة إلى التعاون الجماعي لتوفيره .

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة في حربه ضد الإستعمار ضرب مثلاً حياً ما زال أسطورة في تاريخ نضال الشعوب .

إن شعبنا كشف الإستعمار العثماني وقاومه برغم التحايل عليه بأستار الخلافة الإسلامية . ثم قاوم شعبنا الغزو الفرنسي حتى أرغم المغامر الذي دوخ أوروبا كلها على أن يرحل بالليل عبر البحر الأبيض إلى فرنسا .

ثم صعد لمؤتمرات الاستعمار العالمي واحتكاره الدولية التي إستعملته أسرة محمد علي . وتدافعت موجاته الثورية واحدة إثر الأخرى حتى نجرفت أمامها بعد سنوات طويلة من التضحيات النبيلة كل الحواجز التي أقامها الإستعمار على أرضه لحماية وجوده ، لقد واجه شعبنا ثلاث إمبراطوريات هي الإمبراطورية العثمانية والفرنسية والبريطانية وقاوم غزوها وإنتصر عليها .

إن شعبنا دفع خلال عشرات السنين بل مئاتها غالباً لانتصاره على الإستعمار ، لكنه في النهاية حصل على النصر الذي برز أمام التاريخ ككل التضحيات وشرف مقادارها .

ويرى الميثاق في موضع آخر أنه بعد النصر الثوري العظيم صباح ٢٣ يوليو ، وفي طريق الشعب إلى التقدم الثوري ، داست الجموع المنتصرة بأقدامها بقايا العهد الملكي الدخيل ، ودكت حصون الإقطاع ، واجتشت جذور الرجعية .

لقد كانت تلك كلها هي الركائز التي ثبت الإستعمار عليها وجوده فوق أرضنا وبإنقضاء شعبنا عليها وتدميرها فإن الوجود الإستعماري فقد حلقات إتصاله بأرض الوطن الطاهرة ومن ثم كانت الخطوة الباقية هي إرغام قواته على الرحيل وراء البحر بعد أن طوت أعلامها وابتلعت كبرياتها .

إن شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بإرغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين في عام واحد وهو عام ١٩٥٦م الفاصل في نضالنا الوطني .

إن الإستعمار الذي جلا عن أرضنا طبقاً لإتفاق تم تنفيذه في يونيو سنة ١٩٥٦م ما لبث أن عاد في أكتوبر من نفس العام متصوراً أنه قادر على إخضاع إرادة شعبنا وإذلاله وإجبارته على الركوع خضوعاً لإرادة المستعمرين وفي موضع آخر يؤكد الميثاق على أن شعبنا الذي عقد العزم على حماية إستقلاله ، ورفض كل الحيل الإستعمارية التي حاولت أن تجره إلى مناطق النفوذ وقاد مقاومة هائلة في الشرق الأوسط كله ضد حلف بغداد حتى أسقط ، لم يتردد في مواجهة العدوان المسلح الثلاثي الذي أقدمت عليه إئتتان من دول العالم الكبرى زحفت عليه من القاعدة الإستعمارية التي خلفتها المؤامرات الرامية إلى إرهاب الأمة العربية وتمزيقها وهي إسرائيل .

إن الإستعمار في معركة السويس كشف نفسه وكشف قواعده وكشف أعوانه .

إن الإستعمار انقض على شعب مصر بالسلاح لأن الشعب المصري حاول أن يحقق إستقلاله ويبنى تقدمه من أحد موارده الوطنية الذي طال إستغلال الإستعمار له وإحتكاره لكل عائد وقيمه .

إن الشعب المصري بإسترداده قناة السويس ضرب الإستعمار إحتكاراته في الضميم .

وأثبت صلابته بتحملة العتيد لتبعات إصراره - إلى حد قبول المعركة المسلحة في وجه قوى زاحفة جرارة .

إن الشعب المصرى بثباته الرائع وبقتاله المرير ضد الغزو إستطاع أن يهز الضمير العالمى ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل فى التطور الدولى .

ولقد كان التحول الرائع فى المعركة نقطة فاصلة فى حركات التحرير إن الشعب المناضل الذى كان يواجه الطغاة الكبار وحده . لم يعد وحيداً . وإنما انقلب الموقف رأساً على عقب نتيجة للمقاومة الوطنية الباسلة .

إن الذين تجمعوا ضد شعبنا ليعزلوه وجدوا أنفسهم فى عزلة عن الدنيا كلها ، بينما وقفت شعوب العالم كلها مع شعبنا تشد أزره وتلوح له بأيديها تحية وتضامناً معه .

إن الهزيمة المبرزة التى منى بها الإستعمار فى حرب السويس ، أنهت عصر المغامرات الإستعمارية المسلحة .

إن نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت بفضل نضال شعبنا . إن الإستعمار الذى ما زال متمسكاً بأهدافه غير أسلوبه .

إن شعبنا كان بالمرصاد لكل محاولات التنكر والتخفى وواصل مطاردته لها وتجميع قوى الشعوب ضدها .

إن إصرار شعبنا على محاربة الأحلاف العسكرية التى تريد أن تجر الشعوب رغم إرادتها إلى ذلك الإستعمار كان صوتاً عالياً بالحق وإرتفع فى جميع المجالات منها ومحذراً ويقول عبد الناصر وميثاق فى موضع آخر إن إصرار شعبنا على تصفية العدوان الإسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى ، وهو تصمى على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الإستعمارية ضد نضال شعوب ، وليس تعقب سياستنا للتسلسل الإسرائيلى فى أفريقيا غير محاولة لحصر انتشار سرطان إستعمارى مدمر .

إن إصرار شعبنا على مقاومة التمييز العنصرى هو إدراك سليم للمغزى الحقيقى لسياسة التمييز العنصرى ، إن الإستعمار فى واقع أمره هو سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبى ، بمقصد تمكينه من إستغلال ثرواته وجهده . وليس التمييز العنصرى إلا لونا من ألوان إستغلال

ثروات الشعوب وجهدها ، فإن التمييز بين الناس على أساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين قيمة جهودهم ، إن الرق كان الصورة الأولى من صور الإستعمار والذين ما زالوا يباشرون أساليبه يرتكبون جريمة لا يقتصر أثرها على ضحاياهم وإنما يلحقون الأذى بالضمير الإنساني كله وبما أحرزه من إنتصارات .

وفي موقع آخر يؤكد الميثاق على (أن شعبنا لم يدخر جهداً في سعيه نحو السلام .
إن السعى نحو السلام قاد خطى شعبنا إلى مراكز دولية أصبحت لها الآن من قوة الإشعاع ما يضئ الطريق نحو السلام .

إن شعبنا الذى ساهم بكل إخلاص في أعمال مؤتمر باندونج وإنجاحه والذى شارك في أعمال الأمم المتحدة وحاول عن طريق هذه الأداة الدولية العظيمة دفع الخطر عن السلام أثبت الشجاعة في الإيمان بالسلام .

لقد تكلم من باندونج مع غيره من دول آسيا وأفريقيا ، نفس اللغة التى تكلم بها أمام كبار الأقوياء في الأمم المتحدة .

إن شعبنا في دعوته إلى السلام وفي عمله لتوطيد احتمالاته إشتراك مع الجميع ، وواجه الجميع بقوة التعبير الحر .

إن شعبنا الذى شارك في الجهود الإنسانية العظيمة المكرسة لتحريم التجارب الذرية ، وشارك إيجابياً في العمل من أجل نزع السلاح إنما كان يصدر عن إيمان مطلق بالسلام .. لأنه يؤمن إيماناً مطلقاً بالحياة .

إن شعبنا يعرف قيمة الحياة لأنه يحاول بناءها على أرضه .

إن صدق دعوته للسلام ينبع من السلاح إليه .

إن السلام هو الضمان الأكيد لقدرته على الإستمرار في معركته المقدسة من أجل التطوير .

إن العمل من أجل السلام هو الذى سلح شعبنا بشعاع عدم الإنحياز والحياد الإيجابى .

إن إرتفاع هذا الشعار اليوم على شعارات كثيرة من العالم هو تحية عظيمة لإخلاص شعبنا في خدمة السلام ، إن الدعوة الأولى لأول مؤتمر لدول عدم الإنحياز هذه الدعوة التى صدرت

من القاهرة ولقيت إستجابه رائعة لدى الكثير من الشعوب ، كانت في نفس الوقت تقديراً إنسانياً للمنهج الذى سلكناه في خدمة السلام بعد إيماننا به وإخلاصنا له .

بل إن الذين يحاولون اليوم إستغلال شعار عدم الإنحياز والحياد الإيجابى ليستروا به أمام شعوبهم إنحيازهم إلى معسكرات الحرب والإستعمار إنما يقدمون إطرء غير مباشر لشعبه الذى كان رائداً في رفع هذا الشعار عن إيمان وفي النضال من أجله عن حاجة حقيقة إليه نابعه من صميم كفاحه لإحراز التقدم وفي موقع آخر يؤكد عبد الناصر في الميثاق على أن التعاون الدولى من أجل الرخاء المشترك لشعوب العالم هو إمتداد طبيعى للحرب ضد الإستعمار .. ضد الإستغلال .

وهو إستطراد منطقى للعمل من أجل السلام لتوفير الجو الأمثل للتطوير .

إن التعاون الدولى من أجل الرخاء يصل بالسياسة الخارجية للجمهورية العربية إلى الهدف النهائى الذى تسعى إليها سياستها الخارجية إنعكاساً لنضالها الوطنى .

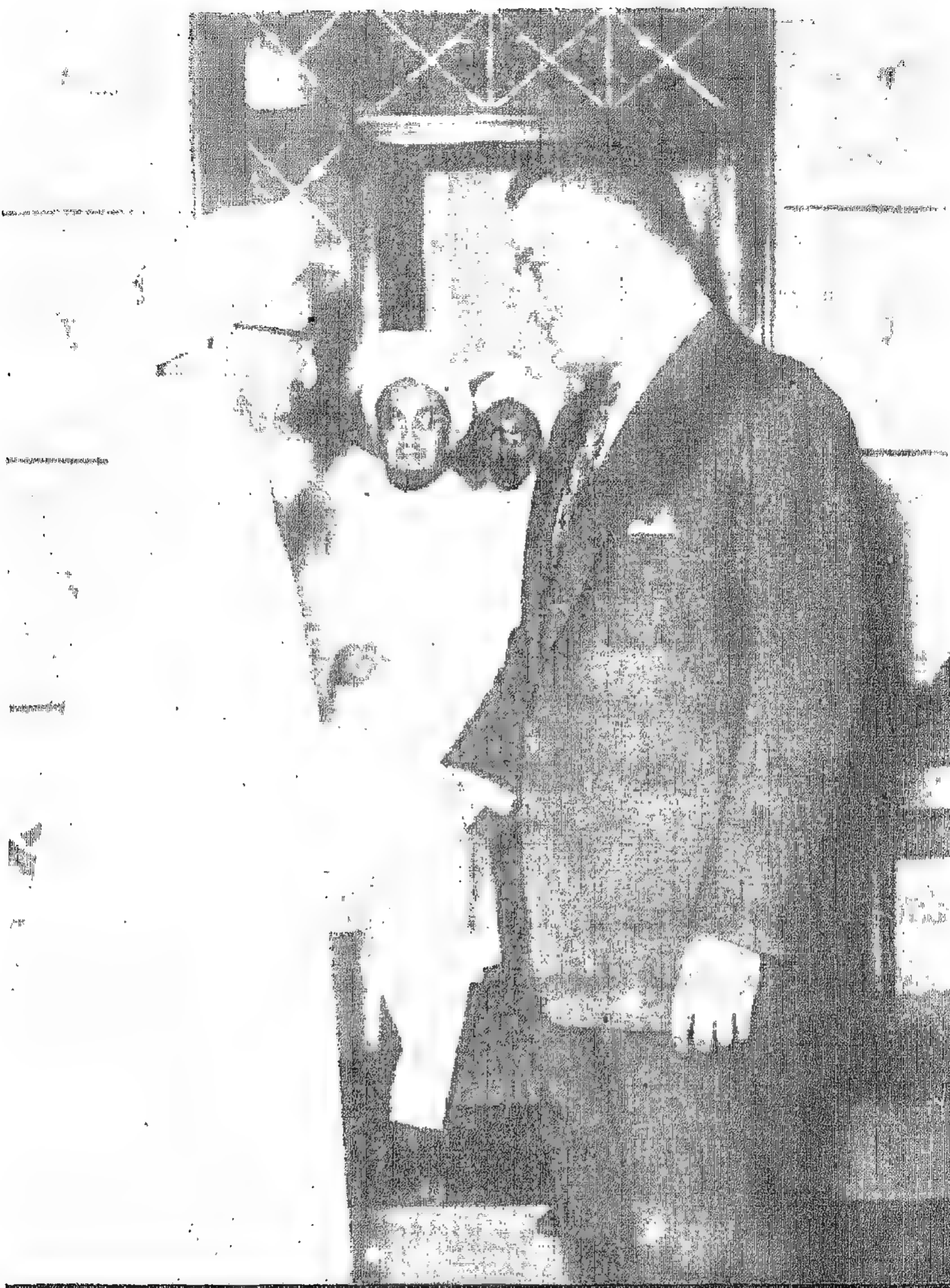
إن شعبنا يمد يده لجميع الشعوب والأمم العاملة من أجل السلام العالمى والرخاء الإنسانى . إن المعارك الدولية التى خاضها شعبنا إنما كانت معارك دفاعية خاضها قتالاً عن حقوقه المشروعة وحقوق الأمة العربية التى يشعر بانتمائه الحىوى إليها إنتماء الجزء إلى الكل .

ولقد رفع شعبنا حتى في أحلك ظروف المعارك القاسية التى أرغم على خوضها شعاره الخالد (السلام لا الإستسلام) إيماءه واضحه إلى أنه يقبل التعاون الدولى ولكنه يقاوم السيطرة ..

إن شعبنا يؤمن ان الرخاء لا يتجزأ وإن التعاون الدولى من أجل الرخاء هو أقوى ضمانات السلام العالمى .

ومن وجهة نظر عبد الناصر في الميثاق أيضاً أن السلام لا يمكن أن يستقر في عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتاً مخيفاً ، إن السلام لا يمكن أن يستقر على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الأمم المتقدمة والأمم التى فرض عليها التخلف .

إن الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثانى الذى يهدد السلام العالمى بعد الخطر الأول الذى يكمن في نشوب حرب ذرية مفاجئة .



في مكتبه يستقبل الشيخ محمد برهان الدين صاحي سلطان البهرة الإسلامية بالهند

إن التعاون الدولي من أجل الرخاء هو الأمل الوحيد في تطور سلمى يقارب ما بين مستويات الأمم ويزرع المحبة بينها بديلا عن سموم الكراهية .

إن التعاون الدول من أجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الإنساني الذي يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين عن العصر الإستعماري .

إن التعاون الدولي يمتد على جبهة عريضة نحاول الجمهورية العربية أن تتحرك عليها .

إنه يشمل فتح الأسرار العلمية للجميع فإن إحتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الإستعمارية ومن رأى عبد الناصر في الميثاق أن التعاون وكذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه الدعوة إلى توجيه الذرة للسلام حتى تستطيع أن تخدم قضية التطوير وتقضى على جوانب التخلف المظلم .

كذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التي توجه إلى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من أن ترصد لها وتربص بها .

كذلك هو يشمل الدعوة إلى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية بحيث لا تستخدم بواسطة الأقوياء لتحطيم محاولات غيرهم من أجل التقدم .

إن شعبنا يمد نواياه المعززة بالأعمال لتحقيق التعاون الدولي عبر كل المحيطات وإلى كل الأقطار .

ويرى عبد الناصر في ميثاقه : إذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة أفريقية ويؤمن بتضامن أسوي أفريقي ويؤمن بتجمع من أجل السلام يضم جهود الذين ترتبط مصالحهم به ويؤمن برباط روحى وثيق يشده إلى العالم الإسلامى . ويؤمن بانتمائه إلى الأمم المتحدة وبولائه لميثاقها الذى إستخلصته آلام الشعوب في حربين عالميتين تخللتها فترة من الهدنة المسلحة وأخيرا يخلص الميثاق إلى (إن الإيمان بهذا كله لا يتعارض مع بعضه ولا يتصادم انما هى حلقة سلسلة واحدة) .

ويرى أن شعبنا شعب عربى ومصيره يرتبط بوحدة مصير الأمة العربية إن شعبنا يعيش على الباب الشمالى الشرقى لأفريقيا المناضلة وهو لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

إن شعبنا ينتمى إلى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى وهو أبرز سمات القرن العشرين .

إن شعبنا يعتقد فى السلام كمبدأ ويعتقد فيه كضرورة حيوية ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد .

إن شعبنا يعتقد فى رسالة الأديان وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء .

إن شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادئ الإنسانية السامية التى كتبها الشعوب بدمائها فى ميثاق الأمم المتحدة ، وأن فقرات كثيرة فى هذا الميثاق قد كتبت بدماء شعبنا ودماء غيره من الشعوب .

ويؤكد عبد الناصر أخيراً على حقيقة مدركة وهامة وهى : أن شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحرية على أرضه بالحرية والحق ، وبالكفاية والعدل وبالمحبة والسلام .

وإن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ، ما يمكنه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه .

تلك هى أبرز ملامح رؤى ومدرجات عبد الناصر تجاه السياسة الخارجية . والغرب بوجه عام . ترى كيف نظر الغرب إلى عبد الناصر ؟ وهل كانت نظرتهم له مشابهة لنظرته لهم ؟ ذلك ما تجيب عليه الجزئية التالية .

ثانياً : رؤية عميل أمريكى لشخصية جمال عبد الناصر :-

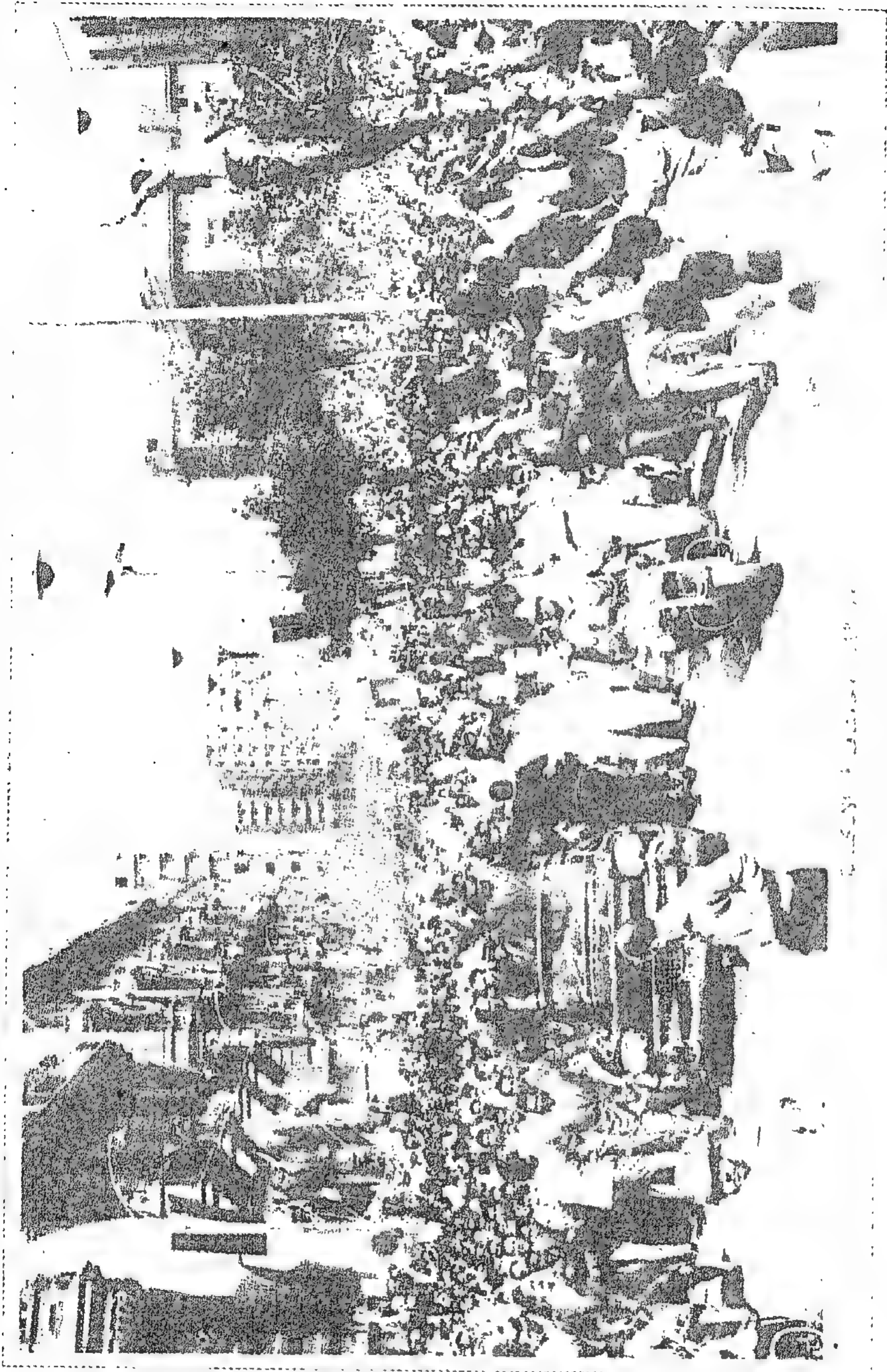
والعميل هو (مايلز كوبلاند) ورؤيته مستمرة من الفصل الرابع فى كتابه الشهير لعبة الأمم والفصل معنون (بحليفنا المستقل ناصر فى الحكم) وسوف نورد هنا مقتطفات من رأى هذا العميل مع التحفظ عليها وهو التحفظ الذى سنورده تفصيلاً بعد نهاية كلامه يهمنى أن تؤكد على أن كوبلاند كان هو المساعد الإقليمى المسئول للمخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط مستر كيرميت وروزفلت الذراع الأيمن لألن والسن . يقول كوبلاند فى كتابه « ولم تعلم الحكومة الأمريكية بوقع انقلاب يوليو إلا من الصحف الصادرة صباح ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ م ، ولكن سبق هذا سيل من المعلومات التى تتدفق من

خلال تقارير وكالة المخابرات المركزية ، مشيراً إلى أن أحداثاً ستقع في مصر بدون تحديد زمانها أو تحركاتها ، وأيدت الصحافة المصرية الانقلاب الأبيض بكلمتها ، ووقف الشعب مع رجال الثورة بدون أى أسف على الإحاطة بالملك الخليف وظهر اللواء محمد نجيب ودبعاً أنيساً بغليونه الجذاب كأنه (الأمر الناهى وإن لم يكن كذلك حقيقة كما ظهر مساعدوه من الضباط الشبان بقاتمهم النحيلة وأجسامهم الرياضية على أنهم أمال الشعب وأحلامه فى بناء كيان الدولة المصرية الحديثة . ولم تردد الإذاعات المصرية أياً من البلاغات المثيرة أو البيانات العنيفة التى كانت تدين الانقلابات العسكرية فى سوريا وإنما إكتفت بتعريف الشعب على عزمها على تطهير الحكومة من الفساد وإقامة حكم قادر فعال ، وإصلاح الأحزاب السياسية وغير ذلك ولكن البلاغات كلها لم تتطرق البتة إلى مشكلة فلسطين أو إلى ذكر لإسرائيل ولا على الأقل بكلمة واحدة . وفقاً لرؤية كوبلاند .

وأما السفارة الأمريكية وفقاً لرؤية كوبلاند فلم تقف على تفاصيل الانقلاب إلا من فم على صبرى أحد ضباط عبد الناصر الذى أصبح فيما بعد من أشد خصوم الأمريكيين . وقد وقع الانقلاب فى الساعة الثالثة ليلاً وفى ساعة متأخرة من صباح ذلك اليوم أرسل عبد الناصر السيد على صبرى للإجتماع رسمياً بالسفير كافرى وتقديم تقرير شامل له عن وقائع وأحداث ليلة الانقلاب إلى جانب تأكيد الحكومة الجديدة عن عزمها على إقامة علاقات وطيدة مع الولايات المتحدة ، وتلا ذلك تأكيد على آخر من اللواء محمد نجيب - وكان يعتبر آنئذ أب الانقلاب - أن قضية فلسطين لا تعنيه فى شيء . ولكنه سرعان ما قام بزيارة السفير كافرى بعد ساعات طالباً سحب ذلك التصريح وإستبداله بآخر (أقل) تقبلاً للرأى العام فى الولايات المتحدة ، ولكنه أكثر إنسجاماً مع المبادئ والأسس التى إتفقنا وعبد الناصر على إنها ضرورية وهامة لكسب الرأى العام المضرى . وقبول تأييده للعهد الجديد .

أما المسئولون فقد غمرتهم موجة من السرور نتيجة هذا الانقلاب وأدركوا جميعاً أن أصبح فى حوزتهم على المسرح العالمى لاعب جديد من الطراز الذى بذلوا قصارى جهدهم للعثور عليهم ، وكان كل ما سيضعونه معا من السخط سيحظى بنسبة عالية من التعاون المثمر وإحتالية ضئيلة من الخلاف والشجار .

كانت التقارير والتفسيرات الأولية تشير إلى أن اللواء محمد نجيب كان رأس الثورة وعلى



عبد الناصر وخروشوف في الإسكندرية

هذا الأساس بنت الحكومة البريطانية والأمريكية علاقاتها مع العهد الجديد . وكلن سرعان ما ذاب الثلج وانتزع عبد الناصر زمام الأمور منه ولم يمض بعد أكثر من عدة شهور على الانقلاب والغريب أن كيرميت روزفلت قد إقنع عندما تأكد له عبد الناصر أنه ليس هو رأس الثورة مع أن وليم ليكالاند المسئول السياسى فى السفارة الأمريكية فى القاهرة وبعض موظفيها قد أكدوا أن اللواء نجيب لم يكن أكثر من ستار إتحذه عبد الناصر لنفسه حتى موعد ظهوره على المسرح شخصياً وزادت العلاقات قوة بين ليكالاند والضباط الأحرار عن طريق حسنين هيكل الذى كان صلة الوصل بينهم ، وقد أصبح هيكل فيما بعد من أقرب المقربين لعبد الناصر فى حين لم يكن آنئذ أكثر من محرر فى صحيفة سياسية يملكها مصطفى أمين أحد أصدقاء عبد الناصر . وقد هيا هيكل الجو للعديد من المقابلات بين ليكالاند رجل السفارة الأمريكية وقادة الضباط الأحرار بما فيهم عبد الناصر نفسه ، واعتاد ليكالاند أن يستقبلهم فى شقته المظلة على النيل بترحاب وإكرام زائدين .

وكانت نتيجة هذه اللقاءات أن بدأت سفارتنا فى القاهرة ترسخ علاقاتها مع عبد الناصر نفسه كرجل الدولة الحقيقى والأمر الناهى بلا منازع فى حين بقى الشعب يصفق للواء محمد نجيب ويهتف له فى الشوارع والساحات . ولكن السفير كافرى لم يقطع علاقاته الرسمية باللواء نجيب وقام بزيارات تقليدية متقطعة له ناقلاً بعض الرسائل الرسمية من حكومته فى واشنطن التى لم تنطو على أكثر من مجاملات وتقاليد دبلوماسية . فى حين كانت العلاقات الحقيقية للحكومة الأمريكية مع الثورة المصرية تتم عبر الصلات الوطيدة التى نشأت بين عبد الناصر وليكالاند بفضل جهود هيكل نفسه الذى أضحى ذا دور رئيسى فيها بعد نجاحه فى الباس وجهات نظر كل من عبد الناصر والسفارة الأمريكية حلة بهية قبل نقلها إلى الطرف الآخر .

هذا وقد أمسك كيرميت روزفلت وأعضاء اللجنة الخاصة عن الإتصال المباشر بعبد الناصر بعد الانقلاب ، وقنعوا بمراقبة تطورات الأحداث فى مصر بدون الإنغماس فيها . فقد تطورت الأمور بهدوء تام حسب الخطة المرسومة لها وكان الكف عن الإتصال المباشر بعبد الناصر ضرورى لإستبعاد أى شبهة لتوطئنا مع النظام الجديد وكانت رغبة جميع المهتمين بشئون الشرق الأوسط ترك الحرية كاملة للحكومة الانقلاب لمعالجة مشاكل البلاد وحلها بطريقتها الخاصة ولم نعثر على أى مبرر للكشف عن القوى الحقيقة وراء الانقلاب وإظهار اللواء نجيب على أنه ليس أكثر من ستار ما يلبث أن يزاح ولكن لم يكتب لهذا الوضع على أن يعمر

طويلاً فما لبث أن تبدل في عام ١٩٥٣م بعد مجيء الرئيس إيزنهاور إلى البيت الأبيض وإبداء رغبته في العودة إلى ممارسة دورنا مباشرة فيما نزمع تخطيطه وإنجازه مع نظام حكم عبد الناصر وكان الدافع الأول لهذا هو إتقان دراستنا لدور هذا اللاعب الجديد في مسرحياتنا والتأكد من تحركاته وفق توقعاتنا وكان الدافع الثاني ضمان حصولنا بتحركاته هذه على إستراتيجية نصر عند مشوب أول نزاع مع أعدائنا وأما ثالث الدوافع فكان الاستفادة من هذا التقارب والتفاهم لتحقيق تعاون أوسع وأعمق بيننا قدر الإمكان ومع أننا أدركنا أن مساعداتنا لعبد الناصر سوف تزي من قوة مركزه في مسرحياتنا الدولية ولكنها لم تستبعد تحول دوره فيها إلى خصم لنا ومنازع وكل ما يبقى لنا وقتئذ هو الأمل فقط في أن نفلح في موازنه خطر خصومته لنا بزيادة طاقتنا وتوطيد عزائمنا على أن يكون سلوكنا هذا يخدم أهداف ومصالح كلا الطرفين معاً .

وبينما كان وزير الخارجية جون فوستر دالس يخزم حقائبه عشية جولة له في الشرق الأوسط في أيار (مايو) ١٩٥٣م أبلغ كيرميت روزفلت عن رغبته في الوقوف على نيات ومطالب رجال الثورة في مصر بعدما استتب لهم الحكم ودانت لهم قطوفة . وانتهى الرأي إلى قيام روزفلت بإنتفاء رجل عسكري من طراز ضباط الانقلاب وانتدابه لتلك المهمة وكان اختيار روزفلت موفقاً عندما إنتزع من زوايا النسيان المستتر ستيفن مد حيث كان يمضي وقته في الصين الشيوعية بمهمات كإنقاذ العلماء الألمان المعتقلين هناك والتوطؤ مع قادة العشائر الكردية على الحدود السوفيتية لأغراض تجسس على الأمور الحربية وبمهمات أخرى كالاتى عهدت إليه سنة ١٩٤٩م في سوريا (إنقلاب حسنى الزعيم) وسماها وقتئذ (بالعهد الحزين) فروزفلت قليل الخبرة بشئون الضباط في الجيوش العربية الناشئة ، في حين أن تاريخ إنسان ملء بالمغامرات (ستيفن ميد) سيكون له إنطباع حسن في نفوس الضباط الأحرار وبالفعل قام (ستيفن ميد) بجمع شتات حديث تلك اللقاءات وما فيها من أفكاره مبعثرة وبدوينها وإرسالها لواشنطن بشكل مذكرة قيمة للإستعانة بها كدراسة عملية لانقلابات آتية ، وكان منها ما يلي :

١ - إن قوى أى جيش (دون إستثناء) جيش الدول غير العربية التى لها أهداف غير عسكرية (تعتمد على توفر رجال إداريين من طراز رفيع على رأس قيادته ، مدركين كل الإدراك حقيقة دورهم في إصدار الأوامر وتنفيذها وحقيقة دورهم كونهم جزءاً لا يتجزأ من قيادته وتركيبه العام ويعود سبب إنتصار عبد الناصر إلى أدراكه هذه الحقيقة وسيطرة

رجالہ الإداریین الأكفاء علی وحدات الجيش وقطعاته . وسواء أكان عبد الناصر وأصحابه الأوائل ثواراً بحق أو لا ، فإن بقية أتباعه من الضباط ليسوا كذلك ، وكان اتباع عبد الناصر للأساليب العسكرية فی التحضير للإنتقلاب وفی إنجازه ، ضماناً لفوزه ، لسهولة المأمونة فی إصدار الأوامر وتنفيذها .

٢ - وینبغی أن یكون زعم الإنتقلاب من نفس الطبقة الإجتماعية المؤيدة له ، أو أن یكون قادراً علی التظاهر بهذا حتی یتحقق من التقارب والإنسجام بینة و بین أتباعه لیشاركوه إنتصاراته ویشاطروه مشاعره . وهذا كما حدث فعلاً : فالإنتقلاب الجمیع من الضباط الأحرار وعبد الناصر ، وعبد الناصر - برأیهم - لم یكن أكثر من منسق لعلاقاتهم ومنظم لتحركاتهم . وخیم نفس الشعور علی علاقات الفئة الأولى من الضباط الأحرار مع الفئة الثانية وكذلك بین الأخيرة والفئة التي تتلوها ، وهكذا دواليك . وكانت هذه طريقة فنية مكنت عبد الناصر من ضبط أمور الدولة وكسب تأیید ذلك الجزء المهم سياسياً من جماهير الشعب المصری (والذي لا یتجاوز ١٠٪) وبذلك أحدث الطرق فی إدارة أضخم المؤسسات الصناعية ومراقبة الأوضاع فیها .

٣ - ویستبدل العديد من أفراد الإدارة فی النظام القديم بغيرهم بغية إقامة نظام إدارة العهد الجديد علی أساس من الإنضباط والنظام الدقیق وليس علی أساس الولاء للأشخاص ، ویتوقع أن یتم ذلك حال إستكمال قادة الإنتقلاب سيطرتهم علی أركان الدولة ، ولم یكن ولا أنصار ضباط عبد الناصر له مباشرة ، وإنما كان ذلك من خلال ولائهم لأحد أولئك الضباط الأحرار فكانوا یعرفون (برجال زكريا) أو (رجال البغدادی) وكان علی عبد الناصر أن یتخلص من هذه الظاهرة الخطيرة دون إقصاء أعوانه الرئيسیین الذین كان لبعضهم دور رئيسی فی نجاح إنتقلابه ولكنهم أضحوا عالة علیه بعدئذ (وهذه ظاهرة مشتركة بین جمیع قادة الثورات) واضطره ذلك إلى تعینهم فی مناصب شكلية . وقام بأسناد المناصب الرئيسية إلى ضباطه الموهوبین حتی یشغل علیهم كامل أوقاتهم . فی حین قام بنقل من یدین لهم بالولاء الشخصی إلى مراكز أخرى . وأدرك ستیفن مید أن هذه الظاهرة التخطيطية التي بدأت من عبد الناصر یجب إعتبارها مبدأ أساسياً یحتذى به لتثبيت دعائم حکم قادة الإنتقلابات العسكرية عامة (وهذا ما أخفق حسنی الزعیم فی سوريا فی تنفيذه بناء علی إقتراح ستیفین مید نفسه) .

٤ - وكان اعتقاد عبد الناصر أن الاعتماد على الجيش ، حتى يقف النظام الجديد على قدميه أمر لا بد منه في كافة أرجاء البلاد ، كما أن استرضاء كافة الأحزاب والهيئات لإظهار تأييدهم للثورة وأعرابهم عن أنها أمل الجماهير لتحقيق الإصلاح والإزدهار أمر لا يقل أهمية عن السابق . وفي حال منح هؤلاء الأفراد أى قسط من الحريات فلن يكون هذا سوى هدف لتشكيل واجهه منهم للرأى العام مهمتها تهدئة هياج الجماهير ، وتبرير كافة تصرفات الحكومة وقراراتها (وعلى أساس إقتصار مهمتهم) وعلى هذه التشكيلات رفض عبد الناصر إقتراح قبولهم أعضاء مؤسسين في مجلس الثورة) . وإتفقت آراء جميع ضباط الثورة من رؤساء ومرءوسين على أن من مهام عبد الناصر تحويل الجيش إلى مؤسسة ذات نظام دقيق وانضباط رفيع (كالتى كانوا يحلمون بها قبل إلتحاقهم به) . كما اتفقوا على الوقوف ضد أصحاب الفكر والاضطرابات العامة وإباحة المحرمات وتفرنج المجتمع والتحلل الجنسى وغيرها من مفاسد حكم الملك فاروق التى تهدد نظامهم المدلل . أما قيام المظاهرات فقد خشى منه بعض إتباع عبد الناصر واعتبروه ظاهرة خطيرة لتحريك المشاعر وتيجها وبالتالي فتح الطريق أمام الهيئات السرية للإستيلاء على الحكم في البلاد ومع أن عبد الناصر وقف ضد هذه الفكرة في البداية لكنه حقيقة لم يشذ عن هذا المنحنى من التفكير إطلاقاً .

وفي موضع آخر من كتاب يؤكد كوبلاند أنه وفيما يخصنا نحن الأمريكيين فكل ما نطمح إليه لا يتعدى العثور على لاعب ملائم وما هو يشاركنا الجلوس إلى طاولة (لعبة الأمم) ويؤدى دوره بكل إنسجام وهدوء فعلى صعيد السياسة الداخلية لم نكن لتدخل في قرارات عبد الناصر وتصرفاته إطلاقاً ، ولم تكن تعيننا شيئاً طالما أنها لا تضع مخططات سياسته الخارجية موضعاً يتعارض مع سياستنا الخارجية ، ويعرض مصالحنا للخطر ، وليس لنا أن نوجه أى إنتقاد لعبد الناصر بخصوص طريقة توطيده لدعائم سلطته الداخلية ، واتباعه أساليب بونايرتيه فقد كانت وجهة نظره حيال أصدقاءه الأمريكيين تركز دائماً على قوله المشهور : إذا كنتم تعافون وسائل للوصول إلى أهدافي فلا تتركوا في إقتراح وسائل أفضل - إننى - على الأقل أصغى إلى ما ستقولون .. ولم نفكر بإمتحان إخلاصه هذا سوى أنه لم يخطر ببالنا طرق أفضل ، ووسائل أنجح ليسلكها بدل وسائله ويستخدمها لتحصيل ما يخططه لنفسه .

وفي موضع آخر من كتابه وفي الفصل الخامس المعنون ب (الطراز الناصرى للحكم



مع ویلی برانت



مع کریشنا متون

ووسائل القمع) يقول كوبلاند كم طرح على ذلك السؤال عبر السنين والأيام ، ولم يتغير جوابى عليه أو يتبدل : (لنفترض جدلاً أن القدر أحاط عبد الناصر بظروف ما ، وأوصدت جميع الأبواب إلا اثنين : أما بقاؤه في السلطة ودمار البلاد أو خروجه منها ونجاة البلاد فأيهما يختار ، ولم يكن جوابى دائماً سوى : ليس لنا خيار في الجواب ففي تحليلنا لواقع أى زعيم من فئة عبد الناصر يعشق السلطة حبا في التسلط ، يتبين لنا أنه سيفعل كل ما فى وسعه للبقاء فيها ولو أدى ذلك إلى إنبهار البلاد إقتصادياً ، أو دخولها حرباً خاسرة متقطعة مع عدوتها (إسرائيل) وإذا كان الحاكم بونايرتى الطراز فإن مبررات استأثاره بالسلطة ستبقى قوية على أمد الدهر ، ولن يتزحزح قيد أنملة عن إعتقاده بأن أسوأ الكوارث والنكبات لن تفلح في طي صفحة ذلك التفويض الذى منحه إياه للشعب في يوم من الأيام ولن يجزأ إنسان على تجريده من السلطة والإطاحة به . وهذا ما حصل تماماً أثناء الحرب العربية الإسرائيلية في عام ١٩٦٧ : فلقد كانت أسوأ كارثة عرفت في مصر في تاريخها الطويل ، كما كانت أعظم فرصة لأعداء عبد الناصر لينقضوا فيها عليه ويطيحوا به ولكنها مرت وإنقضت وخرج منها عبد الناصر أقوى مما كان عليه في أى يوم مضى .

وفي فصل آخر معنون بالناصرية والإرهاب يعكس كوبلاند بعض الأمور والمعلومات التي قد تكون هامة في فهم رؤية عميل امريكى للناصرية ولعبد الناصر يقول كوبلاند أمضيت الهزيع الأخير من عام ١٩٥٦ م ، وأوائل عام ١٩٥٧ م ، منهمكا في شرح أفكار ناصر أمام مجموعات عديدة من الرسميين الأمريكيين ، باسقاطهم متاعبه ومشاكله ، ومعلقاً عليها بنفس الطريقة التي كان هو نفسه يود أن تعرض شئونه بها أمامنا . وكنت أنفق الساعات الطوال في مكتب الوزير دالس ، أو في مكتب وكيله هربرت هوفر ، بغية ضم جهودنا معا في محاولة لتحديد معالم أبعاد الردود التي كنا نتوقع أن تصدر عن ناصر ، رداً على بعض الإجراءات التي كانت الحكومة الأمريكية تنوى إتخاذها . ولم أكن أواجه أية صعوبة في شرح سلوك ناصر عساه يكسب بعض عطفنا وينال شيئاً من تأييدنا . إلا أنني لم أنجح في تبسيط سائر نواحي سلوكه وأخفقت في شرح إحداها . كما أخفقت في عدم إثارة حفيظة زملائي ورؤسائي كلما حاولت ذلك ثانية . ولقد أخبرت مرة أن أحد كبار الرسميين في وزارة الخارجية قد إلتفت إلى جاره بعدما غادرت أحد تلك الإجتماعات الهامة التي كان يدعوني إليها الوزير دالس إلى تمثيل دور ناصر في لعبة الأمم وقال له (إننى لا ألتق بذلك الإنسان أى بي - فإنه يتكلم بالحاح وإهتمام أكثر من ناصر نفسه) وفي مناسبة أخرى إلتفت إلى

آلن دالس (مدير وكالة المخابرات المركزية) وقال لى إذا حاول بكباشيك أن نخشركنا فى الزاوية فلن نتأخر فى شطره نصفين) ولا أظن أن إنساناً على وجه البسيطة يفوق آلن دالس فى فهم وتطبيق أحد مبادئ التحليل السياسى القائل (ضع نفسك فى مكان الآخرين) ومع ذلك فلن يتمكن آلن نفسه من معالجة أى من مشاكل ناصر دون أن يثور وبغضب ، وذلك لأنها حقاً مصدر غيظ وإزعاج .

وفى موضع آخر يقول كوبلاند كان إقتران الناصرية بالإرهاب وتلازمها به مصدر تعب لنا وقلق أقصى مضاجعنا ، دون أن نجد سبيلاً لفهمه أو تحليلاً لدافعه فالأمريكيون ينفرون من الإرهاب ويكرهون سماع أخباره متناسين أن تحركات الغرب ضد المتمردين من زعماء آسيا وأفريقيا لا تعرف غيره غاية وسبيلاً ولكن ما العمل ؟ فناصر نفسه يمتدح العنف وأساليبه ويدعو لها جهراً ففى داخل بلاد ناصر وأراضيه ، يسود القانون ويعم النظام ، وفى خارجها لا تجد لهذا داعياً ولا سبباً ، فإذاعة القاهرة تحض علناً على إشعال الفتن وأحداث الإضطرابات المدنية فى البلاد - كل البلاد - التى يسوسها زعماء معارضون له أو يحكمها رجال يأبون أن يكونوا مطية له ولا تجد إذاعة القاهرة أحياناً أى حرج فى توجيه الدعوات علناً لإغتيال الحكماء والرؤساء . وكانت نتيجة كل هذا وذاك إشمئزاز رجال السياسة الأمريكيين من هذه الإستفزازات ، وقلق الدبلوماسيين ورجال المخابرات من هذه الحماقات ، وأعمال الطيش والجنون .

إلا أنه لا يستبعد وجود تفكير ذكى خلف ارتكاب ناصر لأعمال العنف والإرهاب . فهو يحاول أن يظهر على أنه زعيم ولكن مضطر لمقاومة المنشقين عنه ولاستخدام العنف للبطش بالخارجين عليه والرافضين دخول كتلته كزعيم . فإتحادات العمال لا تملك أن تصبح قوة فعالة دون أن تتضمن (وحدة الصف) ويلتزم قادتها (بوحدة الهدف) والمتمردون فى مثل هذه الظروف - مهما قل عددهم وضعفت قوتهم - يفسدون جهود الغالبية ، ويحيلون قوتها ضعفاً ووحدتها إفتراقاً . وهكذا يتصرف ناصر . فبالعنف وحده يعامل الخارجين عليه كما يعامل زعماء إتحادات العمال (فى الولايات المتحدة ، ولا أظن ذلك) المتمردين عليهم ، بل أن ناصرأ أشد بطشاً منهم وأكثر تنكياً . وما مرد الفارق فى الشيع الشبه إلا إلى تلك الفوارق بين المجتمعات .

ومن الصعب التسليم بأن الإرهابيين يجيدون فى العنف أكثر مما يجيده شعب وديع ألجأته

ظروفه الى تنبيه كسبيل للنجاة . وفي الوقت الذى لا يلعب الإرهابيون أى دور رئيسى حتى فى أسوأ المظاهرات التى تحدث فى أمريكا فإنهم يفوزون بخصّة الأسد منها فى البلاد « عن ناصر » وقد أطلق المشرفون على النشاط السياسى الناصرى لقب المتعممين على هذا النوع من الإرهابين .

وفى قاموس السياسة العنصرية وفقاً لكوبلاند فإن كلمة المتعصب ترمز إلى ذلك الإنسان الذى أنكر ذاته فى سبيل المبدأ الذى اعتنقه ، وكرس حياته للوصول إلى الهدف الذى إرتضاه ، مهما كانت المشاق وبلغت المصاعب وبالتعريف فإن المتعصب هو الخاسر دوماً ولكنه دائماً دون تعصب أو تزمّت ويدفع ناصر باستمرار أمثال هؤلاء « المتعصبين » إلى خوض غمار المعارك تلو المعارك ، مهما كانت الخسائر جسيمة وخرجت عن حدها المألوف ، حتى يخبط مساعى المنشقين عنه ويقنع الخارجين عليه بالإنضباط للكثرة وبعبارة أوضح فلعبة المتعصب شبيهة جداً بلعبة التشكن أو الفرخة فلسان حال المتعصب يقول « إننى أعلم علم اليقين أننى لن أذوق طعم النصر ، بل قد أموت ، إلا أننى لن أكون وحيداً ، فستكون معى حتماً إن لم تكن قبلى .

ولاعب مثل ناصر والقول لا يزال لكوبلاند ولا يملك من الموارد إلا أقلها لن يتلکأ فى إستغلال أولئك « المتعصبين » لقد أثبت التاريخ ، مراراً وتكراراً ، أنه بهذه الطريقة دون سواها تتمكن الأقلية من فرض إرادتها على الأكثرية - مهما بلغ تعدادها وقويت حجتها .

ذلك وباختصار ومتقطعات كوبلاند وهذا العميل حسب وصف الذين شاهدوه عن قرب فإنه كان يمد ومثل لاعبى كرة البيسبول الأمريكية ، العنيفة ، التى يطن فيها اللاعبون فاناتهم السميكة بأكتاف صناعية تحميهم عند التصادم .. فهو طويل القامة ، عريض الصدر ، قوى الكتفين .. ضيق العينين .. لا يوحى أبداً بالصورة التقليدية ، الغامضة ، والشهيرة للجواسيس والعملاء فى الأفلام والروايات .

وخلال فترة وجوده فى الشرق الأوسط ، أثبت أنه يجيد التحدث باللغة العربية بلهجتها المختلفة ، وسهل له ذلك كثيراً .. فهو فى مصر يتكلم مثل المصريين ... وفى سوريا يتكلم مثل السوريين .. وفى لبنان يتكلم مثل اللبنانيين ... وهكذا ... كان يتعامل مثل ابن البلد فى دولة عربية ينزل إليها ... وفتحت أمامه الأبواب والنوافذ .. وكان نادراً ما يتعامل بخذر .

في سنة ١٩٦٩م نشر كتاب لعبة الأمم وقبل أن تهدأ العاصفة التي أثارها الكتاب ، طلب تأشيرة دخوله لمصر .. ولم يصدق نفسه وهو يحصل عليها .. ولم يصدق نفسه وهو يخرج بسهولة من مطار القاهرة ولا بد أنه أحس بالزهو والسعادة بينه وبين نفسه .. فهذا هو جمال

عبد الناصر الذي بدأ ضده حملة من الدعاية السوداء في لعبة الأمم لا يجرؤ على منعه من دخول مصر .. ولا بد أنه أحس أن سنارته غمرت بصيد ثمين ، وأن فرصته لكسب الأموال إضافية قد حانت .

نزل كوبلاند في فندق الهيلتون .. وذات ليلة وهو عائد إلى الفندق فوجيء بشاب قوى ، يعترض طريقه ، ويصر - في إستفزاز واضح - أن يبيع له حلياً من البلاستيك الرخيص الذي يشتريه السياح .. وبدأ واضحاً أن هناك هدفاً آخر للشباب القوى غير البيع .. إلا أن تدخل بعض المارة أفسد التنفيذ .

في اليوم التالي ... في ميدان العتبة ، نفذ الهدف ، وعاد كوبلاند من جولة لم تتم في الميدان القديم إلى الفندق ، وقد إمتلأ وجهه بالجروح وجسده بالكدمات .. وكان أن فهم الرسالة وحمل حقائبه وسافر على أول طائرة تغادر القاهرة ، التي لم يعد إليها حتى وفاة جمال عبد الناصر .

يقول محمد حسنين هيكل : إن كوبلاند (شأنه شأن غيره من موظفي الوكالة لا يستطيع أن يكتب أو ينشر بغير إذن ، ومعنى ذلك أن ما كتبه نشره كان محل موافقة ومن وكالة المخابرات المركزية التي كان يهمها تلميح صفحة الثورة المصرية والإساءة لقائدها جمال عبد الناصر) وهذا صحيح .

فرغم حرية نشر بعض الوثائق والمذكرات في الولايات المتحدة ، فإن وكالة المخابرات المركزية تخضع كل مؤلفات موظفيها للرقابة الصارمة ، ولا تسمح بنشر المؤلفات التي لا ترضى عنها ، كما فعلت في كتاب فيكتور مارشني الذي صودر ومنع من التداول بأمر المحكمة في ١٨ إبريل (نيسان) ١٩٧٢م .. وذلك تحت بند (عدم الإضرار بمصالح الولايات المتحدة ، وعدم إفشاء أسرار الوكالة التي يمكن أن تهدد الأمن القومي) .. وإستندت المحكمة في منع الكتاب إلى أن العقد بين الوكالة ورجالها يتضمن تعهداً بعد إفشاء أية معلومات يحصلون عليها خلال عملهم إلا بإذن مسبق . ويؤكد كثير من الكتاب أن كتاب كوبلاند

من هذه العينة .

ولا نشك أيضا في أن الكتاب تضمن وقائع حقيقية ، حدثت فعلاً .. لكن صياغتها ، كانت صياغة ميلودرامية زاعفة ، أوحى بإستنتاجات ، وخلصت إلى نتائج جانبها الصواب .. تماماً .. بل وكان هدفها المصلحة وفقا لقول هيكمل أن في ملفات الحكومة المصرية في رئاسة الجمهورية ، ومجلس الوزراء ، وإدارة المخابرات العامة ، مجموعة وثائق تكفى لإدانة ما يلزم كوبلاند ولست أعرف لماذا لا تنشر كلها أو ينشر بعضها في مواجهه ما يكتبه وينشره مايلز كوبلاند ؟

في هذه الملفات خطاباً بإمضاء كوبلاند يطلب أموالا من الحكومة المصرية ليشيء ، لحسابها إدارة مخابرات مقرها لندن أو جنيف يقوم على خدمتها وتأشيرات على هذه الخطابات برفض العرض لأننا لا نستطيع أن نعهد لعمل المخابرات الأمريكية بإنشاء مخابرات مصرية . وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يبدى فيها إستعدادة لحذف وتغيير كل ما لا ترضى عنه مصر في كتابه (لعبة الأمم) - وتأشيرات عليها بعدم الرد عليه ، لأن مجرد الرد عليه يعطيه قيمة ليست له .

وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يشكو فيها من أجل جميع المسئولين لا يقابلونه ، ولا يردون عليه ، بينما هو يريد أن يخدم ، ولا يطلب من مصر إلا ما يستطيع أن يعيش به ويحافظ على مستواه - وتأشيرات على هذه الخطابات يمنع دخوله إلى مصر ، وبعدم حاجتها إلى خدمته ، وبأنها ليست مسئولة لا عن معيشتة ولا عن مستوى معيشتة ، وأنه مغامر على إستعداد أن يبيع نفسه ، ومصر ليست مستعدة لأن تشتري) .

ويؤكد هيكمل ذلك بالفعل ففي القضية التي رفعها مصطفى أمين بعد الإفراج عنه ضد مدير المخابرات العامة الأسبق صلاح نصر .. قال هيكمل أمام المحكمة التي نظرت القضية . إن كوبلاند كان موظفاً في المخابرات المركزية الأمريكية ، ثم طرد منها ، وحاول إستغلال صلاته بالعالم العربى ليفتح مكتب إستشارات في بيروت ، وفي هذه الفترة كتب إلى جمال عبد الناصر أكثر من ثلاثين خطاباً وتقريراً فحاول فيها إقناعه بإستعمال خدماته وخبراته ويطلب في مقابل ذلك مكافأة .. ولم يرد جمال عبد الناصر على واحد منها هذا هو ملف كامل بالخطابات مصطفى أمين يعترف بأن مايلز كوبلاند كان يسعى للدخول

في أعمال تجارية مع مصر .. فقد قال في خطابه الشهير إلى جمال عبد الناصر بعد إتهامه بالتجسس لحساب المخابرات المركزية :

وتعرفت في هذه الفترة أيضا بمستر مايلز كوبلاند ضابط المخابرات الأمريكي . وكان يعمل في سفارتهم بالقاهرة ، وعرفني به نائب مدير مكتب الاستعلامات الأمريكي بالقاهرة في ذلك الوقت ، وكانت علاقائي به جيدة ، وكان يحضر إلى مكنتي ، وأحيانا إلى بيتي .. واستمرت علاقتي مع مايلز كل فترة وجوده بالقاهرة ، وبعد أن إنتقل إلى بيروت وعمل مديرا لإحدى الشركات الأمريكية هناك ولا زلت أتعامل مع مايلز كوبلاند كما تعلمون سيادتكم في كل مرة يحضر فيها إلى القاهرة أو أتوجه فيها إلى بيروت ، وإن كانت مقابلات بيروت لم تزد عن مرتين . وكان يطلب خدمات وهي أن أتوسط لدى سيادتكم في مسائل تجارية ولم أتحدث إلى سيادتكم بخصوصها ، وهي بشأن شراء مصر لماكينات حسابات للحكومة المصرية على حساب المعونة الأمريكية . وفي بعض الأحيان يكتب إلى طالبا تحديد موعد لمقابلة سيادتكم .

من هنا شابت المصلحة والابتزاز الرخيص رؤية مستر مايلز كوبلاند ومن هنا قلنا إننا يمكن التحفظ على ما ورد بها رغم صحة بعضه ولا شك .

ثالثا : عبد الناصر والأحلاف الغربية في المنطقة :

كان عبد الناصر وفقا لمناصريه ومؤيديه معارضا لهذه الأحلاف وهي أحلاف أكتوت هذه المنطقة بنارها إذ لم تعلن منطقة في العالم من إستغلال الإستعمار لأجيال طويلة مثلما عانت الشعوب العربية على مر التاريخ ولقد أدى إحتكار القوى الأجنبية بالجحف للثروات الطبيعية لهذه البلاد كذا إستثمار رأس المال المستغل بها إلى وقف التنمية الإقتصادية ، وإلى عرقلة نمو القوى الإنتاجية فيها ، مما أدى إلى إزدياد فقر الغالبية من الشعب أما الدول العربية التي نالت إستقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد وقعت تحت وطأة نوع آخر من الإستعمار .. إستعمار إقتصادي عانت بسببه من الإحتكارات الأجنبية .. ولذا لم يكن غريبا أن نرى الدول العربية التي تملك مصادر بترولية ضخمة تعتمد على الدول الرأسمالية الكبرى ، التي تحكم في حقول بترولها ومصادر ثرواتها الطبيعية وكان لابد لهذه القوى الإستعمارية أن تعقد إتفاقات ومعاهدات مع بعض الدول العربية لتبرر إحتلال قواتها الأجنبية



أعلى الصورة : عبد الناصر ونهرو وأونو في مؤتمر باندونج ١٩٥٥

أسفل : عبد الناصر مع سيكوتوري رئيس غينيا

لأراضيها على أنه بخروج الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية كدولة عظمى إزدادت إحتكارتها بالمنطقة العربية إذ إرتفعت إستثمارتها في بعض الدول العربية عشرة أضعاف عما كانت عليه من قبل ، فقد إستطاعت الولايات المتحدة أن تطرد الإنجليز والفرنسيين المنافسين لها من الأسواق العربية ، وإستتات الإحتكارات الأمريكية للسيطرة على إقتصاديات البلاد العربية وإخضاعها لنظامها وقد إستطاعت الولايات المتحدة في ظل ما أطلقت عليه المساعدات الفنية والاقتصادية التي جاءت بها النقطة الرابعة في برنامج ترومان ، أن تفرض إتفاقات جائرة على كل من المملكة العربية السعودية والعراق والأردن وغيرها .

وبموجب هذه الإتفاقات حاولت الإحتكارات الأمريكية أن تضمن مركزاً ممتازاً لرأس مالها في الدول العربية وأن تجذب هذه الدول إليها في تحالفات سياسية وعسكرية . ولقد إتخذت منافسات الإحتكارات الأجنبية في البلاد العربية على مصادر المواد وعلى الأسواق والميادين إستثمار رأس المال طابعاً مريراً . فحتى قيام الحرب العالمية الثانية ، كانت الإحتكارات الإنجليزية تسيطر على ٨٠,٩ في المائة من بترول الشرق الأوسط بينما كانت الإحتكارات الأمريكية لا تسيطر على أكثر من ١٢,٨ في المائة .

ولكن الموقف تغير بعد الحرب ففي عام ١٩٥٢م وصلت أسهم الولايات المتحدة في بترول الشرق الأوسط إلى ما يقرب من ٦٦٪ إقتطعته من نصيب ما كان يملكه الإنجليز .. وعلى الرغم من التناقضات التي كانت قائمة بين القوى الإستعمارية ، فقد إتفقت هذه القوى على التعاون معاً ، خوفاً من نمو تحركات التحرر الوطنية في هذه المنطقة . ومن ثم إستعانت هذه القوى في ربط دول المنطقة في تكتلات وتحالفات ومعاهدات ومواثيق ، بأمل أن تستطيع أن تسحق أى حركات تحررية ، وأن تستخدم أراضيها ومصادرها البشرية لخدمة أغراضها الخاصة . وهذا ما يوضح تماماً المشروعات العديدة التي قدمها الغرب لتحقيق تكتلات سياسية - عسكرية في المنطقة على أن محاولات جذب هذه القوى الإستعمارية لدول المنطقة العربية إليها تعكس حالة التوتر التي كانت تسود بعض المحتكرين لتدعيم مراكزهم في هذه البلاد على حساب الآخرين .. وهكذا نرى إنجلترا تبذل جهوداً جبارة مثمرة لإنشاء مشروع (سوريا الكبرى) الذي كان من المفروض أن يضم سوريا ولبنان والأردن وفلسطين الهلال الخصيب (الذي يضم الدول سالفة الذكر مع العراق .. وكذلك حاولت بريطانيا أن تستخدم جامعة الدول العربية لتحقيق أغراضها

وتجىء الولايات المتحدة لتستخدم قوتها في تدمير هذه المشروعات البريطانية بمحاولة إنشاء تكتل من الدول العربية ، يخدم أغراضها الخاصة بحجة الدفاع عن الشرق الأوسط .

وهكذا ظهرت على مسرح السياسة الدولية محاولة أمريكية لتنظيم ما أطلق عليه قيادة الشرق الأوسط ثم ظهر حلف بغداد ولقد خاضت مصر بعد قيام ثورة ٢٣ يولية عديداً من المعارك السياسية ، بعضا منها أثار الانتقادات والمشكلات أمام أسلوب عمل الثورة المصرية ، والبعض الآخر كثيراً إلى إمكانيات العمل للثورة المصرية خارجياً وداخلياً ومن بين هذه المعارك السياسية ذات المردود الإيجابي على تطور أسلوب عمل الثورة المصرية هذه المواجهة المتعارف على تسميتها بمعركة الأحلاف الغربية ، التي حاولت القوى الإستعمارية سواء التقليدية أو الصاعدة فيما بعد الحرب الثانية - فرضها على المنطقة العربية خدمة لأهدافها الإستراتيجية ولمصالحها الإقتصادية المتنامية .

وتبدأ قصة هذه المواجهة مع بروز الطابع التحلى على توجيهات ثورة يولية داخلياً وخارجياً ، بمعنى إندفاعها إلى نقض ثوب البعية الرغمة عليه من الإستعمار البريطانى ، مما حد القوى الرأسمالية الغربية التي بذل محاولات عديدة لإعادة ربط مصر برابطة ما مع المعسكر الرأسمالى الغربى تحت واجهات ومبررات عديدة ويحدثنا مايلز كوبلاند فى كتابه لعبة الأمم - عن أن الإرادة الأمريكية والرئيس الأمريكى إيزنهاور كان يرى بصفة شخصية أن السياسة الخارجية لبلاده لكى ترعى المصالح الأمريكية لابد أن تكون معززة بوسائل عسكرية لمواجهة الطموح الشيوعى ، وأن الدفاع المنطقى ضدهم هو الدفاع العسكرى الذى يبدأ أولاً عن طريق منظمة حلف شمال الأطلسى (ناتو) وتشترك فيه الدول الأوربية ، ومن ثم بإحلاف شبيهة به فى بقية أجزاء العالم (الدكتور سعد الدين إبراهيم (محررا) ولمشروع القومى لثورة يوليو والتمركز العربى للتعدد والنسبة - ٨٤٤ ١٩٨٤ ص ١٧٠ وما بعدها .

وأما منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط (ميدو) فكانت فى رأى الرئيس الأمريكى إيزنهاور هى أولى تلك الأحلاف الواجب تنفيذها بعد حلف الأطلسى .

وفى مارس ١٩٥٣م ، إجتمع أنتونى إيدن البريطانى وجون فروستر دالامس وزير الخارجية الأمريكية والرئيس داويت إيزنهاور ليستبحثوا فى أمور الدفاع عن الشرق الأوسط بصورة متكاملة . وفى الوقت الذى كان يعنى ذاك الإجتماع بالنسبة للرئيس إيزنهاور ضرورة إخراج حلف (ميدو) إلى حيز الوجود فقط كان لا يعنى بالنسبة لا يدن سوى الاحتفاظ بالقواعد

العسكرية بالشرق الأوسط ولا سيما قاعدة قناة السويس تحسباً لنشوب أى نوع من النزاع العسكرى ، من الحرب المحلية التى ربما تعيق إستخدام قاعدة قناة السويس إلى حرب عالمية ثالثة ، أو حرب بين فقراء آخرين مثل الحرب بين العرب وإسرائيل ، إلى حرب بين بريطانيا وحلفائها وبين الروس الصاعدون دولياً آنذاك . وأياً كان الخلاف بين وجهتى نظر الرئيس الأمريكى ووزيره دالاس، وبين الوزير البريطانى فعند كان الأمر فى النهاية يعنى لدى الطرفين إيجاد رابطة محددة لجو مصر والمنطقة العربية لخدمة الأهداف الغربية عموماً فى صراعهم مع السوفيت ولم يكن الصراع مع السوفيت يمثل لدى القيادة المصرية فى ذلك الوقت أولوية من أية وجه بل كان الصراع مع الصهيونية هو الذى يحتل الأولوية المطلقة لدى الرئيس عبد الناصر فى ذلك الوقت ومن ثم لم تكن المبررات التى قدمها الأمريكيون والإنجليز ذات بال فى إقناع الرئيس عبد الناصر لتغيير قناعاته السياسية فى هذا الصدد الأمر الذى أدى إلى وضع فكرة (الميدو) على الرف نهائياً كما يقول كوبلاند بعد محادثات دالاس وعبد الناصر فى مايو ١٩٥٣م إذا كانت هذه الخطوة التى أقدم عليها الأمريكيون - أى التخلي عن فكرة هذه المنظومة الدفاعية - قد جاءت بعد مشاورات مصرية - أمريكية فقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن تخلى الأمريكين عن هذه المنظمة الدفاعية المقترحة - كما تخليا مؤقتاً إلى حيث تتاح ظروف أكثر ملاءمة لإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود وقد جاءت هذه الظروف المناسبة بالنسبة للغرب والأمريكين أثناء وفى أعقاب توقيع إتفاقية الجلاء البريطانى عن مصر فى أكتوبر ١٩٥٤م .

فى هذه الإتفاقية أوضحت أن هناك إتفاقاً مصرية على عدم الإرتباط بميراث الإستعمار التقليدى أو أياً من صورة وأشكاله الجديدة وذلك بدأت المحاولات الأمريكية لإقناع القيادة المصرية فى الدخول والإرتباط مع الغرب برابطة ما لمواجهة التغلغل الشيوعى فى المنطقة . ويشير أحمد حمروش إلى هذه المحاولات التى توقفت مع قرار الحكومة الأمريكية بمنح مصر معونة تقدر بـ ٤٠ مليون دولار كمساعدة ، وذلك فى شهر نوفمبر ١٩٥٤م - أى بعد أقل من شهر واحد من توقيع الإتفاقية وقد تركزت مثل هذه المحاولات الأمريكية فى إيفاد ضابطين من وزارة الدفاع الأمريكية بحجة التعرف على ما تحتاجه مصر من أسلحة للأمن الداخلى - إلا أن هذين الضابطين فشلا فى إقناع القيادة المصرية بالمبررات الأمريكية لربط مصر مع الغرب تحت أية واجهة عسكرية .

رؤية الحوارين الناصرين

أما عن رؤية الحوارين الناصرين فتمثلهم هنا بصلاح نصر فى كتابه الهام (الحرب النفسية) فإن لهم رؤية خاصة بشأن المواجهة وأساليب الإستعمار والرجعية (خاصة الأحلاف) وكيف استطاع عبد الناصر التغلب عليها ؟

يقول صلاح نصر :

فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢م انبثقت الثورة المصرية بعد ما يقرب من قرن من الزمان عاشتها فى ظل الاستعمار وأعوانه رجعية وعملاء - مفجرة الطاقات الكامنة للشعب المصرى . وبعد عامين على الأقل من قيام الثورة كانت المسألة الوطنية هى التى تمثل التحدى الأول . ولقد حاول الاستعمار البريطانى ممارسة أساليبه القديمة فى المراوغة والتسويق ولكن ما لبث أن شعر بالمواجهة الحقيقية لأول مرة . وأطلق الرئيس عبد الناصر عبارته المشهورة (على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل .. وبعد توقيع إتفاقية الجلاء فى ١٩ من أكتوبر عام ١٩٥٤م كان هناك ثمة شعور دولى هام بأن الصراع الطويل الذى دام ما يقرب من ٨٠ عاماً بين الشعب المصرى والاستعمار البريطانى قد آن له أن ينتهى . وحاولت الدعاية البريطانية أواخر عام ١٩٥٤م وأوائل عام ١٩٥٥م بأساليبها الماكرة التمهيد لما تسميه بالعلاقات الجديدة فى الشرق الأوسط .

ولكن الموقف فى الشرق الأوسط تغير فى نهاية العام نفسه وتغير بذلك أساليب الدعاية الموجهة إلى شعوب المنطقة لقد أصبح هم إسرائيل منذ قيام الثورة المصرية أن ننبه إلى الخطر الذى يهدد كيائها وأمنها من جانب قيادة هذه الثورة وتزايدت مخاوفها بعد جلاء القوات البريطانية عن منطقة السويس ، وكانت هذه القوات تشكل حزام الأمن للدولة العميلة .

ويرى صلاح نصر أن تحرشات إسرائيل بالثورة المصرية بالإعتداءات المتكررة على الأراضي المصرية ، وكان الهدف الأساسى من هذه التحرشات إشعار العالم الغربى بصفة خاصة أنه لابد من ضمان دولى جديد لكيان إسرائيل ، وفى نفس الوقت حاولت هذه الدولة التقليل من هبة الثورة المصرية أمام رأى العام العربى لقد كانت قيادة الثورة على وعى كامل بالأهداف الحقيقية البارزة وراء تحرشات إسرائيل وعدوانها المتكرر وكان لابد من

مواجهة اللعبة الإسرائيلية بالحزم والتصميم ولما كانت إسرائيل وما زالت ترسانه للسلاح الغربى فى منطقة الشرق الأوسط ، فقد حاولت مصر الحصول على السلام اللازم لأمنها القومى من الغرب ، ولكن كل جهودها باءت بعدم التوفيق ورفض الغرب تقديم أى مساعدات .

فالعرب كما هو معروف لا يقدم السلاح للدول العربية إلا فى أضيق الحدود وبمساومات سياسية .

وكان لابد من الحصول على السلاح ، أن أحد المبادئ الستة الكبيرة لثورة ٢٣ من يوليو هو إقامة جيش وطنى قوى ، وبداهة لا يوجد جيش وطنى قوى بدون سلاح حديث . وكانت إسرائيل قد تمكنت من الحصول على الكثير من الأسلحة من بعض الدول الشرقية منذ عام ١٩٤٨م وما بعدها . لقد كانت ولا تزال - تسعى إلى الحصول على أى سلاح من أى مورد بصرف النظر عن حقيقته أو عقيدته.

وعقد مؤتمر باندونج الأول فى ٢٩/٣/١٩٥٥م وخرجت الثورة المصرية من نطاقها المحلى الغربى إلى آفاق رحبة لقد كانت روح باندونج تجسيدا حيا للواقع النضالى لشعوب آسيا وأفريقيا التى تكافح من أجل : الإستقلال الوطنى ، والحرية السياسية ، والعدالة الإجتماعية ولقد قامت مصر بدور قيادى بارز فى الاعداد لمؤتمر باندونج حتى إعلان قراراته الشهيرة ، كما كان المؤتمر أرضا صالحة للتعارف الوثيق بين الرئيس عبد الناصر ومعظم القادة المناضلين فى أفريقيا وآسيا .

وبعد عودة الرئيس عبد الناصر إلى القاهرة فى إبريل عام ١٩٥٥م كواحد من أبرز أبطال باندونج بات مؤكدا أن الغرب أصبح لديه الآن ما يزيد من مخاوفه إذا ما تمكن الجيش المصرى من الحصول على أسلحة حديثة ويأتى عام ١٩٥٥م مشحونا بالعمل الثورى المصرى على نطاق الأمة العربية .

فى هذا العام بالذات - أكدت المعالم الواضحة لثورة ٢٣ يوليو بعد أن أعلنت القيادة السياسية فى القاهرة معاصرتها لحلف بغداد ، وفى هذا العام بالذات تأكدت المعالم النضالية للثورة المصرية عندما أخذت على عاتقها الوقوف بحزم ضد إتجاهات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى ربط الدول العربية بالأحلاف العسكرية .

وفى هذا العام بالذات أيضا تمكنت الثورة المصرية من خوض تجربه رائدة كان لها أثرها الدولى البعيد عندما عقدت القيادة السياسية المصرية - ولأول مرة - صفقة الأسلحة التشكيلية .

كذلك فإنه فى هذا العام بالذات تكشفت تماما النوايا العدوانية للإستعمار الغربى ضد ثورة ٢٣ يوليو وبدأت سلسلة الضغوط ... النفسية ، والإقتصادية والعسكرية ضد مصر ... هذه «السلسلة» الطويلة التى بدأت منذ عقد صفقة السلاح التشيكى ولما تنته حتى الآن . لقد كان تسليح الجيش المصرى فى حد ذاته - وبصرف النظر عن مصدر السلاح - وهو الذى أرق الغرب الإستعمارى - طويلاً .

إن بناء القاعدة المادية لقوة الثورة المصرية متمثلها فى جيشها الوطنى كان هو الخطر الذى حاول الإستعمار تأخيرته بكل الوسائل والأساليب . وعندما تمكنت مصر من كسر مبدأ إحتكار السلاح كان ذلك سابقه خطيرة فى عرف الدبلوماسية الغربية وسياستها العسكرية وبدأت حرب الدعاية بكل وسائلها وكل أساليب توجه ضد الثورة المصرية من كل عواصم الغرب وإسرائيل ، وكل العواصم العربية التى تدين بوجودها وإستمرار بقاءها للإستعمار نفسه .

ولقد قيل يوماً أن مصر قد اشترت سلاحاً ملحداً ، وبدأ الإستعمار يكتشف فجأة مدى تعاطفه مع الإسلام وهو الذى أستدل شعوبه زماناً طويلاً . وارتفعت شعارات الفرغونية ، الأطماع المصرية وأحلام ناصر وظهر تباكى إسرائيل على انهيار مبدأ توازن القوى فى الشرق الأوسط الذى لم يعد فى صالح أمن إسرائيل وقوتها العسكرية ، وقال حكام العرب الضالعون مع الإستعمار : إن الشيوعيين تمكنوا من إيجاد موضع لقدم فى الشرق الأوسط .

وبعد عام واحد من حصول الجيش المصرى على أسلحة حديثة لم يكن أمام الغرب الإستعمارى من سبيل يرتاده ضد الثورة المصرية بعد إستنفاد كل ضغوطه العائلية والنفسية إلا إستخدام الحرب المسلحة ضد مصر ولقد كانت ملحمة بناء السد العالى هى الفرصة المواتية التى إستخدمتها بريطانيا - بريطانيا وفرنسا وإسرائيل . وقصة تمويل السد من جانب الولايات المتحدة والبنك الدولى وبريطانيا معروفة ، ويتذكرها العالم أجمع كدليل واضح على فساد الدبلوماسية الغربية وضيق نظرتها وعصيتها تجاه حركات التحرر الوطنى ليس فى الشرق

الأوسط فقط ولكن في العالم أجمع .

كما رفض الغرب تقديم السلاح للجيش المصرى لبناء جيش وطنى قوى يحمى مكاسب الشعب المصرى - رفض أيضا وبغناد المساهمة في تمويل مشروع السد العالى لبناء القاعدة الاقتصادية التى تمكن الشعب المصرى من الوصول إلى الحد الأدنى للمستوى اللائق لحياة الإنسان في النصف الثانى من القرن العشرين ، وكان الرد المصرى الثورى هو تأمين قناة السويس ليكون عائدها في خدمة تمويل السد العالى .

لقد كان التمهيد للعدوان على السويس في حد ذاته من جانب بريطانيا وفرنسا وتهيئة الرأى العام العالمى لقبوله ، واستخدام أحدث أساليب الدعاية والإثارة ، وتسخير كل أجهزة الدعاية والإعلام والصحافة والأذاعات على أوسع نطاق ممكن ضد مصر كان كل هذا مادة تصلح كأساس لدراسات عديدة مستقلة تبحث في هذه الأساليب ، ومناهجها ، وطرق تخطيطها ومدى ما أحرزته من نجاح أو فشل .

كذلك فإن بسالة الشعب المصرى ومقره ومقدرة جيشه على صد العدوان المسلم وإدانة الرأى العام العالمى للعدوان قد جعلت حرب السويس ذات دلالة تاريخية بالغة الأثر . ولم تعد أساليب القهر والعدوان المسلح ، والتواطؤ تجدى في صد حركات التحرر العالمية أو إنحرافها عن أهدافها الحقيقية .

لقد أدان ضمير العالم هذا العدوان ، وكان الانتصار المصرى عليه تجربة رائدة وضعها النضال المصرى في خدمة الشعوب التى تكافح من أجل إستقلالها الوطنى في : أفريقيا آسيا ، أمريكا اللاتينية وليس صدفة أن كلمة المد التحريرى في العالم كله سجلته سنوات ما بعد حرب السويس - وعثا حاول الإستعمار التقليل من أهمية الخيبة التى أصابته في حرب السويس ، وكان لابد من تغيير مخططاته . إذا كانت الحرب المسلحة لم تقدم حلاً حاسماً فلا بأس من العودة إلى الأساليب التقليدية . وبدأت الحرب الاقتصادية لتجويع الشعب المصرى . وبدأت عمليات التشكيك على أوسع نطاق في سلامة الإقتصاد المصرى وفي قدرته على الوفاء بالتزاماته الداخلية والدولية .

وبدأت عملية عزل ثورة مصر في داخل حدودها بعيداً عن التيار التحررى الثورى الذى أشعل شرارته المتوهجة حرب السويس لتشمل كل المنطقة العربية .

وعاد الخوف الغربى التقليدى من التوغل الشيوعى فى الشرق الأوسط واصطنع الغرب مشروع إيزنهاور كبديل ماذى لآوف غير منظور فى منطقة أصبح ثابتاً ومؤكداً أن أهلها هم الذين يصنعون مستقبلها وفق إرادتها الحرة .

وكما أن حلف بغداد لم يعد أكثر من مجرد إسم فى التاريخ ، فكذلك كان مشروع إيزنهاور . وفى هذه الفترة تزايد الضغط على الشعب السورى كنوع مباشر من الضغط على الشعب المصرى ، وكان الرد السرى الحاسم ، هو قيام الجمهورية العربية المتحدة بأقليتها المصرى والسورى فى ٢٢ من فبراير وتزايد ربح إنشغال ربح الدعاية الغربية ضد الدولة ومرة أخرى تزايد أحاديث عن إمبراطورية ناصر التى تتحكم فى ٩٠٪ من بترول الشرق الأوسط وبدأت حرب التخريب فى داخل دولة واحدة ومحاصرتها من خارجها وأقيم الإطاحة الملكى الهاشمى المصطنع فى مواجهتها ولكن قامت ثورة ١٤ من يوليو فى العراق لتهدم اتحاد التيجان ولترفع إسم بغداد من فوق واجهة الحلف الذى صنع الإستعمار ورفع شعاراته نورى السعيد .. وظهر واضحاً أن المد الثورى العربى يسير فى طريق قدره .

وبصدور قرارات يولية الاشتراكية فى عام ١٩٦١م ، وإستيعاب الثورة الوطنية لأبعادها الإجتماعية لم يعد أمام الإلتماع الغربى الممثل الشرعى للرأسمالية فى قمتها الإحتكارية إلا طريق التآمر .

وكان الانفصال فى ٢٦ من سبتمبر سنة ١٩٦١م الذى إحتفل به الإستعمار والرجعية العربية رسمياً فى شتورة فى أغسطس ١٩٦٢م .

ولكن المد الإستعمارى الرجعى لم ينته قبل أن تثبت الثورة العربية أصالتها وعراقتها وإمتداد حذورها فى التربة العربية .

فلقد أفاق العالم على ثورة شعب اليمن ضد الطغيان الألمانى الرجعى المتخلف فى ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢م .

وقبل أن يتمكن الإستعمار من محاصرة ثورة اليمن فى طريق التخلص منها نهائياً كانت ثورة ٢٣ يوليو المصرية عند إلتزامها واقفة إلى جانب شعب اليمن وثورته .

كذلك قضى شعب العراق على إنحرافات عبد الكرىم قاسم وشعبيته فى فبراير عام ١٩٦٣م

وبرز المضمون الإجتماعى لثورة ٢٣ يوليو عندما إختارت طريق التحول الإشتراكى بإعلان الميثاق الوطنى فى ٢١ من مايو ١٩٦٢م وإقراره من جانب اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢٠ يونيو من نفس العام . وقال الإستعمارىين : إن الميثاق قابل للتصدير إلى كل الدول العربية ، وإن اشتراكية مصر هى إشتراكية عدوانية قابلة للإنتشار .

وإذا كان الإستعمار والرجعية فى المنطقة العربية قد جربا كل أساليب الحرب الخفية والعلنية لإبتداء من حملات : التشكيك ، والتسويق وعقد الأحلاف العسكرية ، وبناء كيانات إتحادية هزيلة إلى الحرب المسلحة فى السويس ، والحرب المأجورة ضد ثورة اليمن فإنهما لجأ إلى وسيلة جديدة هى الحلف الإسلامى التى يتزعمه الملك فيصل فى الدولة العربية الإسلامية ويعاينه بورقيبة فى تونس ، وشاه إيران ، ويمرّك خيوطه صانعو السياسة فى واشنطن ولندن . غير أن مصير الحلف الإسلامى حدده الشعب العربى منذ عام ١٩٥٧م عندما حاول الملك سعود بتكليف خاص من الرئيس السابق إيزنهاور أن يدعو له فى المنطقة العربية وإلى هنا تنتهى نقطة الحوار بين ماذا عن الرؤية العلمية للمساءلة (والقول لصلاح نصر) .

خلف بغداد كان دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة قد ورث مشروع اتشيسون الخاص بقيادة الدفاع عن الشرق الأوسط الذى كانت مهمته تنظيم إقليم الشرق الأوسط ضد الهجوم السوفيتى ... كان المشروع يتركز حول مصر لأسباب جغرافية ، ولوجود القاعدة البريطانية الضخمة على الجانب الغربى من قناة السويس والتى تم إنشاؤها على مدى سنوات طويلة ، وتكلفت أكثر من أربعة ملايين جنيه إسترليني ، وكانت تعد أعظم قاعدة عسكرية فى العالم ومع ذلك لم يستطع الأمريكيون إقامة قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط حول هذه القاعدة العملاقة ، لأن المصريين لم يقبلوا ذلك بل على العكس كانوا يطالبون دائماً بجلاء البريطانيين عن القاعدة نهائياً وكذلك عن منطقة القناة حيث عسكرت القوات البريطانية عشرات السنين . (والقول لصلاح نصر) .

وأملأ فى تنفيذ مشروع قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط ضغط جفرسون كافرئ سفير الولايات المتحدة فى القاهرة على بريطانيا فى فبراير سنة ١٩٥٣م لتسوية الخلاف الذى كان قائماً بينها وبين مصر حول مساءلة السودان ، كما ضغط عليها فى أكتوبر سنة ١٩٥٤م للجلاء عن السويس كانت المسألة المصرية تشغل بال العالم الغربى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ، فدعت واشنطن الإنجليز إلى مفاوضة الثورة مباشرة وذهب إيدن إلى واشنطن ليتفق مع إيزنهاور على

سياسة مشتركة تجاه مصر ، وكان غرضه من هذه الزيارة الضغط على مصر ، بأن يوضح لها أن هناك جبهة غربية مشتركة في سياستها نحو مصر ولكن رسالة إيزنهاور التي أرسلها إلى الحكومة المصرية في شهر مارس سنة ١٩٥٣ م ، بينت إستعداد الولايات المتحدة للعمل على تحقيق مطالب مصر الأساسية بشرط ألا يضع المصريون عراقيل أمام مشروعات الغرب الخاصة بالدفاع المشترك عن الشرق الأوسط .

ولقد أدركت القاهرة مقدماً أن هناك تبايناً في وجهات النظر بين الولايات المتحدة وبريطانيا تجاه حل المشكلة المصرية وكانت المفاوضات بين مصر ولندن قد توقفت في ٦ من مايو نتيجة لإصرار بريطانيا على الإحتفاظ بقواتها في منطقة قناة السويس ، وإصرار مصر على إجلاء هذه القوات من أراضيها . (والقول لصالح نصر) .

وكان لابد أن تتدخل الولايات المتحدة وتقوم بدور الوسيط ففي النصف الأول من مايو سنة ١٩٥٣ م ، حضر دالاس إلى القاهرة ومعه مشروع ضخم للدفاع عن الشرق الأوسط يمثل في أهميته للمنطقة ما يمثله حلف شمال الأطلسي للدفاع عن الغرب .

ولكن القاهرة إستقبلت مشروع دالاس بفتور ، كما لو كانت تعرف مضمونه قبل أن يغادر دالاس واشنطن وفسرت القاهرة المشروع بأنه خطه إستراتيجية تهدف إلى الإحتفاظ بسيطرة الأنجلو ساكسون العنصرية على الشرق الأوسط محافظة على مصالحهم البترولية في المنطقة وفشلت مهمة دالاس ، وطويت جميع مشروعات الغرب في مصر إلى حين وبعد مضي ثلاثة أيام من توقيع الجلاء بين مصر وبريطانيا في ٢١ من يوليو سنة ١٩٥٤ م بدأت مفاوضات أخرى بين الولايات المتحدة ومصر .. كان الأمريكيون يظنون أنه طالما حصل الرئيس عبد الناصر على مبدأ سحب قوات البريطانية من بلاده فهم يستطيعون إقناعه للإشتراك في حلف عسكري يواجه الإتحاد السوفيتي ولقبول إرسال بعثة عسكرية أمريكية إلى مصر وهو ما لم يحدث وفقاً لصالح نصر .

وبعد وجه النظر هذه يثور سؤال : لماذا واجه عبد الناصر سياسة الأحلاف الغربية ؟.. ثم ما هي المبررات التي لجأ إليها الرئيس .. عبد الناصر في فضح ومواجهة هذه السياسة الغربية وأدت إلى إنتصاره في هذه المعركة السياسية التي امتدت ما يقرب من عشرة أعوام إن هذا التساؤل يفترض بدوره التأمل في أقوال وخصب وتصريحات الرئيس عبد الناصر للتعرف على هذه المبررات . وبصفة عامة فقط تراوحت هذه المبررات بين نوعين . الأول

منهما ، مبررات عامة تعلقت بسياسة الأحلاف والكتل الدولية ككل ، الثاني مبررات خاصة أوضحها الرئيس عبد الناصر في معرض تفسيره وتبرره مواجهة كل مشروع على حدة وبين هذه المبررات مجتمعة يمكن إنجازها كالآتي :-

١ - إن سياسة الأحلاف تتعارض مع معنى الإستقلال الوطني وتعنى سيطرة الدول الكبرى على الدول الصغرى وقد أوضح ذلك الرئيس عبد الناصر بقوله - (رفضنا الدعوة إلى الأحلاف لأن أى تحالف مع الدول الكبرى يعنى السيطرة ، وطلبنا من الدول العربية التضامن تحت لواء الدفاع المشترك لأن هذه الأحلاف هى أحلاف الذئب والحمل ولا بد أن يأكل الذئب الحمل فمصر تعترف بحق الدفاع الجماعى التابع من ذات الأقليم دون إشراك الدول الكبرى ، وهذا لأن الدول الكبرى إذا اشتركت فى أى ميثاق فإنها تكون صاحبة الأمر الأول فيه ، أما بقية الدول فلن تكون إلا منفذة لسياسة تملى عليها من هذه الدول وبذلك تضيع شخصية الأول الصغرى فى شخصية الدول الكبرى وهو ما يمنع من التعاون السليم بين مع الدول الكبرى فى مثل هذه المنظمات أو الأحلاف .

٢ - إن هذه الأحلاف تجسّد لمناطق النفوذ التى لا ترتضيها مصر لنفسها أو لغيرها من الدول العربية فإننى - والقول لعبد الناصر (لا أقوم المصالح البريطانية أو الأجنبية وإنما أحارب السيطرة وما يسمونه منطقة النفوذ فلن نقبل أن تكون منطقة نفوذ لأحد إننا نوجه كل اهتمامنا إلى البلاد العربية ونعارض إنضمام أية دولة عربية إلى أية منظمة دفاعية لا تنبثق من داخل الدول العربية وفى موضع آخر يؤكد الرئيس عبد الناصر أن سياستنا هى الوحدة ضد الأحلاف وضد السيطرة الأجنبية وضد مناطق النفوذ .. حرية كاملة لا يملأ فراغ فى بلادنا إلا أبناء وطننا .

٣ - إن عقد معاهدات دفاع بين الدول الصغرى والدول الكبرى لاتحاد مصالح الدول الصغرى بل يتعارض معها كلية فنحن إذا تحدثنا عن الدافع والمعدات تفرق بين عقد معاهدة دفاع مع دول كبرى وبين إنبثاق هذا الدفاع من المنطقة نفسها ذلك لأنه إذا انبثق الدفاع من المنطقة نفسها فهو يخدم عندئذ مصالح جميع دول المنطقة دون فرض أى سيطرة من الخارج .

٤ - إن هذه المعاهدات وتلك الأحلاف هى نوع من أنواع العدوان الذى يؤدى بدوره

إلى الإحتلال والسيطرة الأجنبية وذلك على عكس بعض الآراء التى تقول إننا كدول عربية وكدول صغرى لن نستطيع مطلقاً أن نعيش فى أمان ولن نستطيع أن نتخلص من السيطرة الأجنبية لأننا لابد أن نقع تحت سيطرة أجنبية أخرى ولا بد لنا من دولة كبرى تعتمد عليها لكي نثبنا كان الذين يعقدون الأحلاف والمعاهدات يشرون بهذه الفكرة وقالوا: المتناسون أن هذا الحلف وهذه المعاهدة ليست إلا نوعاً من أنواع العدوان لأن المعاهدة أو الحلف الذى ينتج عنه إحتلال وسيطرة أجنبية لا يمكن بأى حال من الأحوال التى يحمى الوطن .

رابعاً : رؤية الأصوليين الإسلاميين للبيئة الدولية وعلاقة عبد الناصر بالأحلاف الغربية :

إننا هنا فنقوم - مثلما فعلنا فى الفصول السابقة بإيراد وجهة نظر الحركة الإسلامية الراديكالية فى كل ما يتصل بعبد الناصر - إيماناً منا بأهمية ذلك وديمقراطية ذلك أيضاً ترى ماذا تقول هذه الرؤية ؟

لا خلاف الباحثين حول صحة الغرض القائلة بأن التحويلات الاجتماعية فيما يسعى بالعالم الثالث تتأثر بالظروف والتوازنات الدولية - إنما فقط فى مقدار هذا التأثير .

إن قراءة الصفحات القادمة للإسلاميين الراديكيين ستوصلنا إلى إستنتاج مؤداة تحولات السياسة الدولية قد توافقت تماماً مع ما إفترضه الدراسات الإمبريالية بشأن التحولات الاجتماعية الداخلية بعد الثروات وحتى تحولها إلى نظام سياسى .

١ - إن دور أمريكا العالمى بعد ١٩٤٥م لم يكن عائقاً أمام إنقلاب ١٩٥٢م (بشرط أن يكون هذا الإنقلاب فى إطار محدد) .

يقول أسامة حميد عندما وضعت الحرب العالمية أوزارها (١٩٤٥م) كانت الإتجاهات الإشتراكية قد أسفرت عن نفسها فى أماكن كثيرة فى العالم خاصة فى بلاد أسيا الفقيرة - وفى نفس الوقت أنهى الروس عزلتهم التى فرضوها على أنفسهم بعد الثورة الشيوعية - وتوافق هذا أيضاً مع تضعضع البنيان الإقتصادى للدولتين الإستعماريتين فرنسا وبريطانيا اللتين تعرضتا للتخريب على يد الألمان .

فى هذا الجو دارت الحرب الأهلية بين الشيوعيين والوطنيين فى الصين (حتى إنتصر

الشيوعيين سنة ١٩٤٩م) كما بدأت المجازر فى دول أوروبا الشرقية ضد معارضى الاتجاهات الشيوعية التى تسلطت على الحكم وابتعثت الحركة الشيوعية أيضا فى كوريا والهند الصينية .

وبالنسبة للشرق الأوسط - كانت الحرب الأهلية اليونانية (١٩٤٧م) حاسية فى آثارها على المنطقة - فمن أجل اليونان صدر مبدأ ترومان - الشيوعيين فى البداية وتهديدهم لآثينا نفسها وعدم قدرة بريطانيا على حماية مصالح الغرب فى وقت بدأت نذر الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا كل ذلك إضطر بريطانيا إلى إتخاذ خطواتها المشهورة باسم التناول الإستراتيجى - حيث طلبت من أمريكا أن تتولى مصالح الغرب .

لقد كانت مصالح أمريكا (متواضعة) حتى ذلك التاريخ والقول لأنسامة حميد وإقتصرت على النفوذ الثقافى (جماعات فى القاهرة وإسطنبول) وذهب النفط السعودى ولذلك كانت خبرة أمريكا بالشرق الأوسط محدودة (بخلاف بريطانيا) ذات التراث الإستعمارى العقيد وبدأت العمليات الإستطلاعية لرجال المخابرات الأمريكية فى المنطقة توصلوا بعدها إلى أن المصالح الغربية تواجه مأزقاً ليس من السهولة حله :

فمن جهة - كان سقوط النظام البرالى فى مصر بالذات مساءل وقت ولم يكن ممكناً إحداث توقيعات فيه (وكانت أمريكا أيضا تريد التخلص منه لأنه - وهذا هو الأهم - لن يستطيع إستمرار فى الهدنة مع اليهود من فرط ضعفه) .

ومن جهة أخرى كان الإخوان يشكلون تهديداً للمصالح الغربية وكان سفير دالاس أحد السفراء الثلاثة الذين إجتمعوا فى فايد (١٩٤٨م) وطلبوا من حكومة النقراشى حل جماعة الإخوان .

كما أنه لم يكن متصوراً أن تسمح أمريكا بقيام نظام إشتراكى فى جو الحرب الباردة السائد وقتها (لأن هذا النظام سينحاز لروسيا - ولم يكن من مخرج سوى إيجاد نظام يحاول حل قضيتى العدالة والتحرر الوطنى (فى الحدود التى لا تضر بمصالح الغرب) وهكذا يمكن تصفية الثورة الحقيقية - وأما مصير هذا النظام نفسه - فسيحدد طبقاً للأحداث .

ولم تكن هناك من فئة منظمة قادرة على أحداث التغيير المطلوب والتهادن مع اليهود

سوى الجيش - فقد كانت جميع الأحزاب والتنظيمات الأخرى إما مرفوضة جماهيرياً (الأحزاب البرالية). أو مرفوضة أمريكياً (الإخوان - الحزب الاشتراكي) وبدأت أمريكا فى تنفيذ فكرتها الجديدة لحفظ المصالح الغربية فى عالم سريع التطور فكانت إتصالاتها التى طمأنت فيها بعض الضباط الوطنيين المتحمسين والطامحين فى نفس الوقت بانها لن تعترض على أفكارهم فى إسقاط النظام والإصلاح الداخلى وهكذا بدأت سلسلة الانقلابات فى المنطقة بدأت بإتقلاب حسنى الزعيم (١٩٤٩ م) فى سوريا - وفى نفس الوقت كانت أمريكا تركز جهودها على مصر وبعد أن تأكدت من خطر المراهنة على فاروق - وبسبب تنبؤات وزارة الخارجية الأمريكية بإمكانية أن يقود الإخوان ثورة شعبية بعد معارك القناة وحريق القاهرة - فقد جاء كيم روزفلت إلى مصر فى مطلع ١٩٥٢ م وساهم فى إشعال ثورة يوليو .

٢ - البيئة الدولية (١٩٥٥ م - ١٩٦٥ م) جعلت حركات التحرر الوطنى ممكنه

يقول الإسلاميون الراديكاليون هنا ما يلى :

بينما كان الصراخ يعلو بشأن حلف بغداد - كانت الأحلاف قد فقدت قيمتها فعلا إختراع الصواريخ البعيدة المدى .

ذلك الأهمية النسبية للنفط العربى بسبب إتمام أوروبا لمرحلة إعادة التعمير كما وثقت أوروبا بإستمرار تدفق النفط وتلاشى خطر سيطرة الروس عليها .

لم يكن رأس مال الأمريكى بحاجة إلى فتح العالم الثالث أمامه - لأن أمريكا بعد أن شجعت إنشاء السوق الأوربية المشتركة (١٩٥٨ م) وجدت أمامها فجأة مجالات واسعة جداً للإستثمار فى أوروبا .

إذن كانت المحطة أن أمريكا لم تعتبر أن هناك خطورة عاجلة على المصالح الغربية فى الشرق الأوسط بل والعالم الثالث كله - وهكذا شهدت هذه الفترة نهرو - بن بيل - سوكارنو - نكروما، ولم يكن عبد الناصر بدعاً من هؤلاء .

ولكن أمريكا كانت تخشى على المدى البعيد أن يتغير النظام الاجتماعى بما يهدد أى مستقلى للتغلغل الإقتصادى الغربى - وهكذا فقد اعتبروا عبد الناصر منذ ١٩٦٣ م قد خرج من إطاره بتوسيع من دور القطاع العام وتوسيعه للجيش وبدئه برنامجاً ذرياً وبرنامجاً لصناعة الصواريخ .

لقد أخذت مضر من أمريكا في ذروة (المد الثورى) ٥٠٠ مليون دولار (بأسعار ذلك الوقت طبعا) في الفترة (٥٨ - ١٩٦٦م) على الأمل إلا يخرج عبد الناصر عن إطاره .
ومنذ ١٩٦٥م بدأت بوادر الانفراج بين الشرق والغرب وتساقط سوكارنو (١٩٦٥م) وتكروما (١٩٦٦م) وأيقن عبد الناصر أن دوره آت عما قريب .

٣ - الصراع الإنجليزى الأمريكى مكن عبد الناصر من الظهور كبطل عندما تنازل الإنجليز لأمريكا عن دورهم في الشرق الأوسط (١٩٤٧م) لم يكونوا يقصدون أن تستولى أمريكا على كل شيء - إنما كانوا يريدون تدخل أمريكا بما يضمن وقف أى توسع شيوعى محتمل - ولكن أمريكا كانت تهدف إلى طرد الإنجليز نهائيا (وقد ظهر الصراع بينهما واضحا في إنقلابات سوريا المتكررة فكان إنقلاب الحناوى إنجليزيا ردا على إنقلاب حسنى الزعيم الذى إعتبر إنقلابا أمريكيا) .

وفي ١٩٥٦م كانت أوروبا الغربية قد أعيد بناؤها داخليا وأراد الإنجليز والفرنسيون تحدى مركز أمريكا (مثلما تحدث الصين روسيا في نفس الوقت) ولكن انهزمت القوتان الاستعماريتان القديمتان أمام إصرار أمريكا على انسحابها من الشرق الأوسط وأصبح عبد الناصر بطلا رغم أن الهزيمة العسكرية كانت كفيلة بمحاكمات وإقلاق في أى نظام يحترم نفسه - ورغم أن أعضاء مجلس قيادة الثورة فكروا في الإنتحار وهى رواية أصبحت متواترة .

إن السبب الجوهرى في هزيمة بريطانيا ليس هو قيام أمريكا بما أسماه إيدن (خنق الإقتصاد الإنجليزى) ولكن السبب هو بلوغ كل من بريطانيا وفرنسا من الشيخوخة كإمبراطوريات - ومن ثم فإن تحديهما لحركة التاريخ كان لا بد أن ينتهى بالهزيمة .

٤ - إن التوجيه العقائدى القومى والإشتراكى كان يخدم مصالح الغرب لقد أثبتت خبرة حرب فلسطين (١٩٤٨م) إن خطة عزل الشعب عن الإسلام ليست كافية لإخماد الروح فيه - وهكذا طورت القوى الشيطانية أفكارا جديدة تتضمن ضرورة تغيير عقيدة الشعب وتخريبه نهائيا - ولكن هذه الخطة رغم وجاهتها من الناحية النظرية فإنها مستحيلة التطبيق عمليا لأن محاولة تحدى الإسلام - فضلا عن أنها ستسفل لا محالة - فإنها ستتطلب مقدارا هائلا من ممارسة القهر البوليسى والكبت الفكرى وهو إن كان كفيلا بتخريب الإنسان ومن ثم هزيمة ١٩٦٧م إلا أنه لا يضمن إزالة الإسلام .

لقد إعترف بعض الناصريين بهذه الحقيقة مؤخراً - ولكنهم إعترفوا على إستحياء إن إنساناً فقد ما زودته به الثروات الدينية الروحية في الماضي ولم تعوضه الثروة الإجتماعية الحديثة ما فقد - بلغت ثورتنا بالتوجه إلى ناحية واحدة من نواحي الإنسان وأهملت غيرها إهمالاً كلياً فلم تدعم ثورة الإقتصاد بثورة الفكر والثقافة وكان مقدراً للثورة العربية لو خاطبت روح الفرد مخاطبة عميقة أصيلة أن تنفحه قدرة على الفداء جديدة تضاف إلى ما يلهمه به تراثه .

٥ - الجغرافيا السياسية لمصر تضى على النظام الحاكم وزناً كبيراً من المعروف تاريخياً أن جميع التجارب العلمانية قد بدأت في مصر ثم صدرت إلى المنطقة وكانت الأفكار القومية والإشتراكية شيئاً خيفاً بالنسبة إلى الأنظمة المفلسة المحيطة بمصر واعتقدت هذه الأنظمة أن النظام المصري قادر على إختراقها - ولما كانت هذه الأنظمة مرتبطة بالغرب فقد ولد عداء لعبد الناصر انطباعاً زائفاً بأن عبد الناصر عاد للغرب ان إستقرار وزيادة شرعية أى نظام حاكم في المنطقة لابد بالضرورة من أن يمر عبر العداء للغرب .

٦ - الإنفراج في العلاقات الدولية جعل نظام بوليو يعرف إمكانياته الحقيقية إذا أراد التصدى للغرب : يؤكد الإسلاميون الراديكاليين هنا ما يلي :

قلنا أن عبد الناصر أحسن منذ ١٩٦٥م أن الدور سيأتي عليه ولقد أورد في تصريحاته وخطبه كلاماً بهذا المعنى - وبالفعل لم يتأخر دوره وكانت حرب ١٩٦٧م - وإذا تأكد لعبد الناصر أن أساليبه السابقة في إستغلال التناقضات الدولية لإظهار نفسه بمظهر البطل الخارق للعادة - لم تعد ممكنة الآن - فقد قبل بقرار ٢٤٢ الذي نص على (إنسحاب إسرائيل من أرض احتلتها) و(إحترام السيادة والحدود الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة وحققها في أن تعيش بسلام في نطاق حدود آمنة ومعترف بها محمية من التهديد وعاد أيضاً وقبل مبادرة روجرز التي نصت على (الإقرار من جانب الأطراف^(١) بسيادة وسلامة الأراضي والاستقلال السياسي - وعندما جاء السادات إستكمل مسيرة سلفه في التفاوض - ولكن إزاء تغت إسرائيل والإصرار الشعبي المصري على الحرب فقد اضطر السادات لخوض

(١) الأطراف هي مصر وإسرائيل والأردن .

حرب ١٩٧٣م التي أعلن فيما بعد رسمياً أن هدفها كان العبور واتخاذ أوضاع دفاعية مسافة ١٠ - ١٢ كم^(١) شرق القناة يتم خلالها تحريك الموقف الدولي .

٧ - التوافق بين تصاعد عائدات النفط العربى والتحولات الإجتماعية الجديدة فى مصر : يؤكد الإسلاميون الرادليكيون ممثلين هنا فى رواية أسامة حميد أن القادة الفكرة لحركة الجهاد الإسلامى فى مصر ما يلى أنه كان على نظام يوليو أن بنفس الشيء من الكبت الذى فرضه عبد الناصر فكان بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨م الذى دعا إلى المجتمع المفتوح أو اعترف بفقدان النظام - للسيطرة العقائدية ولكن البيان لم ينفذ بحجة أنه (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة) ولذلك عندما جاء السادات وسط ظروف بائسة فقد سعى لإقامة شرعية خاصة به بأن هدم النموذج الناصرى القمعى مما أدى إلى رد فعل جماهيرى جارف تبنى فى تأييد السادات فى خطواته لتصفية خصومة (مايو ١٩٧١م) وشيئاً فشيئاً ثم التخلّى عن كل الضوابط القديمة وأصبح ممكناً أن يعمل النفط عمله جنباً إلى جنب مع التخطيط الأمريكى لتخريب المجتمع المصرى^(٢) .

تلك هى رؤية الإسلاميين الرادكيين لعبد الناصر وعلاقته بالغرب و نجاحه الولايات المتحدة الأمريكية وهى رؤية رغم حدثها وعدم علميتها فى بعض جوانبها ، إلا أن لها وجهتها - مثل كل الرؤى السابقة التى قدمها أسامة بشأن القضايا الكبرى لثورة يوليو وهى لذلك تستحق منه التأمل ودقة النظر .

خامساً : قضايا التجسس لصالح الغرب : قضية مصطفى أمين نموذجاً :

* لأن العلاقة كانت حذرة وقلقة بين عبد الناصر والغرب رغم ما يذهب إليه الأصوليون الإسلاميون ، من (عمالة عبد الناصر للغرب) ، نقول وعلى خلاف ذلك ، كانت العلاقة قلقة ، ومملوءة بالشكوك تجاه نوايا وأهداف عبد الناصر ، ولأنها كذلك - أى العلاقة

(١) من المعروف أن هذه المسافة هى أقل مسافة ممكنة لإقامة رؤوس جسور - وقد كشف النقاب بعد ذلك أن الانهيار السريع بم يقابله تقدم على الجانب المصرى بسبب عدم وجود خطط للتقدم أصلاً - وقد أعرب ديان فى مذكراته عن دهشته من عدم استغلال المصريين للفرصة .

(٢) يقول أسامة حميد : كان لابد من ذلك قبل الدخول فى معركة ٧٣ لأن الإنسان الذى يعيش فى كبت لم يكن لينتصر أبداً .

مع الغرب - لذا كان التجسس وقضاياه المتنوعة التي حاول من خلالها الغرب إختراق مصر وكانت العديد من القضايا والعملاء الذين كشفهم جهاز المخابرات العامة (بقيادة صلاح نصر) وذلك قبل إنحرافاته الأخلاقية والسياسية المعروفة والتي أودت بصلاح نصر إلى السجن فيما بعد .. ورغم ذلك كان هذا الجهاز (وربما لا يزال) يمنع الإختراق الغربى لمصر (ويحاول هو أن يخترق الغرب لصالح مصر) .

* وكانت قضية (مصطفى أمين) واحدة من تلك القضايا التي كشفها جهاز المخابرات العامة .. وفى هذا المحور سوف نقدم لمحة من هذا الجهاز ، وعن قضية مصطفى أمين كنموذج لقضايا التجسس مع الغرب التي كشفها جهاز المخابرات العامة .

مدخل إلى نشأة جهاز المخابرات العامة :

بداية يقول السياق التاريخى والسياسى الذى ولد فيه (جهاز المخابرات العامة) فى مصر إبان عهد عبد الناصر.والذى كان يقع على عاتقه ضبط كافة قضايا التجسس لصالح الغرب ومنها قضية مصطفى أمين ، يقول السياق أنه فى النصف الأول من الستينات كانت مصر قد أمتت شركة (قناة السويس) - من أعوام أربعة مضت ١٩٤٦م - وبدأت عملية الوحدة مع سوريا (١٩٥٨م) ، وقامت بتمصير وتأميم الشركات والبنوك الأجنبية فى مصر ، وبدأت الخطة الخمسية الأولى ، والتي زادت فى نهايتها (١٩٦٥م) معدلات التنمية ولأول مرة فى مصر ، وفقاً لما يؤكدّه الناصريون المتحمسون عن زيادة السكان ، وتدل الإحصاءات الرسمية على أنه بين سنة ١٩٥٤م/١٩٥٥م و ١٩٦٤م/١٩٦٥م زاد الإنتاج المحلى من بليون جنيه إلى ١,٩ بليون ومخصصات الإستثمار السنوية من ١٧٠ مليون جنيه إلى ٣٦٤ مليون جنيه ، وفى نفس الفترة زاد مجموع الإستهلاك الخاص من ٧٥٣ مليوناً إلى ١٣٣٠ مليون جنيه ، والإستهلاك العام من ١٤٠ مليوناً إلى ٤٣٠ مليون جنيه ، أى بنسبة ١,٧٪ سنوياً للإستهلاك الخاص و ٨,٨٪ سنوياً للإستهلاك العام لكل سنة .

وأدى هذا التوسع الكبير إلى زيادة العمالة من ٦ ملايين فى عام ١٩٥٩/١٩٦٠م إلى ٧,٣ مليون فى عام ١٩٦٤م/١٩٦٥م بزيادة ٢٢٪ أى بزيادة قدرها ١٣٠٠٠,٠٠٠ ألف عن الرقم المستهدف فى الخطة .

كان أحد أهداف الخطة الأولى مضاعفة إنتاج قطاع الصناعة والتعدين والكهرباء ليرفع نصيبه في الناتج المحلي الإجمالي إلى ٣٠٪ وتحققت فعلاً زيادة الإنتاج بنسبة ٩٪ سنوياً ، أى ضعف ما تحقق في الفترة (١٩٤٥م - ١٩٥٢م) لتصبح نسبته إلى الناتج المحلي ٢٣٪ أى دون الزيادة المخططة ، واستهدفت الخطة أيضاً زيادة الإنتاج الزراعى ٢٦٪ إلا أن المحقق فعلاً لم يتجاوز ١٨٪ وزاد إنتاج الطعام خلال فترة الخطة الأولى بنسبة تفوق زيادة السكان .

وعلى المستوى السياسى كان دستور ١٩٦٣م قد صدر وأجريت الانتخابات لمجلس الأمة وكان أول مجلس أمة بعد الميثاق ، نصفه من العمال والفلاحين وعقد أول إجتماعاته يوم ٢٥ مارس ١٩٦٤م . وفى هذا الاجتماع قام عبد الناصر بتوصيف المرحلة سياسياً وأسمائها بمرحلة « التحول العظيم » فقام بوضع مبادئ الثورة الستة أمام أعضاء المجلس وقدم عنها تقريراً شاملاً ، ماذا نفذ منها وماذا تأخر تنفيذه ، ولماذا ؟ ثم قام عبد الناصر بتحديد ثلاثة أعداء للثورة هم : الإستعمار وإسرائيل والصهيونية العالمية والرجعية العربية ، ثم حدد أهدافاً ثلاثة للمرحلة الجديدة هى : التنمية المتواصلة لمضاعفة الدخل ، وتأكيد القيم الثورية وتحقيق الوحدة العربية .

واستكمالاً لتوصيف هذه المرحلة حدد عبد الناصر المشاكل التى تواجه مضر وتحتاج إلى مواجهة وهى مشكلة الزراعة ، وتطور الصناعة الثقيلة ، مشكلة ثلاثة ملايين من العمال الزراعيين العاطلين ، ومشكلة الإدارة الحكومية ومشكلة ضبط الأسعار ومشكلة تنظيم الأسرة ، ثم التعود على النقد والنقد الذاتى الشجاع .

أعوام الستينات ، إذن كما أسماها عبد الناصر كان أعوام التحول نحو البناء الشامل فى الداخل ، وكان الوطن العربى يطغى بالإنقسامات والثورات التى كان على قمته ثورة اليمن وثورة الجزائر ، ويشهد مواجهة إستعمارية جديدة مع قوى التحرر الوطنى بالعالم الثالث يومئذ ، حيث أمكن تنحية السيدة باندرانيكة وحزبها عن الحكم فى سيلان وإنشغلت الهند عن جهود التنمية فى حرب شاملة مع باكستان ، وبدأت الغارات على فيتنام الشمالية فى أغسطس عام ١٩٦٤م ثم الغزو الأمريكى البلجيكى للكونغو فى أكتوبر ١٩٦٤م ، وكانت حركة التحرر الأفريقية يومئذ تواجه إستكمال تصفية الإستعمار وواجهت تنزانيا مؤامرة لقلب نظام الحكم كرد فعل لموقف نيريرى من ثورة الكونغو واستطاعت أن تتغلب

عليها بل وتتخذ قرارات تأميم واسعة .

كانت مصر في تلك الأيام تبدو وكأنها عملاق يصحو بعد طول سبات - وفقاً لما يؤكدّه الناصريون المتحمسون - وكان التغيير يتم بسرعة وفي كل إتجاه وفي كل مكان أيضاً . وكان أمراً طبيعياً أن يؤثر هذا التغيير الذي شمل كل أنحاء الدولة ، في جهاز المخابرات العامة المصرية الوليدة^(١) .

وإذا كان هذا الجهاز قد ولد في الأيام الأولى للثورة ، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن الفكرة فكرة إنشاء جهاز المخابرات العامة - كانت واضحة في الأذهان وضوحاً كافياً ومن هنا يصبح أمراً طبيعياً أن تتغير القيادات العليا فيه مرة بعد مرة .. وكان طبيعياً أيضاً ، أن يكون البحث عن أسلوب لإدارة هذا الجهاز ، وتبين إحتياجاته في نفس الوقت ، هو الهدف الأساسي لكل قيادة .. ولذلك فإننا نستطيع أن نعتبر قرار تعيين الصاغ - رائد - صلاح نصر ، وهو واحد من أهم الضباط الأحرار قبل الثورة وبعدها ، كنائب لرئيس الجهاز قبل العدوان الثلاثي مباشرة ، ثم رئيساً له بعد ذلك .. كان إيذاناً ببدء مرحلة جديدة وحاسمة في حياة هذا الجهاز .

ولترك صلاح نصر بنفسه يحكى كيف عين نائباً لرئيس المخابرات ثم رئيساً لها :

(في صباح الثالث والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦م ، استدعاني عبد الناصر لمقابلته في قصر الطاهرة بمنطقة سراي القبة بالقاهرة ، حيث كان يقيم وأسرته مؤقتاً ، ريثما تتم بعض الإصلاحات والإنشاءات في منزله بمنشية البكرى وكنت أعمل في ذلك الوقت مديراً لمكتب القائد العام للقوات المسلحة) . ويواصل صلاح نصر روايته قائلاً :

كان عبد الناصر ينظر إلى الأشياء بنظرة تفاؤل أو تشاؤم .. فمثلاً كان يتفائل بالإقامة في منزله بمنشية البكرى الذي شعله مع بداية الثورة ، وكان فيما مضى سكناً خاصاً متواضعاً لناظر المدرسة الثانوية العسكرية التي الغيت بعد الثورة ، وقد أدخل عبد الناصر عليه فيما بعد بعض الإنشاءات والتوسعات كي يفي بإحتياجات منصب رئيس الجمهورية .. وكان عبد الناصر يكره سكنى القصور ويتشائم منها ويذكر أن فاروق عزل من قصر رأس التين ،

(١) ورد تحليل أدبي لنشأة جهاز المخابرات العامة في مصر في أكثر من عمل أدبي لعل أهمها قدمه صالح مرسى في روايته (رأفت الهجان) ط ٢ ، ١٩٨٨ ، دار نشر أبوللو - القاهرة .

كما كان يتفائل بمبنى قيادة القوات المسلحة في كوبرى القبة الذى بزغت منه الثورة ، فلما إنتقلت القيادة العامة للقوات المسلحة إلى مبنى القيادة المشتركة في أُلماظة ، تشاءم من هذا النقل . وعبر عن ذلك بقوله : « أنا متشائم من يوم إن نقلت القيادة إلى مبنى القيادة المشتركة » .

كنت أظن في بادئ الأمر أن عبد الناصر قد دعانى لمناقشتى في أمور القوات المسلحة ، وحالة الأمن بها حيث كنت مسئولاً عن أمن القوات المسلحة .

وقد بدأ حديثه بسؤالى عن شتى الأمور التى تتعلق بهذا الموضوع ، ثم تدرج حديثه إلى ما تتعرض إليه البلاد من تآمر فى الداخل والخارج وقد أسهب فى الحديث لما يقرب من الساعة .. وفجأة وبلا مقدمات قال لى :

« أنا عاوزك تروح المخابرات العامة »

كان هذا العرض مفاجأة لى ، ولم أكن تواقا لقبوله ..

قلت له : أروح أعمل إيه ؟

قال : تشتغل نائب مدير ..

كنت فى ذاك الوقت ضابطاً فى القوات المسلحة برتبة البكباشى وأبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً ، وكان منصب نائب مدير المخابرات ، بدرجة نائب وزير .. وكان الكثير من المسئولين يتوقون إلى هذا المنصب ، ومع ذلك فقد عزفت عنه ، واعتذرت لعبد الناصر عن عدم قبوله .

لم أكن أدري حقيقة رسالة المخابرات ، ولم تكن لى دراسة بعلم المخابرات ، ولا أعرف من أمورها شيئاً سوى بعض المعلومات عن المخابرات الإستراتيجية تلقيتها أثناء دراستى بكلية أركان حرب .. وكانت الفكرة السائدة فى مصر أن المخابرات تعنى التجسس على الناس .. كانت إسماء غير مستحب لدى الناس .. لقد تسلطت هذه الفكرة على عقول كثير من المصريين حتى عقول أولئك الذين يعملون فى مناصب كبرى بالحكومة .. الوزراء أنفسهم كانوا لا يعرفون ما هى المخابرات .

وكنت أحد المسئولين الذين تسلطت عليهم هذه الفكرة فى ذاك الوقت فنفرت منها .. ولكننى بعد أن عملت بها ، أدركت مهام المخابرات ، وأحببت العمل بها ، وتبين لى أن رسالتها من أشرف الرسائل ، بالرغم مما تعرضت له فى محتتها من تشهير العملاء والخونة .

كان على صبرى فى ذاك الوقت يعمل مديراً لمكتب عبد الناصر ، وقد عينه عبد الناصر فى منصب مدير المخابرات ليستفيد بدرجة الوزير المخصصة لمنصب مدير المخابرات وكان زكريا محيى الدين مشرفاً على المخابرات والمحرك الفعلى لها ، لانشغال على صبرى فى إدارة أعمال مكتب عبد الناصر .

وكان على أن أبرر سبب رفضى لعرض عبد الناصر فقلت له :

أولاً أنا شغوف بعمل كضابط بالقوات المسلحة ، وأريد أن أكمل المشوار فى هذا الطريق ، وثانياً لأننى لا أستطيع العمل فى جهاز يتنافس على إدارته رئاستان : مدير المخابرات والمشرى العام ، وأخيراً لأننى لم أنسجم فى العمل مع رئاسة المخابرات القائمة لإختلاف الطباع ، والانسجام فى العمل من أهم عوامل نجاح أى عمل .

ولكن عبد الناصر سد أمامى سبل التملص من هذا العرض .

قال لى : « إننى سأعين على صبرى وزيراً للدولة بعد عدة شهور ، وستولى أنت رئاسة الجهاز أما زكريا فقد يتفرغ لوزارة الداخلية ، وستصبح أنت رئيس الجهاز المسئول أمام رئيس الجمهورية شخصياً » .

ومع ذلك لم يبد على وجهى الارتياح ... وهنا قال لى عبد الناصر فى إصرار :

أعتبر هذا تكليف من الثورة لأجد رجال الثورة . وأسقط فى يدى .. ويبدو أن عبد الناصر كان قد أعد قرار تعيينى .. فنهض من مقعده بجوارى وتوجه إلى مكتبه وأحضر قرار التعيين من فوقه وقال لى : « سأوقع القرار » .. وفعلاً قام بتوقيع القرار .

وبذلك تركت عملى بالقوات المسلحة وتوجهت فى اليوم التالى وقد إرتديت ملابس المدنية إلى مبنى المخابرات العامة الذى كان مشيداً خلف مبنى مجلس الوزراء القائم أمام مجلس الشعب .

والواقع أن عيد الناصر بر بوعده ، ففى ١٢ من مايو سنة ١٩٥٧م أصدر قرار بتعيينى رئيساً للمخابرات .. وبدأت مرحلة جديدة فى حياتى السياسية^(١) .

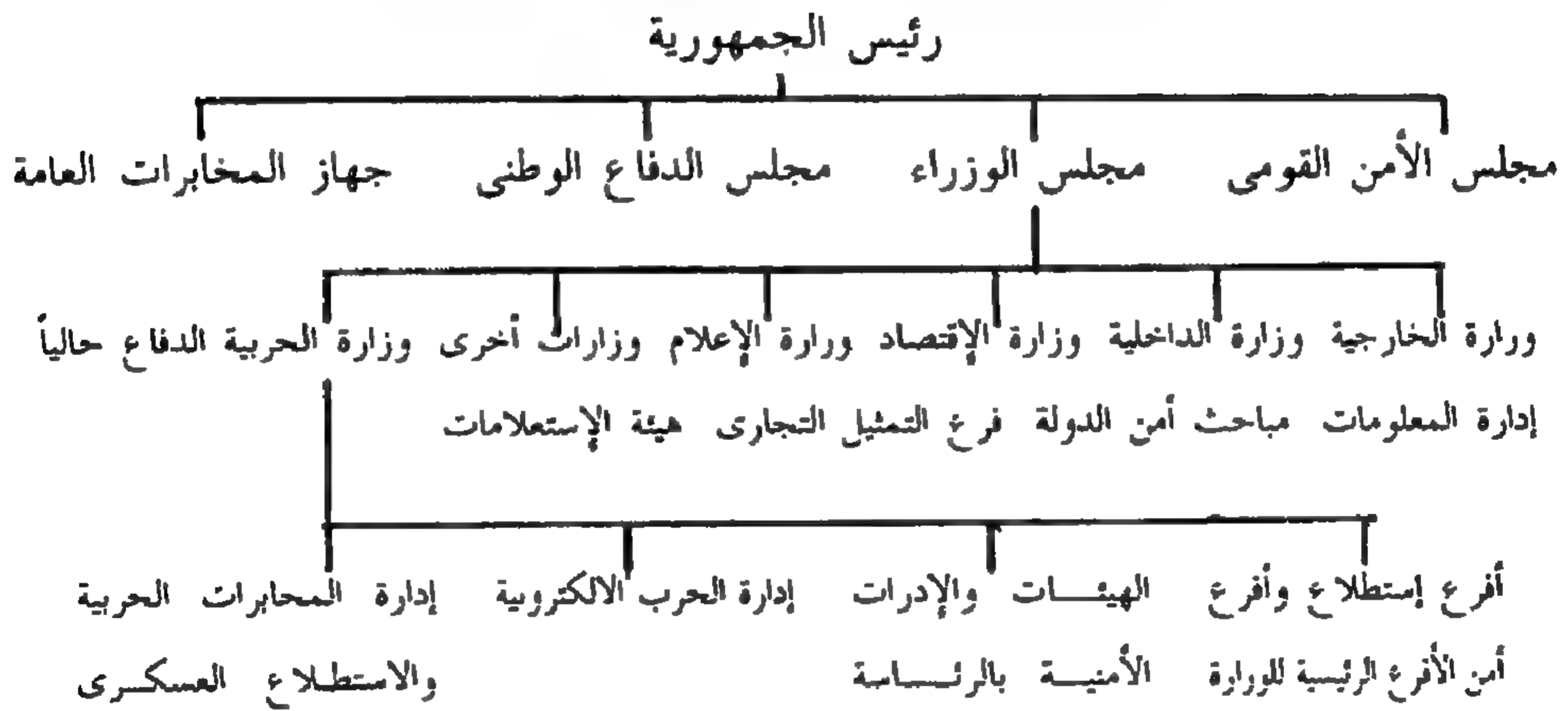
(١) المصدر : مذكرات صلاح نصر (الأصول) الجزء الأول ، مطبوعات مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر ، مايو ١٩٨٦ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

* تلك كانت البداية ...

وهي بداية إستمرت فصولها حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧م ، وبعدها اعتقل صلاح نصر ، وتم التحقيق معه خلال الشهور الأولى من عام ١٩٦٨م ، ثم حكم عليه بالسجن .. لانحرافات عامة ، إلا أن هذا لا ينفي قيامهم بالكشف عن العديد من قضايا التجسس الهامة التي حاول الغرب بها إختراق مصر والتي منها قضية تجسس .. مصطفى أمين .. فماذا عنها ؟

شكل (١)

(مجتمع المخابرات في عهد عبد الناصر)



قضية مصطفى أمين نموذجاً :

نقدم هذه الوقائع محددة بشأن القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥م أمن الدولة عليا والمتهم فيها الكاتب الصحفي المعروف مصطفى أمين بالتجسس لصالح المخابرات الأمريكية .
إننا سوف نورد هنا حقيقتين لا ثالث لهما وسنخرج منهما بنتيجة واحدة : الحقيقة الأولى هي أقوال مصطفى أمين في التحقيقات عام ١٩٦٥م - والحقيقة الثانية هي مذكرة المدعى العام الإشتراكي عام ١٩٧٤م المقدمة لرئيس الجمهورية بالعفو عن مصطفى أمين لبطلان الإجراءات والإعترافات .

أما النتيجة التي سيسوقها الآن وبعد الإستماع إلى هاتين الحقيقتين فهي أن مصطفى

أمين قد أجرى بالفعل هذه الإتصالات وقام بالفعل بهذا التجسس .

ولكن كان هذا جميعه بضوء أخضر من عبد الناصر وبمعرفة الشخصية إلا أن مصطفى أمين بالغ فى مساءلة التجسس والاتصال وحاول أن يدير العملية كلها لصالحه وأدى هذا التحرك عبد الناصر وأجهزته لقص أجنحة مصطفى أمين قبل أن يطير بها وبهم تلك هى النتيجة ... والآن إلى الحقائق ...

الحقيقة الأولى : أقوال مصطفى أمين فى التحقيقات

كان مصطفى أمين يتوقع حدوث انقلاب شيوعى فى مصر .. ومن أجل ذلك فإنه فى حديثه المسجل من مندوب المخابرات الأمريكية قد إتخذ عدداً من الإحتياطات .. أن يبلغ على أمين أن يكتب فى عاموده ما يشعر بالتفاؤل .. وأن يهرب أمواله للخارج ويناقش مع المخابرات الأمريكية المكان الذى يمكن أن يعيش فيه بحيث يستطيعون حمايته ، ولا تنقطع صلته بهم ، بل يظل يؤدى لهم خدماته وفى جلساته مع (بروس) أعطاه أيضا مزيدا من المعلومات العسكرية والاقتصادية والسياسية عن مصر ، والهند والجزائر وأفريقيا ، والصين ، ويوغوسلافيا ، وفيتنام .. وكلها معلومات ادعى أنه عرفها من الرئيس .

ويؤكد الناصريون بين المتشددون وكل ما ورد فى هذه المعلومات على لسان الرئيس كاذب - كالأحاديث السابقة - فلم يتصل به الرئيس ولم يعطه أية معلومات (عبد الله إمام - قضية تجسس مصطفى أمين - دار الموقف العربى) .

وفى هذا الجزء من تسجيلات يتعجب بروس مما يكتبه مصطفى كامل فيقول أنه يكتبه فى عشر دقائق ، وأنه سيترك مصر ، ولكن لن يترك التعاون مع المخابرات الأمريكية . وقد بدأ اللقاء بأن أعطى مصطفى أمين (لبروس الدويل رجل المخابرات والمستشار السياسى للسفارة الأمريكية واحداً من أهم الأسرار العسكرية وفقا لما سجل فى التحقيقات .

فتح المحضر يوم السبت ٢١/٨/١٩٦٥م الساعة الواحدة مساء بإدارة المخابرات العامة بالهيئة العامة السابقة ، حيث وصلنا إدارة المخابرات قبل إفتتاح هذا المحضر لمواصلة

التحقيق ، وقدم لنا السيد ممدوح محمد تفويضا لبقية شرائط التسجيل التي ندب للإستماع إليها وقد تبين من ذلك التفريغ ما يأتى :

الشريط السادس : وهو خاص بحديث جرى يوم الأربعاء ١٩٦٥/٦/٣ م بين الشخص المصرى - مصطفى أمين - الذى رمز إليه بحرف A والأمريكى (بروس أوديل) الذى رمز إليه بحرف E على ٢٩ صفحة ، وقد جاء فى بدء المقابلة على لسان سؤال عن المعلومات بشأن ما تم فى تحويل المبالغ (لعل) وقد ذكر أنه سبق أن تسلم عشرة وسيتسلم خمسة ، ثم ذكر أنه حدث فى إتصال تليفونى به يوم ٢٨ الساعة ١١ صباحاً وأخبره المتحدث أن إنفجاراً قد وقع فى مؤخرة المدمرة المصرية القاهرة ، وأضاف أن الإنفجار كان من داخل السفينة وقتل فيه كثير من الضباط والجنود وأن ٤٥ منهم جرحوا وحالتهم سيئة ، وأنه ألقى بالذخائر التى لم تنفجر فى البحر ، وذكر أن محدثه أبلغه أن هذه المدمرة من أحسن مدمرات الأسطول المصرى .

وقد ساءل أثناء الحديث عن مكان وجود تلك السفينة ، وما إذا كانت بالأسكندرية من عدمة ، فرد بالإيجاب مقررأ أنها سحبت إلى الإسكندرية ، وقد ورد على لسان أنه لو كان هذا الإنفجار قد حصل فى الإسكندرية لوصلت إليه المعلومات من مصادرها .. واستطرد E فى الحديث إلى أن اهتمام المسئولين كان ينحصر فى الخسائر المادية بصرف النظر عن الخسائر فى الأرواح ، وأقر أنه تحدث تليفونيا مرة أخرى يوم ٢٩ وذكر أن نائب رئيس الجمهورية السيد حسن إبراهيم على علاقة بسيدة متزوجة تدعى .. وقد طلقها من زوجها هذا الأسبوع واتصل بها وأخبرها أنه يريد الزواج منها ، وكان على الأخير أن يسأل نفسه عن أثر هذه الزيجة لو تمت وما إذا كان سيستطيع نائب رئيس الجمهورية أن يظهر بزواجه فى المجتمعات .

ثم تحدث E بعد ذلك عن تغيير سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه البلاد وذكر A أن الرئيس أخبره أنه من أغسطس الماضى حين غادر جون باردو سفير الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد شعر عند مقابله للسفير ، ومقابله الأخيرة للسيد على صبرى أن المعونة الأمريكية لمصر ستقطع وإن العلاقات السياسية فى عهد كنىدى كانت طيبة مع الولايات المتحدة بعكس العهد الحالى الذى تغيرت فيه العلاقة تغيراً كبيراً ، وقد استعملوا سياسة القوة

التي لم يقابلها أن تصد من جانب الإتحاد السوفيتي الذي بدا متخوفاً وستكون نحن الضحايا لهذا الموقف ثم ذكر أنه لم يحدث اتصال تليفوني يوم الأحد ٢٠ ، وقد حادثه يوم ٢١ تليفونيا ، وذكر أنه قابل السيد محجوب ، وقد تلقى تقريراً قبل هذه المقابلة من السيد محمود رياض يتضمن أن السيد محجوب قد أعرب له إستيائه تغلغل العناصر الشيوعية في الصحافة المصرية ، وتخوفه من أن تؤثر الآراء المنشورة في الصحف المصرية على الشعب السوداني ، وذكر الرئيس أنه ما بلغ السيد محجوب بأنه قلق كذلك من تغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية ، وإنه يعتقد أن المخطط الشيوعي هو الإستيلاء على الثورة السودانية ثم الثورة المصرية .

وشكا مما نشر بجريدة أخبار اليوم بالعدد الذي صادرتة حكومة السودان وقد مرت بشتاة إحتجاجاً لسفر المصرى بالسودان ... كما ذكر الرئيس أن السيد محجوب أبلغه بأن عدداً من الكونغوليين قد وصل إلى السودان ، وتحدث عن الفضائح التي يرتكبها بعض زعماء الكونغو الشوريين ، وذكر أن عدد الكونغوليين الذين وصلوا السودان يتراوح بين ٢٠٠ أو ٥٠٠ بأسلحتهم التي لم تستخدم .

وفي نهاية الحديث مع محجوب ذكر الرئيس أنه يرغب في التخلي تدريجياً عن مساعدة الكونغو ، وطلب محجوب أن يقوم بوضع خطة التخلي هذه على أن يتعهد السودان بتنفيذها ، وسيدعى مجلس الوزراء السودانى للإجتماع لبحث هذا الموضوع وطلب أن يكون الاتصال الرئيسى في هذا الشأن ، واقترح الأخير أن يزور مصر وفد من حزب الأمة فوعد محجوب بذلك كما وعد بأن رئيس هذا الحزب هو الذى سيحضر إلى مصر ، وقد ساءل عن سر الختم خليفة فذكر محجوب أنه سوف يعين سفيراً وسينحى عن رئاسة الوزراء ، وأنه متخوف من الشيوعيين .

وذكر المصرى كذلك أنه حصل حديث تليفوني في اليوم السابق مع الرئيس الذى أبلغه أنه تم إكتشاف خلايا سرية في وحدات المشاة بالجيش المصرى وأنه لا يعرف ميول هذه الخلايا بعد وقد سأل الأمريكى عما إذا كان المصرى تقابل مع صديقه الكولونيل فأجابه بالنفى ثم سأل عن مدى صحة الشائعة الخاصة بسفره . أى سفره إلى نيويورك إن الجميع يظنون ذلك وقد سئل فذكر أنه ذاهب إلى اليمن فتحدث عن أنه طلب منه أن يستفسر له عن مدى صحة هذه الشائعة واستطرد قائلاً إن الرئيس لو علم عن طريق حكومة الولايات

المتحدة ، الصحفيين ، والمسؤولين ، والمتقنين مستاعون من الإتجاه الشيوعى ، الظاهر فى الصحف المصرية والاتجاه العدائى ضد الولايات المتحدة الامريكية فسيكون ذلك مجدياً وإنتهى فى حديثه هذا بطلب نقل أكثر أو أقل من ذلك .

تلا ذلك الحديث فترة تناول الغداء تحدث بعدها A فى أنه مسافر إلى آئينا وأنه سيعود خلال الأسبوع التالى ، وسيصل به فور عودته ، وطلب منه ألا يذكر سوى اسمه الأول ، عند محادثته تليفونيا دون لقب ونبه أن يكون الإتصال بمنزله إذا إقتضى الأمر ذلك ، وأفاد بأنه سوف يحاط علماً بالمخاطرة .

ثم سأل عن وسيلة الإتصال بعلى ، وكيف يمكن تديرها خارج لندن إنه قد بحث الأمر مع على ، وأنه يكتفى أن يتقدم إليه بدعوة وتذكره ويبلغه بأنه قادم من طرف مصطفى ، وإقترح الاتصال التليفونى بعلى ولكن رفض فكرة الاتصال التليفونى وتحدث بعد ذلك بشأن الطلب الأخير توصيل أوراق هامة جداً فى حوزته للخارج واقترح أن يقوم سعيد فريجه بهذه المهمة غير أنه رفض هذا الإقتراح واتفق على بحث هذا الموضوع فى مقابلة ثانية ، وقد استفسر على الظروف المحيطة بوفاة كل من الدكتور الشحات وطه النمر ، وأحمد مندور وما إذا كان الأول انتحر وكان الأخير انتحر من ثلاثة أيام سابقة فأفاد بهذه المعلومات غير صحيحة وأن وفاتهم طبيعية فذكر أن هذه المعلومات وصلت عن طريق تقارير مقدمة إليهم وسأل عما إذا كان لدى معلومات بشأن مقابلة الرئيس للوفد اليمنى يوم ٣٠ ومقابلته للأمير عبد العزيز فأجاب بالنفى وذكر أثناء الحديث ان سبق أن فائدة منذ عودة أشهر بأن اللجنة أوصت بعدم إقامة مصانع على الأراضى الزراعية واستفسر عما إذا كان يذكر ذلك فأجابه بالإيجاب وأفاد بأن هذا الموضوع قديم وتحدث فيه منذ ٦ أشهر سابقة .

ثم سأل على المعلومات بشأن وجود السيد المشير عامر بالمستشفى فذكر أنه قد إجريت لسيادته عملية الزائدة الدودية . وأضاف أنه يعلم أن علاقته كانت سيئة بالرئيس وقد تعاركا ثم أحس السيد المشير بألم فى بطنه فصحبته إلى المستشفى وأضاف بأن لا يوجد من هو مبرر من الحال ثم تحدث على الوحدة العربية والشيوعية والإشتراكية وعلاقة الجمهورية العربية المتحدة بالإتحاد السوفيتى وإتجاهات الرئيس بالنسبة لهذه المواضيع .

وطلب أثناء الحديث أن يكون لديه معلومات مبكرة عن تصرفات سيقوم بها الجانب الأمريكى لتوصيلها للرئيس قبل حدوثها فيستتفع بأنه على بينة بيوطن الأمور ثم سأل

الأمريكي عما إذا كان الرئيس قد غلق على الأحداث على الهدنة بين الأردن وإسرائيل فذكر بأن سعيد بإنقاذ السيد الشقري وعلق على ذلك الفلسطينيين يرون أن الشقري أكثر قرباً للشيوعية ... ؟إنتهى التقرير بعد ذلك بمكالمة تليفونية بينهما .

واضح أن مشكلة مصطفى أمين الشخصية هي الشيوعيون وهي المشكلة التي كان يركز عليها في أحاديثه مع « بروس » وكانت هذه الأحاديث في منزله قبل القبض عليه ، وهو ينقل معلومات مختلفة ، وأسراراً عسكرية وينسبها إلى الرئيس ، ومما يلفت النظر أن بروس حذره من الإتصال به في منزله إلا للضرورة القصوى ، ويذكر فقط إسمه الأول ، ولا يذكر الأسم كاملاً .. ثم تواصل النيابة تفريغها للأشرطة .

الشريط السابع : وهو خاص بحديث جرى يوم الأربعاء ١٦/٦/١٩٦٥م بين الشخص المصري المرموز له بحرف (أى) والأمريكي المرموز له بحرف (إيه) وقد أفرغ على ٦٥ صفحة ، وقد بدأ بحديث من الأول جاء فيه « أن على » إتصل به تليفونيا في اليوم السابق وأخبره أن المال لم يصل إليه .. فذكر (إيه) أنه كان ينبغي أن يصل المبلغ يوم ٣ أو ٤ على الأكثر وذكر (أى) أن « على » قد إنتقل إلى فندق « ماى فير » بلندن وينوى أن يقيم فيه فترة من الوقت كما ذكر أنه أى (أى) ينوى السفر إلى الإسكندرية بضعة أيام حتى يوم السبت أو الأحد التالين وبعد ذلك ذكر (إيه) عبارة لنبداً يوم الأربعاء .

ثم إنتقل إلى الحديث عن « أرشى روزفلت » ذكر أنه صديقهم وأنه تقابل مع (أى) وعلى منذ سنة ١٩٤٤م فيما عرفت منه ، وأفاد أن هذا الشخص هو رجلهم في لندن ، وتحدثا بعد ذلك حول معرفة « على » به ، وانتهى الحديث بصدده إلى أن يكتب (أى) خطاباً « لعللى » ليتقدم إليه ، أرشى به فيتم التعارف بينهما ، وأثناء الحديث حول هذا الموضوع تحدث (أى) حديثاً تليفونياً فيه على سيده ، ثم أخبر (إيه) أن التسليم قد تم وأنه أبلغ تليفونياً أن برقية وصلت تفيد بأن الصحيفة وصلتته .

وقد حرر (أى) فيما يبدو خطاباً باللغة العربية « لعللى » يقدم فيه (أرشى) إلى ثم ترجمه فيما بعد هو ثابت في التسجيل شفاهة إلى (إيه) وقد جاء فيه أن حامل ذلك الخطاب سوف يقوم بدور رجل الإتصال ، وفي إمكان المرسل إليه أن يعتمد عليه كما اعتاد الإعتماد على ابن عمه في كل ما يريد .

واستطرد المرسل إلى أن مسألة خروج الصحفيين من الصحافة لا تزال كما هي ، ولم يطرأ بشأنها أى جديد ، ويحتمل إلا يجد فيها شيئاً قبل أواخر شهر سبتمبر ١٩٩٢م عندما يقوم (آر أى عبد الناصر) بتغيير بناء الاتحاد القومى ، وأن الرئيس سوف يذهب إلى الجزائر فى نهاية الشهر ثم إلى يوغوسلافيا ، وأن السيد السعدنى أخبر المرسل بأن المرسل إليها أصبح . حلاء هاماً جداً فى لندن ، وطلب منه أن يكتب فى العامود المخصص له ما يشعر بالتفاؤل . كما طلب منه أن يكتب عن مصر إذ لوحظ أن كثيراً ما يكتب عن إنجلترا مما يفيد أنه يعتقد أن الحالة سيئة فى مصر ، وأنهى خطابه بأن سكرتيرة قد اتصلت به وأبلغته بأنها تسلمت برقية تفيد أن الجريدة قد وصلته .

ثم ذكر (إيه) الأمريكى أنه قد قرأ المقالات الثلاثة الأخيرة التى كتبها (أى) المصرى وإنه مندهش لهذه الكتابة ، وأنه يتصور أنها تقتله ، وتأخذ منه وقتاً كثيراً ، فأفاد (أى) المصرى أنه لم يستغرق أكثر من عشر دقائق فى كتابتها ، ثم جاء على لسان (إيه) أنه ذهب إلى بيروت لزيادة أرملة صديق له هناك ، وبدأ (أى) بعد ذلك بأن ذكر أن (آر) الرئيس حادثه يوم ١٥ الساعة ٨ صباحاً ، وأخبره أنه متعب من مقابلة كل هؤلاء الزعماء ، ومحاولة إيجاد حلول للمشكلات القائمة بشأن النزاع بين باكستان والهند والنزاع بين الصين والاتحاد السوفيتى ، والنزاع بين ماليزيا وأندونيسيا وخاصة أن هناك معارك بين الأفريقيين وأنه يرى أنه إذا تم الاجتماع الأفرو آسيوى دون أن يسبقه تصفية لهذه المشكلات ، فمعنى ذلك أنه سيفشل كما يرى أن قوته تستند على التضامن.

وأضاف أن (آر) الرئيس ذكر كذلك أنه تلقى رسالة من الرئيس « تيتو » يقول فيها أن موقف الولايات المتحدة من الإتحاد السوفيتى سىء بسبب النزاع مع الصين الشعبية ، واقترح « تيتو » أن يحاول (آر) الرئيس إعطاء الإتحاد السوفيتى التأييد المعنوى بشأن فيتنام وحث الهند والجزائر وبعض الدول الأفريقية فى هذا الاتجاه ، وسوف يكون لذلك أثر طيب على زعماء الإتحاد السوفيتى محاولاً إقناع هؤلاء الزعماء بمنح الجمهورية العربية المتحدة مساعدات ضخمة نظير قيامها بهذا الدور الذى سوف يعضد موقف الإتحاد السوفيتى من الصين الشعبية .

واستطرد (أى) المصرى قائلاً : أنه ذكر لـ (آر) الرئيس أن « تيتو » يحاول الحصول على فائدة لنفسه ، ويحاول أن يبيع الجمهورية العربية المتحدة للإتحاد السوفيتى ، ذلك أنه

سوف يقول إن الفشل يعود . إليه .

وقد أجاب (آر) الرئيس على ذلك بأن دوره هو تدعيم قوة القاهرة ، بمعنى أنه لا يريد إعطاء القوة إلا لتيو ، ولا لآخر وقد تخلل الحديث بعد ذلك فترة تناول الطعام ، وتحدث (أى) المصرى قائلاً إنه حصل إتصال تليفونى آخر يوم الأحد ١٣ الساعة ٩ صباحاً ، وقد أخبره (آر) الرئيس بأنه جرت اتصالات مع الولايات المتحدة ، وأن هذا الموضوع يتسم بالسرية وأن نتائج هذه الإتصالات هامة إلا أنه لا يود أن يعلق عليها آمالاً كبيرة ويفكر فى إفاد (هيكل) إلى واشنطن . وقد يكون ذلك بناء على إقتراح السفير الأمريكى المعجب به . وسوف تحصل الجمهورية العربية المتحدة على ٣٩ مليون دولار كمساعدة وقد صحح أثناء هذا الحديث الرقم إلى ٣٧ .

حشد آخر من الأكاذيب فى كل الإتجاهات على لسان الرئيس ... فبركة متقنة لأحداث ، ومتاعب وأخبار يقول بعد ذلك فى التحقيق أنها لم تقع إطلاقاً وأنها من نسج خياله .. يستمر مصطفى أمين فى أكاذيبه وفقاً للتحقيقات أنه ذكر أن (آر) الرئيس لا يريد الاعتماد على المساعدة الأمريكية حتى لا تشعر الولايات المتحدة أننا فى حاجة ماسة لها ، لأنها إذا شعرت بهذا فسوف تكسرنا ، وقد أخبر هيكل السفير الأمريكى بأن الجمهورية العربية على استعداد لإعطاء امتياز القطن للولايات المتحدة ، وقد قام (إيه) بشرح الإجراءات التى تتم بين كل من مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ والكونجرس وأخيراً موافقة الرئيس الأمريكى بشأن حصة المعونة الأمريكية الخارجية .

وطلب (إيه) أن يوضح لـ (آر) أن ما سوف يدور فى مؤتمر الجزائر سيؤثر على العلاقات بين مصر والولايات المتحدة وأن (آر) الرئيس يخطئ فى فهم طبيعة الرئيس الأمريكى ، وهو من رجال تكساس الذين يتصفون بالعناد ، وذكر أثناء الحديث أن (آر) الرئيس متخوف من استخدام الولايات المتحدة لسياسة القوة فى فيتنام وسان دومنجو ، فرد (إيه) على ذلك بأن هذا يقتضى من (آر) الكف عن مهاجمة الولايات المتحدة .. وذكر أن مصر لم تكف عن هذه المهاجمة سواء منحت المعونة أم لا ..

وانتقل (أى) بعد ذلك للحديث عن إتصال مع (آر) يوم الجمعة ١١ حيث حادته من برج العرب ، وقد كان السيد المشير هناك لقضاء فترة نقاهة ، ذكر (آر) الرئيس . أنه يواجه مشكلتين ، الأولى فشل الإتحاد القومى والثانية تتعلق برئاسة الوزارة ، وذكر أنه

يفكر في أن يتولى السيد زكريا محيي الدين رئاسة الوزارة ، وقد تحدث (آر) فيما ذكر (أى) أنه تحدث مع خالد محيي الدين بشأن الشيوعيين في الصحافة فقال خالد محيي الدين إلى (آر) الرئيس أن مصطفى أمين يبالغ بطلب تعيينه سفير في إحدى الدول الأفريقية ، وأنه سيسافر إلى لندن لإجراء عملية لإبنته وسأل (آر) الرئيس بعد ذلك عن السيد البغدادي ، فأخبره بأنه يريد أن يكون ملكاً ، وذكر أنه رئيس منتخب وأن البغدادي قد وجه الدعوى إلى ٦٦ من كبار الضباط ، وأنه لو كان يود لما ذهب منهم أربعة ، وأن هؤلاء الضباط كانوا يمزحون في طريقهم إلى السيد البغدادي قائلين أنه سوف يكون مصيرهم مصير المماليك .

وورد على لسان (أى) بعد ذلك أن (آر) الرئيس لم يتصل به من يوم الثلاثاء الموافق ٦ حتى يوم ١١ فقد كان يقضى هذه الفترة إجازة في برج العرب . واستطرد إلى المساعدات التي تقدمها مصر للجزائر بمناسبة انعقاد المؤتمر الأفريقي ، وأنها أرسلت جميع الإحتياجات ، من سيارات ، وطهارة ، و مترجمين ومفروشات .

وقد سأل إيه عما إذا كان (آر) يتحدث عن اليمن ، فأجاب (ابي) أنه لم يذكر سوى أن النعمان يريد تقديم إستقالته ، لأنه طلب مساعدة مالية كبيرة ، وقد أخبره (آر) أن المال غير متوافر ، على فرض توافره فلا يمكن أن تمنح مثل هذه المساعدات لوزارة تضم ثمانية بعثيين . وذلك ورد على لسان (آر) في الحديث الذي جرى معه يوم ١١ .

واستطرد قائلاً أنه قد تذكر حديثاً جرى بشأن إتصالات هيكل مع الولايات المتحدة يوم ١٣ وأن (آر) أخبره بأن الخلافات مع الولايات المتحدة تدور حول إسرائيل والكونغو واليمن ، وأنه بالنسبة لإسرائيل فقد استخدم نفوذه ، ليرجع أمين الحافظ عن فكرته في حرب شاملة ضد إسرائيل ، وتحدث في مؤتمر فلسطين وقال إننا غير مستعدين لدخول الحرب مع إسرائيل ، وبالنسبة للكونغو فقد أوقفت الجمهورية العربية مساعداتها للشوار ، وبالنسبة لليمن فنحن مستعدون للإنسحاب ، ولكن الملك فيصل يريد نوعاً من الخضوع غير المشروط ، وتساءل عما تريده الولايات المتحدة بعد ذلك كله ، فقد نسي أيضاً فيما ذكر ما جرى من حديث بينه وبين (آر) الرئيس يوم الثلاثاء بشأن أزمة ورق الصحف ، لقد أخبره (آر) الرئيس أنه طلب من السيد خالد محيي الدين أن يقابل سفير الإتحاد السوفيتي ، ويخبره بحاجة البلاد الماسة لورق الصحف وأخبره أن مصطفى أمين إستطاع في يوم ماذا أن يحصل

على ما قيمته مليون دولار من ورق الصحف من الولايات المتحدة ، وأضاف أن الدكتور حاتم إتصل به صباحاً وأخبر بأن محمد جلال عيسى قد نشر مقالا ضد الشيوعية في مجلة الرسالة ، فأصدر الدكتور حاتم أمراً بعدم نشر مقالات له وعلق (أى) على ذلك بأنه مفيد وأن المقال يهاجم د . لويس عوض المحرر بجريدة الأهرام ، ويبدو أنه هو الذى شكك من هذا المقال .

وقد سأل (إيه) عما إذا كان (أى) يعتقد أن نتيجة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ، هي أن الاتحاد السوفيتى سيعطى معونة إضافية .. فأجاب (أى) بأن الاتحاد السوفيتى لا يملك ما يعطيه ، وسأل (إيه) عن سبب تغيير سفير الاتحاد السوفيتى فى مصر ، فأجاب (أى) بأن ذلك لم يكن مفاجأة لأن ذلك السفير معروف بصداقته « لخروشوف » وأن (آر) ذكر أنه مرتاح جداً لتغيير هذا السفير . وأنه يرى أن هذا لتغيير فى مصلحة الجمهورية العربية بسبب تمتع السفير الجديد بثقة الزعماء الجدد وأن الإتصالات ستتم بسرعة فى عهد السفير الجديد .

تلك هى أبرز وأهم أقوال مصطفى أمين فى التحقيقات معه وتلك هى الحقيقة الأولى فى قضيته المثيرة .. ماذا عن الحقيقة الثانية .

الحقيقة الثانية : مذكرة بطلب العفو عن السيد / مصطفى أمين يوسف المحكوم عليه فى القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥م أمن الدولة

أصدرت محكمة أمن الدولة العليا المشكلة برئاسة الفريق أول محمد قوادى الدجوى فى ١٠ فبراير ١٩٦٦م حكمها فى القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥م الذى قضى بمعاقبة السيد / مصطفى أمين يوسف بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وكانت نيابة أمن الدولة العليا قد وجهت إليه أربع تهمة أولها أنه تخابر مع أشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبية بقصد الأضرار بالمركز الحربى والسياسى والدبلوماسى والاقتصادى للدولة . والثانية أنه سلم لشخص يعمل لمصلحة دولة أجنبية معلومات خاصة بالدفاع ، عن البلاد ومعلومات حربية وسياسية ودبلوماسية واقتصادية والثالثة أنه قام بعمليات مقاصة بتحويل نقد أجنبى للخارج ودفع ٢٠ ألف جنيه بالنقد المصرى لأجنبى ليقبض

مقابلها بالخارج . والرابعة أنه اشترك بطريق الإتفاق ولمصلحة مع أجنبى غير مقيم بالجمهورية العربية المتحدة فى التعامل بالنقد الأجنبى .

وانتهت المحكمة فى حكمها إلى إعادة المتهم الثلاثة الأولى والثالثة والرابعة ، وبراءة من التهمة الثانية . وقضت بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة .

واستندت المحكمة فى حكمها بالإدانة - بصفة أساسية - على ثمان تسجيلات صوتية ، مسجلة على أحد عشر شريطا ، تتضمن بعض أحاديث جرت بينه وبين أحد الملتحقين بالسفارة الأمريكية .

كما استندت على إقرار مكتوب بخط يده حرر فى ستين صفحة وبعض إقرارات فى التحقيق .

وعندما مثل السيد / مصطفى أمين يوسف أمام المدعى العام الإشتراكى عند بحث حالته ضمن حالات الحراسة المحالة إلى المدعى العام الإشتراكى عند بحث حالته ضمن حالات الحراسة المحالة إلى المدعى العام طبقا للقانون رقم ٥٣ لسنة ١٩٧٢ ، تطرق البحث إلى أسباب فرض الحراسة عليه ، وعند مواجهته بالحكم الصادر ضده بالأشغال الشاقة المؤبدة دفع السيد / مصطفى أمين يوسف ببطلان الإجراءات ، وبطلان الإقرارات المنسوبة إليه لصدورها تحت تأثير إكراه بدنى ومعنوى .

وكان طبيعياً أن يتصدى المدعى العام الإشتراكى لبحث ما أثاره السيد / مصطفى أمين يوسف ، فتبين له من الإطلاع على ملف القضية أن التسجيلات الصوتية التى إستند عليها الحكم فى الإدانة قد قدمتها هيئة الأمن القومى - بإدارة المخابرات العامة - فى ظل مراكز القوى القديمة ، ولم تراعى فى شأنها ما يحتميه قانون الإجراءات الجنائية من ضرورة إستئذان القاضى الجزئى قبل إجراءها الأمر المؤدى إلى بطلان الدليل المستمد منها . هذا فضلا عن أنها - فيما احتوته من أحاديث - ليست كافية لتقويم الإدانة مستندة عليها فسياق الحديث قد جاء فى معظمها غير مترابطة ولا متكاملة وتضمن الكثير منها فراغات فى الأشرطة خللت من تسجيل أية أحاديث الأمر الذى يدعو إلى عدم إطمئنان إلى سلامتها ، وإلى الاعتقاد بأن يدها قد تكون قد عبثت بهما لتحكما دليلاً فى صالح المتهم .

وأما إقرار المتهم فقد قامت أدلة قاطعة تشير إلى أنه قد تم تحت تأثير إكراه يدوى

ومعنى لا طاقة للبشر باحتمالة ، الأمر الذى يهدر الدليل المستمد من هذا الاعتراف فقد إستقر الفقه ، وجرت أحكام المحكمة وذهبت محكمة النقض فى أحكامها إلى أنه عند حدوث الإكراه والتعذيب يتعين إطراح الأقاويل التى جاءت على ألسنة الشهود والمستعوجين الذين خضعوا لهذا التعذيب بأى وجه وأنه لا يصح التعويل على تلك الأقاويل ولو كانت صادقة مطابقة للواقع متى كانت وليدة تعذيب أو إكراه أيا كان قدره من الضالة (نقض ١٣ أكتوبر ١٩٦٩م مجموعة أحكام النقض - السنة العشرون - ص ١٠٥٦ رقم ٢٠٨) .

إزاء ذلك فإن الحكم الصادر من محكمة أمن الدولة العليا برئاسة الفريق أول محمد فؤاد الدجوى فى ١٠ فبراير ١٩٦٦م بمعاينة السيد مصطفى أمين يوسف بالأشغال الشاقة المؤبدة يكون قد بنى على باطل وتختم تصحيح الأوضاع الناتجة عنه .

وحيث أن المادة ١٢٧٩ من الدستور قد جعلت المدعى العام الإشتراكى مسئولا عن إتخاذ الإجراءات التى تكفل تأمين حقوق الشعب وسلامة المجتمع ، ونظامه السياسى ، والحفاظ على المكاسب الإشتراكية والتزام السلوك الإشتراكى .

وحيث أن محكمة أمن الدولة العليا التى أصدرت الحكم سالف البيان قد شكلت طبقاً للمادة الثانية من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤م .

وحيث أن هذه المادة قد نصت على أنه : ، لا يجوز الطعن بأى وجه من الوجوه فى الأحكام الصاغرة من هذه المحكمة ولا تكون هذه الأحكام نهائياً إلا بعد التصديق عليها من رئيس الجمهورية .

وحيث أن هذا الحكم قد تم التصديق عليه فى ١٦ أغسطس ١٩٦٦م وأصبح بالتالى نهائياً . فإن الطريق الوحيد لإنصاف المحكوم عليه هو إستصدار قرار جمهورى بالعفو عنه طبقاً للمادة من الدستور . لذلك فإن المدعى العام الإشتراكى يعرض الأمر على السيد / رئيس الجمهورية ليتفضل بالموافقة على مشروع القرار المرفق بالعفو عن العقوبة المحكوم بها على السيد / مصطفى أمين يوسف وكافة الآثار والعقوبات التكميلية والتبعية المترتبة على هذا الحكم .

القاهرة فى ١١ إبريل ١٩٧٤م

المدعى العام الإشتراكى
دكتور مصطفى أبو زيد فهمى

النتيجة :

نخرج من هاتين الحقيقتين بنتيجة أساسية سبق الإشارة إليها ، وهي أن مصطفى أمين كان يتجسس بأمر من عبد الناصر وكان يؤدي دوره بضوء أخضر من أجهزة المخابرات العامة .. إلا أنه كان قد بدأ يخرج من الخط العام ، فتم ضربه وبموافقة عبد الناصر ، وهنا يشير البعض أقوالاً معناها أن محمد حسنين هيكل ، كان وراء عملية الإيقاع باستاذ مصطفى أمين ، وأنه هو الذى أوحى لعبد الناصر بذلك ولقد حاول هيكل أن يبدأ نفسه عام ١٩٨٦م فأصدر كتاباً ضخماً أسماه (بين الصحافة والسياسة) خصصه لقضية مصطفى أمين ، ولكن القضية لا زالت تداعياتها ترى وهي تداعيات تؤكد مجتمعة أن الموقف من الغرب كان لدى عبد الناصر يشوبه الحذر والشك المتبادل رغم الإعجاب ومحاولة التبعية التي حاول الغرب أن يربط بها عبد الناصر منذ فجر يوم ٢٣ / يوليو / ١٩٥٢م بل وقبلها أثناء تشكيل تنظيم الضباط الأحرار ، ونشاطاته قبل الثورة .

إن علاقة عبد الناصر بالغرب ، شابها العديد من علامات الإستفهام .. جنباً إلى جنب مع علامات التعجب والتي حولها البعض منا - بفعل الإحباط المعاصر إلى علامات من الإعجاب ، والإنبهار الشديد بمواقف عبد الناصر تجاه الغرب .

وهي علامات (الإعجاب) لم يكتشف بعد في لغتنا العربية شكلاً للتعبير عنها . وذلك لأنها منطوقة أكثر منها مكتوبة ، وهي منطوقة أكثر في زمن الردة والتراجع ، وليس هناك أبدع من زماننا هذا نموذجاً لتلك الردة وذاك التراجع .

تسوار وشجر جمهورية مصر العربية
رقم ٧٢٦ لسنة ١٩٧٤
بالعنوان السيد / مصطفى أمين
الرجوع إلى رقم ١٠ لسنة ١٩٦٠
الرجوع إلى رقم ١٠ لسنة ١٩٦٠

رئيس الجمهورية

بعد أن طرأ على الدستور
في القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ بالمرار في القانون العنق في القانون المعدلة له
في القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ بأعداد قانون الاسراءات اثنائية بالتدليس المعدلة له
في القانون رقم ٣٦٦ لسنة ١٩٥٦ في شأن تنظيم المحرر
وفي المحكمة الدستورية في القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦٠

تسوار

السيد الاول - ومن من العنقوبة المذكورة على السيد / مصطفى أمين في القضية رقم
١٠ لسنة ١٩٦٠ في دولة طيبا ، وكذا كاتبة الاثار والمعلومات الحكومية
في القضية المذكورة على انحكم الصادر فيها

احاد لا تطبق - ينسب هذا القرار في العنقوبة الرسمية ويحل به " من تاريخ صدوره " ٥

صدر برئاسة الجمهورية في ٢٦ رجب الثاني سنة ١٣٩٤ (١٨ مارس سنة ١٩٧٤)
(امير السادات)

ميرة مرشدة الى

امين عام مطر الورد
(احمد صلاح الدين طه)

قرار السادات بالعفو عن مصطفى أمين

النيابة العامة

الموضوع :

مكتب النائب العام

الرجاء الرد ذكر هذا الرقم ١٥٧ / ٤ / ١٩٦٨

٦ / ٤ - ١٩٦٨

السيد رئيس مكتب التحقيق والادعاء بمعية إثارة

تحية طيبة / وبعد

الحقا لكتابنا رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٨ ح: ٢ بتسليم

تحقيق الإبلان المقدم من السجون / مصطفى أمين المحكم

ثانيه في القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥ أمن دولة عليا ورد

على كتيككم رقم ١٥٧ سري المؤرخ في ١٦ من ابريل ١٩٦٨

نفذ انه بعد مراجعة الحكم على ضوء ما قرره المحكم

عليه في ذلك التحقيق الاخير رايانا انه لا وجه لاعادة النظر

في هذا الحكم وسترسل الى سيادتكم صورة الحكم

الانتباه من نسخة .

وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام .

القاهرة في ١٧ / ٤ / ١٩٦٨ .

س . اساميل

النائب العام

محمد عبد الله

السيد رئيس مكتب التحقيق والادعاء بمعية إثارة

١٩٦٨ / ٤ / ١٧

١٨ / ٤ / ١٩٦٨

النائب العام في عهد عبد الناصر يرفض الإفراج عن مصطفى أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة

تشهد المخابرات العامة بان التحقيق في القضايا التي تم أو يتم نمطها
بواسطة المخابرات العامة يجري في مرحلة تامة وهناك فصل تام بين جميع
المتهمين أو الشهود ولا يسمح إطلاقاً بان يشاهد متهم أو شاهد في قضية مسا
شتم آخر أو شاهد في قضية أخرى يتم تحقيقها .

وان جميع من شملهم التحقيق في قضية مصطفى أغا لم يتم اعتقالهم أو
شاهدتهم السيد / مصطفى أمين أو من شملهم التحقيق في قضية اثناء تواجدهم
في جهاز المخابرات العامة .

أعطيت هذه الشهادة بناءً على طلب السيد / صلاح نصر لتقديرها السيد
مكتب المحامي العام بخصوص التحقيق الذي يجري فيما يدعيه السيد / مصطفى أمين
ومعن المتهمين في قضايا سابقة بوقوع تعذيب عليهم .

وكيل
المخابرات العامة

تحريراً في ١٩٧٥/١/٥

المخابرات العامة وقضية مصطفى أمين

الفصل التاسع
عبد الناصر والأخوة الأعداء
الصراع مع الشيوعيين والإخوان
١٩٦٥



عبد الناصر والأخوة الأعداء الصراع مع الشيوعيين والإخوان (١٩٦٥ م)

كانت العلاقة بين عبد الناصر والشيوعيين ، وعبد الناصر والإخوان ينطبق عليها بحق مقولة (صراع الأخوة الأعداء) ، فلم تعرف هذه العلاقة الإستقرار الدائم ، إذ شابها دائماً الصدام ، والصراع ، وفي هذا الجزء من الموسوعة ، سوف نركز الحديث على (ملامح) هذه العلاقة خلال الستينات ، خاصة بالنسبة للإخوان ، أما الشيوعيين فإن الصدام بينهم وبين الثورة تزايدت حدته عام ١٩٥٨ م . ولإيضاح هذه الملامح لعلاقة الأخوة الأعداء سوف نمحور الحديث حول العناصر التالية :

أولاً . جوهر الخلاف الناصري / الشيوعي (الديمقراطية والقومية العربية) .

ثانياً : إغتيال شهدى عطية كنموذج لعلاقة عبد الناصر بالشيوعيين .

ثالثاً : الصدام الثانى بين عبد الناصر والإخوان المسلمين عام ١٩٦٥ م .
وبتفصيل هذه العناصر يتسبين الآتى :

أولاً : جوهر الخلاف الناصري / الشيوعي (الديمقراطية والقومية العربية) .

سوف نورد هنا رواية الشيوعيين أنفسهم لجوهر خلافهم مع عبد الناصر ، وسوف نورد هنا ملخص رؤية مؤرخ الحركة الشيوعية فى مصر (أو هكذا يقول عن نفسه رغم إختلاف الشيوعيين فى ذلك) . إنه الدكتور رفعت السعيد ، فماذا يقول ؟^(١) .

يؤكد د . رفعت أن جوهر الخلاف مع عبد الناصر حول قضيتين هما الديمقراطية ... والقومية العربية وبالنسبة لقضية الديمقراطية يقول بهذا الصدد .

إذا كان علينا أن نبدأ بالبحث عن نقاط الالتقاء بين الشيوعيين والحكم وبين أنفسهم فلقد طالعنا الإجابات المشتركة التى قدمها ممثلو المنظمات الشيوعية المصرية الثلاث التى كونت الحزب الشيوعي المصرى ... لمراسل جريدة الأونيتا (ممثل الحزب الشيوعي الإيطالى) :

(١) د . رفعت السعيد : تاريخ الحركة الشيوعية المصرية : الوحدة والانقسام - الحل - ١٩٥٧ -
١٩٦٥ القاهرة - شركة الأمل للطباعة ١٩٨٦ م .

يتميز الوضع الراهن بالانتصارات الفائلة التي أحرزتها الحركة الوطنية ، وللمرة الأولى فى تاريخ مصر الحديث نجد حكومة وطنية تدافع عن مصالح الوطن ، ويدعمها تحالف عريض يشمل الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، والبرجوازية الوطنية ، وعلى رأس هذه الجبهة حكومة عبد الناصر^(١) .

وطالعنا كذلك البيان المشترك الصادر عن المنظمات الثلاث فى فبراير ١٩٥٧ م .

يحاول المستعمرون وعملاؤهم أن يذرفوا دموع التماسيح على ما يدعونه من إهدار الحريات فى مصر متجاهلين أن الشعب المصرى والوطنيين المصريين لم يتمتعوا فى يوم من الأيام بالحرية مثلما يتمتعون بها اليوم ، وأن هذه الحرية المتاحة للوطنيين تتسع فرصها يوما بعد يوم ، وأن الذين ضاقت حريتهم هم المستعمرون وعملاؤهم من المأجورين وغلاة الرجعيين^(٢) .

وفى نفس البيان يقول د . رفعت السعيد إن مصر لتتطلع كذلك إلى المسارعة بتكوين الإتحاد القومى كتنظيم لقوى الجبهة الوطنية المتحدة ضد الإستعمار .

ويمتد الموقف ليحاول أن يتصور أن ساعة التصادم قد تباعدت ولعلها قد تلاشت . ويصل الأمر بالنشرة الداخلية للحزب الشيوعى المصرى الصادر فى ٢٢ مارس ١٩٥٨ م والتي تقدم نتائج إجتماعات اللجنة المركزية الموحدة فى إجتماعها الأول (٨ يناير ١٩٥٨ م) .

يصل بها الأمر إلى القول « من المستبعد أن تقوم الحكومة بحملة ضد الشيوعيين » . وإذا كان من الضرورى - ولو من حيث الشكل - لفت أنظار الرفاق إلى ضرورة الحذر ، فإن اللوم .. كان يجب أن يوجه - كما حدث دوما - إلى ناحية أخرى غير ، يادة السياسية للحكم . واعتاد الشيوعيون جميعا عملية الفصل - الغريبة - بين الحكم وبين أجهزة الحكم ..

فكل خير يأتى .. هو من الحكم . وكل خطأ يأتى فإن مصدره بالضرورة هو بعض أجهزة الحكم التى تصور عادة وكأنها خارجة عن توجهات الحكم ومتآمرة ضده .

ولنواصل قراءتنا للنشرة الداخلية فهى بعد أن استبعدت قيام الحكومة بحملة ضد الشيوعيين عادت لتؤكد ، ولكن يجب على الرفاق ألا يتخلوا عن واجبهم نحو حماية الحزب لأن أجهزة الدولة وخصوصا المباحث العامة، وأجهزة الإستعمار تبذل نشاطا فائقا فى التحرى عن كل ماله علاقة بنشاط الحزب وتنظيماته^(٣) .

(١) الأونيتا - ١٤/٥/١٩٥٧ .

(٢) منشور معنون « بيان إلى الشعب » فبراير ١٩٥٧ .

ويواصل د . رفعت قوله :

ولا بأس .. وإستكمالا للصورة من أن نواصل معا تقليب بعض النشرات الصادرة عن الحزب فور توحده والتي عبرت عن التوجه العام للإتفاق بين الرفاق .

إتحاد الشعب الجريدة المركزية للحزب تقول .. تحت عنوان : « على صبرى مقتنع بضرورة الجبهة مع الشيوعيين » ... فى حديث له مع مجلة آخر ساعة قال السيد على صبرى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية والمرشح لرياسة المجلس التنفيذى لإقليم مصر .. بينما كانت الحرب الأهلية بين الكومنتانج والشيوعيين تقطع أوصال الصين ، دقت اليابان أبواب الصين ويومئذ تنبه ماوتسى تونج إلى هذه الحقيقة التاريخية الهامة فأصدر بيانه المشهور الذى يدعو فيه إلى تعاون كل شيوعى مع الكومستنانج لمواجهة العدوان اليابانى ، ويومها إنتصرت الصين على محتل دخیل .. ونحن نوافقه تماما وحرفيا على ما قاله ونسأله :

لماذا لا يفرج عن الشيوعيين المصريين المسجونين ولماذا يمنعون من دخول الإتحاد القومى .. لقد أثبت الشيوعيين المصريون أنهم قادرون على الإستفادة من تجارب التاريخ ، وبقي أن يثبت قادة حكومتنا الوطنية أنهم قادرون على الإستفادة منها كما عبر عن ذلك السيد على صبرى^(١) .

ونتوقف لنلاحظ (والملاحظة هنا من وضع د . رفعت السعيد) .

- إن ثمة نعمة أكثر حدة فى الإنتقاد .

- إن النقد يوشك أن يوجه إلى قادة حكومتنا الوطنية وليس الى جهاز ما من أجهزة الحكم .

هذا التطور أتى بعد الوحدة مباشرة ولعل أسبابه متعددة .

- إن فترة العدوان الثلاثى قد انتهت وبدأت مرحلة جديدة . لعلها انعكست عبر مسارين متقاطعين أو متناقضين فالشيوعيون وجدوا أن المعركة الوطنية التى خاضتها القوى الوطنية الموحدة قد آن لها أن تحقق ثمارا ، وأن النظام يرغب ليس فقط فى أن يستحوذ على كامل هذه الثمار ، وإنما أن يستخدمها هى بذاتها كأداة لحصار شركائه فى المعركة .

والنظام الذى صعد نجمه محليا وعربيا ودوليا بعد معركة صد العدوان الثلاثى الذى

(١) اتحاد الشعب - جريدة الحزب الشيوعى المصرى - العدد الثانى - ١٩٥٨/٢/٢٧ نشرة بنجم ضعف الفلوسكاب مطبوعة بالمطبعة على شكل كراس من عشر صفحات (نسخة أصلية) ويلاحظ تطور أدوات الطباعة يرقى عملية الإخراج والتوصيب .

استمتع فيها بتأييد جارف محلياً وعربياً وعالمياً . والذي حقق الوحدة مع سوريا وسط ضجيج إعلامي وجماهيري صاخب . هذا النظام بدأ يستشعر بأنه ليس بحاجة إلى مثل هذا التحالف مع الشيوعيين .. بل لعله بدأ يستشعر عبء هذا التحالف دولياً (مع أمريكا) وعربياً (مع البعث والقوميين) ومحلياً (مع قوى اليمين) .

- إن وحدة الشيوعيين في حزب واحد قد أثارت مخاوف الكثيرين في النظام من خطر ترك الحبل لهم أكثر مما يجب .

- إن الشيوعيين بدأوا يستشعرون بعض الضغوط في مجالات العمل الجماهيري .. وبعض الخلاف في عملية الوحدة مع سوريا وبدأت مسألة الديمقراطية تكتسب في أذهانهم وحركتهم إلحاحاً خاصاً ..

ويواصل د . رفعت السعيد تجميع الملاحظات فيقول :

مقال بعنوان « متى يتعلم بعض المسؤولين احترام مشاعر الجماهير ؟ » أرسلت وزارة التربية والتعليم إلى مدرسيها ومدرساتها ونظارها خطابات على السركى تطالبهم فيها بحضور الإحتفالات بنتائج الإستفتاء ، وتهدد بأن أسماء المتغيين سترسل إلى وزارة الداخلية ، علاوة على خصم يومين من مرتباتهم ، ولا يمكن أن نتصور إساءة إلى الإحتفالات الشعبية أكثر من هذا العمل الذي ارتكبته عناصر بلغت حداً لا يطاق من التخلف والإستخفاف بمشاعر الشعب والجهل بنفسية الجماهير ، ولا شك أن هذا الإجراء وأشباهه - مثل ما أذيع من أن وزارة الداخلية ستسجل محاضر للمتغيين - لا شك أن هذا كان له أسوأ الأثر في نفوس المواطنين وأن هذه الإجراءات هي المسئولة عن تخلف عدد كبير بالفعل عن الذهاب إلى صناديق الإستفتاء أين هذه الإجراءات السمجة المتخلفة من جور الحرية الرحيب الذي جرى فيه الإستفتاء في الإقليم السوري^(١) .

وفي ذات الصدد نقرأ « الشيوعيين ليسوا خطراً على الأمن العام » ... أفرجت وزارة الداخلية عن المسجونين الذين قضوا نصف المدة بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب عبد الناصر رئيساً لها ولكنها حرمت المسجونين الشيوعيين من هذا الحق بحجة إنهم خطر على الأمن العام .. وقد أثار هذا التصرف إستياء الجماهير الوطنية ، ولم تستغ الإفراج عن القتلة واللصوص وحرمان الشيوعيين الشرفاء من هذا الحق .. إن الذين يهددون الأمن

(١) المصدر السابق .

العام في مصر الوطنية هم الرجعيون والخونة وعملاء الإستعمار ... والشيوعيون كانوا دوماً يزالون ، وسيظلون دائماً في مقدمة صفوف الوطنيين ، والرماح المشرعة في أوجه المستعمرين والسند الأكبر للحكم الوطني .

وفي مواجهة القرار الجمهوري الصادر بشأن قصر حق الترشيح لعضوية مجالس إدارات النقابات بكافة أنواعها على الأعضاء العاملين بالإتحاد القومي ، أصدر المكتب السياسي في إبريل ١٩٥٨ م بياناً يندد بهذا القرار وقد ضمن هذا البيان في شكل عدد خاص من جريدة إتحاد الشعب .. وجاء فيه .. « إن هذا القرار عدوان على الديمقراطية وطعنة لحرية التنظيم النقابي ويتعارض مع الإتفاقية الدولية الخاصة بالحرية النقابية التي وقعتا الحكومة ، كما إن هذا القرار يمثل ضربة للحركة النقابية ذلك أنه قد جاء في وقت تشهد فيه الحركة النقابية بوادر يقظة شاملة .

وأكد البيان أن هذا القرار يحرم النقابات من العدد الوفير من النقابيين المخلصين وأنه مقصود به إبعاد الشيوعيين والعناصر التقدمية عموماً ، وبذلك ستقع النقابات في قبضة العناصر الرجعية والمتخلفة والفاسدة والمرتشية ، كما أن القرار ضار بالوحدة الوطنية إذ أنه يعنى حرمان جميع الطبقات من حرية التنظيم النقابي السليم .. بل أنه ضار بقضية الوحدة العربية خاصة وأنه جاء في أعقاب إجراءات تعسفية اتخذت ضد الأحزاب الوطنية في سوريا ..

وأكد البيان أيضاً أن هذا القرار ضار بمستوى معيشة الطبقات والفئات الشعبية وأنه جاء في وقت يتدهور فيه مستوى معيشة الطبقات الشعبية وترتفع فيه أرباح المؤسسات الرأسمالية .. ثم وجه البيان الدعوة إلى جميع المواطنين للإتحاد والمطالبة بإلغاء هذا القرار .

وهكذا تقترب زمنياً وفكرياً من منطقة الخلاف ليس فقط بين الشيوعيين والحكم .. وإنما بين الشيوعيين أنفسهم وهي منطقة الديمقراطية .

إنها الرغبة المستمرة والإصرار على جر الحزب من جديد إلى سياسة يسارية مخربة مصفية للحزب .

ويرتكب الرفاق الأربعة الخطأ الأكبر إذ ينقلون إلى الخارج مدار داخل إجتماعات المكتب السياسي فينقلون تصريحات أو تعليقات قيلت داخل الإجتماعات المغلقة ، ليستخدمونها في صراع سياسي مفتوح ويبدو حجم الخطأ إذا ما لاحظنا إنه إقترن بذكر الأسماء الحركية (وكانت معلومة للجميع) وإذا ما كانت التصريحات متعلقة بالحكم .

الرفيق خالد قال في المكتب السياسي إن المعسكر الإشتراكي كان قلقاً على أوضاع مصر ،

وأن الاتحاد لم يسارع إلى الاتفاق على القرض بل أنه «شخلع» عبد الحكيم عامر وقال له لماذا تريد هذا القرض ..

ثم .. وبالطبع توقع الرفيق خالد كثيراً من الحريات بتوصية من الاتحاد السوفيتي وهو مالا تقوله إلا أخبار اليوم ... إن تقديم قضية شيوعية قديمة كانت مركونة ، الى المحاكم اعتبرت في نظرهم بدءاً لحملة جديدة عاتية ، وسفر عبد الناصر إلى موسكو كان للضغط على الإستعمار الأمريكي .. إن كل هذا لا يبدو في مطبوعات الحزب سافراً ، ولكنه يقال في اجتماعات المكتب السياسي .

ثم يتحدث الرفاق الأربعة عن رؤيتهم لأسلوب المعارضة فيقولون : « وإذا كنا نعارض القرار الجمهوري رقم ٨ (القرار الخاص بقصر الترشيح لعضوية مجالس إدارة النقابات على الأعضاء العاملين بالاتحاد القومي) إلا أننا لا نصل بمعارضتنا له إلى ما يهدم تحالفنا مع الحكم الوطني أو ما يلغى من واجباتنا الإيجابية إزاء أعمالنا المجيدة .. إننا لا نستقبل جمال عند عودته الظافرة من بلاد تقود المعسكر الاشتراكي لنقذف في وجهه بمنشورات تطلب بإلغاء القرار الجمهوري رقم ٨ ..

ثم .. ان المظهر الأساسي لليسارية في حزبنا هو العودة وفي كل مناسبة إلى التشكيك في وطنية الحكم في مصر ، وتغليب التناقض الثانوي على التناقض الأساسي والعودة بذلك وفي التطبيق إلى سياسة معادية للحكم الوطني . وهكذا تواصل الانتهازية دورها التاريخي في ضرب الحركة الوطنية وضرب الجبهة .

ثم يحدد الرفاق الأربعة موقفهم من الاتحاد القومي قائلين .. إن قمة أشكال الانعزال اليساري الآن هي الموقف من الاتحاد القومي . فقد ، إنتهى التحليل القلق المتناقض الذي أصدره المكتب السياسي بأغلبية خالد وعباس ورفاقهما .. إلى أنه حزب البرجوازية .. وانتهوا إلى مقاطعة الاتحاد القومي .. ثم بعد ذلك يقولون إنهم سيتحالفون معه عندما يتكون حزبا للبرجوازية .

ثم .. إن الاتحاد القومي هو أوسع أشكال التحالف في التطبيق . في تاريخ هذه الثورة ، وهو تحالف في المجال الوطني والسياسي والاجتماعي والثقافي ، والمناداة بمقاطعته ، وعدم دعوة الجماهير إلى الانضمام إليه ، هي امتداد لسياسة محاربة الحكم الوطني وامتداد لسياسة الانعزال التي أجادها قادة الانتهازية اليسارية . ولقد أثبتت التجربة الخصبة لكفاح كوادر الحزب ، ان الاتحاد القومي انفتحت أبوابه بل واتسعت المراكز القيادية فيه لبعض الشيوعيين ، بل وثبت ان الذين يجاربون الاتحاد القومي ويعملون على وأده هم الإقطاعيون وأعوان الإستعمار الذين يحرضون على إستبعاد الشيوعيين منه . إن الاتحاد القومي مفتوح للعمال والفلاحين والمثقفين

سائر الفئات الوطنية باعتبارهم مواطنين ، وباعتباره شكلاً جديداً من أشكال التحالف بين القوى الوطنية .

ونوقف عند عبارة « باعتبارهم مواطنين » ونسأل عما إذا كانت تعنى الرضا بالانضمام كأفراد .. أى كمواطنين دون التشبث بفكرة الدخول كحزب أو حتى كتيار أو كممثلين لتيار ؟

مجرد سؤال .

وإستكمالا لوجهة النظر المتعلقة بالخلاف حول الديمقراطية نقدم فقرات من تقرير معنون « موقفنا من الإتحاد القومى » .. أصدره رفاق حدثو بالإسكندرية بعد وقوع الانقسام وعندما بدأوا فى إصدار نشرات مستقلة :

الشيء الملاحظ فى مدينة الإسكندرية ان الرفاق لا يهتمون بتنظيمات الإتحاد القومى وغير متحمسين للاشتراك فيه ... ثم يمضى التقرير السياسى للحزب الشيوعى المصرى ودعاه إلى حل الحزب والانضمام كأفراد إلى الإتحاد القومى .

والثانى : إن هذا التقرير يمثل كما قال الرفاق الأربعة الأغلبية التى صنعها تحالف رفاق الراية ، غ . ف فى المكتب السياسى للحزب .

ولنطالع رأى هؤلاء الرفاق :

كنا نتوقع أن تجيء تصريحات السيد أنور السادات السكرتير العام للإتحاد القومى للصحف لتبديد كثيراً من التساؤل لدى الأغلبية الساحقة من جماهير الشعب والمثقفين حول الإتحاد القومى ما هو ، وما هى أهدافه ، وما تكوينه ، وما علاقته بالأحزاب السياسية حالياً ومستقبلاً ، غير أن تصريحات السيد أنور السادات لم تضيف فى هذا الشأن شيئاً .. فهو حتى الآن حريص على التأكيد بأن الإتحاد القومى ليس حزبا ، ولا نظاما للحزب الواحد ، ولا جبهة وطنية ، ولا هيئة تحرير أخرى ، ولا جهازاً حكومياً . ولا بد بعد هذه التأكيدات أن يتساءل الوطنيون بإلحاح : وإذن فماذا يمكن أن يكون هذا الإتحاد القومى ؟ .

ثم يشير التقرير إلى الهجوم المستمر على الشيوعيين الذى شنه السادات مهاجماً ذوى الأفكار المعنية ويرد على هذا الهجوم قائلاً : « إن القضية الأساسية التى تختفى وراء تلك الحملة هى قضية الفشل فى تكوين الإتحاد القومى ، قضية إنقضااض الجماهير الشعبية عن دخول الاتحاد القومى ، ولا يملك السيد أنور السادات إلا أن يعترف ضمناً بهذا الفشل الواقع ، ومع ذلك فهو لا يريد أن يعترف بالسبب الحقيقى لفشل الاتحاد القومى ألا وهو فرض

الإتحاد القومى على الشعب ، مع حرمان الشعب من تكوين أحزابه ، إن السيد السادات لا يريد أن يواجه قضية الشعب الأساسية التى يثيرها الإتحاد القومى وهى قضية الديمقراطية ، غير أنه يكتفى بالتلميح إلى أن الشيوعيين هم وراء فشل الإتحاد القومى بسبب نظرتهم الجامدة عن الديمقراطية التى لا تتحقق عندهم على حد قوله إلا بوجود أحزاب .»

إن السيد السادات يرفض وجود الجبهة الوطنية كما يرفض وجود الأحزاب وهى الأساس الذى يمكن أن يقوم عليه اتحاد قومى راسخ البنيان ، ولما لم تكن هناك أحزاب إلى جانب الإتحاد القومى سوى الحزب الشيوعى فليس لنظرية السيد أنور السادات سوى معنى بديهى وهو رفض دخول الشيوعيين فى الإتحاد القومى .

ثم يمضى التقرير .. وهكذا يحسن أن نؤكد جميعا حقيقة تعدد الطبقات فى مصر ، وحقيقة قيام الصراع الطبقي فيما بينها ، وليس الصراع الطبقي من إختراع الشيوعيين وإنما هو حقيقة موضوعية فى المجتمعات ما بقى فيها تعدد الطبقات .. إن إلغاء الصراع الطبقي لا يكون إلا بإلغاء الطبقات ذاتها .. ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق الاشتراكية وهذا بالضبط ما يكافح الشيوعيين من أجله^(١)

لقد إتخذت الطبقات فى مصر أحزاباً لها فى الماضى . كما ظهر الحزب الشيوعى الذى يمثل أحدث الطبقات الإجتماعية وهى الطبقة العاملة وجمهرة الكادحين فالطبقة العاملة المنظمة فى المصانع طبقة لها مصالحها المتميزة ، ولقد ناضلت منذ نهاية القرن الماضى فأجسنت النضال من أجل مصالحها الخاصة ومصالح الوطن كله ، وهى اليوم طبقة واعية حسنة التنظيم لا ينكر أحد وجودها ولا يجهل أحد نضالها . ولقد وجد الحزب للطبقة العاملة على الرغم من جميع العقبات .. وفى ظروف بلادنا التى يجب أن تتحد لمواجهة العدو الواحد لا يمكن أن يكون وجود الحزب الشيوعى ونجاحه فى تمثيل طبقته ونضاله لتوحيد صفوفها مصدراً لاستياء أحد من الوطنيين .

ثم .. فالواقع الذى لا شك فيه إن الإتحاد القومى لا يتنافى مع الحزبية بل إنه يقوم أساساً على فكرة الحزبية وهو نفسه حزب من الأحزاب . إن الإتحاد القومى حين يرفض أن يكون جبهة وطنية . وحين يرفض أن يمثل أكثر من : اتجاه واحد ، فإنه يمثل عندئذ

(١) حول الإتحاد القومى - رد على السيد أنور السادات - كتيب مطبوع بالمطبعة من عشرين صفحة من القطع الصغير موقع المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى مؤرخ ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ - (نسخة أصلية) ص ٥ .

إتجاهاً واحداً هو إتجاه الرأسمالية الوطنية ... وهكذا وباسم الوحدة الوطنية ، وباسم الدعوة لنبذ الحزبية ، تسارع طبقة واحدة هي طبقة الرأسماليين الوطنيين بتكوين حزبها ، وحظر تكوين الأحزاب الأخرى ، وفرض حزبها الواحد على الطبقات الوطنية جميعاً .

وأيضاً لقد أصبح الإتحاد القومى بتكوينه الحالى وبمواقفه الرأهنة خطراً على الوحدة الوطنية . فالإتحاد القومى بتكوينه غير الديمقراطى ، وبرفضه أن يكون جبهة وطنية ، وبإصراره على أن يكون حزباً فوق كل الأحزاب ، بل حزباً فوق الجبهة الوطنية ، وبسيطرته المفروضة على التنظيمات الجماهيرية النقابية والسياسية ، وبالتعاون الوثيق مع المباحث العامة ورجال الإدارة قد تحول بذلك إلى سلاح ضد الجماهير الشعبية يحاربها فى حريتها وفى أرزاقها ، ولا يمكن بالتالى أن يكون ساحة الوطنية التى تضم الوطنيين جميعاً^(١) .

وهنا مكنم الخلاف حول قضية (الديمقراطية) كما يراها الشيوعيين . ترى ماذا يرون بشأن الوحدة العربية والقومية العربية .

فى بداية الأمر تحدث الشيوعيين المصريون عن القومية العربية كمرحلة من مراحل النضال ضد الإمبريالية ، كصرخة فى المعركة ضد العدو المشترك .. ولكن بعد أن توحد الشيوعيون المصريون فى حزب واحد ، تحولوا إلى القول بفكرة القومية العربية . وأصدر الحزب دراسة تحدد موقفه من القومية العربية موقعة بإسم خالد وعباس وقد جرى توزيعها على نطاق واسع .

ويشير إلى هذه الدراسة أيضاً بل ويورد نصوصاً كاملة منها الحكم ودوره فى كتاب كرس أساساً لترويج سياسة العداء للشيوعية ويقول دروزه فى عام ١٩٥٨م قدم الحزب الشيوعى المصرى لأعضائه دراسة عن القومية أصدرها فى كراس بعنوان « مفهوم القومية العربية بقلم الرفيق خالد وعباس »^(١) .

وقبل أن نستعرض ما جاء فى هذا التقرير الهام نود أن نقرر أن كلا من المؤرخ المعروف عجوانى والحكم دروزه قد أخطأ فى نسبة هذا التقرير إلى الرفيقين خالد وعباس .. ذلك

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(١) الحكم د. روزة . الشيوعية المحلية ومعركة الحرب القومية - الطبعة الثالثة - ١٩٦٣ - مكتبة منيمه - بيروت ص ١٧٢ .

إن كاتبى التقرير كانا « فريد » (محمود أمين العالم) وسيد (د . عبد العظيم أنيس)^(١) .

ماذا يقول التقرير الذى قال د . فؤاد مرسى أنه كتب بطلب من المكتب السياسى للحزب والذى ينقله د . رفعت السعيد فى كتابه ..

إن نشأة النظام الرأسمالى تعنى بالضرورة القضاء على التجزئة والنظم الإقطاعية فى أشكال الحكم والإنتاج والحياة الإجتماعية ، وتدعم كل المقومات للوحدة القومية وتطورها ، ولهذا يؤرخ لظهور القومية بظهور النظام الرأسمالى .. ولم تشذ نشأة القومية العربية عن هذا القانون الموضوعى للتاريخ وإن اختلفت عن سائر القوميات الأوروبية فى مدلول نشأتها وذلك للملابسات الخاصة التى صاحبت هذه النشأة .

ولم تتخذ الحركة الوطنية العربية طابعاً دينياً متعصباً بل ساهم فيها - وما زال يساهم المسلمون والمسيحيون على السواء ، فكان المثقفون المسيحيون فى بيروت والشام خاصة من أوائل الداعين إلى الوحدة العربية والعاملين على إحياء التراث الثقافى العربى .

ثم يحدد التقرير مقومات القومية العربية فيقول :

١ - القومية العربية هى حصيلة تاريخ مشترك لجماعة من الناس عاشوا وتآلفوا وناضلوا معا مئات السنين .

٢ - القومية العربية لها لغتها الواحدة التى تحمل تراثها وخلاصة خبرتها التاريخية .

٣ - القومية العربية تشترك فى رقعة واحدة من الأرض مهما اختلفت وتعددت مظاهرها الجغرافية .

٤ - القومية العربية لا تشترك فى حياة إقتصادية واحدة ولكن هذه المشكلة ليست عائقاً أمام وجود القومية العربية .. لأنه من الواضح أن هذه الحقيقة مرتبطة تماماً بأن دولا إستعمارية مختلفة لا تزال تسيطر على مقدرات إمكانيات وثروات أجزاء من الوطن العربى .. ولقد كانت السوق العربية المشتركة موجودة فى الماضى قبل الإحتلال الغربى بشكل أو بآخر . وعمل الإستعمار على تحطيم هذه السوق بوعى ، والقضاء على تكامل الإنتاج فى الوطن العربى ،

(١) بمناقشة للدكتور رفعت السعيد مع د. فؤاد مرسى وأبو سيف يوسف ومحمود العالم أكدوا أن الكاتبين كانا فريد وسيد . وتضيف أنه بعرض النصوص المنقولة عن الحكم د. روزه منسوبة لهذا التقرير على د. فؤاد مرسى بأن النصوص تتفق مع ما تعيه الذاكرة عن هذه الوثيقة .

ومع ذلك فأسس التكامل في الإنتاج لا تزال قائمة ، وإن كانت متناثرة تقوم بينها الحدود المفتعلة .

هـ - التكوين النفسى المشترك أو (الطابع القومى) للأمة العربية .

ويمضى التقرير محذراً العديد من الرفاق الذين لم يكونوا قد قبلوا بعد هذه الفكرة قائلاً : « مهما كانت الفوارق السطحية التى تبدو لنا هنا فى مصر مقنعة للبعض منا بأننا فى نهاية الأمر مختلفون نفسياً عن بقية العرب ، إلا أن هذه النظرة ليست إلا بقايا الانعزالية فى مصر إزاء القومية العربية » .

ثم يتحول التحذير إلى تأكيد أن القومية العربية على هذا الأساس الذى أوضحناه ليست شعاراً سياسياً تكتيكياً ولا هى عصبية دينية . إن القومية العربية ليست تطلع طبقة إجتماعية صاعدة نحو أسواق جديدة بهدف تكوين إمبراطورية جديدة تخدم أغراضها التوسعية . إن القومية العربية ظاهرة تكون أمة واحدة لها كافة المقومات الأساسية للأمة الواحدة ، وتناضل كل فئاتها الوطنية الشعبية لتجميع شتاتها المبعثرة وتكامل إقتصادها الممزق وتطويره ، وخلق سوقها المشتركة واستعادة ثرواتها وأراضيها التى سلبها الإستعمار ، والقضاء على كل القوى الرجعية والاستعمارية المعرقة لثموها ، ورفع مستوى معيشة أبنائها وتطوير حياتها وتنمية ثقافتها ..

وأخيراً .. إن القومية العربية فى جوهرها حركة شعبية نضالية معادية للإستعمار ، فالإستعمار هو الذى أقام الحدود والحواجز فى وجه هذه القومية ..

ولهذا كانت معركة التوحيد معركة فى جوهرها معادية للإستعمار ، وهى بالضرورة حركة تقدمية من الناحية الإجتماعية ، ففى نضالها ضد الإستعمار تناضل كذلك ضد عملائه وحلفائه من الإقطاعيين والإحتكارين وهى تحرر ثروات أرضها وطاقات شعبها من الإستغلال .. والإستعباد .. وهى بهذا تتيح لأبنائها إرتفاعاً فى مستوى المعيشة كما توفر لهم حريات ديمقراطية متعظمة .

ولكن الأمور تطورت فى عكس هذا الإتجاه المؤيد للوحدة العربية .

ففى يناير ١٩٥٨ م .. والحزب الشيوعى يوشك أن يتحد .. كانت الجمهورية العربية المتحدة توشك أن تولد .. ويعتبر الحزب هاتين الوحدتين رمزاً لصعود الحركة القومية والحركة المعادية للإستعمار .

وفي خضم هذه الدوامة .. تأتى ثورة العراق كما يراها الشيوعيين وتفتح أبواب الإنطلاق غير محدودة أمام الحزب الشيوعى العراقى ، وتبدو العراق نموذجاً عربياً مختلفاً ، فقد شهدت الأسابيع الأولى من ثورة العراق إنطلاقاً مدهشاً للديمقراطية .. بما شجع الفكرة القائلة بأن العراق الجديد هو الطريق الديمقراطى والتحررى للقومية العربية ، وأنه البديل عن الطريق الديكتاتورى الذى يمثله عبد الناصر .

ويقول عجوانى : « لقد إتجه الشيوعيون المصريون والسوريون بأنظارهم تجاه الثورة العراقية .. الأمر الذى أقلق عبد الناصر كثيراً ..

وأصبح الأمر بالغ التعقيد وفقاً لما يقوله د . رفعت السعيد .

صحيح إن ثورة العراق كانت ضربة عنيفة للإستعمار والرجعية .

ولكن النموذج المصرى الناصرى الذى أسرع بتأييدها بدأيتحسس آثارها الجانبية ، وأخذ منها ما هو سلبى بالنسبة له . فهناك نموذجاً ديمقراطى منطلق بغير حدود . هذا النموذج يلفت أنظار القوى الوطنية والتقدمية العربية والعالمية بعيداً عن النموذج الناصرى الذى ظل ولفترة طويلة وحيداً ، ومستمتعاً وحده بكل إعجاب ، وكل تأييد .

وبدأ الإحساس بالمنافسة .. أو إن شئنا استخدام ألفاظ قد لا تليق ببحث أكاديمى لكنها مغبرة تماماً .. بدأ الإحساس بالغيرة . فالبطل الذى استمتع وحده بدور النجم .. واللاعب الوحيد على المسرح بدأ يشعر بأن الأنظار تنصرف عنه إلى بطل جديد لعله صعد بصورة أكثر درامية وأكثر جاذبية ومصطحباً معه جالة من الصخب الديمقراطى أثارت الإهتمام ولفتت الأنظار .

ولعل البطل قد أحس أن التأييد التقدمى العربى والدولى قد أصبح موزعاً وليس منصباً عليه وحده والقول لمؤرخ الحركة الشيوعية المصرية .

ولعله أحس بهواجس عديدة ..

لكن الأمر بالنسبة للشيوعيين أكثر من معقد ، فإن النظام لم يعد يطالبهم بالتأييد الكامل وبلا نقد ، وإنما بتأييده وحده دون الآخرين .

وفي ذات الوقت كانت بعض مشكلات الوحدة المصرية - السورية قد بدأت فى البروز ويتطلب الأمر بياناً مطولاً يصدره المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى ... يتحدث فيه عن الدعوة المتعجلة للوحدة مع العراق .. أو بالدقة لفرض الوحدة على العراق ربما بهدف احتواء هذا المد الديمقراطى فيقول بيانه الذى صدر وقتها

« .. ونحن من أشد أنصار هذه الوحدة ، نطالب بها ، ونعتبرها خطوة ضرورية لتدعيم الثورة في العراق ، والتعجيل بالوحدة العربية الشاملة . ولا شك أن ، الاستعمارين سيقفون في سبيل تلك الوحدة بكل وسيلة لديهم . وهاهم يتآمرون عليها حتى تخنق ، تارة بمحاولة تفكيك الوحدة المصرية السورية ، وتارة بمحاولة الإيقاع بين البرجوازية العراقية والبرجوازية المصرية .. » .

ولكن .. في ظل قومية كالقومية العربية ممتدة في بلاد مترامية الأرجاء ، وتسودها ظروف إقليمية واقتصادية وسياسية واجتماعية متفاوتة ، يصبح من الضروري أن نضع في الاعتبار دائما حقيقتين أساسيتين هما الخصائص الإقليمية والفروق الاقتصادية .

وكانت عبارة «الخصائص الإقليمية» تثير حساسية مفرطة لدى الحكم المصري الذي كان مصمما على تطبيق نموذج الخاضع على كل أرض تتحد معه ..

بل إن البيان يقول : « إن أية وحدة تفرض بغير مراعاة للحقائق التاريخية والموضوعية ليست وحدة ناجحة » .

وأیضا أنه من الضروري .. أن نضع في الاعتبار الخصائص الإقليمية للبلاد المتحدة حتى لا تلغى شخصيتها أو نضعفها .

وتفرقت السبل بين الشيوعيين والحكم كما يقول د . رفعت السعيد وكان الموقف السابق للشيوعيين من القومية هو نقطة الخلاف الثانية الأمر الذي صعد الصدام وأودى بالشيوعيين إلى السجون وبل القتل .

ثانياً : (شهدى عطية) كنموذج علاقة عبد الناصر بالشيوعيين :

ولتأكيد الخلاف السابق بين عبد الناصر والشيوعيين نأخذ نموذجاً مثالياً يحلل ويقيس أبعاد وحجم هذا الخلاف ، إنه نموذج (مقتل شهدى عطية شافعى) فماذا عنه ؟

شهدى عطية الشافعى أحد زعماء الحركة الشيوعية المصرية ، بآفاقها الاشتراكية منذ الأربعينات ، فبعد عودته أثناء الحرب العالمية الثانية من إنجلترا ، وبعد أن حصل على درجة الماجستير فى الأدب الإنجليزى شارك فى تأسيس دار الأبحاث العلمية ، وهى الدار التى قدمت لمصر عدداً كبيراً من المثقفين والعلماء الوطنيين .

وفى عام ١٩٤٥م صاغ شهدى ومعه زملاء له آخرون برنامجاً للحركة الوطنية ، صدر فى كتيب بعنوان : « أهدافنا الوطنية » . وفى هذه الفترة قام شهدى بترجمات للعديد من

كتب الفكر الاشتراكي العلمى ، منها الاشتراكية العلمية والخيالية - لانجلز - وقام بدور بارز فى نشر الفكر الاشتراكي والمساهمة فى قيادة الشباب الثورى للمساهمة فى الحركة الوطنية الجماهيرية التى أخذت فى التصاعد عقب الحرب العالمية الثانية ضد الإحتلال البريطانى ، فقاد مجموعة من الشباب الاشتراكي ، كان لها دور بارز فى تأسيس اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة فى صيف عام ١٩٤٥ م .

وكان من بين هذه المجموعة جمال غالى ، وسعد زهران ، وجمال شلبي ، وعبد المنعم الغزالي ، ومحمد الجندى ، وفاطمة زكى ، ولطفة الزيات .. ثم كان له دوره القيادى فى التحضير لقيام اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، والتى قادت يوم ٢١ فبراير عام ١٩٤٦ م أحد أهم أيام النضال الوطنى ضد الإحتلال البريطانى .

وعندما شن « إسماعيل صدقى باشا » صاحب مشروع صدقى - ييفن حملته الصليبية ضد الحركة الوطنية ، كان شهدى ممن صدر الأمر بإعتقاله ، ولكنه تمكن من الإختفاء لمدة ثلاثة شهور .

وعندما عاد إلى الحياة العلنية ، قاد العمل من أجل إنشاء جريدة جماهيرية للإشتراكية ، تكن منبراً للعمال والفلاحين ، فصدرت جريدة الجماهير عام ١٩٤٧ م. والتى كان يرأس تحريرها محمود النبوى ، وكان المسئول الفعلى عنها هو شهدى . وعرفت الجماهير حينئذ مقالات شهدى العنيفة ضد الإستعمار وعملائه .

واعتقل شهدى فى آخر عام ١٩٤٨ م وقدم إلى المحاكمة ، فصدر الحكم ضده بالأشغال الشاقة سبع سنوات ، وعندما طالبه والده بأن يقدم إلتماسا إلى الملك ، رفض وخرج من السجن فى عام ١٩٥٥ م ، وكانت ثورة ٢٣ يوليو تخوض معركة عنيفة ضد الأحلاف العسكرية وضد حلف بغداد ، فصدر له كتابه ، « أمريكا والشرق الأوسط » .

وتبين شهدى ، خط التطور الرئيسى لثورة ٢٣ يوليو بإعتبارها وطنية معادية للإستعمار وركز فى نضاله على :

الأولى : ضرورة وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية .

والثانية : وحدة كل فصائل الاشتراكية العلمية ، حيث كان الإنقسام يمزق صفوف الماركسيين .

وفى عام ١٩٥٦ م ، وبعد تأميم قناة السويس ، شارك شهدى فى الكتابة فى جريدة المساء بمقالات وأبحاث ودراسات ، وخلال العدوان الثلاثى ، إنخرط فى المقاومة

الشعبية . وفى هذه الفترة إفتح مكتب مصر للترجمة والنشر ، ونشر كتابه « تاريخ الحركة الوطنية » ، ونشر روايته « حارة أم الحسينى » على حلقات فى جريدة المساء .

وفى عام ١٩٥٨م - وبعد شهور من قيام الوحدة المصرية - السورية ، وقيام الثورة العراقية ، وسقوط حلف بغداد - تمكنت القوى الإستعمارية والرجعية من أن تحدث الفرقة فى الصف الوطنى الديمقراطى وابتداء من عام ١٩٥٩م شهدت المنطقة صراعاً داخلياً عنيفاً داخل صفوف القوى الوطنية ، وشنت أعنف حملة ضد الشيوعيين المصريين ، وكانوا قد انقسموا فى يوليو عام ١٩٥٨م ، بعد إتحادهم فى فبراير عام ١٩٥٨م .

ودخل شهدى السجن مع المئات من المثقفين والعمال والفلاحين فى أول يناير عام ١٩٥٩م . ويؤكد الشيوعيين أن شهدى لم يفقد الرؤية الموضوعية لواقع الحركة الوطنية المصرية والعربية ، وإن ثورة ٢٣ يوليو بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، ثورة وطنية معادية للإستعمار ، تتطور نحو آفاق الثورة الوطنية الديمقراطية ، وخاصة بعد تمصيرها للإقتصاد المصرى ، أثر المواجهة مع الإمبريالية العالمية عقب تأميم قناة السويس ، وإقامة الوحدة المصرية - السورية . وفى اللحظة التى تسلم فيها شهدى وزملائه قرار الإتهام ، الذى بمقتضاه يقدمون إلى محكمة أمن الدولة العليا ، لم يفقد - بإعتباره المتهم الأول - الرؤية الموضوعية ، وضرورة الإستمرار فى المطالبة بإعادة الوحدة إلى الصف الوطنى والعربى ، فكتب من داخل السجن رسالة وجهها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، أكد فيها شهدى أن حملة العداء للشيوعية لم تكن إلا من تدبير القوى الإستعمارية والرجعية ، لإضعاف جبهة التحرر الوطنى العربى ^(١) .

وعندما مثل أمام محكمة أمن الدولة العليا فى الأسكندرية ،لقى شهدى كلمة إفتتاحية فى جلسة الثلاثاء ٨ مارس عام ١٩٦٠م ، جاء فيها :

واجب كل وطنى أن يؤيد هذا الحكم ، هذا واجب كل وطنى مخلص ، والتأييد الصادر لا عن مطمع ولا عن خوف . ولم أطلب أبداً ثمناً لهذا التأيد وقمت بالواجب من كل أعماق كمواطن مخلص شريف ، ولا عن رهبة ولا عن خوف ، وسبق إعتقالى والحكم على بالأشغال الشاقة ، وجاء لى والذى وقال ممكن السعى إلى تخفيف الحكم ، فقلت له السجن أحب إلى من أعمال الجبناء ، فبتأييدى للحكم الصادر من قلب خالص وسأستمر فى تأييده

(١) شهادة عبد المنعم الغزالى : فى كتاب تطور الحركة الوطنية المصرية - دار شهدى - القاهرة -

حتى ولو قدر الحكم على ، وكل نظام فيه عيوب ونواقص ، والكمال من صفة الله وحده .

وقال في نفس الكلمة :

« هل أحاكم لمجرد إعتناق المبادئ الشيوعية كوصف الإدعاء ، وحتى لو ثبت للمحكمة بأنى أؤيد النظام وأنى لا أسعى لقلبه .. هل أحاكم اليوم لمجرد هذا المبدأ ؟ ... مستحيل لأن مفيش دولة تحاكم من أجل المبدأ ، والرئيس جمال عبد الناصر قال لا يمكن أن تكون محاكمة لمجرد إعتناق مبدأ » .

وقال للمحكمة : والنيابة مثلاً كانت تسألنى : صحيح إنت بتأيد الحكومة اليوم إنما بكره حتعمل إيه ؟ .. وحكاية بكرة شاغلة الأذهان ، وقالوا إن كل الثورات الشيوعية قامت على القوة .. أقول : لم تقم ثورة ضد حكم وطنى ، وكل ثورة قامت ضد حكم رجعى خائن ، وعمر الثورة ما كانت ضد حكم وطنى .. وقال : « المهم ألا يلجأ الحزب الشيوعى إلى القوة فى ظل حكم وطنى . والخلاف لا يمكن أن يخرج من الوحدة الوطنية » .. ثم قال : « إن المسئول عن هذه الأزمة هو الإستعمار والصهيونية .. والخلافات البسيطة إستغلها الإستعمار والقوى الرجعية لتكيل للجمهورية العربية المتحدة لإشارة الشكوك والمهاجمات ، والجمهورية العربية ستتضرر برغم الشكوك وسيصفو الجو ضد الإستعمار والصهيونية والعدو الداخلى والسحب القائمة لابد أن تنقشع ، وتشرق الشمس من جديد ، ورغم هذا فلقد عذبوا حتى قتلوا وعذبوا وانتهت محاكمة شهدى وزملاؤه ، ومن قبل كانت قد إنتهت محاكمة قضية أخرى ، كان على رأسها د . فؤاد مرسى وزملاؤه ، وقد رحلوا إلى أوردى ليمان أبو زعبل ، حيث كان يلقي مئات من الشيوعيين دون محاكمة ، تعذيباً متواصلاً منذ أكثر من سبعة شهور .

وليلة الخامس عشر من يونيو عام ١٩٦٠ م ، نقل شهدى وزملاؤه إلى أوردى ليمان أبو زعبل ، وأعد لهم إستقبال خاص بدأ مع فجر يوم ١٥ يونيو عام ١٩٦٠ م ، تحت إشراف اللواء إسماعيل همت والعقيد الحلوانى والعقيد عشوب ، والرائد صلاح طه والرائد حسن منير والضباط عبد اللطيف رشدى ، ويونس مرعى ، ومرجان إسحاق وعبد الفتاح هندى ، وكال رشاد والصول أحمد مطاوع ، كما أشرف على التعذيب الطبيين د . أحمد كمال أبو العلا ود . البير فهمى ، وعدد كبير من قوة الأوردى وحراسه .

وكانت كل أدوات التعذيب معدة .. العصي والكراييج الحبال وقناة مملوءة بالمياه لإغراق المعتقلين فيها و « عروسة » الجلد وبدأت عملية ضرب مركزة ومخططة .. ومن بين صفوف المعتقلين أخذ شهدى وحده ليركز الضرب عليه .. وخلال عملية من عمليات الجلد قتل

شهدى داخل الأوردي وقبل موته أرسل برسالة خاصة إلى عبد الناصر سنورها فيما بعد . وعندما سقط شهدى كان شهيد الجميع .. فقد إفتدى بحياته كل زملائه الذين عاشو شهوراً طويلة خلف جدران هذا السجن الرهيب ، يتلقون ألواناً عديدة من التعذيب .

وفى يوليو ١٩٦٠م ، كتبت زوجة الشهيد رسالة إلى رئيس محكمة أمن الدولة العليا التى حوكم أمامها شهدى وزملاؤه ، تطلب منه التحقيق مع المسئولين عن جريمة قتل زوجها .

وبعد الحادث جاء الرائد حسن منير ومعه زوجته وإبنته إلى زوجة شهدى - وقال لها الموت مكتوب على كل إنسان ، والأستاذ شهدى مات كما يموت كل الناس وإنه معرض للإيذاء بسبب التحقيق فى هذه القضية وإن الداخلية تريد أن تدفع لأبنة شهدى أربعة آلاف جنيه ولها ألفان من الجنيهاً . فقالت له زوجة شهدى ، إن دم زوجى لا يمكن أن تأتى أنت أو غيرك لتدفع ثمنه . إنه ضحى من أجل الوطن والشعب ، وأن الجرم الذى إقتربتموه يجب أن تعاقبوا عليه .

وفى فبراير عام ١٩٦٨م ، أقامت زوجة الشهيد ، وبصفتها وصية على إبنتها حنان ، دعوى تطلب فيها التحقيق عما لحقها وإبنتها من ضرر ، وتولى إقامة الدعوى والدفاع أمام القضاء المحامى أحمد الخواجه ، ونقيب المحامين حينذاك .

وطلب الدفاع - ضم تحقيقات النيابة منذ أول جلسة نظرت فيها القضية بتاريخ ١٩٦٨/٢/٢٩م ، وإستمر تأجيل نظر القضية حتى قدمت صورة خطية غير كاملة لتحقيقات النيابة بجلسة ١٩٧٤/١/١٠م ، إزاء إصرار المحكمة على ضرورة ضم التحقيقات التى أجرتها النيابة العامة ، وقد إتضح للمحكمة بعد ضم التحقيقات من كتاب مدير منطقة أبى زعبل إلى مدير مصلحة السجون رقم ٢٥٠ سرى ، أن الصورة المقدمة كانت لدى مصلحة السجون من ١٩٦٠/١٠/١٢م ، ومع ذلك لم تقدمها إلا بعد ست سنوات من رفع الدعوى ، محاولة منها فى إخفاء معالم تلك الجريمة .

ولا شك أن توفر ظروف جديدة للقضاء ساعدت على ظهور تحقيقات النيابة ، والتى كشفت عن الجريمة البشعة .

وفى ٢٨ فبراير عام ١٩٧٤م ، أصدرت المحكمة حكمها التمهيدى ، والذى فيه حددت جلسة التحقيق فى ١٦/٥/١٩٧٤م ، وفى جلسة ٦ يونيو ١٩٧٤م ، استمعت المحكمة إلى شهود حضروا الواقعة وعذبوا مع الشهيد وهم : عبد المنعم الغزالى الجبيلى وعبد العزيز محمود الصباغ ، وعادل محمود حسين ، ود . سعد الدين أحمد بهجت .

وفي ٢٨ نوفمبر ، وبعد أن استمعت المحكمة إلى مرافعة الدفاع عن زوجة الشهيد وابنتها حنان ، ومرافعة الخصوم ، أصدرت حكمها الذي جاء فيه :

« وحيث أنه فيما يتعلق بموضوع الدعوى ، فقد ثبت في يقين المحكمة أن رجال الشرطة ، وحرس ليمان أبو زعبل تابعي المدعى عليه الثاني بصفته ، قد تجردوا من القيم الإنسانية والأخلاقية حسباً ذكر شهود المدعية ، الذين تطمئن إلى أقوالهم المحكمة ، نظراً لمركزهم الثقافي ، مما لا يتطرق معه الشك في صدق أقوالهم ، واعتدوا بالضرب المبرح على مورث المدعية عن نفسها وبصفتها ، وإتخذوا معه صنوف العذاب التي لا يقرها شرع أو قانون ، ولا يحكمها دين أو خلق ، وتجردوا من آدميتهم في الانتقام من هذا المخلوق الضعيف الذي ساقه القدر إلى قلوب غلاظ تجردت من معاني الخلق وقيم الإنسانية وإنقلبوا وحوشاً آدمية إنتهزت فرصة وقوع فريستها الضعيفة بين أيديهم مجرداً من الحول والقوة ، وإرتكبوا معه من صنوف العذاب وألوان التعذيب ما تقشعر منه النفس ويشيب من هول البدن ، حتى سقط ذلك المخلوق الضعيف صريع هذا الظلم والقسوة بين هذه الأيدي الآثمة ، لا لذنوب جناه إلا جريمة رأى لم يفصل في إرتكابه لها بعد .

وكان في هذا الحكم ما يكفى .

أما بخصوص رسالة شهدى إلى عبد الناصر فقد جاء فيما ما يلى :

مذكرة من شهدى عطية

إلى الرئيس جمال عبد الناصر

من داخل السجن

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

إنى أشعر يا سيادة الرئيس بقوة قاهرة تدفعنى دفعاً إلى الكتابة إليكم ، مهما تعرضت في سبيل ذلك للمخاطر - نعم .. أنى أعرف أنى مقدم لمحكمة أمن الدولة كالتهم الأول في قضية شيوعية (ولو أن جلستها لم تحدد بعد) .. ونعم إنى أدرك أن الفصل فى أمرى إنما يجب أن يترك لهذه المحكمة . ولكنى أشعر أن قضية الوطن أكبر من كل شيء ، وأن محاكمتى ليست مجرد محاكمة لفرد بتهمة يعاقب عليها قانون العقوبات .. إنما هى أخطر من ذلك بكثير .. إنها قضية مبدأ وقضية جزء من أبناء هذا الوطن ، هم من أخلص المؤيدين لزعامتكم الوطنية ولسياستكم التحررية ، وللأسس الاجتماعية والاقتصادية التى شيدتموها بموجب هذه السياسة ، ومع هذا فهم يوضعون اليوم موضع المحاكمة والإتهام ! وياله من إتهام ! إتهام بقلب

نظام حكم وطني هم من أشد الناس حرصاً عليه ، ومن أكثر الناس استعداداً لبذل ذمهم دفاعاً عنه .

والواقع ، إن القضية ليست قضية الشيوعية ، ولا المبادئ الشيوعية ولا حتى التنظيمات الشيوعية ، فقد كانت هذه موجودة كلها .. أو مفروض وجودها على الأقل في السنوات الثلاث ما بين ١٩٥٦ - ١٩٥٩ م ، وهي مع هذا لم تكن تتعرض لمثل هذا الهجوم على نطاق واسع ، ولمثل هذه المحكمات . وقد قرأت قرار الاتهام بإمعان فلم أجد إشارة واحدة ، ولو من بعيد ، تدل على إنه نفي إلى علم المباحث أن تغيراً مفاجئاً قد تم في خط الشيوعيين المصريين ، كأن قرروا مثلاً التحول من التأييد إلى الهجوم ، أودعوا بشكل مباشر أو غير مباشر ، خفي أو ظاهري إلى قلب نظام الحكم القائم ! مجرد الدعوة إلى مظاهرة أو لأي تحرك من التحركات ، أو حتى مجرد إثارة الخواطر .

وقد كان هذا تعبيراً ولا شك عن خلاف في أوجه النظر بالنسبة للقضايا التي تشغل بال القومية العربية ، قضية الوحدة السياسية وما يتصل بها .

وكان طبعياً أن يحدث هذا الخلاف ، فأجزاء الوطن العربي مختلفة في درجة تطورها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية . ومن ثم لم يكن شاذاً قط أن تتعدد أوجه النظر وأن ينشأ الخلاف ، كما ينشأ بين أفراد الأسرة الواحدة ، ولكن الأمر الذي كان شاذاً حقاً هو أن يتحول هذا الخلاف إلى خصومة وعداء بين حكومتين عربيتين حديثتين مستقلتين وأن تنقسم القوى العربية الوطنية إنقساماً مشبعاً بالعداوة والخصومة وروح الانتقام .

وما كان هذا ليحدث قط لو أن قوى رجعية لم تنتهز فرصة الخلافات ، لتضرم فيها النار ولتضخم فيها ولتهول من أمرها ، حتى يتحقق الانقسام في الصف العربي والصف الوطني - وقد كان الإستعمار وإتباع الإستعمار وذبوله في بلاد العرب على رأس هذه القوى الرجعية . فإن من كان يتبع وكالات الأنباء الغربية والصحف الغربية الإستعمارية ، والصحف التركية والإسرائيلية وغيرها ، كان يهوله الكذب والتهويل والتحريف .. الشيوعيون قد أصبحوا هم حكام العراق . الشيوعيون العراقيون والسوريون وقد أجمعوا على فصل سوريا عن مصر وضمها للعراق .. المفاضلة بين نظامي الحكم في العراق والجمهورية العربية المتحدة ، أيهما أكثر ديمقراطية والمفاضلة الرجلين جمال وقام أيهما أكثر معقولة بالنسبة للإستعمار .

دعايات مسمومة كانت تنصب بها على شيء واحد هو توسيع هوة الخلاف بين الجمهوريتين ، تحطيم كل مسعى لحل مشاكلهما سلمياً ، تحطيم كل خطوة لتحقيق التضامن والإتحاد بينهما ، لأن الإستعمار والصهيونية كانا يدركان جيداً - إن تمام التضامن والإتحاد

بين الجمهوريتين إنما هو إنذار والتصفية النهائية الكاملة للنفوذ الإستعماري في الوطن العربي وإنما هو إيدان بالقضاء التام على كل إتباع الإستعمار وأفكاره في الشرق العربي .

ولكن الإستعمار والصهيونية وإذناهما ، لم يكن ليكتفو بالتفرقة والإنقسام بين الجمهوريتين ، إنما أرادوا أن يشعلوها ضراماً في الشرق العربي كله ، بأن تنقسم الصفوف الوطنية بين شيوعيين وقوميين ، يتطاحنون معا - ويضرب بعضهم بعضا ، حتى تنجح الثغرة للإستعمار والصهيونية فيضربا ضربتهما ، وحتى يشتد ساعد إتباع الإستعمار في داخل الشرق العربي وتزداد سطوتهم تحت ستار مكافحة الشيوعية ، وحتى لو إرتفعت أصوات هؤلاء الأذئاب تزعم أن الخطر الإستعماري قد زال أو أوشك أن يزول وإن القضية الرئيسية هي لمن تكون السلطة ، ثم وعلى أي غرار يكون شكل الحكومة أتكون ديموقراطية شيوعية أم ديموقراطية وطنية ، لا شرقية ولا غربية !

وقد كان الإستعمار وعملاء الإستعمار على إمام كامل بالحقائق كانوا يعرفون جيداً أن الشيوعيين العراقيين لم يكونوا بالقوى التي يستطيعون بها الإستيلاء على الحكم حتى لو فرض وأرادوا ذلك ، وكانوا يعرفون جيداً إن الشيوعيين في الإقليم المصري من أشد أنصار الحكم الوطني إخلاصاً ، وأكثرهم دعوة للشعب الإلتفاف حول زعامة عبد الناصر ، لا للجمهورية وحدها ، وإنما للشرق العربي بأسره . وكانوا يعرفون أن الشيوعيين حملة لواء الجبهة الوطنية المتحدة التي تضم العمال والفلاحين والمثقفين والرأسماليين الوطنيين وصغار الملاك من أجل دفع الوطن إلى الإمام ، ومن أجل معركة البناء وهذا الأمر كان يغيظهم أشد الغيظ ، ويؤلمهم أشد الإيلام ، وعلى هذا كان الإستعمار وعملاؤه يدركون أن الشيوعيين المصريين أبعد ما يكونوا عن التفكير حتى مجرد التفكير - في قلب نظام الحكم أو الإستيلاء على السلطة .

ولكن الإستعمار وعملاؤه كانوا يريدون بإشعال نار الخلافات بإثارة البغضاء والتشكك ، أن تتسع الحملة على الشيوعية ، فتخرج من نطاق العرب إلى الشيوعية في كل مكان ، فنزعز الجمهورية العربية المتحدة عن المعسكر الإشتراكي وعن عونه الأدبي والمادي والسياسي والإقتصادي . فلا يبقى لها إلا أحد أمرين - إما أن يشتد بأس هؤلاء الأتبعاء فيقوضون الحكم الوطني ، حين يتم إنعزاله داخلياً ودولياً .

تلك كانت خطة الإستعمار وعملائه وإن لم تكن هذه هي القوة الرجعية الوحيدة .. كان هناك الإقطاع على النطاق العربي ، وبقايا الإقطاع في النطاق الداخلي كان هناك بقايا الباشوات الذين أنزلت بهم الضربات تلو الضربات . وكانت هناك الإرسنقراطية الجديدة التي ارتفع دخلها من ٧٠ إلى ٧٠٠ جنيه في الشهر الواحد والتي أخذتم تهديدون - في خطابكم

الرائع بالمؤتمر التعاوني في نوفمبر ١٩٥٨ م - إن لم يرتدع أفرادها ويفكروا في مصلحة الوطن !

هذه القوى الرجعية كلها كان من مصلحتها ياسيادة الرئيس أن تشعل نار الخلافات ، وإن تنفخ في الحزازات لتحولها لهيباً . نعم . فقد كانت هذه القوى الرجعية تدرك أن سياسة الجمهوريتين العربيتين المتحررتين ، لم تكن موجهة ضد الإستعمار فحسب ، إنما هي أيضاً موجهة ضد الإقطاع ، وضد الإحتكار وضد سيطرة رأس المال على الحكم ، وأن إتحاد هاتين الجمهوريتين إيذان بتحقيق هذه السياسة كاملة ، أى إيذان بضرب الإقطاع سند الإستعمار على النطاق العربى . وإنذار بتصفية بقايا الإقطاع في الجمهوريتين ، وناقوس الخطر بالنسبة للإحتكار وكل إتجاه إحتكارى ، مما يهدد مصالحهم ونفوذهم في الصميم ، ومن ثم وزعوا أنفسهم على النطاق العربى ، ما بين متظاهر بتفضيل قاسم ، ومتظاهر بإيثار جبال ! والكل يعمل على إشعال نار الخلاف ، وإضافة الجديد من الوقود .

كل يوفر صدر هذه القوى الوطنية على تلك ، ويعمل على الإمعان في تقسيم الصفوف ، وكان إن اصططلحت هذه القوى الرجعية كلها ، أن توحه ضربتها الرئيسية للشيوعية والشيوعيين وخاصة في الإقليم الجنوبي ، أولاً حتى تتخلص من قوة من أشد القوى حرصاً على تنفيذ سياسة عبد الناصر التحررية نصاً وروحاً - وهى السياسية التى تعادى مصالحهم - وثانياً حتى تحول أنظار الحكم الوطنى والزعيم عبد الناصر من الضربات التى كان يكيلها لها أو التى كان يعتزم كليها لها ، من حد للأرباح ، وتخفيض لتكاليف المعيشة ، ومزيد من إخضاع القطاع الخاص للقطاع العام ، وتطهير الشركات والقطاع الحكومى من الجشعين والمبذرين والمرتشين ، ومن المضى في التوسع في تطبيق الإصلاح الزراعى ، وثالثاً حتى يتاح لها في غمرة التوسع في تطبيق الإصلاح الزراعى .

وثالثاً : حتى يتاح لها في غمرة الحملة ضد الشيوعية أن تقوى نفوذها الإقتصادي والسياسى ، وأن تضعف وتخرب التشريعات والتدبيرات التى اتخذت ضدها في السنين الأخيرة ، وأن يشتد بأسها حتى تستطيع يوماً أن تقول لا لأى تشريعات جديدة موجهة ضدها ، أو أن تحيلها حبراً على ورق بمجرد صدورها ، بل أن يبلغ بها إشتداد البأس إلى درجة أما أن تسيطر تماماً على الحكم الوطنى أو تهدمه من أساسه لتكون لها السيطرة من جديد ، حتى ولو على حساب استقلال هذه الأمة ، وكرامتها وحريتها ، حتى ولو أسلمت البلاد للسيطرة الإستعمارية والصهيونية .

هكذا كانت خطة الرجعية على النطاق العربى وفي النطاق الداخلى ، وقد تلاقت هذه

الخطة تماماً مع خطة الإستعمار والصهيونية .

يا سيادة الرئيس :

إني عندما أتوجه إلى سيادتكم بهذا الخطاب ، فإنما أخطبكم من الأعماق وبكل إخلاص وأمانة . ها هي ٩ شهور قد مضت على بدء هذه الحملة ضد الشيوعية . فلنرَ حصيلتها على النطاق العربى . هل أزالنا الجفوة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ؟ هل قضت على أوجه الخلاف بينهما ؟ هل مهدت السبيل لتحقيق الوحدة أو الإتحاد بينهما ؟ هل مهدت السبيل لتحقيق الوحدة أو الإتحاد أو حتى التضامن بينهما ؟ والتضامن والإتحاد بين هاتين الجمهوريتين المتحررتين المستقلتين بالذات ، هو اليوم فعلا عماد التضامن العربى بأسره ، وركنه الركين وحصنه الحصين ؟

ثم ، ألا ترى النظام الملكى فى الأردن هو الذى توطدت أركانه ، والنظام الملكى فى السعودية - الذى سبق أن تأمر على حياتكم الغالية - هو الذى ثبتت أوصاله وأن أبا رقية لا زال ماضياً فى غيه ؟

ثم لنرَ حصيلة هذه الحملة فى نطاق الجمهورية العربية المتحدة ! ألم يفز رجال حزب الشعب فى انتخابات الإتحاد القومى فى الإقليم الشمالى ، وكلنا نعلم من هو حزب الشعب . ألم يكن أقوى عميل فى سوريا لحلف بغداد ولنورى السعيد وللوحدة مع العراق الملكية ؟ ألم تفز هنا فلولا الأحزاب المنحلة ومن رجال العائلات الإقطاعية فى إنتخابات الإتحاد القومى فى الإقليم الجنوبى ، وكلنا يعلم أنهم فى جوهرهم معادون للحكم الوطنى لأنه قد حرمهم من كثير فى نفوذهم السياسى والاقتصادى .

ثم .. ألا نجد المعارضة تشدد لقراركم الرائع الذى صدر بتحديد أرباح الشركات أوائل عام ١٩٥٩م ، وقانون التأمين الإجتماعى .. بل ألا نرى التخريب من كل مكان بالنسبة لقراراتكم الموقفة الأخيرة بتخفيض تكاليف المعيشة ؟

ولنسأل يا سيادة الرئيس حتى بالنسبة لحقل صحافة من أكثر الجرائد اليوم توزيعاً ؟ أليست أخبار اليوم التى تجتذب اليوم كثيراً من الصحفيين ، والتى كانت أيام الملك أشد الصحف ملكية ، وأيام مشروع صدق - ينفذ أشد الناس مناداة بتوقيعه ، وأيام المعركة المسلحة فى القتال أواخر ١٩٥١م أشد الصحف تشكيكاً فى فائدة المعركة ، ألا ترى يا سيادة الرئيس موقفها المائع الباهت من أمريكا وتصريحاتها الأخيرة بالنسبة لمشروع الجزائر ، وبالنسبة للملاحقة فى القتال .

يا سيادة الرئيس :

ثم ماذا كان موقفنا نحن رغم إعتقالنا ، رغم كل ما لاقيناه من عنف وإرهاق ؟ ألم تكن هذه محنة ما أقساها محنة ؟ ومع هذا لم ترحزحنا قيد أنملة عن الثقة بوطنيتك ، وعن الثقة فيك كزعيم هذا الشعب حولك وحول حكمك الوطنى ، تحالف كافة الطبقات الوطنية من أجل تنفيذ برنامجك البنائى تكاتف هذه القوى كلها فى داخل الإتحاد القومى وتحويله فعلا إلى تنظيم فعال للشعب كله .

تأكيد وحدة مصر وسوريا التى هى الحصن الحصين للعرب كافة ، وإدانة كل حركة انفصالية أو أضعاف لهذه الوحدة بأى شكل من الأشكال وحل مشاكلها على أسس من شأنها تعديم الوحدة لا إضعافها .

إزالة الشقاق والجفوة بين الجمهوريتين ، وتناسى الاحقاد فى سرعة وحسم ، وتمهيد الجو للتضامن بين الشقيقتين ، كخطوة لتحقيق الاتحاد بينهما مما يمهد بدوره للوحدة الشاملة العربية ، ونحن ننتظر من الدولة الأكبر وهى الجمهورية العربية المتحدة ، ومن الزعيم الأكبر وهو جمال عبد الناصر ، أن يكونا هما الأرحب صدرا وهما الساعيان لإزالة هذه الجفوة ، فالشقيقة الكبرى هى التى ينتظر منها الصبر والحكمة وإزالة مخاوف الشقيقة الصغرى ، وليس فى هذا ما يغض من كرامتنا ولا عزتنا ، وإنما فى هذا ما يؤكد زعامتكم وقيادة الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها الأقوى ما لا وجيشا وموارد وفيرة .

تأكيد العلاقات الودية مع المعسكر الإشتراكى ، فكما أنه ثبت أنه الصديق فى المحنة الماضية ، فقد استمر فى صداقته فى هذه المحنة القاسية ، فلم يتأخر عن الوقوف بصلابة ضد مؤامرات الإستعمار والصهيونية ، بتجميع الصف العربى كله ، والصف الوطنى جميعه ، وإعداد ما نستطيع من قوة اقتصادية وقوة عسكرية لمواجهة أى عدوان أو ضغط .

هذه هى سياستنا ، وهذا هو تطبيق مبادئنا وهى تنطبق تماما مع سياستكم الوطنية التحررية ، لأننا لسنا اليوم ولا فى السنين العشر القادمة بصدد تطبيق الإشتراكية ، وإنما نحن اليوم بصدد إستكمال ما بدأت ثورة ٢٣ يوليو ، تحرير الوطن العربى من الإستعمار ، وتحرير اقتصادنا من مخلفات الإستعمار وإرساء قواعد الديمقراطية فى إطار التحالف الوطنى لكافة القوات الوطنية .

يا سيادة الرئيس :

ألم نحن الوقت والإستعمار يتلمز مرة أخرى لنا ولقتالنا نحتاج كفالة حرية المرور للسفن

الصهيونية والإستعمار ماضى فى غيه بالنسبة لشقيقتنا الجزائر ، والإستعمار ماضى فى إستخدام ضغطه الإقتصادى أن يلتزم الصف الوطنى والصف العربى فى سرعة وحسم وأن تزال الجفوة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة فى قوة وشجاعة ، وإنكم تستطيعون هذا ، بل أنتم وحدكم تستطيعون هذا ، بوقف محاکمتنا ، ووقف هذه الحملة بالإفراج عنا ، حتى تشعر كافة القوى الديمقراطية وجميع القوى التقدمية (حتى غير الشيوعية) بشروق الشمس وتبدد السحب القاتمة التى حجبت نورها طوال هذه الشهور التسع .

وهل لى يا سيادة الرئيس أن أطمع فى أن تبعث بمندوب نظمئن إليه من قبلكم أستطيع أن أفضى إليه بمكنون قلبى . يا للشكر الذى لا أستطيع أن أسطره هنا فى خطاب لا أدرى فى أى يد قد يقع .

وتفضلوا سيادتكم بقبول أخلص تحياتى وأصدق تمنياتى .

سبتمبر ١٩٥٩ م .

شهدى عطية شافعى^(١)

* ورغم هذه الرسالة العاطفية للغاية .. قتل جنود عبد الناصر (شهدى) ، تماماً مثلما قتل عبد الناصر (الشيوعية) فى مصر رغم محاولات التأميم والتحصير ... فالفعل واحد وإن اختلف أسلوب التنفيذ .

ثالثاً : الصدام الثانى بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر عام ١٩٦٥م :

تميزت الفترة التى واكبت الصدام الأول بين الإخوان المسلمين ومجلس قيادة الثورة ، بأنها كانت فترة عدم استقرار سياسى وصراع مع القوى السياسية القديمة من جهة وصراع فى داخل المجلس من جهة ثانية ، وتميزت العلاقة بين الإخوان والثورة وقتئذ بالتطور من التعاون وقت قيام الثورة وقبلها ، فالصراع المكثوم منذ ٢٣ يوليو حتى ١٤ يناير ١٩٥٤ م .. فالصراع العلنى الذى أخذ شكلاً عنيفاً فى محاولة اغتيال عبد الناصر ، فاعتقالات وإعدام لقيادات الإخوان^(٢) .

(١) نص هذه الشهادة فى كتاب شهدى عطية فى كتاب : الحركة الوطنية المصرية - مصدر سابق .

(٢) كانت المحصلة الأخيرة لصدام ١٩٥٤ كالاتى : ٦ أفراد نالوا حكم الإعدام ، ٨ نالوا حكماً بالأشغال الشاقة المؤبدة ومنهم حسن الهضيبى ، ٨٦٧ أحكاماً مختلفة بالسجن من محاکم الشعب ، ٢٤٥ أحكاماً بالسجن من المحاكم العسكرية .

بالنظام السياسى حيث استطاع النظام أن يواجهه مع الإخوان للمرة الثانية ، وكان من نتائج هذه المواجهة إعدام البعض من قيادات الإخوان وسجن الباقين ، وتطرفهم داخل السجون

ومنذ أكتوبر ١٩٥٤م حتى ٧ أغسطس ١٩٦٥م والعلاقة بين الإخوان المسلمين والنظام السياسى الناصرى مقطوعة ، بسبب الغياب الفعلى لجماعة الإخوان المسلمين داخل السجون ، ولكن التاريخ ينبئنا بأن هذا الغياب لم يكن مانعاً بأى حال من التحرك بالشكل السرى ، ومن خلال عملية تخطيط واسعة النطاق بقيادات جديدة ، كانت وقت الصدام الأول لا تزال حديثة السن والخبرة ، وكان عام ١٩٦٥م هو العام الفاصل فى علاقة الإخوان ليخرجوا منها مع بداية السبعينات وقد تحولت نظرتهم وفلسفتهم للمجتمع المحيط بهم . وليبدأوا سلسلة من المواجهات العنيفة مع النظام السياسى الجديد الذى حاول إحتواءهم وتوظيفهم فى مواجهة القوى الأخرى ، كانت نتيجتها النهائية اغتيال الرئيس أنور السادات يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١م من خلال أحد التنظيمات الدينية السرية .

من هنا فإن الباحث يرى أنه بينما كان الإطار العام الذى توالدت فيه أحداث الصدام الأول حرياً به أن يؤدى إلى وصول الإخوان إلى مقاعد السلطة لو قدر لهم أن يتخلصوا من القيادات الجديدة وخاصة عبد الناصر ، فإن أحداث الصدام الثانى حدثت بين قوتين غير متكافئتين ، وأن محاولة ضرب النظام السياسى الناصرى ، لم تكن تجدى وخاصة أن عمليات التنمية قد سبحت سياسياً واجتماعياً البساط من تحت الأقدام المعارضة له . وفى هذا المبحث يدرس الباحث أربع جزئيات هى :

١ - الإطار العام للصدام الثانى : فى النصف الثانى من عام ١٩٦٥م كانت الخطة الخمسية الأولى قد أوشكت على الإنتهاء ، وزادت معدلات التنمية خلالها ، ولأول مرة فى مصر ، عن زيادة السكان ، وتدل الإحصاءات الرسمية على أنه من بين سنة ١٩٥٤م - ١٩٥٥م و ١٩٦٤م - ١٩٦٥م زاد الإنتاج المحلى من بليون جنيه إلى ١,٩

بليون ، ومخصصات الإستثمار السنوية من ١٧٠ مليون جنيه إلى ٣٦٤ مليون جنيه ، وفى نفس الفترة زاد مجموع الإستهلاك الخاص من ٧٥٣ مليوناً إلى ١٣٣٠ مليون جنيه ، والإستهلاك العام من ١٤٠ مليوناً إلى ٤٣٠ مليون جنيه ، أى بنسبة ١,٧٪ سنوياً للإستهلاك الخاص و ٨,٨٪ سنوياً للإستهلاك العام لكل سنة ، وأدى هذا التوسع الكبير إلى زيادة العمالة من ٦ ملايين فى عام ١٩٥٩م / ١٩٦٠م إلى ٧,٣ مليون فى عام ١٩٦٤م / ١٩٦٥م بزيادة ٢٢٪ أى بزيادة قدرها ١٣٠٠٠,٠٠٠ ألف عن الرقم المستهدف فى الخطة .

وكان أحد أهداف الخطة الأولى مضاعفة إنتاج قطاع الصناعة والتعدين والكهرباء ليرفع نصيبه في الناتج المحلى الإجمالى إلى ٣٠٪ وتحققت فعلا زيادة الإنتاج بنسبة ٩٪ سنويا ، أى ضعف ما تحقق في الفترة (١٩٤٥م - ١٩٥٢م) لتصبح نسبته إلى الناتج المحلى ٢٣٪ أى بدون الزيادة المخططة ، واستهدفت الخطة أيضا زيادة الإنتاج الزراعى ٢٦٪ إلا أن المحقق فعلاً لم يتجاوز ١٨٪ وزاد إنتاج الطعام خلال فترة الخطة الأولى بنسبة تفوق زيادة السكان .

وعلى المستوى السياسى كان دستور ١٩٦٣م قد صدر واجريت الانتخابات لمجلس الأمة وكان أول مجلس أمة بعد الميثاق ، نصفه من العمال والفلاحين وعقد أول اجتماعاته يوم ٢٥ مارس ١٩٦٤م . وفى هذا الاجتماع قام عبد الناصر بتوصيف المرحلة سياسيا وأسمائها بمرحلة التحول العظيم .^(١) فقام بوضع مبادئ الثورة الستة أمام أعضاء المجلس وقدم عنها تقريراً شاملاً ، ماذا نفذ منها ، وماذا تأخر تنفيذه ، ولماذا ؟ ثم قام عبد الناصر بتحديد ثلاثة أعداء للثورة هم الإستعمار وإسرائيل والصهيونية العالمية والرجعية العربية ، ثم حدد أهدافاً ثلاثة للمرحلة الجديدة هى : التنمية المتواصلة لمضاعفة الدخل ، وتأكيد القيم الثورية ، وتحقيق الوحدة العربية^(٢) .

وإستكمالاً لتوصيف هذه المرحلة حدد عبد الناصر المشكلات التى تواجه مصر وتحتاج إلى مواجهة وهى : مشكلة الزراعة ، وتطور الصناعة الثقيلة ، ومشكلة ثلاثة ملايين من العمال الزراعيين ، ومشكلة الإدارة الحكومية ومشكلة ضبط الأسعار ، ومشكلة تنظيم الأسرة ، ثم التعود على النقد الذاتى الشجاع^(٣) .

عام ١٩٦٥م ، إذن ، كما أسماه عبد الناصر بنق كان عام التحول نحو البناء الشامل فى الداخل ، وكان الوطن العربى يطغى بالإنقسامات والثورات التى كانت على قممها ثورة اليمن وثورة الجزائر ، وشهد مواجهة إستعمارية جديدة مع قوى التحرر الوطنى فى العالم الثالث يومئذ ، حيث أمكن تنحية السيدة باندرانيكة وحزبها عن الحكم فى سيلان وانشغلت الهند عن جهود التنمية فى حرب شاملة فى باكستان ، وبدأت الغارات على فيتنام الشمالية ، فى أغسطس عام ١٩٦٤م ثم الغزو الأمريكى البلجيكى للكونغو فى أكتوبر ١٩٦٤م ، وكانت حركة التحرر الأفريقية يومئذ تواجه إستكمال تصفية الإستعمار وواجهت تنزانيا مؤامرة

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٦٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

لقلب نظام الحكم كرد فعل لموقف نيريرى من ثورة الكونغو واستطاعت أن تتغلب عليها وتتخذ قرارات تأميم واسعة .

وفى وثائق الرئيس الأمريكى إيزنهاور ما يؤكد الموقف المعادى لعبد الناصر حيث كان يرى أنهم قد وصلوا إلى قناعة مفادها أن مصر تحت حكم عبد الناصر لن تقوم بأى بادرة على الإطلاق للتقارب مع إسرائيل أو الغرب عموماً . فى هذا السياق حدث الصدام الثانى بين النظام السياسى والإخوان ، ويرى أحمد حمروش كيف أنه قام بعض أعضاء طليعة الإشتراكيين بكشف تنظيم سيد قطب فقام عبد الناصر بإبلاغ هذه المعلومات إلى وزارة الداخلية ، ولكن وزارة الداخلية وبعض الجهات الحكومية أخفقت فى كشف هذا التنظيم ، وأن عبد الناصر إزاء إصرار أعضاء تنظيم طليعة الإشتراكيين على وجود تنظيم لم يجد بداً من الإستعانة بالمباحث الجنائية العسكرية التى أمكنها أن تضع يدها على تنظيمات وخلايا عديدة^(١) .

٢ - وجهة نظر الإخوان المسلمين فى صدام ١٩٦٥م :

ويشير الإخوان فى هذا الصدد أمرين ، أولهما إنشاء التنظيم وتطور نشاطه ، وثانيهما : حدوث التعذيب داخل السجون ، أما فيما يتعلق بإنشاء التنظيم فإن مجمل تراث الإخوان بشأنها يشير إلى عدة حقائق حول حقيقة إنشاء تنظيم سرى للإخوان بزعامة سيد قطب ، وتطور نشاطه السياسى والدينى إلى حد الصدام مع النظام السياسى القائم وذلك على النحو التالى :

أ - **بدايات التنظيم** : بدأ التنظيم عام ١٩٥٧م بعلم المرشد العام وقتئذ حسن الهضيبى بهدف إجتماعى هو معونة أسر المعتقلين والمسجونين ، ثم تحول فيما بعد إلى نواة للتنظيم .

وكان كتاب (معالم فى الطريق) الذى ألفه سيد قطب هو المنهج الفكرى للتنظيم حيث رأى أنه حين تكون الحاكمية العليا فى مجتمع لله وحده ، متمثلة فى سيادة الشريعة الإلهية ، تكون هذه هى الصورة الوحيدة التى يتحرر فيها البشر تحراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر وتكون هذه هى الحضارة الإنسانية ، وحيث أن المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة واختيارهم الذاتى هو « المجتمع المتحضر » ، أما

(١) بشكل موسع انظر أحمد حمروش : مجتمع عبد الناصر الجزء الثانى ، مصدر سابق .

المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على أمر خارج عن إرادتهم الإنسانية ، فهو المجتمع المتخلف ، بالمصطلح الإسلامى هو المجتمع الجاهلى « وحيث المعركة - وفقاً لهذا المنهج - بين المسلمين وخصومهم ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها ، وسهل حل أشكالها ولكنها فى صميمها معركة عقيدة ، أما كفر أو إيمان وإما جاهلية أو إسلام .

ويرى أيضاً أن هدف الإسلام لم يكن فى يوم من الأيام هو تحقيق القومية العربية حيث : «ان هدف الإسلام لم يكن تحقيق القومية العربية ، ولا العدالة الاجتماعية ولا سيادة الأخلاق ، ولو كان الأمر كذلك لحققه الله على طرفة عین ، ولكن الهدف هو إقامة مجتمع الإسلام الذى تطبق فيه أحكام القرآن تطبيقاً حرفياً ، وأول هذه الأحكام أن يكون الحكم نفسه لله ، وليس لأى بشر أو جماعة من البشر وأن أى حاكم إنسان بل أى ، مسئول بإنسان ، وإنما ينازع الله سلطته ، بل أن الشعب نفسه لا يملك حكم نفسه لأن الله هو الذى خلق الشعوب وهو الذى يحكمها بنفسه» .

وبعودة إلى البدايات العملية للتنظيم نجده قد بدأ وفقاً لإعترافات أعضائه فى جمع الأسلحة وتوظيف طاقات الشباب فى صنع المتفجرات ووضع خطط لاغتيال عبد الناصر وعدد من المسئولين والفنانين ، وكان تدريب الخلايا يتم على ثلاث مراحل : مرحلة الإعداد الروحى ، ثم الإعداد الجسدى بالمصارعة والمشى ، ثم التكليف بأعمال التنفيذ ، وكان للتنظيم أجهزته المختلفة فكان هناك جهاز لجمع المعلومات وآخر للإستطلاع وثالث لجلب المراسلات والأموال من الخارج ورابع لشراء السلاح وتخزينه بالقاهرة وخلية كيمياوية لصنع المواد الحارقة وأخرى من المهندسين لمعاينة الأماكن التى ستنسف وإمكانية ذلك .

ووضع التنظيم خططا لنسف عدد من الكبارى وكذلك المصانع ومحطات الكهرباء ومطار القاهرة ومبنى التليفونات وبعض مراكز المرافق ، وقد أعدت خرائط تم ضبطها لهذه المواقع كلها ، وحرق عدد من دور السينما والمسارح لإحداث ذعر ، يتقدم بعده التنظيم إلى الحكم بغير معارضة وذلك حتى يقوم مجتمع الإسلام . ووضعت أكثر من خطة لاغتيال عبد الناصر وفقاً للرواية الرسمية واعترافات الأعضاء واحدة منها أثناء موكبه الرسمى فى القاهرة ، أو فى الأسكندرية ، وكان هناك من يراقب سير الموكب فى أماكنه المختلفة ووضعت خطة أخرى لنسف القطار الذى يستقله الرئيس فى طريق إلى الإسكندرية للإحتفال بعيد الثورة وثالثه لاغتياله فى شارع الخليفة المأمون وهو فى طريقه إلى بيته بمنشية البكرى .

وتؤكد الوقائع السابقة ما يقوله (سيد قطب) فى الوثيقة الهامة التى كانت آخر ما كتبه

قبل إعدامه^(١) وجاءت أقواله التي نوردتها هنا بنصها على النحو التالي :

يقول سيد قطب :

خرجت من السجن ، وفي تصوري صورة خاصة محددة لما يجب أن تكون عليه أية حركة إسلامية في الظروف العالمية والمحلية الحاضرة وصورة لخطوات المنهج التي يجب أن تسير عليه . وقد ذكرت ذلك من قبل ولكني أخصه هنا قبل البدء في التفصيلات :

١ - المجتمعات البشرية بجمليتها قد بعدت عن فهم وإدراك معنى الإسلام ذاته ، ولم تبعد فقط عن الأخلاق الإسلامية ، والنظام الإسلامي ، والشرعية الإسلامية . وإذن فأية حركة إسلامية يجب أن تبدأ من إعادة تفهيم الناس معنى الإسلام ومدلول العقيدة وهو أن تكون العبودية لله وحده . سواء في الاعتقاد بألوهيته وحده ، أو تقدير الشعائر التعبدية له وحده ، أو الخضوع والتحاكم إلى نظامه وشريعته وحدها .

٢ - الذين يستجيبون لهذا الفهم يؤخذ في تربيتهم على الأخلاق الإسلامية وفي توعيتهم بدراسة الحركة الإسلامية وتاريخها وخط سير الإسلام في التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية ، والعقبات التي كانت في طريقه والتي لا تزال تتزايد بشدة ، وبخاصة في المعسكرات الصهيونية والصليبية الإستعمارية .

٣ - لا يجوز البدء بأي تنظيم إلى بعد وصول الأفراد إلى درجة عالية من فهم العقيدة ومن الأخذ بالخلق الإسلامي في السلوك والتعامل ومن الوعي الذي تقدم ذكره .

٤ - ليست المطالبة بإقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية هو نقطة البدء . ولكن نقطة البدء هي نقل المجتمعات ذاتها - حكاماً ومحكومين - عن الطريق السالف إلى المفاهيم الإسلامية الصحيحة - وتكوين قاعدة إن لم تشمل المجتمع كله فعلى الأقل تشمل عناصر وقطاعات تملك التوجيه والتأثير في إتجاه المجتمع كله إلى الرغبة والعمل على إقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية .

٥ - وبالتالي لا يكون الوصول إلى إقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية عن طريق انقلاب في الحكم يحىء من أعلى ، ولكن عن طريق تغير في تصورات المجتمع كله - أو مجموعات كافية لتوجيه المجتمع كله - وفي قيمة وأخلاقه والتزامه بالإسلام يجعل تحكيم نظامه وشريعته فريضة لا بد منها في حسمهم !

(١) سيد قطب : لماذا أعدموني : كتاب الشرق الأوسط - الشركة السعودية للأبحاث والتسويق

٦ - في الوقت ذاته تجب حماية هذه الحركة ، وهي سائرة في خطواتها هذه بحيث إذا إعتدى عليها وعلى أصحابها يرد الإعتداء . وما دامت هي لا تريد أن تعتدى ، ولا أن تستندم القوة في فرض النظام الذى تؤمن بضرورة قيامه - على الأساس المتقدم وبعد التمهيدات المذكورة - والذى لا يتحقق إسلام الناس إلا بقيامه حسب ما يقرر الله سبحانه . ما دامت لا تريد أن تعتدى ولا أن تفرض نظام الله بالقوة من أعلى فيجب أن تترك تؤدى واجبها وألا يعنى عليها وعلى أهلها . فإذا وقع الاعتداء كان الرد عليه من جانبها .

هذه كانت الصورة المتكاملة في تصورى لأية حركة إسلامية حاضرة .. ولكن حدث إن التقيت بعد خروجى على التوالى بالشبان الآتية أسماؤهم - من بين من التقيت بهم من الإخوان وغير الإخوان ممن لهم إتجاه إسلامى : عبد الفتاح إسماعيل - على العشماوى - أحمد عبد المجيد - (وقد عرفت بقية اسمه هنا في السجن الحرى) مجدى صبرى .. وعلمت منهم بعد لقاءات متعددة أنهم مكونون بالفعل تنظيماً يرجع تاريخ العمل فيه إلى حوالى أربع سنوات أو أكثر ، وأن أقلية منه ممن سبق اعتقالهم أو ممن لم يكونوا من الإخوان من قبل ، وأن هذا التنظيم تم بأن كلا منهم على إنفراد فكر في وقت من الأوقات السابقة - في هذه السنوات من ضرورة العمل لإعادة حركة الإخوان المسلمين وعدم الإكتفاء بهذه الصورة القائمة لوجود الجماعة ، وهي أن تكون هناك بعض الإشتراكات والمساعدات لإعالة الأسر التى لم يعد لها مورد رزق ، مع مجرد التجاوب الصامت بين الإخوان والقعود والإنتظار ، وأنهم في أثناء تحريكهم كل على حدة لتنظيم أى عدد من الإخوان الراغبين في الحركة أو تحريكهم التقوا بعضهم ببعض ، وبعد أن إستوثق بعضهم من بعض إنضموا كل بالمجموعة التى كانت قد إنضمت إليه وكونوا هذا التنظيم الواحد . وأنهم - وكلهم من الشبان القليل الخبرة - ظلوا يبحثون عن قيادة لهم من الكبار والمجربين في الجماعة ، فإتصلوا بالأستاذ فريد عبد الخالق ، كما إتصلوا بإخوان الواحات (الذين إتصلوا بالأستاذ فريد كلهم والذى إتصل بالواحات عبد الفتاح) وبغيرهم ، ولكنهم لم يجدوا حتى الآن قيادة لهم ، ذلك أنهم بعد أن قرأوا كتاباتى وسمعوا أحاديثى معهم قد تحولت أفكارهم وتوسعت رؤيتهم إلى حد كبير .

وقد كانوا يفكرون من قبل على أساس أن المسألة مسألة تنظيم مجموعة فدائية لإزالة الأوضاع والأشخاص التى ضربت جماعة الإخوان المسلمين وأوقفت دعوتهم ، وإقامة الجماعة وإقامة النظام الإسلامى عن هذا الطريق .. أما الآن فقد فهموا أن المسألة أوسع من ذلك بكثير وأن طريق العمل طويل ، وأن العمل فى المجتمع يجب أن يسبق العمل فى نظام الدولة ، وأن تكوين وتربية الأفراد يجب أن يسبق التنظيم .. إلى الآخر .. وأن من وراء هم من الشبان

قد أخذوا يتصورون الأمور على هذا النحو إلى حد ما ، ولكنهم هم في حاجة إلى قيادة تزودهم بالمزيد ، وترشدتهم في التحرك ليستطيعوا هم أن يؤثروا فيمن وراءهم ، ويوسعوا إدراكهم ، ويغيروا تصوراتهم ..

وكنت أمام أمرين : أما أن أرفض العمل معهم .. وهم لم يتكونوا على النحو الذى أنا مقتنع به ، فلم يتم تكوين الأفراد وتربيتهم وتوعيتهم قبل أن يصبحوا تنظيمًا وقبل أن يأخذوا في التدريب الفعلى على بعض التدريبات الفدائية .. وأما أن أقبل العمل على أساس تدارك ما فاتهم من المنهج الذى أتصوره للحركة وعلى أساس إمكان ضبط حركاتهم بحيث لا يقع إندفاع في غير محله خصوصاً وبعضهم ينوى فعلاً ، وعقلية البدء بإقامة النظام الإسلامى من قمة الحكم قد تغلب على الفهم الجديد وعلى عقلية البدء بإقامة العقيدة والخلق والاتجاه في قاعدة المجتمع .. وقررت اختيار الطريق الثانى والعمل معهم وقياداتهم .

ولكنى قلت لهم مخلصاً في ذلك ، حقيقة أن الحركة الإسلامية في الظروف الحاضرة تحتاج إلى نظرة واسعة وفهم ووعى الإسلام ذاته وتاريخ حركته وكذلك فهم للظروف العالمية المحيطة بالإسلام وبالعالم الإسلامى ... الخ .. وأنتم تقولون أنكم لم تجدوا قيادة ، وتريدون أن أقوم لكم بهذا الدور ... ولكننى كما تعلمون رجل مريض بأمراض مستعصية على الطب حتى الآن وخطيرة والآجال نعم بيد الله ولكن قدر الله يتم بأسباب يوجدها الله .. لذلك يجب أن تعتمدوا على الله وتحاولوا أن تكونوا أنتم قيادة ، ومهمتى الحقيقية معكم هى بذل كل ما أملك لتوعيتكم وتكوينكم العقلى لتكونوا قيادة .. أما دينكم وخلقكم وتقواكم وإخلاصكم وتعاملكم مع الله فأنا أرى وأحس أنكم سائرون فيها بخير والحمد لله .. وكنت أكرر عليهم هذه المعانى وأتجه بهم هذا الاتجاه ..

وكانت الوسيلة لتحقيق ذلك هى إجتماعى بهم أحياناً مرة كل أسبوع ، وأحياناً مرة كل أسبوعين .. وفي فترات إنشغالى مرة كل ثلاثة أو كل شهر .. وقد بدأت أدرس معهم تاريخ الحركة الإسلامية ، ثم مواقف المعسكرات الوثنية والملحدة والصهيونية والصليبية قديماً وحديثاً من الإسلام ، مع إلمام خفيف بالأوضاع في المنطقة الإسلامية في التاريخ الحديث منذ عهد الحملة الفرنسية ، وأحياناً التعليق على الأحداث والأخبار والإذاعات ، مع محاولة تدريبهم على تتبعها بأنفسهم .. فقد كلفتهم أن يخلصوا منهم ومن بعض من يختارونهم ممن وراءهم تتبع الصحف العالمية والإذاعات العالمية ، وإذا أمكن الكتب التى تصدر باللغتين الإنجليزية والفرنسية وتهتم بالإسلام وبالمناطق الإسلامية .

وحدث أربع مرات أن جاءنى أحمد عبد المجيد بحصيلة تتبعهم للأخبار الصحفية العالمية

والمحلية والإذاعات كذلك . وكانت صورة بدائية ساذجة ، ولكنها الخطوات الأولى الضرورية ، ومنها كنت أعرف مدى عقليتهم العامة .. غير أن جلساتي معهم كانت محدودة بحكم قصر المدة التي اتصلوا بي فيها في مجموعها إذا استبعدنا الفترات التي كنت مشغولاً فيها أو مريضاً أو بعيداً عن القاهرة لا تزيد على ستة أشهر ، ولا تحتل أكثر مما يتراوح بين عشرة أو اثني عشر اجتماعاً ، لا يتسنى فيها إلا القليل وبعضها كان يشغل بمسائل عملية أخرى تختص بموقف التنظيم من بقية الإخوان كما تتعلق بمسائل التدريب وأسلحته .. وبخطة مقابلة الاعتداء على التنظيم وتوقع ضربه حسب ما يتردد من أخبار وإشاعات .. وأظن أن هذه هي المسألة الرئيسية التي تهم المشرفين على القضية أكثر من غيرها .. ولكنني كنت أرى أنه لا بد من عرض الصورة الكاملة التي تساعد على فهم هذه المسألة من كل جوانبها .

ويواصل قطب شهادته بالقول :

كنا قد إتفقنا على استبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم أو إقامة النظام الإسلامي وفي الوقت نفسه قررنا استخدامهما في حالة الإعتداء على هذا التنظيم الذي سيسير على منهج تعليم العقيدة وتربية الخلق وإنشاء قاعدة للإسلام في المجتمع ، وكان معنى ذلك البحث في موضع تدريب المجموعات التي تقوم برد الاعتداء وحماية التنظيم منه ، وموضوع الأسلحة اللازمة لهذا الغرض ، وموضع المال اللازم كذلك .

فأما التدريب فقد عرفت أنه موجود فعلاً من قبل أن يلتقوا بي ، ولكن لم يكن ملحوظاً فيه أن لا يتدرب إلا الأخ الذي فهم عقيدته ونضج وعيه ، فطلبت منهم مراعاة هذه القاعدة ، وبهذه المناسبة سألتهم عن العدد الذي تتوافر فيه هذه الشروط عندهم وبعد مراجعة بينهم ذكروا لي أنهم حوالي السبعين ، وتقرر الإسراع في تدريبهم نظراً لما كانوا يرونه من أن الملل يتسرب إلى نفوس الشباب إذا ظل كل زادهم هو الكلام من غير تدريب وإعداد .. ثم تجدد سبب آخر فيما بعد عندما بدأت الإشاعات ثم الإعتقالات بالفعل لبعض الإخوان ... وأما السلاح فكان موضوعه له جانبان :

الأول : إنهم أخبروني - ومجدي هو الذي كان يتولى الشرح في هذا الموضوع - أنه نظراً لصعوبة الحصول على ما يلزم منه حتى للتدريب فقد أخذوا في محاولات لصنع بعض المتفجرات محلياً ، وأن التجارب نجحت وصنعت بعض القنابل فعلاً ، ولكنها في حاجة إلى التحسين والتجارب مستمرة .

والثاني : إن علي عشاوي زارني على غير ميعاد وأخبرني أنه كان منذ حوالي سنتين قبل التقائنا قد طلب من أخ في دولة عربية قطعاً من الأسلحة ، حددها له في كشف .

ثم ترك هذا الموضوع من وقتها . والآن جاءه خبر منه أن هذه الأسلحة سترسل - وهي كميات كبيرة حوالى عريية نقل ، وإنها سترسل عن طريق السودان مع توقع وصولها فى خلال شهرين .. وكان هذا قبل الاعتقالات بمدة ولم يكن فى الجو ما يندر بخطر قريب .. ولما كان الخبر مفاجئاً فلم يكن ممكناً البت فى شأنه حتى تبحته مع الباقين ، فاتفقنا

على موعد لبحته معهم . وفى اليوم التالى - على ما أتذكر - وقبل الموعد جاءنى الشيخ عبد الفتاح إسماعيل وحدثنى فى هذا الأمر وفهمت أنه عرفه طبعاً من على وكان يبدو غير موافق عليه ومتخوفاً منه . وقال : لابد من تأجيل البت فى الموضوع حتى يحضر صبرى . وقلت له : أننا سنجتمع لبحته .

وفى الموعد الأول - على ما أتذكر لم يحضر صبرى - لذلك لم يتقم تقرير شىء فى الأمر ، وفى موعد آخر كان الخمسة عندى وتقرر تكليف على بوقف إرسال الأسلحة من هناك حتى يتم الإستملاء من مصدرها عن مصدر النقود التى إشتريت بها ، فإن كان من غير الإخوان ترفض ، والإستملاء كذلك عن طريق شرائها دفعة واحدة أو مجزأة وطريقة إرسالها ، وضمانات أنها مكشوفة أم لا ؟ وبعد ذلك يقال للأخ المرسل ألا يرسلها حتى يخطر به إرسالها .

ومضى أكثر من شهر - على ما أتذكر - حتى وصل للأخ على رد مضمونه الباقى فى ذاكرتى : أن هذه الأسلحة بأموال إخوانية من خاصة ما لهم ، وإنهم دفعوا فيما ما هم فى حاجة إليه لحياتهم تلبية للرجبة التى سبق إبدائها من هنا وإنها إشتريت وشحنت بوسائل مأمونة .

ولا أتذكر أن كان هذا الرد أو رد تال جاء بعده قد تضمن أن الشحنة أرسلت فعلاً ولا يمكن وقف وصولها وأنهم يفكرون فى طريق ليبيا إلى جانب طريق السودان أو لأنه قد يكون أيسر عن طريق السودان (لا أتذكر النص بالضبط) والأرجح أنه رد واحد . وعند ذكر ليبيا قلت : أنهم إذا فكروا فى طريق ليبيا فإنى أعرف من يستطيعون مساعدتنا فى نقل مثل هذه الأشياء .. وكنت أفكر وقتها فى اثنين من إخوان ليبيا عرفتهما بعد خروجى من السجن إحداهما (الطيب الشين) وكان يدرس فى مركز التعليم الأساسى بسرس الليان وله علاقة بسائقى عربات النقل بخط الصحراء بين ليبيا ومصر ، والآخر (المبروك) ولا أذكر إن كان اسمه الأول (محمد) أم لا لأنى أعرفه بإسم واحد .. وكان فى مناسبة ذكر لى أن بعض أقاربه يشتغلون بالقوافل بين مصر وليبيا .. ولم أستوضحه وقتها عن القوافل لأنه كان كلاماً عابراً بخصوص ما إذا كان يلزمنى أى شىء ليس موجوداً فى مصر ويمكن الحصول

عليه من ليبيا أو من الخارج وقوله لى أن أطلب أى شيء فنقله مأمون تماماً لأن أقاربه فى القوافل .. كذلك لا أعرف بالضبط نوع التجارة التى يزاوها هو ويحضر من أجلها إلى مصر .. إلا أنه فى مرة قال لى : أنه يستورد من الإسكندرية البرانس التى تلبس فى المغرب وتصنع فى مصر وليس فى المغرب .. ومرة قال لى أن معه شحنة كتب .. ولكنى غير متأكد من نوع التجارة التى يزاوها .

وأما مسألة المال فقد جاء ذكرها مرات فى اجتماعاتنا أو فى أحاديثهم متفرقين معى ، وعرفت أن لدى الشيخ عبد الفتاح مبلغاً ولكنه كان يقول لهم دائماً : أنه هو مؤتمن عليه وهو وديعة عنده لينفق فى أغراض معينة ولذلك فهو لا يمكن أن ينفق منه فى إعانات البيوت مثلاً ولا يملك التصرف فى شيء إلا بإذنه ..

وقد قال لى الشيخ عبد الفتاح مثل هذا الكلام ، ولكن لما عرضت مسألة الإنفاق على الصناعة المحلية للمتفجرات وعلى الإنفاق لتسلم شحنة الأسلحة التى أرسلت بعدما تبين أنه لا يمكن وقفها ولا يمكن تركها كذلك قال إن أى مبلغ تحت تصرفكم . واستأذنى فى هذا فأذنت له ، وفهمت أنه كان يعتبر المبلغ أمانة لا يتصرف فيه إلا بإذن قيادة شرعية ، ولكنى لم أعلم بالضبط مصدر هذا المبلغ ولا مقداره .. كل ما كان واضحاً أنه من الإخوان فى الخارج وليس من أية جهة أخرى .. فهذا ما كنت أحب أن أتأكد منه فى علاقاتهم السابقة لأنى كما قلت لهم لا أجزى للحركة الإسلامية أن تستعين بأجنبى عنها لا فى مال ولا فى سلاح ولا فى حركة .. كذلك لم أعرف بالضبط مقداره ولكنى أستنتج أنه أكثر من ألف جنيه .. فقد جاء ذلك فى كلمات عرضية .. وكان الشيخ عبد الفتاح يقول كذلك ، أنه فى مكان أمين .. ولم أكن أستوضحه عن هذه التفاصيل لأننى كنت أكتفى بأقل قدر منها .. وكذلك كل أعمالهم التنفيذية فقد كان يكفى منها عنده ما يتعلق بالخطة العامة .. أما التفاصيل فكانت متروكة لهم لأنهم أخبر بها منى .. ولكن تبعثها بالطبع تقع على لأن الخطة العامة كانت تتم بموافقتى .. كذلك جاءنا مبلغ مئتى جنيه من إخوان العراق سلمتها للأخ على فور تسلمها ، وكان حاضراً لتكون فى عهدهم وتحت تصرفهم .

تلك هى شهادة سيد قطب كاملة نقدمها دون تدخل من جانبنا لإحقاق الحق وإيماناً منا بأهمية معرفة كل الحقائق وكل الآراء حتى لو اختلفنا معها .

ب - روايات الأعضاء :

بتحليل أهم أجزاء وجهة نظر الإخوان من الأعضاء القياديين يلاحظ أن عبد المجيد الشاذلى المسئول عن الإسكندرية فى التنظيم يقول : أن تدير عملية إغتيال عبد الناصر

وكبار المسؤولين كان محدداً لها وقت متأخر لكن عندما شعر الإخوان أن الحكومة كشفت أمرهم قررت قيادة القاهرة التعجيل بالخطوة وحمل مجدى متولى بإعتباره ضابط الاتصال بهذا القرار إلى قيادة الإسكندرية لتنفيذ الخطة ، ودار نقاش قالت قيادة الإسكندرية أنه ليس لديها الأفراد المدربون على السلاح لتنفيذ الخطة ، لكن قيادة القاهرة ردت بأنها على استعداد لمد الإسكندرية بالإعداد . وقد وقع إختيارهم على منطقة الكورنيش المجاورة لكازينو أندريا الموجود في منطقة المنتزه لمراقبة تحركات المسؤولين . وكان يمكن لشخص أن يصطحب زوجته إلى الكازينو كأي أسرة للمراقبة ، وكان لابد من مراقبة كل المنطقة ، وعلى هذا فقد قرر - أي عبد المجيد الشاذلى - هو شخصياً القيام بذلك ، لولا بعض الظروف فكلف شخصاً اسمه الهامى بدوى بالمراقبة ، لكنه لم يعرف نتيجة ذلك لإلقاء القبض عليه ، ويستطرد قائلاً أنه كان المفروض أن تقم بعد ذلك مجموعة تضم سبعة أشخاص بالتنفيذ ولم يحدث لأن التنظيم قد ضبط^(١) .

أما زينب الغزالي فملخص روايتها يمكن إجماله فى الآتى : أن تنظيم الإخوان بدأ الإتفاق عليه فى السعودية عام ١٩٥٧م وأنه أخذ شكل الدعوة الإسلامية حيث :

«فى الكعبة الشريفة قال لى عبد الفتاح إسماعيل : يجب أن نرتبط هنا ببيعة مع الله على أن نجاهد فى سبيله لا نتقاعس حتى نجمع صفوف الإخوان ، ونفاصل بيننا وبين الذين لا يرغبون فى العمل أيا كان وصفهم ومقامهم . وبايعنا الله على الجهاد والموت فى سبيل دعوته ، وعدت إلى مصر^(٢)» .

وتقول فى موضع آخر : ومع أوائل ١٩٥٨م كانت لقاءاتى قد تعددت بعبد الفتاح إسماعيل فى منزلى ، وفى دار المركز العام للسيدات المسلمات غير أن زوجى الفاضل المرحوم محمد سالم سالم لاحظ تردده وبعض لبنات طاهرة زكية من الشباب المسلم ، على منزلنا فسألنى : هل هناك نشاط للإخوان المسلمين ؟ أجبت نعم ، فسألنى عن مدى النشاط ونوعيته ، قلت إعادة تنظيم جماعة الإخوان^(٣) .

كما ذكرت أنه قد تمت موافقة المرشد العام حسن الهضيبى على هذا التنظيم وقد رشح سيد قطب للإشراف عليه ، ثم تمت عملية مسح شامل لمحافظات مصر لتجنيد أعضاء التنظيم

(١) عبد الله إمام : مصدر سابق ، ص ٢١٤ - ٢٢١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥ .

(٣) زينب الغزالي : أيام من حياتى (القاهرة ، دار الشرق ، ١٩٧٨) ص ٣٣ .

الجديد ، وقام بها عبد الفتاح إسماعيل ، وبعد ذلك اتجهت الدعوة إلى تأكيد عدم شرعية حل تنظيم الإخوان المسلمين ، وعدم الاعتراف أو الولاء للنظام السياسى القائم لأنه لا يحكم بالقرآن الكريم ، وتصل الأمور إلى ذروتها فى رواية زينب الغزالى عندما تؤكد أن المخبرات الأمريكية والروسية والصهيونية العالمية قد قدمت تقاريرها إلى عبد الناصر مشفوعة بتعليمات بضرورة القضاء على هذه الحركة الإسلامية^(١) .

وتتفق أغلب روايات الإخوان على أن فكرة التشكيل بدأت خلال الفترة (١٩٥٧م - ١٩٥٩م) بهدف تجميع الإخوان الذين خرجوا من السجون بتشكيل تنظيمى مع التركيز الدينى والعقائدى ، وتكونت المجموعة من مجدى متولى ، ومن عبد المجيد الشاذلى وصلاح شاهين ورشاد الجندى ، ثم إلتقت هذه المجموعة الرباعية بأربعة آخرين هم عبد المجيد محمد عبد المجيد الذى كان خراطاً فى السد العالى ، والمهندس أحمد فريد الذى كان وقتها طالباً فى الهندسة والطبيب عبد الفتاح الجندى الذى كان وقتها طالباً فى الطب والمهندس عادل زهرة ، وإلتقت المجموعتان وانتخب رشاد الجندى رئيساً لأنه الأكبر سناً والأكثر تعقلاً ولأنه من بلقاس حيث يمكن القيام باتصالات مع آخرين ، وتم تفويضه فى الإتصال بمن لهم أفكار متشابهة .

وحدثت تطورات للتنظيم وتغييرات استقرت فى عام ١٩٦٢م على توزيع الاختصاصات على النحو التالى : عبد المجيد الشاذلى مسئولاً عن الإسكندرية ، عبد الفتاح الشريف مسئولاً عن البحيرة ، وعبد الفتاح إسماعيل مسئولاً عن دمياط ، ومجدى عبد العزيز متولى مسئولاً ومندوب إتصال مع الإسكندرية . وتشكلت لجنة لتنظيم المجموعات من ثلاثتهم ، وذات مرة فى منتصف عام ١٩٦٢م قال عبد الفتاح إسماعيل لعبد الفتاح الشريف أن لديه ٥٠ فدائياً مستعدين للعمل أثناء وجود الرئيس جمال عبد الناصر فى أحد الإحتفالات^(٢) . وفى مارس ١٩٦٤م إتصل عبد الفتاح إسماعيل بعلى عشاوى الذى كان عضواً فى القيادة المسئولة عن تشكيلات الأقاليم ، وذهبنا إلى منزل زينب الغزالى وهناك كان يوجد شخص ثالث هو عبد العزيز على باشا ، ودارت المناقشات حول المهمة القادمة فى الإسكندرية .

ويقول مجدى عبد العزيز أثناء محاكمته أن مرحلة جديدة كانت قد بدأت عندما خرجت من الجيش فى أغسطس ١٩٦٤م واقتربت من على عشاوى وسيد قطب وفى أثناء أحد الاجتماعات قال على عشاوى أنه استلم خطاباً من السعودية قالوا فيه إنهم حبيبتوا أسلحة

(١) نفس المصدر - ص ٣٤ - ٤١ .

(٢) شهادة مجدى متولى فى عبد الله إمام ، مصدر سابق ، ٢١٤ - ٢١٨ .

من السعودية عن طريق السودان على أن تتسلمها من « دراو » جنوب السودان^(١)

وتعليقاً على هذا قال سيد قطب لعلى عشناوى طبقاً لرواية مجدى متولى روح سافر وإعمل الترتيب اللازم لإستلام هذه الأسلحة . لقد كان سيد قطب يتدخل فى التنظيم سواء من الناحية الحركية أو العقائدية وحتى الشخصية^(٢) .

ويذكر محمد صادق حتوت ، مهمة أخرى من مهام مجموعة المعلومات فهمى إلى جانب جمع المعلومات وسماع الإذاعات كانت تراقب أعضاء التشكيل حتى تتأكد من أن الحكومة لا تراقبهم وكانت وسيلة ذلك أن يمشى عضو المعلومات وراء أى عضو فى التشكيل ليرى ما إذا كان يتبعهم أم لا ، وكان حتوت يقوم بتدريب أعضاء التشكيل على المصارعة اليدوية ، ووضع مشروعاً لنسف ١٢ كوبرى ، منها كوبرى قصر النيل وكوبرى بنها ، وذلك بأن اشترى خريطة فيها هذه الكبارى ثم درسها وعرف أكثر نقطة ضعف فى كل كوبرى وعلم عليها بقلم رصاص بعلم (X) ، وذلك لنسف الكبارى من هذا الموضع بأقل شحنة وبأقل تكاليف بهدف قطع المواصلات^(٣)

ويذكر شعبان الشناوى المسئول الثانى بالدقهلية أن الاغتيالات لم تكن مهمته وإنما مهمته كانت نسف محطة كهرباء طلخا^(٤)

أما سيد قطب فمجمال أقواله تتمثل فى عدم علمه بمسألة التنظيم وهو فى السجن وعلمه بعد خروجه من السجن ، وأن صلته الوحيدة بهذا التنظيم المزعوم كان هى كتبه ومن خلال زينب الغزالى وشقيقته حميدة ، عندما سئل عن هوية الأشخاص الذين زاروه بعد خروجه من السجن قال :

أعضاء القيادة تحدثوا معى حديثاً طويلاً وذكروا لى أنهم ليسوا وحدهم وإنما وراءهم مجموعات أخرى من الشباب وذكروا لى تاريخ هذه المجموعات ، وقالوا أنهم فى سنة ١٩٥٩م حتى عام ١٩٦٣م كونوا مجموعات ، وبعد عدة لقاءات قالوا أن لهم تنظيماً سرياً يرجع إلى عدة سنوات سابقة وإن هذا التنظيم قائم على أساس أنه فدائى ينتقم لما جرى للجماعة

(١) شهادة مجدى عبد العزيز فى : عبد الله إمام : عبد الناصر والإخوان المسلمين ص ٢١٤ - ٢١٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) شهادة محمد صادق حتوت ، فى المصدر .

(٤) شهادة شعبان الشناوى ، نفس المصدر .

عام ١٩٥٤م ، ولكن أنا قلت لهم أن هذا الهدف صغير لا قيمة له ونتائجه أخطر من قوائده^(١)

وعندما سئل عن الهدف من إنشاء مثل هذا التنظيم أجاب : إنشاء جيل من الشباب المسلم الواعي . الفاهم ليكون نواة مجتمع مسلم في نهاية الطريق .^(٢) وأجاب سيد قطب عن الأسلحة ، وعن رئاسته للتنظيم عام ١٩٦٥م بعد خروجه من السجن وعن نائبه يوسف هواش وأهداف التنظيم وعمليات النفس والإغتيالات فأثر جميع الاتهامات الموجهة إليه عدا الاتهام الخاص « بأننا في حالة حرب مع الدولة »^(٣) وهي الاتهامات الأساسية التي تؤكد

وجود تنظيم مسلح للإخوان ، تعداده يزيد على ٣٠٠ عضو ، له تمويل خارجي ، السعودية ، وله منهج وأفكاره الدينية المتناقضة مع توجهات النظام السياسي الناصري يومئذ ، وإن القول بأن صدام ١٩٦٥م كان تمثيلية - كما يقول بذلك مجمل أدب الإخوان المسلمين بعد عام ١٩٦٥م قول خاطيء وعار من الصحة لا تؤيده الوثائق والأسانيد التاريخية الخاصة بتلك الفترة ، والتي سبق إيرادها ، ويؤكد لها أكثر شهادات محمد يوسف هواش وعلى ع شماوى ، وعبد الفتاح إسماعيل ، وغيرهم من قادة التنظيم ، ويرى الباحث أن الرواية الرسمية لنشأة وتطور نشاط التنظيم قد يكون مبالغاً فيها ، ولكن الحقائق التي وردت في شهادات أعضاء التنظيم تقوم كحجة دامغة على صدق الافتراض القائل بوجود مثل هذا التنظيم ويتعاضد دوره خلال عام ١٩٦٥م .

ج - التعذيب داخل السجون :

فيما يتعلق بالتعذيب الذي مورس على الإخوان المسلمين داخل السجون فتكاد تتفق أغلب روايات الإخوان أو من أرخ لهم على حدوثه بالفعل إبان هذه الأحداث ، وتفاوتت درجات وأشكال التعذيب وفقاً للروايات ولكنها استقرت حول عدة وقائع :

- استخدام آلات التعذيب المختلفة كالكرابيج ، والكلاب ، والعصى ، والحرق بالنار ، والمس بالكهرباء ، والإغراق في الماء البارد ، والحبس الانفرادي مدداً طويلة ، ويقول جابر

(١) شهادة سيد قطب في : عبد الله إمام ، مصدر سابق ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٩٩ - ٢٠٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٤) انظر على سبيل المثال : جابر رزق : مذابح الإخوان في سجون ناصر (القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٧) .

ومن الوسائل الأخرى التي كانت تتبع بانتظام مع الإخوان وفقاً لروايتهم هي جعل أحدهم يتكلم دون تحديد موضوع يدور الحديث حوله ، بينما يسجل أحد الكتبة ثم يستعاد رزق ضمن روايته عن التعذيب ، وأذكر إن الشيخ محمد المطراوى إمام وخطيب مسجد المتهم في رواية ما قال مرة ومرات ، وهو في حالة من الإرهاق الشديد والاضطراب والقلق لا يستطيع أن يركز ذهنه فيما قال أول مرة ولا شك أن هذه الطريقة استطاعوا بها أن يحصلوا على كل ما لدى الإخوان من معلومات^(٢) .

وتؤكد روايات الإخوان أيضاً على حدوث تعذيب مماثل في سجون القلعة وأبي زعبل حيث كانوا يبدأون ، التحقيقات ليلاً فكانت تفتح زنزانة أو أكثر من زنازين سجن القلعة ، ويسحب منها مجموعة من الأفراد حسب ما تقع أيديهم عليهم ويؤخذون ويعذبون بطريقة همجية بربرية لانتزاع أى اعترافات وكانت أدوات التعذيب هي الشومة والكرباج^(٣) .

- ولكن زينب الغزالي تضيف إلى عمليات التعذيب التي تعرض لها الإخوان أبعاداً جديدة حين تؤكد على حضور عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر لعمليات التعذيب وإشراف شمس بدران شخصياً على تعذيبها^(٤) . وتؤكد روايتها أيضاً على تنوع وسائل التعذيب داخل السجن الحربى ومن قبله القلعة وأبي زعبل لتتدرج من الإقياد في ظلمة الليل عنوة ومعها كتبها ، فالسباب والشتم من الحارس الغليظ ، فالضرب باليد على الأذن والوجه ثم الضرب بالسياط ، فالإكراه على مشاهد الشباب الإخوان وهم يضربون بعنف ويعلقون من الأرجل ، وأخيراً الدخول إلى حيث الحجرة رقم ٢٤ ، وهي المخصصة للكلاب المتوحشة ، التي « أحسست بها تتسلق جسدى كله ، أحس أنيابها في فروة رأسى ، في كفتى ، في ظهري ، أحسها في صدري ، في كل جسدى »^(٥) .

ويؤكد على ذات المعانى أيضاً باقى الإخوان المسلمين الذين خرجوا من السجن بعد رحيل عبد الناصر وأعادوا إصدار مجلة الدعوة عام ١٩٧٨م والتي أفاضت في تفسير هذه النواحي ومؤكدة على حدوث تعذيب بى ومضخمة في شأنه في كثير من الأحيان^(٥) .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٣ .

(٣) زينب الغزالي ، مصدر سابق ، ص ١٤١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤١ - ٨٦ ، كذلك ص ١٤١ - ١٧٥ .

(٥) من الملاحظ خلو الجرائد والوثائق الرسمية لهذه الفترة من أى إشارة إلى وجود تعذيب بدنى على الإخوان المسلمين داخل السجون . انظر مجلد الأهرام/ أغسطس ، سبتمبر ، أكتوبر لعام ١٩٦٥ .

هذا ، ويمكن تلخيص مجمل روايات الإخوان في وجود التنظيم وتطور نشاطه ، وحدوث التعذيب الجسدى لهم فى أن تنظيماً سرياً قد أنشئ عام ١٩٥٧ م ، واكتسب الفاعلية بدءاً من عام ١٩٥٩ م ، وبدأ فى ممارسة نشاطه المباشر بعد خروج الشيخ سيد قطب من السجون عام ١٩٦٤ م ، إلى أن كان أغسطس عام ١٩٦٥ م حين اكتشف من خلال تنظيم طليعة الإشتراكيين والمباحث الجنائية العسكرية . وتؤكد روايات المؤرخين سواء من الإخوان أو خارجهم على وقوع التعذيب الجسدى البالغ عليهم وهو التعذيب الذى أدى إلى وفاة بعضهم داخل جدران السجن ، وهو التعذيب أيضا الذى ترك بصماته واضحة على منطق الفكر الإخوانى ، وموقفهم من مجمل التجربة الناصرية ، وإدانتهم لها بشكل إجمالى دون تحديد أو تفرقة بين فكر التجربة ، والتجربة ذاتها ، أو بين قيادات هذه التجربة ودون تفرقة عقلانية بين الإنجازات المادية الملموسة والواضحة للعيان ، وبين التقييم الشخصى للتاريخ ولهذه الإنجازات ، والذى شوه الرؤى العلمية الواضحة للأشياء فى أعين الإخوان المسلمين والأجيال التى تلتهم من شباب الجماعات الدينية على إختلافها .

٣ - وجهة نظر النظام السياسى فى صدام ١٩٦٤ م)

من متابعة وثائق هذه الفترة وتاريخ البعض لها يلاحظ مدى الإتفاق العام بين وجهتى نظر الإخوان المسلمين والنظام السياسى حول الإقرار بوجود تنظيم سرى يهدف إلى إعادة الإخوان المسلمين إلى الوجود ولا يعترف بقرار حلهم عام ١٩٥٤ م ، وبوقوع تعذيب بدنى لهم داخل السجون وبالأخص السجن الحربى ، هناك إتفاق عام على هاتين الواقعتين ، ولكن الإختلاف يأتى من التبرير والتغيير لأحداث وأبعاد القضيتين .

أ - الإخوان - كما سبق القول يرتكون فى القضية الأولى - وجود تنظيم - إلى أحقيتهم وإلى عدم شرعية الولاء ، لعبد الناصر ، ويرتكون فى القضية الثانية إلى وقوع تعذيب بدنى قاس عليهم داخل السجون إلى حد القول بحضور عبد الناصر شخصياً لمعاينة هذا التعذيب . بيد أن رواية النظام السياسى تختلف فى التفاصيل عما يقوله الإخوان .. فبالنسبة لموضوع وجود التنظيم ونشاطه يفسر عبد الناصر وجوده ومن ثم اكتشافه بقوله أنه :

«بعد أن رفضنا الأحكام العرفية منذ سنة وصفيينا المعتقلات وأصدرنا قانونا لكى يعودوا إلى أعمالهم - ضبطت مؤامرة وسلاحا وأموالاً وصلت إليهم من سعيد رمضان من

الخارج وهذا دليل أن الإستعمار والرجعية يشغلوا في الداخل^(١) .

ويرى البعض أن لكلام عبد الناصر هذا والمتعلق بضبط مؤامرة جديدة للإخوان ، ومن موسكو دلالة مباشرة تتعلق بإرضاء السياسة السوفيتية من خلال اختلاق مؤامرة ، ويمثل هذا الرأي في الغالب الإخوان المسلمون أو المتعاطفون معهم ، وأيا كان الأمر فعبد الناصر يحسم القضية هذه المرة من القاهرة ، حيث يروى البعض أنه عندما طبع كتاب « معالم في الطريق » لأول مرة كان هناك اعتراض على طبعه بل إنه منع ، وعندما قرأ عبد الناصر مسودته إتصل بالمسؤولين مؤكداً أنه لا مانع من طبعه ، وطبع الكتاب ، وبعد شهر كانت هناك معلومات أمام عبد الناصر بأن الكتاب يعاد طبعه فهل يسمح بإعادة الطبع فوافق على ذلك ، وتكرر الأمر بعد ذلك ثلاث مرات خلال ستة شهور وفي المرة الرابعة عندما سئل الرئيس عبد الناصر هل يعاد طبعه قال نعم يعاد طبعه ولكنى أعتقد أن هناك تنظيماً^(٢) .

وبعد مرور عامين على أحداث الصدام ببره ، عبد الناصر ، مؤكداً على فرضية وجود تنظيم حيث يقول .

« إحنا إعتقلنا عدد من الإخوان المسلمين بعد العمليات التي كانت موجودة من سنتين ، طبعاً ما كانش مفروض إن إحنا هانعتقل هؤلاء الناس إلى الأبد ولكن كان المفروض إن إحنا سننظر في هذه الإعتقالات ، وكانت فيه بعض تقارير موجودة بالإفراج قبل العدوان ، وقبل النكسة ، ولكن طبعاً الظروف اللي اتخطينا فيها خلطنا نوقف أى إفراج ، ماكانش يمكن إن إحنا نفرج ولكن أنا أشعر النهاردة إن وضعنا الداخلي يمكننا إن إحنا نفرج وعلى هذا تصدق على الإفراج عن عدد كبير من المعتقلين ، ومش حايفضل من المعتقلين إلا أعضاء الجهاز السرى والتنظيمات السرية المسلحة^(٣) .

وعلى ذات المعنى ، معنى وجود تنظيم سرى للإخوان تتفق آراء أغلب المسؤولين حول

(١) خطاب للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٦٥
ويلاحظ أن وجهة نظر النظام السبى تتضح من تحليل جرائد هذه الفترة وتحديد الأهرام خلال عامى ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ والتي ذهبت إلى وجود تنظيم مسلح للإخوان يمول بالأسلحة والمال من السعودية وبالتأكيد الأذى من الأردن وتونس ، والمغرب . بل وذهبت الأهرام إلى وجود تنظيم ثان باسم « تنظيم الإخوان الهاريين » بزعامة سعيد رمضان وكامل الشريف وخطاب السيد خطاب ، انظر الأهرام بتاريخ ١٩٦٦/٩/٨ .

(٢) عبد الله إمام ، مصدر سابق ص ١٠٨ .
خطاب جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ .

ذلك ، ويهمننا بالأخص شمس بدران ، الذى كان مسئولاً إبان وقائع الصدام الثانى على السجن الحرى ، والذى حوكم فيما بعد وأدين فى قضايا تعذيب الإخوان المسلمين ، وتتلخص رواية شمس بدران فى أن قضية الصدام مع الإخوان فى أغسطس ١٩٦٥ م ، لم تبدأ فى هذا العام بل سبقتها قضيتان مرتبطتان بها تماماً ، وهما قضية عبد القادر عيد عام ١٩٦٣ م ثم قضية حسين توفيق عام ١٩٦٥ م ، وملخص القضيتين وفقاً للرواية السابقة إنها كانت تتعلق بتنظيم شكله عبد القادر عيد فى الجيش وضباط الصاعقة الذين كانوا تحت سيطرته المباشرة ويقودون فى ذات الوقت قيادة بعض الوحدات فى المشاة والمدفعية ، وبعد أن أتم عبد القادر عيد إعداد تنظيمه العسكرى بدأ يتصل بالإخوان لضمان التأييد المدنى عند وقوع الانقلاب ، فاتصل بعبد العزيز كامل عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان ، ويؤكد شمس بدران أن التحقيق بشأن هذه القضية تم فى مبنى المخابرات العامة وأنه قد اشترك فيه^(١) .

أما القضية الثانية التى سبقت أحداث الصدام فيلخصها شمس بدران بقوله أن المباحث العسكرية قد وصلها إن عبد القادر عامر أحد أعضاء جماعة حسين توفيق قد طلب من أحد السائقين فى مديرية التحرير شراء صندوقين من القنابل اليدوية ، وكان لابد من الإهتمام بالأمر ، وخاصة أن هذه الجماعة معروفة عنها اللجوء إلى أسلوب الإغتيال منذ أمين عثمان ، ويروى شمس بدران أنهم كانوا فى سباق مع الزمن «لما أن نسبهم ونعتقلهم أو يسبقونا وينسفوا القاهرة ولا يمكن أن تكون هذه مجرد فبركة أو تلفيق ، فالأسلحة التى ضبطناها ، والرسوم الكروكية التى رسمها مهندسوهم موضحين فيها أماكن النسف تؤكد ذلك»^(٢) .

ويخلص شمس بدران من رواية القضيتين السابقتين إلى وجود تنظيم جديد للإخوان على صلة مسبقة بقيادات هاتين القضيتين ، ويؤكد أنه قد أعتقل خمسمائة شخص وأفرج عن مائة وخمسين متهماً ، «ولو كنت الفق الإتهامات لكان لدى الفرصة لإدخال الوفد فى القضية عندما أقحمت زينب الغزالى اسم فؤاد سراج الدين»^(٣) إذن ومن واقع الرواية الرسمية لعبد الناصر ولشمس بدران ، يتضح أن هناك تنظيمًا سرياً مسلحاً للإخوان ، وهناك تمويل له من الخارج وتحديدًا من الإخوان المسلمين فى السعودية ، وفى سوريا - سعيد رمضان - وأيضاً من الحكومة السعودية ، يتضح عندما أكد عبد الناصر للملك فيصل على عدم جدوى

(١) شهادة شمس بدران فى عبد الله إمام ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ - ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٨ .

مساندتهم للإخوان في مصر لعدم فاعلية ذلك . كما يقول^(١) ولكن هذا التنظيم لم يكن مؤثراً في صدامه مع النظام السياسي بدليل الإفراج عن أغلب أعضائه بعد حرب يونيو ١٩٦٧ م ، وإن كان شمس بدران يرى عكس ذلك ، من أنه لو لم يسبق التنظيم لكان قد نسف القاهرة ، وقد يعود عدم احتلال الصدام الثاني بين عبد الناصر والإخوان المكانة الكبيرة في اهتمام عبد الناصر إلى السرعة الملحوظة في إلقاء القبض على أعضاء التنظيم ، وإلى الضعف الملحوظ في بنائه الداخلي ، على العكس من أحداث الصدام الأول التي أرهقت النظام السياسي وكادت تؤدي بعبد الناصر ذاته ، ولكن على الجانب الآخر كان تأثير هذه الضربة على الإخوان المسلمين وسياستهم تجاه النظام الناصري قاسياً ، وخاصة إذا قارنا ما حدث لهم من إجهاض مبكر بتعذيب بدني قاسوه داخل السجن الحرى ، وهو ما تشير إليه روايات شمس بدران ، وكمال الدين حسين وعبد اللطيف بغدادى وحسن إبراهيم ، بالإضافة إلى روايات الإخوان أنفسهم .

ب - أما بخصوص التعذيب في السجون فتؤكد الروايات المتواترة عن المسؤولين إبان هذه الفترة وبالأخص كمال الدين حسين ، وحسن إبراهيم وعبد اللطيف البغدادى على إقرارهم بوقوع تعذيب بدني قاس للإخوان المسلمين داخل السجون عام ١٩٦٥ م^(٢) بل وصل الأمر ببعضهم إلى إرسال رسالة إلى عبد الناصر يقول فيها « لا خير في إذا لم أقلها لك .. إتق الله »^(٣) بل وإلى الإدعاء باختلاق عبد الناصر لأحداث هذا الصدام وبعنف عمليات التعذيب^(٤) .

ويؤكد شمس بدران في روايته السابقة أنه كان مسئولاً عن كل عمليات التعذيب التي جرت ولكنها لم تكن بالحجم أو النوعية التي إدعاها الإخوان ، وأن ما قام به كان بهدف حماية البلاد ، وإن السجن الحرى موروث عن الإنجليز وقد أعدوه للهاريين من القتال ، فجعلوه جحيماً يفضل الجندي الموت على دخوله ، ويؤكد شمس بدران على إنه الإجراءات

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٩٦٦/٢/٢٢ .

(٢) بتفصيل أكثر انظر عبد اللطيف البغدادى مذكرات البغدادى الجزء الأول والثاني (القاهرة ، المكتب المصرى الحديث . ١٩٧٧) - سامى جوهر : الصامتون يتكلمون (القاهرة . المكتب المصرى الحديث . ١٩٧٥) .

(٣) رواية كمال الدين حسين في سامى جوهر . المصدر السابق ص ٦٥ - ٨٨ .

(٤) نفس المصدر .

التي تمت بشأن الإخوان لم تكن بالقسوة التي إدعوها ولم يكن عبد الناصر على علم بها^(١)

وكانت محصلة الصدام الثاني مع الإخوان هي الحكم بإعدام سبعة ، أعدم منهم ثلاثة هي سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش وخفف الحكم عن الأربعة الآخرين لصغر سنهم ، وحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على ٢٥ عضواً ، وبالأشغال الشاقة من ١٠ إلى ١٥ سنة على ١١ عضواً ، وعلى حسن الهضيبي بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، وأصدرت دوائر المحاكم أحكاماً أخرى على ٨٣ متهماً وكان من بينهم إثنان حكم عليهما بالأشغال الشاقة المؤبدة هما إسماعيل الفيومي ومحمد عواد اللذان قيل إنهما هربا من السجن الحرى ، وصدرت أحكام بالسجن على ١١٢ وبرأت الدائرة ثلاثة ، وكان هناك معتقلون من الذين كانت لهم صلة بالجماعة ولم تثبت إدانتهم وتم الإفراج عنهم فيما بعد .

هذا على مستوى محوري الصدام ، وجود التنظيم ونشاطه ، ووقوع التعذيب من عدمه وفيها تتضح أبعاد العلاقة بين الإخوان المسلمين والنظام السياسي ، والتي وصلت مع أغسطس عام ١٩٦٥م إلى الحد الذي يصعب بشأنه التراجع ، ومن ثم كان لابد من الصدام والإجهاض المكر لنشاط الإخوان الجديد^(٢) .

٤ - الرأي الرسمي للأزهر في منهج التنظيم ، الرد على كتاب معالم في الطريق :

لإستكمال الصورة العامة لأحداث الصدام الثاني ، تجدر الإشارة إلى وثيقة تاريخية هامة أعدها الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي رئيس لجنة الفتوى بالأزهر بناء على طلب شيخ الأزهر وقتئذ حسن مأمون وقدم تقريراً إليه يرد فيه على كتاب سيد قطب « معالم في الطريق » الذي اعتبر يومها المنهج العام لفكر التنظيم الجديد ويؤكد التقرير على عدة أمور منها :

أ - إن الإسلوب الذي صيغ به الكتاب أسلوب إستفزازي يهيج مشاعر القاريء الدينية خاصة إذا كان من الشباب أو البسطاء ومؤلفه ينكر وجود أمة إسلامية منذ قرون طويلة

(١) شهادة شمس بدران ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ - ١٤٣ .

(٢) يذهب محمد حسين هيكل إلى القول بأن هذه الأحداث لو لم تجهض لكانت النتيجة وخيمة حيث مصر هي المستهدفة ، من الرجعية والاستعمار وإسرائيل ، وضرب مصر هو أكبر انتصار لهم ، الأهرام بتاريخ ١٩٦٦/٤/٨ ومن الأقوال المأثورة - للأسف - عن هيكل ، أنه كتب في الأهرام عشية إعدام سيد قطب تحت عنوان (الحاكمية لله .. لا يا سيد) في تهكم واضح على أفكار الشيخ سيد قطب .

ومعنى هذا أن عهود الإسلام الزاهرة ، وأئمته وأعلام العلم فى الدين ، فى التفسير والحديث والفقہ ، وعموم الاجتهاد جميعاً كانوا فى جاهلية وليسوا من الإسلام فى شىء حتى يجىء إلى الدنيا سيد قطب .

ب - إن المؤلف يدعو دعوة مكشوفة إلى قيام طليعة من الناس ببعث جديد فى الرقعة الإسلامية وأنه تكفل بوضع معالمها حين يقول « لابد لهذه الطليعة التى تعتزم هذه العزمة من معالم فى الطريق ، لهذه الطليعة كتبت معالم فى الطريق » .

ج - أن المؤلف يؤكد على مقولة « الحاكمة لله » وهذه كلمة قالها الخوارج قديماً وهى وسيلتهم إلى ما كان منهم فى عهد الإمام على ، من تشقيق الجماعة الإسلامية وتفريق الصفوف ، وهى الكلمة التى قال عنها الإمام على « إنها كلمة حق أريد بها باطل » فالمؤلف يدعو مرة إلى بعث جديد فى الرقعة الإسلامية ثم يتوسع فيجعلها دعوة فى الدنيا كلها ، وهى دعوة على يد الطليعة التى ينشدها والتى وضع كتابه هذا ليرشد بمعالمه هذه الطليعة ، وليس أغرب من هذه الخيالية وهى نزعة تخريبية يسميها طريق الإسلام ، والإسلام كما هو أسمه يأبى الفتنة ولو فى أبسط صورها . وما معنى الحاكمة لله ؟ هل يسير الدين على قدمين بين الناس ليمتنع الناس جميعاً عن ولاية الحكم ؟ أو يكون المثل لله فى الحكم هو شخصية هذا المؤلف . وأن القرآن نفسه يعترف بالحكام المسلمين ويفرض لهم حق الطاعة علينا كما يفرض عليهم العدل فينا ويوجه الرعية دائماً إلى التعاون معهم .

د - والمؤلف عندما يطالب أن يقوم المجتمع الإسلامى أولاً ثم توضع النظم والشرائع ، ينكر وجود مجتمع إسلامى وينكر وجود نظام إسلامى ، ويدعو إلى الانتظار فى التشريع حتى يوجد المجتمع المحتاج إليه ، ويدعو أن المؤلف شطح شطحة جديدة ، فزعم لنفسه الهيمنة العليا الإلهية فى تنظيم الحياة الدنيا حيث يقترح أولاً هدم النظم القائمة دون إستثناء ثم طرد الحكام وإيجاد مجتمع جديد ثم التشريع من جديد لهذا المجتمع .

هـ - وبعد التفصيل والرد على الجوانب الأخرى فى كتاب سيد قطب يخلص التقرير إلى عدة نتائج هامة : فالمؤلف - سيد قطب - إنسان مسرف فى التشاؤم وينظر إلى الدنيا بمنظار أسود ، وأنه إستباح باسم الدين أن ، يستفز البسطاء إلى ما يآباه الدين من مطاردة الحكام ، مهما يكن فى ذلك من إراقة الدماء والفتك بالأبرياء وتخريب العمران وترويع المجتمع ، وتصعد الأمن وإلهاب الفتن فى صورة سيئة ولا يعلم مداها غير الله وذلك هو معنى الثورة الحركية التى ردها فى كلامه . ويرى التقرير أيضاً إنه إذا ربطنا بين دعوة سيد قطب وبين الأحداث المعاصرة ، ونظرنا إلى ذلك الاتجاه فى ضوء الثورة المصرية ،

وما ظفرت به من نجاح باهر فى كل مجال من مجالات الحياة وضح لنا أن الدعوة الإخوانية ، دعوة مفسوسة على ثورتنا باسم الغيرة على الدين ، وإن الذين تزعموا هذه الدعوة أو استجابوا لها إنما أرادوا بها النكاية للوطن والرجوع به إلى الخلف ، وتلك هى الفتنة الكبرى .

هذا عن الرد الرسمى للنظام السياسى الناصرى على المنهج الفكرى للإخوان المسلمين جاء من الأزهر والذى كان يومئذ يمثل - ضمن أدوات ووسائل أخرى - إحدى وسائل تأكيد الشرعية للنظام السياسى ، وخاصة بع صور قانون إعادة تنظيم الأزهر فى ٢٣/٦/١٩٦١م ، وتأكيد تبعية هذه المؤسسة الدينية للنظام السياسى ، وهو ما خذت فى مجمل الأزمات السياسية التى واجهها النظام ، والتى كان الصدام الأخير مع الإخوان إحداها ، بيد أن موقف الأزهر لا يمكن التهوين من شأنه تجاه جماعة الإخوان ، وذلك لأن هذه الجماعة أخطأت التوقيت ، وأخطأت العدو ، الذى تحاربه ، والذى كان وقتها معبراً حقيقياً عن آمال وطموحات الشعب المصرى والعربى سياسياً وحضارياً ، فلقد كان عبد الناصر رمزاً ، وزعيماً صلباً ، صعب على الترسانة ، الاستعمارية اقتلاع جذوره ، الجماهيرية الراسخة !!

خاتمة المحور :

ومن خلال هذا المحور يخرج الباحث بحقائق ثلاث أولها : إن تصرفات وسلوكيات النظام السياسى تجاه جماعة الإخوان المسلمين من خلال أحداث ووقائع صدامى ١٩٥٤م ، ١٩٦٥م تؤكد أنها كانت سلوكيات سيطر عليها أسلوب المواجهة المباشرة ، حيث كان التحرك يأتى دائماً من جانب الإخوان أولاً وقبل تحرك النظام ، وحيث كانت الأوضاع الداخلية والخارجية المحيطة بالنظام السياسى وقتئذ ، لم تكن لتسمح له بأن يخلق تفجيراً وعدم استقرار لن يستفيد هو منه كثيراً ، وثانيها : إن الصدامين فى المحصلة الأخيرة كانا فى غير صالح طرفى العلاقة عبد الناصر والإخوان المسلمين ، حيث خسر عبد الناصر عنصراً مهماً على مستوى الجبهة الداخلية بشكل لم يدرجه إلا مع هزيمة ١٩٦٧م ، وإن كان قد كسب كثيراً إبان الأزمة وخاصة أزمة ١٩٥٤م ، أما الإخوان فإنهم فقدوا العديد من القيادات المؤثرة فى الهيكل التنظيم للجماعة ، كما فقدوا الوجود الرسمى والقدرة على التأثير العلنى لمدة طويلة .

ثالثهما : إن المستقبل المنظور سيظل يحمل بنوراً لصدمات أخرى قادمة بين التيار الدينى فى مصر وبين النظام السياسى ، ما دامت هذه الإشكالية قائمة : إشكالية الصدام بين الدين والدولة ، وما دامت عمليات العلمنة والإغتراب الإجتماعى والسياسى قائمة^(١) .

الفصل العاشر
عبد الناصر ولدين
الإدارة والممارسة



عبد الناصر والدين الإدراك - الممارسة

تعد أشكالية الدين في مدركات وسلوكيات عبد الناصر ، من أعقد الأشكاليات ، وأكثرها إثارة للجدل بين كافة التيارات السياسية والفكرية التي على علاقة تمارس مع الحقبة الناصرية ، سواء من الإسلاميين أو الشيوعيين أو الليبراليين ، أو الناصريين أنفسهم ، أو حتى أولئك الذين ليس لهم إتجاه أو بوصلة فكرية واضحة .

وفي سبيلنا لوضع هذه الإشكالية في إطارها الصحيح من الدراسة الموضوعية ، نمحور حديثنا في هذا الجزء من الموسوعة حول المحاور التالية .

- أولاً : الدين في مدركات عبد الناصر .
 - ثانياً : عبد الناصر والأزهر والمحاكم الشرعية والمجالس المليية .
 - ثالثاً : عبد الناصر والطوائف المسيحية .
 - رابعاً : عبد الناصر والطرق الصوفية .
 - خامساً : عبد الناصر والإعلام الديني .
 - سادساً : عبد الناصر والمساجد .
 - سابعاً : عبد الناصر وموقع الدين في قضايا التطور الإجتماعي .
- وبتفصيل ما سبق يستبين الآتي :

أولاً : الدين في مدركات عبد الناصر :

كثر الحديث في الأونة الأخيرة عن قضية (الناصرية والإسلام) وأخذ الحديث عنها أشكالاً مختلفة ، فتارة تناول الحديث علاقة (الناصريين بالإسلاميين) ، وتارة أخرى تناول ملاقة (القومية) - وفقاً للتطبيق الناصري - (بالإسلام) ، وتارة أخذ الحديث عنها مقولة محددة وجديدة هي (الناصرية الإسلامية) كبديل حضاري عما يسمى (بالناصرية العلمانية) .

* وأيا ما كان شكل الحديث ، ونوعيته ، إلا أنه ظل يعبر بدرجة أو بأخرى عن علاقة (الناصرية بالإسلام) ، وظل القصور يشوب تناولها تحديداً منذ مقتل السادات (أكتوبر ١٩٨١ م) وحتى يومنا هذا ، من نواحي عديدة (ليس هنا مقام ذكرها تفصيلاً) ولعل

أبرز نواحي هذا القصور يتأتى من كيفية تعامل التيار الناصري مع (تراث عبد الناصر : الفكرى والسياسى) ، وهو تعامل أما أنه قد ألبس هذا التراث ثوب القداسة فأسقط أخطاء وسليبات عديدة كان يتحتم نقدها ومواجهتها بشجاعة الراغبين فى الإصلاح الحقيقى والنهوض الواعى لهذا الوطن . وأما أن التعامل مع هذا التراث قلصه أو إختزله تماما أو لم يعد يتذكر منه إلا (الناصرية كبرنامج سياسى ظرفى) يقف عند حدود إصلاحات القطاع العام وبعض قضايا التحرر الوطنى) .

إن منهج (القداسة) ، ومنهج (الإختزال) ظلا هما آفة التيار الناصر فى نطاق التعامل مع (تراث عبد الناصر) طيلة حقبتى السبعينات والثمانينات ، وهذه (الآفة الفكرية) بحاجة إلى عملية جراحية شاملة تعيد إلى الجسد الناصر حيويته والغربي أنه ومع الأسف لا يزال حتى هذه اللحظة جسد دون عقل جمعى ، وإطار نظرى متماسك ، وإذا ما تعافى الجسد من أمراضه ، فإن (العقل) سيتكون وستصبح بداخل الأفكار وتنضج .

* وفى سبيلنا لأعمال المشرط العلمى فى بعض آفات الرؤية الناصر للإسلام ، نتوقف بداية إزاء مقصودنا بالتراث الناصر تجاه هذه القضية فنشير إلى أننا نقصد هنا بمقولة « التراث الناصر » تراث جمال عبد الناصري سواء على مستوى الفكر والخطاب السياسى أو على مستوى الفعل والحركة السياسية لأن ما يمكن أن يطلق عليه تراث ناصري ، من قبل ناصريين عاشوا أثناء حياة عبد الناصر أو ناصريين أتوا من بعده ، يعد فى تقديرنا حتى هذه اللحظة - مع إستثناء قليلة - تراث لا يعتد به فى مجال النظر إلى الاسلام : كعقيدة أو كممارسة سواء أخذت هذه الممارسة شكل الفعل الاجتماعى بمعناه الواسع (التدين اليومى - المواقف الاجتماعية للطرق الصوفية أو الجمعيات الشرعية أو للأزهر - أو الكنيسة القبطية .. الخ) أو الفعل السياسى بمعناه المباشر (الحركات الإسلامية تحديداً) (الإخوان المسلمين) (الجماعات الإسلامية على إختلافها) ، أنه تراث لا يعتد به قياسا بإنجاز عبد الناصر فى هذه القضية على أصعدها العقيدى أو الاجتماعى أو السياسى .

* رغم ذلك لقد حاول البعض (من ناصري ما بعد عبد الناصر تحديداً) تناول هذه القضية ، بإخلاص ووعى وكان لكاتب هذه السطور جهد متواضع فى هذا المجال ، إلا أن تلك الإجتهدات الناصرية تظل محدوده إذا ما قيست سواء بإنجاز عبد الناصر الإسلامى بوجهيه السلبى والإيجابى ، أو بما هو مأمول منها أن تقدمه كحركة فكرية سياسية ، تبغى تغيير مجتمعها وتنشد بعثه من جديد وفق منهج علمى متماسك .

*لذلك ..



الإسلام كما أدركه عبد الناصر : رسالة ستحرر !!

* وإنطلاقاً من هذا القصور الذى نعترف به ، يجب

الدين والدولة فى المنظور الناصرى) من جذورها ، بمعنى ضرورة الإستناد إلى تراث عبد
الناصر تجاه هذه القضية وصولاً إلى خلق (النموذج الناصر الإسلامى) تجاهه ، إن فرضيتنا
الرئيسية هنا تنطلق من حقيقة محددة - سبق أن أشرنا إليها فى دراستنا وأبحاثنا السابقة وهي
أن (الناصرية إجتهد فى إطار الإسلام) ، وإنه لا بقاء حقيقى للناصرية فى مصر أو عربياً
إلا إذا نظرت إلى نفسها من خلال الحقيقة السابقة ، من هنا فإن ثمة ناصرية واحدة فى تصورنا
سوف يقدر لها الإقناع والتقدم ، وهي (الناصرية الإسلامية) ، أما ما عدا ذلك - وما أكثره
مع الأسف - فإنه مجرد شطحات فكرية ومراهقة سياسية عاجزة لم يعد لها مبرر من واقع
أو من تاريخ .

* إذن

* إن الناصرية التى نبحث موقفها من علاقة الدين والدولة فى عالم التسعينات ، ترى أنه
هذه العلاقة لها محورين رئيسيين - سبق لعبد الناصر أن تناولهما فكراً وممارسة وهما :

المحور الأول: كمنطلق ثورى للتحرير السياسى من أجل بناء الدولة الناصرية .

المحور الثانى: كأساس فى عملية التنمية الإجتماعية للدولة الناصرية المرتقبة .

وبتفصيل المحورين السابقين مستندين بالأساس إلى تراث عبد الناصر .. يستبين ما
يلى :

أولاً : الدين كمنطلق ثورى للتحرير السياسى :

تؤكد الدراسات الاجتماعية الحديثة الصادرة عن مجتمعات العالم الثالث ، أن الدين
بالنسبة لهذه المجتمعات ذات الثقافة التقليدية يمثل عنصراً فاعلاً ومؤثراً فى مجال تشكيل
هذه الثقافة ، والتالى يصبح عاملاً مساهماً فى تشكيل الوعى الجماعى لهذه المجتمعات ،
ومن هنا تصبح عملية دفع أفرادها . وتحريكهم سياسياً ، أعنى عملية تعبئتهم سياسياً خاصة
فى حالة الأزمة ، تفترض استخداماً لعناصر ثقافتهم التقليدية التى يأتى العرف ونظام العادات
والتقاليد و « الدين » فى مقدمتها .

ومصر لا تخرج من هذه القاعدة العامة تاريخياً ، فالدين مثل الآداة الفاعلة فى التأثير
على الرأى العام ، خاصة خلال الأزمات والأحداث الهامة فى التاريخ المصرى الحديث
وفى نموذج الحملة الفرنسية ودور رجال الأزهر فى مواجهتها ، ونموذج محمد على ،
ودور رجال الدين فى تنصيبه ، وكذلك دور الدين فى ثورة ١٩١٩م وما تلاهما ، وأخيراً

النموذج الذى تتم دراسته الآن ، النموذج الناصرى واستخدام الدين فيه خلال الأزمات السياسية والأحداث الهامة بدءاً بأحداث الصدام الأول مع الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م ومروراً بسياسة الأحلاف ، فالعدوان الثلاثى وأزمة عام ١٩٦٥م ، مع الإخوان المسلمين وانتهاء بهزيمة عام ١٩٦٧م ، فى كل هذا ، ما يقوم هنا كتأكيد على حقيقة دور الدين فى التحريك السياسى .

ولقد تم ممارسة عملية التحريك هذه بوسائلها المختلفة التى منها الدين طوال سنوات الحكم الناصرى تقريباً ، وإن كانت بعض الفترات ، وبعض الأزمات كانت العملية فيها أكثر وضوحاً من الأخرى ، ولقد إتبع عبد الناصر منهجاً لعملية التحريك تلك ، ويقوم الإدراك الناصرى على مستويين : أولهما : مستوى إدراك الأزمة أو الحدث الذى يتم بسببه إدخال الدين كعنصر فى عملية التحريك أو التعبئة السياسية . وثانيهما : مستوى الأدوات أو الوسائل التى تستخدم داخل عنصر الدين وكيفية استخدامها .

وفى المستوى الأول يلاحظ إن عبد الناصر لم يستخدم الدين فى عملية التحريك أو التعبئة السياسية إلا عندما يدرك تعرض نظامه السياسى إلى أزمة حادة ، أى أن عبد الناصر لم يستخدم الدين أو الإستدلال به إلا فى ظروف أزمة قد تؤثر على شرعية نظامه أو تؤدى به ، تمثل هذا داخلياً فى أزمة الصراع مع الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م وتمثل خارجياً فى هجومه على السعودية والرجعية العربية .

أما بالنسبة لمستوى الأدوات أو الوسائل فيتضح من دلالة الإستدلال بالرسول وبترائه الكفاحى وبالأزهر وتاريخه أو بصلاح الدين الأيوبى أو بقيم وحبرات النضال العربى والمصرى فى مواجهة الاستعمار الخارجى أو القوى الدخيلة عليه وربط كل هذه القيم بحاضر المنطقة والأزمة التى يعالجها . وتحدد الوثائق الناصرية الفترات التى كان للدين فيها دور فى عملية التحريك السياسى أو التعبئة السياسية ، وحصرها تحديداً فى الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٨م) وذلك لطبيعة الأزمة الداخلية والخارجية التى أثرت وقتئذ ، والتى تمثلت فى أزمة الإخوان المسلمين حين إستخدام الدين كفكرة ضد الإخوان ١٠٣ مرات بنسبة ٤٥,٤٪ من الإجمالى العام وحيث أزمة العدوان الثلاثى وضرورة شحن الجماهير معوياً من فوق منبر الأزهر .

وتأتى الفترة (١٩٦٧م - ١٩٧٠م) فى المرتبة الثانية حين استخدم الدين فى مجال تبرير هزيمة ١٩٦٧م أو محاولة التخفيف من وطأتها ، وكان عدد مرات إستخدامه ٥٨ مرة بنسبة تصل إلى ٢٥,٦٪ من الإجمالى العام .

أما أقل الفترات التي استخدم فيها الدين فهي الفترة (١٩٥٨ - ١٩٦٢) حيث لم يستخدم الدين في مجال التحريك السياسي أو التعبئة السياسية على الإطلاق ، وربما عاد هذا إلى طبيعة الزخم العام الذي ميز حركة القومية العربية وقتئذ ، وبدايات الوحدة مع سوريا ، وتحول اهتمامات النظام إلى الاتجاه القومي .

* ويلاحظ على الفترة الناصرية أن إدخال الدين كعنصر في عملية التحريك السياسي أو التعبئة السياسية وانطلاقاً من الحقائق السابقة يمكن معالجته بتفصيل أكثر من خلال مستويين للتحليل وهما :

١ - التحريك السياسي على مستوى الأزمات الداخلية : للجماهير واستخدام الدين والشعور الديني لدى الجماهير إتضح هذا في أزمة الإخوان المسلمين عامي ١٩٥٤م ، ١٩٦٥م ، وفي عملية التنمية الاجتماعية بدءاً من عام ١٩٦٠م .

ولقد انطلق عبد الناصر في عملية التعبئة السياسية على مستوى الأزمات الداخلية من إقناع مؤداه أن رسالات السماء كلها ، في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته ، وإن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وإنما ينتج التصادم من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقله التقدم ، وذلك بإفتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الإلهية السامية « الميثاق - ص ١٠٥ » .

* وحيث يرى عبد الناصر « علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التي تستمدّها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو تراثها الحضاري قادرة على صنع المعجزات ، وأنها تستطيع أن تمنح أمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة ، وإن كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمه ، فإن الحوافز ، الروحية والمعنوية ، هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد « الميثاق ص ١٣٢ » .

وتتضح الرؤية الناصرية لدور الدين في الأزمات السياسية من تحليل الأزمتين التاليتين :

أ - أزمة الصدام مع الإخوان المسلمين عامي ١٩٥٤م - ١٩٦٥م :

يتناول هذا الجزء بالدراسة الإدارك الناصري للأزمة أو الحدث وكيفية استخدامه للدين في عملية التعبئة السياسية تجاهها : فعلى مستوى الحدي أدرك ، عبد الناصر في عام ١٩٥٤م أنه أمام أزمة قد تؤدي تدريجياً للإطاحة بنظامه السياسي الوليد . حيث أنهم - أي الإخوان - أرادوا أن يفرضوا وصايتهم على الثورة ، التي أخرجتهم من السجون والتي حققت لهم العزة القومية ، لقد ذهب الهضيبي إلى سوريا ولبنان ليحارب الثورة هناك وكان

رد عبد الناصر على ذلك - أى على محاولة تهديد بقاء النظام - إن الثورة لا تقبل الوصاية « خطابه بتاريخ ١٩٥٤/٩/٥ م » .

وعبد الناصر فى مواجهته للأزمة استخدم أسلوب التعبئة بالدين وذلك بإدخال متغيرين فى الحديث والمزج بينهما « الأنا » أى الحديث عن الذات والنظام و « أنت » المقابل به أى الجماهير ، ويؤدى المزج بينهما إلى إدخال الجماهير فى حالة من القابلية للتصديق ، بأن « أنا يعنى أنت » وبأن ما يتعلق ب « أنا » من قضايا وأزمات هو ما يتعلق ب « أنت » وإذا قدر لهذه الحالة أن يواكبها ظروف موضوعية ضاغطة أو مسهلة مثل إعلان الجمهورية والإصلاح الزراعى يصبح التصديق أكثر سهولة ، وللتدليل على هذه الناحية يقول عبد الناصر :

« لقد ذهب الهضيبي إلى سوريا ولبنان ليحارب الثورة هناك ، وما دمت متيقظين متبصرين فسيسقط كل مضلل وكل مخادع ، ولن نستبعد مرة أخرى لفئة تكون عميلة للشرق أو للغرب ، أو للإطماع الذاتية ، ولن نستبعد لنهازي الفرص الطامعين فى الحكم ، حينما خرجت فى يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢م كان معى ٣٠ جنياً فتركت ٢٩ وأخذت الجنيه لأنى كنت أعلم أنى قد لا أعود ولما نجحت الثورة طلبت الوفد ليحكم قلت لسراج الدين حدد الملكية الزراعية واقضى على الفساد ، فرفض تحديد الملكية ، كنا مثلكم نبحث عن يقضى على الفساد .. لم نقم للحكم فحسب بل قمنا من أجل المثل العليا ، هم يقولون القرآن دستورنا ونحن نخلع الملك ونقضى على الفساد والظلم الإجتماعى ونحقق الجلاء فهل هذا الذى نعمله خروج على القرآن ؟ » خطابه بتاريخ ١٩٥٤/٩/٥ م .

ويقول عبد الناصر ليؤكد وبصيغة الأخوة ذات .. الدلالة والتأثير : « يا إخوانى عليكم بالعمل لقد حققنا لكم العزة والكرامة ، وبعد هذا لن نعمل وحدنا ، وسأترك لكم المضلل والمخادع فأنتم الذين تعملون للقضاء عليها خطابه بتاريخ ١٩٥٤/٩/٢٠ م .

وفى عام ١٩٦٥م تمثل تهديد الإخوان المسلمين لدى عبد الناصر فى كونهم عملاء للإستعمار والرجعية ، حيث أنهم « رجعوا تانى قاموا بعملهم كعملاء ، عملاء للإستعمار وعملاء للرجعية ، وطبعاً لا يمكن لنا وإحنا نبني هذا المجتمع المتحرر من الإستعمار ، والمتحرر من الرجعية ، لا يمكن إن إحنا نسمح لعملاء الإستعمار أو عملاء الرجعية إنهم يؤثروا فى البناء إلى إحنا بنبنيه » .

وهذا البناء هو فى حقيقته الإنجازات السياسية والإجتماعية التى حققتها التجربة منذ عام ١٩٥٢م وتحدى هذا البناء يمثل تهديداً لشرعيته ، ومن هنا كانت التعبئة السياسية

. للجماهير ، وبنفس الأساليب والأدوات السابقة مع إدخال عناصر جديدة مثل الدفع من الخارج أو مثل التهويل من قدرات الخصم ، يقول عبد الناصر :

طبعاً وإحنا بنبنى لازم بنعمل تحويل إشتراكى كامل ، ولكن التحويل الإشتراكى لابد أن يكون إشتراكى مدروس ... فيه أيضاً قد يكون هناك بعض الناس يضخموا المشاكل ، وطبعاً يدخلوا ضمن طائفة العملاء زى الإخوان المسلمين ، الإخوان المسلمين ثبت فى المحاكمات ، إنهم كانوا عملاء للسعودية ، وعملاء لحلف بغداد ، ناس يخدعوا الشعب باتخاذ الدين ستار ، والدين وسيلة ، ولكن هذا الشعب استطاع أن يكشفهم واستطاع أن يقضى عليها . خطايه بتاريخ ٢٣/٣/١٩٦٦ م .

ب - أزمة التنمية الإجتماعية :

تمثل التنمية الإجتماعية فى المجتمعات النامية مشكلة معقدة فى مستوياتها وأبعادها المتعددة ، ولكن بشكل مبسط يقصد بهذه الأزمة هنا ، عملية التوظيف الواعى والموجه لجهود الكل من أجل صالح الكل ، خاصة تلك القطاعات والفئات الإجتماعية التى حرمت فى السابق من فرص النمو والتقدم .

فإذا كانت أزمة التنمية الإجتماعية بهذا المعنى ، تعنى المعادلة الصعبة بين الإمكانيات أو القدرات السياسية والإقتصادية والإجتماعية المحدودة وبين الآمال والأهداف الجماهيرية الكثيرة ، وعليه فإنها فى الإدراك الناصرى تتمثل فى وجود نوعين من المعوقات : المعوقات الداخلية واعتبارات التخلف والتبعية الإقتصادية والمعوقات الخارجية المتمثلة فى سلسلة الضغوط الدولية الإقتصادية من قبل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والتى بدأت بالعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م وانتهت بالعدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧ م ، والمرحلة التالية له ، ولقد أدرك عبد الناصر هذا المستوى بوضوح حيث الرجعية المحلية والدولية تقف دائماً وراء هذه الأزمة وادرك حلولها وإمكانيات التخلص منها ، فعبد الناصر يرى أن الحرية الإجتماعية لا يمكن أن تتحقق إلا بفرصة متكافئة أمام كل مواطن فى نصيب عادل من الثروة الوطنية ويرى أن تحرير الإنسان سياسياً لا يمكن أن يتحقق إلا بإنهاء كل قيد للاستغلال يحد من حريته وإن (التجارب الرأسمالية) فى التقدم تلازمت تلازماً كاملاً مع الاستعمار فلقد وصلت بلدان العالم الرأسمالى إلى مرحلة الانطلاق الإقتصادى على

أساس الإستثمارات التى حصلت عليها من مستعمراتها ويقدم عبد الناصر تصوره لمواجهة هذه الأزمة على صعيدين الأول إقتصادى ، تمثل فى سياسات التأمين والتخطيط ، والثانى سياسى حيث استخدم عملية التعبئة السياسية للجماهير لمواجهة تلك المعوقات وهو ما تركز عليه الدراسة ، فالخبرات الإسلامية والرسول ﷺ ، والصيام ورجال الأزهر ، وانتصارات الإسلام وغيرها مثلت الأدوات الغالبة وبخاصة فى الفترة التالية لعام ١٩٦٠ م ، يقول عبد الناصر مستخدماً تلك الرموز :

الإسلام فى أول أيامه كان أول دين إشتراكى ، الدولة التى أقامها الإسلام والتى أقامها محمد عليه السلام ، كانت أول دولة إشتراكية ، محمد النبى أول من طبق سياسة التأمين فى هذه الأيام ، فيه حديث عن النبى عليه الصلاة والسلام قال فيه : « إن الناس شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلاء ، والنار » معنى هذا فى تلك الأيام كانت المقومات الأساسية للمجتمع هى المراعى والماء ، إنهم رعاة يرعوا ويعوزوا الماء والكلاء ، هذه الأشياء كانت حاجة هامة فى المجتمع ، والدولة الإسلامية عندما قامت كانت هى أول دولة إشتراكية ، والإسلام سار بعد النبى عليه الصلاة والسلام فى طريق الإشتراكية . خطابه بتاريخ ١٩٦١/٢/٢٢ م .

ويحدد عبد الناصر الأعداء الموجه إليهم عملية التعبئة السياسية من خلال الدين ، فى معوقات الذات الثقافية ، أى المدرجات الخاطئة عن الدين والتنمية والعدالة الإجتماعية وفى معوقات الخارج التى حصرها فى الرجعية والإستعمار فيقول : « إن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وإنما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقة التقدم وذلك بإفعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الإلهية السامية ، لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها ونحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تتلمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها .. لكى توقف تيار الفكر . خطابه بتاريخ ١٩٦٢/٥/٢٦ م .

ثم يدخل عبد الناصر إلى البعد الخارجى فيرى أن :

الرجعية الناهضة تستر بالإسلام ، وبتمسح بالإسلام وتعتقد أنها وجدت خط دفاع كبير جداً ولكن العالم العربى عالم واعى لأن الناس يتفهم الدعوة ، مين الى يطلق هذه الدعوة ، فإذا كانت الرجعية تطلق دعوة تحت إسم الدين ، فكل واحد يعرف إنها بتهب فلوس الناس وهى الى تستغل عمل الناس ، هى الى تستعبد العمال ، هى الى تاركة الشعوب مستغلة

ومحرومة من حقها في الحياة. وحقها في الكرامة ، لم تكن الرجعية أبداً شريعة الله ولكن شريعة الله كانت دائماً هي شريعة العدل . خطابه بتاريخ ٢٢/٢/١٩٦٦ م .

٢ - التحريك السياسي : على مستوى الأزمات الخارجية :

عاصر النظام السياسي الناصري إبان فترة حكمه أكثر من أزمة سياسية خارجية كادت أن تطيح به في بعض الأحيان وسوف تقتصر الدراسة هنا على حدثين أو أزميتين خارجيتين وهما :

أ - أزمة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م .

ب - أزمة عام ١٩٦٧ م .

ولقد استخدم عبد الناصر الدين والشعور الديني لدى الجماهير في تعبئتهم سياسياً ضد هذه الأزمات ، وتعدى هذا الاستخدام في مجال الفكر إلى مجال السلوك السياسي حين اتجه عبد الناصر إلى الجامع الأزهر يخطب في الجماهير أثناء العدوان على مصر في عام ١٩٥٦ م .

أزمة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م .

تمثل استخدام النظام الناصري للدين في عملية التعبئة السياسية لهذه الأزمة في موقف محدد لعبد الناصر كشف بوضوح عن مدركاته الحقيقية اتجاه الدين وكيفية توظيفه في عملية التعبئة السياسية من خلال توظيف الرموز الدينية ، ومن خلال الاستخدام للتراث الديني لدى الجماهير ، تمثل هذه كله في خطاب عبد الناصر الشهير الذي ألقاه من فوق منبر الأزهر في أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م ، والذي أشار فيه لتاريخ الأزهر في الكفاح ضد الإستعمار وهو الخطاب الذي أعلن فيه بداية المواجهة ضد العدوان ، ومن الأمور الهامة هنا أن هذا الإدراك الناصري لدور الأزهر - الرمز ، في عملية التعبئة السياسية لم يكن وليد هذه الأزمة السياسية فلقد سبق لعبد الناصر إن أدرك حقيقة أهمية الرمز الديني في عملية التعبئة السياسية ، وخاصة إذا كانت الأزمة خارجية تهدد بقاء أو شرعية النظام السياسي ، فعبد الناصر في أكتوبر ١٩٥٤ م يقول :

لا يسعني في هذه المناسبة إلا أن أذكر جهاد الأزهر على مر السنين فقد حمل الأزهر دائماً الرسالة ولم يتخل أبداً عن الأمانة وكافح كفاحاً مريراً ، في سبيل الحصول على حرية الوطن ، كافح الأزهر أيام الحملة الفرنسية ، وقاسى رجاله وعذبوا وقتلوا وشردوا

واقترح المحتلون الأزهر فلم يتأخر الأزهر عن حملة رسالة الجهاد والكفاح لتحرير الوطن وبلاد العروبة والإسلام واستمر الأزهر يحمل الرسالة حتى سلمها إلى الجيش إلى عرابي ، الذي قام متسلحاً بروح الأزهر يطالب بحقوق الوطن .

ويتابع عبد الناصر التراث النضالي للأزهر ضد الإنجليز إلى أن يصل إلى هدفه : « لقد جاء دور الأزهر وإن عليكم أن تحملوا الأمانة مرة أخرى وأن تدافعوا عن المثل العليا التي كافح من أجلها الأولون » .

وعلى نفس المستوى من الإدراك يواصل عبد الناصر عملية الشحن السياسي للجماهير من خلال الأزهر ، وفي أحيان كثيرة من خلال رجال الأزهر ، وهو الإدراك الذي كشف فيما بعد عن الرؤية الناصرية لهذه المؤسسة الدينية الرسمية ، والتي اتضحت كسلوك سياسي في مشروع تطوير الأزهر عام ١٩٦١ م ، ووصلت إلى أقصاها حين دخل الأزهر إلى حلبة الصراع السياسي ضد النظم العربية المعادية لعبد الناصر في إبريل ١٩٦٧ م ، وحين وصفت مجلة « الأزهر » الملوك العرب بأنهم الرجعيون والذين دنسوا الإسلام بالذهب الأمريكي من أجل أن يحافظوا على أملاكهم وبهذا فإنهم اتبعوا الشيطان وتركوا الله .

وشمئزاداً للأزمة السابقة تولدت فكرة الأحلاف السياسية الخارجية والتي وقفت عبد الناصر ضدها وبوضوح فهو يقول : « قالوا نريد أن نقيم حلفاً إسلامياً ولكن كيف يقوم حلف إسلامي تحت زعامة بريطانيا أو تحت زعامة أمريكا ؟ إن هذا الكلام هو خديعة لنا لتدخل مناطق النفوذ لم تستطع هذه الشعارات الجديدة أن تنطلي علينا ولكن إعلناها صريحة عالية ، إننا قررنا أن نستقل وحصلنا على الإستقلال » .

وهو يحدد بخطورة القضية من زاوية أخرى حين يقول : « أنا مش متصور إن يبقى حلف إسلامي ويأخذ أوامره من لندن أو واشنطن أو أى دولة أخرى لأنه حلف إسلامي إنه يتنافى في هذه الحالة مع كلمة الإسلام ويبقى حلف غربي » .

(ب) أزمة عام ١٩٦٧ م :

يتضح دور الدين أكثر في مجال التعبئة السياسية لدى عبد الناصر في المرحلة التي أعقبت هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ م ، حيث امتلأت خطب ووثائق عبد الناصر بالمترادفات الدينية والدلالات اللفظية مثل : إرادة الله والجهاد الأكبر ، والجهاد الأصغر ، والإسلام ، والإيمان بالله ، والهزيمة قدر ، والصبر والثقة في نصر الله ، والأخوة الإسلامية وغيرها ، ولعل عنف الهزيمة ، وعمق آثارها هو الذي ولد هذه التأكيدات على الدين والشعور الديني ، وخاصة

لدى المقاتلين على الجبهة ولدى القطاعات الجماهيرية التي مثل لديها - عبد الناصر - نموذج البطل التاريخي الذي لا يهزم أو الذي لا تستطيع أن تتصوره مهزوماً .

لقد اتضحت عملية التعبئة السياسية بالدين عند عبد الناصر حين كان يلتقي بالجنود أثناء حرب الاستنزاف ولقد أدرك عبد الناصر إنهم - أي الجنود - هم القطاع الجماهيري صاحب الأولوية الأولى في هذه المسألة ، لأنهم أصحاب الأزمة وضحاياها الحقيقيون ، من هنا كانت عملية التعبئة السياسية المباشرة وتأكيده على الإيمان والإرادة لدى الجندي المقاتل ، وهنا يقول عبد الناصر :

« يجب أن نؤمن بأن إرادتنا هي وحدها القادرة على تغيير الموقف وتحويل الهزيمة إلى انتصار ، لذلك يجب أن نضحى وأن نبذل الجهد ونفتدي حياتنا وحياة بلادنا بالفداء والموت ، وبدى أقول حاجة مهمة ، إن مفيش حد منّا حيموت ناقص عمر وكل مخلوق له أجل محدد وكلنا مؤمنين بالله وبهذه الحقيقة ، ومن ناحية أخرى فلا بد أن يتعمق هذا الإيمان في قلب الجنود ، عاوز كل عسكري يكون مؤمن بالدين وبالبادئ والقيم ولازم التوجيه المعنوي يعمق هذه المعاني ويجعل عامل الإيمان بالله أساسى في توعية الجندي ، وهذا الإيمان الذي يملأ قلب كل واحد يدفعه أن لا يتردد في وقت الشدة وقد لمستم ذلك في المعركة وعشتم أيامها وأدركتم قوة المبادئ والإيمان . خطابه بتاريخ ١٠/٣/١٩٦٨ م .

والأزمة - لدى عبد الناصر - تتطلب لمواجهة ثقة بالنفس وبالله لأنها قدر الأمة العربية : إن المسؤولية التي يلقها الشعب عليكم أنتم رجال القوات المسلحة مسئولية كبيرة جداً والواجب الملقى عليكم واجب صعب ولكنه مش مستحيل ، وبالإرادة والإيمان بالله والثقة بالنفس والتدريب والجهد والعلم نستطيع أن نحيل الهزيمة إلى نصر لأن هذا قدر الأمة العربية . خطابه بتاريخ ٣/١١/١٩٦٨ م .

وعن قوة الإيمان يرى عبد الناصر أن :

الدبابة مش حتحارب لوحدها ، المدفع مش هيضرب لوحده والإنسان هو القادر على تحريك كل هذه الأسلحة ، والإنسان العربي دائماً كافح ، الإنسان العربي دائماً أثر في التاريخ وسوف يكافح ويؤثر في التاريخ ، ولكن علينا إحنا واجبات كبيرة جداً من أكبر القيادات إلى أصغر القيادات ، علينا أن نوجه هذا الإنسان التوجيه السليم اللي هو جندي ، علينا أن نوجهه إلى أن يشعر إن عليه رسالة كبيرة ، رسالة ثورة ، ورسالة نحو ربه ، ورسالة نحو وطنه وعلينا أن نبعث فيه روح الإيمان ، لأنه بدون الإيمان وبدون العقيدة الواحد

حيحارب ليه ؟ الواحد جيموت ليه ؟ الواحد ييموت لأنه مؤمن بشيء يطلع يذل نفسه من أجله واحنا هنا طبعاً نؤمن بالله ، ونؤمن بوطننا ونؤمن بحريتنا ونؤمن بحق أمتنا العربية فى الحرية ، ولذلك من أجل المثل اللى إدهلنا ربنا ومن أجل بلادنا ومن أجل أرضنا ومن أجل أمتنا العربية الواحد يطلع ويضحى بنفسه . خطابه بتاريخ ٢٠/٤/١٩٦٨ م .

ومن التحليل السابق يتضح أن عبد الناصر قد اعتبر الدين عنصراً أساسياً فى عملية التعبئة السياسية للجماهير ، فى أوقات الأزمات السياسية الداخلية والخارجية ، وهو ما أثبتته أزمات الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) .

المحور الثانى : الدين كأساس فى عملية التنمية الإجتماعية للدولة الناصرية :

مثل عقدا الخمسينات والستينات بالنسبة للدول العربية مرحلة الإستقلال السياسى ومحاولات التنمية المستقلة ، بعد فترة طويلة من الإستعمار الغربى ، وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م ، كان المجتمع المصرى يعانى من أزمتين مؤثرتين : أزمة سياسية حيث كان المجتمع يرزح تحت وطأة ثالث سلطوى : الإحتلال الأجنبى ، والقصر وأحزاب الأقلية .. وأزمة إجتماعية تمثلت فى سيطرة الإقطاع وإنقسام المجتمع إلى طبقتين إحداهما أغلبية لا تملك ولا تحكم ، والأخرى أقلية تملك وتحكم معاً ، وأصبح الواقع يشهد أن نصف الأمة ليس فى حساب الأحياء .

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م إذن لتواجه بهاتين الأزمتين ، وهو الأمر الذى آثار أهمية مواجهة العديد من قضايا التنمية الشاملة ، فكان إن إثرت قضايا مثل التخطيط والتمصير ، والتأميم ، والإشتراكية ، ومواجهة الرجعية المحلية والخارجية ، ودور أو وظيفة الدين فى هذه القضايا .

والنتائج التالية المأخوذة من وثائق الدراسة تبرز تطور تكرار الدين كعنصر فى عملية التغير الإجتماعى والتعبئة الشاملة ، والتى تؤكد من حيث أرقامها المناخ العام الذى سيطر على تلك الفترة حيث نجد أن الفترة (١٩٦٤م - ١٩٦٦م) كانت أعلى الفترات التى استخدم فيها الدين كعنصر فى عملية التغير الإجتماعى والتحول نحو التنمية الشاملة حيث بلغ عدد تكراراته كفكرة سائدة ٤٩ مرة من أجمالى الفترة التى وصلت إلى ١١٥ مرة أى بنسبة تصل إلى ٤٢,٦% من أجمالى الفترة ، تليها الفترة (١٩٦٢م - ١٩٦٤م) التى وصلت إلى ٢٢ مرة أى بنسبة ٩١% ، أما أقل الفترات فكانت الفترة (١٩٦٧م - ١٩٧٠م) حيث وصلت نسبتها ٨,٧% من الإجمالى العام للفترة .

وإذا ما نظرنا إلى واقع الفترة الأولى - أى التى إزداد فيها تكرار عنصر الدين فى الخطاب الناصرى فإنها الفترة التى غلبت فيها عمليات التنمية على التوجه العام للنظام السياسى . أما الفترة التى خبا فيها الدين ، فيرجع إلى طبيعة الفترة حيث توجه اهتمام النظام إلى حيث الجانب العسكرى واستخدم الدين فى مجال التعبئة السياسية والصراع الخارجى أكثر منه تجاه التغير الاجتماعى وقضاياها ، ونفس الحقائق نجدها فى الموائيق الأخرى للفترة حيث غاب الدين كعنصر فى عملية التنمية عن كتاب (فلسفة الثورة) ، (بيان ٣٠ مارس) ١٩٦٨ م . ويرجع ذلك إلى ذات الظروف الموضوعية السابقة ، وإلى كون القضية لم تكن مطروحة بالحاح مثلما كان الحال مع الميثاق الوطنى الذى جاء فى فترة من أخصب فترات التحول الاجتماعى والتنموى التى خاضها المجتمع المصرى ، ومن تكرر الدين كفكرة فى هذه الفترة (٥) مرات هى كل المرات التى تحدث فيها الميثاق عن الدين كعنصر فى التنمية والتغير الاجتماعى أى بنسبة ١٠٠٪ .

وإذا رجعنا إلى التحليل الخاص بالكلمات الدينية ، نجد أن كلمتى الدين والإسلام قد سجلتا أعلى تكرار لهما فى الفترة (١٩٦٢م - ١٩٦٤م) ، حيث رصد (الدين) ٧٦ مرة أى بنسبة ٣٩,٦٪ من الإجمالى العام للفترة ، و(الإسلام) رصد ٥١ مرة من الإجمالى العام بنسبة ٤٤,٣٪ .

وهذه الأرقام فى مجملها تقدم تجسيدا حيا على صعود دور الدين فى عملية التنمية والتغير الاجتماعى وإن ظل يؤكد على نسبية أهميتها ومصادقتها مع فترة من أخصب فترات تاريخنا . * ويمكن من واقع النتائج السابقة ، تناول الدين وقضايا التنمية الشاملة كقضايا على مستويين : **مستوى أول :** الدين وعملية التغير الاجتماعى فى إدراك عبد الناصر ، وفيه يتم تحليل البيانات الكمية السابقة .

مستوى ثان : ويتم فيه تحديد لمستويات العلاقة بين الاشتراكية والإسلام فى إدراك عبد الناصر حيث أن الاشتراكية أصبحت هى أيديولوجية التنمية فى مصر .

(١) فعلى المستوى الأول : الدين والتغير الاجتماعى فى إدراك عبد الناصر :

يلاحظ تميز النموذج الناصرى فى هذا المجال بعدة خصائص ، يكشفها وجود عدة مراحل فى دخول الدين لمعارك التنمية والتغير الاجتماعى ، كانت على التوالى :

أ - المرحلة الأولى (١٩٥٢م - ١٩٦٠م) :

وهي المرحلة التي تم فيها إستخدام الدين من أجل تحويل الثورة إلى نظام وإلى إكتساب الشرعية لتقوم على مفاهيم وقيم التضحية والجهاد وتناقض الإستعمار وتقضى على الإرهاب والتعصب وتعمل للوحدة العربية وتحارب الطائفية وتقف أمام الماركسية والإلحاد ، وقد استخدم الدين في تأييد هذه القيم الثورية ، ومن أجل الارتباط بالجمهير وبعث القيم الأولى للدعوة الإسلامية والتي لا تختلف عن القيم السابقة في شيء إلا في اختلاف الزمن والإطار والمكان الذي طرحت فيه .

ب - المرحلة الثانية (١٩٦١م - ١٩٦٦م) :

وهي المرحلة التي بلغ فيها إستخدام الدين في معارك التنمية الذروة سواء في البناء الإشتراكي بعد قرارات يوليو في عام ١٩٦١م ، ومعارك الإسلام والإشتراكية ، أو في مقاومة الحلف الإسلامي والرجعية العربية العاملين على محاصرة القوية الثورية العربية ، وهذا يظهر الدين أسلوباً للدفاع عن النظام الإشتراكي ضد تهمة الكفر والإلحاد وهجوم على الحلف الإسلامي باعتباره صورة أخرى لحلف بغداد الاستعماري القديم .

ج - المرحلة الثالثة (١٩٦٧م - ١٩٧٠م) :

وهي المرحلة التي بدأت بهزيمة عام ١٩٦٧م ، وتم التركيز على قيم مثل الإيمان والصبر والقضاء والقدر ، تحول بها الدين من معركة خارجية إلى انفعالات وعواطف داخلية ، وسادت بعض الإتجاهات المحافظة على الجانب الداخلي من ذات المؤمن والأمل في نصر يأتي من وراء الحجب وترتب على هذه المراحل عدة تساؤلات حول مدى إدراك عبد الناصر للدين عامة وعن دوره في التنمية والمجتمع خاصة ؟ وللإجابة على هذه التساؤلات لابد أن نؤكد على معنى العلمانية الذي أراده عبد الناصر حيث هي علمانية اجتماعية ترى للدين دوراً فاعلاً ورئسياً والتي يمكنها أن تقدم دعماً أيديولوجياً كبيراً لنظام الحكم الناصري ، إنها في هذه الحالة تعني ارتباط العقيدة بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة .

بهذا التوضيح يمكن القول إن إدراك عبد الناصر ومن ثم سلوكه السياسي يقع إلى جانب المفهوم الاجتماعي الثوري للدين (الإسلام تحديداً) .

ولقد اتضحت هذه النتيجة في الإدراك الناصري حيث كان عبد الناصر يرى أن « حرية العقيدة الدينية يجب أن يكون لديها قداستها في حياتنا الجديدة الحرة ، إن القيم الروحية

الخالدة التابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها ، بل إن أساس الثواب والعقاب في الدين هو فرصة متكافئة لكل إنسان ، إن كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختباره الحر ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحترك ثواب الخير لقلّة منهم » . الميثاق الوطني - صفحة ١٠٥ .

إن الدين لا بد من أن يتصل بقضايا الجماهير ، كالملكية العامة ، فموقف عمر من الملكية العامة هو موقف عبد الناصر ، وهو موقف إشتراكيّتنا ، ملكية تكون أرباحها وثمراتها للشعب ، نشرة الإشتراكي بتاريخ ١٩٦٥/٢/٦ م .

وتؤكد وثائق النظام السياسي أيضا إن « الإشتراكيون المخلصون في أعمالهم ، وفي معركتهم ضد المترفين والعابثين الذين يعثرون المال في غير مصلحة الشعب ، وفي إيمانهم بأن الدولة الإشتراكية مسئولة عن كل فرد في المجتمع ، هؤلاء الإشتراكيون هم أقرب الناس إلى مبادئ الإسلام وهم أقرب الناس إلى الله » يراجع نشرة الإشتراكي ١٩٦٥ م - ١٩٦٦ م .

إن الدين لدى عبد الناصر يصير جزءاً لا يتجزأ من عملية التحول الاجتماعي والثقافي نحو التنمية الشاملة يتأثر بنفس التحديات ويخضع لنفس الشروط المرتبطة بقضية التنمية والتغير وهنا يتم في الفكر الديني وليس في العقيدة أي في عناصرها الإلهية الثابتة وهو التغير الذي يسمح لعبد الناصر أن يميز أعداءه وأن يكشف دعاويهم . فأموال المسلمين بتنهبا الرجعية باسم الدين ، وانهم بهذا يدافعون عن أنفسهم الدفاع الأخير . خطابه بتاريخ ١٩٦٦/٣/٢٢ م .

وحيث التفرقة بين الفكر الديني والعقيدة الدينية تأتي من كون الفكرة الديني من إنتاج البشر ، يحتمل الصواب والاجتهاد ويخضع لمصالح البشر واحتياجاتهم وعلى ذلك جرت عملية إخضاع مستمرة للقيم الدينية ومؤسساتها لتشريعات وسياسات الدولة وعمليات التنمية ، وفي هذا الصدد لعبت العقيدة ورجال الدين دوراً بادرزاً في إضفاء الشرعية على سياسات عبد الناصر وتجاربه التنموية وتزداد أهمية هذا الاعتبار من زاوية كون المجتمع المصري شديد التدين وتحظى العقيدة فيه بين الناس بمكانة عامة ، وهذا الدور ، دور الموصل لسياسات وأفكار القيادة السياسية للجماهير ، ليس جديداً على المؤسسات الدينية في مصر فقد كان الكهنة أيام الفراعنة يقومون بنفس الدور وقام رجال الدين وعلماء الأزهر وشيوخه بنفس الدور أيام الخلافة الإسلامية والحكم المملوكي والعثماني ، وفي ظل السياسات الثورية للنظام

عد الناصر بعل آخر جمعة قبل وفاته بأيام . الساعات والقذافي وقرفا



الناصرى ، وعمليات التنمية الشاملة ، أصبح من المنطقى - كما يرى البعض - بالنسبة لرجال الدين وغيرهم من القوى السياسية الأخرى أن ينصبوا من أنفسهم مدافعين عن النظام الجديد . يودى هذا إلى الحديث عن نقطة أخرى فى مجال الربط بين التنمية والدين وهى أنه من متابعة تاريخ التجربة الناصرية يتضح أن الخلاف بين عبد الناصر والقوى الدينية فى المجتمع - كما سيتضح فيما بعد - كان خلافاً سياسياً ، فمن الصحيح أن ، الإخوان - مثلاً - كانوا أو المتحمسين لنجاح الثورة وقالوا عندما قامت انها حققت أهدافهم ، وأصدروا بياناً بعد أسبوع من قيام الثورة طالبوا فيه بأن يمتد التطهير ليشمل التخلص ليس فقط من الملك وإنما أيضاً إلغاء كافة القوانين الرجعية المنافية للحريات والقضاء على التفاوت الاجتماعى بالحد من الملكيات الكبيرة واستكمال التشريعات العمالية وإباحة تكوين الاتحادات النقابية والمطالبة بتمصير البنك الأهلى .

وطالبوا فى نفس الوقت بأن يكون الحد الأعلى للملكية ٥٠٠ فدان بدلاً من إطلاقها بلا تحديد ، ورغم إن هذا خلق تعاطفاً من الثورة تجاههم ، فإن البون كان كبيراً بين الاتجاه الاجتماعى العام لعبد الناصر واتجاه الإخوان ، ولم يؤثر هذا التباين على تعاون عبد الناصر معهم ولكنه عندما تأكد له حقيقة تطلعهم إلى السلطة ، وبداية الصدام معهم حاول إستبدال العناصر غير المعتلدة منهم بأخرى بسهل التأثير عليها وتكون غير مرتبطة بتنظيم الإخوان ، ففي بداية الثورة ، تحديداً فى السنوات الأولى ، إستخدمت القيادة السياسية أسلوباً خاصاً فى الحكم ... كما يقول البعض حيث كانت القيادة السياسية تقوى على سلطتها ، وتضرب فى كل إتجاه تبعاً للظروف ، فكانت تضرب البرجوازية الكبيرة وفى نفس الوقت تحاول دعمها ، بضرب الشيوعيين وتقدم خدمات للطبقة العاملة ، وتحاكم الإخوان ، المسلمين وتنمى فى نفس الوقت الإتجاهات المحافظة ، بيد أن هذا الرأى يجافى الواقع فى تفاصيل عديدة لها ملاسائها السياسية الخاصة كما سيتضح فيما بعد .

وفى بداية فترة الستينات - أيضاً - وعند الإعداد للميثاق والقرارات الاشتراكية التى صدرت عام ١٩٦٢م - فى هذا المناخ الثورى والإشتراكي إختفى وجود اليسان والإخوان على السواء ، فالإخوان كانوا فى المعتقلات ، ولم يكن فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية أى من الشيوعيين وعين عبد الناصر كلا من أنور السادات وكمال الدين حسين أمينين عامين للمؤتمر الوطنى ، وكان الثانى فيما بعد مشرفاً على لجنة المائة التى وضعت تقرير الميثاق ، ولكن المؤتمر ضم الكثير من الشخصيات المحافظة .. والتى حرصت على طرح أفكارها وتصوراتها الدينية الخاصة رغم عدم مواءمة المناخ السياسى العام لذلك .

ولقد كان السادات وكال الدين حسين من ضباط الثورة الذين كانوا على صلة بالإخوان المسلمين وكان الثاني متزماً في أفكاره الدينية ، وظهر ذلك في تقرير الميثاق الذي عكس وجهة نظر محافظة ، ويرجع البعض سبب إعتاد عبد الناصر على القوى الدينية المحافظة من غير الإخوان في الفترة التي يقود فيها عمليات تحول اشتراكي إلى اعتبارات متعددة يأتي في مقدمتها أن عبد الناصر لم ، يكن يضع اعتباراً للاختلافات في النظرة إلى التحول الإجتماعي إلا عندما يتحول أصحابها المناوئين له من موقع الفكر إلى موقع العمل وعندما يختفى خطر الاتجاه إلى العمل السياسي ولا يظهر على السطح إلا الخلاف الفكري فإنه في ، هذه الحالة ينحاز إلى صف الاعتدال والقوى المحافظة .

لقد حاول عبد الناصر أن يدرك قيمة الرجوع والعودة إلى الدين ، لخلق الطريق الصحيح للتنمية الذي يتعد عن الإحتراف حيث :

القرآن أيضاً كان يعطينا عظة وعبرة يعود إلى الماضي ويحكي لنا قصة عاد ثمود ، والطغيان ، حصل له ؟ علشان نأخذ من هذه القصص عظة وعبرة ونشوف إيه اللي حل بالي إنحرفوا ، وإيه اللي حل بالي خرجوا عن الطريق إلى كان يجب عليهم أن يتبعوه ، فالميثاق يسترشد ويستهدي بهذه الطريقة . خطابه بتاريخ ٢٦/٥/١٩٦٢ م .

٢ - المستوى الثاني : الاشتراكية والإسلام في إدراك عبد الناصر :

للعلاقة بين الاشتراكية والإسلام في الإدراك الناصري مستوياتها ، فهناك مستوى الإدراك للعلاقة ، وهناك مستوى التطبيق في مواجهة ما أسماه عبد الناصر بالرجعية العربية ، وأحلافها وعملياتها في الداخل فلقد دارت المعركة الحقيقية بين الدين والاشتراكية بوجه عام ، والإسلام والاشتراكية بوجه خاص بعد قرارات يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١ م ، والتي ولدت هجوماً من الخارج عليها تحت غطاءات سياسية ودعائية مختلفة كان في مقدمتها الدين والإسلام ، فكان استخدام القيادات السياسية لرؤيتها وإدراكها المسبق وطرح عبد الناصر تصوره القائم على إن الإسلام هو أول دين اشتراكي وتوالى تفسيره لهذا التصور - وتوالى أيضاً النشرات والوثائق الرسمية تأكيداً لهذا المعنى بالاشتراكيون هم أقرب الناس إلى مبادئ الإسلام وهم أقرب الناس إلى الله بل إن موقفنا الاشتراكي الحالي يستمد أصوله وروحه من الإسلام وعبد الناصري يرى أن : « الإسلام في أول أيامه كان دين اشتراكية ، الدولة التي أقامها الإسلام والتي أقامها محمد عليه السلام كانت أول دولة اشتراكية ، محمد النبي أول من طبق سياسة التأمين في هذه الأيام » .

ويُفسر عبد الناصر التأميم الإسلامي حين يقول :

فيه حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام قال فيه إن الناس شركاء في ثلاث الماء والكلاء والنار ، فيه ناس قالوا أيضاً الملح ، معنى هذا في تلك الأيام كانت المقومات الأساسية للمجتمع هي المراعى . إنهم رعاة يرعوا ويعوزوا الماء والكلاء هذه الأشياء كانت حاجة هامة في المجتمع . النبي قال إن الناس يجب أن يكونوا شركاء في هذا ما يجيش واحد يستولى على المراعى ويقول هذه ملكى ، هل التأميم يختلف عن هذا في أى شيء ؟ حين نقارن أنفسنا بهذا الوقت ، الأول كان يعيش على المراعى ، يعيش على الماء ، ويعيش على الكلاء والنار كانت مهمة له ، اليوم المصانع هيه تتمثل الأرض الزراعية وتمثل المقومات الأساسية في المجتمع . خطابه بتاريخ ١٩٦١/٦/٢٢ م .

وأدرك عبد الناصر إن الدولة الإسلامية لم تتوقف اشتراكيتها بعد وفاة الرسول :

الدولة الإسلامية حينما قامت كانت هي أول دولة اشتراكية والإسلام سار بعد النبي عليه الصلاة والسلام في طريق الاشتراكية ، أيام أبو بكر وأيام عمر سار في طريق الاشتراكية وفي أيام النبي وفي هذه الأيام إنصفوا أهل الفقر من أهل الغنى ، في أيام عمر أمموا الأرض ووزعوا الأرض على الفلاحين (خطابه السابق) .

كما يتجه عبد الناصر إلى مهاجمة الرجعية ، وهو ما يجسد المستوى الثانى للعلاقة بين الدين والاشتراكية في إدراكه حيث يقول :

الاشتراكية بتقول إن أموال المسلمين للمسلمين والرجعية بتقول إن أموال المسلمين للملوك المسلمين ، والدين يقول أن أموال المسلمين للشعب مش للملوك ، وإن الاشتراكية تتمشى مع الدين ، والنهارده طبعاً الإسلام عقيدة يؤمن بها الشعب المليم العربى ، لابد للرجعية أن تستر بالإسلام وتتمسح بالإسلام زى الإخوان المسلمين عملاء الإستعمار ما تستروا وتمسحوا بالإسلام وقبضوا فلوس حلف بغداد ، وقبضوا فلوس من السعودية وباعوا أنفسهم لكل من يدفع الثمن ، النهاردة الرجعية تستر بالإسلام ، وتتمسح بالإسلام وتعتقد أنها وجدت خط دفاع كبير جداً ، ولكن العالم العربى ، عالم واعى والشعب العربى ثائر ، ولن يمكن للرجعية أن تخدعه. مهما تمسحت في الدين ، لأن الناس بتفهم الدعوة من الى يطلق هذه الدعوة ، فإذا كانت الرجعية تطلق الدعوة تحت اسم الدين ، فلك واحد يعرف إن الرجعية هي الى بتنهب فلوس الناس ، هي الى بتستغل عمل الناس ، هي الى بتستعبد العمال ، هي الى تاركة الشعوب مستغلة ومحرومة من حقها في الحياة ، وحقها في الكرامة ، لم تكن الرجعية أبداً

شريعة الله ولكن شريعة الله كانت دائما هي شريعة العدل . خطابه بتاريخ ٢١/٣/١٩٦٦ م .
والإشترابية عند عبد الناصر في علاقتها بالدين تنتقل إلى مرحلة أخرى حين يستشهد
هنا بخبرة أبي بكر الصديق في مواجهة المرتدين :

فلقد حارب أبو بكر مانعي الزكاة ، وهي حروب الردة في الإسلام فالردة عن الزكاة
ردة عن الإسلام ، رده عن النظام الإسلامي كله وعن الدعوة الإسلامية كلها ، وهذا نموذج
لثورة الإجتماعية ، لابد أن تسير في طريقها ويتم تأمينها حتى تنتصر وحتى تزيل الفوارق
بين الطبقات حتى تقام العدالة الإجتماعية وحتى تقام الفرص المتكافئة بين الطبقات ، لقد
انتصر النبي أولاً ورجع إلى مكة منتصراً وحدث خلاف في ذلك الوقت حول العفو عن
الذين ناهضوا الدعوة وقاوموها ووقفوا ضدها أم لا ؟ فقال الرسول : « إذهبوا فأنتم الطلقاء »
وقال أيضا : « من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن وكان هذا سبيل الثورة في بدايتها ، وهو
سبيل الرسول عندما رجع من إحدى المعارك التي أصيب فيها (معركة أحد) ... وقال :
« اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ولكنه قال أيضا : « إن المنافقين يقتلون ولو كانوا
مستعلقين بأستار الكعبة » فلكل دعوة مؤيدون ومعارضون والمعارضون يتم العفو عنهم إذا
ما تحولوا إلى الإسلام كما فعل عمر بن الخطاب عندما تحول من العداوة إلى التأييد أو قتالهم
كقتال أبي بكر لمانعي الزكاة .

وهنا حاول عبد الناصر الارتكان إلى التراث الإسلامي في مجال الحرب ، من أجل تأييد
العنف الثوري فيما يتعلق بحقوق الفقراء من أموال الأغنياء مستدلاً بحروب الردة وقاتل مانعي
الزكاة .

وهكذا تصبح الحرب من أجل حقوق الفقراء أداة للتوكيد على تلك العلاقة ، علاقة
الإسلام بالإشترابية لقد أدرك عبد الناصر طبيعة العلاقة بين الدين والإشترابية بين الدين
والتنمية ، وهو الإدراك الذي ، وجد منذ البداية مع قيام الثورة ولكنه اكتسب فاعليته
ومصداقيته مع بدء عمليات التحول الإجتماعي في مصر مع بداية الستينات .

هذان هما أبرز جوانب العلاقة المفترضة بين (الدين) و (الدولة) على مستوى الإدراك
الناصري (إدراك عبد الناصر تحديداً) ، وهما محوران نتصور إن ضرورة أخذهما في الحسبان
عند بناء التصور الناصري المستقبلي في مجال علاقته بالإسلام على مستوياتها المختلفة باتت
مهمة ، فأهمية أن يكون الدين منطلقاً للعبئة السياسية والتحريك السياسي م نأجل بناء الدولة
الناصرة المرجوة (والتي هي حتماً ستختلف عن دولة عبد الناصر) ، أهمية قصوى ودولة

معاصرة تفترض أن عليها رسالة نحو أمتها ونحو العالم مع نهاية القرن العشرين ، دون عملية تعبئة وتحريك سياسى للجماهير وللمجتمع ، هى دولة عاجزة ومحكوم عليها بالنهاية والزوال كذلك فالدولة الناصرية القادمة - إن شاء الله - هى دولة تبغى عملية شاملة للتنمية الإجتماعية ، والإستناد إلى مخزون روحى آخر غير مخزون الإسلام لدى القوى المحركة لهذه التنمية ، سوف يصير إستناداً عاجزاً ومؤقتاً ، ومحكوماً عليه بالتراجع عند أول منحنى .

* إن الناصرية كما فهمها عبد الناصر - وكما يفهمها كاتب هذه السطور - ستظل (اجتهاد فى إطار الإسلام) ، وهى بهذا المعنى بحاجة إلى التفتيش المستمر بين ثنايا التراث الناصرى ، وبعثه بروح جديدة تتفق ومتغيرات الحياة والكون من حولنا دون تقديس مبالغ فيه لهذا التراث ، أو إختزال مغل له .

ولا نبالغ إذا قلنا أن الإسلام - أيضاً - سواء كعقيدة أو كممارسة بحاجة إلى هذه (الناصرية الإسلامية الجديدة) بقدر حاجتها هى إليه ، خاصة بالنسبة لمجتمع فى مثل ظروف

وهوم مجتمعنا العربى ، فالناصرية / التجربة ، والناصرية / التراث تقدم نفسها (كبرنامج سياسى أمثل) للإسلام المحمدى ، وهو برنامج سياسى يحاول أن يرتقى إلى مستوى النظرية المتناسكة . ويكاد أن يكون الوحيد فى منطقتنا وتاريخنا الحديث فى نطاق التنمية والتعبئة السياسية ومقاومة الوجود الأجنبى والدعوة إلى التحرر الفكرى والسياسى ، تحديداً منذ تجربة محمد على باشا (١٨٠٥) وحتى اليوم ، (قطعاً من المهم هنا الإشارة إلى النموذج الإسلامى الفذ الذى تقدمه إيران . ولكن الأمر مختلف فى نواحي عديدة ولهذا حديث آخر .

* إذن ..

بقدر حاجة (الناصرية) إلى (الإسلام) ، بقدر حاجة الأخير إليها ، شريطة أن تتخلى هى عما يناقضها مع الإسلام .

* إن (الناصرية الإسلامية) التى ندعو إليها تتطلب هى الأخرى من أجل الوصول إليها أن تتحرر عقلياً من قيود عديدة تكبل حركة العقل العربى والإسلامى وتحول بينه وبين النهوض الحقيقى ، وتجبره على إعادة إنتاج قضايا حسمت منذ مائتى عام مضت .

ثانيا : عبد الناصر والأزهر والمحاكم الشرعية والمجالس المليّة القبطية :

(١) عبد الناصر والأزهر :

لعب الأزهر الشريف دوراً سياسياً بارزاً فى التاريخ المصرى بالإضافة إلى رسالته الفكرية والحضارية . ومر هذا الدور بمرحلتين أولهما : قبل عصر محمد على ، حين كان الأزهر يتمتع بدرجة كبيرة من الإستقلال على السلطة السياسية ، وكان له نظامه الدراسى الخاص الذى تقرره هيئة علمائه وشيخه الذى يختار بمعرفة هذه الهيئة ومصادر تمويل نشاطه العلمى المستقلة التى تستمد من الأوقاف التى أوقفها السلاطين وبعض الأثرياء عليه وحددوا فى حجج وقفها كيفية التصرف فى ريعها وتولى العلماء إدارتها دون تدخل من جانب الحكام .

وثانيهما : تبدأ مع قدوم الحملة الفرنسية وتتضح أكثر مع تولى محمد على للحكم من خلال تعضيد رجال الأزهر له بعد بروز قوتهم السياسية وإجبارهم للسلطان العثمانى على تحقيق مطالبهم بتولية محمد على ، ولكن الأخير لا يلبث أن ينتزع الدور السياسى لهذه المؤسسة من خلال تأكيد تبعيتها للدولة مالياً ، بنزع إشراف العلماء على أوقافه ، وبالتدخل فى إختيار شيخ الأزهر عن طريق التأثير على هيئة العلماء التى تتولى إنتخابه وخاصة إن ممارسة الشيخ لصلاحياته تحتاج إلى تصديق الدولة على إختياره ، ثم أصبحت الدولة هى التى تتولى تعيين شيخ الأزهر من بين العلماء الذين تثق فى ولائهم لمن يجلس فى سدة الحكم ، وبذلك فقد الأزهر إستقلالته وتم تحجيم دوره التقليدى ، وكان لإنشاء النظام التعليمى الحديث فى عصرى محمد على وإسماعيل أثره الداعم لهذه الإتجاه ، ومع الجهار البيروقراطى الحديث أصبح المجال متسعاً أمام خريجى النظام التعليمى المدنى الحديث لاحتلال مراكز البيروقراطية المصرية ، بينما ضاقت فرص الأزهرين فى نيل نصيب منها .

على الرغم من هذا كان للأزهر دور سياسى واضح فى الفترات التاريخية التى عاصرت التحدى الإسلامى للنموذج الغربى ، فكانت تحركات جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ذات إطار سياسى يرتكز على الأزهر ، وكان الأزهر إبان الثورة العرابية واضحاً فى تأييد رعمائها ، بل وخرج رجالها وفى مقدمتهم عرابى من الأزهر وكان والده ولمدة عشرين عاماً أحد علماء الأزهر واحتضن الأزهر ثورة ١٩١٩م وخرج الأزهريون يطالبون بالإستقلال وبالوحدة الوطنية وكان فى مقدمتهم : مصطفى القاياتى ومحمود أبو العيون وعبد ربه مفتاح ومحمد عبد اللطيف دراز وعلى سرور الزنكلونى وتعددت مواقف الأزهر الوطنية وخاصة فى أحداث الكفاح الوطنى ضد الأجنبى ، ويصل البعض من استعراض المواقف السياسية

للأزهر إلى القول بأنه عندما تكون المواجهة مع الأجنبي فإن رجال الأزهر ينضمون إلى قوى الثورة الوطنية ، ولكنهم يخرجون عندما تكون المواجهة مع الحاكم بهدف الثورة والتغيير الإجتماعى .

ويذهب أصحاب هذه النظرة إلى أنه للإعتبارات الخاصة بالتمويل و سطوة السلطة السياسية وفى مواجهة الأزهر فإن الدور السياسى يبرز عندما تكون المواجهة مع أجنبى يتفق عليه الجميع بما فيهم السلطة السياسية ، ويغيب هذا الدور عندما تكون المواجهة نحو الداخل ، أى السلطة السياسية .

وفى الفترة السابقة مباشرة لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أسهم الأزهر بأشكال متعددة فى دعم النظام السياسى من خلال إضفاء سمة الشرعية عليه ، تبنى هذا من ناحية فى استمرار المساندة والتأييد فور تولى المنصب الجديد لشيخ الأزهر ، وذهابه إلى سراء عابدين لتقديم الولاء والشكر قبل الذهاب لتسلم مهام المنصب .

ومن ناحية أخرى فى أحداث التعديل البنائى داخل الأزهر نفسه حيث تم تعديل المادتين ١٢٢ و ١٢٤ الخاصتين بانتخاب كبار العلماء بالأزهر من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م وأحياناً تأتى ناحية ثالثة تتمثل فى مباداة النظام السياسى للإحتفال مع الأزهر ببعض مناسباته التاريخية مثل الإحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، أو فى تحقيق بعض مطالبه الملحة كبناء دار للطباعة وإنشاء إدارة للدعاية الإسلامية ، أو وضع نظام جديد للمكتبة الأزهرية ولكن هذا لم يمنع من تمرد داخلى يحدث داخل هذه المؤسسة التاريخية ، يتواكب فى فاعليته مع حركة الشارع السياسى المصرى وقتئذ (نقصد هنا الفترة من ١٩٤٥م حتى قيام الثورة) والحركة الوطنية يومئذ ، حيث يخرج الأزهريون فى مظاهرة احتجاج لتحقيق مطالبهم الوظيفية وكرامة الأزهر المهنية أدت إلى إقالة الشيخ عبد المجيد سليم الذى تضامن معهم ، والذى أدلى بحديث أعلن فيه أن الحرب ضد الأزهريين معناها حرب ضد الإسلام ولكن حتى هذه الإنتفاضات ذات البعد المهنى ، لم تسلم من أن يتخللها تأييد ضمنى « لجلالة الملك » وؤن تتعالى الهتافات لتدوى بحياته وهو الأمر الذى يفسر عودة الشيخ عبد المجيد سليم بعد إحالته للتقاعد بحالى خمس أشهر واحتفائه بذلك بذهابه إلى قصر عابدين ليقدّم شكره للملك راجع الأهرام فى ١٠/٢/١٩٥٢م .

وفى هذا السياق ، سوف يتم تناول مرحلة الإعداد لتنظيم فردود الفعل له ، وتقييمه .



كان عبد الناصر يحرم على زيارة الشيخ شلتوت فى بيته .

١ - الأزهر بعد الثورة : مرحلة الإعداد لإعادة التنظيم :

دخل الأزهر دائرة الإهتمام السياسى للنظام الجديد منذ الأيام الأولى له ، فنجد الأزهر يطالب بإسترداد ثمن الهدايا التى أعطيت للملك السابق ، ونلمح تغييرات مباشرة فى مشيخته ، فيقال الشيخ عبد المجيد سليم ، يعلن الشيخ الجديد عن تغيير وبرنامج شامل لإصلاح الأزهر ويبد دور الأزهر السياسى مع النظام الجديد ، فتتغير القيادات أكثر من مرة ، ويتولى عبد الرحمن تاج مشيخة الأزهر خلفاً للخضر حسين ، ويقال عبد اللطيف دراز ويتولى صالح موسى شرف سكرتير الأزهر بدلاً منه ، ويواكب تغيير القيادات ، تغير آخر مقابل فى الإتجاهات والأدوار التى تناط بالأزهر وعليه يلاحظ أنه فى عنف الأزمة التى يواجهها النظام السياسى ، وصراع السلطة بين محمد نجيب وعبد الناصر يصدر شيخ الأزهر فتوى تقول بأن « الزعيم الذى يتعون ضد بلاده ويخذل مواطنيه فإن الشريعة تقرر تجريده من شرف الوطن » وعليه تتجه السلطة الجديدة بالمقابل إلى إعلان إنشاء معاهد دينية جديدة للأزهر وإلغاء قيود ووظائف الوعاظ والمراقبين والمدرسين وزيادة ميزانية الأزهر .

ويتطور دور الأزهر ليتواءم مع الأحداث السياسية الهامة التى تعيشها مصر ، ليعلن تأييده لإتفاق الجلاء وللرئيس عبد الناصر ، ويؤكد « إن صلابة وحدتنا على النضال والتضحية أخضعت المستعمر » ويتجادل دور ، الأزهر مع الأحداث السياسية داخل مصر ليعلن فى ١٥/٢/١٩٥٦ م ، أول تعديل فعلى لقانون الأزهر بعد الثورة ، وهو الخاص بتعديل المواد ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٤ من القانون الخاص بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والتى تقضى بالتيسير على طلاب امتحانات النقل فى الأقسام الإبتدائية والثانوية الخاصة بنشر الدعوة الإسلامية فى دول العام ، وواكب هذا التعديل تعيين الشيخ محمود شلتوت وكيلاً للأزهر ثم شيخاً له ، وتعيين كمال الدين رفعت وزيراً لشئون الأزهر والمعاهد الدينية . وكان هذا قمة التشابك بين دور الأزهر السياسى ورغبة النظام السياسى فى الإشراف عليه .

وعلى المستوى الفكرى هيات ساحة العمل السياسى والفكر لإستقبال قانون إعادة تنظيم الأزهر بسلسلة من المقالات حول الأزهر ، بدأها الشيخ أحمد الشرباصى بمقال شامل فى الأهرام ١١/٣/١٩٥٨ م يطالب فيه بضرورة إحداث ثورة فى الأزهر وما حول الأزهر ، ويرد عليه الشيخ عبد الحكيم سرور بأن هناك فعلاً ثورة داخل الأزهر ، وبأن الأمر كبير فى رجال النهضة الحديثة فى جمهوريتنا العربية فى ألا يتخلف أساتذة الأزهر وموظفوه عن أقرانهم فى أية وزارة أو مصلحة . ثم دعوة صريحة بضرورة الإلتفات إلى وضع المرأة

فى الأزهر وإلى موقف الأزهر ورجالہ وقوانينہ منه ، وضرورة تغييرها جميعاً ، حتى نسمع أنهم لم يعودوا يرون فى « دخولنا الأزهر طالبات أو محاضرات أو مدرسات ، إلا أحياء لسنة كريمة وتقاليده راسخة والقول للدكتورة بنت الشاطىء فى الأهرام ١٧/١١/١٩٥٩ م . ويعلم بالأزهر بعد ذلك عن أن الأزهر سوف يدخل ميدان الفن . ويعلن أيضاً بأنه سيقدم ٧٠ فناً أزهرياً عروضهم النية فى متحف الفن . ويعلن أيضاً انتساب أول طالبة أمريكية مسلمة إلى الأزهر ثم تبدأ نعمة التغيير فى الظهور تدريجياً ، والإقتراحات تتزايد من قبل لجنة الشئون الدينية للأزهر ، وهى لجنة متفرعة من اللجنة الفنية الدائمة للمقترحات فى الإتحاد القومى ويرأسها كمال الدين رفعت ثم يعلن قبل قانون إعادة التنظيم بأيام قليلة عن فتح الأزهر أبوابه لقبول الفتاة وتعيين المدرسات فى هيئة تدريس الفتيات وتخصص فصول خاصة بهم ثم تنظم دراسات لرجال السلك السياسى وحملة المؤهلات العالية . وكانت جميعها تغييرات مهدت لإعلان النظام السياسى لقراره فى يونيو ١٩٦١ م بالقانون الجديد لإعادة تنظيم الأزهر .

٢ - قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ :

فى ٢٢ يونيو ١٩٦١ م أرسل الرئيس جمال عبد الناصر إلى رئيس مجلس الأمة خطاباً كان نصه « أرسل إليكم صورة من مشروع القانون الخاص بإعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها لعرضه على مجلس الأمة لنظره على وجه الاستعجال » .

وبالإضافة إلى المقدمات السياسية والفكرية التى سبقت إرسال هذه الرسالة وتمير القانون فى نفس الجلسة يلاحظ أنه فى هذا التوقيت كانت مصر تستعد لإستقبال مرحلة هامة فى تاريخها ، حيث س ٢٨ سبتمبر من ذات العام حدث الانفصال بين سوريا ومصر ، وفى يوليو من نفس العام أصدرت الثورة قوانينها الاشتراكية ، وبعد أقل من عام صدر الميثاق الوطنى فى مايو ١٩٦٢ م ، أى أن المناخ السياسى العام كان يدفع البلاد دفعا إلى مزيد من الخطوات الثورية ، وفى إتجاهات متعددة ، بهدف تطوير المؤسسات القديمة واصلة المؤيات الدينية ، وخاصة والخصم التقليدى للنظام السياسى على المساحة الدينية لم يكن موجوداً يومها ، وهو الإخوان المسلمون ، وعليه أتى الأزهر فى مقدمة هذه المؤسسات .

وحول الشكل العام للجلسة التى نوقش فيها مشروع القانون يقول الأستاذ / فتحى رضوان فى مقابلة شخصية معه « لإجبار المجلس على الموافقة حضر رجال الثورة وجلسوا أمامنا على المنصة ، وتحديداً كان على المنصة أنور السادات وكمال الدين حسين وكمال

الدين رفعت وعلى يساره إثنين من رجال الأزهر هم محمد البهى ونور الحسن » ويقول أيضاً وهدد أنور السادات المجلس عندما علت أصوات تعارض المشروع قائلاً : كانت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ثورة والذين حاولوا الوقوف أمامها ديسوا بالأقدام ، واليوم ثورة جديدة وسيصاب الذين يقفون أمامها بنفس المصير .

ويلاحظ أنه قد تغيب عن هذه الجلسة ١٧٩ عضواً أى حوالى ٤٩٪ من أعضاء المجلس وتوزعوا على النحو التالى : ٤٢ عضواً غائبين بأجازة ، ٨٩ عضواً معذورون ، ٤٨ عضواً غائبون بغير إجازة وهو الأمر الذى يعطى دلالة أخرى حول وجود معارضة من بين أعضاء المجلس لهذا المشروع ، ومن حيث المبدأ ، لم يوجد بين الأعضاء الذين حضروا الجلسة من اعترض وفقاً للوثائق الرسمية سوى النائب / صلاح سعدة ، وتقول الرواية الرسمية أن الخلاف بين الأعضاء كان حول كيفية الموافقة على المشروع : هل تكون بقراءة أرقام المواد أم نصها . وإن رئيس المجلس بالنياحة الذى كان وقتها محم فؤاد جلال وكيل المجلس أمر بتشكيل لجنة خاصة لتقديم تقريرها حول هذا المشروع تمهيداً لإصداره ، نظراً لعدم وجود لجنة مختصة بشئون الأزهر والمعاهد الدينية ولقد قدمت اللجنة تقريراً لم يختلف فى شيء عن النص الأصلي للمشروع .

أما من حيث مضمون القانون فقد حدد الهدف من التطوير بأنه إلغاء مواد وأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م الخاصة بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المكملة له والخاصة بإعطاء درجة من الإستقلالية لهذه المؤسسة الدينية ، ثم يلى الإلغاء إستبدالها بأحكام جديدة تعطى للدولة سيطرة أكبر على هذه المؤسسة (مادة ١) ، وقد تمثل مضمون التطوير تعريف الأزهر بأنه الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث العلمى والفكرى للأمة العربية وإطهار أثر العرب فى تطوير الإنسانية وتقديمها (مادة ٢) وأدخل التطوير أشكالاً وتنظيمات جديدة على الأزهر كان أهمها :

- المجلس الأعلى للأزهر .
- المجمع العلمى للدراسات الإسلامية .
- جامعة الأزهر .
- إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية .
- المعاهد الأزهرية . (مادة ٨) .

وفصل القانون مهام هذه الهيئات مؤكداً على طريقة إدارتها واختيار أعضائها وقياداتها ، وربطها بعملية التنمية والتغير الإجتماعى التى يعيشها المجتمع المصرى (المواد من ٩ - ١٠١)

شاملة الباب الثانى حتى الباب السادس) ، وكان لهذا التطوير دلالة سياسية الهامة من حيث تأكيده لسيطرة الدولة على الأزهر وتبذت سيطرة الحكومة فى العديد من النواحي :

(أ) يعين لتصريف شئون الأزهر وزير بقرار من رئيس الجمهورية (مادة ٣) ، ولهذا الوزير الحق فى أن يطلب إلى المجلس الأعلى للأزهر أو الإدارات أو الهيئات أو اللجان الفنية المختلفة التابعة له بحث موضوعات معينة لإبداء الرأى فيها أو اتخاذ قرار بشأنها كما أن له كل السلطات المخولة للوزراء فيما يتعلق بشئون الأزهر وهيئاته المختلفة (مادة ٣) .

(ب) قصر دور شيخ الأزهر على الشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فى الأزهر وهيئاته ، ويرأس المجلس الأعلى للأزهر (مادة ٤) .

(ج) أعطى القانون رئيس الجمهورية حق تعيين شيخ الأزهر : سواء من بين هيئة المجمع العلمى للدراسات الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة فى أعضاء هذه الهيئة ، وإن كان من قبل تعيينه ليس عضواً فى تلك الهيئة ، صار بمقتضى هذا التعيين عضو فيها (مادة ٥) .

(د) أعطى القانون أيضاً لرئيس الجمهورية الحق فى إختيار وكيل للأزهر من بين هيئة المجمع العلمى للدراسات الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة وإن كان قبل تعيينه ليس عضواً فى هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها ، والوكيل يعاون شيخ الأزهر ، ويقوم مقامه حين غيابه (مادة ٧) .

٣ - التقرير الرسمى للقانون :

إستند النظام السياسى إلى مجموعة من الأسباب التى ساقها كتبرير لعملية التطوير ، وضمنها فى المذكرة الإيضاحية التى أعقبت القانون التى قدمها وزير الدولة كمال الدين رفعت والتى أشارت إلى أن الأزهر كان ذات اتجاه محافظ فى علومه ومواقفه ، وإن هذا الإتجاه أتى نتيجة الموقف الدفاعى الذى التزمه خلال قرون من المواجهة مع محاولات العدوان الخارجى والداخلية ، وكما ترى المذكرة الإيضاحية فإن هذا الإتجاه قد استمر رغم زوال الأسباب التى دعت إليه ومظهر ذلك من وجهة نظر المذكرة إن خريجيه لم يزالوا حتى هذه الأيام فيما يريدون لأنفسهم أو فيما يصفهم غيرهم ، رجال دين لا يكادون يتصلون لعلوم الدنيا اتصال النفع والإنتفاع « وترى المذكرة » إن الإسلام فى حقيقته الأصلية

لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا لأنه دين اجتماعي ينظم سلوك الناس في الحياة ليحيوا حياتهم في حب الله عاملين مؤثرين في المجتمع في ظل الله . وإن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيبه من الدين والدنيا ، فكل مسلم يجب أن يكون رجل دين ورجل دنيا .

وتؤكد المذكرة على هذا الانفصال الواضح بين علوم الدين وعلوم الدنيا داخل الأزهر والذي تزامن مع التطور المعاصر العلمي والسياسي الذي يعيشه العالم الإسلامي « فالعلم الإسلامي اليوم قد أفسح مداه واتسع نطاقه وأطل على آفاق فكر جديد ، في كثير من البلاد التي تخلصت حديثاً من ربة الإستعمار ، رغبة في التخطيط للبناء والعمل والإنتاج في مجالات الصناعة والتجارة ، والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض. وهذه البلدان والتي تقع مصر في مقدمتها حين تلتقي الخبراء من كل نوع من أنواع هذا النشاط لا تكاد تجد إلا الأجانب عن بيئتها ودينها من المواطنين أو غير المواطنين وحين تلتمس من المواطنين خبراء يملكون الخبرة معارف دينية صحيحة وعقيدة واعية لا تكاد تعرف أن توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة .

وترى المذكرة إن هذه العناصر الثلاث الخبرة ، والمعرفة ، والعقيدة هي أهم ما تحتاجه ، مصر وباقي البلاد الإسلامية وفي هذا الإطار يأتي الأزهر ، والذي كان من المفترض أن يجمع العناصر السابقة داخلة ، ولكنه اكتفى بجانب العقيدة دون غيره وفقد خريجه كل العناصر التي تؤهلهم لحمل أعباء النهضة داخل مصر وبلدان العالم الإسلامي . وترتب على هذا الموقف الذي يعيشه الأزهر كما تشير المذكرة التفسيرية للقانون ، أن تحول بعثات بعض البلاد الإسلامية إلى الجامعات المدنية في مصر ، أو في غيرها من البلاد إلى بعثات علمية فقط وعاد المبعوثون إلى بلادهم وهم يملكون الخبرة ولا يكادون يعرفون الدين وفي نفس الوقت عاد المبعوثون منهم إلى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظاً كبيراً ، لكنهم لا يحسنون عملاً ولا يطبقون إنتاجاً ولا يقدر على المشاركة في لون من ألوان النهضة التي أشارت إليها المذكرة من قبل ، « وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الاجتماعية في كثير من بلاد العالم الإسلامي وتعثرت النهضة في تلك البلاد » وكانت النتيجة المنطقية لذلك أن تنعكس هذه الأسباب على هبة خريجي الأزهر وعلى عملهم ، فقللت من هيبتهم وعطلت طاقات رجل الدين المتصلة بالحياة ، « وزين الشك في قلوب الناس تجاه صورة رجال الأزهر ونقصت هيبتهم » . وبناء على هذه الأسباب مجتمعة. كان لابد من التطوير وكان لابد من تجديد الأزهر والاعتراف بمكائنه وأثره مع الإحتفاظ له بظابعه وخصائصه وصفته التي استحق بها أن يبقى مسيطراً على تاريخنا وعلى العلاقات

الوثيقة بيننا وبين إخواننا في شرق الأرض وغربها أكثر من ألف سنة - كما تقول المذكرة . وقد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض منذ أكثر من نصف قرن ولكنها جميعاً لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحاول حلها جذرياً فكانت قشور من الإصلاح لعل بعضها كان أسوأ أثراً ، ولعلاج المشكلة من صميمها كان لابد من تقرير مبادئ تكون أساساً لكل إصلاح . وقامت المذكرة الإيضاحية بإيضاح هذه المبادئ وهي :

- (أ) أن يبقى الأزهر وأن يدعم ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة في الشرق والغرب وأن يظل حصناً للدين والعروبة ويرتقى به الإسلام ويتجلى في جوهره .
- (ب) أن يخرج علماء قد حصلوا على ما يمكن تحصيله من علوم الدين ، وتبهاوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة للعمل والإنتاج في كل مجال من مجالات العمل والإنتاج فلا تكون كل حرفتهم أو كل بضاعته هي الدين .
- (ج) أن تتحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم أخرى وتزال الفوارق بين خريجه وسائر الخريجين في كل مستوى وتكافأ فرصهم جميعاً في مجالات العلم ومجالات العمل مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التي يمتاز بها الأزهر .
- (د) أن توحد الشهادات الدراسية والجامعية في كل الجامعات ومعاهد التعليم في مصر .

٤ - ردود فعل القانون :

تعددت ردود الفعل على قانون تطوير الأزهر ، ولم تظهر الوثائق الرسمية ، ردود سلمية تجاه القانون وأنت في أغلبها على تأييده ، فيقول الأستاذ فتحي رضوان راوياً ذكرياته الشخصية عن ردود فعل رجال الأزهر في المقابلة التي أجريتها معه :

لقد أذعنوا لا عن رضا .. ولكن عن خوف شديد ، وأذكر أن من بين علماء الأزهر الشيخ عبد الرحمن دراز الذي كان وكيلاً للجامع الأزهر ثم إحييل للمعاش وانتخب عضواً بمجلس الأمة ، فكان هو العالم الأزهرى الوحيد الذى أيد القانون . وتكلم فيه كلمة ثار الأعضاء في وجهه فترك المنبر ونزل ، وكان معنا أيضاً الشيخ حسن مأمون ، وكان رئيساً للمحكمة الشرعية العليا ، ثم انتخب نائباً لمجلس الأمة ، وهذا الرجل كان حائراً لا هو قادراً على المعارضة ولا هو قادر على قبوله ، وفيما علمت أن الشيخ محمود شلتوت الذى كان شيخ الأزهر كان يكي ويقول للناس : « إدوني الأزهر بتاعى القديم » وقد أخبرنا بذلك الشيخ الدكتور / مصطفى السعيد مدير جامعة القاهرة الأسبق .

بيد أن الصورة لم تكن بهذا التوصيف الذى قاله الأستاذ / فتحي رضوان تماماً ، فلقد وجدت أصواتاً مؤيدة بما فيها صوت الشيخ محمود شلتوت ذاته الذى قال في الأهرام ١٩٦١/٦/٢٤م أنه يترك الحديث عن هذه الدفعة الثورية لدعم الأزهر العلمية والإسلامية

فى الداخل والخارج إلى خطواتها التنفيذية ، وحسب الأزهر أنه يحظى دائماً برعاية الرئيس جمال عبد الناصر وبذلك تزداد رسالته على مر الأيام قوة وتتضاعف إمكاناته لتحقيق أهدافه الضخمة للعالم الإسلامى كله . وقال عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق : « إن القانون الجديد حقق أمانى المسلمين فى إصلاح الأزهر وتمكينه من أداء رسالته كاملة - الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥ م .

وذكر د . محمد عبد الله ماضى إن القانون الجديد يذيب الفوارق التى كانت تحجب الطالب الأزهرى عن الدراسات العالية ، ويهىء تكافؤ الفرص للجميع ، « الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥ م » وقال الشيخ منصور رجب الأستاذ بكلية أصول الدين إن هذا القانون الإصلاحى خطوة موفقة جريئة وأبرز معالمه تكون مجمع البحوث الإسلامية الذى يمثل فيه جميع علماء المسلمين « الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥ م » وذكر الشيخ فرج السنهاورى أنه يمثل خطوة تهدف إلى التوفيق بين حياتنا فى مجتمعنا ومصلحة الدين والعالم أجمع ، أما أمين تنظيم الأزهر د . أمين الخولى فقال أن تنظيم الأزهر محاولة صحيحة وهدفها صالح لتحقيق ثلاث رسالات : رسالة إجتماعية ، ورسالة دينية ، ورسالة علمية . « الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥ م » .

ثم تتوالى الخطوات التنفيذية للقانون ، فتكون هيئات ولجان تنفيذية ، وتسند وظائف المأذونين لخريجي كلية أصول الدين ، ويتولى حسين الشافعى مسئوليات وزير الأزهر بالإضافة لتولية لوزارة الأوقاف والشئون وزير الأزهر بالإضافة لتولية لوزارة الأوقاف والشئون الإجتماعية ، ثم يوافق مجلس الدولة على اللائحة التنفيذية لقانون إعادة تنظيم الأزهر وهيئاته ، ثم يتولى د . محمد البهى وزارة الأوقاف والأهر خلفاً لحسين الشافعى . ثم أصدر الدكتور البهى قار التنظيم الإدارى الجديد لإدارة الأزهر والمجلس الأعلى للأزهر الذى تضمن إنشاء أربع مراقبات للشئون القانونية والتفتيش والحسابات والميزانية والمستخدمين والمعاشات والبحوث الفنية وكلها تتبع المجلس الأعلى للأزهر .

ويتطور الدور التاريخى للأزهر ، وتزايد معه مهامه الرسمية وبالضرورة ميزانيته التى تصل فى ٢٥ يونيو ١٩٦٤م إلى ٥ ملايين و ١٢٨ ألف جنيه منها ٢,٩٦٧٠٠ مرتباً وأجور ، ٨١١,٠٠٠ مصروفات عامة و ١,٢٥٠ ، مصروفات إستثمارية .

وعندما تحدث أزمة ١٩٦٧م يعلن الأزهر تأييده للنظام السياسى ومباركته لخطواته فى صد « عدوان الصهيونية والاستعمار » وفى عام ١٩٦٨م أصدر عبد الناصر قراراً بأن تدمج

وزارتى الأوقاف وشئون الأزهر ويتولى عبد العزيز كامل رئاستها وهكذا تأتى ردود الفعل على صدور قانون إعادة تطوير الأزهر ، بين تأييد قوى وعلمى فى أغلب الأحيان ، ومعارضة ضعيفة لا يسمع صوتها إلا فى داخل مجلس الأمة أو من خلال الذكريات الشخصية كما سبق الذكر .

٥ - تقييم قانون إعادة تنظيم الأزهر :

بداية يجب التأكيد أن هذا القانون لم يأت منفصلاً عن عدة تطورات سياسية ودينية قدمت له - كما سبق القول - وكان أهمها الرغبة فى إعادة ترتيب البيت المصرى من الداخل وإعادة توظيف دور المؤسسات الدينية التقليدية فى ضوء عملية التغير الاجتماعى التى زادت نغماتها مع بداية الستينات وعليه فإن عملية تقييم لقانون إعادة تنظيم الأزهر ينبغى أن تثير النقاط التالية :

(أ) يمكن النظر إلى موقف النظام السياسى الناصرى من المؤسسات الدينية الرسمية على أنه كان جزءاً من موقف أشمل يتصل برؤية النظام لعلاقة الدين بقضايا المجتمع الحيوية والوظيفية التى يقوم بها فى مجال التنمية . ومنذ سنوات الثورة الأولى تحدث عبد الناصر عن الدين فى صورة التسامح والاعتدال ، وفى إطار من الوطنية التى تفرض على الجميع الولاء للنظام والتفانى فى خدمة المجتمع ، ولم يكن حديث عبد الناصر عن الدين حديثاً عن الدين والعقيدة فى ذاتها ، وإنما فى إطار الإصلاح وإثارة الحس الوطنى الجديد ففى ١٨ إبريل ١٩٥٣م ، يتحدث فى المعهد الدينى بالإسكندرية مذكراً رجال الدين بدورهم فى الماضى فى رفع شعار الحرية والجهاد ضد الإستعمار ودعاهم إلى التعاون مع رجال الجيش لإستئناف الجهاد حتى تناول مصر حريتها واستقلالها « فلتضعوا أيديكم فى أيدينا ولنجاهد معاً فى سبيل تحرير مصر فإن لكم رسالة عظيمة ، إننا لن نسمع بعد اليوم للفساد ، أن يقوم ولن يسمح رجال الدين أن يقوم فى مصر فساد أو طغيان » وناشد فى مناسبات تالية رجال الأزهر خصوصاً بالإضططلاع بدور بارز فى مشروعات الإصلاح الجديدة ، حيث يقول عبد الناصر فى هذا الشأن : « رسالة الأزهر ليست فى مصر ، وليست فى الأزهر ، وإنما فى القرى والنجوع والتجمعات لتصحوا ولترشدوا ، وهذه الدعوة وهذا الإرشاد يجب أن يكون بيننا بدلا من أن نشكو من الإستعمار ولا يمكن أن نلقى العبء على الحكومة وحدها وإنما نحتاج إلى جهود رجال الأزهر . خطابه بتاريخ ١٨/٤/١٩٥٣م .

(ب) فى إطار هذه الرؤية لعبد الناصر ، كان الأزهر وباعتباره أكبر المؤسسات الدينية فى

مصر والعالم الإسلامى يحتاج إلى تدخل لإصلاحه حتى يتم ربطه بالإتجاهات الجديدة فى المجتمع وبدأ بعض رجال الدين الموالين للثورة يتحدثون عن سوء الأحوال داخل الأزهر من حيث برامجه العلمية ونظامه الإدارى وإمكانات التعليم فيه مثل أحمد عبده الشرباصى والدكتورة بنت الشاطىء التى طالبت بدخول المرأة الأزهر طالبة أو محاضرة أو مدرسة . وبناء على هذا تكونت عام ١٩٦١م لجنة تفرعت عن اللجنة الفنية الدائمة للمقترحات فى الإتحاد القومى سميت بلجنة الشئون الدينية والأزهر ، وأعدت تقريراً بالتنظيمات المطلوبة وكان فى مقدمتها : إعادة التنظيم الإدارى ، الداخلى للأزهر بحيث يكفل تفرغ شيخ الجامع الأزهر وعلماء الأزهر لرسائلهم الدينية وتخرج العلماء وتوثيق الروابط الثقافية والعلمية فى الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية من خلال جامعة الأزهر وغيرها من التعديلات التى سبق إيضاحها والتى أتت بعد صدور القانون .

ج (بيد أن هذه التغيرات لم تكن بدون سابقة فى التاريخ المصرى ، فلقد سبق إن قام بما يشبهها ، محمد على فى بدايات القرن التاسع عشر ، حين إتخذ الأزهر كأداة للوصول إلى السلطة من خلال مبايعة عمر مكرم له ، ثم أداة ، لخدمة المؤسسة العسكرية ثم طلب من العلماء تأييد برامجه عن طريق إصدار الفتاوى وتسويق القرارات السياسية للدولة بإستخدام الدين ، ورغم أن هذا النموذج لم يتكرر بعد ذلك كاملاً فى التاريخ المصرى إلا أننا نجد أن منصب شيخ الجامع الأزهر تعرض لعوامل الخلاف السياسى والحزبى ونزعات الملك الشخصية قبل الثورة . وكان تعيينه يتم بأمر ملكى فى حين أن مطالب الأزهريين كانت أن يتم بالإنتخاب ولم تزعن الحكومة آنذاك لمطالبهم ، وبالنظر إلى قانون ١٩٦١م يتضح أن عبد الناصر كان قد قرر أن يخضع الأزهر لسلطة الحكومة بوجه أشمل ، فهو الذى يعين شيخ الجامع الأزهر ، كما أن برامج الأزهر وإدارته ليس لها الإستقلال الكامل عن بقية جوانب السياسة العامة للدولة بل هى جزء منها وعلى الرغم من النص فى ما يتعلق بالشئون الدينية إلا أنه من الناحية العملية لم يتحقق له ذلك ، حيث كان وزير الأوقاف والأزهر أو وزير الأزهر صاحب الكلمة الأولى ، ولم يحدث فى تاريخ الفترة سوى إستثناء واحد عام ١٩٦٦م حين قرر عبد الفتاح حسن وزير الأزهر أن تعرض جميع القرارات والمسائل الخاصة بالأزهر على حسن مأمون شيخ الأزهر إنذاك قبل عرضها عليه .

د (ومقابل هذه القيود قامت الدولة بالعناية الملموسة بالأزهر فبعد إن كانت ميزانيته عام ١٩٥٢م لا تتجاوز مليوناً و ٥٣٧ ألف جنيه إذ بها تصل عام ١٩٦٦م ، إلى ٣ ملايين .

و ٢٩١ ألف جنيه وكان بالأزهر ٢٥ ، معهداً دينياً وصلت في عام ١٩٦٦م إلى ٣٧ معهداً . وكان به ٢٢,١٣٥ ألف طالب وصلوا في عام ١٩٦٦م أيضا إلى ٣١,٥٦٦ ألف طالب . ووصل عدد المبعوثين في الخارج إلى حوالي ٢٠٠ عالم ، وبنى الأزهر مدينة للبعوث الإسلامية بتكاليف مليوني جنيه وقد يكون هذا الإنفاق على الأزهر بهذا القدر ذا حدين فقد تلاشت في ظله حرية الأزهر واستقلاله الذي تمتع به وقت إن كانت ميزانيته مستقلة نسبياً عن الدولة قبل الثورة ، وأصبح رجاله موظفين في الدولة حريصين على المناصب الحكومية إلى درجة الوزير ، وكان عليهم أن يدفعوا الثمن لهذا الدور الجديد طاعة مستمرة واجتهاداً دؤوباً في استخراج ما يضمن الشرعية على سلوكيات وسياسات النظام الجديد التي كانت في تصورنا بغير حاجة إلى إثبات شرعية لأنها استمدتها بالفعل من قبل الإنجازات الحية التي أحدثتها بالمجتمع .

وأيا كان التقييم الذي يساق بشأن الإغداق المادي على الأزهر بإصدار قانون تنظيمه ، وأيا كان التقييم الذي يثار بشأن هذا القانون على وجه العموم فإن الباحث يخلص إلى أن الهدف الأساسي للنظام من إصدار مثل هذا القانون هو ضرورة أن تتسق حركة هذه المؤسسة الدينية الهامة مع توجهات عملية التنمية بأشكالها المختلفة أيضاً ضرورة أن تتسق حركتها مع رغبة النظام السياسي في إعادة ترتيب البيت المصري من الداخل وفق مفاهيمه الثورية التي بدأت في التبلور مع السنوات الأولى للاستينيات .

* هذا ويرتبط بقانون تطوير الأزهر ، قانون آخر سبقه في الزمن وإن اتفق معه في المضمون وهو قانون إلغاء التقاضي أمام المحاكم الشرعية والمجالس المليية القبطية .

(٢) إلغاء التقاضي أمام المحاكم الشرعية والمجالس المليية القبطية :

ترتب على الرغبة في التجديد لدى النظام السياسي في مصر خلال السنوات الأولى من الفترة موضع البحث مجموعة من التحولات السياسية والاجتماعية المهمة والتي كان منها إلغاء التقاضي أمام المحاكم الشرعية والمالية بالقانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ وإحالة الدعاوى التي تكون منظورة أمامها إلى المجالس الوطنية ، وذلك تأكيداً لمفهوم التكامل القومي ولتذويب عدد من المؤسسات التقليدية التي كانت تعوق عملية التوحيد القومي ، بين الطائفتين

الرئيسيتين في المجتمع المصري : المسلمون والأقباط^(١) ولقد صدر القانون في سبتمبر عام ١٩٥٥م عن مجلس قيادة الثورة ، وسوف يتم تناوله في بندين ، أولهما يتصل بتحليل مضمون القانون ، وثانيهما بالتبرير الرسمي له .

١ - تحليل القانون :

يمكن تحليل القانون من خلال ثلاث زوايا :

الزاوية الأولى : وتعلق بعملية الإحالة للقضايا القديمة التي كانت منظورة أمام هذه المحاكم والتي تنتهي فاعليتها مع نهاية ديسمبر ١٩٥٥م فلقد رتب نص الإلغاء للمحاكم الشرعية والمجالس المليية في المادة ١ من القانون ضرورة أن تحال الدعاوى التي تكون منظورة أمام محكمة الإستئناف الوطنية ، التي تقع في دائرتها المحكمة الابتدائية التي أصدرت الحكم المستأنف ، وتؤكد هذا أيضاً مادة ٢ منه^(٢) .

كذلك تحال - وفقاً للمادة ٣ - القضايا التي تكون منظورة أمام المحاكم الكلية إلى المحكمة الابتدائية الوطنية المختصة وتحال الدعاوى المنظورة أمام المحاكم الجزئية الشرعية أو المليية إلى المحاكم الجزئية أو الابتدائية الوطنية المختصة .. أى أن الاختصاص الذي ترفع إليه هذه الدعاوى يصير إلى المحاكم الوطنية ابتداء من أول يناير ١٩٥٦م (مادة ٣) .

أما الزاوية الثانية : فتتصل أحكام نظام المرافعات واختصاصات المحاكم الوطنية ، بالنسبة لأحكام قانون المرافعات نص القانون على ضرورة اتباع ذات ، الإجراءات المتعلقة بمسائل الأحوال الشخصية والوقف التي كانت من إختصاص المحاكم الشرعية أو المجالس المليية عدا الأحوال التي وردت بشأنها قواعد خاصة في لائحة ترتيب المحاكم الشرعية أو القوانين الأخرى المكملة لها (مادة ٥) .

وبالنسبة لأحكام المنازعات : فينص القانون (مادة ٦) على أن تصدر الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية والوقف التي كانت أصلاً من إختصاص المحاكم الشرعية طبقاً لما هو مقرر في المادة ٢٨٠ من ترتيب المحاكم المذكورة ، وبالنسبة للمنازعات المتعلقة

(١) طارق البشري : المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية - مصدر سابق ، ص ٦٧٤ .

(٢) وزارة العدل : النشرة التشريعية سبتمبر ١٩٥٥ (القاهرة ، بولاق ، المطبعة الأميرية) نقلاً عن :

الوقائع المصرية بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٥٥ ، العدد ٧٣ مكرر . ب .

بالأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والمتحدى الطائفة والملة الذين لهم جهات قضائية ملية منظمة وقت صدور هذا القانون فتصدر الأحكام فى نطاق النظام العام طبقاً لتشريعتهم ، ويفصل القانون هذا الجانب من فض المنازعات والمتعلق بغير المسلمين بقوله : « لا يؤثر فى تطبيق الفقرة الثانية من المادة المتقدمة تغيير الطائفة أو الملة بما يخرج أحد الخصوم عن وحدة طائفية إلى أخرى أثناء سير الدعوى إلا إذا كان التغيير إلى الاسلام فتطبق الفقرة الأولى من المادة السادسة من هذا القانون (مادة ٧) .

وفصل القانون إختصاص المحاكم الجزئية الوطنية بنصه فى (مادة ٨) على أن هذه المحاكم تختص بالمنازعات المتعلقة بالأحوال الشخصية طبقاً لما هو مبين فى لائحة ترتيب المحاكم عدا دعوى النسب . فى غير الوقف والطلاق والخلع والمبادأة والفرقة بين الزوجين بجميع أسبابها المشار إليها فى المادة السادسة من اللائحة فإنها تكون من إختصاص المحاكم الابتدائية وتختص المحاكم الابتدائية ومحاكم الإستئناف وفقاً لما هو مبين فى المواد ٨ ، ٩ ، ١٠ من اللائحة .

الزاوية الثالثة : وتعلق بأوضاع القضاة والمحامين داخل هذه المحاكم حيث ينص القانون على أنه إبتداء من يناير ١٩٥٦م يلحق قضاة المحاكم الشرعية على إختلاف درجاتهم بالمحاكم الوطنية أو نيابات الأحوال الشخصية أو الإدارات الفنية بالوزارة ، وذلك بقرار يصدر من وزير العدل وفق قانون خاص بتنظيم شئون رجال القضاء الشرعى المنقولين إلى المحاكم الوطنية (مادة ٩٠) .

أما بالنسبة للمحامين فنص على أنه : إستثناء من أحكام القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٤م الخاص بالمحاماة أمام المحاكم الوطنية يجوز للمحامين المقبولين للمرافعة أمام المحاكم الشرعية الحضور فى الدعاوى التى كانت تدخل فى إختصاص تلك المحاكم أمام المحاكم الوطنية على أن يقتصر حضور كل منهم على الدرجة التى هو مقبول للمرافعة أمامها فى المحاكم الشرعية ، وللمحامين المقبولين أمام المحكمة العليا الشرعية المرافعة أمام محكمة النقض أيضاً فى الدعاوى المشار إليها ، ويصدر قانون خاص بتنظيم قيدهم فى الجدول وحقوقهم وتأديتهم وما إلى ذلك (مادة ١٠) .

ونص القانون على وجود تنفيذ الأحكام الصادرة فى مسائل الأحوال الشخصية وفقاً

لما هو مقرر فى لائحة الإجراءات الواجب إتباعها فى تنفيذ أحكام المحاكم الشرعية الصادرة فى ٢٤ إبريل ١٩٠٧م (مادة ١٢) ، كما نص على إلغاء كافة التشريعات التى

سبقته بخصوص هذا الموضوع (مادة ١٣)^(١) وتنفيذ الوزراء كل فيما يختصه من هذا القانون (مادة ١٤) .

٢ - التبرير الرسمي للقانون :

إن تحليل الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشتها مصر إبان إصدار هذا القانون ، يشير بأن صراعاً على السلطة كان قد حسم إلى أحد فريقى الثورة بعد ثلاث سنوات من قيامها وهو الفريق الذى يتزعمه عبد الناصر وإن صراعاً آخر مع قوة سياسية مناوئة هى الإخوان المسلمين قد حسم لصالح نفس الفريق ، وإن عملية الجلاء للقوات البريطانية كانت على وشك الإنتهاء وإرهاصات المواجهة مع الغرب من خلال الحديث عن صفقة تشيكية للأسلحة وعن احتمالات تأميم شركة قناة السويس ، كانت قد بدأت فى الظهور .

وفى ضوء هذه التطورات والأوضاع المتصاعدة أتى القانون السابق ليقدم نفسه كتطور سياسى مهم فى سياق الأوضاع المحيطة ، حيث عبر عن ثلاثة توجهات وأهداف وطنية تضمنها التفسير الرسمي للقانون فى شكل مذكرة إيضاحية سيقى كمبرر لقانون الإلغاء^(٢) ، وهذه الأهداف هى تأكيد سيادة الدولة الوطنية ، ووحدة النظام القانونى الكاملة ، وإصلاح الأخطاء والعيوب التى لحقت بنظام القضاء .

(أ) فبالنسبة لتأكيد سيادة الدولة الوطنية ، فتذهب المذكرة إلى القول بأنه على العكس مما تقضى به قواعد القانون العام ، أن تكون سيادة الدولة تامة ومطلقة داخل بلادها كما تقضى بأن يخضع جميع السكان على إختلاف جنسياتهم لقوانين البلاد ومحكمة ولجهة قضائية واحدة بصرف النظر عن نوع المسائل التى تتناولها خصوماتهم أو

(١) المذكرة التفسيرية لقانون إلغاء المحاكم الشرعية والمجالس المالية ، وزارة العدل ، مصدر سابق

(٢) حدد القانون هذه التشريعات فيما يلى :

— المادة ١٦ من قانون نظام القضاء - المواد : ١ - ٤ ، ١١ - ١٩ ، ٢٩ - ٥١ ، ٥٣ - ٩٧ ،

١٠٠ - ١٣٦ ، ١٣٨ - ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٧٩ - ٣٢٨ ، ٣٤٢ - ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،

من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية الصادر بها المرسوم بقانون رقم ١٨ لسنة ١٩٣١ .

— أحكام الأمر العالى الصادر بتاريخ ١٤ مايو ١٨٨٣ والمعدل بقانون ٩ لسنة ١٩٢٧ والخاص بلائحة ترتيب اختصاصات مجلس الأقباط الأرثوذكس .

— الأمر العالى الصادر فى أول مارس ١٩٠٢ بشأن الانجليين الوطنيين .

— والقانون رقم ٢٧ الصادر فى نوفمبر ١٩٠٥ بشأن الأرمن الأرثوذكس .

— والقانون لأقم ٨ لسنة ١٩٥١ وجميع الأوامر العالية والقرارات الأخرى المخالفة لهذا القانون .

القوانين التى تطبق عليها ، فإن الحال فى مصر كانت على النقيض ، فجهات القضاء فى مسائل الأحوال الشخصية بالنسبة للمصريين أنفسهم بقيت متعددة ، وكل جهة تطبق قوانينها على قضائها رغم أن الدولة قد استردت سلطانها القضائى بالنسبة للأجانب فأصبحت المحاكم الوطنية هى فى جميع منازعاتهم حتى ما يتعلق بها بأحوالهم الشخصية .

(ب) أما بالنسبة لوحدة النظام القضائى فتشير المذكرة إلى الثنائية التاريخية الخطيرة لهذا النظام ومردوداتها ذلك أن مصر ورثت نظام تعدد جهات القضاء فى مسائل الأحوال الشخصية عن الماضى ، فقامت المحاكم الشرعية والقضاء الملى ثم تعددت جهات القضاء الملى فأصبح لكل طائفة قضاؤها وقوانينها وإجراءاتها الخاصة مما أدى إلى الفوضى والإضرار بالمتقاضين ، حيث إستتبع تعدد جهات القضاء رغبة كل جهة فى توسيع دائرة اختصاصها والاعتداء على سلطة غيرها خصوصاً مع عدم وجود حدود دقيقة أو ثابتة الاختصاص لكل منها ، وتدل المذكرة على ذلك بأن المرجع العام فى تحديد ولاية محاكم الطوائف هو أحكام الخط الهمايوى الصادر فى الدولة العثمانية عام ١٨٥٦م ، وبعض القوانين العثمانية الأخرى التى لم تكن فى صياغتها وليدة حرص على أن توفى الوضوح والأحكام ، وإنما كانت فى حقيقتها ثمرة تجهيل اقتضته ظروف السياسة وكانت النتيجة هى تنازع المحاكم بينها وتعدد الأحكام التى تصدر فى النزاع الواحد وبقي المتقاضون يستعدون محكمة على أخرى وظل مصير الحقوق رهينا بهوى الظروف .

وفى مجال التأكيد على سلبيات هذا الوضع القانونى التعددى تشير المذكرة إلى أنه بعد أن الغيت الإمتيازات التى كان يتمتع بها الرعايا الأجانب وبعد أن أصبحوا يخضعون لنظم التقاضى العادية أمام المحاكم الوطنية ، فإن من الشذوذ بمكان أن يظل الوطنيون من أهل البلاد المنتمون إلى الطوائف الملية غير الإسلامية محتفظين باستثناءات قضائية كانت فى كثير من الحالات عنواناً على الفوضى وعدم النظم^(١) وأنه لا يتفق مع السيادة القومية فى شئ أن تصدر أحكام فى الصق المسائل بذات الإنسان من جهات قضائية غير مسئولة ولا مختارة من جانب الحكومة ، أو أن تكون تلك الجهات خاضعة لهيئات أجنبية تباشر أعمالها خارج حدود البلاد كما هى الحال بالنسبة لبعض الطوائف التى يرفع الطعن فى أحكامها إلى محكمة

ص ٢٣٥٢ - ٢٣٥٨ .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٥٤ .

« روما » وليس أقل من كل أولئك مساماً بالسيادة أن يلى القضاء فى بعض المجالس الطائفية
أجانب لا يعرفون لغة المتقاضين ويصدرون أحكامهم بين المصريين بلغة غير لغتهم^(١) .
(ج) أما بالنسبة لعيوب النظام القضائى فتذهب وجهة النظر الرسمية إلى القول بأنه قد
استفاضت الشكوى من حال قضاء الأحوال الشخصية وندد بها المتقاضون منوهين
بوجه خاص بانتفاء الحد الأدنى من عوامل التيسير وضمانات التقاضى ، فللطوائف
غير الإسلامية أربعة عشر مجلساً بعضها لا ينعقد للقضاء إلا فى فترات متباعدة أو
فى أمكنة بعيدة عن إقامة المتقاضين ، وفى ذلك من العنت والإرهاق ما يجعل التقاضى
عسيراً على بعض الناس ، والقواعد الموضوعية التى تطبقها أكثر المجالس فيما يطرح
عليها من الأقضية غير المدونة وليس من اليسير أن يتهدى إليها عامة المتقاضين ، وفى
ذلك من العنت والإرهاق ما يجعل التقاضى عسيراً على بعض الناس ، والقواعد
الموضوعية التى تطبقها أكثر المجالس فيما يطرح عليها من الأقضية غير المدونة وليس
من اليسير أن يتهدى إليها عامة المتقاضين وهى مبعثرة فى مظانها بين متون الكتب
السماوية وشروح وتأويلات لبعض المجتهدين من رجال الكهنوت مبعثرة فى كتب
لاتينية أو يونانية أو عبرية أو سريانية أو أرمنية أو قبطية لا يفهمها غالبية
المتقاضين^(٢) .

والأخطر من هذا إن القواعد المتعلقة بتشكيل المحاكم الطائفية وإجراءات الترافع ونظر
الدعاوى وتحرير الأحكام وطريق الطعن فيها لا تنظمها وحدة ولا يتوافر لها الاستقرار ،
ونفقات التقاضى لا تنهج فيها المجالس منهجاً واحداً بل إن الكثير منها لا يمثل نظاماً محدداً
فى هذا الشأن ، وليس لأكثر هذه المجالس أقلام كتاب منظمة أو سكرتارية تعينها على أداء
مهمتها ، وما من شكل فى أن تلك الحال تدعو إلى تزعزع الثقة بأحكام القضاء وإرهاق
المتقاضين .

إزاء هذا الموقف - كما تقول المذكرة - الذى يكتنفه الشذوذ من كل جانب - وأمام
تلك الفوضى التى استفحلت أثارها ، تعددت محاولات الإصلاح الجزئية ، التى لم يكتب
لها النجاح بسبب ما قام أمامها من عقبات وبقيت هذه الحالة وليس لها من ضحايا إلا
المتقاضون أنفسهم وسيادة البلاد . ولما كانت الثورة قد قامت لتحقيق أهداف البلاد فى

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٥٥

الإصلاح والقضاء على الفساد في شتى نواحيه فإن العقوبات المتقدمة ما كانت لثرد الحكومة عن أداء واجبها - كما تذهب المذكرة - في إقامة صرح القضاء ، وهي مطالبة بتوافر سبل التقاضى لجميع رعاياها . دون ، تفريق أو تحيز ، وذلك وفق ما يتقاضى النهوض بأعباء الإصلاح ولو لم يصادف هوى البعض وإلا فإن على الحكومة أن تسلم بوجود هيئات قضائية داخل الدولة تملى عليها إرادتها أو تنهض سياسة الإصلاح فيها أو تتحكم في طرق الإصلاح .

لكن هذا رأى النظام السياسى إزاء ما هو مشهود من عيوب نظام القضاء في مسائل الأحوال الشخصية أن يعالج الأمر علاجاً حاسماً ومحققاً فيه الإصلاح بتوحيد نظام القضاء والحفاظ على الحقوق وصيانتها وتوزيع العدالة توزيعاً يظفر بثقة المتقاضين ويوضح حداً للحالة المتقدمة وهي تمس الإنسان في أدق المشاعر والعائلات في أدق العلاقات ، وتؤثر في أخلاق الأفراد والمجتمع^(١) .

وعليه قام النظام بإصدار هذا التشريع الجديد على نحو يكفل - كما تقول المذكرة - توحيد جهة القضاء بالنسبة للمواطنين جميعاً بجعل حل هذه المنازعات من اختصاص القضاء الوطنى واحترام ولاية القانون الواجب التطبيقى ، حتى لا يكون هناك إخلال بحق أى فريق من المصريين مسلمين أو غير مسلمين في تطبيق شريعة كل منهما ، ويلاحظ أنه لم تظهر أية معارضة من جانب رجال الدين ، بل على العكس قام شيخ الأزهر مع بعض المشايخ بتهنئة عبد الناصر على إخذه هذه الخطوة التحررية نحو إصلاح النظام القانونى في مصر^(٢) .

ثالثاً : عبد الناصر والطوائف المسيحية :

قبل الدخول فى تفاصيل هذه العلاقة يهمنى الإشارة إلى البيانات الإحصائية التالية :
بلغ عدد الكنائس حتى نهاية عهد عبد الناصر فى مصر ١٤١٣ كنيسة ، منها فى الحضر ٦٤٨ كنيسة وفى الريف ٧٦٥ كنيسة .

والمحافظات السبع الأولى من حيث عدد الكنائس هى :

محافظة المنيا إذ يبلغ عدد الكنائس فيها ٣٦٠ كنيسة .
محافظة أسيوط ويبلغ عدد الكنائس فيها ٣٤٧ كنيسة .

(١) نفس مصدر ، ص ٢٣٥٤ - ٢٣٥٥

(٢) د. حسن حنفي - ندى واتسمت في مصر . ص ١٩٦ .

محافظة القاهرة ويبلغ عدد الكنائس فيها ٢٠٦ كنيسة .
محافظة سوهاج ويبلغ عدد الكنائس فيها ٢٠١ كنيسة .
محافظة الإسكندرية ويبلغ عدد الكنائس فيها ٦٠ كنيسة .
محافظة الغربية ويبلغ عدد الكنائس فيها ٣٢ كنيسة .
محافظة القليوبية ويبلغ عدد الكنائس فيها ٣٧ كنيسة .
أما الأديرة فيبلغ عددها ٣٧ ديراً ، منها فى الحضر ٣٢ ديراً ، وخمسة فى الأرياف .
ويبلغ عدد الأديرة فى مدينة القاهرة ١٣ ديراً .
ويبلغ عدد الأديرة فى أسوان ٥ أديرة .
ويبلغ عدد الأديرة فى البحيرة ٣ أديرة .
ويبلغ عدد الأديرة فى بنى سويف ٣ أديرة .

ولا يزيد العدد عن دير واحد فى باقى المحافظات التى بها أديرة .

والأمر الذى تقرر ، ونؤكد عليه فى هذا المقام هو أن الكنائس والأديرة المحصاة تتبع طوائف مسيحية مختلفة وعديدة ، وأنه من هنا نستطيع تحديد ما يتبع كل طائفة من الكنائس والأديرة على حدة .. وهذا لا يعنى أننا قد أهملنا هذه المسألة كل الإهمال . فلقد أشرنا فى بعض التقارير.الإشارات التى سمح بها الإحصاء عن تبعية بعض الكنائس ، وبعض الأديرة ، لبعض الطوائف المسيحية .

الكنيسة والحياة الإقتصادية بعد الثورة :

لقد بدأ الأمر كله بحركة تنظيم الضباط الأحرار ، أو ما قيل وقتها وبعدها بقليل « إنقلاب عسكرى » أو « حركة الجيش المباركة » . ولكن سرعان ما أحدث هذا الإنقلاب أو تلك الحركة تغييراً إقتصادياً وإجتماعياً جذرياً فى المجتمع المصرى . وكانت البداية بتحديد الملكية الزراعية ، ثم تمصير المصالح والشركات الأجنبية ، ثم تأميم الرأسمالية المحلية ، والبدء فى إقامة القطاع العام فى الصناعة والتجارة والقطاع التعاونى فى الزراعة الخ الإجراءات التى عدت « تحولاً إشتراكياً » أو « رأسمالية دولة »^(١) .

وفى الوقت ذاته وضعت كثير من المدارس التبشيرية والأجنبية تحت رقابة الدولة الصارمة ، ووحدت المناهج التى يدرسها الطلبة ، بما قرب بين مفاهيمهم وقيمهم وأتاح

(١) سميرة جبر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٤ ص ١٤٨ .



الأسقف مكاريوس في القاهرة عام ١٩٦١

قدراً كبيراً من المساواة فى فرص التعليم والتوظيف ، وذلك بالتوسع فى فرص التعليم بمختلف المراحل حتى الجامعة والكليات العسكرية من ناحية ، والتحاق الطلبة بالتعليم العالى عن طريق المكاتب التنسيق بحيث أصبح مجموع الدرجات فى إتمام الدراسة الثانوية هو معيار القبول فى هذا المعهد أو تلك الكلية من ناحية أخرى وقد أوجد هذا فرصة للمساواة فى فرص التعليم . ثم بدأ العمل بإلحاق الخريجين بالوظائف والأعمال المختلفة عن طريق مكاتب العمل أولاً ثم القوى العاملة بعد ذلك الأمر الذى حقق ذات القدر من المساواة فى فرص العمل للخريجين (وذلك بصرف النظر عن الآثار السيئة التى نجمت عن هذا الأسلوب على المدى الطويل) . إلى جانب الإلتزام فى ترقية العاملين بالحكومة والقطاع العام بالأقدمية حتى الدرجة الثالثة ، مما كفل ذات القدر من المساواة أيضاً ، ولكن حتى الوظائف الوسيطة .

وقد كان من الممكن أن تؤدى مجانية التعليم إلى تقوية الروابط الوطنية غير أن الذى حدث بعد ذلك إن عبد الناصر فى إحدى مراحل الصراع مع الإخوان المسلمين راح يزايد عليهم تكتيكياً بإصدار قراراتين هما : جعل الديانة مادة أساسية فى مختلف مراحل التعليم تؤدى إلى النجاح أو الرسوم كغيرها من المواد . وافتتاح جامعة الأزهر على غرار الجامعات العصرية مقصورة على الطلبة المسلمين ممن يرغبون فى دراسة فروع العلم المختلفة إلى جانب المواد الدينية ، ولقد كان للقرار الأول أضراراً زادت عن فوائده فإن المدرسين الذين عهد إليهم بتدريس مادة الدين لم يكونوا دائماً مؤهلين لهذا الغرض ، فنتج عن ذلك أبرز الاختلافات بين أبناء الفصل الواحد وبما لا يتماشى مع الهدف الأصلي لمجانية التعليم ، أما بالنسبة للقرار الثانى ، فقد بدت براعة عبد الناصر واضحة فى تقليص دور الأزهر الشامخ على مر العصور وتحويله إلى مجرد جامعة لا تكاد تختلف عن غيرها من الجامعات وكان ذلك جزءاً من سياسته العامة فى أضعاف كافة المؤسسات الرسمية والشعبية .

على كل حال ، يمكن القول بأن نوعاً من المساواة الطبقية قد تحقق بين المواطنين ، فقد أضررت المصالح الأجنبية كلها أياً كانت هويتها الدينية ، كما أضررت معظم المصالح الرأسمالية المحلية أياً كانت الطائفة التى تنتمى إليها ، كما أن الفئات الإجتماعية الواسعة التى استفادت من الأرض والصناعة والتعليم لم يفرق القانون بين طوائفها .

ومن الطبيعى أن إجراءات التأميم التى قامت بها الحكومة عام ١٩٦٠ / ١٩٦١م قد قضت على عدد كبير من الأعمال والصناعات والوظائف المهنية والفنية التى كان للأقباط فيها نسبة عالية . فى قطاع النقل (شركات الأنوبيس داخل القاهرة وبين الأقاليم) كانت

خسارة الأقباط بنسبة ٧٥٪ ، حيث أمت شركتى أتوبيس « إخوان مقار » و « الأسىوطى »
وكانتا تغطيان أكثر من ثلاثة أرباع القاهرة ، والباقي تغطية شركة أتوبيس « أبو رجيلة »
كما أمت شركة « حكيم مرجان » التى كانت تغطى القطر كله ، وكانت تعد الشركة
الكبرى الوحيدة تقريباً فى النقل بين الأقاليم .

وفى مجال الصناعات ، أمت - على سبيل المثال لا الحصر - مصانع فؤاد جرجس ، وعطية
شوده ، وتاجر ، وكحلا ، وعلى الجانب الآخر لم تكن هناك مصانع ذات أهمية ، باستثناء
أحمد عبود .

أما البنوك ، فقد كانت غالبية رأس المال المساهم فى بنك القاهرة لموريس دوس وغيره
من الأقباط ، وكذلك الحال بالنسبة لبنك مصر ... وهكذا ..

ويمكن القول بإنجاز أنه بمجرد النظر فى كشف ، الشركات الملحق بقرارات التأميمات
التي صدرت عامى ٦١ / ١٩٦٢ م ، يتضح بسهولة مدى الأضرار والخسائر التي حاقّت
بكبار أقباط الرأسمالية المحلية من جراء التأميمات .

ولا يمكن إغفال قطاع الأراضى الزراعية ، فقد أصابت قوانين الإصلاح الزراعى عدداً
كبيراً من الأقباط . وتصادف أن نسبتهم بين كبار ملاك الأراضى الزراعية إلى عدد المسلمين
كانت أعلى من نسبتهم العامة ، مما أدى إلى انتقال الملكية إلى صغار المزارعين أو المعدمين ،
وهؤلاء غالبيتهم العظمى من المسلمين . ومن الطبيعى إن قوانين الإصلاح الزراعى لم تستهدف
تلك النتيجة ، وإنما جاءت تلقائياً دون تخطيط (وهذا بصرف النظر عن النتائج الإقتصادية
للإصلاح الزراعى والتي ظهرت على المدى الطويل وارتبطت بأسباب تدهور الإنتاجية
الزراعية المصرية) .

وعلى أية حال ، فإن التأميم وغيره من القوانين الإشتراكية ، مثله فى ذلك مثل أى حدث
فى أى مكان آخر بالشرق الأوسط ، كان عليه أن يختار طريق الارتباط بالدين الإسلامى
للحصول على التأييد المعنوى والنفسى والفكر للأغلبية المسلمة من الجماهير ، وكان هذا
طبيعياً ، فإن الجماعة الحاكمة المكونة من مسلمين يتمون فى غالبيتهم لطبات دون الطبقة
العليا ، نظرت إلى الولة فى إطار إسلامى ، وساعدها على ذلك ما أعلنه عبد الناصر بوضوح
بمناسبة التأميم شبه الشامل للإقتصاد المصرى من أنه لم يستلهم هذا العمل من الأفكار
الماركسية أو اللينينية . وشاعت أوقال نبي الإسلام والصحافة تؤيد كلها مطالب العدالة
الإجتماعية . فذاع فى كتابات الكتبا والمفكرين القول المأثور عن « أبو ذر الغفارى » :
« ثلاث للناس جميعاً : انار والماء والكلاء » وتلك كانت وسائل الإنتاج فى الوقت الذى قيلت

فيه ، واعتبرها أبو ذر الغفارى ملكاً للمجتمع وقام بعض رجال الدين المسيحى بمجارات هذا الإتجاه بتفسير العلاقة بين الإشتراكية والمسيحية مستندين فى ذلك إلى حياة السيد المسيح وتلاميذه من بعده . ولا شك أن تلك الإجراءات قد شغلت الجميع تماماً عن الشعور بأى توتر طائفى والإنهماك فى ملاحقة التطورات السريعة بالمجتمع .

واعتمد النظام الحاكم فى تنفيذ سياسته الإقتصادية على جهاز الإدارة المدنية كجهاز وحيد يستند إليه فى تقبل الجماهير لنشاطه السياسى (طالما أنه يصعب عليها تقبل الجهاز العسكرى) . ولكن هذا الجهاز كان أكثر مؤسسات المجتمع المصرى التى تظهر فى تكوينها أو فى مسئلتها ظواهر التفرقة بين المسلمين والأقباط لأسباب تاريخية ترجع إلى طابعه المحافظ وإلى ضعف أثر حزب الوفد صاحب مبدأ الجامعة المصرية الوطنية فيه .

إذا كان الأمر كذلك ، فإن إستناد النظام على هذا الجهاز الأوحده فى النشاط السياسى كان من شأنه الإبقاء على هذه الظواهر ، يضاف إلى ذلك الأسلوب الذى روعى فى إختيار قيادات الجهاز وأقسامه الهامة على أساس لن يكونوا من أهل الثقة . وهم فى الغالب أما من الضباط الأحرار بوجه خاص (والذين لم يكن بينهم سوى ضابط قبضى واحد لم يكن له وزن أو دور سياسى يذكر) أو ممن يتصلون بهم بروابط شخصية وثيقة من بين زملائهم الضباط . وعلى ذلك كان من شأن الإجراءات ، الإقتصادية سابقة الذكر أن جمدت أوضاع العاملين فى المشروعات المؤممة الدين وصلوا إلى مستويات بالغة الإرتفاع وظل الأمر كذلك لفترات مقبلة . وقد ترسب مع هذا الوضع شعور بعدم الإرتياح لديهم عامة ، ولدى الأقباط منهم خاصة ، سيما وأن وظائف الإدارة العليا كانت شبه محصورة فىمن سما « أهل الثقة » .

الأقباط فى الحياة السياسية :

يلاحظ إن حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قامت على تنظيم سرى للضباط الأحرار . ولم يكن ضمن هذا التنظيم سوى قبضى واحد ينتمى إلى الصف الثانى بالحركة . ويفسر الأستاذ طارق البشرى هذه الظاهرة ، بأن الجيش كان خاضعاً للنفوذ التقليدى للملك قبل عام ١٩٥٢م . ولا يلحظ إن كان للوفد نفوذ مؤثر على المؤسسة العسكرية المصرية ،

(١) طارق السرى ، المرحع السابق ، ص ٦٧٦ .

(٢) سمير حبر ، مصدر سابق ص ١٥١ .



رجال الدين : من كل مكان كانوا يجيئون إليه ، مع وفد من مسلمي غانا ، ووفد آخر من مطارنة الأقباط
المصريين في الدقهلية وقنا وقوص وسوهاج والمنشأة عام ١٩٥٦

حتى فى فترات حكمه القليلة المتباعدة ، ومن ثم بقى الجيش يحمل فى تكوينه العضوى أثراً للتفرقة بين ، المسلمين والأقباط ، وبخاصة الرتب العالية^(١) . فجاء تنظيم الضباط الأحرار على شاكلة المؤسسة التى إنشئت منها . كما كثر بالتنظيم فى بدايته من ينتمون إلى الإخوان المسلمين أو إلى مصر الفتاة من حيث الأصول السياسية لهم ، ومن ثم حملوا أثراً لتنظيمات الثلاثينات . لذلك لم يكن هناك فى ليلة ٢٣ يوليو من يحمل رتبة لواء سوى قبلى واحد ، كما أنهم لم يكن هناك من يحمل رتبة أميرالاي إلا اثنين منهم^(٢) .

ومع غياب الأحزاب عن الساحة السياسية ابتداء من يناير ١٩٥٣ م ، لم يعد ممكناً لأى قبلى يرشح نفسه للإنتخابات أن ينجح ما دامت لا توجد الأحزاب التى يستند إليها ونتيجة لذلك لم ينجح فى إنتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧ م قبلى واحد . ولهذا عمد عبد الناصر إلى إبتكار أسلوب جديد لم يمارس من قبل . حتى يضمن تواجد الأقباط فى مجلسه النيابى . فقرر إدارياً « قفل » عشر دوائر . اختيرت بدقة ، حيث التواجد القبلى فيها محسوس وملحوظ . وذلك بأن قصر الترشيح على الأقباط وحدهم مستفيداً من أن المرشح لابد أن يحصل على موافقة الإتحاد القومى (فى ذلك الوقت) والذى كان له حق الإعتراض على أى مرشح دون إبداء الأسباب ، وتركت هذه الدوائر للتنافس بين المرشحين الأقباط وحدهم ، مع اشتراك كل أهالى تلك الدوائر أقباط ومسلمين فى عملية الإنتخاب^(٣) .

بيد إن هذا الأسلوب لم يقدر له النجاح فى أية إنتخابات تمت بعد ذلك . ومن ثم تقرر العدول عن أسلوب قفل الدوائر فى الإنتخابات التالية . (١٩٦٤ م ، ١٩٦٨ م ، ١٩٧١ م ، ١٩٧٦ م ، ١٩٧٩ م) . وعولج الأمر باتباع مبدأ دستورى جديد ، وهو منح رئيس الجمهورية سلطة تعيين عشرة أعضاء فى المجلس النيابى . وروعى فيما بعد أن يكون المعينون أقباطاً غالبيتهم أو كلهم . وبدأ الأمر وكأن الدولة تفضل على إحدى الطوائف بما قد لا يسمح به المجتمع ، رغم أنها لم تعط هذا المجتمع الفرصة الحقيقية لإبداء رأيه عن طريق المشاركة السياسية الحقيقية وبإتباع الأسلوب الديمقراطى غير الملقق . وبهذا التعيين أيضاً بدا النظام الحاكم وكأنه يعترف بوجود درجة من الطائفية من حيث يقصد أولاً يقصد التخفيف

(١) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، الجزء الثانى .

(٢) د. ميلاد حنا : « نعم أقباط .. لكن مصريون » ، (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٠) ، ص ٨٦ -

٨٧ . فى سميرة بحر - مصدر سابق ص ١٥٢ .

(٣) مقابلة شخصية لسميرة بحر مع الرائد السابق للجماعة الأستاذ إبراهيم فهمى هلال المحامى .

من حديثها . وزاد من الأمر سوءاً إن الوزارات التي تولاها مسيحيون طوال حكم عبد الناصر كانت من الوزارات الهامشية وتم إختيار أقباط لها من فئة التكنوقراطيين . وكان الإختيار لهذا الوزير أو ذاك مبنياً على حسن سمعته وعلى تخصصه الدقيق في مداته ، وغالباً ما كان إستاذاً جامعياً .

وقد نجم عن هذا النظام - « التعيين » - تولد الشعور لدى قطاعات من الأقباط بأنهم الفعل أقلية ، عليهم أما أن يقبلوا أن يعاملوا بهذه الصفة في مختلف المجالات ، وأما أن يعترف بهم كمواطنين لا كرعايا فيعاملون كبقية المواطنين ، ولذلك فإن غيابهم عن كثير من المناصب الرئيسية في أجهزة الإدارة أو في مقاعد المجالس النيابية والشعبية - رغم ما يراه بعضهم من كفاءات بين صفوفهم - أدى بهم إلى الإعتقاد بأن المجتمع لا ينصفهم لا كأقلية ر أى بمراعاة التمثيل الطائفي) ولا كمواطنين (أى بمراعاة مبدأ الكفاءة وحده) . ولعل هذا الشعور كان الدافع لهجرة عدد كثير من أقباط مصر إلى الخارج وبخاصة إلى العالم الغربي ، سخطاً على ما اعتبره المهاجرون عقبات في وجه طموحهم المالى أو المهني أو كمال حقهم كمواطنين ، ورغم أنهم بهذه الهجرة يفقدون الأقباط المقيمين في وطنهم الأم عزة المهاجرين العديدة والفنية بوصفهم من أنجب أبنائهم .

ومن الأمور المهمة بالنسبة لنشاط السياسى المسيحى فى عهد عبد الناصر ظهور (جماعة الأمة القبطية) كرد فعل لجماعة الإخوان المسلمين ، ولترك الباحثين المسيحيين أنفسهم يقدمون تحليلهم لنشاط هذه الجماعة .

تقول سميرة بحر :

نتيجة لانتشار تنظيم الإخوان المسلمين وتغلغله فى جميع أنحاء القطر المصرى ، تكونت جماعة « الأمة القبطية » للدعوة إلى إحياء القومية القبطية فى مواجهة الفكر المغرق فى الإتجاه الدينى الإسلامى الذى روجت له جماعة الإخوان المسلمين . وهى جمعية أسسها محام شاب عمره عشرين سنة فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٥١م . وكان مركزها القاهرة ، ولكن سرعان ما انتشرت فى جميع أنحاء مصر ، حتى بلغ عدد أعضائها ٩٢٠٠٠ عضو أغلبهم من الشباب (وقد استمر نشاط الجماعة سنة ونصف من ١١ سبتمبر ١٩٥١م إلى ٢٤ إبريل ١٩٥٥م .

وأعلنت الجماعة أن غرضها دينى إجتماعى محض وتسعى لرفاهية الكنيسة الأرثوذكسية وليس لها الإشتغال بالسياسة ، وذلك بتطبيق حكم الإنجيل على أهل الإنجيل ، وتكلم « الأمة » القبطية باللغة القبطية ، أما وسائل الجماعة فى سبيل تحقيق هذه الأغراض فهى .

١ - التمسك بالكتاب المقدس وتنفيذ جميع أحكامه عن طريق دراسة علمية حديثة وأن يخرج

منه العلم بجميع فروعہ .

٢ - دراسة اللغة القبطية بطريقة علمية حديثة وإحلالها محل اللغات الأخرى ،
والتمسك بعادات وتقاليد « الأمة » القبطية ، ودراسة تاريخ « الأمة » القبطية ،
والتعامل على أساس التقويم القبطى .

٣ - إصدار جرائد يومية وأسبوعية وشهرية تكون المنبر القوى للدفاع عن « الأمة »
القبطية ، وبهذا يوجد رأى العام القبطى .

٤ - مطالبة الحكومة رسمياً بإنشاء محطة إذاعة خاصة ب « الأمة » القبطية .

٥ - الإهتمام بالدعاية محلياً ودولياً « للأمة » القبطية والعمل على احترام الكرسي البابوى
وتكريمه .

٦ - الإهتمام بالناحية الرياضية بمختلف وجوهها .

٧ - إنشاء درار كبرى تسمى المركز الرئيسى للجماعة فى وسط القاهرة بجوار الأحياء
القبطية (الفجالة ، شبرا ، القللى ، الأزبكية) تجمع فيه مؤسسات ومشروعات
الجماعة .

يتضح مما تقدم أن هذه الجماعة قد تكونت للوقوف فى وجه جماعة الإخوان المسلمين
وعلى نخطها من حيث الحماسة الدينية ، وإن لم تصل إلى نفس قوتها . وبالنظر إلى أهداف
الجماعة المشار إليها أنفاً ، يتضح مدى تشدد برنامجها وإشتال وسائل تحقيق هذه الأهداف
على استعمال القوة ، كما هو الحال بالنسبة للإخوان المسلمين ، وكما حاول الإخوان إزاحة
عبد الناصر بعيداً عن المسرح السياسى بعد أن قام بحل جماعاتهم عام ١٩٥٤م ، وكذلك
تحركت جماعة « الأمة القبطية » ضد البطريك الأنبا يوساب الثانى بعد حلها رسمياً فى ٢٤
إبريل ١٩٥٤م وأجبرته على التنازل عن منصبه الدينى بالتهديد فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٤م .

وكانت شعبية هذه الجماعة محصورة - أساساً - بين الشباب القبطى ولعل ذلك يرجع
إلى أن العناصر الأكثر نفوذاً وجاهاً فى المجتمع هى نفسها الأكثر مقاومة ومعارضة لمثل هذه
التنظيمات القائمة على استعمال العنف والتشدد ، إذ لابد أن يخسر أفراد هذه العناصر ثرواتهم
ومراكزهم الممتازة إذا هم أعلنوا عداوتهم لنظام الحكم القائم . ومن ثم جذبت « الأمة
القبطية » الشباب على وجه الخصوص ، لأنهم لا يملكون الكثير ليعسروه ، ولأنهم كانوا
يائسين عاجزين مما كان يدفعهم إلى معاناة الكثير فى سبيل الحصول على الوظائف فى الإدارات
والأصالح الحكومية وفى مجال القضاء .. الخ .

على إن استعمال العنف الذى مارسته جماعة الأمة القبطية فى حادث خطف الباب يوساب
الثانى - وفقاً لقول سميرة بحر - كان أمراً مخالفاً لطبيعة الأقباط ، ولم يقدر لهذا الأسلوب



الانا كيرنس .. بابا الميحيين في مصر مع عبد الناصر

أن يعيش لأسباب عملية . ففى محاولة تجربة استعمال القوة مع المسلمين - أثناء نشاط الجماعة - كان واضحاً أن هذه الجماعة تقاتل قتالا غير متكافئ وكان مقدراً لها الخسارة . وكان لابد للجماعة أن تتجنب ، النتيجة المحتومة التى بنت عليها مقدمة أعمالها (وهى أن المسلمين فى حالة حرب مقدسة ضد غير المسلمين) لأن النتيجة ستكون فى هذه الحالة بالضرورة مزيداً من المتاعب ، وتعرض الأقباط لشبهة التعصب الدينى والطائفية المزدولة .

رابعاً : عبد الناصر والطرق الصوفية :

للحديث التفصيلى عن علاقة عبد الناصر بالطرق الصوفية ، نمحور الحديث حول النقاط التالية :

(١) أهم الطرق الصوفية فى مصر :

صدرت فى عام ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م لائحة الطرق الصوفية التى تعددت وكثرت بمصر كثرة مشاهدة وأهم هذه الطرق اليوم هى :

١ - الأحمدية وفروعها هى :

الأنباية الأحمدية - البيومية - التسقيانية - الحلبية المحمودية - الزاهدية - السطوحية - الإسلامية - الشعبية الشناوية - الفرغلية - الكناسية الأحمدية - المرازقة - المنايفة .

٢ - البرهامية وفروعها هى :

البرهامية - الشرنومبية البرهامية - الشهاوية الرهامية .

٣ - الخلوتية وفروعها :

البكرية الخلوتية - التفتازانية الخلوتية - الخضرية الخلوتية - الدمرداشية الخلوتية - الرحمية القنائية - السمانية الخلوتية - الصاوية الخلوتية - الضيفية الخلوتية - المروانية الخلوتية - المسلمية الخلوتية - المصيلحية الخلوتية - المغازية الخلوتية - الهراوية الخلوتية .

٤ - الرفاهية وفروعها هى :

العزازية - الرفاعية .

٥ - السعدية وفروعها هي :

السعدية - الشيبانية - التغلبية .

٦ - الشاذلية وفروعها هي :

الادريسية - الجوهريّة - الحامدية - الحمدوشية - السلامية - العروسية - العزامية -
العفيفية - الفيضية - القاسمية - القاوقجية - المحمدية - المدنية الميرغنية - الختمية -
الهاشمية - الوفاية .

٧ - السادة العنانية :

٨ - القادرية وفروعها هي :

الفرضية - القاسمية .

هذا عدا طرق أخرى أقرها المجلس الصوفي قريباً ، وعدا طرق لا يزال لها مرشحون
ولم تشغل بعد وجميع هذه الطرق يرأسها المجلس الصوفي الأعلى .

(٢) أشهر أعلام التصوف من ١٩٥٢ - ١٩٨٠ م :

الشيخ حسونة النواوي .
الشيخ سليم البشرى المالكي .
الشيخ محمود الديناري .
الشيخ عبد الحلیم قادوم .
الشيخ محمد عبد الله أبو النجا .
الشيخ السيد محمد خفاجي الدمياطي .
الشيخ حسين والي .
الشيخ محمد بخيت المطيعي .
الشيخ محمد الأحمدي الظواهري .
الشيخ محمود خطاب السبكي .
الشيخ نافع الجوهري الخفاجي .
الشيخ محمد الغنيم التفتازاني وغيرهم .

أشهر أعلام التصوف في الفترة الزمنية للبحث :

— المرحوم السيد العلامة المحدث العارف بالله الشيخ سلامة العزامي النقشبندی

- العلامة الصوفى الداعية إلى الله السيد محمد الحافظ النجاتى شيخ الطرق التيجانية .
- الشيخ الواصل نجم الدين الكردى
- الشيخ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش .
- رائد العشيرة المحمدية فى مصر سماحة الشيخ محمد زكى إبراهيم .
- سماحة شيخ الطريقة التفتازانية الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى .

المنهج المتبع فى الإنتساب إلى الطرق الصوفية بمصر :

يحدثنا صاحب الأصول عن كيفية الأخذ والإنتساب إلى الصريق فيقول : أعلم أن الأخذ والانتساب إلى الطرق على أربعة أقسام . أحدها أخذ المصافحة والتلقين للذكر ، وليس الخرقه ، والعذبة للتبرك أو للنسبة أيضا فقط .

وثانيها أخذ رواية وهو قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها وهو يكون للتبرك أو للنسبة أيضا فقط .

وثالثها .. حل كتبهم لإدراك معانيها لذلك فقط .

ورابعها .. أخذ تدريب وتهذيب وترقى فى الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والغناء فى التوحيد والبقاء وهو المراد العزيز وجوده . وعلى هذا المعول أكثر الطرق .

ويصح الإنتساب أيضاً بالاتباع والمشاركة ، ولو فى شىء يسير مع المحبة لهم كتلاوة حزب من أحزابهم ولذا قال الشاذلى من قرأ حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا .

ومن ذلك نلاحظ أن المنهج الآن فى كل الطرق هو أخذ العهود على المريدين بعد إستتابتهم عن المعاصى ، وبعد أخذ العهد على المريد يمضى فترة فى الطريقة حتى يكمل فيجيز شيخه المباشر الذى هو خليفة الطريقة ، فيطلب عندئذ من شيخ الطريقة إعطاء هذا المريد أجازة الطريق ، وهى شهادة تحتوى تاريخ الطريقة وأسانيدها ، وتشهد بأن هذا المريد أصبح قادراً على إرشاد غيره من المريدين وإعطائهم العهود .

والملاحظ أن هذه الطريقة لأخذ العهود على المريدين هى نفس الطريقة المتبعة تقريباً فى القرن السابع الهجرى . فكما أوضحنا سابقاً أن الطريقة انتهت فى القرنين السادس والسابع الهجريين والقرون التالية لهما إلى أن ، أصبحت عهداً بين شيخ ومريد على التوبة والإستقامة .

غير أنه بعد القرون التالية للسابع الهجرى قد زاد على ذلك العهد السفهى تلك الشهادة

المطبوعة التي تشهد بأن المرید أصبح قادراً على إرشاد غيره من المریدین وعلى إعطائهم العهود أو ما يسمى أجازة الطريق .

(٣) عبد الناصر والطرق الصوفية :

كان للطرق الصوفية فى المجتمع المصرى عبر تاريخها الطویل ، والذى بدأ مع مقتل الإمام الحسين بن على بالعراق ورحيل أهله إلى مصر ، ونشأة المتشيعين لهم والمتباكين على مقتل الإمام الحسين^(١) ، أثر سياسى واجتماعى مهم فى تشكيل الشخصية المصرية وبالذات فى القرى المصرية وفى الأوساط الشعبية المصرية ، وخاصة إذا علمنا أن عددها فى مصر قد بلغ ٦٧ طريقة صوفية تحتوى ٦ ملايين مواطن بالإضافة إلى الأشكال والتنظیمات المساندة لحركتها^(٢) .

ولعبت الطرق الصوفية خلال القرن الحالى دوراً مزدوجاً فى قضايا الديمقراطية والإستقلال والتنمية والصراع الخارجى ، إذ يتميز دورها فى أغلبه بالتبرير لسياسات الحاكم والمساندة الروحية له من ناحية ، كما تتميز بكونه أداة ضابطة لممارسات السلطة وخاصة تجاه بعض الأمور الدينية كقضايا الأحوال الشخصية من ناحية أخرى ، وكان للقدرات التى تتمتع بها الطرق الصوفية فى التأثير على اتباعها وخاصة فى توجيه طاقاتهم السياسية وجهة صوفية بعيدة نسبياً عن أساليب العنف والرفض التى ميزت التيارات الدينية الأخرى ، وبالأخص الإخوان ، المسلمين ، ولقد قوبلت هذه الدعوة باقبال متزايد من الجماهير ، ويعود ذلك إلى عوامل متعددة ، تآتى فى مقدمتها المعاناة الإقتصادية والقهر السياسى ، وبعض الموروثات الثقافية القديمة منذ عهد الفراعنة ، وجميعها ولدت تجاوباً ماهيراً مع هذه الطرق ، ويمكن تلمس أبعاد العلاقة بين النظام السياسى الناصرى والطرق الصوفية من خلال مستويين من التحليل .

الأول : فكرى ويحدد مدرکات الطرق الصوفية إتجاه القضايا السياسية الملحة فى هذه الفترة والتى تحدد بالتالى موقفهم الفكرى أو النظرى من النظام السياسى .

(١) بتفصيل أكثر انظر :

د. سيد عويس : الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية (القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨١)

ص ٤٨ - ٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

الثانى : عملى ويشير إلى المواقف العملية للطرق الصوفية خلال هذه الفترة إتجاه القضايا والأزمات السياسية وقتها .

١ - المستوى الفكرى :

يمكن تلمس أبعاد هذا المستوى من خلال تحليل رؤية الطرق الصوفية لكل من القضايا الداخلية الإتماعية والسياسية كالإشتراكية والديمقراطية والقضايا الخارجية السياسية كالقومية العربية والمواجهة مع الصراع الخارجى .

أما بخصوص القضايا الداخلية فقد كان للطرق الصوفية موقف مؤيد للنظام السياسى الناصرى إتجاه أغلب هذه القضايا ، وإن بدا فى بعض الفترات القليلة أن للطرق الصوفية موقفها المخالف لتوجهات النظام فإن هذا لا يخفى التوجه العام الذى ميز رؤيتهم فالإشتراكية تمثل لدينه :

نوعاً من السمو بكرامة المواطنين جميعاً ، ولقد وجهت الجمهورية العربية شطراً من عنايتها لتقريب المسافات بين غنيهم وفقيرهم ، حتى يكون الجميع سواء فى حق الحياة وحتى تتوثق الرابطة بينهم ، ومن المعلوم أن هذه النقطة أساسية فى برنامج الإسلام فقد حض على البذل ووضع الثروة فى مكانها من عدد الحياة ، وحذر من كثر الأموال ، ومن الأغنياء السبل إلى الإيثار والإعطاء ، وأبعد عن الفقراء شعور الحرمان ومرارة العوز وجهود الخلفاء فى تعهد هذه الناحية فى الرعية معلومة^(١) .

والإشتراكية الصوفية ليست دعوة إلى تقنين الإلحاد أو للتحلل من بعض قيمنا الخلقية والتى نعتز بها كمسلمين وكعرب بل وكبشر ، فإن إشتراكيئنا مؤمنة لا ملحدة ، فاضلة لا فاجرة ، إشتراكية قوم يأمررون بالمعروفة ، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله^(٢) وعبد الناصر لديهم هو :

قائد البعث العربى وموجه تاريخنا ، ومحرر الشعب العربى من آثار المواريث الرجعية ومن قيود الطبقية والاستغلالية وهو الذى وقف ليعلن حق الإنسان فى حياة فاضلة ، وفى

(١) د. محمد خلف الله أحمد : الخطوط الكبرى للنهضة الإسلامية ، مجلة الإسلام والتصوف ، سبتمبر ١٩٦١ (مجلة شهرية تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية - القاهرة) ص ١٦ - ١٧ .

(٢) سعيد حمزة مكرم المحامى : إشتراكيئنا مؤمنة لا ملحدة : مجلة الإسلام والتصوف ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

عمل شريف وفي مجتمع تتكافأ فيه الفرص وتتساوى فيه الأقدار وتتعاون فيه الطاقات ،
مجتمع يسير على تخطيط هادف وعلى منهج محرر يستهدف التوازن ، الإقتصادى والعدل
الإجتماعى والبعث والإنطلاق للقوى الشعبية العاملة^(١) .

وتصل قيمة العدل لدى الطرق الصوفية إلى قمته عندما يصبح هو جوهر الرسالة
الإسلامية وهو مفتاح السعادة للبشر^(٢) ، وهو ما يتمشى فى واقع الأمر مع رؤية النظام
السياسى وقتها . وإشارات الكتابات إلى قضية التعليم ، وضرورة التربية الدينية للطلاب ،
وأن تحتوى المناهج التعليمية على الجرعة الدينية الكافية ، وهنا تطالب الطرق بأن على
« السادة المربين أن يوجهوا نظر تلاميذهم إلى الأنوار المتلألئة فى آيات القرآن الكريم ،
وأن يعلموا تلاميذهم أن كتاب الله كتاب هداية ربانية وحياة إنسانية إيجابية مثالية والحديث
لشيخ مشايخ الطرق الصوفية محمد علوان^(١) .

وواجب طالب العلم فى أدب الطرق الصوفية أن ينظر للعلم نظرة تقديس وإجلال واحترام
وأن يعلم أن العلم جهاد للكمال وأن طاعة الله تعين على العلم وإن رياضة الروح تفتح
عين القلب ، وعين العقل ، وإن العلم إذا وصل إلى نفس شريرة غدا شراً على نفسه وعلى
الإنسانية كافة ، فالعلم فى الإسلام ليس بمهنة أو حرفة أنه رسالة ولهذه الرسالة أهداف
إنسانية ، وطلب العلم فى نظر الإسلام جهاد فى سبيل الله^(١)

ويلاحظ على موقف الطرق الصوفية من قضية التعليم أنها تعمدت إغفال دور الدولة ،
وركزت الحديث على طالب العلم وعلى المعلم ، وعلى رسالة العلم ، أما دور النظام
السياسى فى هذه العملية ، فلم تشر إليه أدبيات الصوفية . ولقد واكب الدعوة للعلم هذه

(١) محمد علوان : الرسالة ، مجلة الإسلام والتصوف ، نفس المصدر ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) عبد المنصف محمود عبد الفتاح : (العدل مفتاح السعادة ، مجلة الإسلام والتصوف (نوفمبر ١٩٦٠)
ص ٥٧ - ٦٠ .

(١) محمد محمود علوان : القرآن ووجوب العناية به فى مدارسنا وحياتنا ، مجلة الإسلام والتصوف (ديسمبر
٦٠) ص ٣ - ٦ .

(١) محمد محمود علوان : التصوف والتربية الخلقية فى مدارسنا وجامعاتنا ، مجلة الإسلام والتصوف
(سبتمبر ١٩٥٨) ص ٣ - ٦ .

دعوة موازية إلى تخليص المجتمع من الخرافات ، وبالأخص تخليص الطرق الصوفية مما علق بها من شوائب ودعوات لا تمت إلى صلب منهجها بصلة^(٢) .

أما بخصوص علاقة الحاكم بالمحكوم فتشير بعض الكتابات إلى أنه قد بنى الحكم فى الإسلام وفق أسس واضحة .

* بنى الحكم فى الدولة الإسلامية على أساس العدل والمساواة وأن يكون اختيار الحاكم على أساس الشورى وحكمه على أساس الشورى ، كما أن على الحاكم أن يلاحظ مصلحة الجماعة المادية والأدبية فلا يرهق أحداً من أمره عسراً ، ودعا إلى رفق الوالى برعيته ، وإن على الحاكم أن يحمى المجتمع من الرذائل والمفاسد .. وهكذا نجد تلك النصوص قد أقامت المجتمع فى الدولة الإسلامية التى تضم المسلم وغير المسلم على أساس من العدالة والرفق والشورى والمصلحة والتعاون ومنح الفساد والآثام التى تفتك بالمجتمع^(٣) .

وهى ذات الدعوة التى طالبت بها الطرق الصوفية عند الحديث عن وضع الدستور الجديد حيث ينبغى أن ينص الدستور على أن يكون مصدر قوانيننا وتشريعاتنا الإسلام وما يتلاءم مع أهدافه وغاياته^(١) .

وفى هذه القضية نرى تأكيد الطرق الصوفية على مسألة العموميات حيث لا نجد تفاصيل لعملية تنظيم المجتمع إسلامياً ، وحيث ما يهمهم هو الإشارة إلى أن الإسلام الدين الرسمى للدولة دونما تحديد للكيفية التى يتم بها هذا ، ولم يكن فى أى من هذه ما يتناقض مع التوجيه الفكرية العامة للنظام السياسى .

أما بالنسبة للقضايا الخارجية فقد كان للطرق الصوفية رؤيتها إتجاه بعض القضايا التى عاشتها مصر إبان الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) ، وكانت قضية القومية الحربية من أهم القضايا التى شغلت القوى الدينية والسياسية على اختلافها ، وكان للطرق الصوفية رؤيتها

(٢) د. عبد الحليم محمود : تحضير الأرواح والتصوف والتحلل من الشريعة ، مجلة الإسلام والتصوف (نوفمبر ٥٩) ص ٦٢ - ٦٦ . كذلك حديث مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى مجلة الإسلام والتصوف (يوليو ١٩٥٨) ص ٤٨ - ٥٠ .

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : المجتمع الإسلامى ومصادر تنظيمه ، مجلة الإسلام والتصوف (ديسمبر ١٩٦٠) مصدر سابق ، ص ٦٤ .

(١) فوزى عرفة : بحث وانبثاق : مجلة الإسلام والتصوف (مارس ١٩٦١) ص ٦٤ .

إتجاه هذه القضية حيث :

* العروبة التي ننادى بها ليست حركة جنس أو لون إنما حركة بعث لأمة كبرى تحتل أخطر منطقة في الكوكب الأرضي وتمثل أرضها قلب العالم النابض وتمثل فوق هذا كله ، إنها أرض النبوات والرسالات ، أرض الإشعاع الروحي الذي تهفو إليه الإنسانية ، وتزود منه بيقينها وإيمانها ، إنها حركة مبادئ تستند إلى موارث خادلة ، وتصور لونا من الحضارة المؤمنة ، وتقدم منهجاً لأمن الإنسانية وسعادتها وأخوة الإنسان وتعاونه مع أبناء البشرية كافة^(١) .

وقراءة الطرق الصوفية للتاريخ العربي نهتهم إلى ثلاثة عوامل كان له أثرها في نشأة القومية العربية الأول مما كان بين صحراء الجزيرة والبيئات المجاورة لها من اتصال في القديم ، والثاني : السبق الحضاري الذي جعل من بعض بلاد تلك المنطقة تربة صالحة لثموم مدينة عالمية راقية ، والثالث الدين الذي أضفى على تلك المنطقة صفاء وروحانية ووضع لها أصول نهضة تشريعية وفكرية جديدة ، وأمدّها - كما يقولون - بالإدارة الثقافية الضرورية للرقى الفكري والاجتماعي وهي اللغة الخصبة الموحدة^(٢) .

وتأكيداً لمواكبة الفكر الصوفي لتطورات قضية القومية العربية والوحدة نشرت مجلة الإسلام والتصوف تفصيلاً لعلاقة مصر بالبلدان العربية المجاورة كالسودان وتونس والجزائر واليمن وحجم نوعية العلاقة بينهم^(١) .

وكان للطرق الصوفية موقفها الفكري أيضاً إتجاه المواجهة ضد العدوان الخارجي وتبدى هذا في إعلانها على لسان شيخ مشايخ الطرق الصوفية إبان العدوان الثلاثي على مصر بأن : اليوم الأمة العربية تدوى من حولها العواصف ويتربص بها جبابرة عتاة بغاة فيا أيها المتصوفة في كل مكان ، إن عبادة الله لا يستقيم ميزانها إلا بالجهاد في سبيل الله ، في سبيل خير أمتكم ، ورفاهية شعبكم وحماية وطنكم^(١) .

(١) محمد محمود علوان : القرآن ووجوب العناية : مجلة الإسلام والتصوف (ديسمبر ١٩٦٠) ص ٤ .

(٢) د. محمد خلف الله محمد : الإسلام والقومية العربية ، مجلة الإسلام والتصوف (يناير ١٩٦١) ص ٢٢ .

(١) يراجع : الباب الثابت « اعرف بلادك العربية » مجلة الإسلام والتصوف : أعداد السنة الأولى والثانية/ عامي ١٩٥٩/٥٨ - ١٩٦٠/٥٩ .

(١) محمد محمود علوان : الروح والصوف والسلاح السري للعالم الإسلامي ، مجلة الإسلام والتصوف (يوليو ١٩٥٨) ص ٥ .

ويدعوهم بوضوح إلى أن يتقدموا الصفوف ، صفوف المجاهدين بأخلاقهم وإيمانهم وإيثار قلوبهم وصدورهم^(٢) . وعند الاحتفال بالانتصار الذي قاده عبد الناصر يصبح هذا الانتصار عيداً للإنسانية وللحرية العالمية ، وللتحول التاريخي^(٣) وهي ذات المواقف التي تبدت أثناء أزومة ١٩٦٧م التي إعتبرتها الطرق الصوفية شكلاً من أشكال المواجهة مع أوروبا ، ودعت إلى إستقاء خبرة صلاح الدين الأيوبي نتيجة تماثلها مع إحداث الفترة التي عاصرت مواجهة واضحة مع الغرب ممثلاً في الولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائها^(٤) .

٢ - المستوى العملي :

في سبتمبر ١٩٥٩م وجه الشيخ - محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية - بياناً إلى الأمة العربية قال فيه : إن معركة القومية العربية الدائرة الراحى الآن فى العراق ليست معركة العراق وحده بل هى معركة العالم العربى كافة وندد بالنكسة الرجعية وحمامات الدم ، وأكد أنها تشكل خطراً على الكيان العربى كله وعلى مقدساته وعقائده وميراثه الروحى العالمى^(١) ، وفى الوقت نفسه دعا المجلس الصوفى الأعلى ، الطرق الصوفية إلى منع النساء من حضور حفلاتها المختلفة ، وكذلك أى مظهر من مظاهر الشعوذة^(٢) .

وكانت هناك نوايا إلى إعادة تجميع الطرق الصوفية التى وصلت إلى ٦٠ طريقة تضم ٣ ملايين مواطن فى عام ١٩٦٣م تحت تنظيم جديد وبأهداف جديدة تتفق وقم المجتمع الإشتراكى وأن يقضى هذا التنظيم كما نوه رئيس المجلس الصوفى الأعلى بإنشاء مراكز ثقافية توجيهية لتدريب رجال الطرق وتجريد التقاليد الصوفية مما علق بها وتنظيم كتائب للخدمات الدينية والاجتماعية النافعة للشعب^(١) .

وبان أحداث الصدام بين النظام السياسى والإخوان المسلمين عام ١٩٦٥م ، كانت الطرق الصوفية إلى جانب النظام ، حيث أصدر الشيخ محمد محمود علوان بياناً فى مولد الإمام الرفاعى أعلن فيه أن رسالة التصوف هى الدعوة إلى الأمن والسلام ومحاربة أساليب

(٢) المصدر السابق .

(٣) محمد محمود علوان : أعياد المجد والبناء ، مجلة الإسلام والتصوف (يناير ١٩٦١) ص ٥ .
(٣) انظر د. عبد الحليم محمود : أوروبا والإسلام : مجلة التصوف والإسلام (فبراير ١٩٦١) ص ٢٢ - ٢٥ .

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٥٩/٩/٢٤ .

(٢) الأهرام بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٤ .

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٦٣/٩/٨ .

نعنف والإرهاب وإن الإسلام حرم التآمر فى الخفاء والمفاجأة بالإثم والعدوان^(١) وقبل لإحتفالات بأعياد الثورة كان للطرق الصوفية موقفها أيضاً حين أصدر شيخها أمراً ينوه فيه حول ضرورة أن يكون الإحتفال مهيباً ويتفق وجلال المناسبة^(٢) .

وكان لابد أن تصدر محاولات شتى لتطوير النظام الداخلى للطرق الصوفية ، وإن كانت فى أغلبها لم تأت بنتيجة عملية إلا على عهد السادات (عام ١٩٧٦ م) ، مثل ذلك المؤتمر الذى عقدته الطرق الصوفية بالمقر الرئيسى للإتحاد الإشتراكى لمناقشة تطوير الطرق الصوفية فى ظل النظام الإشتراكى ، وقدم شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى ، بداية المؤتمر اللائحة الجديدة المعدلة لكمال الدين رفعت أمين الدعوة والفكر بالإتحاد الإشتراكى ، وأعلن شيخ مشايخ الطرق الصوفية تظهير صفوف رجال الطرق الصوفية من كل العادات والبدع التى تتنافى مع الإسلام ، كما أعلن عن إنشاء لجان شئون العالم الإسلامى رسالتها الإتصال بجميع الطرق الصوفية فى أنحاء العالم الإسلامى (وجمعها على كلمة الله فى إطار الإيمان والعمل الصالح لخير المجتمع الإسلامى)^(٣) .

وطالب كمال الدين رفعت - فى الإجتماع نفسه - أعضاء المؤتمر من رجال الطرق الصوفية بضرورة الإهتمام بالتوجيه الدينى الصحيح للشعب فى أنحاء الريف ، وقال إن الدين ليس أرثاً وإن العمل أساس الجزاء فى الدنيا والآخرة ودعا إلى محاربة التعطل بالوراثة أو التكسب واستغلال إسم الدين وترك التواكل والسلبية والعمل الإيجابى المستمر^(٢) وتواصلاً مع الدور السياسى للطرق الصوفية أصدر المجلس الأعلى للطرق الصوفية بياناً فى إبريل ١٩٦٧م يستنكر فيه المؤامرات الرجعية للملك فيصل وشاه إيران والملك حسين والرئيس بورقيبة^(٣) .

وقبل النكسة - يونيو ١٩٦٧م - بأيام قليلة ، وتحديدأ فى ٢٧/٥/١٩٦٧م ، أصدر شيخ مشايخ الطرق الصوفية بياناً مهماً يبرر فيه إصدار الرئيس عبد الناصر أوامر لقوات الطوارىء ، الدولية لتسحب من سيناء ، وإغلاق خليج العقبة ، وفسر هذه القرارات المهمة بقوله :

(١) الأهرام بتاريخ ١٠/١/١٩٦٥ .

(٢) الأهرام بتاريخ ٢٣/٧/١٩٦٦ .

(١) الأهرام بتاريخ ٢٣/١١/١٩٦٦ .

(٢) المصدر السابق . .

(٣) الأهرام بتاريخ ١٢/٤/١٩٦٧ .

* إنى أريد أن أوضح لكم - يقصد هنا أفراد الطرق الصوفية - أهمية هذا القرار بغلق خليج العقبة في وجه إسرائيل ، ولماذا فقدت صوابها وترنحت من حول اللطمة .. ذلك لأن لهذا القرار نتيجتين مهمتين : الأولى .. أن سفنهم ولاسيما حاملات البترول ستضطر للمرور حول أفريقيا عن طريق جبل طارق ثم تجتاز هذا البحر كله عرضاً حتى تصل إلى موانئهم ، وهى تستغرق ما بين أسبوعين أو ثلاثة وتحتاج السفن إلى إستهلاك وقود يزيد على ثلاثة أمثال ما كانت تستهلكه لو أنها مرت عن طريق العقبة القصير ، الثانية .. أن خط أنابيب البترول الذى مدوه من خليج العقبة إلى حيفا وغيرها على البحر المتوسط قرار تاريخى يتعطل عن العمل ويأكله الصدأ .. إن هذا القرار تاريخى عظيم جعله الله حسرة في قلوبهم ، وختم به على أفئدتهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم .. وإن أرادوها قارعة فنحن والعرب والمسلمون لها . وأسودنا واقفة تحرق شوقاً إلى الأمر بالإنطلاق وراء العدو^(١) .

ويحدد المطلوب الآن من الطرق الصوفية في ثلاثة مطالب : الأول أن تثق بالقيادات ثقة فوية مضاعفة ، والثاني أن يأخذ كل منهم مكانه في الحرس الوطنى أو الدفاع المدنى والثاني أن يكرروا ما صنعوه بالعدو إبان العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م من صلابة وشجاعة وإيمان^(٢) .

وتأتى أحداث النكسة لتخلق واقعاً مغايراً للذى ابتغاه شيخ مشايخ الطرق الصوفية في رسالته إلى أبناء الطرق جميعاً ، وهو الواقع الذى اتسم بتوجيه الإنتباه إلى أهمية المسائل الروحية ، وأهمية أن يجمع الطرق الصوفية التى وصل عددها إلى ٦٠ طريقة ، طريق واحد وفقاً ، لرؤية شيخها الجديد^(١) وتتأخر مؤقتاً المسائل ، السياسية في برامجه ، والتى وصلت أوجها كما سبق القول قبل إحداث النكسة بأيام قليلة .

وفى ديسمبر ١٩٦٧م سار أكبر موكب صوفى رسمى فى مصر تأييداً للقيادة السياسية فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧م ما يؤكد على إستمرارية دورها القديم فى تأييد النظام السياسى وخاصة فى أوقات الأزمات السياسية الداخلية أو الخارجية .

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٦٧/٥/٢٧ .

(٢) المصدر السابق .

(١) أول حديث للشيخ مصطفى الطوخى ، الشيخ الجديد للطرق الصوفية ، الأهرام بتاريخ ١٩٧٠/٥/٢٢ .

وهكذا فمن واقع أفكار وممارسات الطرق الصوفية يتبين أنها بتنت سياسات أتت في أغلبها مؤيدة للنظام السنياسي وإن بدا في الأفق خلافة حول بعض الأمور الدينية الخاصة بالأحوال الشخصية وهذا ما حدا بالنظام السنياسي إلى عدم الأخذ بمشروع القانون الخاص بتعديل المادة ١٠٣ من قانون الأحوال الشخصية - كما سيرد - في إبريل ١٩٦٧ م .

ولقد كانت للطرق الصوفية مواقفها الواضحة إبان أزمت الصدام مع الإخوان المسلمين ، إبان عدوان ١٩٥٦ م وقبل وبعد هزيمة ١٩٦٧ م ، فكانت مؤتمراتها تعكس هذا الموقف المؤيد للنظام السنياسي .

خامساً : عبد الناصر .. والفيلم الديني :

ثمة جوانب هامة ومعقدة بالنسبة لمن تناولوا التجربة الناصرية ، وبخاصة في مجال إشكالية الدين ، وذلك هو مجال الفيلم الديني ، وما أنجزته الفترة الناصرية في هذا المجال .

سوف نقدم هنا نظرة إحصائية شاملة لعلها تفي بسد النقص في مجال هام لمن يؤيدون أو يهاجمون التجربة الناصرية من منظور إهتمامها بالأمور الدينية ، ترى ماذا قدم عبد الناصر في هذا المجال .

* يمكن محورت ما قدم في هذه الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) برصد ما يلي :

- أ - الأفلام الروائية الإسلامية الطويلة .
- ب - الأفلام التسجيلية الإسلامية السينمائية .
- ج - الأفلام التسجيلية الإسلامية التليفزيونية .
- د - الأفلام التسجيلية القبطية .

وكل من هذه المجموعات الأربع مرتبة حسب سنة الإنتاج .

نبذة عن كل فيلم من الأفلام الروائية :

١ - بيان الأفلام :

أ - الأفلام الروائية الإسلامية الطويلة :

عنوان الفيلم	المخرج	سنة الإنتاج
صلاح الدين الأيوبي	إبراهيم لاما	١٩٣١م

١٩٥١م	إبراهيم عز الدين	ظهور الإسلام
١٩٥٢م	أحمد الطوخي	انتصار الإسلام
١٩٥٣م	أحمد الطوخي	بلال مؤذن الرسول
١٩٥٣م	بهاء شرف الدين	السيد البدوي
١٩٥٧م	أحمد الطوخي	بين الله الحرام
١٩٥٨م	حسين صدق	خالد بن الوليد
١٩٥٩م	إبراهيم السيد	الله أكبر
١٩٦١م	أندرو مارتين	وا إسلاماه
١٩٦٢م	عباس كامل	شهيدة الحب الإلهي
١٩٦٣م	نيازي مصطفى	رابعة العدوية
١٩٦٣م	يوسف شاهين	الناصر صلاح الدين
١٩٦٤م	إبراهيم عمارة	هجرة الرسول

ب - الأفلام التسجيلية الإسلامية السينمائية :

١٩٥٦م	حسن توفيق	من الحاكم بأمر الله إلى الصالح طلائع المراحيل
١٩٥٧م	حسن توفيق	في رحاب الإسلام
١٩٥٧م	واصف عزيز	كنوز الفن الإسلامي
١٩٦٠م	ولي الدين سامح	الأزهر الشريف
١٩٦٥م	عبدل خلیل	رمضان كريم
١٩٦٧م	محمد قناوي	١٤ قرناً على نزول القرآن الكريم
١٩٦٨م	أحمد راشد	١٤ قرناً على نزول القرآن الكريم
١٩٦٨م	عبد القادر التلمسني	الأزهر في ألف عام
١٩٦٩م	حسن رضا	مولد السيدة
١٩٧٠م	مصطفى محرم	

ج - الأفلام التسجيلية الإسلامية التلفزيونية :

وتشمل مجموعات من الجوامع والمساجد :

السلطان حسن والقنأى أوب الحجاج وسان باشا	دويدار طاهر
إبراهيم الدسوقي ومقسيى أبو الريش	مراد الخولى
قايتباى والنصاصر محمد	على الغزولى
المرسى أبو العباس والبوصيرى وسيدى جابر	أحمد مندور
المؤيد والسيدة زينب	عبد الحميد أحمد
الإشراف برسباى والعارف بالله والعتيق	مهاب مرزوق
المتولى وسيدى شبل والأحمدى والوزيرى	كريم ضياء الدين
قلاوون والأقمدر	روحية شهاب
عبد الرحمن لطفى والعباسى	محمد سامى عطالله
الحاكم وكافى بباى الرمباح	كمال أبو العلا
الحسين والأزهر والفريب	محمد السعيد يوسف
المللكة صفية وبرقوق	سالم سالم
الإمام الشافعى والجردانى	محمود سرى

د - الأفلام التسجيلية القبطية :

عنوان الفيلم	المخرج	سنة الإنتاج
رحلة إلى دير درونكا		
بأسىوط	فريد المزاوى	١٩٤٩م
الأب الياس	حسن رضا	١٩٥٧م
هروب العائلة المقدسة	ولى الدين سامح	١٩٦١م
دير سانت كاترين	عبد القادر التلمسانى	١٩٦١م
المتحف القبطى	ولى الدين سامح	١٩٦٢م
دير سانت كاترين	سعدية غنيم	١٩٦٢م
جبل موسى	سعدية غنيم	١٩٦٢م
أجراس السلام	رمسيس نجيب	١٩٦٥م
عيد الميرون	يوسف شاهين	١٩٦٧م
عيد السعف	محمد قناوى	١٩٦٨م
مرقص النرسول	إحسان فرغل	١٩٦٩م
عيد القيامة	ميناس نصر	١٩٦٩م

نقل رفات القديس

مینہاس نصیر

قص

* وبعد أن هذه الإحصائية التي قدمناها مجردة ، وعامة نقدمها أملين أن تفيد في إعادة تقييم الإهتمام بمسألة الدين في مجال الإعلام السينمائي الناصري .

سادساً : عبد الناصر وحركة بناء المساجد :

بداية يهمننا الإشارة إلى أن المسجد أو رسالته في الإسلام تحدد في الآتي :

- (أ) أنه مكان الصلاة .
(ب) أنه مكان لذكر الله .
(ج) أنه مكان الإعتكاف .
(د) أفضل مكان لمدارس القرآن وتعليم أحكام الله .
(هـ) دار الشورى .
(و) دار الإفتاء .
(ز) دار القضاء .
(ح) دار لعقود القرآن .
(ط) دار للإغاثة والرعاية الإجتماعية والصحية .
(ي) مكان لإستقبال الوفود والسفراء .
(ك) مكان لتجميع الجيش عند الزحف في سبيل إعلاء كلمة الله .

كانت تلك هي الوظائف القديمة .. أما الآن فقد أقامت الدولة المؤسسات التي تختص ببعض هذه الوظائف وهي مؤسسات لا علاقة لها في الغالب بالمسجد (كالجيش والقضاء والمجالس النيابية) وكان العهد الناصري سابقاً إلى هذا التحديد لدور المسجد .

ومع التطور التاريخي سرعان ما أضيفت إلى المسجد كلمة الجامع وصار له وظيفة أخرى من أسمى وأجل الوظائف بعد أن أصبح مقراً لإجتماع علماء التفسير والحديث والفقه واللغة العربية ، فصار مركزاً للدراسات الدينية واللغوية والأدبية ، تعقد فيه الحلقات الدراسية . وبمضى الأيام ربزت الصفة الدراسية للمسجد الجامع بروزاً واضحاً قوياً في وقت لم تكن قد أنشئت فيه بعد معاهد العلم المخصصة للدراسة فقط والتي تنافرت في أرجاء العالم الإسلامي فيما بعد . وبذلك كان المسجد الجامع مركز الإشعاع الفكري في المدينة التي قام فيها .

والمسجد الجامع الذى لا يزال مرتبطا بالقديم من حيث الوظائف الدينية التى يؤديها هو الأزهر الشريف .

والحكومة فى مصر تعرف عنه هذه الحقيقة ، ومن أجل هذا أولته من العناية والسيطرة ما جعلها تلقب أحد الوزراء فيها بوزير الأزهر والأوقاف ، وما جعلها تصدر القوانين فى شأنه ، وتحدد له من المسئوليات ما يجب عليه أن يقوم بها .

والقوانين التى تحدد شخصية الجامع الأزهر فيما يتصل بعملية المسح الدينى هذه هى :

(١) قانون عام ١٩٣٦م الذى صدر فى عهد مشيخة المراغى ، والذى ألغى العمل فى الأزهر بقانونى عام ١٩٢٣م ، عام ١٩٣٠م .

(٢) القانون رقم ١٠٣ لعام ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها . والذى سبق شرحه وتحليله آثاره وردود الفعل عليه .

ولكى نرصد حركة بناء المساجد فى العهد الناصرى نقدم الجدول التالى عله يفى بالغرض :

جدول بتوزيع المساجد الحكومية والأهلية على مستوى المحافظات مع نهاية العهد الناصرى

المحافظة	عدد المساجد الحكومية فى عام ١٩٧٠م	عدد المساجد الأهلية فى عام ١٩٦٤م
القاهرة	٥٤٠	٢١٨
الإسكندرية	١٧٨	١٧٢
بور سعيد		٢٧
السويس	٦٨	٦٠
الإسماعيلية		٢١٨
دمياط	٨٩	٨٦
الدقهلية	٣١٨	١٢١٧
الشرقية	٢١٧	١٧٨٧
القليوبية	١٥٤	٤٨٢
كفر الشيخ	١٥٤	٦٣٢

٧٥٩	٢٥١	الغربية
٩١٥	١٩٥	المنوفية
٨٣٥	٢٤٩	البحيرة
٤٥٧	٩٨	الجيزة
٤٢٥	١٤٤	بنى سويف
٥٧٥	٩٦	الفيوم
٨٧١	٢٠٧	المنيا
٧٨٢	١٧٢	أسيوط
١٩٨٣	١٣٠	سوهاج
١٣٧٠	١٢٢	قنا
٢٥١	٧٦	أسوان
١٧		سيناء
		الوادى
		الجديد
		البحر الأحمر
		مرسى
		مطروح
١٤٢١٢	٣٥٥٨	الإجمالى

سابعاً : عبد الناصر وموقع الدين فى قضايا التطور الإجتماعى :

يكتمل موقف النظام السياسى تجاه قضية الدين والدولة خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) بتحليل موقفه إزاء بعض قضايا التطور الإجتماعى المهمة والتى مثلت قضايا حيوية لا تكتمل الدراسة دونها الإحاطة بها ، ويأتى فى مقدمة هذه القضايا : قضية التعليم ، وقضية الأحوال الشخصية وما يتفرغ عنها من قضية المرأة ، وتحديد النسل وقوانين الأحوال الشخصية ، ومن ثم سوف يتناول هذا المبحث بالتحليل :

أولاً : موقع الدين فى عملية التعليم خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) :

ثانياً : الدين وقضايا الأحوال الشخصية خلال نفس الفترة .

أولاً : موقع الدين فى عملية التعليم خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) :

نظر النظام السياسى لقضية التعليم كجزء من عمليات التنمية الإجتماعية التى واكبت حركته بامتداد الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) وكان لعبد الناصر رؤية الخاصة تجاه هذه القضية التى توزعت على مستويات ثلاثة : مستوى أول ، التعليم فيه يمثل أداة لتحقيق تكافؤ الفرص بين قطاعات المجتمع والقوى المختلفة حتى لا يحدث ما أسماه عبد الناصر بالإتصال بين الشعب والمثقفين « إن من دخلوا الجامعة وجدوا الفلصة التى لم يجدها الآخرون ، لم يجدها العامل ، ولم يجدها الفلاح ، لم تجدها الغالبية العظمى من هذا الشعب ، إذن على من دخل الجامعة وعلى من يعمل فيها مسؤولية كبيرة تجاه الشعب حتى تنصهر هذه العوامل التطبيقية التى تنبثق فى قلوب الناس^(١) .

ومستوى ثان يصبح التعليم فيه أداة لعملية التنشئة السياسية ، وخاصة أن المجتمع يعيش عمليات تغيير اجتماعى ، وتحديث ثورى ، ولا بد أن تتراكم معها جميع أدوات عملية التنشئة السياسية والتى يأتى التعليم فى مقدمتها ، وفى هذا المعنى يذهب إلى أن العلم هو السلاح الحقيقى للإرادة الثورية ، فمن هنا يبد الدور العظيم الذى لابد للجامعات ومراكز العلم على مستوياتها المختلفة أن تقوم به^(٢) .

ومستوى ثالث يصير التعليم فيه أداة من أدوات الحراك الإجتماعى ، فيساهم التعليم - من وجهة نظر عبد الناصر - فى التفاعل بين الطبقات القائمة ، وتكوين طليعة من المتعلمين والمثقفين المنتمين لكل هذه الطبقات والتى كانت أول من أيد الثورة فى بداياتها^(٣) .

وداخل قضية التعليم أدرك النظام السياسى الموقع الخاص للدين ، فاحتل خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) أهمية ورعاية خاصة ، تبدى ذلك فى مجمل سياسات وقرارات النظام السياسى التعليمية ، وفى حجم المادة التعليمية المقدمة ، ونوعيتها ، ولمعرفة هذا الموقع الذى احتله الدين ، سوف نعالج العملية التعليمية خلال الفترة موضع البحث من خلال حجم ونوعية مادة التربية الدينية والتاريخ ، مقارنة بإجمالى المادة التعليمية المقدمة مع مقارنات بين الفترات الزمنية ، وبين المستويات التعليمية المختلفة (الإبتدائى - الإعدادى - الثانوى) ،

(١) خطاب للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٩٦١/٢/٢٧ .

(٢) خطاب للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٩٦١/٢/٢٧ .

(٣) الميثاق الوطنى ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

وعليه فسوف تكون مادتا التربية الدينية والتاريخ هما المتغيران الأصيلان في تحديد موقع الدين في العملية التعليمية ، ويعود اختيار مادتي التربية الدينية والتاريخ إلى أهميتهما في تحديد رؤية النظام السياسي لأحداث وخبرات التاريخ في بعدها الإسلامى أو الدينى ، وأيضاً في معرفة طبيعة ودور الدين في حياة المجتمع المصرى ، وكيفية توظيف هذا الدول .

واهتم النظام السياسى الناصرى بتدريس مادتي الدين والتاريخ ولكن تفاوتت درجات الأهمية ، وفقاً لتطور النظام السياسى وتطور قضاياها الإجتماعية والسياسية ووفقاً للمستويات التعليمية ، فالذى يدرس للأعدادية ، وكذلك الحال بالنسبة للمرحلة الثانوية ، ولمعرفة هذه النواحي نتابع المادتين خلال ثلاث فترات تاريخية مختلفة ، ومن خلال المستويات التعليمية الثلاثة (الإبتدائية والإعدادية ، والثانوية) الفترة الأولى ١٩٥٢/٥١ م ، وهى تغطى واقع تدريس المادتين السابق لقيام الثورة مباشرة . أما الفترة الثانية فهى ١٩٥٤/٥٣ م وهى التى تبرز لنا المؤشرات الأولى لعملية التغيير في تعليمها ، أما الفترة الثالثة فهى الفترة ١٩٧٠/٦٨ م والتى تمثل المحصلة الأخيرة لموقف النظام السياسى من مسألة التعليم الدينى والتاريخ .

١ - فبالنسبة للفترة الأولى ١٩٥٢/٥١ م : يلاحظ تعدد أهداف النظام السياسى تجاه المادتين :

(أ) فبالنسبة لمادة الدين يلاحظ أن أهداف النظام السياسى تركزت في :

- ترغيبهم في شعائر الدين وفرائضه وتعويدهم أداءها والتمسك بها .
- إشعار التلاميذ روح التدين ومراقبة الله وحب الخير ومحاسبة النفس .
- أنشئتهم على الآداب الإسلامية التى تهذب النفوس وتثير نوازع الخير فيها .
- الإتصال بكتاب الله وتجويد تلاوته ومحاولة فهم ما يستطيع التلاميذ فهمه والإنتفاع به في معناه ولفظه .

ويؤكد الإطار السابق أيضاً على ضرورة الربط بين قصص التهذيب والآيات والأحاديث التى لها علاقة بموضوع البحث وأن يضرب الأمثال لذلك من مظاهر حياة التلاميذ في بيئاتهم^(١) ولقد تم تطبيق هذا كاملاً على المنهج الدينى للسنوات الإبتدائية والتعليمية المختلفة ، وبدأ تدريسه الفعلى مع السنة الثالثة الإبتدائية ، ويلاحظ إن إجمالى عدد الحصص الدينية وصل إلى ٢٠ حصة أسبوعياً موزعة على سنوات الدراسة المختلفة ، وعلى المستوى النوعى ركز

(١) المصدر : منهج الدين واللغة العربية والخط العربى لمدارس المرحلة الأولى للبنين والبنات (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة دار المعارف العمومية ، ١٩٥٢م) ص ١٣ .

التعليم الدينى على موضوعات عامة بلا مضمون سياسى واضح كالصبر والمحافظة على الوقت وما إلى ذلك^(٢)

(ب) بالنسبة لمادة التاريخ خلال نفس الفترة يلاحظ أنها كانت تقدم بمعدل حصتين أسبوعياً وإنها هدفت إلى :

ضرورة بذلك المدرس للجهد لإثارة انتباه التلاميذ ، حيث تمثل هذه القصص بداية عهدهم بدراسة التاريخ ، ويحسن أن يلم التلاميذ ببعض التواريخ المهمة التى تكون معالم أساسية للعصور التى يدونها مثل تواريخ ميلاد النبى ، وهجرته ، وفتح العرب لمصر وإنشاء القاهرة والأزهر^(١)

وعليه جاء تركيز المنهج على الشخصيات التاريخية المهمة فى تاريخ مصر القديم ، وعلى سير أبطال الإسلام ، وأحوال مصر الحربية والإقتصادية وصلاتها الخارجية ، وحالتها الإجتماعية ، وتم التركيز أيضا على أهمية الدور الذى لعبته أسرة محمد على فى تاريخ مصر المعاصر^(٢)

ويقدم منهج التاريخ فى هذه الفترة نفسه ، خاصة على مستوى المرحلة الأولى كتجسيد واضح لرؤية النظام السياسى الملكى لتاريخ مصر القديمة وحديثه ، حيث التركيز على جانب الشخصيات التاريخية المهمة ، وعلى الشخصيات الإسلامية ، وأسرة محمد على ، وجميعها تعكس إهتمام النظام بإبراز تأكيده على البعد الدينى ، والملكى فى تاريخ مصر والذى يمثل هو ذاته .

٢ - الفترة الثانية ١٩٥٤/٥٣ م : لا يلاحظ تغير يذكر فى موقف النظام السياسى الجديد تجاه تدريس مادة الدين ، حيث تساوت الجرعة الدينية المقدمة لتلاميذ المراحل الدراسية المختلفة فنجدها تكاد تتساوى بالنسبة للمرحلة الأولى مع الفترة السابقة ١٩٥٢/٥١ م ، وأيضاً تتشابه نوعية ما تم تقديمه من مادة علمية ، وكذلك الحال بالنسبة لمادة التاريخ مع تغير بسيط بالنسبة لما يتعلق بالنظام السياسى الملكى أو جذوره التاريخية والإجتماعية الذى يعبر عنها .

(١) المصدر السابق : ص ١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥ - ١٨ .

(١) المصدر : مناهج الموضوعات الإجتماعية للستين الخامسة والسادسة فى المرحلة الأولى (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة وزارة المعارف العمومية ، ١٩٥٢ م) ص ١٠ - ١٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤ .



وضوء على باب الخيمة التي أقام فيها عندما سافر للحج عام ١٩٥٤ والسعي مع المطوف بين الصفا
والمروة ، والاتجاه بعد ذلك إلى عرفات

(أ) فبالنسبة لمادة الدين : يلاحظ أن تدريسها قد بدأ مع السنة الأولى بعكس الفترة ١٩٥٢/٥١ م التي بدأت مع السنة الثالثة الابتدائية ، ويلاحظ تزايد الجرعة تدريجياً مع السنوات الخامسة والسادسة^(١) وأيضاً يلاحظ تركيز المنهج إسلامياً ومسيحياً على ذات القيم التي ركزت عليها المرحلة السابقة (كالصبر وحسن المعاملة ، والتواضع) وإن ازداد الحديث عن قيمة الجهاد^(٢) ، وكمياً نجد تناقص الجرعة الدينية المقدمة للطلاب في المستويات التعليمية الأخرى فهي تصل في الإعدادية إلى ٨ حصص دينية للسنوات الأربع^(٣) ، وفي الثانوية تصل إلى حصة واحدة لكل قسم : الأدبي والعلمي^(٤) . ومقارنة ذلك الإجمالي العام للحصص التعليمية تصبح الابتدائية ٨,٥ % والإعدادية ٥,٦ % ، والثانوية ٢,٨ % ، ولكن مضمون المادة تطور نسبياً حيث نجد التركيز على ضرورة عدم الإقتصاد على ما يقدم إليهم من دروس إذ ينبغي الإهتمام بالجمعيات الدينية والعناية بالمصري وبأعمال البر والإحسان للفقراء وغيرها من القيم الدينية الإيجابية^(٥) التي تؤكد على علاقة الدين كمادة تدرس بالمجتمع الذي يعيشه الطالب^(٥) .

(ب) بالنسبة لمادة التاريخ خلال الفترة ١٩٥٤/٥٣ ، يلاحظ أن هذه المادة لم يتم تدريسها في السنوات الأربع الأولى من المرحلة الابتدائية وبدأت مع السنة الخامسة ، ولم يحدث تغيير منها حين يذكر فيما قدم من مادة علمية كذلك الحال بالنسبة لمناهج المرحلة الإعدادية والتي ركز منهج السنة الأولى فيها على بدء الحضارة الإنسانية ، والسنة الثانية تحدثت عن مصر الفرعونية ، والثالثة عن تاريخ الإسلام في مصر ، والرابعة عن تاريخ مصر في العصر الحديث .

أما المرحلة الثانوية فلقد تركز التعليم حول تاريخ الدولة الإسلامية بالنسبة الثانية ، وتاريخ مصر والعالم العربي في العصر الحديث بالسنة الثالثة قسم أدبي ، ولقد تم التأكيد في المادة

(١) المصدر : مناهج الدراسة للمرحلة الابتدائية ٥٣ - ١٩٥٤ م (القاهرة ، وزارة المعارف ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٤ م) ص ١

(٢) المصدر السابق ، ص ٩ - ١٠ ، كذلك : مناهج الدين المسيحي للمرحلة الابتدائية (القاهرة ، وزارة المعارف ، ١٩٥٤ م) ص ٢ .

(٣) المصدر : مناهج مواد الدراسة للمرحلة الإعدادية ٥٣/١٩٥٤ م (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٤ م) ص ٤ - ١٠ .

(٤) المصدر : مناهج مواد الدراسة للمرحلة الثانوية ، ٥٣/١٩٥٤ م (القاهرة ، وزارة المعارف ، ١٩٥٤ ، ص ٥٨٨ - ٦) .

(٥) مناهج المرحلة الإعدادية ، مصدر سابق ، ص ١٠ - ١٥ وكذلك مناهج الثانوية ، مصدر سابق

التاريخية على قيم العروبة والتراث على أهمية الدور الإسلامى فى نشر الحضارة فى العالم المحيط وإبراز دور العقل والفكر فى إنتشاره وكذلك الإدانة غير المباشرة للنظام الملكى السابق^(١) . وبالنسبة للجرعة الدينية نجدها تصل فى الابتدائية إلى ٩,٥ ٪ من الإجمالى ، والإعدادية إلى حوالى ٤,٢ ٪ من إجمالى عدد الحصص الأسبوعية لمختلف المواد ، وفى الثانوية وصلت إلى ٥,٥ ٪ من الإجمالى ، وهى النسبة التى لا تختلف كمياً عن الفترة السابقة ١٩٥٢/٥١ م وهو ما يعطى دلالة على أن تغييراً سياسياً ومنهجياً شاملاً لم يكن قد حدث ، أو بعبارة أخرى لم يكن الوعاء التعليمى قد وصلته نتائج التغيير السياسى الذى أحدثته ثورة يوليو ١٩٥٢ م ، والتى برزت نتائج واضحة مع بدايات عام ١٩٥٦ م عندما جسمت العديد من القضايا السياسية والإقتصادية والداخلية والخارجية ، واستقرت الأمور فى أيدي النظام الجديد بقيادة عبد الناصر .

٣ - الفترة الثالثة ١٩٧٠/٦٨ م :

وتعد هذه الفترة من أهم الفترات التاريخية التى تم التركيز فيها على قضية الدين ضمن البرامج التعليمية والثقافية المختلفة ، ويعود ذلك إلى طبيعة المرحلة التى شهدت أكبر هزيمة عسكرية للنظام السياسى المصرى ، أثرت سياسياً وإجتماعياً على قطاعات المجتمع المختلفة ، وكان لابد أن يترك هذا التأثير بصماته على قضية التعليم ، وموقع الدين والتاريخ كمادة دراسية فيها ، وتعود أهمية هذه المرحلة إلى كونها محصلة أخيرة لمجمل سياسات النظام التعليمية ولموقع الدين فيها ، ويتضح ذلك بإستعراض مضمون المادة التعليمية المقدمة .

(أ) وبالنسبة لمادة الدين : يلاحظ تأكيدها فى المرحلة الابتدائية على ضرورة تفهم التلاميذ للدين وأحكامه من معانى الاشتراكية القائمة على الكتابة والعدل وتكافؤ الفرص والتعاون على البر والتقوى ، وأن ينشأوا على إحترام العمل والإيمان بأهميته للفرد والمجتمع وأثره فى رفع مستوى المعيشة ورفق الأمتة وتقدمها ، وأن تغرس فى نفوسهم الإيمان بأن الثواب والعقاب يقوم على العدل^(٢) وإن أهم وسائل تحقيق أهداف التربية الدينية التى تبناها النظام أن تستغل المواقف الواقعية فى حياة التلاميذ وفى تعويدهم السلوك الصحيح الذى يتفق

(١) منهج التاريخ للإعدادية ١٩٥٤/٥٣ م (القاهرة ، وزارة المعارف ، مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤ م) ص ٥٢ .

(٢) منهج التاريخ للمدارس الثانوية ١٩٥٤/٥٣ م (القاهرة ، وزارة المعارف ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٤) ص ٥٦ - ٦٢ .

مع المبادئ الدينية ، وأن تستغل المناسبات الدينية والمناسبات القومية كعيد الهجرة والمولد النبوي وعيد الوحدة ، وعيد الأم في تنمية معارف التلاميذ الدينية المرتبطة بهذه المناسبات القومية والاجتماعية ، وفي إكسابهم بعض الاتجاهات السليمة في عيد الوحدة يمكن إستغلاله في تمكين المعاني القومية والوطنية في نفوسهم مع تبصيرهم بأن الإتحاد والتعاون والتآخي من المبادئ ، المهمة في الدين^(١) . ولقد وصل حجم الجرعة الدينية إلى ١٠٪ من إجمالي عدد الحصص المقدمة للمرحلة في جميع المواد .

أما المرحلة الإعدادية : فلقد تم التركيز فيها على قيم عامة مفادها أن التربية عملية تربية تتطور مع الزمن وتساير المجتمع وتتمشى مع الوجدان ، والعاطفة الدينية من أقوى العواطف التي تهدف إلى تحقيق القيم الأخلاقية والمثل العليا في الحياة^(٢) . وعليه كانت التربية الدينية من أقوى العوامل في إعداد الشباب الذي يؤمن بالله وبالوطن وبالمجتمع الذي يعيش فيه على أسس قوية من الديمقراطية الصحيحة والإشتراكية القويمة ، والتعاون المثمر بين أفرادها لتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولقد تركز مضمون المنهج على هذه القيم وبالأخص الجانب الذي يتجه إلى مواجهة الإستعمار وإلى قضايا التطور الإجتماعي وغيرها^(٣) .

أما المراحل الثانوية : فلقد تزايد المضمون الثوري للدين على عكس المراحل السابقة وأيضاً مقارناً مع الفترات السابقة ، حيث نجد التأكيد على قيم الولاء للوطن ، ولأهدافه السامية التي تتفق مع أهداف الدين ، وجهاده في مقاومة أساليب الإستعمار وإعتزازه بالتراث الإسلامي الخالد وانتفاعه بهذا التراث ثقافياً وخلقياً وتقوية ميوله إلى البناء على أمجاد الماضيين وبارادة قوية وحب للتضحية في السلم والحرب متخذاً من البطولات الإسلامية أحسن قدوة^(٤) ، وغيرها من القيم الدينية المهمة والتي تبدى واضحة في منهج القرآن الكريم والحديث والبحوث الدينية .

(١) المصدر : وزارة التربية والتعليم ، مناهج المرحلة الابتدائية المطورة لعام ١٩٦٩/٦٩ م (القاهرة ، مطابع مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٠ م) ص ٧ .

(١) المصدر السابق ص ٧ - ١١ .

(٢) وزارة التربية والتعليم : المناهج المعدلة للمرحلة الإعدادية (القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٠ م) ص ٢ - ٥ .

(١) المصدر السابق ، ص ٥ - ٦ .

(٢) المصدر : المناهج المعدلة للثانوية العامة ١٩٦٩/٦٨ م (القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٨ م) ص ٥ - ٨ .

(ب) بالنسبة لمنهج التاريخ يلاحظ أن مادة التاريخ كانت تحت عنوان « التربية الاجتماعية » والوطنية بالنسبة للمرحلة الابتدائية قد ركزت على قيم من سبيل تعريف التلاميذ بما يناسبهم من مبادئ الميثاق الوطنى ، واتجاهاته فى الديمقراطية والإشترابية وتقوية إيمانهم وبما جاء به حتى تصبح جزءاً من مقومات شخصياتهم ، وتنمية روح الاعتزاز بالوطن الولاء متدرجين من الأسرة فالمجتمع المحلى فى القرية ، فالمدينة ، فالمحافظة ، فالجمهورية ، فالوطن العربى ، وقد تبدى هذا فى مناهج التاريخ والجغرافيا^(١) ، ونفس القيم تم تدريسها على المرحلة الإعدادية والثانوية ، كما يظهر فى الجدول المرفق ، وكما تظهر القيم التى بثها المنهج العلمى فى المرحلتين^(٢) .

وتمثل هذه المرحلة المحصلة الأخيرة للسياسات التعليمية للنظام السياسى الناصرى تجاه المضمون الدينى للمادة التعليمية ، سواء تضمنتها مادة الدين ، أو مادة التاريخ ، وكرس النظام السياسى فيها قيم الإنتماء والاعتزاز بالتراث الإسلامى والهوية القومية بالإضافة للقيم الروحية المتوارثة ، والتى كانت موجودة بوضوح أكثر فى الفترتين السابقتين ، وهذا ما يوضحه الجدول المرفق الذى تم إستخلاصه من واقع النتائج فى الفترات الثلاث السابقة .

(١) المصدر : وزارة التربية (التربية الاجتماعية والوطنية ، مناهج المرحلة الابتدائية المطورة) (القاهرة ، مطابع مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٠م) ص ١٧٠ - ١٨٠ .

(٢) انظر : المناهج المعدلة للمرحلتين الإعدادية والثانوية ١٩٦٩/٦٨م ، مصدر سابق .

جدول رقم (١٦)
تطور القيم الدينية داخل النظام التعليمي في مصر
(١٩٥٢ - ١٩٧٠)

المرحلة التعليمية	المعيار الدراسي	١٩٥٤/٥٣	١٩٧٠/٦٨
الابتدائية :	الدين : تم التركيز على قيم آداب الزيارة - حسن المعاملة - تدير الوقت - آداب الضيافة والتواضع. التاريخ : تم التركيز على قيم الكفاح المصرى القديم - قيم الترايط مع الأجداد قيم التوحيد والعبادة .	الدين : تم التركيز على قيم الصراحة - الوفاء بالمعهد - التسامح - حقوق الوطن والجهاد في سبيله . التاريخ : تم التركيز على قيم البطولة في التاريخ المصرى القديم - تاريخ الدولة الإسلامية ، بطولية صلاح الدين الأيوبي وجهاده ضد الصليبيين .	
الاعدادية	الدين : تم التركيز على قيم الشجاعة - الصبر - الحلم - ضبط النفس عند الغضب - العفو عند المقدرة . التاريخ : تم التركيز على قيم عظمة المصريين القدماء - تاريخ مصر لم يخل من الزعماء - تأثير الإسلام على مصر .	الدين : تم التركيز على قيم الأمانة - الشجاعة - التوسط في الإنفاق والادخار - الموقف من اليهود إسلامياً - حب الوطن . التاريخ : تم التركيز على قيم إبراز التاريخ وأحداثه في ضوء الميثاق الوطني - التركيز على الدور الاجتماعي والشعبى للحكام الأول - الجهاد في الإسلام .	

المرحلة التعليمية	المعام الدراسي	١٩٧٠ / ٦٨
	١٩٥٤ / ٥٣	الدين : تم التركيز على قيم الاعتزاز بالتراث في مواجهة الاستعمار - التسامي بالفرائز والميول لدى النشء - الإسلام وحقوق الإنسان - قيم الحرية .
الثانوية	التاريخ : تم التركيز على قيم قوة الإسلام قديماً - الحركات الاستقلالية في الدولة الإسلامية القديمة .	التاريخ : تم التركيز على قيم عظمة الحضارة العربية - تعميق القومية العربية والشعور القومي - دور الإسلام في توحيد المنطقة العربية قديماً .

فايل - ناصر ٢١٩ - د ١٢٢

من الجدول السابق يلاحظ ما يلي :

(أ) تركيز الفترة ١٩٥٤/٥٣ م على قيم دينية تتقارب مع القيم التي تواجدت قبل عام ١٩٥٢ م مما يعني أن حجم التغيير الذي حدث في بناء القيم الدينية داخل هيكل التعليم كان جزئياً ، وقد يكون مما ساهم في ذلك عدم الاستقرار السياسي وطبيعة المرحلة الانتقالية .

(ب) وجود قيم مشتركة بين فترتي الدراسة : كالصبر والشجاعة بالنسبة للقيم الدينية ، وكالتركيز على عظمة المصريين القدماء ، بالنسبة للتاريخ ، وهو ما يعني أحد احتمالين :

الأول : هو أن تكون نفس العقليات التي خططت للتعليم الدينى ، وللتعليم بوجه عام فى بداية الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) هى نفسها التي خططت له فى نهاية الفترة ، ومن الملاحظ هنا أيضا طول الفترة التي تولى فيها كمال الدين حسين مسئولية التعليم فى مصر (١٢) وهو المعروف بميوله المحافظة دينياً .

الثانى : هو رغبة النظام السياسى أو حاجته سياسياً ، أن تظل داخل العملية التعليمية بعض القيم والتي تمثل سمة أصيلة فى الشخصية المصرية : كالصبر واحترام الموت ، والشجاعة .. الخ ، وهى القيم التي قد تفيد النظام السياسى وقت الأزمات السياسية أو العسكرية .

(جـ) حدث على الرغم من التشابك السابق تغير سياسى فى العديد من القيم الدينية وفى التركيز داخل مادة التاريخ على بعض القيم وإبرازها كالقومية العربية والشعور القومى ، وكالإعتزاز بالتراث الإسلامى ، وربطه بواقع المجتمع المصرى والعربى ، وغيرها وهذا التطور يتوازى مع التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية العامة التي حدثت فى المجتمع .

ثانياً : النظام السياسى وقضايا الأحوال الشخصية :

يثير البعض بشأن موقف النظام السياسى من قضايا الأحوال الشخصية ، وتشمل قضية المرأة وتحديد النسل والقوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية ، افتراضاً مفاده أن ثمة عقد غير مكتوب قام بين عبد الناصر وبين رجال الدين يقضى بالآلا يقترب النظام السياسى من قضايا الزواج والطلاق والميراث فى مقابل إطلاق يده فى باقى الأمور السياسية والاجتماعية ، بيد أن هذا الافتراض غير صحيح على إطلاقه ، فلقد تعامل النظام السياسى مع قضايا الأحوال الشخصية ليس باعتبارها قضية مستقلة بذاتها ، ولكن عل انها جزء من قضية التغير الاجتماعى والسياسى وعملة التنمية التي عاشتها مصر إبان هذه الفترة . وعليه أصبحت الأحوال الشخصية قضية إجتماعية واقتصادية وهو ما تبرزه مدركات ومواقف النظام السياسى بوضوح إتجاه قضيتى المرأة وقوانين الأحوال الشخصية .

١ - بالنسبة لقضية المرأة :

يرى عبد الناصر أنها لا بد أن تتساوى بالرجل ولا بد أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة « حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابيا فى صنع الحياة^(١) » ولكن لا تصل

(١) الميثاق الوطنى : مصدر سابق ، ص ١٤ .

هذه المشاركة إلى الحد الذى يمكن معه تجنيد الفتيات العرب من أجل تحرير فلسطين « إذ أن للمرأة رغم هذه المشاركة واجبات أخرى أكثر وأكثر بالإضافة إلى أن لدينا رجالاً أكثر^(١) وهذه الرؤية تتضح أكثر عندما يطالب عبد الناصر بالتركيز على الدور الاجتماعى للمرأة وليس الدور أو المكتسبات الشخصية ، وعنده أن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، ولا بد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى يمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى مجددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه إلى غايات النضال الوطنى^(٢) .

ومن حقوق المرأة الأساسية فى رؤية النظام السياسى التعليم الذى يمثل تطبيقاً حياً لمبادئ الثورة فى مجال تكافؤ الفرص^(٣) .

وبالنسبة لمواقف النظام السياسى إتجاه قضية المرأة يلاحظ أنه قد كفل لها العديد من الحقوق السياسية والاجتماعية المهمة ، وفى مقدمتها الاعتراف لها بحث التصويت والترشيح لأول مرة وذلك فى دستور ١٩٥٦م ، ولقد تزايدت نسبة المشتغلات بالمهن التعليمية والفنية من ٨,٣٪ عام ١٩٦١م إلى ١٩,٣٪ عام ١٩٧١م من إجمالى عدد العاملين ، وارتفعت نسبة المشتغلات بالأعمال الإدارية والتنفيذية من ٩٪ عام ١٩٦٠م إلى ١٤,٤٪ من نهاية الفترة عام ١٩٧٠م وحدثت زيادة ملحوظة فى الحقوق الاجتماعية للمرأة كانت لها مؤشرات الواضحة ، ففي عام ١٩٦٧م بلغ عدد الجمعيات النسائية ١٩٠ جمعية أما اللجان النسائية فى جمعيات مشتركة فيبلغ عددها ٤٧٠ لجنة ، كما يبلغ عدد الجمعيات الأخرى التى شاركت المرأة فى عضويتها ٢٣٣ جمعية .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى نشاط إجتماعى مهم ظهر بفعل النظام السياسى المصرى تجاه المرأة وهو نظام الرائدات الريفيات الذى أخذ به فى مصر منذ عام ١٩٦٤م ، حيث أن العمل الاجتماعى الرسمى بالريف كانت تمارسه وزارة الشؤون الاجتماعية من خلال الوحدات الإجماعية التى ، تعمل فى مجال تنمية المجتمع حيث يقوم به فى الغالب اخصائيون اجتماعيون بينهم نسبة محدودة من النساء ، وقد وجد أن طبيعة العمل الوظيفى وأعباءه بالإضافة إلى عدم انتماء الإخصائيين (بما فى ذلك الإناث ، الى القرى التى يعملون

(١) خطاب للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٨/١١/١٩٦٥م .

(٢) الميثاق الوطنى ، مصدر سابق ، ص ١٠٤ .

(٣) كمال الدين حسين : بيانه أمام مجلس الأمة : التربية والتعليم خلال ٥ سنوات (القاهرة ، منشورات وزارة التربية والتعليم ، إدارة الشؤون العامة ، أغسطس ١٩٥٧م) ص ٢٤ - ٢٦ .

بها فى الغالب ، كذلك يجعل تأثير العمل الاجتماعى الرسمى محدوداً ، فى إعداد قيادات نسائية محلية يتوافر لها المعرفة والإحساس بمطالب نساء القرية ، والقدرة على التعبير عنها والمهارة اللازمة لتجميع النساء الريفيات ، وراء الجهود المختلفة المحقة لها ، وتزداد مساهمة نساء القرية الإيجابية ، والجادة فى برامج تنمية المجتمع وتعمل كقيادة محلية وسيطة تعبر الفجوة الثقافية بين العقلية والمفاهيم الحضارية من جهة والعقلية والمفاهيم الريفية من جهة أخرى ، وتعاون القيادات الحضارية فى إدراك الواقع الريفى والعمل معه بالأساليب التى تتلاءم وطبيعة ظروفه وأوضاعه الاقتصادية والثقافية والاجتماعية^(١) .

هذا عن الوضع العام للمرأة فى مجال اهتمام النظام السياسى وسلوكياته السياسية تجاهها ، وتبقى الحديث عن أهم التعديلات التى أدخلتها الثورة على قضية تعليم المرأة وأخيراً قضية الأحوال الشخصية .

فبالنسبة لإنجازات النظام السياسى فى قضية تعليم المرأة : يلاحظ أن مجال التعليم الذى سبق الإشارة إليه كان من أهم المجالات التى دخلت فيه الثورة حدثت تغيرات عدة على المستويين الكمي والكيفي . وكان طبيعياً أن ينسحب التغير على العنصر النسائى فى عملية التعليم ، حيث تجمع العديد من الدراسات على أن التغيرات التى أحدثتها الثورة فى النظام التعليم كان لها أثرها فى إتاحة الفرصة لتعليم النساء ، وخاصة من الطبقات الدنيا ، وتحص هنا مجانية التعليم ، والاهتمام بإنشاء المدارس بالريف والحضر ووجود حوافز لدى الأسر لتعليم بناتهم نتيجة لاتساع النطاق النسبى لفرص عمالة للنساء لأن التعليم لم يعد فى هذه الفترة مجرد غاية فى حد ذاته كما كان على العهد السابق بالنسبة لبنات الطبقات العليا وقد أدى إلى إقبال النساء على التعليم مما أدى إلى تغيير وأحياناً ضعف نوعى فى هذا المجال^(٢) ، ويمكن رصد هذه التغيرات إحصائياً على النحو التالى :

— فى المرحلة الابتدائية كانت نسبة الإناث سنة ١٩٥٤ (٣٥ ٪) إرتفعت إلى (٣٨ ٪) عام ١٩٧٠ م . هذا بجانب وجود إرتفاع ملموس فى نسب إستيعاب المدارس الابتدائية للأطفال اللاتى فى سن الإلزام فقد تبين أن هذه النسب كانت فى عام ١٩٦٠ م (٥٦ ٪)

(١) تفاصيل هذا الجانب فى : على فهمى : العلاقة بين دور المرأة المصرية فى التنمية وتطور التشريعات الخاصة بالأسرة فى مصر ، عدد خاص من المجلة القومية الاجتماعية ، تصدر عن المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (القاهرة ، ١٩٧٧ م) ص ٩١ - ١٠٠ .

(٢) د . أنعام سيد عبد الجواد : الوضع الاجتماعى للمرأة فى القانون المصرى المعاصر ، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، يوليو ١٩٨٠ م) ص ١٤٩ .

ارتفعت إلى (٥٨ ٪) عام ١٩٧١ م .

— أما في التعليم الإعدادي فنظراً لأنه لم يكن موجوداً قبل ١٩٥٢ م ، فسوف تكتفى هنا بعرض تطور عدد الإناث بعد ١٩٥٢ م ، ففي عام ١٩٥٤ م ٥٣ ٪ ، كان عدد الإناث في هذه المرحلة ٧٢ ألف تلميذة ، زاد في عاخر ١٩٦٦/٦٥ م إلى ١٧٤ ألف تلميذة . وفي عام ١٩٧٢/٧١ م ، ارتفع إلى ٣٠٤ آلاف تلميذة . وبإتخاذ عام ١٩٥٤/٥٣ م كسنة أساسية نجد أن عدد المقيدات في عامي ١٩٦٦/٦٥ م . ١٩٧٢/٧١ م ، قد زاد بنسبة ١٤٢ ٪ ، ٣٢٢ ٪ على التوالي . وبالنسبة للإعدادي الفني فقد لوحظ أن عدد المقيدات به ، قد تناقص حتى وصل إلى أقل من ٥٠٠ تلميذة في عام ١٩٧٢/٧١ م ، وقد يرجع ذلك إلى الصعوبات التي تواجه خريجات هذا النوع من التعليم في الحياة العملية^(١) وقد كانت نسبة الإناث في التعليم الثانوي قبل ١٩٥٢ م تصل إلى ١٢,٣ ٪ ارتفعت إلى ٣٢ ٪ عام ١٩٧٠ م ، وبالنسبة للتعليم الجامعي قبل ١٩٥٢ م يصل إلى ٥,٤ ٪ إرتفعت إلى ٢١,١٤ ٪ وهي النسب التي وزعت على الكليات التالية التي يظهرها هذا الجدول .

(١) د. أنعام سيد عبد الجواد ، المصدر السابق ، ص ١٤٩

جدول رقم (١٧)^(١)

(نسبة التعليم الجامعي للإناث مقارنة بين عامي)

1972 - 71 / 1981 - 80.

السنة	الإنساث	الإنساث
اسم الكلية	١٩٤١/٤٠ م	١٩٧٢/٧١ م
كلية الآداب	١٢,٨	٩٧,١٨
كلية الحقوق	١,١	٢٥,٩٣
كلية التجارة	—	٥٠,٩٤
كلية العلوم	٧,٦	٣٩,٤٥
كلية الهندسة	—	١٣,٩٧
كلية الزراعة	—	٣٠,٥٩
كلية الطب البشرى	٧,٣	٣٠,١٠
كلية طب الأسنان	٣,٧	٥٧,٥٧
كلية الصيدلة	١,٣	٦٢,٢٢
كلية الطب البيطرى	—	١٤,٧٥
كلية الإقتصاد والعلوم السياسية	—	٩٢,٤١
كلية دار العلوم	—	٤٧,٨٩
معاهد التمريض	—	٦٧٦ طالبة
كلية المعلمين	—	٣٠,٢٧
كلية البنات	—	٤٢٦٢ طالبة
الإجمالى	—	٤١,٢٢

الإقليمين المصري والسوري ابان فترة الوحدة يشتمل على قانون موحد لجميع الطوائف والتأكيد على حقوق غير المسلمين في القطرين^(١)، وجاء الانفصال عام ١٩٦١ فأوقف هذه المحاولات^(٢).

(١) المصدر : د. أنعام سيد عبد الجواد ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

ويلاحظ من هذا الجدول ارتفاع نسبة الإناث في الكليات المختلفة ، كما يلاحظ أيضاً أن هناك كليات التحقت بها الفتاة لم تكن قائمة قبل ١٩٥٢ مثل : التجارة والهندسة والزراعة والطب البيطري ودار العلوم .

٢ - بالنسبة لقوانين الأحوال الشخصية :

من المتعارف عليه أن الاهتمام بالأحوال الشخصية من قبل الدولة يعود إلى بداية القرن العشرين عندما صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢١ والذي عالج سن الزواج ورتب على مخالفتها عدم سماع الدعوى ، ثم المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، والذي عالج بعض مسائل الطلاق ، ثم القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ والذي عالج النفقة والعدة والعجز عن النفقة والمفقود^(١) ، ثم المادة ١٣ من قانون نظام القضاء رقم ١٩٤٧ بتعداد المسائل التي تدخل في نطاق الأحوال الشخصية فقرر أنها تشمل على المسائل التي تدخل في نطاق الأحوال الشخصية فقرر أنها تشمل على المسائل المتعلقة بحالة الأشخاص وأهليتهم أو المتعلقة بنظام الأسرة أو بالمواريث والوصايا وغير ذلك مما يتصل بالأحوال الشخصية ، ونظراً لتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية بعد قيام الثورة عام ١٩٥٢ كان لابد أن يحدث بعض التعديلات المواءمة لهذا التطور على نطاق قوانين الأحوال الشخصية وخاصة المرأة التي تأتي في البؤرة من هذه القوانين^(٢) ، والتي دخلت إلى حيث المجالات السياسية والاجتماعية والتعليمية بتطور سريع .

من هنا كان التعديل الجزئي في قوانين الأحوال الشخصية والتي يتفق المؤرخون على أنها لم تمس فعليا طيلة الفترة إلا في النطاق الذي يدعم حرية المرأة ، وبتعين مساواتها بالرجل ، فكانت للاتجاهات السياسية والتعليمية السابقة ، وكان أهم التعديلات التي أدخلت على قانون الأحوال الشخصية عام ١٩٦٠ عدم جواز تنفيذ حكم الطاعة على الزوجة الناشز جبرا عن طريق الشرطة وكان ذلك جائزاً منذ أقل من عقدين من الزمن^(٣) . وقدم اقتراح بتعديل المادة ١٠٣ من قانون الأحوال الشخصية والمتعلقة بأحوال الطلاق في أبريل ١٩٦٧ ، وثار بشأنه

(١) نفس المصدر ، ص ١٩٩ - ٢١٣ .

(٢) من أمثلة هذه القوانين : القانون رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥ الخاص ببعض الإجراءات في قضايا الأحوال الشخصية والوقف ، والذي جاء مكملاً لقوانين إلغاء المحاكم الشرعية ، وهو لم يمس قضية المرأة بشكل جذري .

(٣) على فهمي ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

العديد من المناقشات داخل مجلس الأمة وبالصحافة التي علت فيها نبرة التغيير في هذه القوانين^(٢)، ولكن هذا القانون لم يمر بل أغفل تماماً ، ويعود ذلك إلى أحداث حرب ١٩٦٧ التي أعادت ترتيب الأولويات في العمل الداخلي بقضاياها المختلفة .

والجدير بالذكر أنه كان هناك أيضاً محاولات لتوحيد قانون الأحوال الشخصية بين والخاصة : أن قضيتي التعليم وقوانين الأحوال الشخصية ، وما يشتملان من عدة قضايا أخرى خاصة بالتطوير الاجتماعي ، لا يمكن عزلها .. كما سبق القول عن مجمل التحولات الاجتماعية والسياسية التي حدثت بمصر ابان الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) ، وبالنسبة لقضايا الأحوال الشخصية أولاً : نجد أن النظام السياسي كان دافعه في هذه اعتبارات عديدة ، منها اعتبارات دينية خاصة تتعلق باعتبار عبد الناصر إنساناً محافظاً على المستوى الشخصي ، ومنها اعتبارات اجتماعية داخلية كاحتمالات الرفض المتوقعة من جماهير العلماء ورجل الشارع ، وأيضاً اعتبارات بعدم إمكانية النظام أن يضرب كل التيار الديني - السياسي وغير السياسي مرة واحدة ، أي أن يصطدم بالإخوان المسلمين ثم يصطدم برجال الدين المحافظين ، أيضاً من خلال تعديل هذه القوانين ، من كل هذا يمكن القول بأن قوانين الأحوال الشخصية لم تتغير كثيراً على المستوى الاجرائى عما سبقها^(١) .

ولكن ما تغيره خلال هذه الفترة هو دور المرأة في المجتمع ، وهو الدور الذي أكدته اقتناه النظام السياسي بضرورة هذا التغير وبأهمية الدور الاجتماعي والسياسي للمرأة ، بل لقد كانت مدركات القيادة السياسية أكثر تطوراً في نظرتها للمرأة في إطار أشمل ، اجتماعي وسياسي وحضاري ، ولا بد أن يثار التساؤل أيضاً حول ذلك الاختلاف والتباين بين موقف النظام السياسي الناصري من قضية الأحوال الشخصية على المستويين العلمي والنظري ، ففي حين اقتصر التعديل النظري في هذه القضية طيلة الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) على القانون رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥ ، ومنشور وزارة العدل الصادر في ٣ - ٢ - ١٩٦٧ والقاضي بالاستغناء عن اتباع طريق إعلان الزوجة لطاعة زوجها عن طريق الشرطة وقصره على الإعلان المدني ، فإنه على العملي لم يقترب النظام كثيراً من هذه الجواب الأسرية ، على الرغم من هذا فلقد أعطى النظام السياسي - كما تبين فيما سبق - حقوقاً سياسية وثقافية وتعليمية للمرأة فقامت ما أعطى لها فيما سبق عام ١٩٥٢ .

(٢) د. جمال العطيفي : مناقشة صريخة لقانون الأسرة ، الأهرام بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٦٧ م .

(١) الأهرام بتاريخ ٢٠/٨/١٩٥٩

والملاحظة الأخيرة في هذا المجال هي الغياب الكامل أو شبه الكامل لمادة الدين أو لأى مضمون دينى داخل مناهج التعليم الجامعى ، وقصر الدين على كليات بعينها داخل جامعة الأزهر ، وتواكب ذلك مع عملية التطوير التى أدخلها النظام السياسى على الأزهر ، وعلمنته لأمر الأزهر ولرسالته ودخول التعليم المدنى إلى الأزهر - المؤسسة الدينية التاريخية - بينما لم يحدث تطور مماثل ، أى دخول الدين إلى حيث التعليم المدنى فى نفس الفترة .

أما بخصوص التعليم فقد أتى فى مقدمة اهتمامات النظام السياسى ، حيث توسع كمياً ونوعياً وعلى مستويات مختلفة فى هذا المجال . ظهر هذا واضحاً على مستوى مجانية التعليم وعلى مستوى إنشاء المدارس والجامعات وعلى مستوى نوعية ما يدرس وعلى مستوى توظيف خريجي هذا المجال . ويلاحظ أيضاً اهتمام النظام السياسى بمادة الدين خلال فترات الدراسة المختلفة . ولكت تفاوت هذا الاهتمام فى الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) بحيث اختلفت مثلاً سنوات (١٩٥٢ - ١٩٥٤) عما تلاها من سنوات وتحديدأ بعد عام ١٩٦٧ ، وكان الاختلاف على المستوى للنوعى لمادة الدين ، واختلف أيضاً مضمون ما تم تدريسه من مرحلة دراسية إلى أخرى حيث ازدادت الجرعة الدينية كمياً ونوعياً فى بعض المراحل وقلت فى بعضها الآخر طبقاً لظروف المرحلة والتطورات السياسية والأزمات المحيطة بالمجتمع .

وفى مجمل التصور بالنسبة لموقف ثورة يوليو من قضايا التطور الاجتماعى يلاحظ أن هذا الموقف كان منحازاً فى قراراته إلى فئات الشعب الفقيرة ، ولتى لم يسبق لها ان حصلت على مثل هذه الحقوق التى أحرزتها لها الثورة . وإذا كان النظام السياسى قد قصر فى بعض مواقفه العملية إلا أن هذا لم يكن على إطلاقه وهو أيضاً لا ينسحب إلى الإدراك الذى لم يكن ذنبه قصور التطبيق الذى لازم النظام السياسى لثورة يوليو خلال بعض سنوات الفترة موضع البحث .

الفصل الحادي عشر
عبد الناصر وتنظيماته السرية
"التعليم الطبيعي نموذجاً"



عبد الناصر وتنظيماته السرية (التنظيم الطليعى نموذجاً)

مقدمة للتنظيم :

سبق أن أشرنا فى مواضع مختلفة فى هذه الموسوعة إلى التنظيمات السياسية فى عهد عبد الناصر وبخاصة (هيئة التحرير - الاتحاد القومى - الاتحاد الاشتراكى) ، ولقد شهدت تجربته السياسية تنظيماً آخر سمي بـ (طليعة الاشتراكيين) ، ونظراً لأهمية دوره السياسى باعتباره التنظيم السرى الخاص بجمال عبد الناصر بعد إخفاق (الاتحاد الاشتراكى) فى دوره السياسى والاجتماعى وبعيداً عن الأسلوب التقليدى فى تحليل نشأة وتطور تنظيم (طليعة الاشتراكية) الذى نشأ داخل الاتحاد الاشتراكى ، وهو الأسلوب الذى سبق الإشارة إليه فى الأجزاء السابقة من الموسوعة بعيداً عن ذلك ، سوف نورد هنا نص جلستين (شبه سريتين) جمعت بين عبد الناصر بعناصر تنظيمه الطليعى فى القاهرة والجيزة ، والتى تولاها كاملة لكى نستكشف من خلالهما وعلى الطبيعة مباشرة ، ودون تدخل كبير ، كيف كان يفكر عبد الناصر وكيف كان يدير صراعاته السياسية وكيف كان يربى كوادر تنظيمه الطليعى ... إنهما وثيقتان هامتان ، نوردهما ، كوثيقة للتاريخ^(١)

(١) المصدر : الاتحاد الاشتراكى العربى - الأمانة العامة - طليعة الاشتراكيين : لقاءات واجتماعات مع السيد رئيس الجمهورية والسيد الأمين العام - العدد الأول - لقاء الرئيس جمال عبد الناصر مع أعضاء المكاتب التنفيذية للقاهرة والجيزة يومى ٧ - ٨ مارس ١٩٦٦ م .



الاجتماع الأول

، اجتماع السيد الرئيس جمال عبد الناصر ،

وأعضاء المكاتب التنفيذية

، لمحافظة القاهرة والجيزة ،

٧ مارس ١٩٦٦م

١٥ ذو القعدة ١٣٨٥هـ

* * *

السيد الرئيس

نبدأ بالاستماع إلى الجيزة ثم القاهرة السيد أمين الجيزة يتفضل ..

أمين الجيزة :

سيادة الرئيس :

سأنتهز هذه الفرصة لطرح بعض القضايا العامة للمناقشة رغبة في توضيح الرؤية لها ، وأود أن أشير إلى أننا لا ننقل أفكارنا الخاصة ، ولكن نعبر تعبيراً أميناً وصادقاً عن كل ما نلقاه في القاعدة الجماهيرية من تساؤلات .

ويمكن تقسيم القضايا السياسية إلى فئات أربع :

أولاً : قضايا تتعلق بالتنظيم السياسي ، وهي تثير حواراً عميقاً حول مسائل ثلاثة :

١ - مبدأ التفرغ السياسي : بدأ كثير من المواطنين المخلصين القادرين يتفاعلون مع المكاتب التنفيذية بصدق (وأمانة) الأمر الذي يؤهلهم لعضوية المكاتب التنفيذية ليس على العام ، وتفضل مشكوراً بالرد الوافي عليهما .

ثانياً : قضايا تتعلق بموقف الجماهير في القاعدة حيال التنظيم السياسي : وأبرزها قضيتان نحتاج كل منهما إلى تحديد حاسم وصریح .

أ - أزمة الشك التي تعانيها الجماهير : وذلك بسبب تعقيدات الجهاز الإداري ، لأن المواطن العادي غالباً ما يتحدد موقفه من النظام كله عن طريق التعميم الخاطيء في ضوء انعكاسات اللوائح والروتين والموظفين الذين هم دون مستوى المسؤولية .

ب - أزمة عدم وضوح الرؤية في كثير مما يجري ولا تعرف له الجماهير تفسيراً مقنعاً ، مثل تغيير مواقع الأشخاص القياديين ، دون تفسير معروف للقاعدة .

ثالثاً : قضايا الدعوة والفكر : نتساءل عن السبب في تعدد الأجهزة المركزية للدعوة والفكر بين أمانة الدعوة وأخرى للمعهد الاشتراكي ، وهناك ثلاث مسائل في هذا الموضوع :

أ - تستلزم قضية الدعوة في هذه المرحلة إعداد كادر واع ومدرّب من الدعاة ، وتوفير جميع الإمكانيات ضمان الوحدة الفكرية بين أفراد هذا الكادر .

ب - قضية حرية الصحافة وغيرها من أجهزة الإعلام ، أن الصحافة المملوكة للاتحاد الاشتراكي لا يمكن أن تكون بغير رقابة عليها ، وبالتالي فإن الجماهير ترى أن كل ما يكتب في الصحف ليس إلا تعبيراً عن رأى الدولة الرسمي .

ج - تتطلب قضية الدعوة والفكر مواجهة صريحة لكل تساؤلات الجماهير بالإقناع والحوار العميق الذي ينتهي إلى توضيح نهائي وحاسم لكثير من المسائل ، نذكر منها على سبيل المثال :-

١ - الأبعاد الحقيقية للاشتراكية العربية والخصائص المميزة لها وموقفها من الدين .

٢ - الهدف بالنسبة لقضية اليمن .

٣ - مزيد من التوضيح لرفضنا للحلف الإسلامي .

السيد الرئيس :

أود أن أعلق على نشاط المكتب التنفيذي ، خلال الفترة الماضية وهي شهران ونصف شهر فقط ، قبل التعرض للموضوعات التي آثرتها المستويات الدنيا فحسب ، بل وعلى مستوى المحافظة كذلك . ولكن فرصة التفرغ التي هي في الأساس لعدد قليل من الأفراد قد لا تكون مفتوحة لجملة هذا العدد من المتفاعلين ، وأخشى إذا لم ينالوا شرف التفرغ للعمل السياسي أن يعتبروا أنفسهم مطرودين ومبعدين فتجتذبهم العناصر الأخرى أو ينطوون على أنفسهم ، وهذا يذكرنا بقول سيادتكم في لقاءكم مع أعضاء المكاتب لتنفيذية لحافظات أسيوط والمنيا وبني سويف والفيوم في مقام رفضكم لفكرة الحزب الواحد ، إننا إذا أقمنا حزباً من ٥٠ ألف مثلاً ، معنى هذا أن توجد معارضة قبل أن يوجد الحزب ، بمعنى أن الذين لن نأخذهم في الحزب سيعتبرون أنفسهم مطرودين ومبعدين تجتذبهم العناصر السياسية الأخرى .

ب - مبدأ التشكيل النوعي للأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي .

ج - قضية التنظيم السياسي في الجامعة والمبعوثين إلى الخارج .

وموضوعات الأمانة العامة والجامعة والمبعوثين ، كانت محل نقاش خصب صباح اليوم في

الجلسة التمهيدية مع السيد الأمين.

النقطة الأولى : أن شهران ونصف ، نعتبرها مدة قليلة لا تمكثنا من الشعور بإحساس الناس ، الإحساس الطبيعي والحقيقي ، ففي رأي إنكم مازلت في حاجة إلى وقت لتشعروا بأحاسيس الرأي العام للجماهير ، بغض النظر عن رأي بعض الفئات المتصلة بكم اتصالاً مباشراً واعتبر رأيها رأياً خاصاً .. ففي رأي أن المثقفين عادة يتأثرون بالرأي الخاص أكثر من تأثرهم بالرأي العام ، الرأي الخاص لمجموعة من الناس الذين نلتقي بهم بحكم بيئتنا وطبيعتنا ، قد يرددون كلاماً لا يمثل الرأي العام ، لسان الرأي العام قد يكون عاجزاً وقاصلاً عن الوصول للمدعى الذي يصل إليه لسان الرأي الخاص ، بمعنى أننا قمنا بكثير من الأعمال للفلاحين والعمال والطبقات المظلومة ، ولكن كلامنا وتفسيراتنا قد لا تصل إلى هذه الطبقات وكذلك لا يصلنا - إلى حد كبير - ما يبين حالتها وواقعها ، وقد تدور في مناقشات لمدة ساعات في إطار الرأي الخاص ، وبهذا تضلل .

ولكى نستطيع أن نتجنب هذا . يجب أن نتوسع في اتصالاتنا حتى نخرج بحكم سليم عن الرأي العام .

النقطة الثانية التي أحب أن أعلق عليها هي نقطة التفرغ للعمل السياسي وهذا الموضوع له وجهات نظر ، وأعتقد أنه ليس من الصواب المقارنة بين ما قلته في الاجتماع الماضي ، وما قلته أنت اليوم عن التفرغ لأنني كنت أتكلم عن مجموعة الجماهير الكبيرة البسيطة التي يمكن أن تضلل وتستثار كرامتها بأن الثورة لفظتها ، أما اليوم ونحن نكون مجموعة من القياديين ، أي نخبة من الناس ، فلن نستطيع القياس على هذا المفهوم ، لأن الشخص الذي سيتأثر نفسياً من تخطيه لا يمكن أن يصلح لأن يكون شخصاً قيادياً ، ويستلزم الأمر - لكي يكون قيادياً - أن أسترضيه من ناحية شكلية ، وليس من ناحية المبدأ .

ورأيي بالنسبة للعناصر الطيبة الصالحة التي أشرت إليها ، فأرجو أن تكون صالحة وطيبة لوجه الله والوطن أولاً وأخيراً وليس لوجه المصلحة الذاتية ، وقد سألت في الاجتماع الماضي لمحافظات الوجه القبلي عن قياديين يقترح ضمهم للمكاتب التنفيذية ، ولكن طبعاً لم أشر إلى متفرغين وغير متفرغين ، الحكمة في أننا عملنا متفرغين في المرحلة الحالية .

إن الاتحاد الاشتراكي يعاني من عدة شكوك ، لأنه لم تكن له فاعلية لمدة طويلة ، وأردنا أن ركز كل جهودنا حتى ينجح الاتحاد في هذه المرحلة ، فقد كان الوزير الذي يشترك في أمانة الاتحاد الاشتراكي يهتم أولاً بالذهاب لوزارته بحكم الطبيعة وبحكم الميراث الذي ولأنه ، فهو يعتبر أن هذه الناحية التنفيذية التي بها السلطة والسلطان لها

البروليتاريا مثلاً ، أو الطبقة العمالية ، لأصبح الموضوع واضحاً وضوحاً كاملاً ، ولن يكون هناك مجال للتحدث عن بلبلة في الفكر الاشتراكي .. أو لو كنا نتكلم عن مصالح الرأسمالية مثل حكم تحالف الإقطاع مع الرأسمالية ، لكان الطريق واضحاً تماماً .. ولكن الحقيقة نحن نتكلم عن مصالح متناقضة موجوده في تحالف قوى الشعب العاملة ونريد أن نصل منها إلى حكم كل الشعب وديمقراطية كل الشعب .. ولا نريد حكم تحالف الإقطاع مع رأس المال ونقضى على الآخرين ونبتز أموالهم . كما لا نريد حكم البروليتاريا الذي يقضى على الآخرين ويخضعهم بالقوة لديكتاتوريتها .

إذن طريقنا في هذا الحقيقة طريق ثالث ومختلف ، قد يقال أن للإشتراكية أهدافاً واحدة ، وإنه ليست هناك اشتراكية عربية ، قد أوافق أنا على هذا ، ولكن التطبيق الاشتراكي هنا يختلف عن التطبيق في أى بلد آخر .

لذلك رأينا أن نقبل كل الناس في الإتحاد الاشتراكي ، ما عدا الذين قررت اللجنة التحضيرية استبعادهم ، وأملنا أن نأخذهم مستقبلاً بالتدرج ولو كانوا شيوعيين في الماضي .. فاعتقادي أنه في الماضي وقبل الثورة اعتنق البعض الشيوعية لأنه لم يكن أمامهم - في تصورهم - سبيلاً لإنقاذ البلد إلا الانضمام إلى الشيوعية ، وكانوا يرون إن هذا هو السبيل لإخراج الإنجليز ، وكان هناك إناس - وربما كنت منهم - كانوا بسبب يأسهم على إستعداد لإعتناق أى مبدأ يساعد على إخراج الإنجليز من مصر ، ولو قيل لنا أننا لو اعتنقنا مبدأ معيناً ، أى مبدأ سيخرج الإنجليز ، لم تكن نتردد في إعتناقه ، لأننا كنا يائسين من خروجهم بعد ثمانين سنة من الاحتلال .. بل أنه وقبل أن نوقع إتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤ م ، لم أكن على ثقة من أنهم جادون في خروجهم .. والآن بعد سنوات عديدة من الحرية الكاملة نسبينا أنه كان هناك إنجليز .. واليوم لا يعرف أولادنا أنه كان هنا إنجليز لأنهم لم يروه ..

أعود ثانية لموضوع التفرغ السياسي .. فلا يمكن أخذه على الظن بأن الذين نختارهم يمثلون أفضل العناصر ، وإن من عداهم أقل منهم وطنية وإخلاصاً .. هذا رأى خاطيء .. ولكن إذا وجدنا من يصفح لإنضمام للمكاتب التنفيذية تضمهم بصرف النظر عن التفرغ أو عدم التفرغ ، ويشترط فيمن تضمهم أن يعملوا لوجه الله والوطن لا لأى شيء آخر .. وإذا أحسن أحد من الذين لم نختارهم بالمرارة فإني أعتقد أن عليه أن يصفى نفسه أولاً ويجردها قبل أن ينضم للمكتب السياسي .

النقطة التالية متعلقة بالجماهير حيال التنظيم السياسي ، وما ذكرته عن شكوك الجماهير تؤدي إلى السلبية .. وإنت قلت أن السبب في هذا هم الموظفون .. وأجابنى على هذا أنه

البروليتاريا مثلاً ، أو الطبقة العمالية ، لأصبح الموضوع واضحاً وضوحاً كاملاً ، ولن يكون هناك مجال للتحدث عن بلبلية في الفكر الاشتراكي .. أو لو كنا نتكلم عن مصالح الرأسمالية مثل حكم تحالف الإقطاع مع الرأسمالية ، لكان الطريق واضحاً تماماً .. ولكن الحقيقة نحن نتكلم عن مصالح متناقضة موجوده في تحالف قوى الشعب العاملة ونريد أن نصل منها إلى حكم كل الشعب وديمقراطية كل الشعب .. ولا نريد حكم تحالف الإقطاع مع رأس المال ونقضى على الآخرين ونبتز أموالهم . كما لا نريد حكم البروليتاريا الذي يقضى على الآخرين ويخضع بالقوة لديكتاتوريتها .

إذن طريقنا في هذا الحقيقة طريق ثالث ومختلف ، قد يقال أن للإشتراكية أهدافاً واحدة ، وإنه ليست هناك اشتراكية عربية ، قد أوافق أنا على هذا ، ولكن التطبيق الاشتراكي هنا يختلف عن التطبيق في أى بلد آخر .

لذلك رأينا أن نقبل كل الناس في الإتحاد الاشتراكي ، ما عدا الذين قررت اللجنة التحضيرية استبعادهم ، وأملنا أن نأخذهم مستقبلاً بالتدرج ولو كانوا شيوعيين في الماضي .. فاعتقادي أنه في الماضي وقبل الثورة اعتنق البعض الشيوعية لأنه لم يكن أمامهم - في تصورهم - سبيلاً لإنقاذ البلد إلا الانضمام إلى الشيوعية ، وكانوا يرون إن هذا هو السبيل لإخراج الإنجليز ، وكان هناك إناس - وربما كنت منهم - كانوا بسبب بأسهم على استعداد لإعتناق أى مبدأ يساعد على إخراج الإنجليز من مصر ، ولو قيل لنا أننا لو اعتنقنا مبدأ معيناً ، أى مبدأ سيخرج الإنجليز ، لم تكن نتردد في إعتناقه ، لأننا كنا يائسين من خروجهم بعد ثمانين سنة من الاحتلال .. بل أنه وقبل أن توقع إتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤م ، لم أكن على ثقة من أنهم جادون في خروجهم .. والآن بعد سنوات عديدة من الحرية الكاملة نسينا أنه كان هناك إنجليز .. واليوم لا يعرف أولادنا أنه كان هنا إنجليز لأنهم لم يروه ..

أعود ثانية لموضوع التفرغ السياسي .. فلا يمكن أخذه على الظن بأن الذين نختارهم يمثلون أفضل العناصر ، وإن من عداهم أقل منهم وطنية وإخلاصاً .. هذا رأي خاطيء .. ولكن إذا وجدنا من يصفح لإنضمام للمكاتب التنفيذية تضمهم بصرف النظر عن التفرغ أو عدم التفرغ ، ويشترط فيمن تضمهم أن يعملوا لوجه الله والوطن لا لأى شيء آخر .. وإذا أحسن أحد من الذين لم نختارهم بالمرارة فإني أعتقد أن عليه أن يصفى نفسه أولاً ويجردها قبل أن ينضم للمكتب السياسي .

النقطة التالية متعلقة بالجماهير حيال التنظيم السياسي ، وما ذكرته عن شكوك الجماهير تؤدي إلى السلبية .. وإنت قلت أن السبب في هذا هم الموظفون .. وأجابنى على هذا أنه

طالما أنك لم تنشئ التنظيم السياسى الذى يقوم بعمله وواجبه الحقيقى فسنجد باستمرار هذه الشكوك وهذه السلبية ، وإذا تدخلت فى هذه المواضيع فى أول عهدك ببناء التنظيم السياسى ، فإنك ستثير عليك شكوك الجماهير وتزيدها وبذلك لا تكون فى الطريق الصحيح .

كيف أتغلب إذن على شكوك الجماهير ؟ .. تقترح أنت أن تصلح اللوائح والروتين والموظفين .. الخ ، من هم الجماهير .. هم الموظفون والعمال ، والجماهير هم سواق الأتوبيس الذى يشتم الراكب أو لا يقف بالسيارة أمام المحطة فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل أو الكمسارى الذى يعتدى على الراكب .. نحن المسئولون عن تربية هؤلاء الناس وعن تثقيفهم فلا يصح اليوم أن تملص من تبعية واجب نحن مسئولون عنه فلا كقيادات .

فى الحقيقة لم نستطع حل هذا الموضوع من خلال السلطة التنفيذية قد نستطيع تعديل اللوائح وما شابه ذلك ، ولكن لن نستطيع حل موضوع معاملة الموظفين للناس أبداً ، ولكن الذى يحل هذا الموضوع هو تنظيمنا السياسى ، وقد تكلمت فى الإجماع الماضى عن كيفية الاندماج مع الموظفين والإجماع معهم لإشعارهم بالمسئولية بحيث يحس الموظف أنه يؤدى خدمة للناس قبل أن تكون المسألة إستلام ماهية ، وهذا الموضوع يصعب تنفيذ عن طريق السلطة التنفيذية ، أو عن طريق تغيير اللوائح .

ولكن عن طريق الإتحاد الإشتراكى يمكننا القيام بالكثير ، ليس عن طريق التأديب أو البوليس الحرقى ، فالذى أعينة ففى الجمعية الإستهلاكية ثم يسرق فذلك يعوزه الشعور بالواجب ، وهو شخص لم تصله الدعوة ، ولو كانت الدعوة وصلت إليه لتردد بدلا من المرة عشر مرات قبل أن يقدم على السرقة ، إذن فنحن مسئولون عن إيصال الدعوة لهؤلاء ، وأن أستطيع توصيلها عن طريق الوزير أو وكيل الوزارة ولكن نستطيع عن طريق الجهاز السياسى أن نغير من هؤلاء الناس . ولن نستطيع ذلك فى مدة قصيرة بكل أسف لأن الأفكار الإستعمارية القديمة ما زالت موجودة ، ونحن بطبيعتنا عشنا طويلاً فى مجتمع رجعى ، وتتحكم فىنا تقاليد رجعية لم نستطع التخلص منها بعد .

وهذا الموضوع يشبه الجدل الذى قام حول البيضة والدجاجة ، وعما إذا كانت البيضة قد خلقت الدجاجة أو العكس ، فهل نصلح الجهاز التنفيذى قبل أن نقيم التنظيم السياسى ، وهذا الموضوع فيه قولان ، وأرى أنى لا أستطيع تقويم الجهاز التنفيذى قبل قيام التنظيم السياسى ، ويكون الجهاز التنفيذى جزءاً من التنظيم السياسى ، وفى الجامعة مثلاً ، بدون تنظيم سياسى لن تبتظم أشياء كثيرة مثل علاقة الطالب بالمدرس والمكينة والأجهزة الفنية .. الخ .

الحقيقة قامت محاولات كثيرة لحل هذا الموضوع تنفيذياً ولكن لم يكن هناك الإيمان الذى يساعد على النجاح ، ولكنى أقول إننا قد نستطيع سياسياً أن ننجح عندما يشعر كل واحد أن له رسالة أو تشعر الأغلبية بأن لها رسالة ، أو حتى الأقلية التى تكون لها القدرة على القيادة والحركة نستطيع القيام بكل هذه الأمور .

النقطة الأخرى : إن هناك مجتمعات نفذت هذه الأمور بالظلم والقتل وبالنفى ، ونحن فى مجتمعنا واشتراكيتنا لا نريد السير فى هذا الطريق .. كثير من الناس يرسلون لى خطابات يقترحون شئ أحدهم المتلاعبين بالتموين ليكون ذلك رادعاً للباقيين ونقضى على السوق السوداء ، ليس هذا هو السبيل ، فقد يكون الشئ له أثر لمدة معينة ثم ينسى ، فالشئ ليس مانعاً للجريمة ، فجريمة القتل عقوبتها الشئ ، ومع ذلك لم تمتنع هذه الجريمة ، كذلك السجن المؤبد لم يمنع جرائم الرشوة أو المخدرات ، ذلك لأن المجتمع فيه تناقضات غريبة لم تحل

أصل من هذا إلى أن شكوك الجماهير لا تقلقنا طالما نحن نسير فى الطريق الصحيح نحو تجنيد العناصر القيادية من الجماهير وتجميع أكبر عدد من الكادرات أو القيادات السياسية التى تستطيع بمرور الوقت أن تقضى على هذه الشكوك وهذه السلبية ، قد لا تقضى على السلبية نهائياً بالنسبة للناس ، لأن منهم الرجل الشرير والرجل الطيب .

أما النقطة الخاصة بعدم وضوح الرؤية وعلاقة الاشتراكية بالدين ، فقد تكلمت فى مؤتمر قوى الشعب العاملة بكل وضوح وصراحة وفى التليفزيون وفى الراديو ، وأوضحت الفرق بين الشيوعية وبين اشتراكيتنا وعددت أسباب ذلك ، ومن مدة عشرة أيام نشر لى حديث فى الجرائد مع الصحفيين العراقيين ، وسبق أن تكلمت فى بور سعيد ، ولا ينقصنى إلا الصعوبة لمثذنة القلعة ، وأن أقسم على ذلك !! ورغم هذا ستجد من يتشكك ولا يصدق .. إذن يوجد إناس لا يريدون التصديق أبداً ، وليست هناك فائدة من إقناعهم لأن قصدهم هو التشكيك فى الوضع الموجود ، ولأن مصلحتهم الشخصية تتنافى مع الاشتراكية .. هل حجرنا على الدين ؟ .. لا .. هل منعنا الصلاة ؟ .. لا .. بل بالعكس جعلنا تدريس الدين إجبارياً فى المدارس وجعلناه مادة أساسية يترتب عليها الرسوب أو النجاح فى الإمتحان ، وكذلك بنى الكثير من المساجد ، وزاد إهتمامنا بالجامعة الأزهرية ، إلى آخر هذه المواضيع ، وتوجد أيضاً بعض الموضوعات التى لها حساسية بالنسبة للدين ففى الإجتماعى السابق أشار أحد أعضاء المكاتب التنفيذية إلى صدور كتاب يتعرض للدين . وكان الكتاب هنا مصادفة . فقرأنا النص المشكوك فيه ولم نجد له أى تعريض بالدين ، فمؤلفه وهو أستاذ جامعى فى جامعة أسيوط يقول أنه لا داعى لأن نقول اشتراكية إسلامها ، لأننا لا نريد وضع الإسلام

في موضوع تجربة قد تفشل وقد تنجح ، وإنما الإسلام دين حق وفيه كذا وكذا ، هذه هي الكلمة التي فسرناها على أن فيها تعريضاً بالدين ، وأنا رأيي أن كلام هذا الأستاذ سليم جداً ، فهو يرى ألا نقول إشتراكية إسلامية ، لأن معنى هذا أنه إذا فشلت الإشتراكية أو تعدلت التجربة أو التطبيق وتجربتنا ليست جامدة وليست منقولة فمعنى هذا أن يفشل الإسلام ، فلماذا نعرض الإسلام لمثل ذلك ؟ .. أنا مثلاً عندما تكلمت عن الإشتراكية والإسلام ضربت أمثلة حتى يعلم الناس أنه في وقت ظهور الإسلام طبقت الإشتراكية والعدالة الاجتماعية في موضوعات كثيرة فعندما ، دخل الإسلام العراق طبقت الإشتراكية بالنسبة للأرض ، وكذلك في الأندلس ، ولكن لم تكن في ذلك الوقت مصانع وما أشبه ذلك ، وبكل أسف إستغلت الرجعية الإسلام طوال السنين الماضية وأخذت من الدين ذريعة لسيطرتها فالملك فيصل الذي ينادى بالإسلام ويدعى الغيرة على الإسلام ، هل هو مسلم ؟ .. هل تمكن مقارنته بالنبي عليه الصلاة والسلام أو بأحد الخلفاء أو أى قائد إسلامي عادل أو حاكم مسلم إسلاماً صحيحاً ؟ .. هل كان لدى النبي سيارات وكذا مليون جنيه ، هل أستطيع مقارنة فيصل بعمر ؟ .. غير ممكن ، لأن عمر كان يعزل الوالى إذا أثر ويعتبر قراءة خروجاً عن الإسلام ، وكان ينادى بأن الأموال كلها أموال المسلمين ، إذن الإسلام واضح فعلاً والمبادئ التي أعطاها لنا واضحة ، ولكن بعد عهد الأمويين سارت الأمور بخلاف ذلك ، وحاول الأثرياء إستخدام الدين لصالحهم .

في البلاد الشيوعية لم يقضوا على الدين ، ولكنهم أهملوا الدراسة الدينية في المدارس ، ومعنى هذا القضاء على هذه الناحية في الأجيال الجديدة تدريجياً .. والأمر عندنا بالعكس فنحن ندرس الدين لأولادنا في المدارس ، لو كنت منعت دراسة الدين كان لهم أن يسألوني عن ذلك ، ولكن جوهر الموضوع الآن هو أن هناك بعض الناس يريدون أن يتخذوا من الدين ذريعة ضد الإشتراكية ، تماماً مثل الملك فيصل فهو يقول إن الإشتراكية إلحاد ، لا عن إيمان وإخلاص ، ولكنه يريد إستخدام الدين لخدمة الأهداف الرجعية التي يتبناها ، هذا هو موضوع الدين ، ويمكنكم في الإتحاد الإشتراكي أن تضربوا المثل ، إذا أديتم الصلاة في مقرات الإتحاد ، فأداء الصلاة مع الناس وسيلة للقضاء على تشككاتهم ، بل بالعكس نحن نعتبر الدين وسيلة لحماية الناس من الانحراف ، فمثلاً الموظفين وغيرهم ممن تشتكى منهم ، لو كان عندهم دين وإيمان لما ضايقوا الناس ، ولا عطلوا مصالحهم .

وبالنسبة للتناقض في التفسيرات الإشتراكية ، فأنا شخصياً ضد الفلسفة والسفسطة المعروفة في هذه النقطة ، ونحن نميل إلى تبسيط الأمور إلى آر مدى ، وعندنا الميثاق الذي

وضح كل الأمور ببساطة ، فحدود إشترakitنا موضحة في الميثاق ، ليس هناك ما يدعونا إلى تعقيد الأمور وجلب أمثلة من هنا ومن هناك ، فالميثاق مبسط وقد تعمدنا فعلاً أن نضعه بطريقة مبسطة ، ولم نسترشد بآراء أخرى توجد فروق كثيرة بيتنا وبين - الشيوعية ، وقد تلتقى معها في بعض الأمور ، عندما تقرأ الدستور الشيوعي ، وقد تلتقى معها في بعض الأمور ، عندما تقرأ الدستور الشيوعي تجد فيه سبعة عشر أو عشرين مبدأ لا يسكع أو أى مصلح إلا الموافقة علينا ، وليس معنى هذا إنك شيوعي ، فهل تستغل الناس لتثبت للعام أننا لسنا شيوعيين وإننا أصحاب دين ؟ .. ليس أسهل من هذه العملية لنا كهيئة حاكمة في هذا البلد .. ولو سلكنا هذا السبيل كنا قد إسترحنا من أغلب المشاكل التي قابلتنا في

السنوات الأربعة عشر الماضية ، لو إستندنا إلى حكم الطبقة ، وهو الحكم الذي يعتمد على تحالف الإقطاع مع الرجعية لما إعترضنا اليوم مشاكل الأسعار لأنه كان سيصبح عندنا عمال عاطلون وعدد كبير من الشحاذين كل همهم التسول وليس عندما وقت للتفلسف ، فنتيجة الأعمال الجديدة أننا أوجدنا عدداً كبيراً من المتفلسفين ، لقد زاد عدد العمال من ٤,٥ مليون عامل يضاف إليهم مليون عامل في الإصلاح الزراعي فيكون مجموع العمال ٨,٥ مليون عامل ، وأصبحت اليد العاملة في الرغبة قليلة ويصل أجر العامل إلى خمسين قرشاً .. وجميع خريجي الجامعات يلحقون بالعمل ، وذلك نتيجة للعمل الإشتراكي الذي تبنيه ، فالمجتمع الإشتراكي بناء أكثر منه تأميم ، لأن التأميم يأتي فقط في المرحلة الأولى من مراحل الإشتراكية ثم يتلو ذلك بناء الكثير من المصانع والمشروعات ، وأغلب هذه المشروعات لم تعطنا إيراداً ، فالسد العالي وإستصلاح الأراضي ثم المصانع الجديدة إتفقنا عليها كثيراً من الأموال ولم نأخذ منها إيراداً بعد ، ولذلك نجد أن العرض أقل من الطلب ويطلب الأخ زكريا تجميد بعض السلع بالنسبة للناس وتقليل النقود في البلد ، وإلا عجزنا عن التقدم .

لو كنا إختارنا النظام الرأسمالي والإقطاعي ، كنا تركنا الأموال لبعض الأفراد وحكمنا البلد مع هذا العدد المحدود من العائلات ، ولكان المجتمع في ظاهره مريحاً ولطيفاً وليس متعباً مثل المجتمع الذي نعمل له وندافع عنه . قد أقول خطبة في الراديو لا يسمعها إلا عدد ضئيل أو نسبة محدودة ممن أدافع عنهم ، إذ لا أتصور أن عند عمال التراحيل راديو يسمعون به كلمتي ، ولكنني أتصور أن ١٠٠٪ من الذين أتكلم ضدهم يسمعونني ، فكيف إذن تجمع هؤلاء الناس ؟ .. العمل الوحيد هو التنظيم السياسي ... كيف أحل مشاكل عمال التراحيل ؟ .. العمل الوحيد هو التنظيم السياسي حتى لا يتكرر ما حدث في الدقهلية من أن أحد موظفي المحافظة اغتال النقود لنفسه ، فعدم وجود تنظيم سياسي عهد لوجود الإنحراف .

أما التناقضات أو التفسيرات بالنسبة للإشترابية فلا خوف منها ، وكل ما يكتب في الجرائد لا يخفى ، وإنما يخفى شئ واحد هو قيام تنظيم مثل تنظيم الإخوان المسلمين يستطيع أن يؤثر بما لا يقاس عن أى كلام في الجرائد إذن السبيل الوحيد أن ننشر فكرنا ونقيم التنظيم السياسى ولا نخشى شيئاً .

وما زال الفكر عندنا محدوداً بالنسبة للإشترابية .. وعندنا الميثاق والكلام الذى يقال في الجرائد اجتهاد ، فمن مصلحتنا أن نفتتح مجال الاجتهاد للفكر الإشتراكي في بلدنا ، وليس هناك مانع في أن يبدى أحد الكتاب رأياً في إحدى الصحف ويرد عليه آخر في صحيفة أخرى ، بل إنى أرى في ذلك ميداناً لأفكار جديدة تجعلنا نعمق تجربتنا .

أما التقييد الذى نطلبه فبالنسبة للكتب مثلاً لا توجد رقابة وقد قرأت كتاب « معالم على الطريق » قبل صدوره وكان في إمكانى مصادرتة أو منعه ولكنى لم أفعل ، ولكنت إخوانى عنه وقلت لهم إن الكتاب به كذا وكذا ولا أخشى من صدوره ، وإذا لوافق على صدوره فيمكن نشر ما فيه بطريقة سرية وتكون الدعوة السرية أكثر سرية بين الناس على أساس أنه لا توجد حرية رأى في البلد .

بالنسبة موضوع الصحافة : فقد رأيت الصحافة وهى تحت الرقابة ، ورأيتها بوضعها الحالى ، وهى بوضعها الحالى تحت الرقابة فمؤسسة روز اليوسف والمصريو تحت رقابة بهاء وهو محل ثقتنا ، ومؤسسة الأهرام ومؤسسة الأخبار تحت رقابة هيكمل وهو موضع ثقتنا ، والجمهورية تحت رقابة بدوى وهو أيضاً محل ثقة .

وعندما كانت الصحافة تخضع للرقابة الحكومية كان يقوم بها موظف صغير ، فكانوا يوقفوننى في الساعة الواحدة صباحاً للسؤال عن نشر موضوع ما لأن الموظف اتصل بمدير الرقابة الذى يتصل الوزير والوزير يتصل بى ثم نجد الصحف الثلاث صوره تكاد تكون واحدة ، وكما قلت في الإجتماع الماضى أن هناك محاولات لهدم الصحافة المصرية ، وبالذات في بيروت ، حيث تتفق مئات الألوب على خلق صحافة متقدمة عنا مستخدمين طرق الطباعة الحديثة ، فالحل الوحيد هو أن نترك الصحافة بدون رقابة .. وحتى بالنسبة للرقابة السياسية أفضل أن أتركها بوضعها الحالى عن أن أضعها تحت رقابة أبو الفضل بإعتباره مسئولاً عن النشر .. وطالما نقول أن هناك غموضاً في الأفكار الموجودة ، لأنها لم تبلور بعد ، فأنا ضد فرض رقابة سياسية من الإتحاد الإشتراكي ، ولو طلبنا من أبو الفضل وكال رفعت وكال الحناوى أن يتكلموا في موضوع ما فسيقول كل واحد منهم رأياً مختلفاً عن الآخر ، إذن يجب التسليم بهذا الموضوع وقبوله فالعملية ما زالت في المجال الواسع اجتهادية ، ولكن في

المجال الضيق إذا التزمنا بالميثاق نستطيع أن نسير على خط واحد .

الكلام عن الاشتراكية لم يبدأ إلا أخيراً ، ففي أول الثورة لم أتكلم إلا عن المبادئ الستة ، ولم يزل الإنجليز موجودين حتى سنة ١٩٥٦م وخرجنا من العدوان الثلاثي وواجهنا مبدأ إيزنهاور ، ثم بدأنا الكلام عن الاشتراكية سنة ١٩٦١م ، ووضعنا الميثاق سنة ١٩٦٢م ونحن اليوم سنة ١٩٦٦م ، فالفترة التي اجتهدنا فيها قصيرة .

لو نظرنا للإسلام نجد أن رسالة أنزلت للناس في ثلاثة وعشرين سنة ، وهو مثل أعطى لنا .. وعندما ننظر للماركسية نجد أنها إستغرقت ٨٠ سنة أو ١٠٠ سنة لكي نتضح للناس ، وللآن يوجد خلاف مذهبي بين الصين والروس ، وداخل روسيا ، يوجد خلاف بين الستالينيين وغيرهم .. الخ ، إذن المدة الزمنية التي إستغرقتها الفكر عندنا قصيرة ولا أريد أن أقيد الفكر وأقول لكم التزموا بخطب جمال عبد الناصر والميثاق ، فقد يكون فيكم من يستطيع أن يجتهد ، والإجتهاد في الفكر الاشتراكي محبب ، ولو لم يكن عملي كثيراً لاستطعت الإجتهد أكثر ففي أيام وضع الميثاق تفرغت له فترة ، وحينما وضعنا القوانين الاشتراكية مكثت في الأسكندرية شهرين للتفرغ لها والتفكير فيها ، حتى إنتقيا إلى ضرورة تنفيذ قوانين سنة ١٩٦١م ، ولكن قد تكون لديكم كمترغين الفرصة للإجتها .

بالنسبة لوضوح الاشتراكية ، فاشتراكتنا واضحة جداً في الميثاق ، لأن الميثاق عبارة عن تسعين ، ميثاق وبرنامج ، الميثاق واضح ، والبرنامج حتى سنة ١٩٧٠م واضح وليس به

غموض ، هل ستؤمم المساكن ؟ .. أبدأ .. ليس في الميثاق تأميم المساكن ، هل سأمنع الملكية الخاصة ؟ .. لا .. الميثاق لم يلغ الملكية الشخصية ، بالنسبة للقضاء على الإستغلال ، نقول أنه يجب القضاء عليه ، بل أرى أمل قبل وفاتي أن أجد أزمة في الخدمة ، وحينئذ أعرف أنني صنعت شيئاً في هذا البلد ، ولكن عندما نتكلم هذا الكلام تجد فئة لا يرضيها ذلك وهم الذين لديهم خدم ، ولو سألت أحهم عما إذا كان يرضى أن يعمل ابنه كخادم لأجاب بالرّف: ، إذن يجب على الإنسان أن يفكر بهذه الطريقة .

بالنسبة للإجراءات التي تتخذ بدون تفسيرات كإجراءات رفع الأسعار مثلاً ، فإن هذا الموضوع يتعلق أيضاً بالتنظيم السياسي فلو كان لدينا تنظيم سياسي لما اكتفينا باتخاذ الإجراءات وإعطاء التفسيرات ، بل كنا نأخذ رأيه في موضوعات كثيرة ، لكن طالما لا يوجد تنظيم سياسي ، فالإجراءات والتفسيرات عملية غير ممكنة فمثلاً موضوع ادخار يوم من العاملين أثار ضجة واضطربنا للتراجع لأن التنظيم لم يكن سلمياً ، فالتفسيرات سببت صدى عكسياً .

وبالنسبة لتغير أماكن القيادين دون إيضاح أسباب ، فإن هذا يحدث في أكثر البلاد ، فمثلاً ماكميلان استبعد لوين لويد وثمانية من الوزراء ولم يوضح الأسباب ، ورغم ذلك استمروا معه في البرلمان ولم يشهروا به أو يشهر بهم ، لأن الضرر في الحالتين يكون عائداً على المجموعة .

وبالنسبة لقضية اليمن فقد سبق أن تكلمت عنها ، وأكرر القول أنه لو كان عندنا تنظيم سياسى لأمكن تعبئة الناس ، لن نعبئ كل الناص ولكن نعبئ القيادين ، وكل قائد يعبئ جنوده بحيث نمنع السلبية ونمنع البلبلة .. فيجب أن يكون الإتحاد الاشتراكي عبارة عن قادة وجنود ، وبذلك يكون عملنا الأساسى هو التجنيد ، وكما قلت أنت أنه في الاجتماعات الضيقة يستطيع الإنسان فعلاً أن يجند ، وأن يرتبط بالناس على مستويات مختلفة ، وبذلك يكون لنا تنظيمنا السياسى أو الكادرات من الأفراد المؤمنين والمرتبطين عن عقيدة وعن إيمان .

أمين الجيزة :

أعتبر نفسى فى الحقيقة قد وفقت فى عرض جميع المواضيع لأنى ما قصدت عرضها إلا سماع كل هذه الإيضاحات ، حتى إذا كان هناك أى غموض فى الفكر أو عدم وضوح للرؤية .. أمكننا أن تبينها ثم نتقل بهذا الإيضاح إلى القاعدة ، وتكون بذلك أكثر فاعلية .

السيد رئيس الجمهورية :

هل لإخواننا فى القاهرة أو فى الجيزة تساؤلات بالنسبة لما أثير من نقاط ؟ ..

السيد المبشر عبد الحكيم عامر :

لا بد أن يكون هناك كلام وآراء .

السيد رئيس الجمهورية :

هناك نقطة وجيهة بالنسبة للتفرغ يذكرها الأخر على صبرى وهى أنه يهمنى وجود أشخاص من المؤمنين فى الأجهزة التنفيذية فإن هؤلاء فائدة كبيرة للدعوة داخل الأجهزة التنفيذية ، كذلك ليس من المصلحة أن تفرغ جميع الأشخاص الصالحين فى الأجهزة التنفيذية للعمل السياسى حتى لا نعزلهم فى الوقت الذى نتخذ التفرغ فيه وسيلة للتلاحم مع الناس فى جميع القطاعات .

د . عباس صقر :

لقد وضع المكتب التنفيذى فى الجيزة نصب عينيه هدفين هما بناء التنظيم السياسى القومى ، والإندفاع فى عملية الإنتاج لمضاعفة الدخل القومى ، ونرى لكى تتمكن من اجتياز مرحلة

التحول الاشتراكي أن تكون هناك حلول للمشاكل الأساسية في داخل مواقع العمل وفي قطاعات الإنتاج ، ومن خلال بحث هذه المشاكل نستطيع من اللقاءات المتكررة التعرف على القيادات المؤتمتة الصالحة ، ونحن مقدرون لمسئولياتنا ومقتنعون بها ، وهي أن تكون قدوة في السلوك الاشتراكي وأن تتم لقاءاتنا في وضوح فكري تام ، وأن نتجرب في اختبار الأشخاص القياديين ..

وبالنسبة للصلاحيات نرى أن تكون لنا رقابة نافذة وفعالة على الأشخاص ، وعلى العمل داخل مواقع الإنتاج والخدمات ، بحيث يكون ما نراه في هذا الشأن محل دراسة سريعة وإجراءات ثورية .

السيد رئيس الجمهورية :

يبدو لي أن هذا الموضوع سابق لأوانه ، إذ يجب أن نكون أنفسنا أولا ، فعندما أقول إن للإتحاد الاشتراكي الرقابة فمعنى ذلك أنني أعطيك مسؤولية أنت غير قادر عليها ، وقبل التعرض لهذه المواضيع يجب أن يسبقها عاملان :

١ - التجنيد والتكوين والدعوة .

٢ - معرفة مشاكل الناس وحلها دون الدخول في منازعات مع الأجهزة التنفيذية .

لا بد اليوم أن نسير مع تلك الأجهزة بأسلوب الدعوة والتعاون وهو أنجح بكثير من فكرة الرقابة ، والدول التي أقامت قبلنا رقابة الحزب تعمل الآن على حل هذه الرقابة ، لأنهم وجدوا أن الرقابة تزيد العمل بالطريقة البيروقراطية .. ولكن هذا لا يمنع من وجود رقابة عندنا بدون سلطة ، وهي التي تقوم بتنفيذها أنت ، وتحقق هدفك منها عن طريقى وعن طريق الأمانة العامة للإتحاد الاشتراكي فتقول للأمين العام أن محافظ الجيزة عمل كذا وكذا ومتنازع مع الإتحاد الاشتراكي ، فأنا والأمين العام نمثل السلطتين التنفيذية والشعبية . وعندنا القدرة على أن نفصل في هذا الموضوع .

ليس هناك مانع أن تأتى وتقول لي أن الشرقية للسجائر فيها عمال أكثر من اللازم ، ولكن ليس لك أن تذهب لمجلس إدارة الشركة الشرقية وتقول له أنت خاضع لرقابتي ، لأنك بهذا ستوجد تناقضات لا أول لها ولا آخر ، ولكن يمكنك عن طريق التجنيد ، وعن طريق الدعوة ، وعن طريق الأعضاء الذين ستجندهم في داخل الشركة الشرقية ، أن تعرف إن كان هناك عمال أكثر من اللازم أو أن هناك محسوبة ، وتبلغنا بذلك فنكون عندنا رقابة غير مباشرة .

إذن عندنا عمليتان ، أن ندعو ونجند الناس ، ثم نعرف مشاكل الناس ونحلها ، ويدخل الانحراف ضمن مشاكل الناس وواجبك في معالجة الانحراف أن نعمل على التوعية أولاً قبل التقويم ، بمعنى أنك عن طريق الاتحاد الاشتراكي يمكن أن تجذب هؤلاء الناس وتباشر معهم عملية الدعوة والتجنيد ، وستجد أن مجتمعنا طيب وليس معقداً ، وسيستجيب لنا الكثيرون ، وسيستطوع للعمل معكم موظفون ولكن بشرط ألا يكون هناك إتصال منكم عليهم ، لو تكبرت على أحد فلن يسأل فيك أحد ، بالكلمة الطيبة يتفانى معك الجميع .

وبنفس الطريقة يمكن على متابعة ، ففى محافظة الجيزة عندكم شركة السكر وشركة الدخان وشركة كذا .. فعن طريق الأفراد المجندين، الموجودين فى كل منها تستطيع أن تتابع ، ثم نأتى إلينا لتقول أن ميزانية هذه الشركة غير حقيقية ، وأنا قد حققت خسائر وأودعت فى ميزانيتها إنها حققت أرباحاً . وبهذا نستفيد جداً من هذه المعلومات ولكن حصولك على هذه المعلومات أن يكون عن طريق إظهار السلطة ، وإنما عن طريق التجنيد والدعوة .. وبهذا الأسلوب تستطيع مسح المحافظة وتحديد طريقك .

محمد عبد الحميد لبنة :

أرى أن هناك قوى رجعية تحاول إثارة البلبلة عن طريق خلق هذه القضية الفكرية ، هل اشتراكيتنا علمية أم هى اشتراكية عربية وما مصدها ؟.. وأرى أنه يلزمنا فى المكاتب التنفيذية أن نكون دائماً على إتصال بالقيادة السياسية من حيث الوعى الواضح فى النواحي الفكرية . ويدفعنى هذا أيضاً إلى تساؤل آخر من موقف المكاتب التنفيذية بالنسبة للشيوعيين ، وقد سبق لسيادتكم فى إجتماع الهيئة البرلمانية إن رأيتم أنه إذا توافرت فى هؤلاء الناس الصلاحية والقدرة على ممارسة العمل السياسى مع الإلتزام بخطتنا السياسى فلا مانع من أن يمارسوا العمل معنا ، إلا أن الحساسية القديمة دفعتنا إلى إعادة إستطلاع رأى القيادة السياسية لتحديد الوضع إذا تقدم إلى المكتب التنفيذى بعض هؤلاء الزملاء . وشكراً .

السيد الرئيس :

بالنسبة للنقطة الأولى فقد نص الميثاق على أنها اشتراكية علمية ، ولا يمكن أن نجعلها بخلاف ما هو منصوص فى الميثاق ، وليس هناك ما يوصم الاشتراكية العلمية بالكفر ، ولكن إذا كنت تريد السؤال عما إذا كانت ماركسية ، فأنا أقول بصريح العبارة أنها ليست ماركسية وليست ماركسية لينينية ، وسبق أن قلت هذا الكلام بوضوح فى حديثى مع الصحفيين العراقيين ، ومن السهل جداً معرفة الخلاف وسبق أن شرحناه عدة مرات ، فليس هناك داع

للدخول فى فلسفة عما إذا كانت اشتراكية علمية أو شتوية أو صيفية ، وسبق أن تكلمت فى عيد العلم مفسراً هذا الموضوع ، وكان ذلك رداً لما ورد فى الميثاق بالنسبة للعلم ، ويجب أن تكون إجابتنا قاطعة ، فالميثاق لم يقل أنها اشتراكية عربية ، ولم يقل أنها ماركسية ولا لينينية ، وقد أسميتها اشتراكية مصرية ، وفى هذه الأيام توجد اشتراكية صينية وإشتراكية روسية ، وفى بولندا شيوعية وذلك فى يوغوسلافيا ، ولكنهم جميعاً يسرون طبقاً للماركسية اللينينية وتطبيقها مبنى على أساس دكتاتورية البروليتاريا أو حكم الطبقة ثم تصفية المجتمع ، ونحن لم نسر بهذا الشكل .

أما بالنسبة لسؤالك عن الشيوعيين فإن فىهم أشخاصاً صالحين وقبل سنة ١٩٥٢م لم يجدوا أمامهم طريقاً للكفاح فى سبيل حرية هذا البلد واستقلاله إلا إنضمامهم للحزب الشيوعى ، وبعد قيام الثورة رجعوا عن هذا رأى ، وفىهم أيضاً غير صالحين ، وأنا أعرف كل فئة بالأسم ، ولذلك يجب إستطلاع الرأى بالنسبة لم ينضم منهم إلى العمل السياسى ، ولا بد من موافقة الأمين العام ، والأمين العام سيتصل بى شخصياً فى هذا الموضوع ، وعندى بيانات عنهم .

محمد عبد الحميد لبنه :

يوجد تعليق بالنسبة لتعدد الأجهزة على مستوى المحافظة نجد أربع أجهزة تعمل فى قطاع الزراعة وهدفها واحد وهو تقديم الخدمات للزراع ، وهى الجمعيات التعاونية الزراعية ، وبنك التسليف والمؤسسة التعاونية الزراعية . ومديرية الزراعة بالمحافظة ، والوضع يقتضى توحيدها تسهيلاً للتعامل مع الجماهير .

وهناك دراسات أخرى على الطبيعة عن الإزدواج ، فهناك محطات لا يقف عليها فى اليوم إلا قطار أو اثنان ، وكذلك محطات للنقل البرى لا تقوم بالشحن أكثر من مرة أو اثنين فى الشهر .

أكثر من ذلك تعدد الشركات والمؤسسات التى تعمل فى نوع واحد من الإنتاج ، فالشركة لها مجلس إدارة رئيس مجلس إدارة ، والمؤسسة لها أيضاً رئيس مجلس إدارة ومجلس إدارة ، ثم هناك مجلس أعلى للمؤسسات برئاسة السيد نائب رئيس الوزراء للصناعة ، ثم بعد ذلك يعرض الأمر على مجلس الوزراء لإقرار ما ينتهى إليه المجلس الأعلى للمؤسسات ، وأعتقد أن هذا التعدد فى حاجة إلى إعادة نظر .

السيد الرئيس :

موضوع الزراعة ، ليس بالبساطة التي تكلمت بها بالنسبة لموضع المحطات ، ففي
تصوري أنها لو ألغيت لإنهالت علينا الشكاوى كما حدث بالنسبة لمصلحة القطن ، وسياستنا
عندما خفضنا ساعات العمل إلى سبع ساعات أن تزيد العمالة بحيث تقضى على البطالة التي
كنا نشكو منها .

أما موضوع الشركات المتشابهة والمتعددة ، فرأى رغم أن نظامنا اشتراكي ، إلا أننا
نستطيع الأخذ بنظام الإدارة الرأسمالي دون أن يمس ذلك مبادئنا ، وأعتقد أن الدول الاشتراكية
تتجه إلى ذلك ، وقد قرأت في الأسبوع الماضي بعد مقالات منشورة في الصحف السوفيتية
تقول بأن الإصلاح الإقتصادي والوازع ليس رجوعاً إلى الرأسمالية ، وإن لهم أن يأخذوا
بالأساليب التنظيمية للرأسمالية ويعتبرون ذلك تحسناً في الاشتراكية ، وعلى هذا الأساس
طلبوا ، الكترونك ماشيزن لكي يطبقوها في الإتحاد السوفيتي ، وقد كان عندي في الأسبوع
الماضي رئيس تحرير مجلة « لايف » ومعه إثنان من الصحفيين ولم يتصوروا إن محلات
« شيكوريل وبترايون وجاتينيو وهنانو والطرايشي » ، تابعه للقطاع العام لأن المحلات شكلها
« ضل » في الإتحاد السوفيتي وكلها على نمط واحد ، فأنا أرى أن تكون هناك منافسة بين
المحلات ، وحتى الأوكازيونات ووافقت عليها ، فليس من الضروري نقل كل ما في المجتمعات
الأخرى إلى مجتمعنا دون بحث ، ومن الأفضل أن نترك مجتمعنا مفتوحاً ولا نقفله أبداً ، مجتمعنا
مختلف عن جميع المجتمعات وسنسير في تطبيقنا للإشتراكية ، ونترك مجتمعنا مفتوحاً للسباح
ولا أعمل ستاراً حديدياً ، وفي هذا المجتمع يجب أن نأخذ بما يفيدنا من أساليب الرأسمالية
في تطبيقنا للإشتراكية .

عندنا الآن الشركة والمؤسسة والوزارة ، الشركة عنها سلطة كبيرة ، والمؤسسات عندها
سلطة ، وكذلك الوزير ، والحقيقة أن مشاكلنا كلها ليست مشاكل تسلسل ، ولكن مشاكلنا
الأساسية هي مشكلة التوازن الإقتصادي أو مشكلة النقص في العملة الصعبة ، لأننا توسعنا
على تنفيذ الخطة الخمسية (في خمس سنوات) ، ونفدناها واعتمدنا على حد كبير على المواد
الخام الأجنبية ، وعلى مستلزمات الإنتاج الأجنبية ، وسنقضي على هذه المشكلة في الخطة
الثانية بحيث لا تمر سنة ١٩٧٠م إلا وتكون الأمور قد إنتظمت .

رئيس الوزراء :

في تقديري أن التنظيم يجب أن يكون متطوراً باستمرار ، وقد وضعنا الأسس لذلك ونحن
على استعداد لتقبل أى إقتراحات .

د . أسامة رفعت :

ليس هناك شك - كما أشرت سيادتك في إجتماع محافظات الوجه القبلى - في وجود أحزاب وتنظيمات أخرى بجانب التنظيم السياسى ، ليس لها أسم أو مقر ، ولكن أعضائها يستغلون عدم وضوح الرؤية التى يعانى منها الكثير من المواطنين فى الجمهورية بالنسبة لمضمون الاشتراكية العربية ، وأنا أصر على تسمية اشتراكيتنا بالاشتراكية العربية .

السيد الرئيس :

عندما تقول أصر ، فإنك تعبر عن عقدة نفسية ، كان أسهل لنا أن تقول اشتراكية عربية فى مبدأ الأمر ، ولكن فى كلامى لم أقل ذلك ، لأن الاشتراكية فى الدنيا كلها من ناحية المفهوم الإجتماعى هى الكفاية والعدل ، غير إننا نختلف فى التطبيق ، وفى تصورى أننا متقدمون فى التطبيق الاشتراكى عن بولندا ، وقد اجتمعت مع « أوحاب » وتكلمت معه عن الملكية الزراعية ، وليس معنا هذا إننا شيوعيون أو أنه سيدخل معى ضمن الاشتراكية ، ولكنه يسير فى خط اشتراكى بتطبيق معين ، وأنا أسير فى خط اشتراكى بتطبيق آخر ، وعندما تقول الاشتراكية العربية يكون شأنك تماماً شأن الملك فيصل عندما يقول الحلف الإسلامى ، ليس لدينا ما نخفيه بكلمة الاشتراكية العربية ، نحن واضعون كل الوضوح ، وأمامنا الميثاق ، وليس هناك داع للدخول فى صراع وحوار دون مبرر .

ثم إن اشتراكيتنا متطورة ، ومعنى ذلك بلك بساطة أنها ستوصلنا فى يوم ما إلى منع استغلال الإنسان للإنسان منعاً كاملاً ، هل نحن وقد واثنا الفرصة نستطيع أن نقصر فى حق الذين لم تواتهم الفرصة ، نحن ننظر إلى هؤلاء ونعمل على القضاء على استغلال الإنسان للإنسان ، وهذا يتمشى مع العدل والدين لأن الله لم يخلقنا لكى يستغل أحدنا الآخر .. هذه هى الاشتراكية والسبيل الوحيد الذى يوصلنا إليها هو زيادة إنتاجنا ودخلنا القومى وتنظيم أنفسنا ، أما ذكرت لك أن أملى قبل وفائق أن أرى البلد بها أزمة خدمة ، وليس معنى هذا إنتهاء استغلال الإنسان للإنسان .. وإنما معناه أن مرحلة من مراحل الاستغلال قد إنتهت .

أنا شاعر بأزمة عمال التراحيل ، وما يشوبها من استغلال ولكنى الآن غير قادر على حلها ، ولكن العملية المتطورة توصلنا إلى الحل فما الذى يخيفنى من التطور ؟ ..

د . أسامة رفعت :

ليس هناك خوف ، ولكن يهمنى فى مجال التوعية أن الجماهير تشعر بأن لاشتراكيتنا طابعاً معيناً ، ولن يوفى الشأن إليها فى أننا سنتحرف إلى الشيوعية ، ولو نظرنا إلى جمال عبد الناصر

كمفكر إشتراكي نجد أنه قد أضاف مفاهيم جديدة مثل الإيمان بالدين وعدم تقبل مبدأ صراع الطبقات .

السيد الرئيس :

لا ، الصراع الطبقي موجود في الميثاق .

د . أسامة رفعت :

ولكننا لا ننص على أننا طبقة « البلوريتاريا » .

السيد الرئيس :

لا ، هذا موضوع آخر .

د . أسامة رفعت :

إذا تكلمنا عن محافظة الجيزة كمركز خطير للتجمعات الطلابية ولهيات التدريس ، فإن طبيعة التوعية تختلف ، ويجب أن يعلم الجميع أن هناك قيادة نضع مذهباً جديداً وليست ملتزمة بتطبيق المذهب القديم ، ومع أن جميع الإشتراكيات لها عناصر عامة مشتركة إلا أن لكل إشتراكية طابع خاص ، ولذلك عندما أقول الإشتراكية العربية فلأني مقتنع بأن إشتراكيتنا مميزة ، ذات مذهب جديد أو هي تطوير كامل للمذهب بفكر جديد وأسلوب جديد .

السيد الرئيس :

مثلاً ، تغير أسم الجمهورية العربية إلى « إسم مصر » ، وأنا من الذين عز عليهم جداً اسم « مصر » ، كدولة ، فماذا تسمى الإشتراكية حينئذ ؟.. إشتراكية مصرية ؟..

د . أسامة رفعت :

المسألة أننا نريد أن تشعر القاعدة الواسعة بأن عندنا صياغة جديدة للفكرة الإشتراكية .

السيد الرئيس :

تقصد في التطبيق الإشتراكي .

السيد المشير عبد الحكيم عامر :

أعتقد أنه لا شأن للقاعدة الواسعة ، وهي لا تدخل في مثل هذه المناقشات ، ويهمها أولاً مشاكلها الواقعية والعملية ، وإنما هذه التفسيرات المعقدة تثار بواسطة المثقفين الذين يعتنقون مبادئ أخرى ويحاولون أن يقولوا - كما سمعتم طبعاً - إن الإشتراكية التي تعتنقها

مرحلية ، وإننا سوف نتقل بعد ذلك إلى مرحلة تالية ، ولكن كلام الرئيس قاطع ،
فاًشترakitنا ليست مرحلية ، ولا هي ماركسية لينينية ، وهذا يحسم الموضوع .

السيد الرئيس :

يمكن أن أقبل كلامك ببساطة ، ولكنى أريد أن أفنّلك ، وأقول بصراحة إن إشتراكيتنا
متطورة بهدف الوصول إلى الكمال .

السيد المشير :

ويقول البعض من المثقفين وغيرهم أنها انتقام ، كما يدعى بعض الناس ؟.. وإن سلاح
التأميم في مجتمعنا جعل للانتقام ؟.. أيداً ، هي عدالة كاملة .

محمد أحمد إدريس :

عدم إستطلاع رأى الجماهير بشكل في حد ذاته نوعاً من البيروقراطية نجده واضحاً حتى
في مشروع قانون التعاون الجديد فقد أعطى هذا القانون السلطة للجهة الإدارية وجعلها فوق
سلطة الجمعية العمومية ، فكيف يمارس المواطنون حقهم في الإدارة الديمقراطية .

وقد دعانا هذا إلى دعوة إخواننا الفلاحين أعضاء المكاتب التنفيذية في مختلف المحافظات
لزيرة الجيزة في آخر مارس لدراسة مشروع قانون التعاون وتبادل الرأى فيه ، ثم نرفع ما
يستقر عليه رأينا إلى قيادة التنظيم ، وكذلك بالنسبة لبعض الموضوعات الأخرى مثل علاقة
المالك بالمستأجر ، وموضوع ديون بنك التسليف وغير ذلك .. ومن خلال تجربتنا فإن
الجمعيات المشتركة أصبحت لا لزوم لها . والجمعيات النوعية لم يمسهأ أى تنظيم وظلت كما
هي بالمفهوم التقليدى للتعاون ، وما زالت بمنأى عن أى تطور ، بمعنى أنها مازالت تحت

سيطرة الأفراد ، ونقترح في هذا الشأن أن تقصر العضوية على الجمعيات المحلية للحد من
سلطة الأفراد وبخاصة في المشروعات الإقتصادية العامة مثل جمعية تربية الماشية .

السيد الرئيس :

بالنسبة لموضوع الجمعيات والتعاون كله ، كنت قد طلبت من السيد على صبرى أن
نعقد إجتماعاً للتعاونيين لبحث كل هذ المواضيع ، وأظن أنه كانت هناك اجتماعات تسوية
مفيدة للتعاونيين منذ سنة ١٩٥٨م ثم توقفت هل لدى الأخ زكريا تعليق على هذا ؟ ..

رئيس الوزراء :

توجد موضوعات تفصيلية كثيرة هي محل دراسة الآن ، ولكن ما أود قوله هو أننا يجب
أن نفكر في الإنتاج في نفس الوقت الذى نفكر فيه في توزيع العائد ، فمثلاً جمعية تربية

الماشية في الواقع تعتبر مسألة تخصصية يقوم بها أشخاص معينون ، ونحن يهمننا في هذه المرحلة زيادة الثروة اللحمية ، فهل يؤدي اقتراح السيد محمد إدريس إلى زيادة إنتاج اللحوم ؟ ..

محمد أحمد إدريس :

. قمنا بتجربة في الجيزة على نطاق صغير وعند تقييمها ثبت نجاحها على أساس الزيادة في إنتاج اللحوم ، وليس على أساس الكسب المادي .

رئيس الوزراء :

الدولة على استعداد لكي تترك الجمعيات التعاونية في هذه المسؤولية ، ومن معلوماتي الخاصة ، أنه لو حدث إهمال في موضوع تربية الماشية بالذات ونفق خمسة أو ستة رؤوس فإن ذلك يضيع المكسب كله .

السيد الرئيس :

هناك نقطة يمكن وضعها في الاعتبار ، وهي إن الجمعيات التعاونية تحتاج إلى تطوير ، فما زال كبار الملاك المسيطرين عليها بصرف النظر عن تحديد نسبة الـ ٤ على ٥ ، فكبار الملاك لهم نفوذ ويستطيعون وضع رجالهم في مجالس إدارات الجمعية التعاونية ، وربما كان هذا هو الذي أثر على فكرة الديمقراطية التي تكلمت عنها . فلن تكون هناك ديمقراطية حقيقية بهذا الشكل ، ونحن في مرحلة انتقال من رأسمالية إلى اشتراكية ، وما زال لكبار الملاك في عدة قطاعات تأثير كبير على الأوضاع والمشاكل ومنها الجمعيات التعاونية ، وفي رأي أن يناقشوا الموضوع مع الأخ على صبرى ومع الأمانة لأن عنده فكرة واضحة عن هذا الموضوع .

أمين الفلاحين :

الموضوعات التي تعرض لها الأخ إدريس كانت موضع دراسة تقدمت بها والحلول المقترحة لها للسيد الأمين العام .

وبالنسبة لتجاهل الإدارة للديمقراطية في الجمعيات - التعاونية ، فإن قانون التعاون الجديد يتعرض لكل هذه المشاكل ويؤخذ رأى القاعدة الآن على مستوى المكاتب التنفيذية فيه ، وفيما قد يكون به من ثغرات .

وقد حدد القانون نسبة لا تقل عن الثلث تكون بالتعيين داخل مجلس الإدارة ، ومسئوليتنا نحن أن نضع أيدينا على القيادات السليمة في القرية ، على أساس أنه عند إجراء الانتخابات يكون دور التنظيم السياسى دافعاً للقوى النظيفة في الدخول إلى الجمعيات التعاونية ، وتحري

العمل لمصلحة الجماهير .

أما باقى الموضوعات التى أثارها الأخ محمد إدريس بالنسبة للجمعيات النوعية ، فهى كما أشار السيد رئيس الوزراء لها طبيعة خاصة ، ولكن المسألة المهمة هى أن بعض كبار الملاك يحصلون على قروض لتربية الماشية ، ولكنهم يستخدمونها فى أغراض خاصة ، والواجب هو تشديد الرقابة والمتابعة بالنسبة لهذه القروض .

السيد الرئيس :

هل إنتهى كلام الجيزة ؟..

أمين الجيزة :

نشكر سيادتكم على هذه المناقشة الحقيقية ونستأذن فى ترك الفرصة لإخواننا أعضاء المكتب التنفيذى للقاهرة حتى نشترك معهم .

السيد الرئيس :

لكى نعطي القاهرة حقها ، نؤجل الإجتماع للساعة السابعة مساء غد ، وأعضاء مكتب الجيزة يحضرون أيضاً ليسمعوا أعضاء مكتب القاهرة ..
وشكراً !

الاجتماع الثانى للسيد الرئيس جمال عبد الناصر بأعضاء المكاتب التنفيذية لمحافظتى القاهرة والجيزة

السيد الرئيس :

مساء الخير ...

هل لدى إخواننا أعضاء الجيزة تعليق على مناقشات أمس ؟ .. إذن يتكلم إخواننا أعضاء القاهرة .

أمين القاهرة :

إننا نعتبر لقاءنا مع سيادتكم لحظات العمر ، لذلك رجوت أن يحضر معى زملائى أمناء أقسام القاهرة وقد تفضلتم سيادتكم مشكورين بالموافقة .

لقد اتخذ المكتب التنفيذى للقاهرة من توجيهات سيادتكم فى مؤتمر المكاتب التنفيذية الأول دليل عملى له ، وكان واضحاً أننا فى عملنا السياسى يطالبون بواجبات رئيسية :

- ١ - بناء التنظيم الكفاء .

- ٢ - تعميق أسلوب العمل السياسى .

- ٣ - دفع العمل السياسى ، وحل مشاكل الجماهير .

فكانت خطة العمل ملتزمة التزاماً واعياً بهذه الواجبات الأساسية الثلاثة ، وبدأنا تنفيذها عملياً من منتصف فبراير وقدر لها خمسة شهور تقييم بعدها العمل والنتائج ، وعلى أساسها تضع خطة المرحلة التالية ، إن خطتنا ليست جامدة ، إنها قابلة للتعديل وفقاً لممارسة العمل ، كما أنها تتفرع على مستوى الأقسام .

أولاً - بالنسبة لبناء التنظيم الكفاء :

- ١ - فيما عدا قسمى الخليفة والأزبكية ، فقد تم تشكيل مكاتب الأقسام فى حدود ٥٠٪ من عدد القيادات المقررة لكل قسم على أن يتم إكتشاف القيادات الباقية من خلال العمل السياسى اليومى .

- ٢ - تم إعداد خرائط التنظيمية لجميع أقسام القاهرة وعددها ٢١ قسماً ، كما تم تقييم بعض القيادات الموجودة وتشمل ٨٧٦ وحدة للإتحاد .

- ٣ - إقترحنا ممارسة تجربة الجماعة القيادية على مستوى الوحدات ، وقد وافق السيد الأمين على ذلك ، وتشكل الجماعة القيادية من لجنة الإتحاد واللجنة النقابية وأعضاء

مجلس الإدارة المنتخبين وقيادات الشباب والعناصر الأخرى النشيطة ، وفى تقديرنا أن هذا يقضى على التناقض الموجود فى هذه الوحدات ، كما يعطى فرصة للقيادات الصالحة التى تبرز من العمل السياسى أن تظهر وتعمل ، كما أن العمل خلال هذه الجماعة سيكون عن طريق واجبات محددة تساعد على إكتشاف القيادات الصالحة وتنحية العناصر السلبية .

٤ - قمنا ببناء شبكة إتصال داخلية لكافة مراتب التنظيم ، عن طريق الاجتماعات الدورية

المنتظمة ، وتنظيم إتصال تليفونى عاجل مع مكاتب الأقسام ليلاً ونهاراً ، كما طلبنا إعداد خرائط بمواقع الإتصال بالجماهير ، مع تحديد قرة التنظيم فى كل موقع وتقييمه فكرياً وحركياً .

٥ - تكوين فرق لشباب العمال ، فبالإتفاق مع منظمة الشباب سيجرى تدريب العمال فى الوحدات الإنتاجية والخدمات فى إحياء القاهرة ابتداء من ١٣/٣/١٩٦٦ م .

٦ - أما بالنسبة للنقابات المهنية ، فقد تم مبدئياً اختيار ضباط إتصال فى كل النقابات من داخلها ، ويجرى السعى ديمقراطياً لإنجاح العناصر المناضلة الواعية فى مجالس الإدارة ، كما يتم الإعداد لدورة تثقيفية للمهنيين تمهيداً لتطوير النقابة بهدف رفع مستوى المهنية فنياً ورفع مستوى الخدمة للجماهير ، والقضاء على الأوضاع الطبقيّة ، وإذابة الفوارق داخلياً .

هذا فى مجال التنظيم ، وقبل أن أنتقل إلى المجال الثانى اسمحوا لى يا سيادة الرئيس أن أطرح أمام سيادتكم سؤالين نشعر أننا فى حاجة إلى توضيح وتوجيه من سيادتكم بالنسبة لهما :

السؤال الأول :

أ - توضيح شكل العلاقة التنظيمية بين الإتحاد الإشتراكى والمنظمات الجماهيرية ، وما هو الإتجاه السليم لتطوير هذه العلاقة التنظيمية ؟ ..

ب - أعتبر الميثاق أن المنظمات الجماهيرية مثل « النفايات العمالية » والمهنية وروابط المثقفين ، « قاعدة طليعية » ، ونأمل فى تحديد المضمون التنظيمى لكلمة « قاعدة طليعية » وهل يعنى ذلك إن المنظمات الجماهيرية مستند إليها واجبات طليعية ؟ ..

السؤال الثانى :

تدعيماً لشبكة الإتصال فى المرحلة الحالية - وهى مرحلة بناء التنظيم - ألا ترون سيادتكم تخصيص مسئولين للتنظيم يقولون ما يشبه واجبات ضباط الإتصال فى الجيش ؟ ..

السيد الرئيس :

رأى بالنسبة للنقطتين اللتين أثرتهما ، أنه لا يمكن أن تكون العلاقة بين النفايات والإتحاد الاشتراكي مثل العلاقة بين منظمة الشباب والإتحاد الاشتراكي لسبب بسيط ، هو أن منظمة الشباب جزء من الإتحاد الاشتراكي والنقابات ليست كذلك ، هل قامت النقابات بالدور الطليعي الذي نص عليه الميثاق ؟ .. لا ، لأنه لا يوجد تلاحم بين الإتحاد الاشتراكي والنقابات .. فلكى توجه النقابات لتكون قاعدة طليعية فعلاً يجب أن يكون أعضاؤها الذين يبرزون فيها أعضاء حركيين نشطين في الإتحاد الاشتراكي ، وإذن فيجب أن نجد في داخل هذه النقابات الأفراد الذين تستطيع توصيلهم إلى النقابة ، وإلا ستجد إن النقابات مستقلة عنك ، ونحن نعلم أن الانتخابات التي تتم في النقابات لا يحضرها سوى مئات قليلة في الوقت الذي يكون فيه الأعضاء عشرة آلاف أو أكثر ، فالحل الوحيد أن يكون لنا تنظيمات داخل هذه النقابات ، وعن طريقها تتكون النقابة ، وبذلك تستطيع عن طريق العضو الحركي العامل في الإتحاد الاشتراكي ، الذي هو في نفس الوقت عضو في النقابة ، أن تحرك النقابة وتجعلها فعلاً طليعية .. أظن أنكم تسرون بهذا الشكل ؟ ..

أمين القاهرة :

هل يسرى على نقابات العامل نفس النظام ؟ ..

السيد الرئيس :

طبعاً ..

وبالنسبة للموضوع الآخر ، فقد تكلمت عنه في أول اجتماع هنا ، إن الإتصال بالمستويات الأدنى يجب أن يشمل الجميع ، ولا أستطيع أن أخصص له واحداً فقط ، فإذا خصصنا له ضابط إتصال يقوم وحده بالإتصال فكأنى سبأ عزل الآخرين عن الإتصال ، ولن نستطيع أن نقول إن عندنا وحدات أساسية أو وحدات مختلفة طالما أننا لا نعرف أعضاء الوحدات الأساسية بالاسم ، ونعرف المتحمس منهم والمتزمت الذي يعوزه الوضوح ، هذا الكلام سبق أن قلته في أول اجتماع ، وقلت أيضاً أن القائد لا يعطى تعليمات ثم يتركها بل عليه أن يحاول الإتصال والتفسير ، وبالذات القائد أى الأمين ، فيجب أن يتصل شخصياً بالوحدات الأدنى وإلا وجد نفسه معزولاً وبسط اكوام من الأوراق والملفات ، ولا يعرف شيئاً عن الذين يعمل معهم .

ثم إذا قسمنا المسؤوليات في المكتب وفقاً لتقسيم الأمانة ، فإن ممثل الشباب في مكتب القاهرة يجب أن يتصل بالشباب في الإنسان في الوحدات الأساسية ، وكذلك بالنسبة لممثل

الدعوة والفكر . وأيضاً بالنسبة لممثل العمال .. الخ فلن نستطيع تخصيص ضابطاً اتصال واحد .

كذلك أو أن أوضح مهمة ضابط الإتصال في الجيش ، فمهمته أن يعطى صورة تفصيلية ، ولكن هذا لا يمنع قائد التشكيل وإركان الحرب وهذه القيادة من الإتصال بكل الناس في القيادات الأخرى ثم إن تعيين ضابط الإتصال يجرى عادة في وقت الحرب أكثر منه في الأوقات العادية .

وبالنسبة للعمال والشباب الذين هم في الحرس الوطنى ، يجب أن نضعهم في اعتبارياً ونعطهم واجباً سياسياً ، ففى تقديرى إننا عن طريق الحرس الوطنى نختار الشباب ، ويمكن لقائد الحرس الوطنى أن ينسق علمه مع الأمانة ، لأن واجبه في الحقيقة سياسى ، وكذلك بالنسبة للفتوة أيضاً .

السيد المشير عبد الحكيم عام :

نحن نقوم بتوعية هؤلاء جميعاً أثناء التدريبات العسكرية ولديهم الإمكانيات ، ومخصص لهم في الميزانية أموال تنفق عليهم، ويمكن الإستفادة بكل ذلك في التنظيم .

أمين القاهرة :

ثانياً - فى إتجاه العمل التقيفى لتعميق أسلوب العمل الجديد : لقد بدأنا من أول مارس نقيم حلقات نقاشية لأعضاء المكاتب التنفيذية حول موضوعات متكاملة ، تخدم الأهداف المرحلية التنظيمية .

ثالثاً - دفع العمل السياسى لحل مشاكل الجماهير :

تستهدف الخطة لحل مشاكل الجماهير الإلتحام الكامل بين مكاتب الإنسجام والجماهير ، ويفرض حل مشاكلها ، وكسب ثقتها فى الإتحاد الإشتراكى واستعادة سمعته كمنظمة سياسية ، وقد بدأت مكاتب الأقسام فعلاً فى تلمس المشاكل الحقيقية للجماهير ، ثم اتصلنا بالسلطة التنفيذية وقد تم عقد مؤتمر فى الأسبوع الماضى إستمر خمسة أيام تقريباً ، حضره الأمناء والأمناء المساعدون لأقسام القاهرة جميعاً ، وجميع رؤساء المصالح والإدارات الخاصة بالقاهرة ، ونوقشت فيه مشاكل الأقسام كلها ، وأمكن حل جزء كبير منها ، وكان للأخ سعد زايد محافظ القاهرة فضل كبير لنا إبداء من روح التعاون التى سادت المؤتمر ، وقد خرجنا منه بثلاثة مكاسب رئيسية :

١ - اشعار الموظفين بواجبهم نحو حل المشاكل بعقلية سياسية .
٢ - يعتبر هذا المؤتمر نوعاً من ممارسة الرقابة الشعبية دون اصطدام مع المسؤولين في الجهاز التنفيذي .

٣ - تحمل الاتحاد مسئولية المشاركة في حل المشاركة بشكل عملي وتوضحت للأعضاء أبعاد وقدرات العمل .

وشنعقد المؤتمر القادم في مايو بعد ذلك كل شهرين بصفة دورية ، وسنرفع للأمانة العامة نتيجة تقييم هذا المؤتمر .

بعد هذا العرض ، أرجو أن تسمحوا لي بممارسة النقد الذاتي فيما يتعلق بنشاط مكتب القاهرة :

أ - لم تتمكن إلى الان من الوصول إلى القاعدة الشعبية ، وإن كنا قد وصلنا إلى قيادات الأقسام وإلى الجماعات القيادية في ثلث وحدات القاهرة ، ونرجو بعد استكمالها أن نعمل إلى القواعد الجماهيرية .

ب - لم نمارس الرقابة الشعبية للآن إلا من خلال المؤتمر الذي عقد مع الجهاز التنفيذي ، ونحن ننتهز فرصة وجود سيادتكم معنا لكي نتحقق من مفهوم الرقابة الشعبية في شكلها النهائي .

ج - ربما نكون قد اندفعنا نحو حل مشاكل الجماهير ، دون أن نتعمق في الأسلوب السياسي ، ونعطي مسئوليات للجماهير لتعبئتها حول مشاكل الإنتاج والإسراف ، خاصة في الوحدات الإنتاجية .

د - لم يذل حتى الآن الجهد المناسب لتنظيم النشاط النسائي على مستوى الأقسام باستثناء شرق القاهرة .

وفي ختام حديثي أرجو أن أقدم المسؤولين عن عن مناطق القاهرة ليدكر كل منهم في دقائق مثلاً من العمل السياسي داخل منطقته .

السيد الرئيس :

بالنسبة للرقابة الشعبية ، عندنا طريقتان :

أولاً: المجالس الشعبية التي نص عليها الميثاق ولم تنفذ حتى الآن .

ثانياً: عن طريق الاتحاد الاشتراكي ، فمثلاً أعضاء مجلس المحافظة المعينون سيتولى الاتحاد

الاشتراكى ، تعيينهم من الأعضاء الحركيين ، وعن طريقهم نستطيع أن نوجه مجلس المحافظة ونتفاهم مع المحافظة .

كذلك عن طريق أعضاء الاتحاد الاشتراكي في الوحدات التنفيذية أو الإنتاجية المختلفة ، نستطيع أن نعرف الانحرافات الموجودة والأعمال غير السليمة ، وتبلغ الأمانة العامة بها دون أن يكون لك أى احتكاك بمدير المصنع ، وبعد ذلك نستطيع أن نتفاهم مع السلطة التنفيذية ونقوم هذا الانحراف .

ولكن قبل أن ندخل في هذا العمل ، يجب أن نجتمع من داخل الاتحاد الاشتراكي أكبر عدد من المسؤولين عن الأجهزة التنفيذية والوحدات الإنتاجية .. الخ ، ونشعرهم بالرسالة الواجب عليهم أدائها ، وبعد ذلك ستركز العملية على دعوة رجال يؤمنون بها ..

هذه هي الطريقة التي أتصورها للرقابة الشعبية ، ولا أتصور أن الاتحاد الاشتراكي في أى مرحلة من المراحل يقيم رقابة على المحافظ ، أو على الإنتاج ، أو شيء من هذا القبيل ، ورقابة الاتحاد الاتحاد كما أوضحته لا تكون قاصرة على الأجهزة التنفيذية ، ولكن على كل الأعمال المضادة في البلد ، فمثلاً وصلتنا معلومات من التنظيم السياسى عن نشاط الإخوان المسلمي ، وعن المشتركين في تنظيمهم في منطقتي دمياط والمنصورة ، وذلك قبل كشف كل عمليات الإخوان .

أمين القاهرة :

أقدم الأخ شوقي عبد الناصر المسئول عن شرق القاهرة ، ليتكلم عن العمل السياسى في منطقته .

مسئول شرق القاهرة :

أحمل إلى سيادتكم تحيات إخوانى أعضاء الاتحاد الاشتراكي بمنطقة شرق القاهرة بأقسامها مصر الجديدة والزيتون والمطرية والوايلي ، وبوحداتها التى يبلغ عددها ١٩١ وحدة منها ١٤ وحدة سكنية .

بدأنا العمل باجتماع عقدناه مع المكاتب التنفيذية ، ووضعنا في اعتبارنا أنه لكى ينجح العمل السياسى ، لا بد أن نتبع الأسس التالية :

١ - يجب أن نربط ارتباطاً شخصياً بالقيادات الوثيقة الاتصال بأكبر عدد ممكن من القواعد الجماهيرية .

٢ - يجب أن نكسب أكبر عدد ممكن من الأصدقاء .

- ٣ - ألا يكون العمل السياسى محتكراً لفئة معينة .
- ٤ - أن نعمل فى المنطقة بأقسامها الأربعة ككل ، بغض النظر عن حدودها .
- ٥ - القيام بلقاءات متبادلة ودورية بين المكاتب التنفيذية وبين لجان الوحدات ، بهدف استكمال التنظيم .

وقد وجدنا ترحيئاً وتحمساً من الجماهير للعمل السياسى ، وليس المهم أن نبدأ العمل ، ولكن المهم هو الاستمرار فيه ، ولذلك وضعنا خطتنا على أساس الترتيب والتركيز ، على أن نسير بهدوء وبإصرار ضماناً للاستمرار فى العمل .

ورغم ثقة الجماهير بالنسبة للقطاع العام ، إلا أن هناك بعض التناقضات أود عرضها ، فإن بعض الأفراد الذين طبقت عليهم القوانين الاشتراكية أو الذين وضعوا تحت الحراسة يعملون الآن رؤساء وأعضاء مجالس إدارات للشركات ، وقد يؤدى هذا إلى أن تدار هذه المؤسسات الاشتراكية بعقلية رأسمالية احتكارية ، مع أن المفروض أن تدار بعقلية اشتراكية وبطريقة رأسمالية ، كما ذكرتهم سيادتكم أمس

السيد الرئيس :

أنا قلت إدارة رأسمالية وهذا يعنى التخلص من البيروقراطية .

مسئول شرق القاهرة :

هناك موضوع آخر يثير قلق الناس وتشاؤلهم ، وهو موضوع الانقلابات التى حدثت فى أفريقيا والمديرة بمعرفة الدول الاستعمارية ضد دول عدم الانحياز ، ويربطونها بمحاولات الانقلاب فى أندونيسيا ، ويرجو الناس مزيداً من الحرص والرقابة على الرجعيين وقد أن ذكرتم سيادتكم أن هذا العام هو أخطر أعوام النضال بالنسبة للأمم المتحدة ، كما يجب ألا ننسى أن الاستعمار كان وراء مؤامرة الإخوان الأخيرة . هذا ما أردت عرضه ، وشكراً .

السيد الرئيس :

بالنسبة لموضوع الانقلابات ، فإن المؤامرات لم تتوقف طوال الأربعة عشر عاماً الماضية ، وسنستمر طالما نحن مصممون على سياسة مستقلة غير تابعة لأى منطقة من مناطق النفوذ ، وأعتقد أن أحداث انقلاب هنا بواسطة الجيش عمل مستحيل ، ولهذا لاحظنا أن « الإخوان المسلمين » ابتعدوا عن الجيش حتى لا تكشف مؤامراتهم ، ونحن لا نكشف هذه العمليات فى الجيش بواسطة المباحث أو المخابرات ، وقد انكشفت كل العمليات بواسطة أفراد الجيش أنفسهم ، ولم يكن لها خطورة جديدة ،

وقد سبق أن اتفق الإنجليز سنة ١٩٥٧م الأموال لإحداث انقلاب ، ونعلم أيضاً أن السعوديين والحلف المركزي قاموا بتمويل الإخوان المسلمين لإحداث انقلاب ، وقد كان فيصل يماثل في موضوع اليمن على أساس ما كان يأمله في مقدرة الإخوان المسلمين على تغيير الأوضاع .

والحقيقة أن دول عدم الانحياز تمر بفترة عصيبة للخلاف الصيني السوفيتي ، وذلك بسبب أن الاستعمار استغل هذا الانقسام في المعسكر الآخر لتحقيق نجاح سريع ، مطمئناً إلى أنه لن تحدث له مواجهة على غلط الإنذار الروسي سنة ١٩٥٦م عندما تعرضنا للعدوان .

ومما أضعف دول عدم الانحياز أيضاً ، أن أمريكا تغير يوماً بالطائرات على فيتنام الشمالية وهي دولة شيوعية ، ولم يحدث رد فعل ولم يتقدم منقذ ولا مجيب ، وإذن ففي الإمكان أن تتعرض دول عدم الانحياز لنفس الشيء ، وإن كان رأى الصينيين مثلاً في هذا الموضوع - وهو ما ستظهر حقيقته على المدى الطويل - أن الأمريكيين وقعوا هناك في مأذق لن يستطيعوا الخروج منه .

كذلك دخلت أغلبية دول عدم الانحياز ف مشاكل اقتصادية نتيجة للضغط الاقتصادي . وبالإضافة إلى ذلك حدث انكماش في الاتحاد السوفيتي بعد سحب الصواريخ الروسية من كوبا ، وفي نفس الوقت تشجعت الدول الغربية وخصوصاً أمريكا على أساس أن تقوم بتصفية مواقع المقاومة بقدر الإمكان ، وكانت أول نتيجة لذلك عملية الكونغو حينما دخلوا بطائراتهم وبالجنود البلجيكيين لتصفية الموقف .

ومن الواضح الآن أن الاستعمار يريد أن يضعف الدول النامية أو دول العالم الثالث ، أو ما نسميه بدول عدم الانحياز وذلك حتى يدخل في روع العالم النامي كله أو مقاومة النفوذ الاستعماري أمر صعب ، ولهذا فالضربة التي لقيها نيكروما تعتبر ضربة قومية بالنسبة أن المتاعب والمشاكل تعترض كينيا وأوغندا ونجداً أيضاً أنهم بالنسبة للسودان أودوا تثبيت أوضاعهم وأيضاً بالنسبة لليبيا وتونس والمغرب .

وإذا نظرنا إلى آسيا نجد أن أساسه الصين قد أثرت فعلاً على معسكر عدم الانحياز في آسيا ، أو بالنسبة لأن أندونيسيا كانت قد انحازت إلى الصين انحيازاً كاملاً قبل العمليات الأخيرة ، ثم لقد أدى ضغط الغرب على كمبوديا إلى انحيازها للصين تقريباً ، ووجدت بورما أن الأفضل لها أن تترك الأمور الخارجية وتنكب على معالجة مشاكلها الداخلية ، أي أن دول عدم الانحياز تمر بفترة قلقه فعلاً .

وبعد الانقلاب الذي تم ضد نيكروما ، قمنا مع يوغوسلافيا بدعوة بعض دول عدم الانحياز

إلى الاجتماع في القاهرة أو في مكان آخر هذا الشهر ، لبحث الهجوم الاستعماري والضغط العنيفة التي تتعرض لها دول عدم الانحياز ، وحتى الآن لم تتأكد من موافقة كل الدول على عقد هذا المؤتمر ، فالهند مترددة ، وعهدة فهي تتخذ موقف التردد إلى أن تتحقق أن عدداً من الدول قد وافق ، وحينئذ تبنى وافقتها .

أما بالنسبة لنا ، فبعد سقوط نيكروما وانقلاب حزب البعث في سوريا ، تذكر كل التلغرافات الخارجية أن هاتين العمليتين تعتبران نكسة للجمهورية العربية المتحدة لأنها كانت في سبيل إقامة علاقات مع سوريا ، وهذا كلام غير صحيح ، فلم يحدث بيننا وبين السوريين أى كلام في هذا الموضوع ، وبالنسبة لنيكروما فإنه كان يتبع سياسة متحررة ، ويعتبرون سقوطه نكسة لنا لأن النظام الجديد هناك سيكون داخل النفوذ الاستعماري ، ولن تكون علاقتنا به قوية .

يصاحب ذلك موضوع الحلف الإسلامي الرجعي الموجود في الشرق الغربي أساساً ثم في الدول العربية إجمالاً ، وفي رأيي أن ذلك كله يسير في نفس المخطط الاستعماري ، والغرض منه تجميع الدول العربية وعزل مصر تحت ستار الإسلام ومقاومة الإلحاد والمبادئ الهدامة ، وفي رأيي أن الرجعية لن تستطيع أن تكسب شيئاً بالسير في الحلف الإسلامي ، لسبب بسيط جداً ، وهو أن خطوات الرجعية منسقة دائماً مع الاستعمار ، سواء بحلف إسلامي أو بدونه ، وواجبنا أن نكون متيقظين ، ونوضح للناس الأمور ، وأعتقد أن لدى الناس قابلية لتفهم الحقائق .

أما بالنسبة لمجالس الإدارات ، فلا ما نعم من إعادة النظر في هذا الموضوع على أساس استبعاد المنحرفين فوراً ، ولكن هناك رغبة للاستفادة منهم في النواحي الفنية في شركات أخرى غير شركاتهم ، وفي رأيي أن الكثير منهم يعمل ، ولم تحدث انحرافات كثيرة ، وإذا كانت هناك انحرافات في مناطقكم أبلغونا عنها تفصيلاً .

أمين شئون الأعضاء .

بالنسبة لموضوع الانقلابات ، هل يمكن تنظيم القوى التقدمية العربية التي أشير إليها في الميثاق ، وكيف ننظمها وهل يكون ذلك بطريقة وهل يك ن ذلك بطريقة سرية أو بطريقة علنية أو بتشكيل أحزاب ؟ ..

السيد الرئيس :

نحن نعمل على قدر الإمكان في هذا الموضوع ، ولكن الحقيقة أن الفردية متفشية جداً في العالم العربي .

تجد في العراق عدة تنظيمات تطلق على نفسها تنظيمات قومية ، كل ثلاثة أو أربعة يشكلون حزباً ، والجميع يرفعون شعاراً واحداً هو إسقاط حكم عبد السلام هارف ، وهو لا يريد التفاهم معهم وهم كذلك لا يريدون التفاهم معه ، أو مع بعضهم البعض ، وقد رأينا توحيد الجهود بقدر الإمكان ، ولكن هذه الأحزاب لم تتطور بعد .

وكنت قد تكلمت في موضوع الحركة العربية الواحدة ، وحصلت محاولة مع سوريا ، ولكنها لم تكن ناجحة بدليل أن الأحزاب عندما انضمت إلى بعضها البعض حدثت تناقضات وصراعات في الداخل ، ولكن ستأتي ظروف تحتم الالتحام ، وفي رأيي إلا يكون الالتحام مفتعلاً ، إذ أن ذلك سيؤدي إلى متاعب كثيرة ، وقد تعبنا مع السوريين الذين لجأوا إلينا بعد الانفصال ، فلا يريد واحد منهم أن يعمل مع الآخر ، كل منهم يريد أن يكون زعيماً ويعرض بالآخرين .

أمين شئون الأعضاء :

الشعوب في الدول العربية متعطشة للانتظام معاً .

السيد الرئيس :

علينا أن ننتهي من تنظيم أنفسنا أولاً .

مسئول المهنيين بمكتب القاهرة :

يمكننا أن نضع مقاييس وقواعد منطقية عملية لمن ستختارهم وعلى ضوء هذه المقاييس نختار هيئة تأسيسية للحركة العربية الواحدة ويكون ميثاقنا نواة لها . ونستطيع أن نواجه بها أى تكتل استعماري أو غيره ، وإذا لم تبدوا سيادتكم في عمل الهيئة التأسيسية فلا يمكن أن تقوم حركة عربية واحدة ، فالإجماع في الدول العربية أن سيادتكم ظاهرة كونية يجب الاستفادة من وجودها .

السيد الرئيس :

وبعد ذلك « يفرقونا » ؟ العملية ليست بهذه البساطة ، فالجماهير التي تؤيدنا في العالم العربي ضخمة جداً ، فلو عينا الهيئة التأسيسية ، فكأننا أخذنا قلة ولفظنا الأغلبية ، وستدخل في هذه العملية تيارات وعوامل لا أول لها ولا آخر ، ورأى أنه لم يحن الوقت للقيام بها ، ويجب أولاً أن تدخل الجماهير والقيادات العربية في المعركة العربية ، وتقتنع بحتمية كسب المعركة ، وقد قرأت ما كتبه أنت بعد عودتك من مؤتمر المحامين العرب في القدس ، كما استمعت إلى الأحاديث الرائعة التي قلت لي من كل من قابلتهم ، ولكن عند الاختيار للجنة التأسيسية فكل من لم يقع عليه إختيارك ، سيكون ضدك ، فإذا بدأنا الآن فكأننا نساعد

القوى الرجعية على تفتيت الجماهير العربية القومية الموجودة في كل مكان ، ولكن قد تحكم علينا المرحلة في وقت ما أن ندخل في عملية بهذا الشكل .

وقد بدأنا مع الطاب العرب بطريقة سرية ، وعندنا في مصر وفي أوروبا مجال كبير للطلاب العرب ، وهم صغار في السن لا يتطلعون إلى زعامة ولا قيادة أو ما شابه ذلك ، وبعد عشر سنوات سنجد بينهم النواة التي نستطيع الإعتماد عليها في جمع الجماهير القومية الموجودة . وطبعي أنك سمعت كلامك من عبد الله الرياوى ، لأن كلامك اليوم مشابه لكلامه ، وكذلك السامرائى وغيرهما ، ولكن التنفيذ صعب ، وقد يسبب لنا مشاكل كبيرة ، وهم يطلبون أن أقوم بالعمل ورأى أن هذه العملية عسيرة .. ومن يريد أن يعمل فليفضل .

مسئول جنوب القاهرة :

منطقة جنوب القاهرة مملوءة بالمصانع ، ولذلك حتمت علينا طبيعة المنطقة أن ننزل دائما للمصانع واحداً واحداً .

وتم ذلك فعلاً في عدد كبير من المصانع .. وبالتحاشي للجماهير دزت قضية أو عرضها أمام سيادتكم ، ففي بعض الوحدات الإنتاجية الكبيرة خلل وصل إلى حد الانحراف ، وقد ثبت ذلك لجميع أجهزة الرقابة في الدولة ، إلا أن تأخر البت فيه يعكس أثراً سيئاً على القاعدة .

السيد الرئيس :

أذكر لنا الموضوع بالتفصيل .

مسئول جنوب القاهرة :

في مصنع النصر للسيارات يوجد عجز في البضائع يقدر بمليون جنيه ثابت بأشرطة تسجيل وتقارير المحاسبين ، ويقال تعليلاً لذلك أنها بضائع في الطريق .

كذلك تجد هذا المصنع يتعامل مع المقاول بالقطاع الخاص بطريقة تثير الشبهات ويعطيه نقوده فوراً ، في الوقت الذي لا يصرف للقطاع العام إستحقاقاته إلا بعد إتخاذ الإجراءات القانونية ، وهناك سرقات تحدث وثابتة بالمستندات ، وعندنا بيانات عن الأشخاص رفعناها لكافة المستويات في الدولة ولم يتخذ فيها أى إجراء .

وإدارة الشركة القومية لإنتاج الأسمت لا تعامل موظفيها بحزم .. وفي مصنع النشا والجلوكوز بطره ، ضبطت بضاعة مشتراه بثمان مبالغ فيه ، ولم يتخذ أى إجراء ضد المسئولين ، ولما كانت المصانع متقاربة فإن هذه الأعمال تترك صدى لدى جميع العاملين

بالمصانع في المنطقة .

كذلك توجد تساؤلات من العمال بالنسبة للعلاوات الدورية ، والأرباح .

رئيس الوزراء :

بالنسبة للنقطة الأولى الخاصة بمصنع النصر للسيارات ، حقيقة أكثر من مرة ، وصلت إلينا هذه المعلومات ، والموضوع قديم وقد مضى عليه أكثر من سنتين ، وتغيرت قيادته ، وفي تقديري أن حل المشكلة يأتي عن طريق إعادة تقييم القيادات الموجودة في وحدات الإنتاج ، بحيث نضع شخصاً نطمئن إليه في كل وحدة من الوحدات لمباشرة العمل ، على أن نختار القيادة التي تستطيع وضع حد للمشكلة نهائياً .

السيد الرئيس :

أنه يقول أن هناك سرقات ، وليس من المعقول إذا ثبت ذلك أن تترك دون مسألة .

مسئول جنوب القاهرة :

عندنا كل الأسماء ، ونحن على أتم استعداد لمعاونة الجهاز التنفيذي معاونة كاملة .

السيد الرئيس :

هل توجد أدلة على السرقة ؟ ..

مسئول جنوب القاهرة :

لدى كشف بالجرد المخزني والجرد الدفتری ، ويتضح منه أن هناك رساللات بضائع كاملة غير موجودة .

السيد الرئيس :

أين ذهبت ؟ ..

مسئول الجنوب القاهرة :

لا أدري ، ولكن هناك « ورش » في شارع الفلكي تعتمد في وجودها على السرقات من شركة النصر للسيارات ، ويمكن لأي واحد التثبت من ذلك .

رئيس الوزراء :

ربما كان في كلامك الآن شيء جديد ، فأنا لا أعلم شيئاً عن الرساللات المفقودة ، ولكن عندي تقارير عن كيفية التعامل مع القطاع الخاص وإن هناك تلاعباً ، وطبعاً أجلبنا ذلك للتحقيق ، ولا أعلم نتيجته بعد ، ولكن في كثير من الأحوال نجد أن من يقوم بهذه الأعمال

يكون حريصاً على إعداد دفاعه مقدماً بحيث لا يمس التحقيق ، وبالنسبة للبضائع المفقودة ، فإن هذا الموضوع يدخل في إختصاص الجهاز المركزى للحاسبات ، أيضاً ، ثم يحال بعد ذلك إلى النيابة مباشرة إذا ثبتت الوقائع ، وإذا سمح السيد الرئيس فإنى سأطلع على ما لديه من معلومات جديدة .

وبالنسبة للعلاوات الدورية والأرباح ، فإننا تعلم أن الجمعية العمومية يجب أن تعتمد الميزانية ، وترى مدى تحقيق الشركة للأهداف ، ثم تقرر صرف الأرباح على مستويات معينة ، وكذلك العلاوات ، حسب الميزانية ووفقاً للاتحة العاملين .

مسئول جنوب القاهرة :

ثقتنا كبيرة جداً فى قياداتنا ، ونحن نضع تحت تصرفها كل ما لدينا من معلومات .

السيد الرئيس :

إعط ما لديك للأمين العام .

رئيس الوزراء :

فى رأى أننا مهما وضعنا من أنظمة ، فلا بد من الإعتماد على الأشخاص ، ربما لم نتمكن من اختيار قيادات سليمة فى الماضى ، ولكن يجب إجراء محاولة جديدة لتعيين قيادات يمكن الإعتماد عليها بعد التجربة للطويلة التى مرت بنا .

مسئول غرب القاهرة :

منطقة غرب القاهرة تشمل أقسام السيدة زينب وقصر النيل وعابدين والأزبكية وبولاق ، وبها ٣٨٠ وحدة أساسية بين جماهيرية وسكنية .. وتتركز فى هذه المنطقة معظم وزارات الحكومة ومصالحها ومؤسساتها ، وكذلك معظم البنوك ودور النشر ، والمناطق السياحية الهامة ودور اللهو والمسرح ، وكلها أماكن تجمعات جماهيرية ، وقد بدأنا بمسحها تنظيمياً ، ووضعنا شبكة مواصلات سريعة بين الوحدات والقيادات .

وبالنسبة للمشاكل ، فإننا نقدر أن واجبنا هو المشاركة مع الجهاز التنفيذى فى حلها ، وقد تمكنا بالفعل من حل كثير منها ، ولكن هناك مشاكل ليست على مستوى المحافظة ، فمثلاً توجد فى تلال زينب وفى السيدة زينب مدينة من الأكشاك والخيام البالية ، يقيم بها حوالى ٨٠٠ أسرة ممن هدمت منازلهم ، وعجزوا عن أن يجدوا مساكن - هذا بالإضافة إلى مائة أسرة أخرى تعيش فى كهوف أو مقابر مجاورة لتلال زينب ، وإنى أرفع الأمر للسيد الرئيس راجياً أن تقام فى مكان الخيام مدينة سكنية لهم ضمن مشروع ناصر للإسكان فى السنة المقبلة .

الموضوع الأخير يمس قطاعاً ضائعاً في الشعب ، وهم الأرمامل واليتامى والعجزة الذين لا عائل لهم ولا مصدر للرزق إطلاقاً ، وكان قد صدر قرار جمهورى بتنظيم معاشات لهم على مدى خمس سنوات ولكن الإعتقاد وقدره ٦٠٠ ألف جنيه من ميزانية وزارة الخزانة عام ١٩٦٦/٦٥م ونخشى أن يتكرر الحذف ، فباسم هؤلاء أرجو أن تمس سدم الكريمة هؤلاء الناس . فتدخل الفرحة إلى قلوبهم .

السيد الرئيس :

هل كان إعتاد ال ٦٠٠ ألف جنيه لهذه الفئة في الدولة كلها أم للمستحقين في قسم السيدة زينب فقط ؟..

مسئول غرب القاهرة :

للدولة كلها .

رئيس الوزراء :

هل هذا المشروع خاص بالضمان الإجتماعى ؟..

مسئول غرب القاهرة :

نعم .

السيد الرئيس :

موضوع الإسكان لا أدرى لماذا سموه مشروع ناصر وفي الحقيقة لدينا في القاهرة مشكلتان أساسيتان متفاقتان ، مشكلة الإسكان ومشكلة المواصلات ، ويجب عليهما ، وما زالت خطة السنة القادمة تحت الدراسة ، وسنتظر الإعتاد الذى نستطيع تخصيصه للإسكان ، ولكن إذا أمكنكم إنشاء جمعيات تعاونية للإسكان ففى ذلك مساعدة لنا ، وكل زيادة في المدخرات تمكننا من زيادة المباني والواقع إننا إذ لم نجد حلاً لعدم التوازن الإقتصادى ، عندنا - وهو نتيجة لزيادة الطلب عن العرض - فإن مشاكل الغلاء عندنا وستختفى السلع وتكون هناك سوق سوداء ، وعلى هذا الأساس إذا شجعنا الإدخار واستثمرنا المدخرات في بناء مساكن ، على أن تكون لكل مدخر الأولوية في الحصول على مسكن بالترتيب ، فإننا بذلك نقدم مساعدة كبيرة في هذا الشأن ، ونحن لن نستطيع في فترة قصيرة إن نقضى على كل المآسى الموجودة في المجتمع ، ففى القاهرة - وليس الأمر قاصراً على زينهم - توجد مئات البيوت من الصفيح في الشراية وكذلك عند مدخل الإسكندرية مئات البيوت من الصفيح ، وتوجد عائلات تعيش في حجرة واحدة ، فضلاً عن أن باب الهجرة مفتوح للقاهرة. حتى يتجاوز عدد سكانها أربعة ملايين ، وسيزيد العدد باستمرار ، وسنحاول دائماً أن نزيد المساكن

في منطقة الأخ عاطف في الخطة القادمة للإسكان فنستفيد من المساحات الخربة في منطقة الموسيقى ما لم تكن موقوفه أو حكراً .

مسئول وسط القاهرة :

ثمن المتر من الأرض في منطقة الموسيقى مرتفع جداً ، ولو أمكن بناء عمارات عالية فإن الإرتفاع الرأسى يعوض غلاء الأرض ، أما في المناطق فقها مساحات واسعة من الأرض .

السيد الرئيس :

في هذه الحالة يمكن البناء في الدراسة ، فيستفيد منها الذين في الموسيقى .

مسئول شمال القاهرة :

منطقة شمال القاهرة التي تتكون من أقسام شبرا والساحل وروض الفرج ، بها عدد ١١٣ وحدة جماهيرية و ١٥ وحدة سكنية ، والمشكلة الظاهرة في هذه المنطقة هي تزايد السكان ، إذ يبلغ تعدادها مليون نسمة .

وبالنسبة لعمل المكاتب التنفيذية في هذه الأقسام ، فقد قمنا بتنفيذ خطة العمل التنظيمي التي وضعها المكتب التنفيذي للمحافظة . وهي الوصول إلى القاعدة الشعبية تمهيداً لإختيار القيادات ، وقد تم تحقيق ذلك في ٢٥٪ من الوحدات ، أمى اننا وصلنا إلى تكوين الوحدات الجماعية بالإشتراك مع اللجان النقاية وأعضاء مجالس الإدارة المنتخبين ووحدات الإتحاد الإشتراكي وبعض العناصر النشطة .

وفي أثناء التحامنا بالجماهير ، برزت لنا مشكلة سوق الخضر والفاكهة ، ولها ثلاثة وجوه : أولها يتعلق بالعاملين بالسوق والثاني بالمستهلكين ، والأخير بنجار التجزئة .

وخرجنا بفكرة تكوين جمعية تلمساوية لتسويق الخضر والفاكهة ، وتم ذلك فعلاً ، وشكل مجلس إدارتها من العاملين أنفسهم الذين هم في نفس الوقت من المساهمين ، ونأمل أن تصل السلعة إلى المستهلك بالثمن المحدد دون تلاعب .

أمين القاهرة :

الأخ عاطف عبده سعد المسئول عن منطقة وسط القاهرة .

مسئول وسط القاهرة وهي تتكون من ستة أقسام ، الجمالية وباب الشعرية والترب الأحمر والخليفة والموسكى والظاهر ، وتتشابه طبيعة هذه الأقسام لأن تاريخها يرجع إلى أكثر من ألف عام ، وكثير من مساكنها آيل للسقوط ، وهناك مناطق لم تصلها المرافق العامة مثل المجارى والكهرباء ، هذا هو الوضع في المنطقة التي ستتحرك عليها تشكيلات الإتحاد

الإشتراكى موزعه على ١٤ وحدة سكنية و ٧٩ وحدة جماهيرية .

وقد تم الإتصال باللجان فى هذه الوحدات ، كما تم التعرف على العناصر القيادية تمهيداً لربطها بالمكاتب التنفيذية فى هذه الأقسام .

قمنا بحل أكصر المشاكل بالمنطقة فى اللقاء الذى تم مع المكتب التنفيذى والسيد المحافظ والمسئولين عن المحافظة ، أما بقية المشاكل فإن حلها يأتى عن طريق التعاون لأنها تتعلق بصغار المراقبين .

أمين الجيزة :

أستاذ سيادة الرئيس فى طرح سؤال عامر بخاطرى بسبب ما أثاره الزملاء من مشاكل . السؤال يدور أساساً حول شعار الحل الذاتى الذى أطلقه الإتحاد الإشتراكى فى تنظيمه الجديد ، ونرجوا أن تفضلوا مشكورين بتوضيح كامل لهذا الشعار ، فى ضوء التوجيه الذى تفضلتم بتوجيهه إلى مكاتب الوجه القبلى ، أن يكون عملياً سياسياً ولسنا موظفين .

السيد الرئيس :

الكلام الذى ذكرته لإخواننا فى الإجتماع الأخير ، كان نتيجة لما لاحظته من أنهم يتجنبون الدخول فى بعض المواضيع التى أشعر أنها تدور بخاطر الناس فى كل مكان ، فكان طابع الإجتماع تنفيذياً أكثر منه سياسياً ، ولهذا ذكرت هذا التعليق ، ولكنى أذكر أيضاً - إن لم تخنى الذاكرة - إنى قلت إن القيادة هى معرفة مشاكل الجماهير وإيجاد حل لها ، بشرط ألا يقتصر عملنا على المشاكل ، وإنما يجب أيضاً أن نكون سياسيين ، ونلمس المواضيع التى يتكلم فيها الناس لناخذ أفكارهم وآراءهم ونرتبها ثم نعيدنا إليهم ثانية ونفسرها لهم .

وتكلمت أيضاً فى هذا الإجتماع عن الحلول الذاتية فى المناطق المختلفة ، على أساس أن يقوموا بأنفسهم بحل أى مشكلة يستطيعون ، أو يحلونها بالإشتراك مع الأجهزة التنفيذية ، وفى رأى أن هذا سهل من عملهم السياسى أيضاً ، ذلك لأنه إذا إقتصرت الكلام على السياسة قلن ننجح ، وكذلك إذا إقتصرت العمل على حل المشاكل قلن ننجح أيضاً ، فيجب أن نمارس المهتمين فنعمل كسياسيين قادرين على التأثير فى الجماهير والتأثر بها ، وفى نفس الوقت ننشط على أساس أن تحس الجماهير أننا نعرف مشاكلها ونجد الحلول لها .

وقلت أيضاً فى هذا الإجتماع أن كثيراً من المشاكل التى أثاروها كان من الممكن إبلاغها للأمين العام والتفاهم على حلها ، على أن يركزوا كلامهم فى مثل هذا الإجتماع على الأمور السياسية الكبرى .

وفى رأى أن الحلول الذاتية على المستويات المختلفة قد تربك لنا الأمور ، فموضوع الجمعيات التعاونية مثلاً أو تجارة الجملة قد يستطيع مكتب تنفيذى إيجاد الحلول المناسبة لها فى المحافظة ، مع أن هذه المشاكل يجب أن تحل على مستوى الجمهورية كلها .

ولذلك أرى أن يسبق العمل بالحلول الذاتية لمشكلة من هذا النوع تنبيه عنها ، بحيث يكون هناك توحيد فى العمل فى جميع البلاد حتى نتلافى ما قد يحدث من تناقضات فى هذا الحل ، وتجارة الجملة مسألة ملحة .. ومنذ سنة أو ستين ونحن ندرسها ولكننا لم نتخذ فيها إجراء بعد ، ثم رأيت أن بعض المكاتب التنفيذية فى محافظات الوجه القبلى قد تدخلت فى تنظيم تجارة الجملة ، ومع أنى لا أعلق على هذا ، إلا أنى شعرت بنوع من القلق .. حقيقة أنهم قد تمكنوا من تحقيق بعض الفوائد على المستوى المحلى ، ولكن ماذا سيحدث على المستوى المركزى الكبير ؟ .. هل تستطيع الجمعيات الاستهلاكية أن تقوم بعملية تجارة الجملة ؟ .. لا أتصور أن العملية ستكون بهذا الشكل ، هذا الموضوع لم أعلق عليه ، ولكن عندما فكرت فى الأمر بعد ذلك رأيت أنه حل وقتى ليس منه ضرر .

وفى رأى بالنسبة لما ذكر اليوم عن الجمعيات التعاونية الحرفية أن ينظم هذا الموضوع على مستوى أكبر ، أى بين أمانة الاتحاد الإشتراكى والأجهزة التنفيذية .

هناك عمليتان نستطيع القيام بالحلول الذاتية فيهما ، الأولى عملية المساكن التى تكلمت عنها ، وهى عملية يسره جداً ، فيمكن تشكيل أى جمعية تعاونية ، والقوانين التى تنظم ذلك موجودة .

العملية الثانية - ولو أنى لا أنصح بالبدء بها الآن وأنصح بتأجيلها لفترة قليلة ، ولكن أرجو أن نفكر فيها - هى عملية الصناديق الإجتماعية بالنسبة للأحياء المختلفة ، ولها أيضاً قانون ينظمها ، ولكن السبب فى تأجيلها هو الخوف من احتمال حدوث تلاعب فيها ، ولكن بعد إكمال تنظيمات الاتحاد الإشتراكى نستطيع أن ننشئ فى الأحياء المختلفة صناديق إجتماعية ، تستفيد منها العائلات المحتاجة التى تكلم عنها الأخ عاطف والأخ عبد الحميد مصطفى ، والغى طلبنا من الحكومة رعايتها .

أما المشاكل التى لم يوجد لها حل ذاتى ، والتى لم يتيسر للأمانة حلها ، وترون أن تحاط بها علماً فلا مانع من إثارتها فى الاجتماع ، فمثلاً الوصف الذى ذكره الأخ عبد المجيد مصطفى من مساكن زينهم ، والوصف الذى قاله الأخ عاطف عن الجمالية فأنا أعتبر أنه ليس هناك ما يمنع من الأمام بمثل هذه الأمور ، فقد تكون لدى فكرة عن بعض المشاكل الموجودة ، ولكن مهما حاولت فلن أستطيع أن ألم بكل صغيرة وكبيرة .

وبالنسبة للمصرية هل انتهت مسألة المجارى بها .
أمين المكتب التنفيذى للمطرية :
إنتهت هذا العام .

السيد الرئيس .

كنت ألاحظ من سنتين أو ثلاث أن الشوارع مسدودة ، والمجارى محفورة ولم يكن هناك عمل ، فعملية بهذا الشكل تأخرت ثلاث سنوات فى مثل هذا المكان ، يمكن أن نبحث عن أسباب التأخير .

إن موضوع الحل الذاقى قد يكون موضوعاً متطوراً ، لأنك عندما تتصل بالناس ، وتتصل بالأجهزة التنفيذية ، مثل ما حدث فى التجربة التى باشرتوها فى القاهرة ، فقد توفروا علينا كثيراً من الجهود بالنسبة للمشاكل التى يتيسر حلها دون تدخل منا .

وكما قيل اليوم فإن المشاكل فى ازدياد مطرد ، لأنه كلما ارتفع مستوى المعيشة زادت المشاكل عادة ، فمثلاً الذى يسكن فى حجرة يتطلع إلى السكنى فى ثلاث ، ومن يسكن فى الباطنية يتطلع إلى السكنى فى الظاهر ، ومن يسكن فى الظاهر يتطلع للسكنى فى الزمالك .. الخ .

وبالنسبة للشقق المفروشة ، هل تؤجر المساكن الشعبية مفروشة ؟ ..

مسئول شمال القاهرة :

المساكن الشعبية لا تؤجر مفروشة ، ولكن المساكن المتويطة مثل مساكن النيل قد تؤجر مفروشة .

أمين القاهرة :

السيدان فاروق غلاب ، والدكتور رفعت المحجوب لهما الإستفسارات فى مواضيع سياسية .

مسئول المهنيين بمكتب القاهرة :

إن شاه إيران يعمل على طمس عروبة منطقة الخليج العربى فىعمل على توطين مجموعات غير عربية هناك بمساعدة الإستعمار والأمراء الرجعيين ، وأرى أن تتصل الجمهورية العربية المتحدة بهؤلاء الأمراء ، وتوضح لهم خطورة هذا العمل ، ومن لا يتصيح منهم تتولى أجهزة الإعلام كشف أمره أمام الشعب العربى فى المنطقة .

السيد الرئيس :

بالنسبة لإمارات الجنوب العربى ، الحقيقة أن سياسة إغراق هذه المنطقة بالإيرانيين سياسة إنجليزية أصلاً ، وكذلك فإن إيران لها أطماع فى هذه المناطق بإعتبارها غنية بالبتروى ، وأرى أن وسائل الإعلام عندنا تتولى هذا الموضوع ، وبخاصة ركن الخليج فى صوت العرب .

وبالنسبة للجنوب ، أظن أن هناك جهوداً تبذل لتوحيد الحركات التحررية ولو أنهم سببوا لنا كثيراً من المتاعب ، وبالنسبة للخليج فقبل أن نعمل على توحيد الكفاح يجب أن نوجده أولاً ، فلا يوجد الآن كفاح مسلح فى منطقة الخليج ، بإستثناء منطقة ظفار ، وما يقال عن كفاح عمان غير صحيح ، فالهم أولاً إيجاد المناضلين الذين يمكنهم القيام بكفاح مسلح ، ثم بعد ذلك نوحّد الحركة ، وفى الحقيقة هناك فمع كبير للحركات الوطنية فى هذه المنطقة ، ولكننا نسير فى هذا الطريق خطوة خطوة .

السيد الرئيس :

الحديث بيننا وبين السعودية مستمر بالنسبة للجنة السلام ورأى أنه لا فائدة فى مؤتمر حرص ، إلا إذا كان هناك إتفاق على الأسس بيننا وبين السعودية ، وبغير ذلك فلا فائدة من إجتماع مؤتمر حرص ، إلى أن ترى مدى ما تصل إليه مع السعودية فى المفاوضات الجارية ، وإذا إنعق مؤتمر حرص دون الإتفاق على الأسس ، فقد يستمر شهراً ثم يفشل ، وما دام فشله محققاً فلا داعى لإتباعه ، وفى نفس الوقت نحن نعدل إوضاع قواتنا فى اليمن ؛ بما يمكننا من تخفيض جزء كبير منها ، ونستطيع البقاء هناك مدة أطول ، لأن الملك فيصل فى تصورنا يعتقد أن لنا قوات كبيرة فى اليمن ، وإنها تكلفنا أكثر مما نطبق إقتصادياً ، مما يضطرنا إلى التسليم والإنسحاب من اليمن دون قيد أو شرط ، وهذا نفس ما يعتقد الإنجليز ، وهذا ما دعانى إلى القول بأننا سنظل فى اليمن إلى ما بعد سنة ١٩٦٨م ، بحيث إذا كان الإنجليز يشجعون الملك فيصل ، على بقائنا فى اليمن فنشرعهم بأن بقاءنا فى هذه المنطقة خطر على مصالحهم ، وكل ما أستطيع قوله الآن ، أن موقف السعودية غير واضح .. هل تريد الإتفاق أولاً تريده ؟ .. ولكنى أشعر أن السعودية خائفون من إستمرار وجود الجيش فى اليمن ، فهم لا يخافون من الجمهوريين اليمنيين ولا يخافون من الثورة اليمنية بقدر خوفهم من الوجود المصرى فى اليمن ، وكذلك الإنجليز فإنهم يخافون من الوجود المصرى فى اليمن لما له من تأثير على الجنوب ، وعلى منطقة عدن ، وبالتالي سيؤثر مستقبلاً على منطقة الخليج .

أمين القاهرة :

باسم إخوانى أعضاء المكتب ، وأمناء الأقسام ، نتقدم بالشكر لسيادتكم على الوقت

الطويل الذى أمضيتموه معنا ، ونأسف لأننا إستغرقنا يومين كاملين من وقتكم الثمين ، نكرر الشكر ووفق الله خطاكم .

د . أسامة رفعت :

النقطة التى أثارها الدكتور رفعت المحجوب حول النقد وحرية الفكر تصادفها بشكل واضح فى الجامعة ، والرد عليها موجود ، ونحن نذكره فى جميع المناسبات ، كدليل على حرية الرأى والفكر هو الحوار الذى دار فى اللجنة التحضيرية بين سيادتكم وبين السيد خالد محمد خالد ، كذلك الندو ، التى عقدتها سيادتكم مع منظمة الشباب فى حلوان ، وأرى أن تداع بالتلفزيون بين الحين الآخر .

كذلك هناك ندوات نقيمها فى الجامعة ، وتشجيعاً للشباب على حضورها يستحسن دعوة أحد السادة أعضاء الأمانة أو أحد السادة أعضاء اللجنة التنفيذية العليا بصفته ضيف شرف ، فإن مجرد الإحساس بحضوره سيزيد من إقبال الطلاب على هذه الندوات .

وبالنسبة للطلاب فى الخارج ، أرى ضرورة النظر فى إعادة تشكيل المكاتب الخاصة بالمبعوثين ، إذ يجب اختيار المستشارين الثقافيين من التنظيم السياسى .

السيد الرئيس :

على كل حال فنحن ما زلنا فى البداية ، وكلما امتد بنا الوقت فى التنظيم ، سنلمس نتائج عملية وواقعية فى كل ميدان من الميادين ، وأرى أن من المهام الأساسية للقيادة فى المحافظات والمكاتب التنفيذية ، أن تكشف الناس الذين يصلحون لسد الفراغ الموجود فى مختلف النواحي ، ولا تقلق ولا نشكو لأن ذلك لن يفيدنا ، وإنما العمل هو الذى يفيدنا .

وإن شاء الله نراكم فى الإجتماع القادم ، وأرجو أن تفتحوا أمامنا مجال الكلام ، فقد تعرضنا اليوم لمشاكل باب الشعرية والجمالية ورغم إنها مواضيع هامة ، إلا أنى أقول إن إجتماعاتنا أساساً سياسية إذ عندما يكون لدى الناس وضوح من الناحية السياسية ، فإنهم يستطيعون تفهم سبب بعض المشاكل الموجودة ، مثل المباني الآيلة للسقوط ، وعدم قدرتنا على إعادة بنائها ، وإذا لم يكن لدى الناس وعى سياسى ، فلن تستطيع إقناعهم بما تقول .

أشكركم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

التنظيمات السياسية فى مدركات عبد الناصر

إن إقامة ديمقراطية سليمة معناها أننا لا نمكن ديكتاتورية رأس المال ولا ديكتاتورية الإقطاع من أن تتحكم فىنا تحت اسم الديمقراطية .. ديمقراطيتنا السليمة .. كل الفئات ديمقراطية الشعب العامل كله .. هذه الديمقراطية ستكون لكل الشعب ليست ديمقراطية لفئة قليلة لأن ديمقراطية الإقطاع ورأس المال هى ديمقراطية فئة قليلة من الشعب .. هى الأقلية التى تحكم وتتحكم فى الأغلبية .

(اللجنة التحضيرية ٢٥/١١/١٩٦١ م)

سنقيم حياة نياية على استخراج ثرواتنا وعلى استثمارها وعلى رد عادية الفقر عن الفقراء والصغار من أبناء أمتنا .. حياة نياية تحررنا من التبعية والعبودية والإنقياد للأقوياء الذين يريدون أن يتحكموا فى مصائرنا وأن يقودونا وراءهم ، ومع ذلك فإننا لن نعيد الحياة القديمة التى ترعرع فى ظلها الإقطاع ونما فى عهدها الإحتكار وسيطر بفضلها رأس المال على الحكم .. إن الحياة النياية كانت بورصة الأحزاب تزايد فيها وتناقض وتساوم فيها وتتجر فى أرزاق الشعب وأقواته .

نريد أن نقيم تنظيماً شعبياً ليحمى هذه الثورة التى لها عشر سنوات .. ونريد أن نهدم أوضاع آلاف السنين ونقيم أوضاع جديدة قد تحتاج إلى عشرات أو مئات السنين ..

وحيثما نقول الشعب فإننا نعنى من هو الشعب الذى لمصلحته تقوم الاشتراكية .

نريد أن نقيم مجتمعاً جديداً .. وهذا المجتمع نبني اقتصادنا فيه على أساس من العدالة الإجتماعية لأجل الشعب الذى قاسى من ديكتاتورية رأس المال ومن ديكتاتورية الإقطاع ومن الإستغلال بكل معانيه .. من هو الشعب الذى قاسى .. من هو الشعب صاحب المصلحة الأصلية فى الاشتراكية .. نجد العمال .. الفلاحين .. بعد ذلك توجد الطبقة المتوسطة يدخل ضمن الطبقة المتوسطة الرأسمالية الوطنية .. يدخل ضمن الطبقة المتوسطة النجار .. الراجل الذى يعمل فى محله هو وأولاده ، يدخل أيضاً ضمن هذه الطبقة المهنيون .. الأطباء .. المهندسون .. المحامون .. المحاسبون .. إننا نقول ونوضح لهذه الطبقة المتوسطة أن مصالحها مرتبطة مع مصالح الشعب ومصالح العمال والفلاحين أكثر مما هى مرتبطة مع مصالح الطبقة الإقطاعية الرأسمالية ..

(المؤتمر الوطنى ٣ ديسمبر ١٩٦١ م)

سنعمل اشتراكية .. الاشتراكية حياة ، والاشتراكية عدالة اجتماعية ، والعدالة الاجتماعية معناها أنتى أخذت من الغنى وأعطيت الفقير وأعدت توزيع الثروة .. فى إعادتي لتوزيع الثورة من هو الشعب ؟ هو عبارة عن جميع الفئات التى تساند الثورة الاشتراكية وتساند الثورة الاجتماعية والبناء الاشتراكي ، إذن أما نيجي النهاردة ونقول كل الحرية للشعب وكل الديمقراطية للشعب لازم أحدد وأفرز وأفصل وأخصص إيه هى قوى الشعب العاملة ، إيه هو الشعب ، مين هو الشعب اللي الثورة الاجتماعية تصل من أجله ومين هم أعداء الشعب ؟ أعداء الشعب هم جميع القوى والجماعات التى تناهض هذه الثورة الاشتراكية والثورة الاجتماعية واللى هدفها طبعاً القضاء على هذا النظام الاشتراكي والعودة إلى نظام رأسمالي أو مستغل أو نظام مبني على أساس ديكتاتورية رأس المال .

(الاجتماع الأول للجنة التحضيرية)

وطبعاً عدم تنظيم القوى الاشتراكية معناه ببساطة إن القوى الرجعية اللي بتمثل الحزب الرجعي الموجود فى البلد هى القوى الرجعية تستطيع أن تستقطب جزء من الشعب العامل جزء من العمال .. جزء من الفلاحين .. جزء من الناس اللي مصالحهم الحقيقية مع الاشتراكية .

التنظيم السياسى فى مصر هو الإتحاد الاشتراكي يمثل تحالفاً لقوى الشعب العاملة يضم داخله أكثر من طبقة ولكنه يسعى بالكفاية والعدل نحو تذويب الفوارق بين الطبقات .

إن الإتحاد الاشتراكي العربى هو تنظيم سياسى يسعى إلى أن يحقق ويضمن وضع سلطة الدولة فى يد تحالف قوى الشعب العاملة وفى خدمتها .

(مؤتمر الإنتاج ١٨/٣/١٩٦٦ م)

قوى الشعب العاملة التى تحالفت .. العمال .. والفلاحين .. الجنود .. المثقفين .. الرأسمالية الوطنية .. هى التى قضت على التحكم الإقطاعي وتحكم رأس المال وهى التى قضت أيضاً على الإستعمار وعلى الإحتلال البريطاني وهى التى ضحت وهى التى قدمت أرواحها . (العيد الثالث لبدء بناء السد العالي ٩/٢/١٩٦٣ م)

هناك فرق بين التناقض اللي بيكون بين الأصدقاء والناس الأقربين إلى بعض التصادم اللي هو بين الأعداء .. هذا التناقض بنعبر عنه أنه تفاعل ، حيوستمر التفاعل .. فالتناقض بين الفلاحين والعمال سيستمر والتناقض من جانب بين الفلاحين والعمال والمثقفين أيضاً سيستمر ، والتناقض مع الرأسمالية الوطنية سيستمر .. لكن كل دول بعض بيتصارعوا مع تحالف الإقطاع ورأس المال المستغل .

برضة القوى الى إحنا قلنا عليها قوى الشعب العاملة ما هياش قوى متصادمة .. ما هياش أحزاب يعنى .. ولكن برضه رغم هذا حيقى فيه نواحى طبقية هذه النواحى الطبقية الى بتمثل التناقض الى علينا إننا نحلّه بالوسائل السلمية .

(مباحثات الوحدة الجلسة الختامية ٩/٤/١٩٦٤ م)

إيه الحكمة ؟ ليه ٥٠٪ إحنا نرجع مرة ثانية نقول فى حكم الطبقة : مين الى كانوا تعبانين ومستغلين ؟ مين الى كان يشتغل ويأخذ نتيجة عرقه الثانى ؟ .. العامل والفلاح .. الأرض هى بتساوى حاجة من غير الفلاح إذا ما زرعواهاش الفلاحين يقدر هو يجيب نتيجة ؟ .. العمال هم الى يشتغلوا فى المصنع وصاحب العمل هو الى ييحقق فى آخر السنة نصف أو ربع مليون جنيه ربح وإذا العمال ما اشتغلوش مش حيقدر يدور المصنع .. العمال هم الى تسببوا فى الأرباح ، إذن العمال والفلاحين باعتبارهم العنصر الإنسانى أو القوى البشرية فى الإنتاج كانوا يقاسون من الإستغلال وكانوا محرومين إلى أقصى حدود الحرمان كانوا محرومين من حرية الخبز ..

لا يمكن المساواة بين واحد مش لاقى يتعشى وبين واحد عنده .. ألف جنيه .. علشان كده قلنا حرية الخبز وهى ضمان حرية تذكرة الانتخابات .. لأن الى مش لاقى يتعشى حيبص صوته بعشرة قروش أو خمس قروش .. لكن إذا كان مطمئن على يومه وعلى غده وعلى مستقبله وأصبح حراً وسيد نفسه موش ممكن بيعص صوته .. الحاجة الى تحلى الواحد بيعص صوته لحد ثانى إذا قدرنا نقضى على هذه الحاجة نبقى حققنا فعلاً الديمقراطية السياسية .. لازم نعمل لتوفير عمل لكل واحد نعطي ضمانات لكل فرد الحرية مش أبداً البطاقات كما كان قبل ذلك .. لا يمكن أن تكون هناك حرية أو ديمقراطية فى البلد إلا إذا كان الفرد قبل ذلك حراً .. الفلاح مش ممكن يكون حر وهو يقاسى من الإقطاع بيعمل فيه كيف يشاء ، والعامل أيضاً لا يمكن أن يكون حر حينما يكون صاحب العمل قادر على أن يقطع عيشه فى أى وقت ..

هذه هى الحرية والديمقراطية الحقيقية ، أما الديمقراطية التى عشناها قبل ذلك بعد دستور ١٩٢٣م حتى ١٩٥٢م فهى ديكتاتورية تحالف الإقطاع مع الرأسمالية ، وهى تحكم الطبقة الواحدة طبقة أصحاب المصالح وطبقة الرأسماليين المستغلين والإقطاعيين ، علشان كده هل فيه فلاح دخل البرلمان ؟

أنا إتكلت فى هذا الموضوع باعتبار ده هو أساس الديمقراطية بل أنا باعتبار أهم نقطة فى الميثاق هى النقطة بتاعة ال ٥٠٪ ..

(جلسة المؤتمر الوطني ٢٦ مايو ١٩٦٢م)

إن هذا التنظيم الشعبي يتمثل في إقامة الاتحاد الاشتراكي العربي الذي يجب أن تتوفر له عدة خصائص تستمد ملامحها من التجربة والأمل ومن ظروف النضال الوطني في مرحلته المعاصرة الخطيرة .

أولاً : إن الاتحاد الاشتراكي العربي يجب أن يكون هو الإطار السياسي الشامل للعمل الجماهيري لقوى الشعب المتحالفة .

ثانياً : إن الاتحاد الاشتراكي العربي يتخذ الميثاق دليله في العمل باعتباره حصيلة التجربة وأصل ونتيجة لأرادة شعبية حرة ..

ثالثاً : إن الاتحاد الاشتراكي العربي هو بناء جماهيري كامل تقيمه الجماهير الثورية ديمقراطياً وتقوده بآمالها ليكون أداها بعد ذلك في قيادة العمل الوطني .

رابعاً : إن الاتحاد الاشتراكي العربي هو التجسيد الحي لسلطة الشعب التي تعلو جميع السلطات وتوجهها في كافة المجالات وعلى جميع المستويات .

خامساً إن الاتحاد الاشتراكي العربي يتحتم عليه أن يكون الدرع الحامي لضمائم الديمقراطية السليمة .. وفي مقدمتها النسبة المكفولة لتمثيل الفلاحين والعمال وتدعيم التنظيمات التعاونية والنقابية وضرورة توفر مبدأ القيادة الجماعية وصيانة ممارسة حق النقد والنقد الذاتي والإلحاح في نقل سلطة الدولة إلى المجالس الشعبية المنتخبة تدريجياً وكلما كان ذلك ممكناً .

(جلسة المؤتمر الوطني ٢٦ مايو ١٩٦٣م)

نظام الحزب الواحد لم يكن فيه أى تعبير عن آمالنا أو أى مساهمة لأهدافنا لأن الحزب الواحد معناه أن تحتكر فئة قليلة العمل السياسي ٥٪ من الشعب ١٠٪ من الشعب .. وباقي هذا الشعب لا يشترك في العمل السياسي ولكن عليه أن يكون تابعاً .. معنى هذا استبعاد الغالبية من أبناء الشعب .. معنى ذلك أنه مهما اختلفت الشعارات ومهما زيفت هذه الشعارات لن يكون نظام الحزب الواحد هو تعبير عن إرادة الشعب الواحد المتحد .

وكان هناك نظام آخر هو الأحزاب المتعددة ونحن قد جربنا هذا النظام .. كانت تستغله الدول التي كانت تريد أن تضعنا داخل مناطق النفوذ . ولقد رأينا مثلاً هنا في مصر بعد ثورة ١٩١٩م - كانت الثورة الوطنية والأحزاب وطنية ، وبعد هذا كيف تناهت الأحزاب واختلفت .. فقد الشعب وحدته ونتج عن هذا إن ثورة ١٩١٩م لم تعط ثمارها كاملة وبقيت الإنجليز لغاية ١٩٥٦م موجودين هنا في بلدنا لأن الأحزاب تركت الهدف الذي قامت من

أجله ثورة ١٩١٩م وبدأت تصل إلى أهدافها الخاصة في الحكم والسيطرة وطبعاً كان كل واحد يعتبر أن الغاية تبرر الوسيلة ، فالوصول بالحكم عن طريق الإستعمار البريطاني أو عن طريق السفير البريطاني أو طريق القصر كان تعتبر وسيلة للهدف الذى يعمل له الحزب ليحمى مصالحه ويحمى نفسه من النظام .

كان من الواضح أن تعدد الأحزاب لم تكن له إلا نتيجة واحدة وهي تسهيل النفوذ الأجنبى .. طبعاً في هذه التجربة من حياتنا وفي المعارك التى قابلناها كان نظام الحزب الواحد لا يناسبنا لأنه سيكون وسيلة لتغلغل النفوذ الأجنبى في الوقت الحاضر إلى داخل بلدنا ليهدم هذه القاعدة التى بنيناها والتى تعبىء الشعب .. وكان لابد أن تدخل التجربة الجديدة تجربة تقينا عيوب الحزب الواحد وتقينا في نفس الوقت عيوب الأحزاب المتعددة ، تجربة عبارة عن نظام يشترك فيه جميع أبناء الوطن بحيث لا تعطى الفرصة للتسلل ونحيث نحافظ على وحدتنا ولا يمكن الأجنبى أن يفرق بيننا ويعمل على ضمنا داخل مناطق النفوذ .

ولكن إذا عملنا حزبين معنى ده إيه ؟ .. معناه إن إحنا بنقسم القوى الاشتراكية الى قسمين ويقفوا يخاربوا بعض في الوقت الى فيه قوى رجعية موجودة ومستتية تاكل الاثنين ..

طبعاً إحنا من أجل الترابط .. قلنا بنقيم الإتحاد الاشتراكى .. الإتحاد الاشتراكى يجب أنه يجمع القوى الاشتراكية الثورية في كادر سياسى أو في تنظيم سياسى في داخل الإتحاد الاشتراكى . وبهذا نستطيع فعلاً أن نقيم بنيان للتنظيم السياسى .. ودى عملية سايرين فيها دبروت .. و نفس الوقت لابد أن نخل المتناقضات إلى بتقابلنا بالعمل السياسى .

إحنا من أجل ترابط قوى الشعب العاملة قلنا بنقيم الإتحاد الاشتراكى ولكن أشرطنا أن هناك تنظيم سياسى جديد .. إذن موش ممكن الإتحاد الاشتراكى كإتحاد اشتراكى حايكون في قوة تنظيمية زى الحزب في تعدد الأحزاب أو الحزب الواحد ولكن وجود التنظيم السياسى في داخل الإتحاد الاشتراكى هو الى حايخل الإتحاد الاشتراكى قوى .. إذن لا سبيل إلا تحالف قوى الشعب العاملة في تنظيم واحد هو الإتحاد الاشتراكى العربى مع خلق تنظيم سياسى قادر وثورى مع تجميع كل القوى الاشتراكية .. مع تطهير الإتحاد الاشتراكى باستمرار من القوى الإنتهازية أو القوى الرجعية التى تسللت داخل الإتحاد الاشتراكى .

(الهيئة البرلمانية - ١٦ مايو ١٩٦٥م)

يعنى هذا أن التنظيمات السياسية التى سبقت الإتحاد الاشتراكي مثل الإتحاد القومى ما أقدرش أقول إنه فشل أو حتى هيئة التحرير فشلت . فالأولى قامت بدور مهم ، الإتحاد القومى قام بدور ، إحنا بنمر بمراحل كل مرحلة لها ظروف مختلفة .. هيئة التحرير طالما إحنا كنا بنقول إن إحنا عايزين نحل مشاكلنا فى إطار من الوحدة الوطنية وإن الإتحاد القومى قام بدوره زى ما إحنا النهاردة نتقل إلى مرحلة جديدة .. مرحلة الثورة الإجتماعية بنعوز تنظيم نفسنا على أسا جديد ..

(اللجنة التحضيرية - ٢٥ نوفمبر ١٩٦١م)

الفصل الثاني عشر
عبد الناصر وقضية فلسطين
تمليل شاميل للمدركات



عبد الناصر وقضية فلسطين (تحليل شليل للمدركات)

كان (فعل) عبد الناصر تجاه فلسطين دون « قوله » أو كلامه المعن أو حتى مدركاته بمراحل كثيرة ، فلقد قال عبد الناصر ، وأعلن كثيراً عن فلسطين ، والصراع مع إسرائيل ، إلا أن فعله العسكري المباشر كان هزئلاً للغاية ، بل كان مفاجئاً (هزيمة ١٩٦٧ م) ، رغم كل التحذيرات الدولية والداخلية ، ورغم علمه المسبق بطبيعة خصمه بل وبطبيعة صراعه الحضارى والقومى معه . من هنا فإننا نتصور أن الإتيان بهذا التحليل الشامل لمدركات عبد الناصر إتجاه الصراع مع إسرائيل يمثل فى الوقت نفسه إدانة لقصور « عبد الناصر وفعله العسكري إتجاه هذا الصراع » إذ .. هل يعقل أن تكون كل هذه المدركات موجودة للخصم ثم نهزم منه هذه الهزيمة الموجهة (١٩٦٧ م) .

إن معنى ذلك فى تقديرنا كلمة واحد : « المعجز » ، مضافة إلى « الإدراك الزائف للقضية برمتها » .

وحتى نكون منصفين وموضوعيين كما إختطفنا منذ بدء العمل فى هذه الموسوعة ، فشننا سوف نأتى بالمدركات دون إخلال أو تجميل لأكثر من معانيها (وهى فى الغالب معان عظيمة وجليلة لا خلاف عليها نظرياً .. إذ هل يختلف أحد على المستوى الحضارى أو المصرى ، أو حتى القومى للصراع مع الكيان الصهيونى .. لا أظن .
* لهذا .

* ولغيره فإننا سوف نمحور حديثنا فى هذا الفصل حول ما يلى :

- أولاً : مستويات إدراك عبد الناصر لطبيعة الصراع وإدارته .
- ثانياً : تطور المدركات الناصرية لقضية فلسطين : النصوص الكاملة .
- ثالثاً : مدركات عبد الناصر لحص الصراع العربى والإسرائيلى .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : مستويات إدراك عبد الناصر لطبيعة الصراع وإدارته :

يمكن بلورة مركبات ثورة يوليوطبيعة الصراع العربى - الصهيونى وتحديد عبد الناصر بعد متابعة لوثائق الثورة المختلفة ، حو ثلاثة مستويات :
المستوى الأول : إن الصراع العربى - الصهيونى صراع مصيرى بالأساس .



في الجناح الذي كان يقيم فيه في فندق هيلتون أثناء اجتماعات القمة يستمع إلى ياسر عرفات ينقل إليه
آخر ما وصله من أنباء القتال بين السلطة الأردنية والفدائيين

المستوى الثانى : قومية الصراع :-

عندما حوصرت القوات الفلسطينية خلال شهور يونيو ويوليو وأغسطس ١٩٨٢م داخل بيروت وأسقطت إسرائيل عليها ما يقرب من المليون قنبلة ، وشتت المئات من الغارات (فى يوم ١٢ أغسطس ١٩٨٢م شنت إسرائيل ٢٢٠ غارة ، وأسقطت ٤٤ ألف قنبلة خلال ١١ ساعة فقط) ، وعندما اكتملت صورة الهزيمة العربية فى ١٧ مايو ١٩٨٣م بتوقيع الاتفاق اللبناني - الإسرائيلى ، وعندما اكتمل المشروع الصهيونى - أو كاد - داخل الضفة الغربية وقطاع غزة بالجولان ولبنان ، عندما حدث كل هذا .. كانت الأنظمة العربية على إمتداد الوطن ، ترفع مقولة خطيرة ، وهى أن القضية - قضية الصراع العربى - الصهيونى - قضية فلسطينية بالأساس والخطورة أنها لم تكتف « برفع المقولة » بل بتطبيقها علمياً من خلال سلوكيات إقليمية ذات دلالة هامة . فى هذا الإطار من تدهور النظرة العربية لطبيعة الصراع ، تأتى رؤية ثورة يوليو لتقدم لنا نموذجاً - نتصور ، أننا فى أشد الحاجة إليه فنحن نعيش سيناريو الحقبة الصهيونية ، فالصراع العربى الإسرائيلى من وجهة نظر ثورة يوليو وبالإضافة إلى مصيريته ، هو صراع قومى ، صراع بين أمة عربية ذات أهداف وطموحات مشروعة وبين مجموعة من العصابات الصهيونية كمقدمة للإستعمار العالمى ، وإن القضية لم تكن قضية أبناء فلسطين فحسب ، وإن كانوا ، هم الطليعة والمقدمة فى عملية المواجهة السياسية والعسكرية مع إسرائيل ، فالقضية قضية كل أقطار الوطن العربى ، وهنا يقول عبد الناصر (إن أى عدوان فى العالم العربى ، يعتبر عدواناً على كل بلد عربى ، ونحن باعتبارنا الجمهورية العربية المتحدة التى أخذت على نفسها واجب الطليعة فى هذا لن نتخلى عن هذا الواجب) ويرى (أن سقوط أى بلد عربى إنما يكون دائماً هو البداية لسقوط باقى البلاد العربية) وإسرائيل تدرك هذه الحقيقة ومن ثم فهى تقف ضد الوحدة العربية مفهوماً وسلوكاً (كانت إسرائيل أيضاً تعادى الوحدة بل كانت إسرائيل تعادى وحدة الكلمة بين العرب ، كانت إسرائيل تحاول أن تفرق بين العرب ، حتى تستطيع أن تهاجم فى الشمال وتجمد فى الجنوب ، أو تهاجم فى الجنوب وتجمد فى الشرق) .

المستوى الثالث : حضارية الصراع :-

لقد أكسبت ثورة يوليو الصراع العربى - الصهيونى سمة هامة ، أثبتت التطورات الأخيرة التى تعيشها قصة الصراع اليوم صحتها ، تلك هى طبيعة الصراع الحضارية ، حيث الصراع مع إسرائيل ليس فقط مع مجموعة من العصابات الصهيونية القادمة من أوروبا والأمريكيتين ، ولكنه صراع مع « الجذور » التى تنتمى إليها هذه العصابات وهى الجذور

المستوى الأول :- مصيرية الصراع :-^(١)

تجمع وثائق الثورة ، وتحديدًا وثائق عبد الناصر ، على أن هذا الصراع الذى تجرى أحداثه فوق أرض فلسطين ، كان ولا يزال ، صراع وجود ، صراع بقاء بين الأمة العربية من جانب وقوى الاستعمار من جانب آخر .

يقول عبد الناصر أن الأرضية الأصلية وراء الصراع العربى الإسرائيلى هى فى الواقع - وعلى وجه الدقة - أرضية التناقض بين الأمة العربية الراغبة فى التحرر السياسى والاجتماعى وبين الاستعمار الراغب فى السيطرة وفى مواصلة الإستغلال ، وفيما مضى فلقد كان سلاح الإستعمار ضد الأمة العربية هو سلاح التمزيق وبعد حربيت عالميتين ومع تعاظم الإيمان بالوحدة العربية فلقد لجأ الإستعمار إلى إضافة سلاح التخويف إلى سلاح التمزيق ، وكان إن إستغل فى ذلك الدعاوى الأسطورية للحركة « الصهيونية » وهكذا سلم وطناً من أوطان الأمة العربية غنيمة مستباحة للعنصرية الصهيونية المدججة بالسلام لكى يتم تكريس تمزيق الأمة العربية ولتحقق تخويفها باستمرار عن طريق إيجاد قاعدة فى قلبها لتهديدها فضلاً عما يتبع ذلك من إستنزاف كل إمكانيات القوة العربية فى صراع محكوم فيه تاريخياً ، ولقد زاد من حدة التناقض بين الأمة العربية والاستعمار ظهور الحركة التقدمية العربية بقيادة الفلاحين والعمال العرب الأمر الذى دفع الإستعمار إلى مغامرات عنيفة ومخيفة عبرت عن نفسها سنة ١٩٥٦ م ، ١٩٦٧ م والى عرفت بحرب الأيام الستة التى هى فى الواقع مقدمة لحرب لم تنته حتى الآن ، هذه هى أرضية الصراع العربى - الإسرائيلى التى هى فى الواقع أرضية التناقض بين آمال الأمة العربية وحقوقها المشروعة وبين أطماع الإستعمار ومخططاته ومؤامراته وكأن عبد الناصر يقرأ بهذا التحليل ، المستقبل العربى ، محدداً حقيقة التناقض وهو ما تحاول « الحقبة الصهيونية » فى مرحلة ما بعد لبنان أن تفعله ، والجسد العربى لا يزال يبحث عن مخرج ، نافهاً ، فى الدائرة المفرغة التى أدخله إليها مفهوم السلاح الأمريكى .

إن الصراع المصيرى ، مفهوم إدركه جيداً الجانب الإسرائيلى ولم يحاول الجانب العربى أن يفهمه أو يحاول تطويره .

(١) انظر تفصيلاً لهذه الرؤية فى : رفعت سيد أحمد - ثورة يوليو وقضية الصراع العربى الإسرائيلى - مجلة الموقف العربى - العدد ٣٩ - ص ٦٧٤ .

التي تشكل الوجه الحقيقي للصهيونية السياسية ، وحيث تمتد هذه الجذور لتصل إلى جوهر الحضارة الغربية ، إلى الطبيعة العنصرية التي قامت عليها هذه الحضارة وإلى الوجه العدائي الذي ميزها في نطاق تعاملها مع غيرها من الحضارات وتحديداً الحضارة العربية الإسلامية ، وإلى الطبيعة الأنانية والفردية التي ميزت نظرتها إلى الإنسان العربي فهو لديها دائماً « متخلف » دائماً « مهزوم » دائماً « همجي » دائماً « غير متحضر » وفي حاجة إلى من يقوده ويؤكد لديه هذا الواقع ، مع دائمية أن يظل في إطار دور « التابع » من هنا كان لابد من زرع الكيان الصهيوني كإمتداد لما يسمى « بالحضارة الغربية » وإن كان في جانبها السيئ لقد أدرك عبد الناصر هذه الحقيقة ، وأدرك ما تعنيه من دلالات هامة تمثلت في حتمية أن يظل القرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب أحد طرفي الصراع تقدم له دائماً ما يقيه على قيد الحياة داخل جسد الطرف الثاني (الطرف العربي) وهي الحقيقة التي لم يستطع أن يدركها اليوم الذين يعيشون مرحلة ما بعد لبنان ١٩٨٢ م ، وهذه الطبيعة الحضارية « الخاصة » للصراع تحددها الثورة حين تقول من خلال قائدها ، (إن إسرائيل تقوم في خدمة الأمبريالية والإستعمار بدور القاعدة وبدور المخفر ، الأمامي ، وبدور العازل الذي يحول دون وحدة الأمة العربية ، ويهددها كلما تحركت ، وبدور الإدارة التي تشتت تركيزها على المستقبل وتمتص طاقاتها بالإستنزاف أولاً بأول ، ولقد باعت الصهيونية نفسها للإستعمار الذي كان يسيطر على العالم العربي ، وربما لم يكن الأمر يحتاج إلى وقفة جديدة فإن الصهيونية العنصرية بحكم طبيعتها الرجعية تقف منطقياً على الجانب المعادي للحرية ويرى عبد الناصر أيضاً (إن الإستعمار قد سلك في سبيل ذلك كل الوسائل الخبيثة ، فهو لم يكتف بأن يكن له عملاء يسترون بالوجوه الوطنية ليكونوا أكثر فاعلية في خدمته ، وإنما أقام لنفسه بين الدولة العربية دولة عميلة تتكلم بإسمه ، وتسرع على نهجه وتكون رأس جسر لأغراضه ، وحرية في قلب قارتنا تسعى للسيطرة بما تقدمه من قروض واستثمارات لتسيطر على إقتصادياتها بالإحتكارات الإستعمارية) ، ويؤكد ما يعنيه أكثر حين يقول (حينما نعالج قضية فلسطين لا يمين أن نتصور أننا نعالج قضية سهلة ، إنها قضية إسرائيل ومن وراءها ، وهي بوضوح أكثر ، قضية أمريكا) .

من هذا العرض السابق يتضح لنا كيف أدركت ثورة يوليو طبيعة الصراع العربي الصهيوني حيث هذا الصراع صراع مصري وقومي وحضاري ، ومن لا يفهمه على هذا النحو فإنه لا يستطيع أن يدرك طبيعة العدو الذي نحارب وطبيعة صراعنا الطويل معه .

ولعل رؤية ثورة يوليو للصراع تتضح أكثر حين ننتقل بالحديث إلى حيث مستويات تعاملها مع الصراع بأطرافه المختلفة ، أو بعبارة أدق ، كيف أدارت الصراع وكيف تفاعلت مع أحداثه .

ومستويات إدارة الصراع :-

من خلال خبرة الصدام مع إسرائيل وقوى الرجعية والولايات المتحدة ، من خلال الصدام مع هؤلاء - الذين أسماهم عبد الناصر بأطراف الصراع - تشكلت عند ثورة يوليو على المستويين الفكري والحركي قناعة مؤداها أن عملية إدارة الصراع - العربي الصهيوني عملية معقدة ، وإن تعقد هذه العملية يعني تواجد عدة مستويات في إدارتها ، وهذه المستويات متداخلة ومتصلة ، ولا يمكن فهم إحداها دونما فهم ما سبقها ، ويقول عبد الناصر محدداً هذه المستويات إننا نخوض معركة معقدة متشابكة تجرى على أرض وعرة متفجرة ، وليس هناك طريق واحد تستطيع أن نسلكه لتحقيق أهداف أمتنا العربية وإنما هناك طرق متعددة نحو هذه الأهداف واستعدادها لاستعادة أراضيها الضائعة بالقوة لا يمكن أن يعطل عملنا السياسي لاستعادة ما ضاع منا .. إن الاستعداد بإمكانيات القتال لا ينبغي أن يعطل استعدادنا بإمكانيات السياسة ... ولكن عبد الناصر رغم ذلك لم يقل إن هذه الحرب هي « آخر الحروب » تحت دعاوى السلام، ولكنه قال وفي نفس الخطاب السابق ولكن الخطر أن نجعل الاستعداد للسياسة يعطل بالاستعداد للقتال ، ذلك أنه في نهاية المطاف تبقى حقيقة واحدة على ساحة الشرق الأوسط ، حقيقة لا شريك لها ولا بديل وهي ضرورة إستعادة أرضنا وتطهيرها إلى آخر شبر تطهيراً كاملاً ونهائياً .

* إن مستويات إدارة الصراع عند قائد يوليو تتدرج من المستوى السياسي بتنويعاته المختلفة الدبلوماسية ، الإعلام ، الثقافة ، المستوى الإقتصادي كالمقاطعة الإقتصادية ، المستوى العسكري (والذي لم يحدث بالفعل طيلة العهد الناصري) .

إن الإدراك كان واعياً ، تلك حقيقة هامة أما الفعل فلقد كان دون ذلك بكثير .

ثانياً - تطور المدركات الناصرية لقضية فلسطين :

التصوص الكاملة ، سوف نورد هنا نصوصاً كاملة لمقولات عبد الناصر بشأن قضية فلسطين اخترناها من مجموعة خطب وأحاديث وهي تمثل مجتمعة رؤية إدراكية هامة بالنسبة له إتجاه قضية فلسطين « حرب ١٩٦٧م » على الرغم من أنها لم يوازها فعل عسكري مباشرة ترى ماذا تقول المدركات :

(١) من خطاب الرئيس في نادي فلسطين بالإسكندرية بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٥٣م .

إنني أشعر شعوراً عميقاً إن المأساة التي حلت بنا جميعاً في فلسطين لم تكن إلا نتيجة للطمأنينة التي نزلت على نفوسنا بعد الخطب النمقة والاجتماعات الحاشدة ، كنا نستمع

للخطب ونشعر بالطمأنينة بعد هذه الخطب ، فكانت هذه الطمأنينة هي السبب الأول والسبب الأساسى لكارثة فلسطين ، وأنا متألم كثيراً أن أقول أن هذه الطمأنينة ما زالت فى النفوس كانت الأمة العربية تشعر بما يحدث فى فلسطين وكنا نحن نشعر بذلك ، وكان رجال السياسة العرب عقب الحرب العالمية يشعرون بما سيؤول إليه أمر فلسطين فماذا فعلوا ؟ لم يفعلوا إلا الخطب وبعدئذ حلت الكارثة .

هذه هي الحقيقة الواقعة ، فنحن الأمة العربية السبب فى ضياع فلسطين ، وقادتنا هي السبب الرئيسى فى ذلك ، فمئذ إن انتهت الحرب العالمية الأولى ، وبعدما إنتهى الإستعمار من إستجداء العرب ، وتخلص الإنجليز من الأتراك نقضوا عهودهم وأخلفوا ما وعدوا به فى أول الحرب كل منا كان يفكر بأنه سيأتى اليوم الذى يحقق فيه الإستعمار أغراضه ، فماذا فعلنا لهذا الأمر بعد الحرب العالمية بدأ الإنجليز فى تقسيم البلاد العربية وبث روح التناحر والتفرقة بين أبناء البلد ، فماذا فعلنا إزاء هذا ؟ إننا لم نفعل شيئاً وأخذ كل بلد يفكر فى نفسه .

ثم أعلن وعد بلفور الذى هو بداية الطريق نحو نهاية فلسطين ، أعلن هذا الوعد ولم تفعل إلا الخطب والإجتماعات وإدخال الطمأنينة إلى القلوب ، فكان الإنجليز دائماً يظهرون ثباتهم ، وكانت اتجاهاتهم نحو اليهود ظاهرة واضحة ، والأمة العربية كانت تستمع وتتقدم بطلبات ولكن طلباتهم كانت ترفض فماذا فعلنا بعد هذا الرفض ؟ كنا نقول فى إجتماعاتنا وخطبنا سنلقى اليهود فى البحر وبعد إنتهاء الخطب يذهب كل منا إلى بيته حتى بدأت الحرب العالمية الثانية ، وأخذ الإستعمار ينفذ خطته فى سبيل تحقيق أغراضه .

وأعلنوا مبادئ العالم الحر ، وقالوا أن لكل دولة أن تقرر مصيرها ، أخذنا ننتظر لنرى مدى تحقيق هذه الدعوة وكسبنا أنهم لم يفوا بعهودهم فى الحرب العالمية الأولى .

ووقف العرب ينتظرون فكانت النتيجة أن أصحاب مبدأ العالم الحر ، بدءوا عملهم بنكبة فلسطين التى لم يكن مثلها فى تاريخ البشرية وبعد هذا رفرغ الإستعمار على رؤوس العرب ، ولم يعمل غير هذا ؟ فمن المسئول ؟ ومن الذى دفع اليهود وشجعهم على إحتلال فلسطين والقضاء على الشعب العربى فيها ، إنها إنجلترا ولكننا نتناسى هذا ، فعندما حاربنا فى فلسطين منعت إنجلترا السلاح عن العرب ، فى حين إن اليهود كان يأتهم السلام من كل مكان ، وإن اليهود لو اعتمدوا على أنفسهم وقتلوا لما نجحوا بتاتاً وإنما كانت إنجلترا تدفعهم فهى السبب الأول فى نكبة فلسطين ، يتناسى العرب هذا ويقولون أنه إسرائيل واليهود ولكنهم يخشون أن يقولوا إن السبب إنجلترا ، إن لدينا قوة كاملة لا تخليها قوة عسكرية ، فعندنا

البتروال الذى يمون الجيش الأوروى فى بلاد الغرب ز فلو منعه العرب عنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً ، فنحن العرب نستطيع أن نعاملهم بنفس معاملتهم ونكمل لهم الصاع صاعين ، نحن العرب نستطيع أن نشعرهم بأنفسهم ونقف فى سبيلهم ، ونفهمهم أنهم إذا اعتدوا على مصالحنا اعتدينا على مصالحهم .

إن العرب إنخدعوا وراء الكلام المعمول ، فأخذ العرب بهذا إن الأمة العربية إذا ظلت نائمة ترفرف عليها الطمأنينة فستضيع دولة وراء أخرى ويقضى علينا الإستعمار .

إن إسرائيل التى يسندها الإستعمار ، ولا يريد لهذه المنطقة أية حرية ، ويعتبرها مزرعة لمصالحه الخاصة كما هى خطة الإستعمار فى القضاء على الأمة العربية جميعاً ، وهى ليست خطة قضية الأجل بل خطة طويلة تهدف إلى القضاء على العروبة كلها .

إن العملية ليست عملية فلسطين ، إنما هى عملية العرب وعندما طعنت فلسطين طعن كل منا فى شعوره ووطنه ، حصل ما حصل فى حرب فلسطين ١٩٤٨ م ، ورأينا المآسى فليس لدينا دبابات وإسرائيل لديها الدبابات والسلاح ولكن لدينا السلاح الوحيد الذى يمكن أن نمنعه عنهم وهو سلاح البترول .

لقد تعاقدنا معهم على شراء دبابات فمنعوا عنا ، منعوا بلجيكا وسويسرا والسويد من أن يبيعوا لنا السلاح فى حين أننا دفعنا عشرة ملايين من الجنيهات ثمنا للسلام ولم يصل إلينا ، لأن إنجلترا يهملها أن تقوى إسرائيل وتضعف الأمة العربية .

نحن يمكننا أن نقضى على الغرب إذا إتجهنا إلى العمل وحدة ، وتركنا الخطب واتجهنا إلى مقام الإستعمار ، لأنه سبب النكبات وهو الذى دبر نكبة فلسطين ، ويدبر النكبات للبلاد العربية جميعاً .

(٢) من خطاب الرئيس بالجامع الأزهر فى عيد الثورة الثانى بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٤ م :

إن مصر والدول العربية سترد كل اعتداء يقع من جانب إسرائيل ، إن مصر توجه كلمة صريحة للعالم الغربى بصدد عدوان إسرائيل المتكرر على حدود البلاد العربية ، إن مصر تريد أن تقول : إن الموقف فى الشرق العربى ينذر بالإنفجار ولن يخسر منه الشرق العربى بقدر ما يخسر منه الذين يكلفون إسرائيل بالدعاية ويطالبون لها حبل الصبر . إن آلام أهل فلسطين المشردين وعذابهم كفيل وحده بالقضاء على كل حجة تساق للدفاع عن إسرائيل وتبرير عدوانها المتكرر ، فإن كرامة الأمم المتحدة تفرض على زعماء تلك الهيئة أن يعملوا شيئاً فى سبل تنفيذ قرارات تلك الهيئة التى داستها إسرائيل ، ومصر حينما تقول ذلك إنما تعبر عن

أربعين مليوناً من العرب .

(٣) من حديث أدلى به الرئيس إلى نائب مدير وكالة اليوناي تدبرس بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٥٤ م :

لقد توفرت الأدلة لدى الرأى العام العالمى أخيراً إن إسرائيل تشن الغارات الإرهابية على القوى العربية فضلاً عن قطعها كل المواصلات البرية بين مصر والدول العربية شرق السويس ونحن نعتقد أنه ينبغي لمصر والبلاد العربية أن تحصل على هذه المواصلات البرية الحيوية لتجارتها ورخائها ومشروعاتها الدفاعية - وقد أدرك الجميع أن الدفاع عن هذه المنطقة يقع على كاهل شعوبها أولاً - فقد تجلت أهمية إنشاء هذه المواصلات البرية بين مصر والبلاد العربية لصالح الدفاع عن الشرق الأوسط ومن الجلى أن العرب سيواصلون دعم مشروعاتهم الدفاعية بغض النظر عن إسرائيل وقد احتلت إسرائيل المنطقة الواقعة جنوبى فلسطين والممتدة من خليج العقبة بالرغم من أن الأمم المتحدة والدول العربية لم تعترف بأن لإسرائيل حقاً فى هذه المنطقة .

وهذا الإحتلال إنتهاك صارخ لإتفاكية الهدنة وإستمراره يحد من سلطة الأمم المتحدة ولست أرى حلاً عاجلاً لهذا الموقف إلا إذا رغم الرأى العام العالمى والضغط الدولى إسرائيل على إن تتخلى عن هذه المنطقة التى لم تنلها بناء على مشروع التقسيم أو وفقاً لأى شرط فى أى وقت .

ولكن إسرائيل ما برحت تتحدى الأمم المتحدة ، وتواصل غاراتها الوحشية على القوى الأمامية التى أثارت سخط الرأى العامى ووقفت الحكومة الأمريكية إلى توجيه اللوم إلى إسرائيل وهذا الإجراء له دلالة إذ يذكرنا ما للصهيونيين من نفوذ فى الكونجرس وسيطرة على وسائل النشر والإذاعة فى أمريكا .

(٤) من خطاب الرئيس فى الكلية الحربية بتاريخ ٣ مارس ١٩٥٥ م :
إنى أذكر يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٨ م وكانت الهدنة قائمة وهجم اليهود هجوماً غادراً على مواقع الكتبية السادسة فى عراق المنشية ولكنهم هزموا شر هزيمة - صدر قرار مجلس الأمن بوقف القتال وبعودة اليهود إلى مواقعهم وانتظرنا تنفيذ قرارات مجلس الأمن فماذا كانت النتيجة ١٩٤٨ م ، لقد عزز اليهود مواقعهم وتمكنوا من خطوطهم لم تنتصر إسرائيل ١٩٤٨ م وإنما الذى انتصر هو مجلس الأمن وهم حلفاء إسرائيل هؤلاء الذين عملوا على تثبيت اليهود فى هذه البقعة المباركة وعملوا على إزالة القومية العربية منها - واليوم ونحن فى عام ١٩٥٥ م أقول لإسرائيل ومن يهددون باسمها - لقد كانت إسرائيل تعتقد أنها هزمت الجيش المصرى

في سنة ١٩٤٨م فهي تهددنا الآن معتمدة على هذه الخرافة - اليوم أقولها - إن الجيش المصري لن يختلف عن الجيش قبل ذلك - إن الأساليب التي ساعدت على هزيمتنا في الماضي قد اختفت ولن تعود أبداً - إننا سندافع عن الشرق وسندافع عن الوطن وسنرد العدوان بالعدوان - إننا اليوم إذا دخلنا المعركة نستطيع تعويض ما فات إذا دخلنا المعركة اليوم فسندخلها ونحن نعلم تمام العلم إننا ندافع عن الواجب والشرف والوطن - لقد سمعت أمس تهديد إسرائيل - وأنى أقول لها نحن شعب لا ينسى الإساءة مطلقاً ولكن الإساءة تزيدنا عزماً وصلابة - وإننا لم نهزم مطلقاً في فلسطين ١٩٤٨م ، وإني كنت فرداً في هذا الجيش من أول يوم في المعركة حتى آخر يوم فرأيت بعيني كيف كان اليهود ينسحبون منهزمين ولست أنسى معركة ١٦ أكتوبر عام ١٩٤٨م في عراق المنشية حين واجهنا اليهود وهم متفرقون في القوة والعدد وكنا نحن في موقع منعزل محاصر وتمسكنا بالشرف وتمسكنا بالواجب وتمسكنا بالوطن ، فهزما المعتدين فرأيت العسكري اليهودي وهو يفر مذعوراً لجرد رؤيتنا رأيهم يهزمون رغم دباباتهم ومدركاتهم التي تركوا بعضها في الميدان .

إننا اليوم في عام ١٩٥٥م ونختلف تماماً عن عام ١٩٤٨م إننا اليوم لن نضيع فريسة للغدر والخيانة .

(٥) من خطاب الرئيس في قطاع غزة بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٥م إننا لن ننسى مطلقاً المؤامرات التي دبرت للقضاء على القومية العربية في فلسطين وإننا لن ننسى فلسطين أبداً وإذا كنتم يا أهل فلسطين قد إعتبرتم هذه المؤامرات موجهة إليكم فنحن أهل مصر نعتبرها موجهة إلينا أيضاً .

إن المؤامرات التي انتهت بهذا النصر للصهيونية العالمية لم تنته بعد ونحن العرب أمة واحدة يجب أن نتجه إلى المستقبل لنحمي قوميتنا التي إستطاعوا أن ينفذوا إليها ويحلوا محلها في أرض عربية حبيسة قوميات غير عربية - إن هذه المؤامرات لا تنتهى وما زالت تعمل ونحن في مصر نقف لها بالمرصاد وكل ما أطلبه منكم المثابرة والاتحاد والعمل وأن نأخذ من اليهود عبرة ودرساً حتى نستطيع رد العدوان ونحافظ على قوميتنا .

(٦) من خطاب الرئيس في إفتتاح الموسم الثقافي بتاريخ ٢١ مارس ١٩٥٥م .

إن النفوذ اليهودي والصهيوني له هناك تأثير كبير جداً وإئني كنت أعتقد إنها ستكون معجزة من المعجزات أن نحصل على أى شيء .

قلنا وما زلنا نقول أن تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة لن يتم مطلقاً إلا إذا أعطيت الدول

العربية كمنطقة دفاعية الفرصة الكاملة للتسليح والفرصة الكاملة لإقامة جيش عرقي خالص يدافع عنها .

(٧) من خطاب الرئيس بتاريخ ٨ يوليو ١٩٥٥ م :

إن إسرائيل تتسلح بواسطة من خلقوها وتعاون بأموال كبيرة من جهات متفرقة وقد قامت بارتكاب أكبر جريمة في التاريخ الحديث فقضت على شعب فلسطين وقومية فلسطين تحت سمع الأمم المتحدة ومساعدتها ونحن لم نرج مساعدة من الدول العظمى أو الأمم المتحدة لأن إسرائيل طفلها المدلل ولن نطلب المساعدة بل نعتمد على أنفسنا وعلى جيشنا القوي الذي يمثل ٢٢ مليوناً .

نحن هنا نكون جيشاً تعداده ٢٢ مليوناً يحمي مصر والدول العربية والقومية العربية إننا لن نؤمن بالتخدير الذي يستورد لنا من الأمم المتحدة ، إننا شعب أقوى من شعب إسرائيل وجيشنا أقوى من جيش إسرائيل وسترد العدوان بالعدوان ، وبعد حادث ٢٨ فبراير وإعتداء إسرائيل الغادر لن نخذع بندايات السلام .

(٨) من خطاب الرئيس بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٥٥ م :

إن الحديث عن سياستنا الخارجية لا يكمل إلا إذا تحدثنا عن فلسطين ومجرد ذكر فلسطين يعيد إلى ذهن كل عرقي بل إلى ذهن كل إنسان حسراً أكبر جزئية دولية إرتكبت في تاريخ الإنسانية كلها فالتاريخ كان يشهد من حين إلى حين توزيع أو انتقاص أراضيها ، ولكن لم يشهد التاريخ مثل هذه المحاولة الفاجرة التي يقصد بها الصهيونيون إلى محو القومية العربية في فلسطين وإحلال إسرائيل وهي دولة ملفقة تضم أجناساً مختلفة يتكلمون لغات متباينة ويمثلون قارات مختلفة ولم يكن الصهيونيون وحدهم ولا جميع الإسرائيليين في العالم قادرين على أن يرتكبوا هذه الجريمة ولو كانت أموال العالم تحت أمرهم - فإن مقارنة هذه الخيانة لا تحتاج إلى مال فقط بل إلى إفتراء على مقدسات الأمم والأفراد والمقدسات التي لا يحاول إنسان في وجوب إحترامها وعدم المساس بها ولهذا فإن إسرائيل لا تمثل للعرب ولا تمثل للكتلة الآسيوية الأفريقية ولا تمثل للمبر العالمي عدواً حريماً أو عسكرياً ضدنا وهذه المنطقة من العالم بل تمثل شيئاً آخر ، مثل محاولة السيطرة علينا من خلال هذه الدولة تمثل الضغط الأجنبي على العرب تمثل السعي في تفريق كلمتهم وإشاعة الفرقة بينهم والحلولة بينهم وبين أن يجتمعوا ويتفقوا أو يستفيدوا من تراث بلادهم وما في بطنون أراضيهم من معادن أو خبرات وما في مركزهم الجغرافي .

إن حيث فلسطين بدوره يجرنا إلى سياستنا العربية عامة وقد أعلنت هذه السياسة في العام الماضي وأعلنها في هذا توكيداً لتزداد وضوحاً في ضمائركم وليزداد العالم فهماً لها - إن سياستنا تهدف إلى جمع شمل العرب بجعلهم أمة واحدة بل أسرة واحدة - لقد كان جيلنا إلى تحقيق هذا الهدف هو أن نلتزم ميثاق في جامعة الدول العربية وأن نحترمه ونجعل الغامض فيه واضحاً والضعيف قوياً وقد كان ميثاق الضمان الجماعي تكميلاً وتويجاً وتدعيماً إلى ميثاق جامعة الدول العربية كما يؤثر إلى توحيد خطط جيوشنا وتنسيق العمل بينها .

(٩) من خطاب الرئيس في القوات المسلحة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ م :

إن جيش إسرائيل قد استطاع أن يأخذ أسلحة من إنجلترا وفرنسا وبلجيكا وكندا وإيطاليا ومن دول أخرى متعددة كان هذا الجيش يستطيع أن يجد دائماً من يمونه بالسلح وكنا نقرأ في الصحف الأجنبية أن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة وقد قرأت في الشهر الماضي كثيراً من المقالات تحصل هذا المعنى أن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم جيش مصر ، إن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم العرب إن جيش إسرائيل متفوق السلاح هذا ما كانوا يقولونه فنقول لهم إذا كنتم تشعرون بهذا فلماذا تمنعون السلاح .

(١٠) من خطاب الرئيس في طلبة الكلية الحربية بتاريخ ٢ أكتوبر ١٩٥٥ م :

إني أحب اليوم أن أعلن باسم مصر للرأى العام العالمى حقيقة هذه الخديعة الكبرى ، لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير الماضى والإعتداء الوحشى اليهودى المدبر الذى وصفه مجلس الأمن ، بأنه إعتداء مدبر وحشى على جنود آمين مطمئنين ، لقد كان هذا الإعتداء نقطة تحول ، لقد كان هذا الإعتداء الذى دبر بن جوريون (والذى شكر من أجله أفراد الجيش الإسرائيلى لتنفيذهم هذا الإعتداء الوحشى ، لقد كان هذا الإعتداء ناقوس الخطر الذى جعلنا نبحث وندقق فى تعرف السلام ومعنى السلام وبدأنا ندقق فى معنى توازن القوى فى هذه المنطقة ، فوجدنا أن هناك تحيزاً لإسرائيل نستطيع أن نثبت على من يقو بهذا ، إنهم يعملون على منع السلاح عنا ، فى نفس الوقت الذى يعملون فيه على تموين إسرائيل بالسلاح ، فقد استطاعت المخابرات المصرية أن تحصل على وثيقة تثبت أن أمريكا وإنجلترا تعدان إسرائيل بالسلاح ، إن هذه الوثيقة الرسمية تقول إن أهم المعدات الثقيلة من الاسلحة العسكرية التى أمدت بها القوات الإسرائيلية مصدرها أمريكى وبريطانى .

وقالت هذه الوثيقة الرسمية أن هناك صفقات تعقد بين بريطانيا وإسرائيل لبيعها طائرات ودبابات وإن أمريكا سلمت من جانبها إلى إسرائيل ١٢ طائرة هذا ما حوته الوثيقة وهو غير ما سلمته فرنسا نفسها إلى إسرائيل وقد قرأنا فى الجرائد الإسرائيلية أن فرنسا قد تعاقدت

مع إسرائيل على أن تسلمها ١٠٠ دبابة وعدداً من طائرات المستمر .

هذا هو التوازن كما يفهمونه وهذا هو السلام حسب فهمهم ، التوازن إن إسرائيل تسلح ويمنع السلاح عن مصر وعن العرب ، التوازن هو أن تقول صحفيهم أن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة ، التوازن هو أن تقول صحفيهم سواء في أمريكا أو إنجلترا إن إسرائيل تستطيع أن تحشد ٢٥٠ ألف جندي أكثر مما تستطيع الجيوش العربية أن تحشد . التوازن هو أن تقول صحف أمريكا وهي تشعر بالزهو والفخر أن جيش إسرائيل عنده الكثير من العدد وعنده الكثير من العتاد وعنده الكثير من السلاح .

هذا هو التوازن الذي يموهون علينا به اليوم وهذه هي الخدعة الكبرى التي يحاولون اليوم أن يخدعوا بها الرأي العام العالمى .

(١١) من حديث الرئيس مع مراسل جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ٦ أكتوبر ١٩٥٥ م :

الآن نستطيع أن نقابل النفاثات الإسرائيلية بطائرات ميج أن موقف إسرائيل من العرب كان يتسم بطابع العدوان أما ما يسميه اليهود عمليات أخذ الثأر فهي عمليات كان يضع خططها مجلس الوزراء في إسرائيل .

لقد فرح بن جوريون لأنهم قتلوا ٢٩ من رجالنا في حادث الإعتداء الإسرائيلى على غزة - وإنى أعرفه أن الحادث لم يثر الخوف فى نفوس المصريين بل أنه فقط دق ناقوس الخطر .

(١٢) حديث الرئيس فى صحيفة نيويورك بوست الأمريكية بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٥٥ م :

إن الشعوب العربية تقف كتلة واحدة ضد مؤامرات الصهيونية التى تأصلت جذورها فى أمريكا - وإن جميع الشعوب العربية تشعر بأن الولايات المتحدة تقع تحت سيطرة وتوجيه المنظمات الصهيونية القوية وتساعد إسرائيل ضد البلاد العربية .

إن النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة يقف حائلاً بين العرب والأمريكيين وأن كل فرد فى الدول ليشهر بأن جميع الجهود التى يبذلها العرب فى الولايات المتحدة ستذهب بسبب هؤلاء الصهيونيين .

(١٣) وجه الرئيس فى ١٦ نوفمبر ١٩٥٥ م تحذيراً إلى أمريكا :

وقد قررت مصر إزاء الخطر الذى يهددها نتيجة تفوق إسرائيل أن تسلح حتى يمكن أن تدافع عن نفسها ضد العدوان الإسرائيلى - فإن قادة إسرائيل حينما شعوا أنهم استطاعوا أن يزودوا جيشهم بالأسلحة الثقيلة والطائرات فى الوقت الذى حرمت فيه الدول العربية

مع تسليح جيوشها انتهجوا سياسة العدوان بل تعادوا فيها وقد قال زعيمهم بن جوريون أنه يريد فرض وإجبار العرب على قبول الأمر الواقع ، وإن معنى فرض السلام هو العدوان بل إن فرض السلام ليس له إلا معنى واحد وهو شن الحرب على العرب .

(١٤) من تصريحات الرئيس إلى مندوبى الصحف ووكالات الأنباء بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٥٥ م :

من الواضح أن المستر إيدن لم يتقدم بأى مقترحات حتى يؤيد مصر وكل ما فى الأمر أنه منذ ١٩٤٧م أشار رئيس وزراء بريطانيا إلى مفرات الأمم المتحدة التى صدرت فى ١٩٤٧م ثم أهملت ولم يشر إليها قط طوال الأعوام الثمانية الماضية وقد إعتبرت الإشارة إلى هذه المقررات بواسطة رئيس وزراء بريطانيا اعترافاً بحق شعب فلسطين الذى إغتصبت دياره حينما كانت بلاده تحت الإنتداب البريطانى وقد حاول العرب فى الأمم المتحدة أن يبحثوا قرارات الأمم المتحدة التى اتخذت تأييداً لحق شعب فلسطين ١٩٤٧م ، ولكن لم تستجب الأمم المتحدة إليهم وقد استطاع العرب أن يحصلوا على قرار جماعى فى مؤتمر باندونج على تأييد المؤتمر الأسوى لحقوق شعب فلسطين العربى والدعوة إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين ولكن رغم هذا فإن الأمم المتحدة والدول الكبرى فيها أهملت هذا القرار ولم تشأ إثارة أى موضوع يتعلق بحقوق شعب فلسطين العربى التى أهدرت فى عام ١٩٤٨م ولكنها رغم هذا تخلت عن حقوق شعب فلسطين العربى وتركت فلسطين فى ١٩٤٨م وتركت شعب فلسطين تحت رحمة العصابات الصهيونية المسلحة ولم تحاول أن تذكر أن هناك قرارات اتخذت فى الأمم المتحدة بشأن هذه الحقوق - وإذا أشار رئيس وزراء بريطانيا إلى أن هذه القرارات أهملت فإن هذا يدل على أن حقوق العرب لم تهدر كما تصورت بعض الدول الكبرى ولكن آن الآوان لها أن تبعث من جديد .

إن مشكلة فلسطين تخص الدول العربية جميعاً ولا يحق لأية دولة من الدول العربية أن تنفرد بالتصرف وأن مصر تتمسك بحقوق شعب فلسطين العربى والأمر لا يحتاج إلى مفاوضات فقد اتخذت الأمم المتحدة قرارات ١٩٤٧م بشأن فلسطين كما إتخذت قراراً آخر ١٩٤٩م بشأن حق شعب فلسطين ولكى تحافظ الأمم المتحدة على هيبتها واحترامها كما ينبغى أن تعمل على تنفيذ هذه القرارات طوال الأعوام الثمانية الماضية فى دورات الأمم المتحدة المختلفة ولكن الأمم المتحدة تنكرت لقراراتها وأهملت حق شعب فلسطين العربى - الذى جرد من بلاده واغتصبت أملاكه - معتقدة بذلك أنها تتلافى المشاكل وقد حان الوقت لتنبه الأمم المتحدة والدول الكبرى التى تسيطر عليها إلا أن تناسى هذه القرارات وإهمالها وإهدار حقوق

شعب فلسطين لن يساعد ، على قيام السلام الذى يريدونه على حساب فلسطين وحقوق شعب فلسطين .

(١٥) تصريح الرئيس لندوب الأهرام السياسى فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٥ م :

إن مصر قد اتخذت موقفاً سليماً حتى الآن رغم الاعتداءات المتكررة من جانب إسرائيل والآن قد ظهر للعالم أجمع أن إسرائيل هى المعتدية دائماً ، أصبح من الواضح أنه لا جدوى من سياسة السلام - حيث لا يمكن أن يكون هناك سلام من جانب واحد بينما يتماذى الجانب الآخر فى العدوان وقد أبلغت مصر الأمم المتحدة ومجلس الأمن موقفها إزاء إعتداءات إسرائيل وقد أشارت المتذكرة إلى أن العدوان الإسرائيلى على سوريا يعتبر عدواناً على مصر طبقاً للإتفاق

الثنائى كما أشارت إلى تكرار الإعتداءات الإسرائيلية على الحدود المصرية منذ فبراير ١٩٥٥ م وقالت إن الحكومة المصرية مضطرة إلى معالجة الأمور بنفسها وهى لن تتوانى فى إستعمال قواتها المسلحة سواء البرية أو الجوية أو البحرية لتحافظ على سلامتها وإقرار السلام فى المنطقة بعد أن عاجز مجلس الأمن فى منع تكرار هذه الحوادث .

(١٦) من خطاب الرئيس فى الإحتفال بإعلان الدستور بتاريخ ١٦ يناير ١٩٥٦ م :

نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ونعلن تماسكنا مع العرب جميعاً حتى لا يتكرر ما فات لقد ضاعت قطعة من أرضنا لقد محيت قومية العروبة من فلسطين لأننا خدعنا ولأننا تبعنا الإستعمار وأعوان الإستعمار وكانوا يقولون هنا فى مصر ما لكم وللعرب وكانوا يقولون للبلاد الأخرى ما لكم ولمصر ولكننا بعد أن تنبها نعلن أننا مع العرب جميعاً من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى من أجل الحرية ومن أجل الإستقلال ومن أجل الحق فى الحياة

(١٧) من خطاب الرئيس بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٥٦ م :

إنى أشعر كما تشعرون بما يقال هنا وهناك من أن الشرق الأوسط يمر بمرحلة يتتابها التوتر والتهديد وخطر الحرب والعدوان ، إن هذا الخطر ليس جديداً علينا - إنما دائماً نشعر بالتهديد والعدوان - إن التهديد كان قائماً منذ عام ١٩٤٨ م وقبل ١٩٤٨ م وبعد عام ١٩٤٨ م .

إننا حينما نسمعهم اليوم يتكلمون عن هجوم الربيع فإننا لا نفزع كنا نشعر به قبل سنة ١٩٥٠ م وكنا نشعر به يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ م حينما قامت إسرائيل بعدوانها الغادر على غزة وكنا نشعر به أيضاً بعد ٢٨ فبراير ١٩٥٥ م .

تبجح إسرائيل :

إننا كنا دائماً ننظر إلى الهجوم ومنتظر العدوان وإننا كنا دائماً نشعر وحدنا بهذا العدوان - لقد كانت إسرائيل تبجح بقواتها وقد كانت إسرائيل تبجح بالإمدادات التي كانت تحصل عليها ولم يكن هناك أبداً أى شعور خارجي بهذا التهديد وهذا العدوان - إننا اليوم حينما نسمع بما يسمونه بهجوم الربيع ، لا نفزع أبداً فإننا كنا ننتظر هذا الهجوم دائماً إننا كنا نشعر ، بالتهديد وكنا نشعر بهذا إننا نحتاج إلى السلام ولم نفزع ولم نجد طلبنا للرحمة ولكننا كنا نؤمن بعزمنا وكنا نؤمن إننا لم نمكن العدوان وإننا لن نمكن التهديد التي أقول هذا اليوم وأقول أيضاً إن مصر التي ارتبطت مع الدول العربية وإن مصر التي أعلنت إنها جزء من الأمة العربية ستقوم بالتزامها في هذا السبيل وستعاون مع أية دولة عربية في صد العدوان والإعتداء .

(١٨) من حديث الرئيس إلى صحيفة الأوبزيفر بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٥٦ م :

لم أدرك أن إسرائيل مسألة حيوية للدول الغربية إلا قبيل ذهابي إلى مؤتمر باندونج فالغربي يريد حماية إسرائيل قبل كل شئ ولو نجحت خطة الغرب لأصبح العالم العربي بأسهر متجهاً بنظرة إلى الشمال ولتركت مصر معرضة للخطر الحقيقي المنبعث من إسرائيل ولم نكن نفكر كثيراً في خطر إسرائيل حتى أخذت تعتدى على حدودنا وغرقنا إن السلام يأتيها عن طريق فرنسا وكنا نريد استغلال مواردنا في سبيل مشروعاتنا الداخلية وحدها ولكن اضطررنا إلى شراء الأسلحة حتى نستطيع مواجهة خطر إسرائيل .

(١٩) من كلمة للرئيس بتاريخ ١٢ مايو ١٩٥٦ م :

إن المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في إسرائيل ، طالب بتحرير الوطن الإسرائيلي الذي يحلمون به من النيل إلى الفرات من العرب - إن العرب في رأيهم دخلاء غاصبون ، إن فلسطين في رأيهم أرض يحتلها العرب من غير وجه حق ، أن مديرية الشرقية في رأيهم أيضاً بلد يحتله العرب أيضاً بغير وجه حق ، إن سوريا والأردن والعراق بلاد يحتلها العرب كذلك في رأيهم من غير حق ، ذلك منطقهم ، وتلك خطتهم ، من هنا تبلو أهمية القوة العربية العسكرية اليوم .

وتزداد هذه الأهمية خطورة إذا ذكرنا مع الصهيونية العالمية وشرورها أطماع الإستعمار وخططه البعيدة المدى إن الإستعمار يعتبر القومية العربية خطراً عليه وعلى موارده .

(٢٠) من خطاب الرئيس في الجبهة الشرقية بتاريخ ١٤ مايو ١٩٥٦ م :

كنا نريد تقوية جيشنا ولم نشأ أن يشغلنا عن ذلك أى إعتبار فرعى وتركناهم يقولون ما يشاء لهم سوء النية ولم يسكتوا ، بدءوا يسلحون إسرائيل ، أقول بصراحة الغرب بدأ يسلح إسرائيل أعطاهم الطائرات والدبابات والمدافع بدأ الغرب يسلح إسرائيل من غير ضجة . ومن غير ثورة ، من غير صخب ، فى صمت وسكون فتلست إسرائيل من فرنسا ٢٤ طائرة أخرى من طائرات (ميسير) إننى أود أن أقول لكم شيئاً عن طائرات (الميسير) إن إنتاج هذه الطائرات خاضع لمنظمة حلف الأطلنطى وجيوش هذا الحلف هى وحدها التى تستعملها ، وإسرائيل الآن البلد الوحيد خارج حلف الأطلنطى الذى أعطيت له هذه الطائرات ، إننى لا أقول إن فرنسا هى التى أعطت إسرائيل السلاح وحدها ، وإنما أعتبر أن الغرب كله تأمر فى هذا مع فرنسا لمصلحة إسرائيل ضد العرب إنهم يتحدثون عن إعادة التوازن بين العرب وإسرائيل بعد إن اختل هذا التوازن كما يدعون حين استطاعت مصر أن تسلح جيشها ، أى توازن هذا الذى يمكن أن يقوم بين أربعين مليوناً من العرب وبين مليون ونصف مليون فى إسرائيل ، بل أى توازن هذا الذى يمكن أن يقوم بين ٢٣ مليوناً من المصريين ومليون ونصف فى إسرائيل ، إننى أعلن أمامكم من هنا إن الجيش المصرى سوف يظل أقوى جيش فى المنطقة ، وإن التفوق سىظل معه سواء رضى الغرب أو لم يرض سواء رضيت إسرائيل أو لم ترض .

نحن اليوم لا نواجه إسرائيل وحدها ، وإنما نواجه إسرائيل والإستعمار ، وطالما كان هناك إستعمار لا يمكن أن يكون سلام ، لأن الإستعمار معناه الاستغلال والسيطرة والتحكم ، ونحن لا نقبل إستغلالاً ولا سيطرة ولا تحكماً ، إذن فهناك حرب بيننا وبين الإستعمار برغم إرادتنا ، لأننا نحارب هذه الحرب من أجل الدفاع عن كياننا ، والدفاع عن إستقلالنا ، وشرفنا وحریتنا وكرامتنا طالبا كان هناك استعمار فلن نشعر بإطمئنان ، وسنظل دائماً على حذر لن يكون هناك سلام بالنسبة إلينا إلا بعد أن نبني قوة مسلحة نعتد عليها . يحسب كل فرد حسابها ويقدرها كالتقدير ، وبالنسبة لإسرائيل كلنا نعرف

ما هى الأسباب التى من أجلها خلقت إسرائيل لا من أجل وطن قومى لليهود فحسب ، ولكنها خلقت لتكون عاملاً من عوامل القضاء على القومية العربية الموجودة فى هذه المنطقة المتوسطة من العالم ، خلقت إسرائيل لإضعافنا وإثارة المتاعب فى طريقنا .

لقد أعطوا السلام لإسرائيل وحينما حصلنا على السلاح ، قامت الدنيا وقعدت وملئوا الدنيا صياحاً وضجيجاً حول اختلال ميزان القوى وبعد ذلك كله ما زالوا يسلمون لإسرائيل السلام ، وكل هذا لا يؤثر فى سلام الشرق الأوسط ولا يؤثر فى قوى الشرق الأوسط ،

وحينما كانت إسرائيل تعتدى علينا ، كانوا هم يسلحوا إسرائيل تسليحاً يريدون به أن يتساوى تسليح إسرائيل مع تسليح الدول العربي مجتمعة ، ولم نقل لهم شيئاً أو لم تنقلب الدنيا رأساً على عقب ولم يتأثر السلام ولكن حينما أحسوا بأننا تسليحنا وإنا سنقابل العدوان بالعدوان بل بأشد منه كان ذلك في نظرهم هو الذي سيقرب السلام في الشرق الأوسط ، وحينما تتكلم إسرائيل عن الوطن القومي لليهود والأرض المقدسة التي تمتد من النيل إلى الفرات لا يزعج هذا القول أحداً .

ولكن حينما نتكلم عن فلسطين وعن حق العرب في بلادهم ، يكون هذا الأمر شيئاً مزعجاً يهدد السلام العالمي .

(٢١) من حديث الرئيس مع صاحب مجلة باينز الهندية بتاريخ ١٠ مارس ١٩٥٧ م :
إن إسرائيل تمثل خطراً حقيقياً للتوسع والتهديد الإستعماري والمطامع الصهيونية التي تهدف إلى تحويل المناطق الواقعة بين النيل والفرات إلى أرض مقدسة لليهود كما يزعمون ..
إن إسرائيل لم تقنع بخرقها قرارات الأمم المتحدة بل تريد اغتصاب غزة والعقبة وعلينا لذلك أن نتخذ إجراءات فعالة للمحافظة على سلامتنا ضد الخطر الصهيوني .

(٢٢) من حديث الرئيس مع مندوب التلفزيون البريطاني بتاريخ ١ يوليو ١٩٥٧ م .
إن مرور السفن الإسرائيلية من القناة لا يمكن فصله مطلقاً عن مشكلة فلسطين . إنني لا أفهم لماذا يتأجج الإهتمام عندكم كالنار بمشكلة مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس بينما مشكلة حق اللاجئين الفلسطينيين في وطنهم تقابل بالبرود وقد قررت الأمم المتحدة عودتهم إلى بلادهم ومع ذلك فإن إسرائيل إتنكرت وما زالت تصر على إنكار هذه الحقيقة .

(٢٣) من خطاب الرئيس في افتتاح مجلس الأمة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٥٧ م :
إن معركة الدفاع عن الشرق الأوسط أو معركة الأحلاف العسكرية المفروضة من الخارج ، لم تلبث إن قادتنا إلى إشتباكات خطوط الهدنة مع إسرائيل ، هذه الإشتباكات التي بدأت بالغارة الإسرائيلية الشهيرة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ م ، وقبل الغارة على غزة لم تكن نشغل أنفسنا كثيراً بخطر إسرائيل . كنا في ذلك الوقت نعتبر خطر إسرائيل ، هو مشكلة سباقنا مع القوق لبناء وطننا ، كنا نعتبر أن خطر إسرائيل في حقيقة الأمر هو ضعف العرب ولولا هذا الضعف ما قامت إسرائيل ، ولولا هذا الضعف ما استطاعت أن تغتصب من الوطن العربي بقعة من أقدس بقاعة وأظهر أراضيه .

إن دخان الغارة على غزة من فبراير الجلى ليكشف عن حقيقة خطيرة تلك هي إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة وإنما إسرائيل في حقيقة أمرها رأس حربة للإستعمار ومركز تجمع لقوى أخطر من إسرائيل ومن الإستعمار وهي الصهيونية العالمية .

(٢٤) من خطاب الرئيس بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٥٧ م :

إن هذا الشعب يعرف هدفه ويعرف طريقه ، في غزة حارب شعب فلسطين في ظروف مريرة قاسية ، حارب الشعب وهو يعلم أن الجيش المصرى ينسحب ليجابه هجوم بريطانيا وفرنسا ، حارب الشعب الفلسطينى في غزة ، وخان يونس ورفح ، وأثبت هذا الشعب المقاتل أنه متمسك بحقه في الحياة ، بحقوق شعب فلسطين التى أهدرتها الدول الكبرى متمسك بحقه في وطنه ، حارب شعب فلسطين في وطنه ، وهو يعلم أن الجيش المصرى انسحب ، ولكنه حارب دفاعاً عن شرفه ودفاعاً عن كرامته ، حارب لأنه لم يستطع أن يرى اليهود يدخلون بلاده بدون أن يحاربهم ويقاثلهم ، ففي خان يونس كانت معركة عنيفة مات فيها عدد كبير من المدنيين الفلسطينيين في غزة ، وأثبت هذا الشعب أنه لم تؤثر فيه الأحداث ولم تؤثر فيه الحزن ولم تؤثر فيه مؤامرات الدول الكبرى . ولكنه تمسك بقوميته وعرويته ، وتمسك بقوة وتمسك بالصبر وبقدرته على القتال .

(٢٥) من حديث الرئيس إلى الصحفيين الأمريكيين بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٥٨ م :

إن الأمم المتحدة تنظر إلى حدود إسرائيل كخطوط الهدنة ، فليست هناك حدود فاصلة متفق عليها ، كان مشروع التقسيم ١٩٤٧م اخر قرار إتخذته الأمم المتحدة بشأن حدود إسرائيل .

ولاحظت أنه كلما دار الحديث في الموضوع قصر على إسرائيل ناسين حقوق شعب فلسطين ، لذا أحب أن أقول أنه إذا أريد مناقشة موضوع إسرائيل ، فالمنطق أن نذكر أولاً حقوق شعب فلسطين وإني أقول أنه لا يمكن أن يكون سلام في هذه المنطقة طالما أهملت حقوق شعب فلسطين . إن جرائد نيويورك دائمة الحديث عن حقوق كثيرة تطالب بها إسرائيل ولكنها لا تتعرض قط لموضوع حقوق عرب فلسطين في الرجوع إلى أراضيهم . وفي إسترجاع أملاكهم التى اغتصبت منهم منذ عشر سنوات على وجه التقريب .

إن هذه المشكلة ذات وجهين ، أحدهما إسرائيل والآخر عربى ، وتدأب إسرائيل على القول بأنها تواجه تهديدات العرب وإن العرب يوغبون في إكتساحها وإلقائها في البحر وما شابه ذلك ، وإسرائيل لها النفوذ والقدرة على نشر هذه الأقوال في بلدكم ، ولكن يجب أن نتجاهل

إن هناك مليوناً من الشعب العربى يعيشون كلاجئين على خطوط الهدنة وذلك لأنهم طردوا من بلادهم ، واضطروا حرصاً على حياتهم إن يتركوا ديارهم وأراضيهم وكل ما تمتلكه أيديهم .

هذه هي المشكلة الرئيسية ، أما بالنسبة لمصر فقد كان خطر إسرائيل واضحاً أمام أعينا منذ عام ١٩٥٥م ، إننا نواجه تهديداً من قبل إسرائيل وإننا نشعر بالخوف من أطماعها في التوسع ، الذى أعلنه الإسرائيليون في إنتخاباتهم عام ١٩٥٥م إذ صرح بعض قادتهم وقتذاك بأنهم يحاولون بل يعملون جاهدين على تحقيق هدفهم في الحصول على الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات ، وهذا يعنى دون شك أنهم يرغبون في ضم الأراضي المصرية إلى إسرائيل ، هذه هي الحقيقة المجردة .

ثم حدث في أوائل عام ١٩٥٥م أن بدأت إسرائيل سياستها العدوانية وكثر الحديث في الخطاب الإنتخابية عن فكرة التوسع ، وعن الإبقاء في الحالة التوتر ومنذ ذلك الحين بدأت أحذر القادة العسكريين من العالم أجمع طالبين السلاح حتى لا نصبح لاجئين كما حدث لشعب فلسطين ، إننا قد نواجه غزواً خارجياً وقد حدث ما توقعناه فقد واجها الغزو الإسرائيلى ١٩٥٦م ولم تكن المسألة في الواقع مسألة غزو فحسب ، إذ أن بن جوريون ألقى خطاباً في الكنيست في فبراير ١٩٥٦م أعلن فيه إضافة أجزاء معينة من الأراضي المصلية إلى إسرائيل ولكنه لم ينجح في أغراضه السياسية باستعمال القوة وكان الإنسحاب ، وكانت هذه سياسة إسرائيل ، وهذا ما دعانا إلى تقوية جيشاً حتى لا نتحول إلى شعب من اللاجئين .

(٢٦) من خطاب الرئيس لإعلان الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ١ فبراير ١٩٥٨م :

كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر بقوتها ، وكنا نشعر أن أعدائنا أرادوا دائماً أن يفرقوا بيننا ، وكنا نشعر أن أعدائنا أرادوا دائماً أن يقسموا الأمة العربية ، إلى أمم صغرى ، يتحكمون فيها ويسيطرون عليها ، وكنا نشعر أن كل دولة منا تؤثر على مصير الدولة الأخرى ، وكنا نشعر أنه لا بد من أن نتضامن ولا بد من أن نتحد ولا بد أن نتآزر ونتآخى حتى ندفع أطماع الطامعين وحتى نرفع عنا غيلة الزمن وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين وحتى نستطيع أن نحافظ على الوطن العربى .

(٢٧) من خطاب الرئيس في رجال الجيش في سوريا بتاريخ ١١ مارس ١٩٥٨م :

إن بريطانيا حينما كانت تعد العرب بحرية بلادهم ، إذا ساعدوها في التخلص من العثمانيين ، كانت في نفس الوقت تتآمر مع الصهيونية العاملة لتعطىها قطعة عزيزة من الوطن وهى

فلسطين . سار الإستعمار مع الصهيونية العالمية : فقامت الحزب في فلسطين ١٩٤٨م ، وهبت الأمة العربية في كل بلد عربي تنادى ، لابد أن نعاون إخواننا في فلسطين ، ولابد من أن نساعدهم في الحرية والتغلب على الغزو الصهيوني ، هذا الغزو الذي كان يجد في الإستعمار العون الأكيد ، فقامت الأمة العربية تفرض إرادتها ودخلت الجيوش العربية في ١٩٤٨م لتعاون عرب فلسطين في البقاء على أرضهم والحفاظ على حريتهم فماذا كانت النتيجة ، حدثت مأساة ١٩٤٨م وهزم العرب هزيمتهم المقتلة .

إن الأمة العربية حينما تنظر إلى الماضي تذكر مآسى فلسطين ١٩٤٨م وحرب فلسطين وإن الإستعمار الصهيوني العالمية قد تحالفوا عليكم وعلى قوميتكم ، الإستعمار ، والصهيونية العالمية قد تحالفوا على قوميتكم ليخونها وقيموا بدلا منا قومية صهيونية .

(٢٨) من خطاب الرئيس عقب عودته من سوريا بتاريخ ٢٠ مارس ١٩٥٨م :

بعد حرب فلسطين وبعد خروجنا من مأساة ١٩٤٨م ، كان من السهل جداً على أى واحد يفكر تفكيراً حراً أن يعرف ما هى الوسيلة التى نستطيع أن نحمل بها الأمة العربية من السيطرة والتحكم الأجنبي والعدوان ، ما هى الوسيلة التى تجمعنا ونحمينا ضد الأطماع الأجنبية ، كانت هذه الوسيلة ، بنظرة بسيطة إلى تاريخنا تتضح لكل واحد فى الوحدة والتضامن .

(٢٩) من حديث الرئيس مع مندوب شركة كولمبيا بتاريخ ٦ إبريل ١٩٥٨م :

فى سنة ١٩٥٥م كانت هناك إنتخابات عامة فى إسرائيل وكانت المعارضة تخوض المعركة على أساس ما يسمونه (أرضهم الموعودة) من النيل إلى الفرات أى تشمل جزءاً من مصر وتبتلع الأردن كله وسوريا ولبنان . وتضمن إليها أجزاء من العراق

أما الحكومة الإسرائيلية فقد كانت تخوض المعركة على أساس أنها سبنتهج سياسة ترمى إلى فرض تسوية بالقوة المشكلة لإسرائيل ومعنى هذا - أن سياسة الحكومة المعارضة فى إسرائيل ومعنى هذا - أن سياسة الحكومة المعارضة فى إسرائيل سياسة عدوانية ، المعارضة تدعو إلى الحرب للتوسع ، والحكومة تدعو إلى الحرب لفرض تسوية بالقوة لمشكلة فلسطين ، فهل يمكن بعد هذه الشواهد أن نتغافل عن وجود الخطر الصهيوني الذى يهدد الكيان العربى كله ، بأن يتحول إلى شعب من اللاجئين ليس هذا وهماً وإنما هذا حدث فعلاً لشعب من أكرم الشعوب العربية ، وهو شعب فلسطين - لهذا يجب أن - نتنبه للخطر ويجب أن نعمل فعلاً على الإستعداد له ولا نترك هذه المسؤولية لأحد غير شعوبنا .

إن المشكلة بين العرب وإسرائيل كانت أولاً حقوق شعب فلسطين المنهوبة وقد أضافت إليها إسرائيل مطامعها التوسعية فهي تستقبل في العام الواحد أكثر من مائة ألف مهاجر فهل تستطيع إسرائيل بمواردها أن تستوعب هذا العدد ، أن نتيجة ذلك ستكون أعمالاً عدوانية جديدة تستهدف التوسع .

(٣٠) من خطاب الرئيس في الاتحاد السوفيتي بتاريخ ٣٠ إبريل ١٩٥٨ م :

إن الإستعمار أقام إسرائيل في قلب العالم العربي يتمكن من تهديد العرب وإجبارهم على إلتئاس الحماية من الكتل الإستعمارية وأن الغرب زود إسرائيل بالسلام ، بينما ضمن به على العرب .

(٣١) من خطاب الرئيس بحلب بتاريخ ١٥ مايو ١٩٥٨ م :

لقد استخدمت إسرائيل في العدوان ، لتكون رأس جسر العدوان على بلادنا ، فقد بدأت الحرب علينا بالهجوم من إسرائيل بعد تحريش من بريطانيا وفرنسا لإحتلال بلادنا وإخضاعها ، إن إسرائيل في هذا العدوان كانت تمثل رأس جسر للعدوان إقامة إسرائيل في هذا المكان من العالم بين أرجاء العالم العربي ، إنما يهدف إلى تهديد العرب وتفتيت القومية العربية ، حتى يرغمي العرب في أحضان الدول الإستعمارية ويطلبوا منها الحماية من إسرائيل .

لقد قامت حروب بين الدول فواجهت الحرب وواجهت العدوان ولكن المأساة التي واجهتنا في بلادنا العربية لا يمكن أن تقارن كأي حرب أو عدوان فإن هذه المأساة هي عبارة عن إبادة شعب عربي وطرده من وطنه وإغتصاب أرضه .

لقد قامت حروب في العالم وفي جميع الأرجاء في آسيا وأفريقيا ، ولكنها لم تنته مثلما انتهت هذه الحرب بإخراج شعب فلسطين من أرضه ، وإقامة شعب آخر مكانه والإستيلاء على أملاكه واليوم تحتفل إسرائيل بمرور عشر سنوات على إقامتها ، إن هذا الإحتفال إنما هو إحتفال على أشلاء ودماء مليون عربي كانوا يقيمون في هذه البلاد وطردوا من بلادهم ، إن هذا أبشع أنواع السيطرة ، وأبشع أنواع الإستعمار ، والعالم يتكلم عن السلام وعن حقوق الإنسان ، ولكني يتناسى دائماً حقوق مليون عربي ، أخرجوا من بلادهم ، ووفرت الوسائل للمعتدين ليعيشوا ويستولوا على أموالهم .

عندما خرجت قوات الإحتلال من بلادنا ، بدأت إعتداءات إسرائيل على حدود ، حتى ننضم إلى الأحلاف ، ونطلب من الدول التي تنادى بالأحلاف في الشرق الأوسط ، أن تحميها من عدوان إسرائيل ، ففي عام ١٩٥٥م أعلن حلف بغداد فرفضنا الإنضمام إليه

وصممنا على سياستنا وتمسكنا بها ، فكانت النتيجة أن وقع علينا العدوان من إسرائيل ، ولم تكن إسرائيل إلا منفذة لسياسة الإستعمار التي نتعامل معه .

(٣٢) من خطاب الرئيس في أجتاع مجلس إتحاد الدول العربية بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٥٨ م :

لقد كانت الصحوة الكبرى التي نهت العرب في كل مكان هي محاولة القضاء على القومية العربية وإقامة قومية صهيونية بين أرجاء العالم العربي ، أقاموا القومية الصهيونية وأوحوا لها بأنها تستطيع أن ترتفع على حساب القومية العربية وأعلنت القومية الصهيونية التي أحتلت أرض العرب في فلسطين أن وطنها المقدس يمتد من النيل إلى الفرات ، ووجدت القومية الصهيونية بين أعداء القومية العربية من مساعدوها ومسلحوها ومنعوا السلاح عن العرب ؛ حتى تستطيع أن تقضى على القومية العربية ، التي لم يستطيعوا أن يحطموها ، والتي لم يستطيعوا أن يقضوا عليها ، وبدأت القومية العربية تحس بالخطر ، تتكاتف وتنازر ضد الخطر الصهيوني وضد الخطر الإستعماري أفراداً وجماعات كل منهم يعمل على التضامن والوحدة وعلى الاتحاد حتى تثبت أركان القومية العربية لتحمي أرضنا وتحمي بلادنا ضد أطماع الطامعين وضد جشع المستعمرين وضد أطماع الصهيونية العالمية .

واليوم يعيد التاريخ نفسه .. إننا ندافع عن أوطاننا وعن بلادنا ، ولكن إسرائيل التي تمثل الصهيونية العالمية تجد في الاستعمار حليفها الذي يمدّها بالسلاح ، إن بريطانيا قد مدت إسرائيل بالسلاح ، وأمريكا قد أمدت إسرائيل بالسلاح لأي سبب يمدون إسرائيل بالسلاح ، إسرائيل قامت في هذه المنطقة لتمثل رأس جسر الإستعمار ، وما حرب ١٩٥٦م والعدوان الثلاثي إلا الدليل الأكبر على أن إسرائيل خلقت في هذا المكان لتهدد القومية العربية وتقضي عليها إذا وجدت الفرصة واعتقدوا في ١٩٥٦م أن الفرصة قد سنحت فهاجمت إسرائيل على بلادنا لتقضي على القومية العربية وأزرها الإستعمار ليقضي على القومية العربية ، وكانوا يعتقدون أنهم إذا قضوا على القاهرة إنهارت القومية العربية ونسوا أن القومية العربية أشعلت في كل بلد عربي ، وإنطلقت في كل مكان عربي

(٣٣) من خطاب الرئيس بميدان الجمهورية بتاريخ ٢١ فبراير ٥٩ :

هذه الأخطار التي تقابلنا أخطار التفرقة وأخطار الدس والمؤامرات والوقعة بين البلاد العربية طبعاً فيه خطر آخر على الطريق كلنا نشعر به وكلنا نحمل به خطر من عشر سنين يهدد قوميتنا ويهدد البلاد كلها ، وهو خطر إسرائيل التي قامت على العدوان ، وإسرائيل التي بدأت سياستها على فرض السلام وكلمة فرض معناها حرب يعني السلام بالحرب ،

يعنى فرض الصلح على الدول العربية بالأعتداء على الدول العربية وإجبارها وإذلالها حتى تقبل الصلح ، هذا الأمر طبعاً حينما كان قارة إسرائيل ينادون بأنهم لابد أن يفرضوا السلام على العرب ، بالأمس قال بن جوريون لازم نصطلح مع أقوى دولة عربية وهى الجمهورية العربية المتحدة ولا بد أن يسود السلام مع الجمهورية العربية المتحدة لأنه يشعر أنه إذا استطاع أن يفرض السلام مع الجمهورية العربية المتحدة بعد ذلك تكون القضية سهلة وهينة بالنسبة له وطبعاً فى ١٩٥٦م وجد فرصة العمر ليهاجمنا ومعه دولتين تعتبران من الدول العظمى ، ولم يستطع بن جوريون أن يفرض السلام أو الصلح .

فعملية فرض السلام وعملية إسرائيل هى رأس جسر للإستعمار طبعاً خطر على طريقنا للوصول إلى أهدافنا ويحتاج منا أولاً إن نتضامن ، ويحتاج إلى وحدة الصف العربى ، يحتاج إلى أن تقوى ، ويحتاج إلى أن تعمل ، ويحتاج إلى أن نصنع بلدنا ، ويحتاج إلى أن نعتمد على أنفسنا .

فى الأيام الأخيرة أو فى الأشهر الأخيرة ، بدأت تصل أخبار من إسرائيل عن الهجرة الجديدة ، صرح بن جوريون فى يوم ١١ فبراير قال بن جوريون مشيراً إلى الهجرة بأنه يأمل فى أن يصل عدد من المهاجرين لا إلى آلاف بل إلى عشرات الآلاف وقال إنه يعتمد على أن يفتح الهجرة من البلاد الشرقية فى يوم ٨ طبعاً عقد إجتماع فى أمريكا فى ميامى لجمع تبرعات لإسرائيل وفى يوم ٨ وصل خبر يقول بدأت أمس حملة جمعية النداء الموحدة للحصول على مبلغ ٣٠٥ مليون دولار لإعادة توطين آلاف اليهود فى إسرائيل ، وبن جوريون بعث برسالة فى هذا الإجتماع قال أن نسبة الهجرة ارتفعت فى الأشهر القليلة الماضية ومن المتوقع أن ترتفع فى المستقبل .

وهناك أخبار نشرت بعد ذلك قالت إن ابن جوريون أعلن أنه يصل إليه يهود من رومانيا مناهجرون وأنه يريد يهود الإتحاد السوفيتى وأنه يسعى لأجل أن يرفع الإتحاد السوفيتى الهجرة وفى يوم ٢٩ يناير صرح بن جوريون فقال إذا إستطعنا أن نستوعب الهجرة الجديدة من بلدان شرق أوروبا التى يتراوح عددها بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ ألف نسمة فإن الأمل سيصبح قوياً بأن نفتح أبواب الهجرة أمام المركز اليهودى الكبير فى العالم القديم وهناك أخبار أخرى جاءت فى وكالات الأنباء إن الحركة الصهيونية فى أوروبا تأمل أن يسمح الإتحاد السوفيتى قريباً بهجرة يهود روسيا البالغ عددهم ٣,٥ مليون .

وفى يوم ٢٨ يناير تنبأ دافيد بن جوريون بأن ما بين ٢٥٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف يهودى سيأتون إلى إسرائيل فى موجة الهجرة ، وقال إن معظم المهاجرين الجدد سيأتون من رومانيا

ودول شرق أوروبا الأخرى وبالرغم من أنهم لن يأتوا من الإتحاد السوفيتي ، وقال إن ١٠٠ ألف يهودي سيصلون في سنة ١٩٥٦م وما يزيد عن ذلك في العام القادم ، هذه الأخبار هي التي طلعت من إسرائيل ، تتكلم عن الهجرة والمجرة من أوروبا الشرقية .

وإن الأمر في أن الإتحاد السوفيتي موافق على فتح باب الهجرة الثلاثة ونصف مليون يهودي وأخبار أمريكا أن الجمعيات الصهيونية هناك ، تقيم اجتماع ولكي تجمع ٢٥٠ مليون دولار لتمويل عملية الهجرة لإسرائيل .

طبعاً فيه حقيقة عرفناها ، هي أنه حصلت فعلاً هجرة من رومانيا ، وصلت إلى حوالي ٤ آلاف أو ٢٥٠٠ في الشهر ويظهر أن هناك محاولة لهذا ، إن هذا الموضوع نعتبره موضوعاً يهم الأمة العربية كلها ، لأن إسرائيل لأجل أن تعيش بوضعها الحالي يلزمها أن تأخذ معونة من أمريكا وألمانيا وكل سنة حوالي ٧٠٠ مليون دولار ، يعني بمعدل أكثر من مليون دولار في اليوم .

وطبعاً إذا زادت الهجرة إلى إسرائيل مع إقتصادها المنهار ، لن تستطيع إسرائيل أن تكفي ، هم في العشر سنين التي مضت بعد إستيلائهم على فلسطين أحضروا مليون يهودي ، وبن جوربون يقول أنه يريد أن يحصل من مليون إلى ٢ مليون في العشر سنين الآتية ، من أين يعيشوا .

إن من يقرأ ميزانية إسرائيل يجد أن ثلاثة أرباعها إعانات من الخارج إعانات تفرض على الأمريكان ورجال الأعمال بالإرهاب والضغط وطبعاً إعانات أخرى حكومية ورسمية وإعانات معفية من الضرائب ، فلما يأتي بمليونين آخرين في هذه المنطقة التي تحتلها إسرائيل فكيف يعيشون لن يكون أمامهم إلا التوسع ليعيشوا على حساب تشريد الأمة العربية ، وعلى حساب تشريد مناطق من العالم العربي كما شرد عرب فلسطين في سنة ١٩٤٨م ، إن تمويل التهجير يأتي من أمريكا ، وإسرائيل لها سياسة معروفة وهي أنه لا بد أن نقيم دولة إسرائيل الدولة المقدسة التي تمتد من النيل إلى الفرات وتأخذ جزءاً من لبنان وسوريا والعراق والأردن وجزءاً من مصر لغاية الشرقية ، لا بد أن تأخذ هذا الكلام بجد ولا نضحك عليه أبداً ، إن وعد بلفور كان سنة ١٩١٧م والوطن القومي لليهود أعلن سنة ١٩١٧م فظلوا من سنة ١٧ يعملون لسنة ١٩٤٨م ، حتى استطاعوا أن يحققوا هذا الوعد ، واستطاعوا أن يقيموا وطناً قومياً واستطاعوا أن يحصلوا على التأيد والأموال .

فإذا كانوا اليوم يتحدثون على دولة إسرائيل وملك إسرائيل المقدس من النيل إلى الفرات ، فإنهم لا ينظرون في تحقيق هذا الكلام اليوم أو يحققونه غداً ، لكنهم يعملون على أساس

الأيام القادمة التى تحقق لهم هذا ، ويعملون على أساس إن الفرص قد تسنح لهم ليحققوا هذا ، ولهذا .. يجب علينا أن نستعيد لمجابهة هذا الخطر ومجابهة الخطط الصهيونية التى تهدف إلى تصفية القومية العربية وتعمل من أجل إقامة قومية إسرائيلية فى هذه المنطقة من العالم . هذه هى الظروف التى تقابلنا هذه هى الظروف التى تمر فيها مؤامرات للتفرقة والوقية والفساد ، وفى نفس الوقت محاولات لتقوية إسرائيل ومعاونات لإسرائيل .

(٣٤) من خطاب الرئيس فى اللاذقية بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٩ م :

إن الذين تأمروا علينا فى الحرب العالمية الأولى هم بريطانيا وفرنسا ، الذين قدموا وعد بلفور للصهيونية لإعطاء فلسطين العربية لإسرائيل ، واستغل الإستعمار حرب فلسطين ليشير الأحقاد بين البلاد العربية وكان يقول أنه لا نتيجة للتعاون مع البلاد العربية ولكن فى حرب فلسطين لم تكن لنا إرادتنا وسيادتنا وكنا نشرع أننا غرباء فى بلادنا ، ولكنكم أيها الأخوة صم واستمر كل فرد يعمل على الدعوة وينادى بوحدة الصف والتضامن العربى .

(٣٥) من خطاب الرئيس فى الوفود اللبنانية بتاريخ ٨ من مارس ١٩٥٩ م :

إستطاع الشعب العربى بكفاحه وإتحاده أن يحمى القومية العربية وخرجت القومية العربية من المعركة منتصرة وإستطاع العرب أن يستمروا فى البقاء فى هذه المنطقة التى وجدوا فيها ، إستطاع العرب أن يهزموا خطط أعداء القومية العربية التى كانت تتجه إلى إبادةنا وإلى تفرقتنا والخلاص من قوميتنا وإقامة قوميات جديدة بأرضنا ، حتى أقى عام ١٩٤٨م وبدأت المحاولات مرة أخرى فبدأت الصهيونية العالمية يؤازرها أعداء القومية العربية فى وضع خططها موضع التنفيذ من أجل القضاء على القومية العربية ، وتحقيق أحلام القومية الصهيونية فى هذه الأرض البطاهرة ففلم الشعب الأعزل يكافح فى سبيل قوميته ، لم تكن هذه الأفعال إلا بداية لأول الطريق تخطط التى وضعت ضد القومية العربية سنة ١٩١٧م بوعد بلفور بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين واستمر أعداء القومية العربية فى العمل ضدها من أجل تحقيق الوطن القومى لليهود .

بدأ هذا فى سنة ١٧ بل قبل سنة ١٩١٧م واستمروا فى العلم منذ سنة ١٧ حتى سنة ١٩٤٨م ثلاثين سنة من العمل المتواصل وكان الشعب العربى فى هذا الوقت يقاسى من الإحتلال ويقاسى من الإستعمار لم يسكت أبداً على هذا بل كان يكافح ليتحرر ويستقل ، ولما حدثت مأساة سنة ١٩٤٨م هب العالم العربى كله يحمى قوميته ، لأن كل فرد من أبناء الأمة العربية كان يشعر أن تهديد القومية العربية فى أى بلد عربى ، إنما هو تهديد للقومية

العربية في جميع البلاد ، وإن إقامة قومية صهيونية في فلسطين إنما هو تهديد لقوميتنا في جميع البلاد العربية . أعلنت الصهيونية أنه لا بد من إقامة وطن لإسرائيل . وطن إسرائيل المفقدي يمتد من النيل إلى الفرات .

(٣٦) من خطاب الرئيس بعد مشاهدته مناورة الجيش الأول بتاريخ ١٤ مارس ١٩٥٩ م :

إن إسرائيل كانت تخشى دائماً أن يتقدم الشعب السوري لأنه حينما يتقدم فسيكون أشد خطورة عليها واليوم أصبحت سوريا مع مصر وحدة راسخة متينة وأصبحت إسرائيل لا تستطيع أن تضرب في الشمال وتهرب أو تضرب في الجنوب وتهرب لأن أي عدوان على الشمال أو على الجنوب هو عدوان على الجمهورية العربية المتحدة .

(٣٧) من خطاب الرئيس في دمشق في حفل وضع حجر الأساس لمدينة الضباط بتاريخ ١٤ مارس ١٩٥٩ م :

في سنة ١٩٥٦م قبل الوحدة وقبل العدوان الثلاثي على مصر قرأت مقالاً في المجلة العسكرية الإسرائيلية وكان عنوان هذا المقال (إلى دمشق) وكان المقال يقول : إننا إذا أردنا أن نهزم العرب فليس أمامنا إلا أن نتجه إلى دمشق وأن الغلطة الكبرى التي إرتكبها الصليبيون حينما إحتلوا البلاد العربية هي عدم إحتلالهم سوريا كلها وإخضاعها بواسطة الصليبيين وكانت الغلطة الكبرى التي مكنت العرب من أن يتحدوا ويتخلصوا من الإستعمار الصليبي .

وقال الجريدة العسكرية الإسرائيلية أن الشعب السوري شعب خطر ، إن إسرائيل كانت تخشى دائماً أن يتقدم الشعب السوري .. صناعياً واجتماعياً لأنه حين يتقدم يكون أشد خطورة على إسرائيل . ولهذا نادى صاحب المقال في المجلة العسكرية قائلاً إلى دمشق .

(٣٨) من خطاب الرئيس في وقد غزة بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٩ م :

وأنتم هنا أيها الأخوة من فلسطين التي بذلت ، بذلت الكثير بذلت الدماء بذلت الأرواح وبذلت الغالي والنفيس . إن هذا البذل أيها الأخوة لم يضع هباء .. وإن هذا البذل .. وهذه المحنة التي قابلناها والتي قاسيناها إنما كانت الشرارة التي أوقدت نار العمل .

(٣٩) من خطاب الرئيس في حفل تكريم الضباط الخريجين بالكلية الحربية بتاريخ ٢٥ إبريل ١٩٥٩ م :

ليست المأساة وليست الكارثة التي حلت بنا هي إستيلاء الصهيونية على فلسطين . ولكن هناك التهديد المستمر للتوسع . التهديد المستمر للتوسع ، التهديد المستمر للتوسع من النيل إلى الفرات . وهذا لا يمكن أن يحدث على مرحلة واحدة ولكنه يحتاج إلى مراحل وسنين .

إذن فهذا خطر جاثم على الجمهورية العربية المتحدة وعلى لبنان والأردن والعراق وبهذا تنمحي القومية العربية ونحل محلها القومية الصهيونية .

هذه هي الأخطار التي تتعرض لها نتيجة انفصال الدول العربية وفرقتها في سنة ١٩٤٨ م ، ونتيجة تنكرها لرسالة القومية العربية فإذا قارنا ذلك بانتصارنا في القرن العاشر والثالث عشر ضد الغزو الصليبي الاستعماري وضد غزو التار نعرف الفرق ، نعرف أن بقاءنا على أرضنا والمحافظة على عروبتنا وعلى حريتنا وفي إتحادنا وتضامتنا هو في فهمنا للقومية العربية فلا يمكن للأطماع والأحقاد أن تفرق بيننا ولكن هذا لا ينسجم مع مصالح الصهيونية العالمية لأن الصهيونية وإسرائيل تعتقد أن وحدة العرب أو وحدة العرب العسكرية إنما تعنى بالنسبة لهما عدم تمكنهما في المستقبل بأي حال من التوسع في البلاد العربية . وإنما تعنى لهم خلق مجتمع عربي قوى على حدودهم فلا يمكن أن تتحقق أطماعهم أو أن يضعوها موضع التنفيذ أو أن يتهكوا حقوق شعب فلسطين . الذي طرد من أرضه سنة ١٩٤٨ م ، ولا يزال يصمم على استعادة حنونه في بلده وأرضه وأملاكه التي اغتصبت اغتصاباً . لهذا دأبت الصهيونية العالمية بكل وسيلة من الوسائل على حرب القومية العربية وعلى عدم تمكينها للبلاد العربية من التضامن أو الاتفاق العسكري وكانت تستغل في هذا كل ما يمكن أن تستغله في تحقيق أهدافها .

(٤٠) من مقال للرئيس في مجلة لايف الأمريكية بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٥٩ م :

تقوم إسرائيل بدور هام في المناورات التي تجرى بشأن الشرق الأوسط . والسائد بين العرب القول بأن إسرائيل أداة الاستعمار الغربي أو العكس . وأظن أن هذا القول ينطوي على حق كبير . بدليل أنه حدث في خريف ١٩٥٦ م أن دبر الإسرائيليون والإنجليز والفرنسيون عملاً عدوانياً ليس له مثيل . والآن تقوم فرنسا بتزويد إسرائيل بكل أنواع السلاح ومن الواضح أن الدول الغربية تؤيد العدوان الإسرائيلي . ففي الوقت الذي وقع فيه العدوان على السويس أظهرت الولايات المتحدة إنها كانت ضد العدوان الثلاثي علينا ومع ذلك فإنني أعلن إن إسرائيل كانت تلقى تأييداً عظيماً من الولايات المتحدة ومن الكونجرس ، وعن طريق الحركة الصهيونية المنظمة بين الشعب الأمريكي .

والآن ها نحن نواجه مناورات إسرائيلية جديدة فقد حدث في مايو الماضي إن أرسلت إسرائيل سفينة شحن دمرية بعد إن إستأجرتها . وكان إسرائيل تعلم جيداً ماذا تفعل ولماذا تفعله فكانت تذيع من راديو إسرائيل تحركات السفينة ساعة بساعة . وتحدد موقعها وتتسائل في شوق . هل ستنج في المرور من القناة ؟ كان تصرف إسرائيل ينطوي على إستفزاز لنا .

والواقع إن إسرائيل كانت تعلم إننا سنمنع تلك السفينة من اجتياز القناة لا من سياستنا المرسومة منذ سنة ١٩٤٨م تقضى بعدم السماح لسفن إسرائيل بالمرور من القناة سواء كانت سفنا ترفع العلم الإسرائيلي أم سفنا تابعة لدول أخرى ومؤجرة لإسرائيل لنقل بضائعها .

وبالرغم من هذا فإنه عندما رفضنا السماح لتلك السفينة بالمرور من القناة ، قامت في إسرائيل صيحات احتجاج ودهشة . إن حرية الملاحة ليست هي الأساس في هذه المشكلة ، وإنما الأساس قضية فلسطين ، ففى أثناء حرب فلسطين وقبلها ، شرد الإسرائيليون حوالى مليون عربى من أبناء فلسطين وجعلوهم هم وأبناءهم من اللاجئين رغم سلسلة القرارات التى اتخذتها الأمم المتحدة بضرورة عودة اللاجئين إلى بلادهم وديارهم .

وضرورة دفع تعويضات لهم عما فقدوه وخسروه من متاع وممتلكات .

ولكن إسرائيل تريد استخدام قناة السويس لنقل البضائع والمنتجات التى تنتجها فوق أرض شرعت منها بملاكها الأصليين .

إننا نرفض السماح لإسرائيل باستخدام القناة لأننا في حالة حرب تحكم علاقتنا مع إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨م وهذه الحالة تخول لنا كل الحق بموجب اتفاق القسطنطينية المعقود ١٨٨٨م في حماية بلادنا وحماية القناة من الأعمال العدوانية التى تقوم بها سفينة إسرائيلية .

(٤١) من خطاب الرئيس في الاحتفال بالعيد السابع للثورة بميدان الجمهورية بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٥٩م :

ليس من الممكن أن أتكلم عن القومية العربية من غير أن أتكلم على إسرائيل لأن وجود إسرائيل وفكرتها تهديد للقومية العربية في فلسطين وإحلال القومية الصهيونية محلها ثم التوسع والقضاء على القومية العربية في هذه المنطقة .

إن إسرائيل لا زالت تمثل التهديد ضد الشعب العربى في كل بلد عربى ، ولا زالت مؤامراتها مستمرة في كل وقت نضد مصر ولبنان والعراق والأردن وسوريا ، وضد كل البلاد العربية ، ولا يمكن إلا أن تكون تهديداً وخطراً ، لماذا ؟ لأنها عبارة عن جسم دخيل فينا يرد أن يفرض وجوده فكلما نهذاً المنطقة ترى إسرائيل خلقت أزمة ومشكلة لتخلق توتر دولياً لتتسبب في عزلة الدول العربية .

(٤٢) من خطاب الرئيس في حفل إستعراض القوات المسلحة في الإسكندرية بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٥٩م :

أمس رأينا وقرأنا تهديدات إسرائيل من قائد الحملة الفاشلة موسى ديان الذي قاد الجيش الإسرائيلي في سنة ١٩٥٦م . يقول أنهم يريدون أن يغزوا قناة السويس . قناة السويس التي نخسنا ، كيف تمر إسرائيل واليهود منها ، إن إسرائيل لن تستطيع أن تفرض علينا إرادتها أو مشيئتها . إسرائيل التي هي عبارة عن جريمة ، أو بعمل إجرامي (رأس جسر) للعدوان قام وسط الأمة العربية .

(٤٣) من خطاب الرئيس في حفل توزيع الأراضي بأدفا بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٩م :

إننا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نقبل أو نرضى الجريمة التي حلت بأخوة لنا في فلسطين وإذا كان الرأي العام العالمي يرضى بهذه الجريمة ضد شعب فلسطين فإننا كعرب علينا إلزامات تجاه إخواننا أهل فلسطين ، فلا نقبل هذه الجريمة ولا نرضاها وإننا ننادى دائماً بحقوق شعب فلسطين في بلده وأرضه .

(٤٤) من خطاب الرئيس في الإحتفال بمرور ٥٠ عاماً على طرد الإنجليز من رشيد بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٩م :

في معركة فلسطين قام الشعب العربي يحارب الاستعمار الصهيوني قام الشعب العربي ببذل دمه ولكن خدع الشعب العربي فحل بنا ما حل قمنا بعد هذا وامننا أنه لا بد أن نستقل ولا بد أن نتحد ونتضامن حتى لا تكون الفرقة سبيلاً لهزيمتنا في المستقبل كما هزمنا في فلسطين .

هذا سبيلنا للمحافظة على قوميتنا ، هذه القومية التي آمننا بها والتي تعرضت للأخطار في فلسطين ، بفعل القومية الصهيونية ممثلة مع الإستعمار .

واليوم نحن نعرف أنفسنا لن ترهبنا إسرائيل ولن يرهبنا من يؤيدون إسرائيل ومن يساعدون إسرائيل لأننا نؤمن بأنفسنا ونعرف قوتنا في هذا الإيمان ؛ وكما هزمنا الدول الكبرى وإسرائيل لفى الماضي فإننا بعون الله نستطيع أن نهزم إسرائيل ومن يعاون إسرائيل في المستقبل ، إننا نعرف طريقنا ونعرف سبيلنا ونعرف أنفسنا ونعرف أن هزيمة فلسطين لم تكن أبداً بالهزيمة بل كانت مؤامرة من الإستعمار على الشعب العربي ليث بين صفوفه الانقسام وروح الهزيمة والتفرقة وإن الأمة العربية اليوم قد كشفت نفسها وإننا حينما نعلن عن سياستنا وإننا نجابه إسرائيل إنما نعلن عن هذه السياسة ونحن على ثقة من أننا على إستعداد من أن نضع هذه السياسة موضع التنفيذ .

إننا حينما أعلننا إن إسرائيل لن تمر من قناة السويس إنما كنا نعنى هذا ، ونعنى إن إسرائيل

لن تمر من القناة وإننى لا أستطيع بأى حال من الأحوال أن أنسى هؤلاء الذين تكلموا فى الأمم المتحدة فى الأيام الماضية وقالوا كلمات عابرة عن حرية الملاحة فى قناة السويس واحب أن أرد بكلمات عابرة أيضا أين هى حقو شعب فلسطين ؟ ولماذا انتهكت حقوق شعب فلسطين ؟

إن مرور إسرائيل لا يعتبر بأى حال من الأحوال ضمن حرية الملاحة فى القناة . إن مشكلة إسرائيل وعبور سفنها فى قناة السويس إنما هى جزء من مشكلة فلسطين وشعب فلسطين الذى حرم من حقوقه فى الحرية والحياة .

إننى أريد أن أسأل هؤلاء الذين تكلموا عن حرية الملاحة فى قناة السويس .. أمريكا مثلا .. أمريكا هى عضو فى لجنة من أجل حقوق شعب فلسطين وعودة شعب فلسطين إلى بلاده .

هذه اللجنة تألفت فى سنة ١٩٤٨م موجودة حتى الآن . هل يستطيع وزى الخارجية الأمريكى أن يقول لنا ما عمله بهذا الخصوص ؟ والذى تم بمن أجل حقوق شعب فلسطين وعودة شعب فلسطين إلى بلده ؟ طبعاً هذه الكلمات العابرة التى قالتها أمريكا عن اللاجئين لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تعبر عن الحق والعدل وإنما الحق والعدل ينحصر فى كلمة واحدة هى حق شعب فلسطين فى بلده . هذا الحق الذى شكلت من أجله لجنة بواسطة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م . وكانت أمريكا ضمن هذه اللجنة .

الدول الكبرى :

هذا الحق الذى إنتهك ، هذا الحق الذى تغمض الدول الكبرى عينها عنه ، لأنها لا تريد أن تراه . ولأنها تريد أن تتجاهله وتريد أن تجاهل الصهيونية العالمية وتجاهل إسرائيل . إن حرية الملاحة وفق إتفاقية سنة ١٨٨٨م مطبقة فى قناة السويس . ولا يحق لإسرائيل الدولة المعتدية المغتصبة لفلسطين . الدولة التى اعتدت علينا سنة ١٩٥٦م والتى شردت فلسطين . لا يحق لها أن تدخل سفنها المياه الإقليمية لبلدنا بأى حال من الأحوال .

هذه كلمتنا أقولها صريحة واضحة وحينما أقول ذلك إنما أعرف أن الشعب العربى فى كل بلد عربى يعرف نفسه ويعرف العوامل التى سببت الهزيمة فى الماضى . ويريد أن يجعل من هذه العوامل عوامل نصر فى المستقبل . هذه سياستنا وهذا هو طريقنا . إننا حينما نقول هذه السياسة لا نخشى العدوان ولا نخشى الإستفزاز لأننا نملك الجيش الوطنى القوى الذى صممنا على بنائه وبنيناها .

نحن أفراد الجمهورية العربية المتحدة علينا مسؤولية كبرى علينا أن نحمل القومية العربية، والوحدة العربية حتى لا تسقط القومية العربية تحت هجمات الصهيونية التي تمثل حرباً صليبية جديدة ضد القومية العربية وخلق ملك لإسرائيل من النيل إلى الفرات . وذلك على الطريقة التي اغتصبوا بها فلسطين والتي عاملوا بها فلسطين .

(٤٢) من خطاب الرئيس في مصنع الكاوتشوك بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥٩ م :

إن هذا العواء وهذه السفسطة لا يمكن أن تؤثر فينا . لأن الجريدة المأجورة لإسرائيل لا يمكن إلا أن تقول ما تريده إسرائيل . وما تدفع ثمنه إسرائيل وهذه الجريدة سنة ١٩٤٨م كانت ضد إقامة إسرائيل وضد الصهيونية .

ولكن استطاعت الصهيونية بالضغط والإرهاب ثم استطاعت الصهيونية بعد ذلك بالترغيب أن تجعل هؤلاء الناس يتحولون عن الرأي الذي أعلنوه ونتيجة هذا . نتيجة هذا الضغط ونتيجة الترغيب ودفع الأموال أصبحوا اللسان الناطق للصهيونية في الولايات المتحدة وهم بهذا إنما يعملون ضد مصلحة الشعب الأمريكي .

وإننا نرجو للشعب الأمريكي أن يستطيع أن يكشف هؤلاء الذين قاموا بين ظهرائه مأجورية لدولة أخرى . يعملون ضد مصلحة أمريكا بل يعملون ضد مصلحة الإنسانية جمعاء .

هؤلاء الناس الذين استأجرتهم الصهيونية في أمريكا لتخدع بهم الشعب الأمريكي ولتجعل منهم سلاحاً ترفعه ضد دول العالم التي تريد أن تبني نفسها وتريد أن تحمي نفسها .

وكلنا يعلم إن إسرائيل منذ إن قامت هذ المنطقة كانت هي العدوان المجسم والعدوان الغاشم المبني على كل شيء إلا الشرف والمبنى على الغدر والخيانة وهذه الصحف التي تنادى بما ينادى به إسرائيل إنما هي صحف تعمل ضد الشعب الذي تصدر بين أرجائه وتعمل ضد الإنسانية جمعاء .

(٤٦) من خطاب الرئيس في معسكر الفتوة . بأبي قير بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٥٩ م :

قد نجح الإستعمار إلى حد ما في تنفيذ خطته . فاستطاع أن يقيم إسرائيل وإستطاع الإستعمار أن يحقق جزءاً من هدفه فقامت إسرائيل في قلب الوطن العربي . قامت إسرائيل لتفضل العرب .. عرب آسيا عن عرب أفريقيا . لتقضى على القومية العربية في فلسطين كمقدمة للقضاء على العرب على قوميتهم في المنطقة الممتدة من النيل إلى الفرات ، هذا ليس حدثاًك أو تخميناً أو إستنتاجاً ولكنه قيل بواسطة قادة إسرائيل لأنهم تكلموا عن تحقيق ملك

إسرائيل الذى يمتد من النيل إلى الفرات الذى يجمع جزءاً من مصر وسوريا ولبنان والأردن وجزءاً من العراق وجزءاً من المملكة العربية السعودية هذا هو ملك إسرائيل .. وفتحت إسرائيل الهجرة بل ساعدت على الهجرة بكل الوسائل وهى تجمع الأموال من كل بلاد العالم لمساعدة الهجرة وزيادة عدد السكان ، ولم يكن أمامهم بعد هذا إلا التوسع على حساب العرب وعلى حساب القومية العربية .

(٤٧) من خطاب الرئيس فى معسكر الكشفة بالأسكندرية بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٥٩ م :

فى الماضى لم تكن إسرائيل والآن إستطاعوا أن يضعوا إسرائيل فى قلب العالم العربى وأس جسر للعدوان إسرائيل التى قامت على العدوان وساعتدها فى هذا الدول الاستعمارية فهى دائماً ستمثل الخطر لأن إسرائيل دائماً ستزيد ستحاول أن تتوسع على حساب الوطن العربى من أجل إبادة القومية العربية وستبقى إسرائيل منتظرة الفرصة المواتية المناسبة فإذا وجدت الفرصة ستقضى علينا .

ونأخذ من هذا مثلاً فى سنة ١٩٥٦م فإن إسرائيل حينما وجدت الفرصة لم تتردد بل اقتنصتها حينما وجد التجاوب بينها وبين فرنسا وبريطانيا وحينما صدر الإنذار البريطانى الفرنسى للجمهورية العربية المتحدة فى ذلك الوقت فقد وجدت إسرائيل أن الفرصة واتها للتوسع .

(٤٨) من خطاب الرئيس فى المحلة الكبرى بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٥٩ م :

إننا ننظر من حولنا فنجد إسرائيل فما هو الغرض من إقامة إسرائيل ، ما هو الهدف من إقامة إسرائيل . هل هو إيجاد وطن قومى لليهود كما قالوا أم هو أساساً القضاء على القومية العربية وتفتيت الأمة العربية وتقسيمها إلى أجواء وفصل عرب آسيا عن عرب أفريقيا .

الواضح أن إقامة إسرائيل لم يكن الهدف منه أبداً إقامة وطن قومى لليهود ولكن كان هو أيضاً مؤامرة بين الإستعمار والصهيونية من أجل تفتيت القومية العربية والقضاء على الدول العربية أكبر مثل على هذا حينما إتفقت إسرائيل مع إنجلترا وفرنسا على مهاجمة مصر فى سنة ١٩٥٦م (العدوان الثلاثى) كان هذا الإتفاق ينص على أن تنضم سيناء إلى إسرائيل وعلى أن تكون بورسعيد والسويس محتلة بقوات فرنسية وبريطانية وعلى هذا الأساس دخلت إسرائيل الحرب مع إنجلترا وفرنسا ويكون لها مكافأتها ونصيبها من هذه الحرب وهى سيناء كلها . وكان أول إثبات على إن إسرائيل لها سياسة عدوانية فى إسرائيل تسكت وتنتظر حتى تواتيها الفرصة المناسبة لتنفذ .

أعمالهم الحق :

وحينما وجدت الفرصة إن بريطانيا وفرنسا أعماهم الحقد ويريدون إخضاعنا دخلت معهم على أساس عندما تنتصر الدولتان الكبيرتان - وكانت إسرائيل تؤمن بأنها منتصرة لأنها دخلت الحرب مع إنجلترا وفرنسا - أن تضم إليها سيناء ..

إذن الغرض هو القضاء على العالم العربى وتفتيت العالم العربى ، اليوم ونحن نضع هذا المجتمع موضع التنفيذ علينا أن نبني الجيش الوطنى القومى الذى يدافع عن البناء وعلينا جميعاً أن نكون على استعداد لنحول السلام لدافع عن وطننا وعلينا أن تؤمن إننا سنقابل أى عدوان بأشد منه ، وإننا إذا تعرضنا لعدوان سيحارب الشعب حرباً شاملة . ضد المعتدين - إننا لن نتهاون فى الدفاع عن جمهوريتنا ولا فى الدفاع عن جميع أرض الوطن العربى لأن أى عدوان على أى جزء من الوطن العربى عدوان علينا وأى حدث فى أى بلد من البلاد العربية لابد أن يؤكد علينا .

اليوم قالت وكالات الأنباء إن إسرائيل تريد أن تشكونا إلى الأمم المتحدة حينما تعقد الجمعية العمومية العامة فى سبتمبر . وطبعاً هذا كلام يدعو إلى الإستغراب .

إسرائيل التى انتهكت جميع قرارات الأمم المتحدة بعد إن انتهكت حقوق الإنسان . إسرائيل التى ارتكبت أكبر جريمة فى التاريخ البشرى ، إسرائيل التى أبادت الشعب العربى فى فلسطين وقضت عليه بمؤازرة الدول الإستعمارية لقد حدثت حروب وغزوات ولكن هذه الحروب وهذه الغزوات لا يمكن أن تقف إلى جانب الإبادة التى تبيتها إسرائيل للعرب . وتبيتها لباقي العرب بعد إن نفذتها فى فلسطين .

كيف تجرؤ إسرائيل على أن تشكونا إلى الأمم المتحدة وهى التى لم تنفذ أى قرار للأمم المتحدة من سنة ١٩٤٨م إلى الآن . إسرائيل لم تنفذ أى قرار فى صالح شعب فلسطين ومن أجل حقوق شعب فلسطين بل تحدث هذه القرارات علناً .

واليوم تريد إسرائيل أن تفرض علينا قبول سياستها بإستخدام قناة السويس وتقول إنها ستشكونا إلى الأمم المتحدة .

إسرائيل تريد إبادتنا :

إذا كانت إسرائيل لم تنفذ أى قرار من قرارات الأمم المتحدة بعد إن انتهكت حقوق شعب فلسطين وبعد إن ارتكبت أكبر جريمة فى التاريخ ، ثم بعد إن قامت بالعدوان علينا سنة ١٩٥٦م مع إنجلترا وفرنسا وبعد إن كانت تتكلم عن السلام قبل العدوان بسبعة أيام كان رئيس وزرائها يتكلم عن السلام والوثام والصلح مع العرب ، وبعد سبعة أيام قامت الحرب ، وبعد هزيمتهم فى الحرب ظهر إهم كانوا مدبرين العدوان قبل الخطبة بخوالى شهر .

إسرائيل تخدعنا وتريد إبادتنا وتريد أن تفرض علينا استخدام قناتنا إن إسرائيل لن تستطيع أن تمر في قناتنا وقبل أن تذهب إلى الأمم المتحدة فعلينا أن تضع قرارات الأمم المتحدة موضع التنفيذ .

(٤٩) من رد الرئيس على أسئلة المفترين في الإسكندرية بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٥٩ م :
إننا نعتبر إسرائيل تهددنا تهديداً حقيقياً ليس إذا مجرد احتمال دائماً تلك هي النتيجة المؤكدة التي أثبتتها الحقائق وعلى سبيل المثال فإن في إسرائيل الآن حزباً رسمياً ممثلاً في البرلمان الإسرائيلي بسبعة عشر مقعداً يعلن دائماً أن سياسته هي أن يمتد ما يسمونه بالوطن الإسرائيلي من النيل

ديسك ١٢٨ - فايل ناصر ٢٥٣

إلى الفرات . فإذا مما نظرنيا إلى مشكلة هجرة اليهود إلى إسرائيل على هذا الضوء وجدنا نذر الخطر تزداد . وذلك أنه لكي تستوعب إسرائيل هذا العدد من اليهود فإنه يجب عليها أن تتوسع وقد أعطتنا تجربة العدوان الثلاثي دليلاً قاطعاً على هذا الخطر . ذلك أن إسرائيل بعد أن تأمرت مع بريطانيا وفرنسا في أعقاب تأميم قناة السويس . ودبروا فيما بينهم مؤامرة العدوان على مصر كان إتفاقهم فيما إذا نجحت خطة العدوان أن تنتزع منطقة سيناء وتضم إسرائيل بينما يكون نصيب بريطانيا وفرنسا منطقة قناة السويس . ولما تقرر بسحب الجيش المصري من سيناء لم تلبث إسرائيل أن أعلنت بالفعل ضم سيناء إلى أراضيها .

وإذا كانت المؤامرة كلها لم تنجح وتبددت أحلام المتآمرين الثلاثة فإنه ليس معنى ذلك إن إسرائيل لا تنتظر فرصة أخرى .

إذن فموقفنا من ذلك واضح محدد إننا سندافع عن بلادنا .

إن قضية اللاجئين فلسطين هي نقطة سوداء في حضارة القرن العشرين فلأول مرة في التاريخ يشرد شعب بأكمله ويطرده من دياره بالقوة . وإننا لنرى أنه لا مفر من أن تعود إلى شعب فلسطين حقوقه التي قررتها الأمم المتحدة وذلك بأن يعود اللاجئين إلى بلادهم وإلى أملاكهم ، وإننا لنأمل أن تدرك شعوب العالم حقيقة ألا يتكرر ما حدث في سنة ١٩٤٨م وحينما أقرأ في بعض الصحف الأمريكية الإفتاحية المفرضة التي تتساءل لماذا يحاول جمال عبد الناصر أن يبنى جيشاً كبيراً فإن الرد الذي يجول في خاطري على الفور هو : إن ابن أبي الجيش حتى لا نتحول نحن أيضاً إلى شعب من اللاجئين .

(٥٠) من حديث للرئيس لمدير وكالة الأسوشيتدبرس بتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٥٩ م :

إن القرارات الخاصة بفلسطين كل لا يتجزأ ، حق اللاجئين في العودة وحقوقهم في ممتلكاتهم أو في التعويض عنها إن المسألة واضحة وسهلة ، ونحن نطلب حقوق شعب فلسطين وإسرائيل ترفض . ونحن نطلب وضع قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ وإسرائيل تحصى الأمم المتحدة ثم تطالب إسرائيل بحق المرور في قناة السويس متجاهلة حقوق العرب ثم تصر على مطالبتها وتثير الضجة في الأمم المتحدة . فهل يمكن أن تكون قرارات الأمم المتحدة واجبة التنفيذ على فريق وغير ملزمة لفريق آخر ، إننا لو قبلنا مرور سفن إسرائيل في القناة فمعنى ذلك أننا قبلنا أن تحصل إسرائيل على كل مطالبتها ، وأن يخسر العرب كل حقوقهم ثم إننا نمنع سفن إسرائيل تطبيقاً لحقوقنا المكفولة بالاتفاقيات الدولية وفي مقدمها إتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ وهذه الإتفاقية تعطينا هذا الحق في حالة الحرب وتوفيراً لأمن الأقليم الذي تمر القناة في أراضيه ومن الواضح أن حالة الحرب وما زالت مستمرة وستبقى ما دام عدوانها على أراضينا العربية باقياً .

إن الهدنة في رأينا لم تنته حالة الحرب . فالعدوان الإسرائيلي على الأرض العربية في فلسطين ما زال قائماً ونوايا إسرائيل العدوانية ما زالت قائمة إن النقطة الوحيدة هي أن توضع قرارات الأمم المتحدة موضع التنفيذ . ولا يمكن أن يفرض علينا وحدنا طاعة الأمم المتحدة في الوقت الذي يقبل فيه من غيرنا أن يضرب بها عرض الحائط . ولقد كانت مشاكلنا مع إسرائيل راجعة إلى قبولنا تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ودعنى أذكرك شخصياً بما رأيته حينما كنت ضابطاً في فلسطين .

إن القوات الإسرائيلية لم تتمكن من احتلال ما احتلته من الأراضي العربية إلا لأن الدول العربية قبلت وحدتها إن تنفذ بقرارات وقف القتال الصادرة من الأمم المتحدة في حين لم تكن هذه القرارات بالنسبة لإسرائيل إلا فرصة آمنة لمواصلة العدوان وقد أضعف مركزنا وقتها أننا وضعنا ثقتنا في الأمم المتحدة وتصورنا فيها المقررة على رد المعتدين وعلى تنفيذ قراراتها . أما الآن فنحن كما قلت على استعداد لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشرط أن تلقى الإحترام من غيرنا كما تلقاه منا ، إن الأمم المتحدة أقوى مما كانت في كسنة ١٩٤٧م وهيبتها أوسع احتراماً ونحن على استعداد أن نقدم كل عون للأمم المتحدة لكي تضع قراراتها موضع التنفيذ ولو شاءت الأمم المتحدة أن تؤلف لجنة أو هيئة تكون مهمتها وضع القرارات موضع التنفيذ فإننا نرحب بالتعاون مع هذه اللجنة أو الهيئة .

حاول الاستعمار أن يفتت الأمة العربية ويفتت القومية العربية وكان سلاحه الرئيسي أن يثب العداوة والبغضاء بين أبناء الأمة العربية ثم يستخدم الوطن العربي ضد الوطن العربي

والبلد العربى ضد البلد العربى وبهذا يدب اليأس فى النفوس والقلوب وبهذا تفتت الأمة العربية والقومية العربية .

وكان الإستعمار يرى أنه ينجح فى تفريق الأمة العربية وكان هذا هو السبيل الذى مكن الصهيونية من أن تنفذ بين أراضينا وأن تقيم بين أرجاء القومية العربية . قومية يخرية علينا ، قومية صهيونية ، وكان الإستعمار والصهيونية فى الماضى يعتقدون أنهم سينجحون فى سياستهم المعتمدة على تفتيت الأمة العربية، وتفتيت القومية العربية وبهذا تتساقط القومية العربية ثم تتساقط البلاد العربية بلداً بلداً ووطناً بعد وطن . ثم تتسع الصهيونية لتنتشر من النيل إلى الفرات وتحمل محل القومية العربية فى هذه المنطقة العربية وقومية صهيونية عملية للإستعمار ورأس جسر للإستعمار .

وكانت معركة فلسطين سنة ١٩٤٨م نجاحاً للإستعمار ثم نجاحاً للصهيونية لأن الإستعمار ثم نجاحاً للصهيونية ومؤامرات الصهيونية لأن الإستعمار استطاع أن يفرق الدول العربية والقومية العربية . ولكن القومية العربية إنتصرت لأن معركة فلسطين سنة ١٩٤٨م كانت الشرارة التى إشتعلت فى القلوب ، وكانت النذير الذى إرتفع فى كل بلد عربى ، فلا بد من أن نتحد لمدافع عن أنفسنا وندافع عن كياناتنا بل لنحافظ على بلادنا ونحافظ على قوميتنا بعد سنة ١٩٤٨م حاول الإستعمار أن يستغل المأساة التى حلت بنا فى حرب فلسطين ليث فى قلوبنا روح الضعف والهزيمة ولكن القومية العربية النابضة فى كل قلب عربى كانت شعلة إشتعلت بحرب فلسطين ، ولو أنه إنتصر فى سنة ١٩٤٨م على شعب فلسطين وحوله إلى شعب من اللاجئين ولكن القومية العربية قد إنتصرت أيضاً فى جميع أرجاء الأمة العربية لأن كل عربى فى كل بلد عربى يشعر فى قرارة نفسه لابد من أن يتحد مع أخيه العربى ولا بد من أن يتضامن مع أخيه العربى حتى يحافظ على أمة العرب من الزوال ، وحتى يحافظ على القومية العربية من التفتت والضياع وحتى يحافظ على أبنائه وعلى نفسه ووطنه .

كانت مأساة فلسطين نصراً للعرب ، لأنها أشعلت نار القومية العربية التى كانوا يعملون دائماً على أن تخبوا وعلى أن تنتهى وكانت مأساة فلسطين هى الشعلة التى أثارت الضمير فى كل بلد عربى .

(٥١) من حديث الرئيس عن الموقف مع إسرائيل بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٠م :

نحن نعلم إن إسرائيل تحاول الآن أن تجد تسوية ولكن التسوية التى نريدها إسرائيل هى على حساب حقوق عرب فلسطين إن هذه التسوية لن تتم ونحن واثقون من ذلك . بل ..

لن تكون التسوية نهاية طريق العدوان بل ستكون بداية لخطوات -عدوانية جديدة لتحقيق حلم إسرائيل المجنون في وطن يمتد من النيل إلى الفرات وهكذا فإن تصور أية تسوية سيكون معناه الإستسلام للأمر الواقع كما تريده إسرائيل ثم فتح طريق العدوان أمامها من جديد .

وليست المسألة بالنسبة لنا في الجمهورية العربية المتحدة مسألة شروط إنما هي مسألة حقوق . حقوق عرب فلسطين الذين حرموا من البيت والوطن وأمان . ثم شردوا خارج ديارهم ثم إن المسألة تمتد إلى ما هو أعمق فإننا يجب أن نقرر هل الأمر الواقع يقرره العدوان . أم أن المبادئ المتمثلة في ميثاق الأمم المتحدة يجب أن تكون هي أساس كل أمر واقع .

إن الذين يرون مثل هذا الرأي يتحدثون عن المشكلة من بعيد ، ولكنهم لا يلمسون أخطارها كما نلمسها نحن ، لأن أية مفاوضات في هذا الطريق مستحيلة للأسباب الآتية :

أولا : العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية وعلى الحقوق العربية قائم ولم تبد بادرة توحى بندم قادة إسرائيل على ما فعلوه أو إستعدادهم للرجوع عنه .

ثانياً : ألا نتق بقادة إسرائيل وسجلهم معنا ظاهراً ومعروفاً لقد كانت الدعوة إلى السلام مقترنة دائماً في عرفهم بالإستعداد للحرب ، وقبل العدوان الثلاثي على مصر بأيام قليلة القى رئيس وزراء إسرائيل في الكنيست الإسرائيلي بياناً قال فيه : أنه على إستعداد لأن يطير لمقابلي من أجل السلام ، وكان في ذلك الوقت مشغولاً إلى قمة رأسه بالتحضير للعدوان المشهور ضد بلادنا .

بل هناك أيضاً الطريق الثالث ، وهو الطريق إلى المطلق والحق وطبيعة الأشياء وذلك هو طريق ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها . ذلك هو الطريق الواحد المفتوح .

(٥٢) من خطاب الرئيس في اللاذقية بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٦٠ م :

إن الوحدة العربية هي إقلاق للأعداء الأمة العربية وإقلاق للصهيونية ولقد رأينا كيف إن الصهيونية وإسرائيل شعرت بالجزع لأن الاتحاد كان يجمع مصر وسوريا . ثم كيف ، شعرت إسرائيل بالخطر والجزع حينما حصل التضامن بين سوريا ومصر والأردن وقامت قيادة عربية مشتركة لقد عبر عن هذا أعداء القومية العربية بل عبر عن هذا إيدن في مذكراته وقال : إن الوحدة العربية إنما هي تهديد لمناطق النفوذ بل هي تهديد لإسرائيل التي اغتصبت أن تمنع تكرارها في الحاضر أو المستقبل والتي علينا أن نستردها ونقضي على ما حدث في الماضي ونعيد الحق إلى نصابه بوحدتها ويقوتنا وبتضامنا وباتحادنا ويرفع راية القومية العربية إننا نستطيع أن نسير في هذا الطريق لنؤمن مستقبلنا ولنؤمن وجودنا .

(٥٣) من خطاب الرئيس في الحسكة بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٦٠ م :

إن هذا الشعب الذي صمم على أن يصلح أخطاء الماضي فتوحده وسار بقوة ليصلح أخطاء الماضي والذي صمم على أن يمحوا عار فلسطين فوجد جبهته حتى تقف ضد أطماع الصهيونية وضد توسع الشيوعية وحتى تؤمن حقوق شعب فلسطين .

(٥٤) من خطاب الرئيس بدمشق بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٦٠ م :

إننى أيها الأخوة حينما وصلت إلى بلدكم اليوم وإلى مدينتكم العزيزة ورأيت نهر الفرات تذكرت حلم إسرائيل وأطماع إسرائيل وما نادى به قادة إسرائيل بلا حياة ، بناً ملك إسرائيل يمتد من النيل إلى الفرات ولكن حينما رأيت وجوهكم ورأيت قطعة عزيزة من بلدنا هي تهديد لكل أطماع الطامعين في بلادنا .

نحن نكافح في سبيل تحقيق أهداف القومية العربية ونحن نسير في طريق الكفاح من أجل تدعيم وحدتنا . ثم من أجل تدعيم قوميتنا . ثم من أجل التضامن أو الاتحاد أو الوحدة مع أى شعب عربى إننا نشعر أن هذه أهداف عزيزة علينا . في تحقيقها بقاؤنا أحراراً وفي تحقيقها تدعيم لقوتنا وفي تحقيقها قضاء على آمال إسرائيل في التفرقة بين أبناء الأمة العربية . ثم ضربها واحداً واحداً وفي تحقيقها قضاء على أحلام إسرائيل في التوسع بل في تحقيقها ضمان لحقوق شعب فلسطين التى إغتصبت والتي ترفض إسرائيل أن تعترف بها . إن إسرائيل قد أغتصبت حقوق شعب فلسطين وإننا نعلنها عالية مدوية إننا نصمم على حقوق شعب فلسطين .

هذه هى المآسى التى قابلتنا في الماضي والتي علينا عزيمتكم أصبح أشد قوة وأشد إيماناً بأننا سنحطم أحلام إسرائيل وأطماعها . وما دامت في أرض العرب هذه القلوب وهذه النفوس القوية فلن تستطيع إسرائيل أن تحقق أطماعها إننى أؤمن اليوم من كل قلبى بأن أحلام إسرائيل وأطماعها هى أحلام العصافير التى تضيع في الهباء وتذهب في الهواء إن إطماع إسرائيل قد ذهبت إلى غير رجعة .

إن علينا واجباً كبيراً وهو تحقيق حق شعب فلسطين في وطنه وفي أرضه . شعب فلسطين الذى إغتصب الإستعمار والصهيونية بلده ولم يكن هذا الاغتصاب إلا مقدمة لتحقيق ملك إسرائيل من النيل إلى الفرات .

(٥٥) من خطاب الرئيس في حلب بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦٠ م :

بالأمس كانت هناك تصريحات من العجوز وزيرة خارجية إسرائيل محاولة تهديد الجمهورية العربية المتحدة وتقول إن إسرائيل لن تسكت على منع سفنها من المرور في القنال ، وأنا أقول

لهما ولسيدها بن جوربون ولشعب إسرائيل أن سفن إسرائيل لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تمر في القنال .

وإذا وصلت هذه البضائع إلى بور سعيد أو أى ميناء في الجمهورية العربية المتحدة فهي حق لشعب فلسطين الذى تأمر عليه الاستعمار وتآمرت عليه الصهيونية واعتقدوا أنها عملية سهلة للقضاء على شعب فلسطين .

نحن اليوم بعد أحد عشر عاماً من هذه المأساة ، نجد أن شعب فلسطين لا زال هو شعب فلسطين . يعمل ونعمل معه جميعاً لاسترداد حقوقه في أرضه وبلده وفي وطنه . فإن حقوق شعب فلسطين حقوق عربية قبل أن تكون فلسطينية وانتل نشعر أن واجبنا الرئيسى وواجبنا المقدس هو أن نستعيد حقوق شعب فلسطين . وبهذه الوحدة التى أراها تجمع بين صفوفكم وبهذه الوحدة التى أراها تجمع بين قلوبكم والوحدة العربية والقومية العربية نستطيع السير في طريق الحرية والتحرير لتعيد حقوق شعب فلسطين ، ولهذا فإن الصهيونية والاستعمار يعملان بكل وسيلة من الوسائل للقضاء على فكرة للقومية العربية والوحدة العربية .

(٥٦) من خطاب الرئيس في دمشق بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦٠ :

إن الأيام قد تغيرت والوقت الذى مر بنا ٢٩٤٨م قد ضى إلى غير رجعة فرغم رأس الجسر الذى وضعه الاستعمار بين أراضينا ورغم قيام إسرائيل ورغم مؤازرة الاستعمار لإسرائيل أعلن الشعب العربى للعالم أجمع أن الفقة الجغرافية التى أقامها الاستعمار بين أراضينا لم تفرق بين القلوب والأرواح . بل جمعت بين القلوب والأرواح وأن المأساة التى حلت بنا في ١٩٤٨م ولم تضعف عزيمتنا ولم تجعل لليأس فرصة ليسيطر على نفوسنا وقلوبنا . فقد كانت هذه المأساة مأساة ١٩٤٨م التى تأمر علينا فيها الاستعمار والصهيونية للقضاء على القومية العربية فاحتلت إسرائيل فلسطين وعاونها الاستعمار وظنوا أنهم يثبون الرعب والضغط والخوف في نفوسنا . وظنوا أنهم بهذا قد قسموا العالم العربى وأن الوحدة التى قامت منذ مئات السنين لن تقوم لها قائمة أخرى ظنوا أنهم بوجود إسرائيل التى فصلت بين الحدود سيفصلون بين القلوب والأرواح والدماء التى امتزجت من مراحل القومية العربية وظنوا أنهم سيمكنهم أن يفصلوا هذه الأمة العربية ، فبنت إسرائيل . وأعلنت أن ملك إسرائيل لا بد أن يمتد من النيل إلى الفرات وأعلن زعماء إسرائيل في حملاتهم الانتخابية أن إسرائيل لا بد أن تمتد وأن القومية العربية لا بد أن تندثر . وأعلنوا هذا وهم يعتقدون أن إيمان هذا الشعب قد ضاع . وأن قوة هذا الشعب قد ضعفت وأن زحفه المقدس قد توقف - كانوا يعتقدون أن ألعبيهم ومؤامراتهم وطردهم لأبناء فلسطين سببت الرعب في نفوسهم - وكانت

المجازر الوحشية التي رأيناها لأول مرة في التاريخ الحديث في فلسطين ، هذه المجازر كانت تجدد من الدول الكبرى الإهمال بل كانت تجدد التأيد .

وكان من الواضح أن هناك مؤامرة كبرى ليست على فلسطين وحدها ، ولكن على القومية العربية والأمة العربية ، وأن أعداء العرب وجدوا أن الوقت قد حان ليقضوا على القومية العربية من ربوع الأمة العربية . وكانت إسرائيل هي رأس الجسر الذي وضعه الاستعمار حتى ينفذ منه إلى قلب الأمة العربية ، وإلى قلب وطننا لكن هذا الشعب لم يضعف . ولم يفتت ، ولم ترهبه المجازر ولم يرهبه الإرهاب . ولم ترهبه مجازر إسرائيل سواء في دير ياسين أو في البلاد العربية الأخرى ، بل كانت هذه المجازر هي الشرارة التي أشعلت النار في النفوس ، وفي القلوب وهي الشرارة التي جعلتنا نصمم على أن نعجل بالوحدة ، لأننا كنا نؤمن جميعاً أن طريق الوحدة هو طريق القوة وهو طريق الحياة وكنا نعتقد أن لا بد من أن نتحد حتى نحمل أنفسنا من أطماع إسرائيل ، إسرائيل التو قالت أن حدودها تمتد من النيل إلى الفرات ، وظن الاستعمار ، بعد ما حدث في عام ١٩٤٨م ولكن إرادة هذا الشعب العربي هذه الإرادة الفوية ارتفعت عالية لتحطم نفوذ الاستعمار وتقضى عليه .

وأنا أقول لهم باسم الشعب العربي إنكم إن تجاهلتم حقوق شعب فلسطين أو تناسيتم حقوق شعب فلسطين ، فإننا لن نتجاهل حقوق شعب فلسطين ، أو تناسي حقوق شعب فلسطين . هذه الحقوق هي حقوق أمتنا نحن العرب الذين وجدنا في هذه المنطقة . نحن العرب الذين أرادت الصهيونية أن تقضى علينا وعلى قوميتنا وأن تقضى على عروبتنا .

إنني أقول أننا لن ننسى أو نتجاهل هذه الحقوق . كما لا ننسى أو نتجاهل أطماع إسرائيل في بلادنا ، ولن ننسى أو نتجاهل أطماع الاستعمار ، أن الشعب العربي يؤمن بأن القوة هي السبيل للوقوف في وجه أطماع إسرائيل والقوة هي السبيل في الحصول على حقوق شعب فلسطين .

(٥٧) من خطاب الرئيس في عاصمة الإقليم الشمالي بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦١م :

إن إسرائيل التي استطاعت أن تقنع نفسها بأنها بالتعاون مع الاستعمار قد استطاعت أن تقنع نفسها بأنها بالتعاون مع الاستعمار قد استطاعت أن تدق مسماراً في قوة الوحدة العربية وتسلب حقوق شعب فلسطين إلى الأبد . كانت إسرائيل وأعداؤها جميعاً يعتقدون هذا لأنهم أعلنوه وأعلنوه ثم صدقوه . ولأنهم نسوا أن هذا الشعب الخلاق ، هذا الشعب الواعي لا يمكن أن يخدع فكما استطاع أن يقضى على ألعيب الاستعمار ففي الماضي استطاع أيضاً أن يقضى على هذه المؤامرات في الحاضر ويستطيع بعون الله أن يقضى على كل مؤامرة في

فلسطين .

ولهذا ، إننا اليوم في هذا الأسبوع ، ننظر من حولنا في العالم ونجد هناك ثورة عارمة ، نجد هناك التصريحات التي تعلن أن الموقف يتدهر في الشرق الأوسط ، وفي البلاد العربية ، ثم نجد هناك التصريحات ثم نجد حشداً ، لقوى إسرائيل ، وتعبئة لقواتها . ثم نجد أن هؤلاء الذين ناصبونا العداء أفاقوا من سكرتهم رنهم كانوا قد تصوروا أن هناك من يمكنه أن يقضى على قوميتنا وعروبتنا . إننا اليوم حين نسمع هذه التصريحات من هذه الدول وهي تعلن أن الوضع في العالم العربي وفي الشرق الأوسط وضع متدهور فإننا نؤمن أن هذه الدول قد استطاعت أن تعرف ما غاب عليها . وقد استطاعت أن تعرف قوة هذا الشعب . وصلابة هذا الشعب وإيمان هذا الشعب وتصميم هذا الشعب .

إن هذه الدول التي تعلن وتصرح بأنها تؤيد ما تدعيه إسرائيل من حقوق ، وتتناسى شعب فلسطين في زحفنا المقدس ، إذا كانت هذه الدول تدعى أنها تعلن ما ينطوى على العدالة والحق فأين حقوق شعب فلسطين في تصريحاتهم .

لقد تناسوا أو تجاهلوا حقوق شعب فلسطين التي قررتها الأمم المتحدة ولكنهم قرروا وأعادوا الحقوق المزعومة لإسرائيل في قناة السويس وفي أرض العرب ، وأنا باسم الشعب العربي الذي آلى على نفسه أن يسير في زحفه المقدس ، أعلن أن هذه الدول إذا كانت قد تناست قرارات الأمم المتحدة وإذا كانت قد تناست حقوق شعب فلسطين فإننا لن ننسى أبداً حقوق شعب فلسطين .

(٥٨) من خطاب الرئيس في حفل القوات المسلحة بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٦٠ :
إن إسرائيل لم تكتف بما حصلت عليه ولم تكتف بما قامت به ضد إخواننا في فلسطين . ولكنها أعلنت في تبجح وأعلنت بأعلى صوتها أن ملك إسرائيل يمتد من النيل إلى الفرات وأن لا بد من هجرة متدفقة إلى إسرائيل حتى تستطيع إسرائيل بهؤلاء أن تحقق الملك الذي كتب عنه في تاريخهم .

وهو ملك إسرائيل الذي يمتد من النيل إلى الفرات . وكان هذا يعني احتلالهم لجزء كبير من سوريا والأردن وجزء من العراق ومصر ومن لبنان والسعودية . وهذا يعني أن الصهيونية ومن خلفها الاستعمار تسعى لتقضي على القومية العربية ولعروبة المنطقة قضاءً كاملاً .

(٥٩) من حديث للرئيس مع الصحفيين الألمان بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٦٠ :
لقد أعلننا موافقتنا وإصرارنا على منع بواخر إسرائيل وبضائعها من المرور في القناة لأن

هذا لا يعتبر جزءاً من مشكلة حرية الملاحة في القناة بل هو جزء من مشكلة فلسطين ومنذ ١٩٤٨م حتى الآن أصدرت الأمم المتحدة عدة قرارات بشأن الموقف بين العربي وإسرائيل . لقد حرم اللاجئون من وطنهم ومن ممتلكاتهم ولكن إسرائيل أغفلت ذلك وأخذت تطالب بالمرور في قناة السويس ولم تقتصر إسرائيل على إغفال أمر اللاجئين بل أعلنت أنها لن توافق على قرارات الأمم المتحدة ولن تقوم بتنفيذها . وإذن فنحن نعتقد أن المسألة ليست مسألة حرية المرور في القناة وإنما هي المشكلة الفلسطينية برمتها . إن إسرائيل تريد الحصول لنفسها على كل شيء وأن تحرم العرب من كل شيء .

(٦٠) من خطاب الرئيس في مؤتمر الاتحاد القومي بدمشق بتاريخ ٤ مارس ١٩٦٠ : إن الصهيونية وإسرائيل والاستعمار حاولوا بكل طريق أن يقضوا على القومية العربية وكان لعدوان الثلاثي هو الوسيلة الرئيسية للقضاء على القومية العربية ولكن القومية العربية ، انتصرت وهزم الغزاة وكان هذا هو تهديد آخر ، بل تهديد أشد وأخطر لأطماع إسرائيل ولاغتصاب إسرائيل لحقوق شعب فلسطين وأرض فلسطين ولهذا فإننا حينما نرى اليوم الحملة المسعورة التي توجه إلينا نشعر بالطمأنينة نشعر بالثقة في أنفسنا لأن حالتنا أصبحت غير ما كنا عليه في ١٩٤٨م ولن يقبل الشعب العربي مرة أخرى أن يعيش عام ١٩٤٨م .

فإن إسرائيل وعصابات إسرائيل والاستعمار حينما احتلوا هذه البقعة الغالية من أرضنا العربية احتلواها بالغدر والخديعة . أن إسرائيل لم تحارب في هذه الأيام أو في هذه الأشهر معركة فاصلة واحدة . ولكننا كنا نحارب إسرائيل ونحارب الخداع والاستعمار

إن الشعب العربي الذي عاش مأساة ٤٨ لن يقبل مرة أخرى أن يعيش هذه المأساة وأنه أخذ من دروس الماضي عظة لنفسه . وأنه اليوم يعتمد على نفسه وقوته فإذا كانت إسرائيل اليوم تحاول بحملتها المسعورة أن تقضى على القومية العربية وتؤمن ما اغتصبته من عرب فلسطين . ولتنعم بنتيجة الضحايا الذين سفكت دماءهم . وقتلتهم وقتلت أطفالهم . فإن إسرائيل تسير في طريق الوهم والأحلام لأن الشعب العربي يعلم ما هي إسرائيل وما هي نوايا إسرائيل .

إذا كانت إسرائيل تستطيع أن تتصور أنها بهذه الحملة المسعورة ستقضى على وحدة الصف العربي بعد أن فشلت في القضاء على القومية العربية فإن ردنا على هذا ، أن الشعب العربي يسير في زحفه المقدس ليحقق الأهداف الكبرى التي كافح من أجلها وبذل من أجلها الأرواح والدماء لقد سمعنا أصواتاً ترتفع من لندن وباريس وواشنطن . بعد ما ظهر أن هذا الشعب

مصمم على ثورته . سمعنا هذه الأصوات ترتفع لتقول هناك في الشرق الأوسط . وأن هناك موقفاً منهاراً .

ونحن نقول لهم . نعم هناك أزمة في الشرق الأوسط منذ ١٩٤٨ م ، منذ أن اغتصبت إسرائيل حقوق شعب فلسطين وتنكرت لقرارات الأمم المتحدة التي اعترفت فيها بهذه الحقوق وقررت بأن لشعب فلسطين الحق في أن يعود إلى أرضه .

وإذا كانت هذه الدول الكبرى تتناسى حقوق شعب فلسطين وتتذكر دائماً ما تنادى به إسرائيل وتستجيب له . فنحن نقول إننا لن ننسى حقوق شعب فلسطين . ولن ننسى التهديد الذي يوجه إلينا من إسرائيل ، هنا في الجمهورية العربية المتحدة التي تحمل عبء المعركة كلها . والتي بذلت من عام ١٩٤٨ م حتى الآن الآلاف من الشهداء في سبيل القضية وفي سبيل العروبة .

ترتفع هذه الأصوات من هذه العواصم . ونقول لا بد من مساعدة إسرائيل . وليس هذا استجابة لإسرائيل : بل تسلم الدعوات لرئيس وزراء إسرائيل ليعطى شهادة في الحقوق وما هي هذه الحقوق ؟ كيف يعطى شهادة في الحقوق - من جامعة أمريكية - وهو أكبر مجرم للحرب قام في هذا القرن ؟.

كيف تعطى شهادة دكتوراه شرفيه في الحقوق للرجل الذي قتل الآلاف من الرجال والنساء والأطفال بغير ذنب جنوه ؟ والرجل الذي انتهر الفرصة التي مكنتها له بريطانيا التي كانت مسئولة عن شعب فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى فانسحبت وتركت الشعب العربي يقابل عصابات إسرائيل لتقتل منه الرجال والنساء والأطفال ، وتغتصب القرى والأماكن بطريقة لم تحدث في التاريخ لقد قالوا عن هتلر أنه مجرم حرب . فماذا فعل هتلر ؟ هل فضى على شعب دولة بأكمله كما قضى بن جوريون على شعب دولة بأكمله ؟ .

ولكننا لا نستغرب هذا لأن إسرائيل وقادة إسرائيل جميعاً جيناً قتلوا الشعب العربي في فلسطين ، كانوا يقومون بالقتل تساندهم الصهيونية العالمية ، بل ساندتهم أمريكا ورئيس أمريكا في هذا الوقت - وكانت الأموال تسلم لإسرائيل وكانت نتيجة هذه الأموال التي تسلمتها إسرائيل هي الزيادة في سفك الدم العربي واغتصاب حقوق العرب في فلسطين إننا نرى في العالم من حولنا ونسمع هذه الأنباء التي تعلن أن بن جوريون سيزور أمريكا ليستعدي بها على العرب ، ونحن نقول لأمريكا إذا كانت إسرائيل والصهيونية قد استعمرت أمريكا وسيطرت عليها وعلى مقدراتها فإننا آلياً على أنفسنا أمام الله أننا سنبدل كل شيء : الأرواح والدماء ولن نكون تحت سيطرة أمريكا ولا تحت سيطرة إسرائيل .

فليعطوا مجرم الحرب الشهادة الشرفية في الحقوق . فهذا يجعلنا نعلم ما هي قيمة الحقوق في أمريكا وما هي قيمة حقوق الإنسان في أمريكا .

وهذا ما يجعلنا نؤمن أن علينا أن نقوى من أنفسنا وأن علينا أن نعتمد على الله وعلى أنفسنا لنحارب كل الممارك التي تجابهنا لنحافظ على الاستقلال ولنحافظ على الحرية التي حصلنا عليها بالدماء والأرواح .

لقد ظهرت في لندن وواشنطن أصوات أخرى . ظهرت هذه الأصوات التي تعلن عن التصريح الثلاثي ، فما هـ و التصريح الثلاثي بالنسبة لنا ؟

وقد أعلن التصريح الثلاثي عام ١٩٥٠ وعادوا اليوم ليعلموه مرة أخرى ، ولماذا لم يعلن في العام الماضي لأنهم كذبوا وصدقوا أنفسهم أن الأمة العربية قد تفككت وأنهم في الطريق إلى السيطرة عليها .

كانت إسرائيل تصدق أكاذيبها وتشعر بالاطمئنان . والفرصة في هذه الاحتفالات أثبتت للعامل أجمع أن وحدة الأمة العربية أشد قوة مما كانت لأن الشعب العربي ، مؤمن من كل قلبه وروحه ونفسه على أن يسير في زحفه المقدس ، فهبت الدول الكبرى تعلن التصريح الثلاثي لأنها شعرت أن هذا الزحف المقدس إنما يستهدف حقوق شعب فلسطين في بلدهم وأرضهم لأنهم شعروا أن لابد لهم من أن يحموا إسرائيل ، ولذلك أعلنوا التصريح الثلاثي .

أما التصريح الثلاثي بالنسبة لنا فليس إلا العدوان الثلاثي ، ونحن لم نشعر بالتصريح الثلاثي في الماضي ، وإنما قابلنا العدوان الثلاثي ، فالتصريح الثلاثي في فهمنا وإيماننا لا ينتج عنه إلا عدوان ثلاثي كما حدث في عام ١٩٥٦ م . ففي عام ٥٦ كان هناك التصريح الثلاثي ، ولكننا رأينا العدوان الثلاثي ولا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن نطمئن إلى هذه التصريحات لأنها تعبر عن النوايا العدوانية التي تستهدف أمتنا العربية ثم تستهدف جمهوريتنا لأننا رفضنا أن ندخل في مناطق النفوذ وأردنا أن تكون سياستنا سياسة مستقلة تنبع من أنفسنا وضميرنا وصممنا على أن نظهر الأرض الطيبة .

إننا جميعاً نسمع أن فرنسا تسليح إسرائيل بالطائرات نشعر بالثقة والاطمئنان . وقد قالت الأنباء اليوم أن فرنسا ستسلم إسرائيل مزيداً من الطائرات . أن هذا يطمئتنا على قوتنا وعلى مكانتنا وعلى وجودنا ، وأتينا اليوم سمعنا أن يـ يطانيا ستسلم إسرائيل غواصات ، إن هذا لا يرينا ، لأننا نعلم من هم أعداؤنا ولأننا نستعد لتقابل هؤلاء الأعداء . إننا حينما نسمع هذا نشعر أننا استطعنا أن نحقق في هذه الشهور القلائل القوة الكبرى التي تزعم إسرائيل

والصهيونية ومن هم وراء إسرائيل ووراء الصهيونية .

أما بن جوريون بالنسبة لنا فهو مجرم حرب . قتل أخوة لنا في فلسطين ، وبعد عام ١٩٤٨ م ، كان يقوم بغارات على القوى العربية ويشقى غليله بالدماء العربية . وما للغارة الفاشلة التي قاموا بها على قرية التوافيق إلا مثل للسياسة التي اتبعها بن جوريون في الماضي . فقريّة التوافيق قرية هؤلاء يسكنها عرب عزل . وكان بن جوريون يعتقد أنه يستطيع أن يقتل هؤلاء العزل وبهذا يشقى غليله من سفك دماء العرب ، ولكن الغارة خابت لأن الخسائر حافت بهم ، لأن الجيش الأول تنبه إلى فكرتهم ، فدحر الخطة وقضى عليها بأن سحب العزل من التوافيق ونصب الكمائن للإيقاع بالغدر الصهيوني والغدر الإسرائيلي . وكانت النتيجة أن وقعت العصابات الإسرائيلية بين نيران الجيش الأول فانسحبت تجر أذيال الفشل والعار .

إننا ننظر من حولنا ونسمع تصريحات رجال إسرائيل ، واليوم هناك تصريح يقول أن إسرائيل تريد الصلح مع العرب وتريد نزع السلاح .. أن هذا الكلام يهدف إلى التفرير بالرأى العام العالمى لأن إسرائيل اغتصبت حقوق عرب فلسطين ، ولأن إسرائيل لم تمثل لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بحقوق شعب فلسطين ولأن إسرائيل رغم هذا كله تتبجح وتقول أنها تريد تمر ببضائعها وسفنها من قناة السويس لأن إسرائيل تريد أن تخدع الرأى العام العالمى .

وردنا على ذلك واضح بسيط : إننا لن نتنازل عن حقوق شعب فلسطين ، وإننا لن نقبل عن حقوق شعب فلسطين بديلا ، وأن بن جوريون قبل العدوان الثلاثى على مصر بسبعة أيام ، وقال وأعلن أنه يريد أن يتفاوض مع مصر ليضع أسس السلام . وكان في هذا الوقت قد وضع أسس الغدر والخيانة والعدوان مع اتنوني أيدونه ومع موليه في باريس كانت النية قتلا ، وكان الكلام الذى أعلنوه للخداع كلام عن السلام ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يقوم السلام طالما كانت نية إسرائيل هذه النية ، وهى القضاء على العرب أجمعين عربى فلسطين ، والعرب بين النيل والفرات ، ولن يعد السلام إلا إذا عادت الأرض إلى أصحابها .

(٦١) من خطاب الرئيس في معسكر قطنه بتاريخ ٧ مارس ١٩٦٠ م :

في السابع من مارس ١٩٥٧ م ، انسحبت إسرائيل من غزة وكانت هناك المحزنة ومنذبة في مجلس نواب إسرائيل وكان بن جوريون يسحب قواته ويكسى ويتباكى معه نوابه . لأنهم كانوا قد ضموا قطاع غزة إلى إسرائيل وأعلنوا أن غزة التي تمثل الجزء الباقي من فلسطين العربية لابد أن يتكون من جق إسرائيل ثم أعلنوا أنهم لنويتنازلوا عن غزة ولن يتركوها أبداً ثم عادوا بعد هذا وانسحبوا من غزة وأعلنوا أنهم لن يقبلوا بأى حال من الأحوال أن تكون هناك صلة بين غزة الباقية من فلسطين وبين مصر . وأنهم سيمنعون أى صلة بالقوة أو بالحرب

وكان الهدف من هذا أن تبقى غزة منطقة تحت سيطرتهم وسيطرة الدول التي دفعتهم إلى العدوان أو أن تبقى غزة ليدولوها ويجعلوها منطقة دولية . فإذا كانت منطقة دولية تستطيع إسرائيل أن تضعها تحت سيطرتها أو نفوذها . وبهذا خطوة فخطوة تكمل إسرائيل خططها في الاستيلاء على قطاع غزة .

ولكننا لم نقبل هذا وأعلننا أن هناك حقاً لنا بناء على رغبة الشعب الفلسطيني . في أن نكون على صلة بقطاع غزة . صلة أبدية لتحمي قطاع غزة من العدوان ولتتضامن مع الشعب العربي الفلسطيني . ولنحمي مصر العرب التي نسعى إليه جميعاً . وهو مصير العزة والكرامة ، ولنسير في طريق الكفاح يداً بيد ، ودخلت القوات المصرية قطاع غزة وكانت هذه طامة كبرى على إسرائيل . لأنها كانت تشعر أن هذا يعني بالنسبة إليها نهاية أطماعها ونهاية سياستها وأهدافها في إبادة سكان غزة من القطاع البقاي من فلسطين العربية وعادة الأمور إلى ما كانت عليه .

واليوم ونحن نلتقي في هذا المكان نذكر في هذا اليوم السابع من مارس ١٩٥٧م اليوم الذي انسحبت فيه إسرائيل مرغمة من قطاع غزة بعد أن أعلنت أنها ضمت هذا القطاع إلى إسرائيل وفي هذا اليوم لابد لنا أن نذكر كيف كافح سكان قطاع غزة من الفلسطينيين الشرفاء ضد العدوان الإسرائيلي وكيف قاتل رجال خان يونس وقتلوا واستشهدوا بل كيف نكلت إسرائيل بالشباب الذين كانوا هناك في هذه المنطقة وجمعتهم لتقتلهم ولتدفنهم بدون أن تخطر أذهانهم . وبدون أن تخطر أي فرد من أهل القطاع بل بدون أن تخطر الأمم المتحدة : فكان الغدر الإسرائيلي . وكانت الخيانة الإسرائيلية التي لم تكن غريبة علينا والتي لم تكن جديدة علينا . ولكن هل أثر هذا القتل وهل أثر هذا الغدر في شعب فلسطين العربي . هناك قطاع في غزة ؟ لا ، لم يتأثر شعب فلسطين لأنه يؤمن بأنه لا بد أن يسترد حقوقه . ويؤمن بأنه رغم الكارثة التي حلت به في ١٩٤٨م أن الأمة العربية تستطيع أن تعيد لنفسها القوة والحياة . وتستطيع أن تعاونه على أن يسترد حقوقه في أرض وطنه .

إن عبء الدفاع عن قضية فلسطين أطماع إسرائيل وتهديد إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل وفي نفس الوقت المحافظة على حقوق شعب فلسطين واستعادة حقوق شعب فلسطين يقع على عاتق الجمهورية العربية المتحدة .

(٦٢) من حديث للرئيس مع الصحفيين الأمريكيين بتاريخ ٢١ مارس ١٩٦٠م :
لقد أعلننا موقفنا من هذه المسألة في مناسبات متكررة ومازال رأينا كما هو في منع السفن الإسرائيلية والبضائع الإسرائيلية من المرور في القناة . أن هذه المسألة جزء من مشكلة فلسطين

وليس لها ارتباط بحرية الملاحة في القناة .

لقد انتهكت إسرائيل حقوق شعب فلسطين واستولت على أملاكه وأراضيه وفي رأينا وتصورنا أن البضائع الإسرائيلية هي في الواقع من ممتلكات العرب الذين أرغموا على الخروج من وطنهم .

وإنكم كما تعلمون أن إسرائيل ترفض دائماً تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين وتعويضهم عما لحق بهم من أضرار وحقهم الثابت في ممتلكاتهم وأراضيهم وبذلك فإننا نعيد إلى أصحاب الحق جزءاً ضئيلاً من حقهم . هذه هي المسألة بكل بساطة وللأسف أن الشعب الأمريكي لم تتح له الفرصة للاطلاع على الحقيقة الكاملة فإن معظم الصحف فلاً أمريكياً لا تنشر إلا وجهة النظر الإسرائيلية وهو تصور المسألة على أنها أمر يتصل بحرية الملاحة بل لقد قالوا أن جمال عبد الناصر يزوج بقناة السويس بعد تأميمها في الأهداف السياسية للجمهورية العربية المتحدة وليس ذلك صحيحاً ، فإن الخطر على بواخر إسرائيل قائم منذ ١٩٤٨ م .

(٦٣) من تصريحات للرئيس فوق جبال الهيمالايا بتاريخ ٢ أبريل ١٩٦٠ م :
إن مشكلة إسرائيل ليست جديدة أنها مشكلة مزمنة وترجع إلى عشرات سنوات . إذ أن مليون عربي قد طردوا من ديارهم وسلبت ممتلكاتهم ، وأن إسرائيل ترفض تطبيق قرارات الأمم المتحدة التي اتخذت في هذا الشأن في عام ١٩٤٨ م ، وتنص على أن العرب يجب أن يعودوا إلى ديارهم وأن إسرائيل تهدف إلى التوسع على حساب المنطقة المنزوعة من السلاح . لذلك كانت الاشتباكات .

(٦٤) من حديث للرئيس عن أزمة الباخرة كليوباترا بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٦٠ م :
إن مسألة مرور السفن الإسرائيلية بقناة السويس تعد جزءاً من المشكلة الفلسطينية ويرجع تاريخها إلى عام ١٩٤٨ م وقد عرضت هذه المشكلة على الأمم المتحدة وعلى مجلس الأمن واتخذت عدة قرارات بشأنها ومن هذه القرارات قرار يقضي بوجوب عودة اللاجئين العرب إلى ديارهم ودفع التعويضات لهم عما حل بهم من خسائر بعد أن طردوا من بلادهم ، وحرموا من ممتلكاتهم ومن كل شيء في وطنهم ولكن ماذا حدث بعد هذه القرارات . لقد رفضت إسرائيل تنفيذ أي منها وأعلنت أنها لن تسمح لأيّ عربي من عرب فلسطين بالعودة ، أما العرب فقد أصروا على ضرورة تنفيذ هذه القرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة ولكن إسرائيل لم تكتف برفض كل قرارات الأمم المتحدة بل طالبت أيضاً باستخدام خليج العقبة مع أن مياهه مياه إقليمية عربية حقاً وطالبت أيضاً باستخدام قناة السويس ولكن الصحافة

الأمريكية أغفلت حقوق عرب فلسطين . وراحت تبرز مطالب إسرائيل ومنها كما قلت رغبتها في استخدام قناة السويس ، إن السلع والممتلكات التي تريد إسرائيل استخدام قناة السويس من أجلها هي ملك للعرب ، لأن إسرائيل حرمت عرب فلسطين من ممتلكاتهم ومن أراضيهم ومن كل شيء .

إننا نعد ممتلكات إسرائيل ممتلكات لعرب فلسطين الذين حرّموا من أراضيهم وممتلكاتهم وقد صودرت شحنات كانت في طريقها إلى إسرائيل ومن هذه الشحنة كانت تحمل شحنة لحم مستورد من أريتريا وقد صودرت هذه الشحنة لأننا نعدّها ملكاً للعرب استولت إسرائيل عليه ؛

إن المسألة ليست عناوين إنما هي مسألة امتلاك وملكية ونحن نعدّ ما تملكه إسرائيل ملكاً للعرب اغتصبته إسرائيل منهم بالقوة بغير حق .

وأن مشكلة فلسطين في نظرنا هي أولاً مسألة حقوق العرب الفلسطينيين ومادامت هذه الحقوق لم ترد إليهم ومادامت إسرائيل تصر على عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بهذه الحقوق ، فإننا لن نسمح لسفنها باستخدام قناة السويس .

أن الغرض من إنشاء كيان فلسطين هو مواجهة نشاط إسرائيل لتصفية المشكلة الفلسطينية وإضاعة حقوق شعب فلسطين . وأما الجيش الفلسطيني فالغرض منه في الواقع هو الدفاع عن حقوق عرب فلسطين . وذلك أمر طبيعي ومنطقي ومن هذا يتضح أنه ليس من أهدافنا على الإطلاق أن نثير أية متاعب أو صعوبات أو أن نتخذ أي إجراء - ولا سيما فيما يتعلق بمشكلة فلسطين - من شأنه الإضرار بأي دولة ، من الدول العربية .

لقد ألفت الأمم المتحدة في عام ١٩٤٩م لجنة توفيق مكونة من فرنسا ، وتركيا والولايات المتحدة وقد عقدت اجتماعات في لوزان اشترك فيها مندوب إسرائيل ومندوبو الدول العربية وبحث الجميع في كيفية تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ثم قبلت إسرائيل في عضوية الأمم المتحدة وفي اليوم التالي رفض مندوب إسرائيل الاستمرار في الاشتراك في اجتماعات هذه اللجنة . أن المسألة في الأصل مسألة حقوق عرب فلسطين . وإسرائيل تحاول بكل الطرق والوسائل وبكل أنواع الدعاية أن تجعل العالم ينسى أن ثمة شيء اسمه « حقوق عرب فلسطين » وهم المليون عرب الذين طردوا من بلادهم وحرّموا من كل شيء . أن إسرائيل تحاول أن تركز جهودها ونشاطها على رغبتها في استخدام قناة السويس .

نحن على استعداد للتعاون من أجل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن حقوق عرب فلسطين وقد وافقت كل الدول العربية على هذا في مؤتمر باندونج كذلك وافقت كل الدول الآسيوية والأفريقية على ذلك . ولقد أوضحنا هذا بالتصريحات التي أدلينا بها في الهند في البلاغ المشترك الذي صدر عقب زيارتنا للهند . وكذلك البلاغ المشترك الذي صدر عقب زيارتنا للباكستان أما الإسرائيليون سيرفضون قرارات الأمم المتحدة .

قبل العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م بسبعة أيام صرح بن جوريون بأنه يسعى للسلام وبأنه يود أن يجتمع معاً للتفاوض بشأن عقد تسوية ولكنه كان قد أدلى بهذا التصريح في الوقت الذي كان يتأمر فيه مع بريطانيا وفرنسا لشن عدوان وهجوم على بلادنا . وبالأمر قال مندوب إسرائيل في يوغوسلافيا شيئاً عن هذا القبيل ومعنى هذا أن الإسرائيليون يحاولون بكل بساطة تضليل الرأي العام العالمي .

إنهم يقولون أنهم على استعداد للتفاوض مع العرب بقصد الوصول معهم إلى تسوية . ولكن بشرط واحد أنه يجب ألا يكون للعرب أية شروط فما معنى هذا ؟ معناه أن الإسرائيليين يريدون أن نتناسى فعلاً كل قرارات الأمم المتحدة بشأن حقوق عرب فلسطين .

(٦٥) من خطاب الرئيس في يوم انتصار العمال العرب بتاريخ ٧ مايو ١٩٦٠ .
أنا اليوم نواجه تحالف الصهيونية والاستعمار ، أنا نواجه معركة كبرى ندافع فيها عن مصيرنا ، وندافع عن وجودنا وندافع فيها عن قوميتنا ونجابه فيها دول الاستعمار وهي تستخدم إسرائيل وتسليح إسرائيل لتعتدى عليكم وعلى قوميتكم وهي الطريقة الجديدة التي يحاولون بها أن يقضوا على قوميتنا - واليوم نحن نستمع إلى الأنباء التي تقول أن أمريكا سلحت إسرائيل وأمدتها بالسلاح أن هناك اتفاقية سرية بين إسرائيل وأمريكا وعقدت في ١٩٥٢م نتذكر ما حدث في سنة ١٩٦٦م حينما عقدنا اتفاقية لشراء الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا حينما ثارت أمريكا ودول الاستعمار ضدنا و حينما هددنا بالحرب الوقائية وبالحرب الشاملة وحينما هددنا أيدن كما قال في مذكراته بأنه لا بد أن يقضى على أية قوة نامية وكانت إسرائيل تمثل رأس جسر الاستعمار .

كنا نحارب بالأسلحة التي حصلنا عليها . اليوم نرى أمريكا وهي تسليح إسرائيل فلا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن ننسى الهدف . الهدف من هذا هو حرينا وإرادتنا واستقلالنا أن السلاح هو نفس السلاح . إسرائيل رأس جسر للاستعمار .. حينما نرى هذا نشعر أن علينا أن نقوى أنفسنا ونتحداً جميعاً لنحافظ على قوميتنا واستقلالنا وكرامتنا وأن علينا مسؤولية

كبرى هو مواجهة إسرائيل والاستعمار وبكل قوة ففرنسا تسليح بالغواصات والدبابات ولكننا نتساءل ماذا سينتج عن هذا هل سيتمكنون اليوم أن يقضوا على قوميتنا وعروبتنا ونحن نذكر المعارك التي مرت بنا طوال هذه السنين ونأخذ من هذه المعارك الدروس والعظة ونؤمن في قرارة أنفسنا أننا كما - هزمناهم في الماضي سنهزمهم في الحاضر بإذن الله .

هذه معركتنا التي نجابها اليوم . معركة عميقة . معركة كبيرة معركة أطرافها الاستعمار والصهيونية في هذه الأسابيع جابهنا معركة تتجه إلى تهديدنا وتتجه إلى إرهابنا تحالفت فيها الصهيونية والاستعمار والدوائر الرجعية في جميع أنحاء العالم ، ورأينا الحملات تتجه إلينا الحملات الصحفية التي تهددنا والتي تقول أنه لا بد من حرية إسرائيل في قناة السويس نذكر هذه الثورة التي حدثت في سنة ١٩٥٥ م ، ونقارنها بما كان يحدث في سنة ١٩٥٢ م أمريكا تسليح إسرائيل سراً اتفاقية لتسليح إسرائيل بين أمريكا وإسرائيل . سلاح بت يتدفق على إسرائيل السلاح لإسرائيل حلال أما السلاح لنا فهو حرام .

لقد طالبنا أمريكا سنة ١٩٥٢ بأن تمدنا بالسلاح . وكانت هناك اتفاقية وقعت بين مصر وأمريكا قبل الثورة . مثل اتفاقية إسرائيل مع أمريكا ولكن هل رضيت أمريكا أن تمدنا بأي قطعة من السلاح - لقد رفضت أمريكا أن تعطينا أى قطعة من السلاح من سنة ١٩٥٢ - لأنها تعلم أن هذا السلاح هو سلاح نحى به استقلالنا وليس بالسلاح الذى يكون السبيل إلى التفريط في هذا الاستقلال .

إننا نجابه اليوم معركة الاستعمار والصهيونية ضد بلادنا وضد قوميتنا استمرار للمعارك الماضية واستمرار لمعركة ١٩٤٨ م وكلنا نذكر كيف أنه سنة ١٩٤٨ م خاضن الدول العربية كلها الحرب لكي يتحد الشعب العربى في فلسطين الذى كان في حماية بريطانيا والذى تخلت عنه وتركته لإسرائيل واليهود ليقتلوه ويغتصبوا أرضه .

وكلنا نذكر أن الأمة العربية والشعوب لاعربية لم تجد من يمدّها بالسلاح وكيف أن العصابات الصهيونية وجدت في دول الاستعمار الموزرد الرئيسى للسلاح . وكان هذا السلاح يوجه إلى صدر العرب ليقتلهم وكان هذا السلاح يوجه إلى استقلالنا لكي يتحكموا فينا .

ومنذ أيام قليلة جرى في مجلس الشيوخ الأمريكى حديث ومناقشة طويلة فإن ضمير أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى استيقظ فجاء ليتكلموا عن حرية الملاحة في قناة السويس . هؤلاء الناس خرجوا وقد استيقظ ضميرهم فجأة وقالوا أننا لا بد أن نتخذ إجراء من أجل حرية

الملاحه فى القناه لإسرائيل . لماذا لأن هؤلاء الشيوخ فى مجلس الشيوخ الأمريكى يقفون مع الحريه بكل معانيها .

وأنا أسأل هؤلاء الناس فى مجلس الشيوخ الأمريكى الذين يتحدثون عن الحريه . حريه الشعوب . أين حريه جنوب أفريقيا .

هؤلاء الناس الذين تكلموا فى مجلس الشيوخ الأمريكى ولبثوا الثوب الأسود ووجهوا الإهانات للعرب جميعاً وإلى الجمهوريه العربيه المتحده إنما كانوا يخدعون الشعب الأمريكى تحت اسم حريه الملاحه لأنهم كانوا يعبرون عن الأهداف الصهيونيه . ولماذا وإذا كانوا حقاً يتكلمون عن الحريه فكان الأولى بهم حينما يتكلمون عن حريه الملاحه فى قناة السويس أن يتكلموا أيضاً عن حق شعب فلسطين . وعن حريه شعب فلسطين فى العوده إلى بلدهم . ولكن عملاء الصهيونيه حينما يتصنعون أن ضميرهم قد استيقظ وحينما يتصنعون أنهم يتكلمون عن الحريه ، إنما يريدون بهذا أن يخدعوا الشعب الأمريكى ويخدعوه عن الطريق الذى ينساقون فيه وهم إنما يعملون من أجل الصهيونيه ومن تحقيق الأهداف الرجعيه لإنهم قد اجتمعوا منذ أيام وضللوا الشعب الأمريكى ولطموا الحدود على حريه الملاحه فى قناة السويس من أجل إسرائيل .

لقد قامت بعض الأصوات فى مجلس الشيوخ الأمريكى لتفضح عملاء الصهيونيه . قامت هذه الأصوات ولكنها كانت أصوات ضعيفه . لأن الصهيونيه فى أمريكا تحاول أن تستبعد الشعب الأمريكى وتخضع أمريكا وتجعل من نفسها قوة فوق دستور أمريكا . ففي ١٩٤٨م وقف أحد الوزراء فى أمريكا ليجابه الصهيونيه وهو وزير الحريه فى هذا الوقت واسمه فورستا - ولكن الصهيونيه استطاعت أن تقضى عليه . وأن تدفعه إلى أن ينتحر بأن يقذف بنفسه من أعلى طابق فى إحدى عمارات أمريكا .

أنا أريد من مجلس الشيوخ الأمريكى الذى يتكلم عن حريه الملاحه فى القناه والذى استيقظ ضميره فجأة والذى يتكلم عن الحريه . لكى يخدع شعب أمريكا أن يجيب على هذا السؤال إذا اعتدت دولة أجنبيه على أمريكا وأخذت جزءاً من أمريكا بالقوة كما حصل فى فلسطين لأن إسرائيل أخذت جزءاً من أرضنا بالقوة هل تسمح أمريكا لسفن هذه الدوله بأن تسير فى قناه بنما ، مع فارق واحد هو أن قناة السويس قناه عربيه فى أرض عربيه وفقاً لقوانين المعاهدات الدوليه ووفقاً لجميع الاتفاقات التى نصت على حريه الملاحه فى قناة السويس ، فإن كل الاتفاقات تقول أن قناة السويس هى قناه عربيه وأنها قطعة من الأرض العربيه وأن لنا الحق فى أن نتخذ جميع الإجراءات لتحافظ على أمتنا وعلى سلامتنا .

هذا هو ردنا على عملاء الصهيونية في أمريكا وعلى هؤلاء الشيوخ الذين واجهوا إلينا الإهانات وهددونا والذين لمست ضمائرهم أموال الصهيونية ووسائل الصهيونية فقاموا ليهددوا ويوجهوا إلينا الإهانات . إننا نقول لهم إذا كنتم حقاً تعنون الكلام عن الحرية فإننا نريد أن نسمع منكم في مجلس شيوخكم الكلام عن الحرية أجمع نريد أن نسمع منكم في مجلس شيوخكم القرارات التي تمس المسائل التي تتعلق بالحرية في كل أنحاء العالم ، وإلا فأنتم لستم إلا عملاء للصهيونية اتخذتم من حرية الملاحة وسيلة لتنفيذوا أساليب الصهيونية .

إننا نقول لهؤلاء الشيوخ في بلادهم إذا كانت إسرائيل والصهيونية تسيطر على مجلس الشيوخ في أمريكا ، وإذا كان الشعب الأمريكي يرضى لنفسه أن يخضع تحت وطأة الصهيونية لأن الصهيونية تمتد على الإغراء والرشوة ولأن الصهيونية تتحكم في رزقة ورقابة . ولأن الصهيونية تقيم بين ربوعه جمعيات صهيونية وإذا كان الشعب الأمريكي يرضى لنفسه وهو هذا الشعب الغنى أن يخضع للصهيونية فتحن هنا . نحن الشعب العربى لن نخضع لأمريكا ولن نخضع للصهيونية بأي حال من الأحوال لأننا نعلم أن لنا كرامة ندافع عنها ولنا حرية نبذل من أجلها الدماء والأرواح لنحرر بلادنا .

وإننا على استعداد لأن نعطي الشعب الأمريكي المثل الكبير يحمي الشعب الصغير حريته وكيف يحمي استقلاله .

إننا على استعداد لأن نعطي هذا المثل . وإننا نأمل بأن نهيب شعب أمريكا الذي سيطرت عليه الدوائر الرجعية والصهيونية ليقضى على الصهيونية التي تتحكم فيه .

إننا حينما نتكلم اليوم عن هذه التهديدات التي وجهت إلينا ، فإنما ننظر إليها بازدراء واحتقار لأن هؤلاء "عملاء الذين أهانونا والذين رفعوا أصواتهم يتكلمون عن حرية الملاحة في القناة لا يستحقون منا الاحترام لأن الوسيلة التي اتبعوها إنما هي تعبير عن الصهيونية تسير في هذا المجلس كما سارت في سنة ١٩٤٨م وأن الصهيونية في أمريكا في سنة ١٩٤٨م لم تسيطر على المجلس فقط .

ولكنها سيطرت على رئيس أمريكا في هذا الوقت أكبر عميل للصهيونية .

(٦٦) من خطاب الرئيس في المؤتمر العام للاتحاد القومي بتاريخ ٩ يوليو ١٩٦٠م :
علينا أن نذكر دائماً وجود إسرائيل وأن ندرك دائماً أن إسرائيل ليست أماننا وحدها .
وانما هي رأس جسر للاستعمار ومركز أمامي لأطماع الصهيونية العالمية في وطننا .

وعلينا أن ندرك أن استعادة حقوق شعب فلسطين ليس مجرد أمنية قومية وإنما هو ضرورة

حيوية لسلامة الأمة العربية كلها وهو الطريق الوحيد لقهر الخذ الصهيونية وأحلامها التوسعية وانه ان الحق علينا أن ندرك أن كل تقدم محرز الأمة العربية وكل فاعلية تعطيها من نفسها لعقائدها سوف تجعلها في المركز القوى . وسوف تجعلها أكثر قدرة وتمكنا على مواجهة إسرائيل وما يساندها من قوى الاستعمار والصهيونية .

(٦٧) من خطاب الرئيس في المهرجان للرياضي بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٦٠ .
حينما تركت فلسطين بعد أن سلحت الصهيونية وسجلت إسرائيل لتقضى على القومية العربية وتفتتها كانت انجلترا هي التي خلفت إسرائيل ، ووضعتها في قلب فلسطين . التي تولت الأمانة عليها بناء على توصية الأمم ولا يوجد من يستطيع أن يصدق أو يستطيع أن يفكر أن انجلترا التي أقامت إسرائيل ستساعدنا لنحى أنفسنا ضد عدوان إسرائيل . أو ستساعدنا لنعيد حقوق عرب فلسطين .

لقد قال الجمهورى في بيانه اليوم : أنه سيعمل على أن تمر مراكب إسرائيل في قناة السويس . والله إذا كانوا هم رضوا بأن تركبهم إسرائيل وتسيطر عليهم وتقضى عليهم . فنحن لن نرضى بل سندافع لآخر فردنا - سندافع لآخر قطرة من دمائنا في سبيل حقوقنا . حقوق العرب . حقوق عرب فلسطين التي اغتصبت . لا بيان الحزب الجمهورى ولا بيان الحزب الديمقراطى ولا بيان الجرائد . لهم أن يقولوا ما يقولون ولكن هذه السيارة في هذا البلد ملك لكم أنتم . ملك لهذا الشعب فقط . وليست ملكاً لحزب الجمهورى الذى يريد أن يكسب أصوات اليهود فهذا الكلام انتهى من زمن بعيد .

كلام واضح :

أن سياستنا نرسمها ونقولها على المفتوح لأن الشعب هو الذى يتخذ هذه السياسة أو يضعها موضع التنفيذ نحن حافظنا على استقلالنا وثبتناه وأعلنا عالياً بأننا سنستعيد حقوق فلسطين . ولا يمكن أن نضيع هذه الحقوق بأى حال من الأحوال لو كان عند الحزب الجمهورى إنصاف لتكلم عن حقوق فلسطين أو ت كلم عن قرارات الأمم المتحدة لشعب فلسطين ولكنهم يلمسون هذه القرارات وينسونها .

ويظنون - فقط - أن هذا الكلام يفيد من يمشى مع اليهود . ولكنهم إذا نسوا هذا الكلام فنحن لا ننساه . هذا كلام واضح مكشوف فأن حقوق شعب فلسطين لا بد أن نحصل عليها . والشعب العربى يجند نفسه من أجل حقوق شعب فلسطين ويعبىء قواه من أجل استعادة هذه الحقوق .

(٦٨) من حديث الرئيس إلى مندوب التليفزيون البريطاني بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٦٠ م :
لقد رفضت إسرائيل أن تنفذ قرارات الأمم المتحدة وأهملت جميع الحلول الخاصة باللاجئين
الذين طردوا من أراضيهم وحرموا من ممتلكاتهم . فالمشكلة الحقيقية هي عرب فلسطين .
الذين طردوا من أراضيهم وحرموا من وطنهم . في سنة ١٩٤٨ وقد تجاهلت إسرائيل قرارات
الأمم المتحدة الخاصة بحقوق شعب فلسطين وتجاهلت كل شيء يختص بحقوق عرب فلسطين .
ومضت في التحدى إلى أقصى حد محتمل وهناك أيضاً الخوف من سياسة إسرائيل العدوانية
فإن إسرائيل تستقبل مزيداً من اليهود الخارج ونحن نعتقد ونشعر أن المساحة التي تحتلها
إسرائيل الآن يمكن أن تهيم لها حياة طيبة . وعندئذ سيتحولون إلى التوسع . وقد نشرت
مراراً تصريحات كثيرة على لسان زعماء إسرائيل تقول أنهم سيتوسعون من النيل إلى الفرات .

(٦٩) من خطاب الرئيس في الأمم المتحدة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠ :
لا بد أن تتحمل الأمم المتحدة مسئوليتها تجاه فلسطين وشعبها العربى وذلك هو الحل الوحيد
لمشكلة اللاجئين من أبناء هذا الشعب وأن الأمم المتحدة تعلم من سوء أحوالهم ما يكفى
لرسم صورة محزنة للظلام الذى يحيط بمليون من الشر طردوا من أراضيهم وديارهم وسلبوا
كل ما كانوا يملكون . ولست أريد هنا استدراار الدموع على أحوال اللاجئين من شعب
فلسطين وإنما أريد لشعب فلسطين حقوقه كاملة ولا أريد له الدموع . وأن التعلل بالأمر
الواقع لخطيئة كبرى ترتكب في حق المبادئ فلو قبلنا هذا التعليل لما جاز مطاردة السرق
لنسترد منه ما سرق ولنقتص منه بحكم القانون وما ذنبه ؟ ذلك أن سرقة تصبى بعد إتمام
أمر واقعاً .. أن الأمر الواقع على غير أساس من العدل وحكم القانون اعوجاج يجب على
المجتمع الدوليتقويمه وتبلافيه .

(٧٠) من خطاب الرئيس في عيد النصر الرابع بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٠ :
يقولون اليوم أن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية . وردنا على هذا أن هذا الكلام يزيد العرب
إصراراً على التمسك بالقومية العربية والوحدة العربية فإذا كانت إسرائيل تستطيع أن تصنع
قنبلة ذرية فإننا نستطيع أن نصنع القنبلة وإذا كانت إسرائيل تنشر هذه الدعاية من أجل تخويفنا
فإننا نخرج من هذا بنتائج كثيرة وهذه النتائج قائمة على شواهد في سنة ١٩٥٥ طلبنا من
العرب تسليحنا فرفض وفرض شروط علينا وإسرائيل كانت تأخذ السلاح والفوس وعندما
اعتدوا علينا سنة ١٩٥٦ م لم يعتمدوا على السلاح الذى أخذوه بل استغلوا طيارين من فرنسا
لأجل أن يحاربوا بهم . ولكن هل عجزنا أن نحصل على السلاح ، لم نعجز ولم نمكن إسرائيل
بأى حال من الأحوال أن يكون لها التفوق علينا . سيكون لنا دائماً التفوق مهما صرفنا
سيكون لنا التفوق الأرضى دائماً والتفوق الجوى .

زمن فرض الإرادة ولى :

إذا تأكدنا من أن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية . فيكون معنى ذلك بداية الحرب بيننا وبين إسرائيل . إننا لا نتمكن إسرائيل من العمل على إنتاج قنبلة ذرية لا بد أن نهاجم قاعدة العدوان ولو جندنا أربعة مليون حتى نقضى على قاعدة العدوان ولكن هل تستطيع إسرائيل إنتاج قنبلة ذرية يقولون أن فرنسا تقوم بمساعدة إسرائيل .

ننظر إلى الذين يقولون بفرض صلح على العرب ونقول لهم يمكن أن تفرضوا صلحاً . تصرفوا في واشنطن وتصرفوا في لندن كما تشاؤون ولكن في القاهرة لا يمكن أن تفرضوا أى شيء الذى خطب والذى تكلم سواء الحزب الجمهورى أو الديمقراطى إننا نقول لهم متأسفين ولا يستطيع أحد أن يفرض إرادته لأن زمن فرض الإرادة ولى وانتهى .

إن هذه الدعاية إن دلت على شيء فإنما تدل على أن دول الاستعمار تهيب الجو وتعدده لتسليح إسرائيل بأسلحة ذرية . ونقول أن إسرائيل أنتجت أسلحة ذرية . أنا لا أستبعد على الدول التى لم يكن عندها أى ذرة من الشرف في سنة ١٩٥٦م أن تتواطأ مع إسرائيل ويتفقوا معها اتفاقاً سرياً لأجل الهجوم علينا ونرسل إليهم جيشاً إلى سيناء حتى يمكن أن يواجهونا بعد هذا . فإننا لا نستبعد على هذه الدول أن تتواطأ مع إسرائيل وتعطيها أسلحة ذرية . طبعاً معركة مع الاستعمار ومعركة مع الصهيونية . وهناك تحالف بين الصهيونية والاستعمار . ولكننا سنحصل على القنبلة الذرية والأسلحة الذرية بأى ثمن . لأن الموضوع موضوع حياد أو سلام . ولكنه أصبح موضوع مصير وإننا سنحصل على القنبلة الذرية بأى ثمن كان .

أعلننا سياسة الحياد وعدم الانحياز ونحن نحرّم من السلاح وإسرائيل تأخذ السلاح من الغرب أننا لا نفرط بأى حال من الأحوال في مبادئنا ولكن إذا إسرائيل تتحالف مع الاستعمار تتحالف مع الاستعمار ضد حياتنا وضد مصيرنا فلا يمكن أبداً أن نقبل بأن نكون شعباً من اللاجئين فلا بد من اتباع كل وسيلة لنحافظ على بلدنا ثم نقضى على عدونا . هذا هو الكلام وهذا هو الرد وهو كلام واضح كلام لا توجد فيه تورية . ولكن كله وضوح . لن نخاف من تهديد إسرائيل ولا من حملات إسرائيل . ولن يرهبنا تهديد الاستعمار وتهويش الاستعمار بل نشعر بأننا أشدّ تصميمًا وعزمًا على استعادة حقوق شعب فلسطين العربى الذى حاربه الاستعمار والصهيونية لاغتصاب بلده منه .

(٧١) من خطاب الرئيس في مؤتمر المحامين العرب بتاريخ ٣١ يناير ١٩٦١ :

حينما نتكلم عن فلسطين . ونقول إننا نريد تحرير شعب فلسطين ونرد له حقوقه السياسية

والاجتماعية فقد اغتصب حقوق شعب فلسطين السياسية والاجتماعية وطرد هذا الشعب من أرضه وبلده ، وأن الاستعمار كان يستطيع أن يخطط وأن يرتب وأن يسيطر ولكننا دخلنا التجربة والآمال التي جاشت في صدورنا لم تتحقق وخرجنا من هذه المحنة ولم نوضع في سراديب التيه بل خرجنا من هذه المحنة أشد عزماً وأيماناً في العمل على تحقيق هدفنا . وهو أن الحق الحق ويوضع في نصابه . لقد استطاع الاستعمار أن يغتصب فلسطين ويعطيها للصهيونية ولكن هذا الدرس درس فلسطين محنة فلسطين سنة ١٩٤٨م هو نتيجة التجربة التي دخلنا فيها . واليوم عندما نعلن إننا نشارك شعب فلسطين وإننا ننسى الهدف الأصلي الأصل وإننا سنعمل على وضع هذا الهدف موضع التنفيذ لا يمكن أن ترهبنا محاولات الاستعمار ولا مساعدات الاستعمار لإسرائيل . اليوم مثلاً أعلم أن بريطانيا أخذت تسلم إسرائيل بالدبابات الحديثة هل هذا يفرعنا . إننا حينما نتكلم عن إسرائيل ومن خلف إسرائيل . فإن إسرائيل لا تمثل الصهيونية وحدها بل تمثل الصهيونية والاستعمار . وأن إسرائيل التي أقاموها بين ربوع الأمة العربية ليست إلا رأس جسر للاستعمار الذي يتربص بنا حتى يجد الفرصة فينقض علينا ليقضى على القومية العربية فقد حدث هذا في عام ١٩٥٦م ولكن الاستعمار الذي تحالف ضد الأمة العربية والقومية العربية لم يستطع أن يحقق أهدافه .

(٧٢) من خطاب الرئيس في المؤتمر الشعبي بدمياط بتاريخ مايو سنة ١٩٦١م :
إن مأساة سنة ١٩٤٨م كانت نكسة وكان سلاح الاستعمار فيها الغدر والخيانة . الغدر بالعرب لأن بريطانيا كانت هي الدولة المسؤولة عن فلسطين كانت الدولة التي أخذت على عاتقها سلطة الانتداب على فلسطين . فماذا كانت النتيجة تأمرت بريطانيا مع الصهيونية فكان وعد بلفور بإعطاء فلسطين للصهيونية وكانت خطة بريطانيا في القضاء على شعب فلسطين ولكن الأمة العربية حينما رأت الخيانة هبت كلها في سنة ١٩٤٨م لتقاتل من أجل قطعة عزيزة على قلبها هب الشعب العربي في كل مكان يحمل السلاح .

(٧٢) من خطاب الرئيس في العيد العاشر للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦١ :
إسرائيل التي أقامها الاستعمار في قلب العالم العربي للقضاء على القومية العربية ، لضرب الأمة العربية ولتمنع الأمة العربية من أن تصحو وتبنى نفسها اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً . ولكن هل منع إسرائيل الأمة العربية من تحقيق طريقها حقناً الاستقلال والحرية والوحدة العربية بقيام الجمهورية العربية المتحدة . وفي نفس الوقت نسر في طريق تحقيق الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، هل خوفنا إسرائيل ؟ دفعتنا إسرائيل لأن نبني الجيش الوطني القوي . هل أخافنا من هو وراء إسرائيل ؟ هل أخافنا الاستعمار الذي أقام إسرائيل والذي يحمي إسرائيل ؟ هل أخافنا الذين يقولون أن إسرائيل خلقت لتبقى ؟ لم نخوفنا لأننا لازلنا نؤمن بقوة وشدة بحق

شعب فلسطين في بلده وفي أرضه ، ولا يمكن أن يدفعنا هذا إلا إلى التصميم وشدة التصميم .
(٧٣) من حديث الرئيس للتلفزيون الأمريكي كولمبيا بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٦١ م ..
إنما نرى دائماً ثمة خطرين في وجود إسرائيل - الخطر الأول يتمثل فيما تعرض له الشعب
العربي في فلسطين - في محاولة إبادة وطرده من بلاده . وفي حرمانه من ممتلكاته بل ومن
كل شيء .

الخطر الثاني : فتمثل في التهديد الموجه إلى الأمة العربية وذلك أمر يسهل التأكيد منه
خلال قراءة الجرائد الإسرائيلية والخطب التي ألغيت طوال الخطة الإنتخابية الإسرائيلية في
الفترة الماضية ولقد بات أمراً واضحاً إن إسرائيل تتطلع إلى التوسع بل لقد كان الموضوع
الرئيسي خلال الحملة الإنتخابية هو ذلك اللوم الذي تبادله الأحزاب فيما بينها لأن الظروف
لم تنتهز لإحتلال الضفة الغربية لنهر الأردن ، أو إحتلال قطاع غزة أو إحتلال جزء من
سوريا .

أنى أتوقع الهجوم من إسرائيل في أى يوم الآن أو غداً أو بعد غداً ، إنهم يحشدون قواتهم
المسلحة ويتلقون المساعدات من الغرب كما يتلقون الأسلحة الحديثة من فرنسا بصفة رئيسية .
هذه وجهة نظرنا القائمة على الحق والعدل ولكن السؤال الذى يجب أن يطرح أيضاً
هو ما هى وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية والرد أن حكومة إسرائيل ترفض هذا المنطق القائم
على الحق والعدل .

إنهم يقولون أنهم لن يسمحوا لأى عربى بالعودة والغريب أنهم في مقابل هذا يدعون
إلى الهجرة اليهودية من الخارج إلى فلسطين . هذه وجهة نظرهم المتناقضة والخطيرة في نفس
الوقت .

(٧٤) من خطاب الرئيس في عهد الوحدة بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٦٢ م .. إن التخلف هو
الشيء الوحيد الذى يضمن البقاء لإسرائيل على أرضنا إلى الأبد والخطر الإسرائيلى يتلاشى
حتى قبل المعركة - العسكرية الفاصلة إذا تمكنت الأمة العربية أن تخلص نفسها من التخلف
الذى فرضه الإستعمار عليها والذي يحاول الرجعية أن تفرضه الآن .

(٧٥) من الميثاق الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر إلى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية
مساء ٢١ مايو ١٩٦١ م ..

إن إصرار شعبنا على تصفية العدوان الإسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى هو تصميم

على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الإسرائيلية الإستعمارية ضد النضال والشعوب .
وليس تعقيب سياستنا للتسلل - الإسرائيلي في أفريقيا غير محاولة لحصر إنتشار سرطان
أستطرى مدمر .

(٧٦) من خطاب الرئيس إلى أعضاء المجلس التشريعى بغزة بتاريخ ٢٢ يونيو ١٩٦٢ م ..
أرجو من الله أن يجمعنا دائماً فى مناسبات أسعد .. يجمعنا وقد عادت حقوق الشعب
الفلسطينى إلى شعب فلسطين وقضية شعب فلسطين هى قضية كل عربى حر .. والشعب
هنا فى الجمهورية العربية المتحدة يشعر كما يشعر أبناء فلسطين نحو فلسطين .. حينما كنت
أتكلم - عن فلسطين والقضية الفلسطينية والوحدة العربية كان الشعب يخرج من صوابه ..
هذا هو الشعب العربى فى كل مكان من الوطن العربى .. ولكن الظروف التى مرت بها
أمتنا تسببت فيما حدث عام ١٩٤٨م الظروف التى لم تكون ولده سنة ١٩٤٨م فقط وإنما
من الحرب العالمية الأولى ومن - وعد بلفور ومن المفاوضات والمساومات المختلفة التى حدثت
حتى عام ١٩٤٨ م .

وعندما ذهبت فى أول يوم وهو يوم ١٦ مايو دخلت إلى رفح لم يكن هناك جيش
ليقاتل .. وربما كانت الجيوش العربية دخلت لتنفيذ التقسيم وهذا هو المهم فى أن الجيش
المصرى كان يسير على الساحل حتى أسدود لينفذ الخطة الموجودة للتقسيم .. وأنا أعتبر أن
سبب النكبة فى عام ١٩٤٨م هم العرب أكثر من اليهود .

وفى عام ١٩٤٨م ضاعت منا بمواقع بدون قتال والذين كانوا موجودين فى الفالوجة أو
عراق المنشية أو بيت جبرين ... وبيت جبرين ضاعت - بدون قتال ... والخط الموجود على
ذكرين ودير الدبابات ودير إيمان ودير الجمال وكل هذه المناطق ضاعت بدون قتال ولم تطلق
فيها رصاصة واحدة .. والدوايمة أيضا ضاعت بدون قتال .. فلم يحدث فى كل هذه المناطق
أى قتال ... وكل هذا استولى عليها اليهود بلا قتال وهم يدعون الآن أمام العالم أنهم حاربوا
وكسبوا معركة ١٩٤٨م .

وفى سنة ١٩٤٨م حاربنا وحوصر جزء من الجيش المصرى فى الفالوجا وعراق المنشية
ولقد رأيت الفلسطينيين فى عراق المنشية .. وكان معنا الشيخ خالد مختار فى عراق المنشية
وقد استشهد أبناؤه أمامى ولم يكن يلتفت لأحد من أبنائهم وقد أريق فى هذا اليوم الدم
الفلسطينى والدم المصرى وقد بلغ عدد الذين استشهدوا ١٥٠ شهيداً من الكتيبة المصرية
وقتل أيضاً عدد كبير من الفلسطينيين المناضلين ودخل اليهود وأستولوا على ثلثى عراق المنشية
ولكن لم يتمكنوا من الصعود وإستطعنا أن نعيد - الإستيلاء على مواقعها ونكبد اليهود فى

هذا اليوم ... يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م .. خسائر بلغت حوالى ٤٠٠ قتيل وقمنا بدفنهم وأنا ذهبت بعد إنتهاء الحرب وبعد الهدنة إلى عراق المنشية في يناير سنة ١٩٥٠ م - ودخلت بواسطة رجال الهدنة لأطلع اليهود على مقابر هؤلاء الجنود - لأنهم لم يسمحوا سرفتها وطلبوا من رجال الهدنة أن يرسلوا أحد المصريين ليريهم هذه المقابر .. وقد أوفدنى الجيش المصرى لأعين لهم - المقابر لأننا كنا نتبادل الحديث وقد ذهبت معركة ١٩٤٨ م هباء .. ولم تحارب إسرائيل في هذه المعركة وإنما الذى حارب فيها هو الإستعمار ولم تكن في معركة ١٩٤٨ م أحراراً ولم تكن إرادتنا ملكاً لنا .

وقد دخلنا حرب ١٩٤٨ م ولم نكن لدينا دبابة واحدة ولم يكن لدى اليهود أيضاً دبابات ولكن بعد فترة استطاع اليهود الحصول على دبابات وعلى قاذفات لهب وحصلوا على أسلحة من الدول الغربية ونحن كانت ذخيرتنا تنقص باستمرار ولا نستطيع أن نستعوض عنها .

وقد ضحك اليهود علينا بالخدعة واليهود ليسوا إسرائيل فحسب وإنما هم إسرائيل ومن وراء إسرائيل وهذا هو العدو الذى يجب أن نعمل حسابه باستمرار فى عام ١٩٤٨ م .. كما نحن العرب المسئولين - عن هذه النكبة وليس نتيجة ١٩٤٨ م فحسب وإنما نتيجة ١٩٤٨ م وما قبلها .

والقائد الذى على غير استعداد ويحاول إيهام الناس أنه مستعد والقائد الذى لا يثق فى النصر ويحاول أن يوهم الناس بأن النصر قريب المنال يكون خائناً فى حق بلده ووطنه «وأعدوا لهم ما استطعتم» فلا بد من أن نعد أنفسنا لا نتكلم ولا نعمل مزايلات سياسية ، ولا نفرق الناس فى الأوهام والآمال ونحن لسنا على استعداد . فلا بد من الإستعداد والإستعداد ليس بالقوة فحسب وإنما الإستعداد بالقوة - والأخلاق .

وإذا تحدثنا عن حقيقة شعب فلسطين واستعادة حقوق شعب فلسطين فسيبيلنا إلى ذلك هو الأخلاق ليس بالنسبة إلى فلسطين فقط أو بالنسبة لقطاع غزة ولكن بالنسبة لجميع الدول العربية ، والشعب العربى مستعد للتضحية بالمال والروح والدم .

وقلت إن إسرائيل ستكون مستعدة لتحويل نهر الأردن فى ١٩٦٣ م ومن الضرورى أن نستعد ونضع الخطط وندير أنفسنا منذ عام ١٩٥٩ م ويجب أن نبحث الناحية السياسية والناحية الفنية منذ ذلك الحين وشكلنا لجنة لبحث هذا الموضوع - وكانت تهدف إلى حرمان إسرائيل من موارد المياه العربية لأن هناك مياهاً تضيع من سوريا وتذهب إلى نهر الأردن ونحن نستطيع أن نحمل هذه - المياه لاستخدامها فى أراضينا وبهذا نحرّم إسرائيل من المياه العربية .

إن هذا هو أول عمل في متابعة أعمال سياسية ، ثم تفكر في النواحي العسكرية . وإذا كنا سنقوم بعمليات عسكرية لابد أن تكون على استعداد للقيام بها .. وإذا لم نكن على استعداد يجب أن نعمل حسابنا حتى - نكون على استعداد بحيث لا ندخل فيحدث لنا ما حدث في عام ١٩٤٨ م .

فعندما إتخذ قراراً يجب أن أكون على ثقة من أنني سأستطيع فرض رأيي على قواني وأستطيع فرض قواني على بن جوريون وعلى الذين وراء بن جوريون وإلا أكون مقامراً بمصير بلدي - وأدخل في نكبة ثانية تشابه نكبة سنة ١٩٤٨ م وأرى أنهم واصلوا إلى دمشق وسيقوم الجيش السوري - والقوات السورية بمواجهة ولكن دمشق على بعد ١٠ كيلوا من إسرائيل بدلا من أن يأخذ اليهود من الوطن العربي نجد هناك أساليب وهناك خططاً كلنا نعرفها ... ويجب أن نتبع الخطط لكل ذلك .

فلو حسبنا في عام ١٩٤٧ م لما حدث لنا ما حدث منها سنة ١٩٤٨ م ولكن أحداً لم يحسب حساباً لشيء ففى مصل . قرروا الحرب قبلها بأسبوع أو عشرة أيام ولم يكن في حدود فلسطين لواء واحد عبارة عن ثلاث كتائب موجودة في العريش ولم يكن هناك ذخيرة معدة ولا خطوط إمدادات .

فالحرب هي دفاع وانسحاب وهجوم والقائد المظفر يعرف متى يهجم ومتى ينسحب ، أما لو فرضت عليه الظروف الانسحاب وهجم أصبح قائداً من غير جنود وسيودى بجيشه وبهذا لم يفد نفسه ولا بلده .

وبالنسبة لهذه القضية يجب أن تعرف متى تقف ومتى تهجم ومتى - ننسحب ولكن في كل هذه الحالات ينبغي أن تستعد باستمرار ونقوى أنفسنا مادياً ومعنوياً وإن شاء الله ربنا يوفق العرب ووحدة العرب أساس كبير والوحدة العسكرية التي كونت في عام ١٩٥٦ م وهي القيادة المشتركة بين سوريا والاردن ومصر وقف بن جوريون وأعلن أن هذه القيادة وضعت إسرائيل كالبندقية داخل كسرة البندق وقد أعلن هذا الكلام في الكنيست .

هذه هي القيادة العسكرية الموحدة فما بالنا بوحدة الأمة العربية والشعوب العربية .

(٧٦) من حديث الرئيس لصحيفة الصنداي تايمز الإنجليزية في يونيو ١٩٦٢ م ..

في مايو ١٩٤٨ م إنتهت بريطانيا انتدابها في فلسطين وأحسنا - أن قضية فلسطين لا يمكن أن تستخدم من أجل أهداف سياسية أو أهداف شخصية وقد قلت أن هذه القضية هي

أصعب قضية في العالم .. ومن يقول أنه وضع خططاً لحلها إنما يخدعكم فأمامنا قضية معقدة ويجب أن نستعد لها بكل القوى المعنوية والمادية .. القوى المعنوية أساسها الأخلاق والوحدة . وحدة الكلمة ووحدة الصف .

والقوى المادية أن نعمل كل ما يمكن عمله حتى لا نصاب كما أصبنا - في عام ١٩٤٨ م . نحن في عام ١٩٥٦ م تعرضنا لعدوان انجليزى فرنسى إسرائيلى وأنا لم أتردد أن أصدر الأوامر بالانسحاب لأن واجبى يحتم على هذا ... والموقف العسكرى يحتم على أن أصدر قراراً بسحب الجيش المصرى من سيناء إلى غرب القنال وأترك أهل العريش وغزة والطور .

ومعنى هذا أنني أصدرت أمراً بعدم القتال حتى أجنب أهالى غزة ويلات القتال الذى لس له هدف عسكرى . وقد قاتلوا في خان يونس وبعض المناطق الأخرى وكانت خطتنا التى نتجت عن هذا ألا يقاتلوا وأن يسلم هذا الجزء .

فهذه هى روح العرب وخصائصهم فنحن لا ننسى حقوقنا وسبلنا إلى هذا أن نتحد ولا نختلف ونكون يداً واحدة فأى خلال لن يصيبنا منه إلا البلاء والضرر لأولادنا وينبغى أن يضحى كل واحد بجزء من نفسه في سبيل أن نتحد ونجمع الشعب الفلسطينى وهذه مسئوليتكم فيجب أن تذهبوا إلى كل بلد في فلسطين وتحملوا المسئولية وتعملوا وتجمعوا الأموال لإنشاء المدارس ولا تعتمدوا على أموال الإغاثة لأنها ستنتهى يوماً ما ويجب أن تطلبوا الأموال وتصنعوا ونحن مستعدون للتعاون معكم على أن هذا حق لكم وليس مساعدة ، لأنكم ضحيتم عام ١٩٤٨ م من أجل الأمة العربية كلها .

فحقوق فلسطين تتطلب العمل الدائم المتواصل والاتحاد الكامل والإستعداد وعليكم أن تتصلوا بالفلسطينيين في كل بلد للعمل من أجل قضيتكم وأولادكم ويجب بأن تقضوا على الخلافات بينكم لا من أجل جمال عبد الناصر وإنما من أجل فلسطين ومن يستخدم هذه القضية من أجل موضوع شخصى يكون قد خرج على المبادئ الأخلاقية وخرج عن الأهداف أصعب القضايا في العالم لأنها ليست إسرائيل وحدها وإنما إسرائيل ومن وراء إسرائيل ولكن الله أكبر من وراء إسرائيل ونحن مؤمنون وبهذا الإيمان نستطيع أن نحقق هدفنا .

ومن الطبيعى أن الوحدة العربية كانت علاملاً مساعداً وكانت بالنسبة لبن جريون البلاء الأكبر .. وربما البعض يسمع إذاعة إسرائيل ويسمع - ما تردده محطة إسرائيل باستمرار ..

فمن عملى اليومى قراءة ما تذييعه محطة إسرائيل ، وما تذييعه محطة إسرائيل هو بذر الشقاق بين العرب ... ومحاولة تفتيت العرب لأن هذا يمكن إسرائيل من أن تؤدى تقوى ويجدوا

الأمل في حل قضاياهم .

خسرنا فعلا في عام ١٩٤٨م خسارة ولكن هذه الخسارة نبهت الشعب العربى ... والأمة العربية بالواجب عليها نحوكم لتحقيق أهدافكم - في استعادة حقوقكم في فلسطين ... وسيحاول الإستعمار والصهيونية - بكل الوسائل تفتيت الأمة العربية لأن الوحدة العربية هي السبيل الذى - يمكننا من أن نحقق هدفنا في إستعادة حقوق فلسطين . وكنت أذهب إلى غزة لأشترى للجنود جينة وزيتون بنفسى لأن لم تكن لدينا تعيينات وطوارئ وهذا هو طعام الجنود الذين سيذهبون للقتال وجيش بهذا الحال كان الأفضل إلا يحارب وكان من الأكرم لهم أن يرفضوا الدخول في الحرب أو يتركوا الشعب الفلسطينى وتمده بالسلاح والذخيرة ليقاتل .

ولكن الشعب الفلسطينى رأى ٧ دول عربية دخلت للقتال وأطمأن وأعتبر أن السبع دول بسبعة ملوك ورؤساء وسبعة أركان حرب - تستطيع الدفاع عن فلسطين ولكن خاب أمله .

وهذا هو الكلام الذى يجب أن نفهمه ونعمله ولا بد أن نستمد ونترك - الكلام وضحك السياسيون والمتاجرة بقضية فلسطين .

وعلينا نحن نتمسك بالقيم والأخلاق ونعمل ونستعد ونبذ - الأساليب والقيم التى يقوم بها تجار السياسة فعلا نختلف ؟ لا بد أن نتحد ولا بد أن نتهى الخلاف لأن أماننا قضية من أصعب القضايا .. ومن يقول لكم أن قضيتكم سهلة فأنما يخدعكم قضير فلسطين جميعاً بأن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما اعتبرناه إنتهاكاً صارخاً لعدالة الدولية وحدها والكرامة الإنسانية .

أن وضع إسرائيل في منطقتنا وضع لاسبيل إلى قبولة بتاتاً إلا فليس في إمكاننا أن نتراجع عن إصرارنا بالإعتراف بحقوق عرب فلسطين إعترافاً كاملاً وأن ترد إلى المليون عربى اللاجئين في قطاع غزة دورهم التى شردوا منها ، إن كل تفكير في إجراء مفاوضات الصلح مع الإسرائيليين ضرب من المحال حتى ولو كانوا على استعداد لأن يقدموا تعويضات مالية من نوع ما محال أن نشترى وطن إنسان أو أن تباع روحه أو حقوقه الإنسانية الجوهريه .

(٧٧) من خطاب الرئيس في المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بشأن الجزائر بتاريخ ٢ يوليو ١٩٦٢م .

أما نضالنا في فلسطين سنة ١٩٤٨م لماذا انتكس ؟ لأننا دخلنا المعركة بدون أن نستعد .

وقال البعض إنها نزهة .

هذا هو السبب نكستنا سنة ١٩٤٨ ولهذا فأنا حينما تكلمت مع ممثلى شعب فلسطين منذ أيام قلت لهم أن علينا أن نستعد وعلينا ألا نتحرك أى خطوة إلا إذا كنا على استعداد وكفانا لما لسنه فى سنة ١٩٤٨م ... قلت لهم أن النضال أن يكون شعب فلسطين - هو الطامعة ويجب علينا أن نعزز هذه الطليعة بجميع الإمكانيات المادية والعسكرية للجمهورية العربية المتحدة .

قلت هذا ونحن نعرف مسئولياتنا ونقبلها برضى وطيب خاصر .

قلت صراحة لممثلى شعب فلسطين أن المسئولية تقع عليهم كطليعة ولكن لابد لهم من الإستعداد . وقلت لهم أن علينا أن نعزز موقفنا .. علينا أن تستعد فى جميع الميادين . الميادين المادية والميادين الروحية والميادين العسكرية ونحن هنا علينا أن نعزز قدرتهم بحشد كل إمكانياتنا المادية والمعنوية والسياسية والعسكرية فى الجمهورية العربية المتحدة ووضعها موضع الإستعداد الكامل حتى نضمن النصر وحتى لا تتكرر مأساة ١٩٤٨م .

(٧٨) من خطاب الرئيس فى العيد العاشر للثورة فى ٢٢ يوليو ١٩٦٢م ..

إن القوات المسلحة مستعدة أن تحمى أمانى الشعب العربى وآماله .

القوات المسلحة التى خاضت المعارك فى سنة ١٩٤٨م فى فلسطين وأستشهد أبناءها فى فلسطين لن تتخلى عن العروبة أبداً لأننا نشعر أننا جزء من الأمة العربية ، جزء من الشعب العربى .

القوات المسلحة وهى تشعر بالقوة وهى تشعر بالفخر تشعر إن علينا واجباً نحو شعب فلسطين ونحو حقوق شعب فلسطين .

(٧٩) من خطاب الرئيس فى العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٣م ..

إذا هاجمت إسرائيل على الأردن لابد أن نحارب . كل دى - أعمالنا إحنا قمنا بها ماكفرناش بالوحدة العربية ماكفرناش بالأمة العربية ماكفرناش بالقومية العربية ما قلناش واحنا مالنا بالعرب تعبونا العرب دوخونا الكلام اللى كانوا بيقلوه لنا الإنجليز فى سنة ١٩٤٨م بعد حرب فلسطين . ليه لأن إحنا عرب وإحنا قاعدة القومية العربية ولم نكفر بالقومية العربية ولا بالوحدة العربية وسنعمل دائماً من أجل القومية العربية والوحدة العربية وكل واحد فينا حيسلم العلم الثانى المسألة مش مش شخصية مش بتاعة عبد الناصر ولا بتاعة عبد الحكيم

عامر ولا بتاعة فلان أو علان رسالة بتاعة الشعب بتاعتكم أت بتاعة كل واحد من أبناء هذا الأمة لأن هذه الرسالة هي الرسالة الطبيعية ..

(٨٠) من تصريحات الرئيس في المؤتمر الصحفي الدولي الثالث بتاريخ أول أكتوبر ١٩٦٣ م ..

لابد أن نفهم مشكلة إسرائيل وكل واحد لا يتأثر بالدعاية التي تحاول إسرائيل أن تتخذ بها شعوب العالم .

فمشكلة إسرائيل لم يحدث مثلها في التاريخ . بريطانيا كانت قائمة بالانتداب في فلسطين . الشعب الفلسطيني كان يمثل ٩٠٪ أو أكثر من سكان فلسطين الإسرائيليون يمثلون ١٠٪ تحالف الإستعمار مع الصهيونية على طرد الشعب الفلسطيني من فلسطين وأعطاه هذه - البلاد لإسرائيل لإقامة دولة مبنية على الدين دولة اليهود - يمكن الإعتراف بالأمر الواقع .

هناك أكثر من مليون عربى طردوا من فلسطين وسلبوا أملاكهم وتعرضوا للعدوان وتعرض أولاهم ونساؤهم للقتل لأنهم طردوا تحت الإرهاب في سنة ١٩٤٨ م و ١٩٤٩ م اتخذت الأمم المتحدة قرارات عن طريق مجلس الأمن تنص على عودة الفلسطينيين إلى بلادهم أو تعويضهم عن أملاكهم التي اغتصبت وضرب بهذا الكلام عرض الحائط بل أكثر من هذا أن الأمم المتحدة قررت أيضا في أواخر ١٩٤٨ م أن تقيم لجنة للتوفيق بين العرب وإسرائيل وأجتمعت في لوزان وتتكون اللجنة من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا وتتبع الأمم المتحدة وبعد إجتماع واحد رفضت إسرائيل أن تحضر هذه اللجنة وأعلنت أنها لن تسمح لأى فلسطين أن يعود إلى بلده ..

النهادة الموجود في إسرائيل حوالى ٢,٥ مليون إسرائيلى و ٢٠٠ ألف عربى يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية من مناطق مقفلة خاضعة للحكم العسكرى هناك تمثل عنصرى ضدهم ولا يستطيعون أن يعملوا في الأعمال التي يريدونها ولا يستطيعون أن يتحركوا من مكان إلى آخر تحت الحكم العسكرى فهل هذا عدل وإذا تصور أى واحد منكم من يسأل من أمريكا أو بريطانيا أو سيلان في جنوب بريطانيا طردنا الإنجليز الموجودين هناك وجاء غرباء عن إنجلترا وأحتلوا نصف إنجلترا أو جزء من إنجلترا وطردوا الإنجليز وأخذوا أملاكهم . هل هذا الأمر الواقع يرضى به الإنجليز ويتنازل عن أملاكه وحقه في بلده ووطنه - وبالنسبة للأمريكي هل ولاية كاليفورنيا إذا حدث فيها نفس الشيء إذا جاءت الصهيونية و أخذت كاليفورنيا وطردوا الأمريكيين عن كاليفورنيا هل يقبلوا هذا الوضع والأمر الواقع وهل يمكن أن نعتبر هذا عدل . شعب فلسطين في بلده وفي وطنه . كيف يتحقق هذا لا أستطيع أن --

أقول لكم كيف . ولكن هذه المنطقة من العالم ولها حدود كبيرة جداً وسكان هذه المنطقة لم يسكنوها من ٢٠٠ سنة أو ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة بل سكنوها من آلاف السنين .

(٨١) من خطاب الرئيس في حفل إستقبال الأبطال بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٦٣ م ..

إننا ضد العدوان في الوقت الذي نحاول فيه أن نحل هذه المشكلة بكل الوسائل السلمية . ونحن نتحمل مسئوليتنا .. والمسئولية لا تتجزأ مهمتنا هنا في الجمهورية العربية المتحدة .. معمة هذا الشعب . في هذه القلعة المناضلة من أجل الحرية ومن أجل الإستقلال ومن أجل المبادئ والمثل العليا ما زالت أساسية .

ونحن نتعرض لأننا نتحمل هذه المسئوليات نتعرض لأساليب مختلفة .. إسرائيل مثلاً .. ما بثها جمشى أبداً .. الى يسمع أذاعة إسرائيل أو يقرأ إذاعة إسرائيل .. كل الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة . على شعب الجمهورية العربية المتحدة على الجيش المصري ، على القوات المسلحة المصرية راديو إسرائيل يوجه كل عدائه لنا .

راديو إسرائيل يوجه حملاته لنا .. إمبارح رئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول يعمل حملة على مصر مبنية على الكذب .. حملة على بنائنا للصواريخ . حملة بنائنا للطائرات . حملة لأننا نستخدم فنيين ألمان ويقول أن مصر قاعدة العدوان ومصر هي التي تعمل أسلحة . وهو بهذا يريد أن يخدع الناس . عايز يستقل العالم كله . من هي قاعدة العدوان ؟ من هي قاعدة الإستعمار في هذه المنطقة ... ؟ إسرائيل كانت دائماً قاعدة العدوان .. سنة ١٩٤٨م كانت إسرائيل قاعدة للعدوان .. إسرائيل التي تريد التوسع والتي تريد أن تستولي على حقوق العرب . وفي سنة ٥٤ وفي سنة ١٩٥٥م إسرائيل هي التي هاجمت على غزة ونشلت الشعب الفلسطيني السالم في غزة في سنة ١٩٥٦م إسرائيل اعتدت على مصر متواطئة مع بريطانيا وفرنسا ومع هذا يريد رئيس وزراء إسرائيل أن يضل الرأي العام العالم . وأعتبر أن الرأي العام العالمي دا كله مشغل ويصدق كلامه حينما ينادى أن مصر هي قادة العدوان .

إننا نعمل وأنتم النهاردة كنتوا في المركب الصبح .. وإنتوا جاين من معركة الشرف في اليمن .. كنتم بتقولوا فلسطين .. فلسطين دا النداء إلى بينادى بيه كل عربى لأن فيه عدوان حصل على فلسطين . ثم هناك عدوان تعرضنا له نحن وتعرضت له البلاد العربية الأخرى من إسرائيل محاولات الصهيونية في العالم له ضد مصر . في أمريكا الصهيونية علشان أحنأ ساعدنا اليمن بتحاول تركز حملاتها ضد مصر . ولكننا سنسير في طريقنا . ستتحمّل مسئوليتنا على أساس أن سلامة الثورة العربية لا تتجزأ وأن ضرب أى ثورة عربية متحررة معناه ضرب باقي الثورات العربية والمتحررة .

مهمة هذا الشعب الأساسية ... وإننا نعلم ما تبيته لنا إسرائيل وما تبيته للأمة العربية كلها .. إن إحنا سنبنى نفسنا وسنقوى نفسنا علشان نقوم بواجبنا ونسير في طريق الواجب .

لابد من عودة حقوق شعب فلسطين .. هذا هو نداء رفعة العالم العربي دائماً مهما مضى من الوقت لابد لنا من أن نعيد حقوق شعب فلسطين إلى شعب فلسطين ولابد أن تكون قادرين على أن تنصدي لقاعدة العبدوان في إسرائيل .

(٨٢) من خطاب الرئيس في بازرت بتونس بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٦٣م ..

واليوم وأنا أسمعكم تنادون فلسطين .. فلسطين .. كنت أشعر بنفس الشعور الذي لمستته في كل زيادة لفلسطين ، فلسطين تستدعي منا أن نقوى أنفسنا .. وفلسطين تستدعي منا أن ندافع عن قوميتنا وفلسطين تستدعي منا أن نقضي على الآثار التي أقامها الإستعمار ليفرق بيننا ويقسمنا إلى شعوب متفرقة .. فلسطين تستدعي دفاعاً عن القومية العربية .. فليست الوحدة العربية إلا أن تكون إرادة الشعب العربي الذي فرقه الإستعمار والذي فرقه الغاصب .

وبهذا تكون الإرادة هي الإرادة القومية . هي الإرادة الحرة . هي الإرادة العريضة .. وأننى أقول لكم أننى أشعر أن الوحدة العربية قائمة حقاً بين الشعوب العربية فحينما كنتم هنا تتعرضون لرصاص الإستعمار كان إخوانكم في مصر وفي كل بلد عربي يهيمن وهم يشعرون أن هذا الرصاص قد صوب إلى قلوبهم .. هذه هي الوحدة العربية .

(٨٣) من خطاب الرئيس في عيد النصر السابع بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣م

أنا بدى أقول حاجة لازم نعرفها كلنا فلسطين سنة ١٩٤٨م لا يمكن تتكرر أبداً تانى . فلسطين سنة ٤٨ كانت متاجرة سياسية إحنا كنا موجوديه في فلسطين وكان عندنا أسلحة مالهش ذخائر وكان الجيش المصرى ييقابل الجيش الإسرائيلى في ميدان المعركة .

كل حاجة بنعملها النهاردة بتقوى بها بلدنا .. صناعتنا الثقيلة كلها خطوات في سبيل فلسطين .. وبنقول فلسطين طبعاً لا يمكن إحنا ننساها ولا يمكن أن نتخلى عنها ولكن لا يمكن أيضاً إن إحنا نعالج موضوع فلسطين بالطريقة اللى اتعالت بها سنة ١٩٤٨م بالمزايدات والبعد عن المسئولية . في سنة ٦٠ في وقت الوحدة أنا طلبت من مجلس الوزراء إن إحنا نبحث ماذا يمكن عمله من سنة ٦٠ لغاية سنة ١٩٦٤م لإسرائيل وبالنسبة لمشروع تحويل نهر الأردن من الناحية الفنية والسياسية على أساس ترك الناحية العسكرية لتقريرها وبعد هذا وصلنا في هذه الأيام إلى قرارات .

نحن نعتقد أن السلام لا يمكن أن يقوم إلا إذا كان قائماً على العدل ونعتقد أن الفلسطينيين

طردوا من بلادهم بواسطة إسرائيل وعاونها الإستعمار ..

ونعتقد أن إنجلترا لم تقم بالواجب الذى كان يجب أن تقوم به حينما قامت بالحماية على فلسطين ولكننا تأمرت مع الصهيونية ضد العرب ومكنتها من أن تحصل على السلاح وتقتل العرب الذين كانوا موجودين فى فلسطين وبهذا اغتصبت فلسطين وطردت أهلها :

فن رأى أن هذه المشكلة لن تنتهى أبداً إلا إذا تحقق العدل . وكيف يتحقق العدل ؟
إننى على ثقة أن الأمة العربية لن تقبل هذا بأى حال من الأحوال .

فى القرن ١٢ والقرن ١٣ تعرضت هذه المنطقة إلى حملات استعمارية تحت إسم الحملات الصليبية . واحتلت مناطق فى فلسطين ولبنان ومصر وسوريا واستمر العرب يحاربونها ٧٠ سنة حتى إستطاعوا أن يتخلصوا كلية من هذا الإستعمار ، وأنا على ثقة أن العرب لن يقبلوا أبداً أن يطرد شعب فلسطين ويحرم من حقه فى بلده وأرضه والعرب مصممين على يعود الحق .

إن الأنهار التى تنبع من البلاد العربية عربية لأن المياه مياه عربية يجب أن تمنع عن إسرائيل نهر الحصباني الى ينبع من لبنان ونهر بنياس الى ينبع من سوريا وأيضاً نهر اليرموك الى بيبسب فى إسرائيل فى المنطقة الإسرائيلية . وقتلنا بعد كده بنبحث النواحي العسكرية .

إحنا فى الجمهورية العربية المتحدة نرى أن إجتماع على مستوى رؤساء أركان الجيش ما ينفعش .. إجتماع على مستوى مجلس الدفاع ما ينفعش ... حتى نجابه إسرائيل الى تحدثنا الجمعة الى فانت والى رئيس أركان حربها وقف وقال إن إحنا حنحول إليه غصب عن العرب ... والعرب بيعملوا الى يعملوه بأقول أنه لا بد من أن يتم إجتماع للملوك والرؤساء العرب فى أسرع وقت ممكن بصرف النظم عن الخصام والحقاق . الى متخاصمين معاهم إحنا مستعدين نقعد معاهم والى متخانقين معاهم علشان فلسطين مستعدين نقعد معاهم وبعدين مصر تستطيع فى المواقف الى تستلزم الشجاعة أن تكون شجاعة ومصر كانت دائماً شجاعة .

وفى سنة ١٩٤٨م لما تخلى عننا الكل وقفنا وحاربنا برضه ، وأنا إتحاصرت فى فلسطين فى شمال النقب وما سلمناش .. حاربنا برضة . قعدنا نحارب باستمرار علشان هذه الحرب شرف العرب ... شرف بلدنا وشرف جيشنا .

أنا أقترح إجتماع للملوك والرؤساء العرب وحابعت للجامعة العربية لتدعوا لهذا الإجتماع فى أقرب وقت ممكن .. نقعد نتكلم فيه كلام جد وبعدين مش عيب نطلع نقول والله إحنا

النهاردة ما نقدرش أبداً نستخدم القوة .. وحنقولكم بالصدق وحنقولكم كل كلة ما نقدرش النهاردة نستخدم القوة لأن ظروفنا لا تناسب أصبروا علينا . معركة فلسطين ممكن تكون مستمرة ومعركة الأردن جزء من معركة فلسطين أو نقول والله إحنا قادرين إذا حولو نهر الأردن حنمنع هذا التحول بالقوة ولكن متى حنقول كلام جوه فى الأودة ونطلع نقول كلام تانى .. أنا عن نفسى الكلام اللى حيتقال فى الأودة حطلع أقوله برة الأودة .

(٨٤) من حديث للرئيس مع رئيس تحرير مجلة ليتز بتاريخ ٦ فبراير ١٩٦٤ ..

يبدو أنه ليس هناك مفر من نشوب حرب فانية فى فلسطين أن - إسرائيل مصممة على أن تواصل التحدى ليس ضد العرب وحدهم وإنما ضد الإنسانية والمجتمع الدولى كله أيضاً ، أن الأمم المتحدة على سبيل المثال أصدرت منذ سنوات قرارات تقضى بعودة اللاجئين من شعب فلسطين إلى بلادهم ولكن إسرائيل رفضت ذلك القرار تحدياً طوال سنوات عديدة . ولما عادت الأمم المتحدة خلال الدورة الأخيرة للجمعية العامة للأمم المتحدة إلى تأكيد قرارها القديم بحق اللاجئين فى العودة بتأييد من دولة العالم كلها إلا إسرائيل بالطبع - فإن حكومة إسرائيل أعلنت فى وجه الدنيا كلها أنها ترفض وأنها مصرة على التحدى ولا يمكن لمثل هذا الوضع أن يمضى إلى الأبد بغير رادع أو حساب .

وقبل أى اعتبار آخر يجب أن يدرك العالم أن شعبنا العربى ظل يعيش فى فلسطين طوال آلاف السنين الماضية .. فإن فلسطين هى أرضه ووطنه وجزء من حياته وتاريخه وثقافته ، وأستطيع أن أقول أيضاً جزء من روحه ووجوده . من لحمه دمه وعظمه . أن هذا الارتباط التاريخى المقدس بين الشعب العربى وأرضه فى فلسطين هو الذى مزقه الإستعمار الصهيونى بعنف وحشية عن طريق الإحتلال غير المشروع لفلسطين وما عقبه من إخراج مليون عربى من ديارهم بالقوة . كيف نستطيع أن نتساهل إزاء هذه الجريمة التى ارتكبت ضد شريعة الله وقوانين البشر وكانت تحدياً وإنتهاكاً للأمم المتحدة ذاتها .

الشيء الذى لن نفهمه بعض الناس - وخصوصاً أصدقاءنا الأجانب - هو عاطفة الشعب العربى إتجاه الأرض التى تمتد فيها جذوره حياته العميقة متشعبة ... هو ببساطة - استحالة الفصل بين الأرض - والإنسان الذى اتخذ من هذه الأرض وطناً له عبر آلاف السنين .

فمثلاً حدث منذ أيام حين سألتني أحد الأمريكيين : ولكن لماذا ؟ فرددت عليه بسؤال من نوع سؤال « هل تقبلوا أن تنتزع منكم ولاية كاليفورنيا ؟ وتعجب عندما أجاب « نعم . إذا أصبح ذلك ضرورياً وعندئذ أوضحت له الفارق : « أن صلة الأمريكي بأرضه عمرها ٣٠٠ سنة فقط . أما هنا في فلسطين فإن شعبنا عاش آلاف السنين فقد اقترن وجوده بأرضه الطيبة وارتبط بها بمشاعر التعلق بالنبات والفلسطينيين - وهذه هي الحقيقة المبسطة - لا يستطيعون الإستقرار خارج فلسطين وليس أمامنا - بديل آخر سر عودتهم إلى أرضهم السليمة .

سيعودون .. ولقد جاء وقت في الماضي إستطاع فيه الإستعمار المستتر بالصليبية احتلال أرضنا في فلسطين لمدة سبعين عاماً طوالاً ولكن العرب واصلوا القتال من أجل أرضهم إلى أن استعادوها في النهاية وليس لدى شك من أن التاريخ سوف يعيد نفسه .

لقد كنا دائماً في حرب مع إسرائيل .. وكانت إسرائيل دائماً المعتدية إن جميع الإعتداءات الماضية مثل حرب السويس ع التي شهدتها بنفسك ونقلت أخبارها - كانت من تدبير إسرائيل وطالما توجد إسرائيل فوق يتحتم علينا أن ننتظر الحرب في أى وقت . والحقيقة أن الصهيونيين لا يكتفون باغتصاب فلسطين فحسب وإنما يعدون العدة أيضاً لإقامة إمبراطورية من الأرض المنهوبة تمتد من النيل إلى الفرات ومن هذا المنطلق القائم على العدوان المستمر . قلت لك أنتى أرى احتمال الحرب قائماً فإن العرب لا يملكون مواجهة العدوان عليهم بقبوله - أو السكوت عليه وإنما لابد من الدفاع عن أراضيهم وحياتهم .

وهذا هو السبب في أننا نستعد الآن - بلك الوسائل التي تهيئها إمكانياتنا - لإتخاذ خطوة تحبط مشروعاتهم - وليس مصدر - قلقنا هو الحياة التي سرقوها والأرض التي يعتزمون إستعمارها عن طريق إستجلال مهاجرين غرباء عليها فإن هذه الأعمال - رغم شرعيتها ليست بالخطر الكبير لكن ما يهمنا هو ألا نسمح لهم بأن يفوقوا ويدعموه قبضتهم على الأرض التي اغتصبوها من العرب عن طريق سلب المياه العربية وسرقة الأرض العربية والإستمرار في تمزيق الجرح الذى أصاب اللاجئين الفلسطينيين بطردهم من ديارهم .

سوف تجيء الحرب القادمة لمقاومة العدوان وردعه لما أتوقع أن يحدث في أى وقت - وعلينا أن نعد للأسوأ . وفي الوقت ذاته فإننا نعد الآن لتنفيذ مشروع عربى مضاد بهدف إلى إحتجاز أو تحويل مياه روافد نهر الأردن للإستفادة ، بها قبل أن تصل إلى بحيرة طبرية ولكن ذلك لن يوفهم لأنه سيكون الهزيمة الثانية لأطماعهم في استعمار صحراء النقب عن طريق إستخدام المياه العربية .

أما الهزيمة الأولى فكانت في عام ١٩٥٤م عندما أعدوا خطة تحويل مياهنا من المنطقة المنزوعة السلاح . ولكن المقاومة العربية التي - دعمها الضمير الدولي في الأمم المتحدة أوقفهم . لذلك فقد نقلوا مكان تنفيذ خطتهم إلى موضع جديد داخل ما يسمونه الأرض الإسرائيلية ، وهم يعدون الآن معدات التحويل في الموقع الحالي شمال بحيرة طبرية ، ولكن المشروعات العربية المضادة ستفسد عليهم تدميرهم مرة أخرى وأنا أتوقع هجوماً من جانبهم ضد الدول العربية .

الحدث المرتقب.:

ويجب أن نعد أنفسنا لمثل الحدث المرتقب فإن إسرائيل - قبل كل شيء - تشكل خطراً كبيراً علينا في كل وقت نظراً لأطماعها في الانتعاش على حسابنا وينكشف ذلك تماماً بنظرة إلى ميزانية تسليحها الضخمة التي زادت هذا العام بنسبة ٣٥٪ مما كانت عليه في العام السابق ولقد زاد خطرنا الآن إلى درجة جعلتنا نبادر إلى إستخدام المياه وروافد نهر الأردن ، وإحباط مشروعاتها الإستطورية ويتحتم علينا أن نكون مستعدون لانتقامها . وهذا هو السبب الذي جعلني أقترح الدعوة لعقد مؤتمر للأقطاب العرب .

لقد كان هذا المؤتمر أول مؤتمر عربي في نوعه وضخامته وسيكون الأول في سلسلة من اجتماعات مماثلة ... فقد قررنا العودة إلى الاجتماع في أغسطس من العام الحالي بمدينة الإسكندرية كما إتفقنا على أن نجتمع مرة كل سنة في نطاق جامعة الدول العربية التي بعثت الآن في شكل يكاد أن يشبه شكل اتحاد كونفدرالي غير مقيد وذلك عن طريق وقوف العرب في جبهة واحدة لمواجهة الخطر المشترك . وكل ذلك لصالح القضية العربية .

تأتي بعد ذلك إلى المكاسب الملموسة التي حققها المؤتمر .. وأولها إننا قررنا تنفيذ خطة تحويل مضادة لاستخدام مياه منابع نهر الأردن - لصالح الدول العربية التي تقع هذه المياه داخل أراضيها . ونملك حق الاستفادة منها . وقد نظمت المشروعات وأعدت الأموال اللازمة لهذا الهدف وسيبدأ تنفيذ الخطة في وقت قريب جداً .

وسيترب على ذلك أن نواجه مشكلة إليه أكبر وهي رد الفعل الإسرائيلي - لأننا حالما نشرع في إنجاز مشروعاتنا للتحويل المضاد ستتجه إسرائيل إلى إستخدام القوة .. وقد سبق أن هددت فعلاً بشن هجوم علينا ونحن نعرف أن قيادتها العسكرية أمدت خطة لمهاجمة الدول العربية الواقعة على ضفاف نهر الأردن والتغلب عليها الواحدة بعد الأخرى عن طريق توجيه حملات ضخمة مركزة على أن كل دولة على التوالي . وكان علينا أن نواجه هذه الإستراتيجية وأن نقومها قبل أن نخطوا أية خطوة أخرى .

ومن أجل هذا الهدف كان أوجب واجباتنا هي الوحدة وخصوصاً الوحدة العسكرية لجميع قوات الدفاع العربية واتفقنا على تنفيذ هذه الوحدة الدفاعية عن طريق إقامة قيادة عسكرية موحدة ومقر عام مركز يقوم بمهمة تنسيق العمل بين الجيوش العربية وإدارة للتوجيه وصندوق مشترك لتمويل نفقات الدفاع وكان هذا هو أخطر قرار للمؤتمر لأنه كان من الواجب علينا مواجهة العدو كلنا مجتمعين وقد خضنا معارك حرب فلسطين الأخيرة وتعلمنا من دروسها المريرة فقد هزمنا بسبب الفرقة وانعدام التنسيق وضعف التنظيم والتوجيه من جانب القيادة والفساد والتقصير .. لقد جاءتنا الهزيمة من الداخل بسبب عدم التنظيم ونحن لا نريد أن تكرر أخطاء عام ١٩٤٨ م .

فإننا عندما نقرر ضم مصادرها وتعبئتها في جبهة واحدة نتوقع أن يتلو ذلك ضم سائر الإمكانيات الأخرى فنحن نحتاج إلى التعاون الإقتصادي بل وإلى التعبئة الإقتصادية . فإذا هاجمتنا إسرائيل ... تحتم على الدفاع العربي بالضرورة أن يقف على مستوى الحرب الشاملة التي قد تتضمن توقيع عقوبات لا على إسرائيل وحدها وإنما على الذين يساندون في العدوان وحلفائها .

نحن ندرك تماماً قوة العرب الإقتصادية والإستراتيجية ولكني أؤثر لهذه القوة أن نبحث عن حساباتها الدقيقة ومن ثم فلا أريد أن أصدر أى تهديدات ما ، أما ما تسأل عنه بخصوص إعداد تقدير سليم لقوة العرب لهذا هو ما يقوم به خبراءنا الآن بطريقة سديدة صائبة وأتوقع أن تسفر دراساتهم عن نتائج طيبة في أغسطس القادم عندما يعود مؤتمر (٨٥) من خطاب الرئيس في حفل تكريم خروشوف بتاريخ ٩ مايو ١٩٦٤ م ..

إن شعبنا يدرك أن هناك قاعدة إستعمارية وسد أرضه في إسرائيل فرض الإستعمار وجودها تمزيقاً لوحدة الأرض العربية وأنقضاضها عليها. بالتهديد إذا أقتضى الأمر .

وأنه لمن سوء الحظ أن تقوم في هذا العصر دولة على العنصرية وأن يستخدم هدف تصحيح أخطاء النازية ضد اليهود بإقامة نازية صهيونية جديدة ضد الشعب الفلسطيني وعدواناً عليه . وبحاول الإستعمار بكل جهده أن يريد إمكانيات العدوان في قاعدته يتمثل ذلك في تسهيل الهجرة إليها وتمويلها وإغداق التبرعات عليها بغير حساب وتدعيم مشروعاتها التوسعية . كما نرى في مشروع تحويل نهر الأردن .

(٨٦) من خطاب الرئيس في حفل القوات المسلحة لخروشوف بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٤ م ..

جنبنا إسرائيل وهي قاعدة للإستعمار تأخذ مساعدات كل سنة ما يقرب من ٤٠٠ مليون دولار وتأخذ أسلحة بأثمان رمزية علشان قناة السويس بدأ العدوان علينا بهجوم إسرائيلي

إخترق الحدود المصرية .

إذن إحنا يجب أن نحتفظ بجيش وطنى قوى ونحتفظ بجيش قادر على أن يتصدى للعدوان مش إسرائيل ولكن لمن هم وراء إسرائيل .

(٨٧) من خطاب الرئيس فى حفل القوات المسلحة بيوم الجلاء بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٦٤ م ..

نسمع اليوم فى أمريكا وفى بريطانيا حرب الأعصاب . حملات موجهة ضدنا حينما زار رئيس وزراء إسرائيل أمريكا كانت هناك حملات ضد مصر ضد الجمهورية العربية المتحدة أن مصر تحصل على كميات كبيرة من السلاح ، أن مصر تحصل على صواريخ . إن مصر تعمل الطائرات . أن مصر تزيد فى قواتها المسلحة واستمرت هذه الحملات حتى أصبح من يقرؤها يعتقد أن إسرائيل ليست عندها قوات مسلحة ، ولا تحصى على سلاح . والحقيقة أن إسرائيل هى رأس جسر للإستعمار فى هذه المنطقة العربية لتقسم البلاد العربية . إسرائيل تحصل على السلاح من أمريكا ومن فرنسا ومن بريطانيا . حصلت على الصواريخ من أمريكا حصلت على الدبابات . وحصلت على الطائرات من فرنسا . حصلت على الدبابات والغواصات من بريطانيا .

إن هذه الحملات التى توجه ضدنا فى أمريكا وفى بريطانيا وفى البلدان الغربية إنما الغرض منها أن تفت من عزيمتنا .

ولكننا نعلم .. نعلم بالتفصيل ما هو تسليح إسرائيل . ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نستجيب لما يقوله الحكام سواء فى أمريكا أو فى بريطانيا من أننا نكتفى بالقدر الذى حصلنا عليه لأننا لا يمكن أن ننسى درس سنة ١٩٤٨م وفى سنة ١٩٤٨م أعلن الغرب وأعلنت الأمم المتحدة - حظراً على التسليح لنا ولإسرائيل .

نفذ هذا الحظر علينا فقط ولكنه لم ينفذ على إسرائيل . وفى سنة ١٩٤٨م استطاعت أن تحصل على الأسلحة التى لم تكن متوفرة - عندها حينما بدأت حرب فلسطين . حصلت على الدبابات ولم تستطيع نحن أن نحصل على دبابة .

الأقطاب العرب إلى الأقطاب العرب إلى الإجتماع فى الإسكندرية .

ومن الضرورى فى الوقت ذاته التحقق من أنه إذا هددتنا حليقات إسرائيل بأى إجراء - كما فعلت بعضها أثناء حرب السويس - فإننا سنكون أيضاً قادرين على الرد الرادع .

إن من مصلحتنا أن نعرف مدى القوة العسكرية والقدرة الإقتصادية التى فى حوزتنا . وعندما يحل شهر أغسطس ستكون بين أيدينا تقديرات سليمة ودقيقة لكافة قدراتنا . إلا أن الأهم من ذلك كله هو الوحدة فكما قلت لك مراراً : أن كل شئ يتوقف على وحدة

العرب ولست أقصد الوحدة الدستورية فلقد تقوم المصاعب في وجه تحقيقها الفوري ولكنني أقصد وحدة العمل التي قد تكون مقدمة إلى وحدة الهدف .

أقصد التضامن القومي العميق الواسع النطاق الذي يكفي لمواجهة العدو ومحاربه في آن واحد .

ولقد كان أول واجب لنا إزاء هذا الهدف هو وقف خلافاتنا الداخلية وتصفية منازعاتنا وإستئناف علاقاتنا الودية . وكانت هذه المهمة بين ما تحقق من نتائج المؤتمر .

ونحن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننسى دروس الماضي وعبرة . ولا يمكن أيضا بأي حال من الأحوال أن ننسى إن إسرائيل رأس جسر للإستعمار . فإذا أردنا أن نبني وإذا أردنا أن نطمئن على سلامة هذا الوطن لابد لنا أن نواجه العدوان وليس عدوان إسرائيل ولكن إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل .

(٨٨) من خطاب الرئيس في الإحتفال بالعيد الثاني عشر للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٤ ..

الحق العربي للشعب الفلسطيني إنني بإرادة التغيير العربية من إسرائيل . إسرائيل قاعدة الإستعمار التي إغتصب فلسطين وأخرجت شعب فلسطين .

اللى يحصل النهاردة في فلسطين هو نفس اللى يحصل في جنوب أفريقيا هو نفس اللى يحصل في مناطق من أفريقيا يريد المستوطنون أنهم يستولوا على كل شيء ثم بتخلصوا من المواطنين الأصليين الأفريقيين بالقتل . إسرائيل قاعدة للإستعمار أوجدها الإستعمار في هذه المنطقة لتكون دائما ركيزة ليه ، إسرائيل اللى بتعمله بالنسبة لشعب فلسطين هو التخلص من شعب فلسطين . استبدال الشعب الفلسطيني أو قتله بالشعب الإسرائيلي .

ولكن القول إن أراد التغيير العربي . إرادة الثورة العربية أقوى من الإستعمار الذى خلق إسرائيل وأقوى من إسرائيل . ولا بد أن يعود الحق العربي للشعب الفلسطيني لأنه أقوى من إرادة الإستعمار . وأقوى من إسرائيل .

ملاحظة :

واستمر عبد الناصر في تصوراتہ ... واستمر في مدرکاته حتى عام ١٩٦٧ م .. حين أعلن أن هذه الهزيمة قدر .

* وهل بعد كل هذه المدرکات الرائعة ... تكون الهزيمة قدر ؟ نعم أمرنا الله أن نؤمن بالقدر ، ولكن فرق شاسع بين القدر كما أمرنا به المولى سبحانه وتعالى وهو قدر قائم

على عمل ووعى ، وبين قدر عبد الناصر الذى قام كله على كلام رائع ومدركات رائعة ولكن وللأسف بلا فعل. عسكرى أو سياسى مباشر ومنتج . المؤلف) .

(٨٩) إن الشعب الفلسطينى خرج ليأخذ قضيته بنفسه ويدافع عن حقوقه بنفسه .
(خطاب فى ١٩٦٨/٧/٢٣)

(٩٠) ظهرت المقاومة الفلسطينية واستطاعت المقاومة أن تحرك الشعب الفلسطينى من شعب من اللاجئين ، إلى شعب من المقاتلين ، واستطاع العمل الفلسطينى أن يفرض نفسه على كل العالم .

(خطاب فى ١٩٧٠/٧/٢٣)

(٩١) إن البعث الذى حدث لشعب فلسطين ظاهرة تكاد لا تصدق ، ولكن هذه الظاهرة دليل حياة لا تموت ، وأصالة لا تتحول . ولا نستطيع فى هذا أن ننكر دور جماهير الشعب الفلسطينى ، الشعب الفلسطينى الذى يزرع تحت الإحتلال يناضل نضالاً مستمراً .
(خطاب فى ١٩٦٩/٧/٢٣ م)

(٩٢) ليس هناك معيار أو فى ، ولا أدق ، من الموقف الذى يتخذه أى فرد أو أى جماعة ، أو أى حكومة ، من قضية المقاومة ومساعدتها ، والتمكين لها ، وتدعيم جهودها .
(خطاب فى ١٩٦٩/٧/٢٣ م)

(٩٣) إن العدو سيحاول دائماً أن يفرق بين أبناء المقاومة الفلسطينية ، وبين أبناء الشعب الفلسطينى :

(خطاب فى ١٩٧٠/٧/٢٣ م)

(٩٤) نرى محاولات الإستعمار وأعوانه فى الواقعة بين رفاق المعركة الواحدة ، شركاء الواقع الواحد ، والمصير الواحد ، وكنا نرى ضراوة هذه المحاولات وجموحها الإستفزازى الخطير ولكننا كنا فى نفس الوقت ندرك إن إخواننا يرون من ذلك مثل ما نرى . وإن وعيهم بضرورات الموقف أشمل وأعمق . بحيث يعطى لنفسه القدرة على تطويق كل هذه المحاولات وحصرها .

(خطاب فى ١٩٧٠/٦/١١)

(٩٥) إن واجب الأمانة ، يقتضينا الآن أن نحدد موقفنا على النحو التالى .. ولقد كان ذلك موقفنا دائماً .

أولاً : المقاومة الفلسطينية ، ومنظمة فتح بالذات في مقدمتها تعتبر من أهم الظواهر الصحية ، في نضالنا العربي .. وهي التجسيد العملي للتحول الكبير الذي طرأ على الشعب الفلسطيني تحت ضغوط القهور وحوله من شعب لاجئين إلى شعب مقاتلين .

ثانياً : إننا لا نتغافل عن بعض الأخطاء التي يمكن أن تكون قد صدرت عن بعض منظمات المقاومة ، لكننا نعتقد أن الأمة العربية عليها من موقف المحبة .. وليس من موقف العداء أن تقوم وأن تصحح .

ثالثاً : كل القوى في أمتنا العربية ، وكل الأطراف بل وكل الأفراد عليهم أن يدركوا إلى أعماق الأعماق ، أنه ليس أمامنا جميعاً بديل عن القتال من أجل الحق الذي نطلبه ومن أجل السلام الذي نسعى إليه .. ولا يمكن أن يكون الحق تفريطاً .. ولا يمكن أن يكون السلام إستسلاماً .. ومن هنا واجب القتال .. والقتال شيء غير الإقتال .

القتال رصاص وهدف وعدو يحتل الأرض .
والأقتال رصاص طائش يعرض الأخ لسلح أخيه
القتال شرف .. والإقتال جزيمة .

(خطاب في ١١/٦/١٩٧٠م)

* ورغم هذه الرؤية الرابعة إلا أن النتيجة على أرض الواقع كانت صفراً .

ثالثاً : مدركات عبد الناصر لحل الصراع العربي الإسرائيلي :

يرى د. مجدى حماد في دراسته (عبد الناصر وقضية السلام) تحليل للإدراك - مجلة الوحدة العدد ١٦ عام ١٩٨٦م .

إن محاولة تجميع وتركيز وتنقية المكونات الصلبة والأصلية لإدراك عبد الناصر لمنهج حل الصراع العربي - الإسرائيلي ، ينبغى وضعها في الإطار الشامل لإدراكه لمختلف إبعاد الصراع ، وتمكن الإشارة في هذا الصدد إلى عدة جوانب :

أولاً - إدراك عبد الناصر لطبيعة الصراع العربي - الإسرائيلي ، وإدراجه لذلك الصراع في الإطار الأساسى للصراع العربي - الغربي وتحديدده للأبعاد الحضارية والأيدولوجية كمحدد لطبيعة ذلك الصراع ، وبالتالي كمحدد لإدارة عملياته ولأماكنياته حله ، فبالنسبة لطبيعة الصراع ، كانت وجهة نظر عبد الناصر المحددة والثابتة تتلخص في أن الأرضية

الأصلية وراء الصراع العربي الإسرائيلي هي في الواقع ، وعلى وجه الدقة أرضية التناقض بين الأمة العربية الراغبة في التحرر السياسى والاجتماعى ، وبين الاستعمار الراغب فى السيطرة ، وفى مواصلة الإستغلال ، وفيما مضى كان سلاح الإستعمار ضد الأمة العربية هو سلاح التمزيق وبعد حربين عالميتين ، ومع تعاظم الإيمان بالوحدة العربية ، لجأ الإستعمار إلى إضافة سلاح التخويف إلى سلاح التمزيق ، وكان إن إستغل فى ذلك الدعاوى الأسطورية للحركة الصهيونية المدججة بالسلاح ، لكى يتم تكريس تمزيق الأمة ولتحقق تخويفها بإستمرار ، عن طريق إيجاد قاعدة فى قلبها لتهديدها ، فضلاً عما يتبع ذلك من إستنزاف كل إمكانيات القوة العربية فى صراع محكوم فيه تاريخياً .

وهكذا يتحدد الطرف الأساسى . فى الصراع ، كما تحدد أدواته فى ممارسة الصراع ، وتحدد بالتالى الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها ، ولا شك أن كل ذلك يحكم منطق واجهته وهكذا تأتى إلى عملية إدارة الصراع .

ثانياً : إدراك عبد الناصر أن عملية إدارة الصراع تتطلب ناحيتين هامتين - محاولة تغيير معادلة القوة فى ذلك الصراع لصالح الطرف الذى يسعى إلى ذلك ، وهو ما يتوقف على سلوك الطرف الآخر ، ومن ناحية أخرى - محاولة الإستجابة الدائمة والسريعة للظروف المتغيرة فى البيئة أشمل البيئة الخارجية للصراع ، وعلى ذلك يمكن من هذه الناحية الإشارة إلى ثلاثة أبعاد :

(١) إدراك عبد الناصر لعناصر قوة إسرائيل وعناصر ضعفها ، سواء فى ذلك قوتها العسكرية أو بنيتها الاقتصادية والاجتماعية ونظامها السياسى ، فضلاً عن إرتباطها الوثيق بالإستعمار العالمى ، وهو إدراك يتميز فى جوهره بالتعبير عن أن محصلة ميزان القوى فى المنطقة تميل لصالح إسرائيل مقارنة بالدول العربية مجتمعة .

(٢) إدراك عبد الناصر لعناصر قوة الطرف العربى وعناصر ضعفه سواء فى ذلك الخصائص الموضوعية للواقع العربى : التخلف والتبعية التجزئة ، أو للآثار التى ترتبت على إعلان بعض الدول العربية وفى مقدمتها مصر ، دخولها مرحلة النورية الاجتماعية ، وانعكاس تلك الآثار على الواقع العربى إلى درجة بلغت فى بعض الأحيان إن عداء بعض الدول العربية لمصر كان يفوق عداءها لإسرائيل ويضاف إلى ذلك إدراك عبد الناصر لمنهج العرب فى تناول قضاياهم الكبرى وفى مقدمتها القضية الفلسطينية .

(٣) إدراك عبد الناصر لخصائص البيئة الدولية وبصفة خاصة آثار ظاهرة الإستقطاب الدولى والحرب الباردة المترتبة عليها - من ناحية ، وإتجاه الولايات المتحدة الأمريكية إلى وضع

مسألة أمن إسرائيل ضمن التزاماتها الرسمية الأساسية - من ناحية ثانية ، فضلاً عن اعتراف الاتحاد السوفياتي وجميع القوى الكبرى في العالم . بجانب عدد كبير من الدول على مختلف دراجاتها .. واتجاهاتها - بحق إسرائيل في الوجود .

ثالثها : إدراك عبد الناصر لخبرات الحرب في سياق الصراع العربي - الإسرائيلي سواء حرب ١٩٤٨م أو حرب ١٩٥٦م أو حرب ١٩٦٧م ويعتبر آخر إدراكه لخبرات محاولة حل الصراع بالقوة المسلحة . فعلى الرغم من أن المبادرة والمبادأة في هذه الحروب الثلاث جاءت من الطرف الإسرائيلي ، إلا أنها كانت فرصة حقيقية لاختبار وتقدير العناصر الثلاثة لإدارة الصراع . قوة الطرف الإسرائيلي ، قوة العرب ، البيئة الدولية .

رابعها : المحددات الشخصية لعبد الناصر وخاصة إدراكه العميق المبني على التجربة المباشر ، لخطورة « قرار الحرب » ويدخل في تكوين ذلك بطبيعة الحال الجوانب الثلاثة السابقة ، طبيعة الصراع إدارة الصراع ، خبرات الصراع ، ولا يعنى ذلك بأى معنى من المعانى أن أعمال عبد الناصر تكشف عن ميل أو إتجاه للإستسلام للأمر الواقع ، وإنما هى ، على العكس من ذلك ، تؤكد الإتجاه إلى رفض الأمر الواقع ومحاولة لتغييره ولكن على أن يتم ذلك بالوسائل السلمية ما دامت هناك إمكانية لنجاحها . وعلى أن يأتى إستخدام القوة بعد إستنفاد جميع الوسائل السلمية ، وعلى أن يكن ذلك لغاية محددة .

ب - حدود التسوية الممكنة في مدركات عبد الناصر :

إن إدراك عبد الناصر يتميز بالإتجاه إلى رفض إستخدام القوة المسلحة في الإطار الراهن ، لأزالة إسرائيل - من ناحية ، وبالإتجاه إلى رفض منطق السلام الإسرائيلي ، من ناحية ثانية ، وإن نقطة التوازن بين هذين الحدين هى المقياس الذى يستند إليه في تقدير قوة الردع العربية من ناحية ثالثة . ومن هنا التساؤل : ما هى إذن الوظيفة السياسية لقوة الردع العربية في إطار هذا الإدراك ؟ فى واقع الأمر تكشف الأعمال الكاملة لعبد الناصر عن تحديث هذه الوظيفة في تحقيق تسوية الصراع العربي - الإسرائيلي تهدف إلى معالجة الجوانب المادية لذلك الصراع ممثلة في حقوق الشعب الفلسطيني ثم فى الأراضي العربية المحتلة بعد حرب عام ١٩٦٧م ، فى محاولة لتجميع الخطر الاسرائيلي فى حدود قرار التقسيم الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧م وبإعتبار أن مواجهة الوجود الإسرائيلي ذاته هى عملية الأجل الطويل .

وطبيعة الحال قد يبدو قول هذا الإقتراض عسيراً ، إذا وضع فى مقابلة غزارة الأدب الناصري بمفاهيم رفض التسوية ، رفض الصلح ، رفض المفاوضات الشائعة فى هذا الأدب

بخصوص ، التعامل مع العدو الإسرائيلي . وفى واقع الأمر ، يعتبر تأصيل هذه الفرضية محاولة جد دقيقة ، مثلها فى ذلك مثل فرضية ، عدم إستخدام القوة المسلحة لإزالة إسرائيل ، غير أن محاولة التأصيل هنا تبدو أكثر يسراً بإستخدام المنهاج السابق الإعتماد إليه بخصوص هذه الفرضية الأخيرة وبصفة خاصة التمييز بين مفهوم « الفعل » ومفهوم « رد الفعل » .

وهكذا يحتاج الأمر إلى التدقيق فيما يستتر خلف مفاهيم الرفض الشائعة فى أعمال عبد الناصر لتحديد إتجاهاته الحقيقية وراءها . وفى حقيقة الأمر لا يعبر رفض التسوية أو الصلح أو المفاوضة أو الاعتراف ، فى إدراكه ، عن رفض لهذه المناهج من حيث المبدأ ، إن لم يكن الرفض بخصوصها صادراً عن مفهوم « رد الفعل » بقدر ما كان الرفض لها فى حقيقته أما إحالة إلى سلوك إسرائيل أو تصريحات قادتها أو تحليل بنيتها الإجتماعية ككيان إستيطانى - من ناحية أو تعبير عن عدم إمكانية الثقة فى الطرف الإسرائيلى ، من ناحية أخرى ، بل أن الرفض فى هذه الحالة كان فى جوهره تعبيراً عن رفض إسرائيل أكثر منه تعبيراً عن رفض مصرى أو على لهذه المفاهيم .

وفى الواقع يمكن تركيز الأسس الصلبة لإدراك عبد الناصر لمنهج التسوية على النحو التالى : كان بد الناصر منذ البداية ، وحتى النهاية ، يقبل بنهاج التسوية السلمية للمشكلات المادية الناجمة عن قيام إسرائيل ، وكانت إشارته المتكررة فى هذه الناحية ، أن قبول إسرائيل وتنفيذها لقرارات الأمم المتحدة (خاصة قرارات نوفمبر ١٩٤٧م وقرار نوفمبر ١٩٦٧م) كفيل بتغيير البيئة النفسية للصراع ، بحيث يكون هناك مبرر للثقة بها وبالتالي للصلح معها .

وكبداية عملية لذلك ، يمكن القول أن عبد الناصر بدأ يقبل منذ البداية ، وحتى النهاية أيضاً ، بمنطق « وجهى العملة » حيث لم تعد هناك مشكلة واحدة وإنما أصبح هناك مشكلتان وبالتالي يمكن تمثيل الحل - ليس فى تجزئة الحق - وإنما فى تجزئة الأرض . فعندما سئل : هل أنتم على استعداد للإعتراف بإسرائيل كدولة ذات سيادة ؟ كانت إجابته :

إن المسألة فى رأى ليست مسألة الإعتراف أو عدم الإعتراف بإسرائيل ، إن المشكلة ، كما أراها ، ليست إسرائيل ، وإنما فلسطين إن الذى نهدف إليه هو أن نعيد إلى أهل فلسطين حقوقهم ويوتهم وأراضيهم

وعندما سئل : ما أريكم فيما يتردد فى بعض الدوائر من أن هناك مساعى تبذل لعقد صلح دائماً مع إسرائيل ؟ أجاب :

أى نوع من أنواع الضمانات لحمايتها ؛ وهو ما عبر عنه عبد الناصر فى مناسبة أخرى من مناسبات الحديث عن الضمانات : « إن أفضل ضمان فى الواقع لحرية الملاحة لا يمكن أن يكون عبد الناصر فى مناسبة أخرى من مناسبات الحديث عن الضمانات » .

وهكذا تعنى التسوية فى إدراك عبد الناصر ، الوصول إلى نهاية مرحلة « الصراع المسلح » فى مواجهة العدو الإسرائيلى ، حيث تستنفذ القوة المسلحة حدودها وإمكاناتها الممكنة والمتمثلة ، كما تقدم فى مواجهة الآثار الناجمة عن قيام إسرائيل ، الأرض والشعب دون أن تمتد إلى مواجهة وجود إسرائيل فى ذاته ، وهكذا تعنى التسوية فى إدراك عبد الناصر ، فى نفس الوقت فتح الباب واسعاً لمرحلة الصراع غير المسلح ، حيث تجرى محاولة تغيير البنية العربية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً ، وحيث يصبح فى مقدور حركة الثورة العربية أن تواجه أعداء الأمة العربية تقدمها : الإستعمار ، إسرائيل ، الرجعية العربية وهذا هو المعنى الحضارى والأيدىولوجى للمواجهة ، كما رآها د . مجدى حمادة ولكن يبدو أن عبد الناصر لم يستطع هذا ، أو ذلك لأجل حل المسألة العسكرية أو سلمياً أو حضارياً ، وكانت نهايته الفعلية فى هزيمة ١٩٦٧ م .

« لقد سمعنا بأن هناك مساعى ، ولكن لم يفتحنا أحد فى ذلك ، وموقف مصر فى هذا الشأن لم يتغير ، فنحن لن نعقد صلحاً مع إسرائيل إلا بعد أن تقوم إسرائيل باحترام قرارات هيئة الأمم المتحدة وتنفيذها ، وبعد أن تحترم شروط الهدنة التى تنقضىها كل يوم .

ومعنى ذلك فى غاية الوضوح ، إن الحاجة إلى إستخدام القوة المسلحة تنتهى فى إستجابة إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة بخصوص الأرض والشعب ، وهذا تحديد من جديد لما سبق تسميته بحدود إستخدام القوة ومعنى الحرب فى إدراك عبد الناصر بل إن حالة السّلام التى تقوم فى هذه الظروف لا تقتضى أى نوع من أنواع الضمانات لحمايتها ، وهو ما عبر عنه عبد الناصر بل أن حالة السّلام التى تقوم فى هذه الظروف لا تقتضى

الفصل الثالث عشر
الإفكسار المُر
١٩٦٧

الموت الحقيقي لعبد الناصر



الإنكسار المر : ١٩٦٧ الموت الحقيقى لعبد الناصر

* كانت هزيمة (٥ يونيو ١٩٦٧م) هى النهاية الفعلية لأسطورة جمال عبد الناصر السياسية ، ولأنها كذلك ، فلقد كثرت من حولها الروايات ، وحيكت من حولها المؤامرات والتفسيرات وأفتى كل صاحب رأى برأيه ، وأحاطه بهالة من القداسة ، دون أن يستطيع إدارة توظيفه السياسى لهذا الرأى ، فالكل - تقريباً - انطلق من مصالحها بعينها ، ومن قناعات مسبقة ، ولم تخضع كل هذه الآراء والروايات للتحليل الهادئ الرصين لأظهار الحقيقة ، ولعل رواية محمد حسنين هيكل فى .. (حرب الثلاثين عاماً : الانفجار ١٩٦٧م) هى الأقرب لتلك (الحقيقة الغائبة) ، وذلك لأن هيكل استند فيما رواه على وثائق دولية دامغة .

* ولعل (الحقيقة الغائبة) التى نبحث عنها بشأن هزيمة ١٩٦٧م تتحدد فى جملة واحدة وهى أن (١٩٦٧م) كانت محصلة أخطاء التجربة الناصرية برمتها من ٢٣ يوليو ١٩٥٢م حتى ٤ يونيو ١٩٦٧م ، إن المثل يقول (الأعمال بخواتيمها) ، و ١٩٦٧م كانت هى (خواتيم) التجربة الناصرية (مهما حسنت فيها الرؤية والقول) ، ومع بداية هذه الموسوعة ، يدفعنا إلى استعراض أمين وشامل لكافة الرؤى بشأن (خواتيم) التجربة الناصرية ١٩٦٧م والتى مثلت بحق الموت الحقيقى لعبد الناصر ، وليس موت ١٩٧٠م ، وفى سبيل لإستعراض نقدى لهزيمة ١٩٦٧م نعالج المحاور التالية :

- أولاً : الظروف الدولية والعربية قبل يوم ٥/٦/١٩٦٧م .
- ثانياً : واقعة الحرب / الهزيمة : التفاصيل العامة .
- ثالثاً : رؤية عميل أمريكى للهزيمة .
- رابعاً : رؤية الأصوليين الإسلاميين للهزيمة وما تلاها .
- خامساً : شهادات الهزيمة (عبد الناصر - عبد الحكيم عامر - اللواء طيار / عبد الحميد الدغيدى) .

- سادساً : تقييم الهزيمة عسكرياً : قرارات لجان التحقيق فى هزيمة يونيو ١٩٦٧م .
- سابعاً : التقييم النهائى للهزيمة والخبرة المستفادة .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :



الكل تراجع .. الكل تخطى ... وسقط عبد الناصر

أولاً : الظروف الدولية والعربية قبل ١٩٦٧/٦/٥ م :

كانت الظروف المحيطة بالحدث ، والسابقة له ، تؤكد أن نظام عبد الناصر بات مطلوباً تهذيبه ، وبات خارجاً عن ملعبه ، ولا بد من إعادته إلى هذا الملعب ، لكي يناور ويتبادل الركلات داخل الملعب ، وليس خارجه من هنا إتفقت الإرادات الدولية (على اختلافها) على أهمية الإيقاع بعبد الناصر والإتيان به صاغراً إلى محراب قداستهم ، وفي سبيلهم لذلك ، أعدوا المسرح ، وهيئوا المكان لإستقبال (واقعة ١٩٦٧ م) .

ترى كيف كانت تفاصيل (الحفل الدولي) الذي أعد المسرح له عالمياً وعربياً ومصرياً لإستقبال يوم ١٩٦٧/٦/٥ أنها تنحصر في الآتي :

(١) هبوط حدة العرب الباردة وتغلغل العملاقين في الشرق الأوسط كمنطقة تنافس من خلال تحسين العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية والتي تميزت بسلسلة من الإتفاقات وصفقات الأسلحة في ١٩٦٢م و ١٩٦٤م و ١٩٦٦م وقد أكد كيندي منذ ١٩٦٢م بأن الولايات المتحدة وإسرائيل حليفتان فعلاً وعزز جونسون هذه العلاقة الخاصة بتشكيل جهاز خاص للمشاورات المشتركة على مختلف المستويات بين الدولتين .

وفي مقابل ذلك كان الفتور يسود العلاقات المصرية - السوفيتية بسبب الموقف السلبي للإتحاد السوفيتي من الوحدة مع سوريا وبسبب عدم موافقة مصر على طلب سوفيتي بإقامة قاعدة إستطلاع جوى عام ١٩٦٦م وأخيراً الضغط السوفيتي لدفع مصر لعقد إتفاقية دفاع مشترك مع سوريا وتأييد السوفيت لنبا إسرائيل تنوى فعلاً مهاجمة سوريا وأن هناك حشود عسكرية على الحدود السورية ثبت أنها وهمية بعد ذلك^(١) .

(٢) تزايد الخلافات بين الدول العربية والإتهامات المتبادلة كان له أثره في عدم فعالية المواقف العربية وإستنزاف قدرة مصر في الصراعات الناتجة عنها مثل حرب اليمن بحيث أصبحت غير قادرة على ممارسة الصراع على نحو سليم مع إسرائيل كما ترتب على عدم وضوح الهدف من التحرك العربي في مواجهة إسرائيل - عقد إتفاقية دفاع مشترك مصري أردني في ٣١ مايو وانضمام العراق إليها يوم ٤ يونيو - أدى إلى انعدام وجود إستراتيجية عربية مخططة لمواجهة إسرائيل^(٢) .

(١) محمد حسنين هيكل : نحن وأمريكا . القاهرة . دار العصر الحديث ، ١٩٦٧م ، ص ٦٧ - ٦٩

(٢) لواء محمد خليل : الأمن القومي العربي - مصدر سابق . ص ٣٩٨ وما بعدها .

(٣) توتر الحدود الأردنية الإسرائيلية السورية - الإسرائيلية منذ بداية عام ١٩٦٧م وتدعيم نظام سوريا للمقاومة الفلسطينية وتبنى مفهوم الحرب الشعبية لتحرير فلسطين بما أدى إلى تهديد إسرائيل بضرب سوريا وبالتالي قيام عبد الناصر بحشد القوات المصرية في سيناء لردع إسرائيل من الهجوم على سوريا حيث سبق لمصر أن قامت بتحريك مشابه عام ١٩٦٠م عندما حشدت إسرائيل قواتها على حدود سوريا فقامت مصر في ١٨ يناير بدفع ثلاث فرق إلى سيناء كتحرك ردعى ولهذا أسرعت إسرائيل بسحب قواتها فوراً إلى الجنوب .

أما عن الأوضاع المصرية داخل المنطقة العربية ، فيمكن القول بأن مصر في الفترة السابقة للأزمة بدأت في التراجع أن تكون في بؤرة السياسة العربية حيث أصيبت إمكانيات مصر وقدراتها السياسية بضربة كبيرة نتيجة انهيار الوحدة المصرية - السورية ١٩٦١م بما يعنى بداية تقليص دورها ونفوذها في العالم العربى وبداية العجز عن تحقيق أمن مصر في مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة .

ولهذا الإدراك سارعت القيادة المصرية للتدخل بشكل مكثف فور أن أتيحت لها الفرصة في اليمن في سبتمبر ١٩٦٢م .

(٤) إن الانفصال المصرى - السورى قد أدى إلى فقدان القيادة المصرية لتوازنها بما قادها لمناصرة ثورة اليمن ١٩٦٢م وبالتالي مواجهة السعودية كما أن تأكيد مصر على الثورة الاجتماعية في أطروحاتها القومية ووضع شرط الاشتراكية كشرط أولى لتحقيق الوحدة قد أدى إلى إنقسام الأمة العربية بين معسكر رجعى ومعسكر ثورى تقدمى وحتى بعد وصول قيادة قومية للحكم في سوريا فإن مصر لم تقبل التلاقى معها إلا بعد تدخل الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٦م حيث زاد الضغط السوفيتى على القيادة المصرية لكى تلتزم بالدفاع عن النظام السورى واضطرت مصر لعقد إتفاقات دفاع مشترك مع سوريا .

وقد صدق تقدير القيادة المصرية للإدراك السورى حيث عملت سوريا على تصعيد الموقف مع إسرائيل ودخلت معها في مواجهات متعددة في وقت لا تملك فيه القيادة المصرية سوى التردد وعدم تأييد ذلك التصعيد السورى العسكرى بسبب تورطها في اليمن ومشاكل التنمية الإقتصادية داخلياً .

(٥) إن الأسابيع الأخيرة التى سبقت الحرب كانت شاهداً على أن هناك قيادات عربية دفعت القيادة المصرية دفعاً نحو مواجهة لا أمل في الفوز فيها وسدت أمامها فرص التراجع



بعد قيام ثورة الفلاح من سبتمبر ١٩٦٩ بأيام

ونمت هزيمتها ، حيث وصلت الخلافات العربية إلى درجة أن أكثر النظم العربية قد أغفلت خطورة محاولاتها لحصار مصر وأثر ذلك على سلامة كل منها وأخطأوا في تقدير أهمية مصر في المنطقة العربية .

(٦) إن الأوضاع الداخلية لمصر لم تكن تشجع على مواجهة إسرائيل حيث تسبب إهمال مصر في اليمن إلى إهلاك القوة العسكرية المصرية مادياً وبشرياً حيث كانت أفضل الفرق المصرية تحارب في اليمن (الفرقة الرابعة) وحوالي ٥٠ ألف جندي من مجموع ١٩٠ ألف جندي مصرى كانوا في اليمن ، كما ظهر بوضوح الصراع بين القادة السياسية (عبد الناصر) والقيادات العسكرية (مجموعة عبد الحكيم عامر) والذي تعود جذوره إلى عام ١٩٥٧م وتعمق عام ١٩٦٢م وأصبح بعدها عامر هو المتحكم في القوات المسلحة ولم يعد من حق أحد - حتى عبد الناصر القائد الأعلى للقوات المسلحة - أن يتدخل في إدارة القوات المسلحة إلا من خلال عامر فقط والسبب أن عبد الناصر كان يخشى لو تمت المواجهة الشاملة أن يتم تحرك عسكري مضاد يقوده عامر .^(١)

وهكذا أصبح الرئيس - حسب رواية أحمد حمروش - لا يتدخل في القوات المسلحة منذ ١٩٦٢م وتعاظمت طموح القادة العسكريين السياسية وتدخلت المؤسسة العسكرية في إدارة ، العديد من القطاعات الإنتاجية والإدارية والسياسية .

كما أنه بالرغم من أن الهيكل الإقتصادي المصري كان يتطور بتأثير الإنطلاق السريع نحو التصنيع وزيادة التوسع في القطاعات الصناعية والإنتاج نحو الاشتراكية والتأميم إلا أنه قد عاد إلى تضخم نقدي ومشكلات إجتماعية وإقتصادية أثرت على مدى تماسك الجبهة الداخلية في مصل .

(٧) في مقابل عدم الإستقرار والتماسك داخل مصر وداخل الجبهة العربية ، يبرز لنا الموقف السياسي الإسرائيلي في صور متماسكة لم تشهدها من قبل حيث كان لإئتلاف حزب العمل المكون من ماباي وأحدوث هاعفورا (٤٥) أغلبية ٧٥ مقعدا ويتحالف معه أحزاب المابام ٨ مقاعد والمقدال ١١ مقعد والأحرار المستقلون ٥ مقاعد والأحزاب

(١) راجع بعدد ذلك الصراع كلاً من :

— أمين هويدى - حروب عبد الناصر . بيروت . دار الطلعة ١٩٧٧م .

— أحمد حمروش . قصة ثورة ٢٣ يوليو - مجتمع جمال عبد الناصر . بيروت المؤسسة العربية

للدراسات والبحوث ١٩٧٨ . الفصل الثامن .

— د. محمد محمود حنبل . مصدر سابق .

المؤيدة للتحالف مع العرب ٤ مقاعد .

وكان الحزب القومي الديني (مفدال) يمثل مركزاً هاماً في عملية توازن القوى في داخل الائتلاف وقد ضغطوا في آخر مايو لتكوين حكومة وحدة وطنية تضم حاجال ٢٦ مقعد ورافي ١١ مقعد وضم دينا وزيراً للدفاع .

كما تم التغلب على التفوق الكمي العربي بنظام دقيق للإنذار المبكر وخطوط داخلية للمواصلات وقدرة عالية على التعبئة والتدريب وارتفاع درجة الروح المعنوية لدى القيادة والجنود كما تم توثيق العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية بشكل أفضل من ذي قبل .

أما عن لماذا صعد عبد الناصر هجومه السياسي على إسرائيل رغم علمه بهذه الظروف فيمكن إجماله في الآتي :

أ - تساعد نبرة الإنتماء العربي لمصر بحيث أصبح الإلتزام المصري بحركة الوحدة العربية من أهم الملامح السياسية الخارجية لمصر . وبالتالي سعى مصر لاستعادة مكانتها القيادية في المنطقة والتي تعرضت للإهتزاز عقب الانفصال السوري وحرب اليمن .

ب - إن مصر كانت تتفوق - أو على أقل تقدير تتعادل - إزاء إسرائيل في التوازن الإستراتيجي الكمي ، ولهذا فإن التحرك الردعي لن يؤكد أي مخاطر حقيقية .

ج - الخبرة التاريخية حيث تم تكرار تلك التجربة من الحشد في ١٨ يناير ١٩٦٠م لوجود حشود إسرائيلية على الحدود السورية وقد حققت أهدافها حيث سارعت إسرائيل لتعزيز الجبهة الجنوبية مما أغرى القيادة المصرية بتكرارها في مايو ١٩٦٧م .

د - إن ناصر قد افترض أن ترفض الأمم المتحدة أي ، سحب لقوات الطوارئ وبالتالي يتم تحقيق الهدف الردعي دون أن يخلق ذريعة للحرب وهو احتلال شرم الشيخ وإغلاق مضائق تيران ، ولكن عندما قرر يوثانت سحبها بما أجبر مصر على إرسال قوات مصرية لشم الشيخ وفرض الحصار^(١) .

لكن عندما خرج الموقف عن إمكانية تصرف ناصر فقد كان لديه تصور كامل بإحتمالية قيام الحرب . حيث قرر عبد الناصر في إجتماع اللجنة التنفيذية العليا أن

(١) راجع . محمد السيد سليم . التحليل السياسي الناصري . دراسة العقائد والسياسة الخارجية . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ١٩٨٣ ص ٣١٢ .

حشودنا في سيناء يجعل الحرب محتملة بنسبة ٥٠٪ ، أما إذا أقفلنا المضائق فالحرب مؤكدة مائة في المائة^(١) .

كما أنه أكد في اجتماع ٢ يونيو على عدة أسس هامة :

أن إسرائيل ليس أمامها إلا أن تسلم بالأمر الواقع أو تشن حرباً علينا وعلى الدول العربية المناخمة .

كما أشار إلى أنه لا يستبعد الإحتمال الأخير ، بل يتوقعه مائة في المائة ولا سيما بعد تشكيل وزارة حرب وتعيين موشى ديان وزيراً للدفاع وكذلك بعد الإتفاق الذى تم مع العراق على إرسال قواتها للأردن .

وأن استراتيجيتنا - وقد تحولت إلى استراتيجية دفاعية بحتة - تلزمنا أن نكون في حالة يقظة تامة وأن إسرائيل لو قامت بعمليات هجومية واسعة فلن يتأخر ذلك عن ٤ - ٥ يونيو .

حيث لابد لإسرائيل من أن تقوم بهجومها قبل وصول قوة الجيش العراقى للأردن وقبل أن تتخذ مواقعها في الجبهة .

وأن إسرائيل ستبدأ بضربة جوية ضد دفاعنا وقواتنا الجوية حتى يتم شلها وإخراجها من المعركة وطلب من العسكريين الإستعداد لتلقى هذه الضربة وتقليل خسائرها إلى الحد الأدنى حتى يمكننا توجيه ضربة رادعة ضد القوة الجوية للعدو^(٢)

كما أن عبد الناصر وقد لاحظ تجمع قوات العدو أمام مثلث رفح - العريش - أبو عجيلة بثلاث مجموعات عمليات فأوصى بتقوية الدفاع في اتجاه رفح وغزة .

ورغم ذلك ، ورغم هذا الفهم إلا أن الضربة كانت قاسية ومؤلمة وفادحة في آن واحد .

ثانياً : واقعة الحرب :

كانت الهزيمة بمثابة التدشين الفعلى لنهاية التجربة الناصرية ، ولقد أحسن محمد. حسنين هيكل عندما لخص هذه الحرب في كتابه (الإنفجار ١٩٦٧ م) بقوله :

(١) د. مصطفى علوى . سلوك مصر الدولى . رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت إلى كلية الاقتصاد .

جامعة القاهرة عام ١٩٨١ م . ص ١٠٥

(٢) لواء محمود خليل - مصدر سابق .

(ما بين الساعة الثامنة وحتى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ م ، كانت معركة الستينات ضمن الصراع الهائل فى الشرق الأوسط وعليه - قد بدأت وانتهت بهزيمة مؤلمة لمصر وللأمة العربية كلها) .

والحقيقة أن الذى يتابع مجرى الصراع فى الشرق الأوسط وعليه منذ بدأت إسرائيل تقوم بدور رئيسى فيه ، وبهدف استنزاف طاقة مصر والأمة العربية وتطوير إرادتهما ، لا يستطيع إلا أن يلاحظ أنها كانت معركة متجددة تفرض نفسها على إمتداد الحقب الأربع التى تلتها نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان الصراع فى الشرق الأوسط وعليه قد أصبح أظهر معالم الحرب الباردة التى احتدمت مواقعها بين القوتين الأعظم اللتين استطاع تحالفهما أن يحقق النصر ضد ألمانيا النازية ، ثم أصبح خلافهما بعد النصر - مع إستحالة الحرب بينهما فى عصر القوة النووية - إطاراً لفترة من أخطر فترات التاريخ الإنسانى وأحفلها بالتوتر والقلق ، ثم التنفيس عن هذا التوتر والقلق بما اصطلح على تسميته بالحروب المحدودة على ساحة عريضة تمتد من شاطئ شرق آسيا على المحيط الهادى إلى شواطئ غرب أفريقيا على المحيط الأطلسى .

وفى الحروب المحدودة فى الشرق الأسوى فإن المعارك توزعت على ساعات متفرقة من كوريا إلى فيتنام إلى الحدود الهندية الصينية ، ثم إلى الحدود الهندية الباكستانية . وأما فى الشرق الأوسط - وبسبب الدور الخاص لإسرائيل - فإن المعارك تركزت كلها فى نفس المواقع واحدة بعد واحدة . حقبة بعد حقبة فوفقاً لما يقول هيكل :

* فى الأربعينات كانت معركة فلسطين ١٩٤٨ م - وبها قامت إسرائيل تنفيذاً للأساطير تاريخية ومطامع دولية .

* وفى الخمسينات كانت معركة السويس ١٩٥٦ م - وقد انتهت بإندحار العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه بريطانيا وفرنسا - مع إسرائيل - وكان إندحار هذا العدوان راجعاً بالدرجة الأولى لتصادمه مع الموازين العالمية والإقليمية والوطنية فى تلك اللحظة من التاريخ .

* وفى الستينات كانت معركة سيناء الأولى سنة ١٩٦٧ م - وقد توقفت والجيش الإسرائيلى واقف على خط المياه عند قناة السويس بعد مشاهد دامية وملتعبة بالنار ، جاءت نتيجة مطلوبة لسنوات متعاقبة من الضغوط السياسية والعسكرية والاقتصادية والنفسية قادتها الولايات المتحدة الأمريكية بالذات أثناء حكم الرئيس « ليندون جونسون » (١٩٦٣ - ١٩٦٨ م) . وكان وصول الجيش الإسرائيلى إلى خط المياه نتيجة مطلوبة وإن لم يكن

نتيجة نهائية لأن المعارك ما لبثت إن إستؤنفت بما عرف بعد ذلك بمعارك الإستنزاف من سنة ١٩٦٧م إلى سنة ١٩٧٠م .

* وفي السبعينات كانت معركة سيناء الثانية سنة ١٩٧٣ - وقد استطاع الجيش المصرى فيها أن يعبر بقوته إلى الضفة الشرقية من قناة السويس فى جهد بطولى عظيم .

* وفى الثمانينات كانت معركة لبنان الذى كان قد أصبح وحده جبهة وحيدة مفتوحة على إسرائيل التى ظنت أنه فى مقدورها - بالتعاون مع بعض العناصر فى التركيبة الداخلية اللبنانية المعقدة - أن تحكم إغلاقها . ثما اضطرت إلى انسحاب جزئى منها بعد أن أدركت أنها ليست نوع المعارك التى أعد من أجلها الجيش الإسرائيلى .

* وعند مشارف التسعينات ومع بداياتها كانت هناك معركة الإنتفاضة الفلسطينية ، وهى ما زالت دائرة فى الأرض المحتلة حتى هذه اللحظة .^(١)

ويرى هيكىل أن معركة الستينات ١٩٦٧م - تبقى أخطر معارك الحرب فى الشرق الأوسط وعليه - كما أنها أكثرها إثارة وأشدّها ضراوة وأبعدها تأثيراً وأحفلها بالمفاجآت . وبالتأكيد فلقد كانت المفاجأة الكبرى والحاسمة فيها هى قصر المدة التى استغرقتها المعركة ، والتى لم تزد فى الواقع عن ثلاث ساعات ونصف الساعة . من الساعة الثامنة إلى الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧م .

وبالنسبة لواقعة الحرب فلقد كانت هذه المدة القصيرة (ثلاث ساعات ونصف) هى لحظة الزمن التى استغرقتها الضربة الجوية الإسرائيلية والتى جاءت ضربة قاضية ، وفى الساعة الثامنة بالضبط من صباح ٥ يونيو قامت موجة أولى من الطائرات الإسرائيلية عددها ١٧٤ طائرة بمجموعة من الغارات المتزامنة على كل قواعد العمق المصرى فى وادى النيل ابتداء من قاعدة «أبو صوير» على الضفة الغربية لقنال السويس ، وحتى مطار «الأقصر» فى جنوب الوادى . ثم لحقتها موجة ثانية من ١٦١ طائرة ركزت بالدرجة الأولى على المطارات المتقدمة فى سيناء . ثم جاءت موجة ثالثة من ١٥٧ طائرة تكتسح ما بقى من حطام على المطارات والقواعد المصرية .

أى أنه بجهد ٤٩٢ طائرة مركزة فى ثلاث موجات - كان مصير معركة سنة ١٩٦٧م قد تقرر فعلاً ، وأصبح ماثلاً ذلك كله - حتى توقف القتال رسمياً يوم ٩ يونيو - مجرد تفاصيل لا تغير من الصورة النهائية للمعركة شيئاً ، ولا تنقص فيها أو تزيد . ذلك أن ضربة

(١) هيكىل : الانفجار ١٩٦٧م - ص ٧٠٩ .

صيران الإسرائيلى أدت مباشرة إلى نتيجتين :

الأولى : أن القيادة العسكرية المصرية فقدت أعصابها وتوازنها ، وهذا هو الخدف الأول لفكرة الحرب الخاطفة منذ دعا إليها أساتذة الإستراتيجية الإنجليز ، وفي مقدمتهم « ليدل هارت » - إلى أن طبقها الجنرالات الألمان من أمثال « جودريان » و« مانشتاين » و« روميل » فى الحرب العالمية الثانية ، وخصوصاً فى مراحلها الأولى حينما سقطت هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج فى ظرف ساعات ، وسقطت بولندا فى ظرف أيام ، واستسلمت فرنسا فى ظرف أسبوعين وأصبح حصنها الدفاعى الشهير خط « ماجينو » طللاً من أطلال الماضى قبل أن تتاح له فرصة الحياة ولو يوماً واحداً !

والواقع أن الخمائر الأولى لفكرة الحرب الخاطفة بدأت من حروب الثورة الفرنسية على لسان « دانتون » حينما لخص إستراتيجية فرنسا بقول : السرعة ، ومزيد من السرعة ، والتسرع دائماً ، الخسارة ، ومزيد من الخسارة ، وإخراة دائماً ، وكان ذلك ما طبقه « نابليون » باندفعه وإخباله قبل أن يضيقه الجنرالات الألمان بقوة الإقتحام المائل الذى يمثلها تعاون الطيرك مع المدرعات .

وهو يكس الخدف من السرعة والجرأة احتلال المواقع فحسب - وإنما شل تفكير القيادة على الناحية الأخرى وإرباكها وإفقادها لأعصابها وتوازنها من اللحظة الإفتتاحية للمعارك .

والنتيجة الثانية : أن الجيش المصرى أصبح فى وضع عسكرى لا يطاق ، فبدون غطاء من طائراته فوقه ، ومع سيطرة كاملة على الأجواء للعدو ، وفى صحراء مكشوفة - فإن القتال لا يعود قتالاً ، وإنما يتحول إلى قتل مهما كانت شجاعة الرجال !

وكان هذا هو الوضع الذى دعا « عبد الحكيم عامر » إلى القرار بالانسحاب فجر يوم ٦ يونيو وهو قرار منطقى من ناحية المبدأ ، وإنما جاءت المصيبة فى طريقة اتخاذه وأسلوب تنفيذه ، ذلك أن نظرية الحرب الخاطفة كانت قد حققت أثرها على القائد العام وأفقده أعصابه وتوازنه .

والخزى أنه فى اليوم الأول من القتال كانت الخسائر المصرية فى كل قطاعات الإشتباك مع العدو فى حدود ٢٩٤ شهيداً - وبعد قرار الانسحاب يوم ٦ يونيو ومع طريقة تنفيذه حتى مساء يوم ٨ يونيو وصل عدد الشهداء إلى ٦٨١١ شهيداً .

لما نضع فإن جزء من هذه الخسائر كان ضرورياً لحماية انسحاب القوات ، ولكن هذا الانسحاب كان فى معظمه حالة من الفوضى ، وخلال هذه الفوضى ومضاعفاتها وقعت

أفدح الخسائر .

كانت الخطة الإسرائيلية سنة ١٩٦٧م هي نفسها خطة سنة ١٩٥٦ - والخطط في العادة لا تتغير لأنها محكمة بالجغرافيا ، وإنما تتغير أساليب القتال والتحركات وملابسات الخداع والمفاجأة إلى آخره .

(وعلى سبيل المثال فإن خطة غزو فرنسا سنة ١٩٤٠م كانت هي نفسها خطة الجنرال « شليفن » أثناء حرب السبعين - لكن الطيران والدبابات كانت هي التي قامت سنة ١٩٤٠م بهمة المدفعية والخيالة في خطة سنة ١٨٧٠^(١) .

ولم تكن الخطة الإسرائيلية سنة ١٩٦٧م مجرد إستلها من خطة سنة ١٩٥٦م ، وإنما كانت إعادة لها بالنص خصوصاً بعد أن تمكنت إسرائيل^(٢) من الحصول على ملف عمليات الطيران البريطاني أثناء الغزو الثلاثي بواسطة « جيمس إنجلتون » (المخابرات المركزية الأمريكية) بالترتيب مع إدارة ' أم . آي . سكس » (المخابرات البريطانية) أثناء فترة الإعداد لضربة «اصطياد الدبك الرومي» .

كان « عزرا وايزمان » - قائد الطيران الإسرائيلي الذي انتقل ليصبح مديراً للعمليات سنة ١٩٦٧م - هو الذي إستلم الخطة البريطانية ، وقال في مذكراته أنه لسنوات كان يعيش مع « الخطة » (دون أن يحدد في مذكراته مصدرها) ويحلم بها ويتمثل تفاصيلها ويدرب رجاله عليها . وقد تولى مع عدد من مساعديه مهمة ترتيبها للملاءمة الأوضاع المستجدة . ثم تسلم الخطة منه نائبه وخلفه في قيادة الطيران الجنرال « مورد نحاي هود » .

كانت الخطة ببساطة هي ضرب ١١ قاعدة جوية مصرية في نفس الوقت ، وهي : « العريش - بير جفجافة - بير تمادا - جبل لبنى - أبو صوير - كبريت - إنشاص - القاهرة - غرب القاهرة - بنى سويف - الأقصر » .

ويكون الضرب بموجتين : الأولى تركز على قواعد وادى النيل البعيدة . والثانية تركز على قواعد سيناء ، القرية .

وكان الهدف الأهم هو (قاعدتي ، بنى سويف ، والأقصر) ففيهما تتمركز الطائرات المصرية القاذفة وهي الخطر الأكبر الذي كانت تتحسب له إسرائيل .

(١) هيكل : المصدر السابق ص ٧١٣ .

(٢) هيكل : المصدر السابق ص ٧١٣ .

وبعد الضربة الجوية كان على سلاح الطيران الإسرائيلي أن يكرس جهده لمعاونة القوات المدرعة الزاحفة على سيناء .

وبالفعل فإن الضربة الجوية استغرقت جهد ٤٩٢ طائرة، وبعدها فإن الطيران الإسرائيلي قام بقرابة ألف طلعة لمساندة القوات المدرعة .

وكان قائد قوات الجبهة الجنوبية - الجبهة مع مصر - هو الجنرال « أشعيا جافيش » وكانت تحت أمرته ثلاث مجموعات من الجيوش .

* مجموعة القطاع الشمالى (رفع - القنطرة) تحت قيادة الجنرال « إسرائيل تال » .

* مجموعة القطاع الأوسط (القسيمة - الجفجافة) تحت قيادة الجنرال « أرييل شارون » .

* مجموعة القطاع الجنوبى (العوجة - متلا) تحت قيادة الجنرال « ابراهيم يوفى » .

والحاصل أنه بعد نجاح ضربة الطيران الأولى أصبح دور كل هذه القوات ثانوياً ، ولم يعد هدفها هدفاً عسكرياً وإنما أصبح مطلبها سياسياً - وقد حدده الجنرال « ديان » وزير الدفاع الإسرائيلى على النحو التالى (مذكرات ديان فيما بعد الحرب) :

١ - تدمير أكبر حجم ممكن من السلاح السوفيتى فى المنطقة (لأن ذلك يرضى الولايات المتحدة فى جانب تأمينه لإسرائيل) .

٢ - تحطيم معنويات الجيش المصرى وإذلاله حتى لا يقبل مرة أخرى أن يقاد إلى معركة ضد إسرائيل مهما كانت الظروف .

٣ - الوصول بالهزيمة العسكرية إلى حد الإهانة حتى لا تعود مصر مهما كانت دعاويها إلى مكان الصدارة فى العالم العربى (الآن وإلى المستقبل المنظور) .

٤ - الجمع بين هذه العوامل كلها معاً بحيث تؤدى إلى إسقاط النظام و « جمال عبد الناصر » على رأسه ، بحدوث ردة فعل غاضبة لدى الجماهير المصرية والعربية .

٥ - بتحقيق ذلك - فإن إسرائيل تستطيع أن تفلت بهدفها الأكبر فى العملية كلها وهو الضفة الغربية للأردن بما فيها القدس - دون أن تتعرض لأى ضغط من جانب الولايات المتحدة . ذلك لأنها سوف تعطى ل « جونسون » كل ما أرادته ، وبالتالي فهو لا يستطيع أن يحرمها فى المقابل من كل ما تريده !

كان التخطيط الدولى لخطه « اصطيد الديك الرومى دقيماً » وكان التنفيذ الإسرائيلى للدور

المقرر لها فيه على درجة عالية من الكفاءة - بصرف النظر عن أحكام التاريخ التي فرضت نفسها فيما بعد وأكدت للكل أن ما حققته إسرائيل ليس هو النصر الذي تنتهى معه كل الحروب ، وفي كل الأحوال فإنه ليس هو النصر الذى يستطيع أن يحقق لها السلام الإسرائيلى الدائم الذى كانت تتصوره فى متناول يدها فى تلك الأيام من سنة ١٩٦٧ م .

ويرى هيكلى فى كتابه الهام أنه وفى مقابل ذلك كان التخطيط المصرى معرضاً ومكشوفاً ، ومن المحقق أن مصر - سواء قدرت ذلك قيادتها السياسية أو لم تقدره - كانت فى وضع لا يسمح لها مهما فعلت بالانتصار فى معركة الستينات ، وهنا تجبىء المسئولية التى يتحملها « جمال عبد الناصر » .

ولقد يقال أن المؤامرة كانت أكبر من طاقته وأكبر من طاقة مصر ، وإنها كانت يجب أن تطاله ويطلها مهما فعل أو فعلت ، ولكن مثل هذا القول لا يعفيه ، وإن كان من الحق أن توضع أحداث سنة ١٩٦٧م فى سياقها التاريخى بالنسبة للعصر وظروفه وأحكامه داخل منطقة الشرق الأوسط وخارجها ، ومع ذلك فليس هناك شك فى أن (جمال عبد الناصر) مشى إلى الفخ الذى نصب لإصطياد الديك الرومى ووقع فيه ، وربما كان مما يحسب له بعد الوقوع فى الفخ أنه تمالك نفسه بسرعة وعاد يضع نفسه والأمة وراءه من مرحلة الصمود وإزالة آثار العدوان .

ولم يهرب « جمال عبد الناصر » من مسئوليته ففى خطابه إلى الأمة يوم ٩ يونيو قال بالنص إنه « برغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة - فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها » .

ومن الغريب أنه فى إدارته للأزمة وقع فى خطأ كان هو دائم التحذير منه ، فكثيراً ما كان يستشهد بمقولة شهيرة ل « ونستون تشرشل » (الذى قاد بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية) يحذر فيها « من خوض أى حرب جديدة بنفس أسلوب الحرب السابقة » .

والحاصل أن « جمال عبد الناصر » وقع فى هذا الخطأ ذاته ، فقد قاد أزمة سنة ١٩٦٧ متأثراً بالمناخ الذى قاد به أزمة سنة ١٩٥٦م قبلها بأحد عشر عاماً ، وكانت كل الظروف مختلفة .

ولهذا كانت الضربة موجهة ، وكانت بمثابة الموت الحقيقى لجمال عبد الناصر قبل الموت الجسدى بثلاث سنوات .

ثالثاً : رؤية عفيل أمريكى للهزيمة :

فى كتابه الهام والذى آثار - ولا يزال - ردود فعل صاحبة ، يرى مايلز كوبلاند العميل السابق للمخابرات الأمريكية فى المنطقة ، فى كتابه (لعبة الأمم ^(١)) ، ما يلى بشأن هزيمة ١٩٦٧ م :

«لقد تعثر ناصر وانجرف نحو درك الحرب إنجرافاً ، ولم تكن إسرائيل قد تهيأت لها قلباً وقالباً بل وكانت مضطربة وحيرى ، وأما أجهزة مخابرات السوفييت فلم تكن تتمتع بالكفاءة اللازمة ولم يكن تخطيط الروس ، وتقديرهم سليمين قديرين بل وكانا ضعيفين ، وكانت أمريكا هى الأخرى عاجزة عن فعل أى شىء ، سوى أننى أود أن أضيف هنا قائلاً : أن ناصر لم يتورط فى الحرب تورطاً ولم يدفع لها دفعاً ، ولم تكن إسرائيل مضطربة حيرى بل كانت للصدام متوقعة وللحرب متشوقة . لقد أمسك ناصر بزمام الأمور جيداً وظل لها مخططاً ، وبالعناية بها منفذاً ، حتى لحظة تنازل نائب الرئيس زكريا محيى الدين - وبالنيابة عن ناصر نفسه - عن مطالب مصر فى مضائق تيران ، إستجابه لنداء الأمم المتحدة ، بسماحة نفس ورحابة صدر . غير أن الإسرائيليين لم يكونوا راغبين فى ترك ناصر يجنى ثمار تلك الواقعة فوجهوا لمصر الضربة القاضية فى نفس الصباح الذى كان مقرراً فيه مغادرة زكريا القاهرة قاصداً نيويورك مع أنهم كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهداً أن يمسكوا عن الحرب حتى يصل زكريا إلى هناك . ولسنوات غير قليلة بقى الإسرائيليون يتدربون على إنقاضهم ذلك ، ولو لم ينفذوه يوماً فما ، كانت الفرصة لتسنع لهم مرة أخرى أو تتوفر لهم ثانية ظروف مثلى» .

ويقول كوبلاند فى موقع آخر من كتابه :

وها أنذا أساهم بتقديم ما شاهدته بأى عيني فى القاهرة ، فقد كنت جاهلاً لما كان يجرى يومها فى تل أبيب أو واشنطن ولم يكن علمى بمجريات الأمور فى موسكو إلا عن طريق أصدقائى من المصريين . وهذا ما علمته .

(١) رغم تحفظنا على العديد من المعلومات والتقييمات التى قدمها (كوبلاند) فى تقريره المخابراتى المرفق ، إلا أن هذه المعلومات باتت لها وجهتها وأهميتها الآن ، وبعد أن كشفت أجهزة المخابرات الغربية (الأمريكية تحديداً) بعض وثائقها بشأن هذه الحرب ، وبعد أن نقل عنها بعض الكتاب المصريين (أمثال محمد حسنين هيكل وجلال كشل وغيرهم) العديد من الحقائق ، باتت رؤية كوبلاند هامة ، لأنها كانت صادقة فى بعض ما أورده رغم زيفها فى البعض الآخر . (المؤلف) ..

يقول :

(١) كان شغل ناصر وضباطه الشاغل قبل الحرب بشهرين خراب اقتصاد البلاد وإنهياره ، ففي بداية تلك السنة (١٩٦٧ م) قام فريق من الباحثين يعملون لشركة باحصاء أدق الأرقام التي توفرت عن مقدار العملة الصعبة والذهب المخزون في مصر عام ١٩٥٢ م يوم قام ناصر بانقلابه ، ثم أضافوا إليه مجموع المساعدات الأجنبية (من قروض وهبات) التي تلقتها الحكومة ، وأضافوا إليه أيضاً مجموع ما أدخرته مصر من ثمن الصادرات بين منتصف ١٩٥٢ م وحتى نهاية عام ١٩٦٦ م ، وأنقصوا من المجموع الحاصل النفقات والمصروفات (الخارجية و ثمن الواردات) فكانت النتيجة أن معدل عجز مصر التجاري قد بلغ حوالى أربعمائة مليون دولار سنوياً وقد استنفذ تقريباً كل تلك الواردات بما فيها قروض إستدانتها الحكومة وعجزت عن أدائها .

وعلى حد قول البروفسور لاکور فإن احتياطي مصر قد تدنى حتى أضحي حوالى أربعين مليوناً من الدولارات كذهب مخزون وستة وأربعين مليوناً من الدولارات بشكل عملات صعبة . ولو أن إمرأاً حاول أن .. يبحث حثيثاً في القاهرة عن تلك الستة والأربعين مليون دولار ، لما كان له - لدهشته - أن يعثر على أكثر من مليونين أو ثلاثة يجب دفعها لتسديد ثمن مشتريات طائرته لا مناص منها . فكم من معامل أغلقت أبوابها لنقص في قطع التبدیل التي لا تكلف أكثر من بضعة ألوف من الدولارات . وأوقفت يومها شركة الطيران العربية المتحدة أربعاً من طائراتها الكوميت السبعة لنقص في قطع الغيار مع أن هذه الشركة تعتبر أحد مصادر العملة الصعبة في مصر .

ولو أن الحكومة المصرية باعت يومها كل ما تبقى لديها من ذهب ما كان ليكفيها هذا لأكثر من شهر واحد تسدد به ثمن ما اعتادت عليه من واردات وتدخر منه دراهم معدودات .

وفي التقارير الاقتصادية الربع سنوية للسفارة الأمريكية في القاهرة تجد رأياً أن الحكومة المصرية كانت مفلسة فعلاً قبل عام من الزمن (أى في أوائل ١٩٦٦ م) . وأما الساخرون من بين المراقبين الأجانب الذين حنكتهم الظروف ومرستهم الأحداث فقد قالوا يومها : « لقد اعتدنا على سماع هذا النغم القديم أعواماً ، ولكن مصر دائماً تجد منطلقاً لها ومخرجاً من هذه الأزمات ، غير أن هذه المرة كان من الواضح جداً أن الجمهورية العربية المتحدة قد هوت إلى الحضيض ، وعندما أدرك السوفييت أن مساعدات الغرب قد نضبت والمنافسة بينهم وبين الأمريكيين قد انتهت بدؤوا بتقديم المساعدات شيئاً فشيئاً ، وبمقادير قليلة وحسب ما

يرونه من ظروف مناسبة وأحوال ملائمة .

(٢) وكنت أعتبر ولسنين عديدة - والقول لكوبلاند - أن نظام ناصر أكثر النظم حصانة ضد الانقلابات في العالم العربي ، ولا أزال أرى ذلك . إلا أنه في اذار / مارس / ونيسان / ابريل عام ١٩٦٧م بدا بدون أدنى شك أن ناصر قد وصل إلى طريق مسدود ، أنه كان وضباطه بذلك عالمين . وبدا يومها في مصر أن « الإستغراض الكبير » قد انتهى ، قررت حكومتنا (وكانت قد قدمت ليومها أكثر من خمسمائة مليون من الدولارات كمساعدات منذ انتهاء الأزمة اللبنانية ١٩٥٨م) ، إنها لن تقدم مساعدات جديدة إلا على أساس من طرق استثمارها والإستفادة منها وليس على أساس من الضغط السياسى ، ولو جمع الخيال ما جمع فلن ينجح هذا الأسلوب الجديد في مصر . ولقد عبر « وورد اليوت » وهو محام من واشنطن ويكتب في مجلة « السياسة العامة » التى تصدر عن جامعة هارفرد (عما يجول حقيقة في عقول كل موظف غربى يعمل في « ديون المساعدات » وكل أصحاب البنوك الغربيين عندما قال : « إن إصرار ناصر على القفز إلى مسرح السياسة العالمية ليلهو هناك قد كلف المصريين نفقات باهظة كان يمكن استغلالها بشكل إجدى في مجالات أخرى . وعلى كل دولة تساعد مصر أن تدرك أنها بذلك تقدم دعماً لناصر لتحقيق أطماعه وآماله خارج بلاده ، كما تساعد على ضم ممالك جديدة لعرشه الغزير بها .

والناحية الهامة هى أن كبار المسئولين المصريين فى الجهاز الحاكم فى الجمهورية العربية المتحدة . أدركوا أخيراً تلك التحولات فى مواقفنا ووجهات نظرنا . ولا شك أنه خطر لبعض أصدقاء ناصر المخلصين (مع إننى كنت أعتقد باستحالة قيام أى إنقلاب ضده) أن يجعلوا منه « سوكارنو » ولو على مضض منه (كما عبر عن ذلك (سى سلوز بيرجر) . فقد وقعت أندونيسيا فى معضلة مشابهة لوضع مصر فكان الحل لها هناك أن رفعوا سوكارنو إلى مستوى رئيس مجلس إدارة وإستلم أمناء عامون توجيه أمور البلاد وشئونها وأعادوا بناء البلاد ثانية بعدما تردت الحالة فيها حتى بلغت حد الإفلاس . وقد علمت من مصادر موثوقة لدى أن مثل هذه الفكرة قد بحثت جدياً للخروج بالبلاد من مصاعبها ومصائبها . وأن رجالاً لا يشك بولائهم لناصر قد تكفلوا بوضعها قيد التنفيذ ، ولا أستبعد أن يكون أحدهم قد بلغ حداً من التهور والطيش لأن ينقلها لناصر ويبلغه إياها . ومن خلال معرفتى بناصر فإننى كنت واثقاً أن مشروعاً كهذا لن ينجح أو يرى بصيصاً من نور .. فناصر لن يرحل بتذمر أو شكوى ، ولن يتقوض نظامه وينهار إلا بضربة عنيفة وضجة مدوية ، ويومها ستنازل الآلهة أعداءها وتدور رحى حرب ضروس لا تبقى منهم أجداً ولا تذر لهم على الأرض دياراً .

(٣) ولم يعد ضباط ناصر يكثرثون بما يفكر العرب بالنظام الناصري - والقول لكوبلاند - وأخذ حرصهم على سمعته يقل رويداً رويداً . إلا أنهم أضحوا في قلق متزايد إزاء الصورة التي أخذ العالم المتحضر يرسمها عنهم وهي شبيهة بقصة أفيلين واه المسماة « المؤذى الشرير » ولكن ناصراً كان حريصاً على أن لا يفقد ماء وجهه أمام العرب - والعرب على الأقل - أو يبدو من الخاسرين . وقبل أيام من فرارى من القاهرة في وجه الكارثة التي بدأت تلوح يومها في الأفق سألت أحد أشد اتباع ناصر على الظهور بمظهر زعيم كبير بين جملة أفراد خاسرين ؟ ولم يستطع أن يجيبني بأكثر من : من كل قلبي ، أتمنى لو كنا ندرى ذلك .

وكان هذا مهما لناصر ، ولهذا فعندما استفزه السعوديون والأردنيون معلنين أنه لم يبد أي تأثير بغارات الإسرائيليين المتزايدة على سورية والأردن ، وتحرك ناصر وأشغل نفسه بدعاية إذاعة مضادة وأهمل مسائل بلاده الاقتصادية الهامة . وغالب اعتقادي أن وصم الأردنيين له خاصة بالجبن والإخفاء خلف قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة قد دفعه إلى إغلاق مضائق تيران في وجه الإسرائيليين . وعلى هذا يعلق البروفسور لاکور قائلاً : « لقد كان من واجب السوريين وناصر أن يعلموا أن إطلاق التهديد من موقف الضعف أمر خطير » ، سوى أنني أعتقد أن السوريين وناصرأً يجهلون خطر مثل تلك السياسة بل وتجاهلوها بنجاح لسنوات عديدة خلت . (وحتى بعد الهزيمة النكراء التي حلت بهم في حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧م ، فما زالوا يتحدثون بلهجة القوى المنتصر . ولا يقع اللوم عليهم في هذا فلهجتهم تبدو طبيعية بل ومفيدة أحياناً .)

(٤) وأخيراً - والقول لا يزال لكوبلاند - فهناك مشكلة سوريا ، ففي السابع من نيسان (أبريل) عام ١٩٦٧م كانت بعض الطائرات السورية تحلق فوق منطقة مجردة من السلاح فرأت بعض الجرارات الإسرائيلية تحرق وتزرع . فاعتنمت الطائرات السورية الفرصة وانقضت على الجرارات تصليها وإبلاً من رصاصها وقنابلها ، ولم لا فالسوريون لا يقوون إلا على أمثالهأقصفاً ولا يجيدون غيرها نزألاً . ومهما كان فقد كان الإغراء يومها طاعياً ، فدمرت الجرارات عن بكرة أبيها وقتل من المزارعين نذر غير يسير ، ولكن لم تكد غارة السوريين تنتهي حتى ظهرت في الجو بضع طائرات من الميراج الإسرائيلية ولحقت بالطائرات السورية إلى دمشق وأسقطت ستاً منها فانتثر حطامها في ضواحي المدينة وفي الجوار ، وتألم السوريون من ذلك ، وأطلقت صحفهم والحكومة صيحات الحرب والثأر ، وأخذت الإذاعة السورية في الأسابيع التالية تدعو إلى الحرب علناً وإلى التحرير جهاراً بشكل يجعل كل من

لا يعرف السوريون أن يظن بهم خيراً وأنهم على مهاجمة الإسرائيليين لا محالة مصممون . وهكذا أعطى السوريون الإسرائيليين كل ما أرادوه من أدلة وبراهين ليظهروا أنفسهم بمظهر المدافعين عن أنفسهم والمنادين بالسلام . (وكان السوريون مدفوعين بالاتفاقية العسكرية التي وقعوها مع المصريين في تشرين الثاني (نوفمبر عام ١٩٦٦ م) .

وعقد المصريون هذه الاتفاقية وهم يظنون . والروس معهم ، أنهم يحسنون صنعا . إلا أن سعيهم قد ضل ولم تخفف شيئاً من مغالاة السوريين ، بل وكان أثرها عكس ما توقعوا تماماً . فقد ظن السوريون أن الجيش المصري رهن إشارتهم ، فاندفعوا تحت حماية الاتفاقية يزارون ويزنجرون ، ولولاها لبدأ حماسهم في تلك الفترة متهوراً حتى في منظارهم أنفسهم ، وأضحى جلياً في بداية أيار (مايو) ، أن السوريين وليس ناصراً قد أخذوا يندفعون إلى حافة الحرب .

« ومع أنني - والقول لكوبلاند - كنت فاقداً أي ، اتصال مع السوريين يومها ، فقد أخبرني أصدقائي من المصريين الذين كانوا على صلة بهم أن الأوائل قد ضمنوا أن النصر سيكون حليفهم في الحرب القادمة ، شريطة أن يكون المصريون معهم فيها ، هذا عن السوريين ، وأما عن المصريين فأني أعتقد ، خلافاً لكتاب كثيرين ، أنهم لم يلمسوا من أنفسهم القوة الكافية لهزيمة إسرائيل ، لقد أخبرني ناصر نفسه ، وقبل أسبوع واحد من الحرب ، عن محادثة جرت بينه وبين المشير عامر عنفه فيها قائلاً : « إنك - عزيزي عامر - متخلف ما لا يقل عن عشر سنين عن العصر الذي أنت فيه ، كيف ستلحق هزيمة بجيش حديث وحسن التدريب مثل الجيش الإسرائيلي وجيشك لم يتمكن لسنوات أن يخضع شراذم اليمنيين من المدمنين على المخدرات ! » وأزيد على هذا أن النظرة الأنفة الذكر لم ينفرد بها ناصر وحده بل أبدى كبار ضباطه شكاً كبيراً في قدرة الجيش المصري على العمل وكفاءته في القتال ، ولا أزال أذكر ما خاطبني به أحدهم قائلاً : « إن استطاعت مصر الإفلات من هذه الأزمة بنصر ديبلوماسي فستدع السوريون يخوضون غمار الحرب لوحدهم أن يقوموا ليومها مصريين على ذلك دون تراجع أو خوف » .

كان الضباط المصريون يعلمون ، ويعلم الأمريكيون المقيمون في القاهرة ، وأنا من بينهم ، وكذلك كان يعلم ، كل المراقبين من ذوى الإطلاع أن فرصة ناصر في إحراز نصر ديبلوماسي مؤزر تعادل فرصة خسارته .

وقد ألقى خطاب ناصر في ٢٩ آيار (مايو) عام ١٩٦٧م كثيراً منا حيث قال فيه :
« لقد باتت استعداداتنا كاملة ، ونحن الآن مهيتون لمواجهة إسرائيل ... ولقد أصبحنا قادرين
على معالجة قضية فلسطين بأكملها ... » وكذلك قوله : سوف نقرر نحن وليس هم زمان
المعركة ومكانها . وصحيح أن أشكول رئيس وزراء إسرائيل قد صرح في ١١ آيار (مايو)
بما لا يقل فحوه خطورة عن ذلك ، غير أن عبارة ناصر أضافت حجة للإسرائيليين فوق
الحجة التي وهبهم إياها السوريون ليقوموا بالضربة الأولى ، بل لعلها جعلت من المحتم عليهم
فعل ذلك، وعندما غادرت القاهرة في تلك الأثناء عائداً إلى لندن ، أخبرت أصدقائي من
المصريين قبل سفرى بأننى أراهن حتى الدولار الأخير الذى امتلكه بأن ناصرأ سوف يواجه
هجومأ صاعقأ كذاك الذى وقع على بيرل هاربر . قلت ذلك وأنا أعلم أن بعثة زكريا محيى
الدين إلى نيويورك قد قررت أن تكون صباح الخامس من حزيران (يونيو) وأن الإسرائيليين
قد قطعوا على أنفسهم عهدأ للرئيس جونسون أنهم لم يقوموا بتسديد أية إضرار لمصر قبل
أن يرى العالم زكريا محيى الدين فى نيويورك ويسمع منه ما يريد أن يقوله . وكما قلت سابقأ .
فلقد كانت فرصته خمسين بالمئة ، لا تزيد عن هذا أبداً . ولكن ناصر قامر وغامر ولعله
قد خسر الرهان .

ولأمرىء أن يسأل : هل ربحت إسرائيل الحرب ؟ إننى أرجع هنا - والقول لا يزال
لكوبلاند - إلى قول أندريه بوفر « وهو استراتيجى فرنسى عظيم يعرف النصر فيقول : « هو
أما أن تحطم عدوك تماماً أو تجعله فى موقف يقبل ما تمليه عليه من شروط الإستسلام » .
فإذا أخذنا بهذا التعريف وجدنا الإسرائيليين لم ينتصروا حقاً وذلك حينما نراقب الكلام الذى
جرى بينهم وبين العرب فى أعقاب الحرب . كما أن موقف ناصر فى بلاده ، بعد الحرب أصبح
أشد صلابة من موقفه لو لم تقع الحرب ، وإذا اتضح هذا لم يعد لأحد أن يسأل : ماذا
سيكون موقف ناصر لو تكررت المأساة ؟ أن الجواب على هذا السؤال فى رأى واضح لكل
من قرأ هذا الكتاب بإمعان وغاص بين سطوره .

وتنتهى رؤية كوبلاند العميل السابق للمخابرات الأمريكية بما احتوته من حقائق وتقييمات
لا شك بعضها مغرض ، ولكن بعضها الآخر صائبأ وفقاً لما نشره الناصريون أنفسهم فيما
بعد .

رابعأ : رؤية الأصوليين الإسلاميين للهزيمة وما تلاها :

نورد هنا رؤية متكاملة للأصوليين الإسلاميين من أعضاء (جماعة الجهاد الإسلامى)
المعروفة فى مصر ، وهى رؤية علمية ورصينة واستقت بياناتها من مصادر علمية وسياسية

مختلفة ، ولم تكتف بالإدانة فقط كما تفعل باقى الرؤى الإسلامية منذ وفاة عبد الناصر وحتى اليوم وبخاصة (الإخوان المسلمون) ، ترى ماذا يقدم الجهاديون من رؤى . إن (أسامة حميد^(١)) الذى اعتمدناه (مرجع التقليد) بالنسبة للرؤية الإسلامية الأصولية ، يقدم لنا تحليلاً رائعاً - رغم اختلافنا معه - لهزيمة ١٩٦٧م وما تلاها ، ونحن نقدم هنا التحليل كاملاً كما قدمه (أسامة) دون تحريف أو تدخل .

بداية يرى أسامة :

تمثيلية التنحى :

بدأت الصحف - إزاء الهزيمة المخزية - تخلق قصصاً وهمية عن تدخلات أمريكية وبريطانية (على غرار التدخل فى العدوان الثلاثى) وحفلت البيانات العسكرية بعد ذلك بقصص عن مؤامرات أمريكية وضمنت البيانات فى كل مرة عبارة « بما لا يدع مجالاً للشك » - وفى هذا الوقت قال عبد الحكيم عامر لعبد الناصر « احنا الاثنين ضحكنا على الشعب واحنا الاثنين لازم نمشى »^(٢) .

وهكذا - مع بداية إنكشاف حجم الزيف - تجمع طوفان من الناس أمام بيت عبد الناصر يسألون عن مصير ذويهم (صباح ٩ يونيو) وحسب شهادة الجيار « فقد احتاج الأمر إلى قدر كبير من الذكاء لإستدراج هذا الطوفان بعيداً نحو ميدان العباسية » .

سارع عبد الناصر - والقول لأسامة حميد - طالباً من هيكل استخدام قدراته الفائقة فى الشعوذة للإلتفاف حول وعى الناس قبل أن يتعاضم - وهكذا كتب هيكل بيان التنحى الشهير مستفيداً من عدة نقاط :

١ - لم يكن قد مر على بدء الحرب سوى ٤ أيام ولم تكن الناس تعرف الحجم الحقيقى للكارثة .

٢ - تعبئة المخزون الهائل لدى الشعب المصرى فى تحدياته للغرب - عن طريق إظهار عبد الناصر كما لو كان قد تعرض لمؤامرة - وهكذا حفل بيان التنحى بسلسلة من الأكاذيب :

(١) جدير بالذكر أن أسامة حميد انهم فى قضية اغتيال السادات وتشكيل تنظيم الجهاد عام ١٩٧١م وقضى بالسجن ٣ سنوات ، ثم دخل المعتقل بعد ذلك ٩ مرات نتيجة نشاطه السياسى والفكرى التابع لتنظيم الجهاد (المؤلف) .

(٢) شهادة الجيار ، فى تخطيط الآلة ص ١٥٩ .



مع الجنود على جبهة القناة .. يستمع منهم ويشهد إليهم

- إن قوى الإستعمار تتصور أن عبد الناصر هو عدوها .
- المؤامرة كانت أكبر وأعتى .
- وجود أدلة على خطة لغزو سوريا (لم تكن هناك أدلة) .
- السلاح لجوى اليهودى عمل بقوة تزيد على ٣ أضعاف قوته « بلا مبالغة أو إنفعال^(١) » .
- لقد جاءوا من الغرب وليس من الشرق أو من الشمال (جاء اليهود من الشمال فى الحقيقة) .
- ٣ - تنفير الناس من خليفة عبد الناصر - فعلى خلاف الدستور رشح زكريا محيى الدين وهو وجه قبيح فقد عمل كوزيراً للداخلية قبل ذلك وكان معروفاً بولائه للغرب - وعلى حد تعبير عبد الحكيم عامر « إن الجنين فى بطن أمه سيثور رافضاً زكريا » .
- ٤ - ألمح عبد الناصر إلى أنه غير مسئول بأن قال « إننى مستعد لتحمل المسؤولية » .
- ٥ - بعد ذلك قدم برنامج عمل للمرحلة القادمة وكأنه لا ينوى الإستقالة فعلاً - ثم شبه ما حدث بخرب السويس (أى أزمة سيمكن تجاوزها) .
- ٦ - إنتهى البيان بصيغة درامية لإستغلال عواطف الشعب المصرى « إن قلبى كله معكم وأرجو أن تكون قلوبكم كلها معى !! »
- إنفجرت الجماهير متظاهرة ضد ما إعتبرته مؤامرة أمريكية وهتف الناس حنحارب - حنحارب - اليهود أعداء الله ، بالروح بالدم حنكمل المشوار^(٢) وفى يوم ١٠ يونيو توجهت الجماهير لإحراق مبنى السفارة الأمريكية فتصدت لها الشرطة وفى نفس اليوم أعلن عبد الناصر عدوله عن التنحى « نزولاً على إرادة الجماهير » التى لا يستطيع تحدى إرادتها على حد تعبيره ورقص أحد أعضاء مجلس الأمة طرباً !

(١) قالت الصحف أن ألف طائرة اشتركت فى الحرب - بينما ذكر ديان فى مذكراته أن الموجة الأولى قام بها ١٨٣ طائرة يهودية كانت تخطط لتدمير ١٠٠ طائرة لكنها دمرت ١٩٧ ، طائرة + ١٦ محطة رادار + ٦ مطارات أما الموجة الثانية فقامت بها ١٦٤ طائرة هاجمت ١٤ مطاراً ودمرت ١٠٧ طائرات .

(٢) فيما بعد قام مرتزقة السلطة 'بتحريف المتناف إلى (بالروح بالدم نفديك يا جمال) وكأن الشعب المصرى قد خلق ليفدى شخصاً . (والقول لأسامة حميد) .

حسم الصراعات على السلطة :

يقول الأصوليون الإسلاميون في هذا الصدد أن عبد الحكيم عامر كان قد طلب من عبد الناصر أن يتنحى معه - ولربما أدى ذلك إلى مظاهرات لتأييد عبد الحكيم عامر - لكن عبد الناصر كان قد قرر إنتهاز تلك الفرصة لتصفية الثنائية التي حكمت مصر وفي هذا الإطار قام عبد الناصر بإعتقال كل الضباط دفعة ١٩٤٨م (دفعة شمس بدران وزير الحربية والذي شكل تنظيمًا سرياً لحماية عبد الناصر تحول إلى مركز قوة لشمس بدران نفسه) ثم انتهز عبد الناصر فرصة تخطيط عبد الحكيم للإطاحة به فإعتقله وبعدها بأيام قتل عبد الحكيم^(١) كما اعتقل صلاح نصر مدير المخابرات وكذلك قادة الطيران والصاعقة وتقرر تقديمهم ككباش فداء للنكبة وفي خطابي ١٩٦٧/١١/٢٣م ، ١٩٦٨/٣/٣م ، أعلن عبد الناصر أنه سرح ٣٠٠ من المخابرات وأعلن « سقوط دولة المخابرات » « لقد سقطت طبقة عسكرية كانت تعتقد أنها الوريث الشرعي لحكم هذا الوطن والتصرف في مقدراته » - « ماكانش ناقص غير إني أعمل مخابرات على المخابرات » .

كانت هناك أيضا مراكز قوى في الإتحاد الاشتراكي لكنها لم تكن تمثل خطراً مباشراً مثل خطر عبد الحكيم عامر ومن المثير للسخرية أن التنظيم الطليعي الذي أنشأه عبد الناصر لتأمين نظامه تحول بدوره إلى مركز قوة بيد علي صبري وشلتة (سامي شرف - شعراوي جمعه - عبد المجيد فريد ..) - وهكذا أصبح الإتحاد الاشتراكي كله مركز قوة - في البداية حاول جمال عبد الناصر التقليل من خطورة الظاهرة وحاول احتوائها مفسراً نشأة مراكز القوى « بأنه من طبيعة الأمور وطبيعة النفوس أن تظهر في مراحل مختلفة من نضالنا - إن العمل السياسي لا يقوم به الملائكة - ودعا بيان ٣٠ مارس إلى بناء الإتحاد الاشتراكي على الانتخاب الحر من القاعدة إلى القمة وحاول عبد الناصر أن يقنع بغدادى بالإشراف على الانتخابات (لكى يطيح بمراكز القوى) لكن الأخير رفض - وأسفرت الانتخابات عن تقوية نفوذ هذه القوى بأكثر مما كانت .

حاول عبد الناصر إنشاء تنظيم آخر يضرب به الإتحاد الاشتراكي - وفي إبريل ١٩٧٠م أعلن عن إنشاء « اللجان العامة للمعركة » لكنها من أول يوم تحولت إلى مركز قوة جديد .

كانت هذه القوى قد أرادت تقدير قوتها من خلال إشراك بعض عناصرها ومحاولة توجيه المظاهرات المعادية لعبد الناصر في اتجاه معين - ولكنها عرفت حجمها الحقيقي

(١) راجع ملايسات مقتل عبد الحكيم عامر في : تحطيم الآلة : فصل بعنوان إعدام عبد الحكيم عامر .

وأفلت الزمام من يدها .

ويقول أسامة حميد فى موضع آخر :

وهكذا لم يجد السادات صعوبة كبيرة فى الإطاحة بهم فيما عرف إصطلاحاً بحركة التصحيح (١٥ مايو ١٩٧١م) وفى ذلك يقول جمال سليم^(١) بقيادة الإتحاد الاشتراكي لا تمثل شيئاً وإن كان ولا بد أن تمثل شيئاً فإنها تمثل ضعفها وتفككها وتمزقها بدليل أنها سرعان ما هوت عند أول ضربة وجهتها إليها مجموعة السادات فى ١٥ مايو .

محاولة توريط روسيا فى الصراع مع اليهود :

يقول الأصوليون الإسلاميون فى هذا الصدد أنه بسبب جو اليأس الرهيب الذى سيطر على عبد الناصر بعد النكبة - لم يجد مفراً من أن يرهن إرادة مصر لروسيا نظير قيام الأخيرة بالإنغماس أكثر فى الصراع ومن ثم الضغط على أمريكا - ولكن الروس أفهموا عبد الناصر بأن لعبته هذه أصبحت (قديمة) وإن كان هذا لم يعن تخلى الروس عن دعم عبد الناصر لأنه حتى ذلك الوقت لم تكن قواعد اللعبة فى المنطقة قد أقروها مع أمريكا وكان يهمهم الحفاظ على كل ما يمكن الحفاظ عليه من نفوذ .

بعد خطاب التنحي بإسبوعين جاء إلى القاهرة وفد روسى رأسه رئيس الإتحاد السوفيتى نفسه وفى مباحثاتهم مع عبد الناصر عرض عليهم^(٢) :

— إعلان الإنخياز المطلق لروسيا (وقال عبد الناصر أنه لا يوجد شيء فى الحقيقة يسمى عدم الإنجاز) ووصل الأمر إلى إعلان عبد الناصر إستعداده لإدانة الصين أعتقد أن الصين متطرفة فى موقفها وهى بذلك تخدم مخططات الأمريكان .

— إعطاء قواعد للروس من بور سعيد إلى السلوم (وفيما بعد إلى غزة) وفى مقابل ذلك طلب منهم :

— تولى الروس مهمة الدفاع الجوى عن مصر
— حماية نظام عبد الناصر (لأنه تقدمى) من غزو يهودى قد يحدث بسبب كل هذه التنازلات للروس . لكن الروس ردوا على عبد الناصر بما يلى :
— رفضهم انخياز مصر لهم - لأن مصر المنحازة ليس لها قيمة أصلاً ولن تستطيع جر

(١) جمال سليم : التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو . م . س . ذ - ص ٨ .

(٢) راجع بالتفصيل : مذكرات محمود رياض ، من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية (١٩٦٧ - ١٩٧٠) ، لعبد المجيد فريد (أمين عام رئاسة الجمهورية) نشرته مؤسسة الأبحاث

العربية - بيروت ١٩٧٩ .

غيرها وراءها .

— رفضهم التصدى لهجوم يهودى محتمل .

* محاولات يارنج ٦٧ - ١٩٧١ م .

* المباحثات الرباعية ٦٩ - ١٩٧١ م .

* المباحثات الثنائية ٦٩ - ١٩٧١ م .

* مبادرة روجرز ١٩٧٠ م .

* مبادرة السادات ٤ فبراير ١٩٧١ م .

* المفاوضات عن قرب ١٩٧١ م - ١٩٧٣ م .

ورغم كل التنازلات التى قدمت كان لايد من الإستمرار فى السياسة الشكلية المعادية
لأمريكا حتى أن السادات صرح فى ١٩٧٣ م ماذا سأقول لشعبنا يوم ما نعيد العلاقات مع
أمريكا^(١) وبعد ذلك بخمسة أشهر أعاد العلاقات مع أمريكا !!

كان عبد الناصر قد برر قبوله لقرار ٢٤٢ بحالة الإنهيار التام الذى أصاب الجيش ولكنه
لم يلبث أن ظهر على حقيقته وثبت أن أشد النظم العربية التى قيل عنها أنها شعبية لم تتحمل
حرب الإستنزاف لأكثر من عام ، وهكذا جاء نداء عبد الناصر إلى نيكسون .

ففى أول مايو ١٩٧٠ م وفى شبرا الخيمة أعلن عبد الناصر أنه ليس هناك نزاع مباشر
بين مصر وأمريكا وأن الشعب المصرى متحضر وعمره ٧٠٠٠ سنة ثم وجه نداءه إلى
نيكسون :

١ - إذا كانت الولايات المتحدة تريد السلام فعليها أن تأمر إسرائيل بالانسحاب .

٢ - إذا لم يكن فى طاقة أمريكان أن تأمر إسرائيل فنحن على إستعداد لتصديقها إذا قالت
ذلك ولكن عليها قطع مساعداتها لإسرائيل « وإلا » فإن العرب سيخرجون بحقيقة
لا يمكن المكابرة فيها بعد الآن وهو أن الولايات المتحدة تريد لإسرائيل أن تواصل
احتلال أراضينا حتى تتمكن من فرض شروطها علينا بالإستسلام .

يبدو أن عبد الناصر لم يكن قد توصل إلى تلك الحقيقة .

وبناء على ذلك كانت مبادرة روجرز وقام هيكل - والقول لأسامة حميد - بالشعوذة
المطلوبة فأفتى بأن إسرائيل ستضطر ، إلى قبول المقترحات الأمريكية - ولكن القبول سوف
يمزق التحالف الحاكم فى إسرائيل !

(١) مركز الدراسات بالأهرام : مصر وأمريكا ص ٦٦ .

محاولة إحباط المد الجماهيري :

عن هذا الجانب يقول أسامة حميد مثلاً للإسلاميين الأصوليين .

كانت هزيمة ١٩٦٧م آخر مسمار في نعش العلمانية في مصر - وبدأ المد الشعبي بعدها في التصاعد ووصل اليوم إلى مرحلة أصبح تطويقه شبه مستحيل - ونظراً لأن عبد الناصر كان قد قضى على كل بديل محتمل - فقد كان عليه أن يقوم بنفسه بدور الملتف حول وعي الجماهير - وفي هذا الإطار قام بما يلي :

١ - التحليل الخاطيء للأحداث والإبتخفاف بالعقل :

فسر عبد الناصر أسباب الهزيمة (خطاب في ٢٣/٧/١٩٦٧) بأنها مصداق للحكمة القائلة : لا يغنى حذر من قدر ومن الغريب أنه - في نفس الخطاب - تباهى بأنه كان يعرف ميعاد العدوان (يوم الإثنين ٥ يونيو وأن الضربة الأولى ستوجه إلى الطيران - ومن الغريب أيضاً أن نفس قائد الجيش (عبد الحكيم) ونفس قائد الطيران (صدقي) كانا هما المسئولان عن هزيمة ١٩٥٦م بل أن خطة غزو سيناء سنة ١٩٦٧م هي بحذافيرها خطة ١٩٥٦م - فأين الحذر إذن ؟

٢ - الترويج لمقولة أن هناك قوى في أمريكا وإسرائيل تريد السلام :

يقول هيكل (بصراحة ٣٠/٦/١٩٦٧م) تبقى في أمريكا عناصر وقوى ينبغي ألا نكمل من الإتصال بها ولا نسمح للمد الصهيوني الرهيب أن يفرقها تحت أمواجه العالية ووصل الأمر إلى مدح القوى التقدمية في إسرائيل ووسط عبد الناصر أحمد حمروش ليتباحث مع تلك القوى (راجع اعترافات حمروش بجريدة الأهالي عدد ٢٠/١١/١٩٨٥م)

٣ - توجيه الإعلام لتنشيط الدعوة للحرب الشعبية^(١) :

كتب هيكل سילاً من المقالات عن عدم جدوى المقاومة والحرب الشعبية (مثلاً بصراحة ١٦/٨/١٩٦٨م) وفي ٤/٩/١٩٧٠م كتب هيكل « شعار الحرب الشعبية مطروح بعصبية » وبعد استعراضه لجغرافيا المنطقة أفتى « الحرب الشعبية شعار مشكوك في نتائجه » وقدم البديل كالاتي :

— ليس هناك شيء اسمه حل سلمي (لأن العدو يحتل أرضنا) .

(١) راجع : نجوى حسين أحمد خليل : رؤية الصحافة المصرية لأبعاد الصراع العربي الإسرائيلي : تحليل ، مضمون لجريدة الأهرام (١٩٦٧ - ١٩٧٣) ماجستير في الإعلام من جامعة القاهرة ١٩٧٩م .

— ليس هناك شيء اسمه حل عسكري (لأن القوى الكبرى لن تسمح بذلك) .
— هناك متاح أو موجود واحد أمامنا وهو الحل السياسى بالمعنى الأصيل لهذا التعبير وهو تسخير كل طاقات الدولة الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية والدولية لتحقيق كل ما نقد على تحقيقه .

وقال إن قبول مصر لقرار ٢٤٢ يعطيها أساساً قانونياً ودولياً يشد إليها تأييد قوى ضخمة فى العالم كله .

بل ووصل الأمر إلى أن كتب هيكى بكل وقاحة : (بصراحة ١٠/١٠/١٩٦٩ م) أنه أبلغ أنطونى ناتج الوسيط بين مصر وإسرائيل (إن مصر مستعدة ألا تعيد بناء قواتها المسلحة إذا انسحبت إسرائيل .

وقامت أجهزة الإعلام والثقافة بدورها بعملية التخريب اللازمة لدرجة أن إحدى المسرحيات (وطن عكا) لعبه الرحمن الشرفاوى دعت إلى « الإلتقاء مع الأصوات الحرة فى إسرائيل » و « ليحيا الإنسان صديقاً للإنسان » أما مسرحية (ياسين ولدى) لفائز حلاوة فقد دعت إلى معاداة العرب لأنهم سبب الكوارث التى ألمت بمصر^(١)

أما عبد الناصر فقد شارك بنفسه فى محاربة فكرة الحرب الشعبية - ولكن على استحياء - وتكشف قراءتنا لإجتماعات المؤتمر القومى للإتحاد الاشتراكى (١٤ - ١٨ سبتمبر ١٩٦٨ م) عن حقائق مذهلة^(٢) فقد أصر جميع المتكلمين على الحرب الشعبية وتشكيل جيش شعبى فرد عبد الناصر ما عنديش أسلحة - الأسلحة محدودة والأسلحة حتجيلنا على مدة لكن أحد الأعضاء رفض تلك السخافة : بندقية ومدفعين ممكن يدرب عمال مصنع بالكامل فلم ينبس عبد الناصر ببنت شفة .

ورداً على المظاهرات الجماهيرية رفع عبد الناصر شعار (لا صوت يعلو فوق صوت الحركة)^(٣) (مارس ١٩٦٨ م) فلما استؤنفت المظاهرات (فى نوفمبر ١٩٦٨ م) رد عبد الناصر (خطاب ١٢/٢/١٩٦٨ م) مش احنا بنس الى عندنا المظاهرات ممنوعة - فى انجلترا المظاهرات ممنوعة - ورداً على المظاهرات أنشئ الأمن المركزى (١٩٦٩ م) .

(١) راجع : صافى نازكاظم : الخديعة الناصرية - دار الاعتصام ١٩٨٤ م .

(٢) راجع المحاضر فى : وثائق عبد الناصر (٦٧ - ٦٨) مركز الدراسات بالأهرام

(٣) استخدم هذا الشعار لتبرير ممارسات كثيرة - فمثلاً فى أغسطس ١٩٦٩ م فصل ١٨٩ من رجال القضاء فيما عرف بمذبحة القضاء .

كان الرد الشعبى على التزييف الناصرى حاسماً جداً - وبعد أن أفاقت الجماهير من ذهولها بعد الكارثة - انفجر الشارع فى فبراير ١٩٦٨م « عبد الناصر يا دجال - اليهود ع القنال » - « لا صدق ولا الغول عبد الناصر هو المسئول » بل إن أعضاء منظمة الشباب التى أنشأها عبد الناصر لتخريج مضللين محترفين (وبلغ عددهم ٣٠,٠٠٠) هؤلاء الأعضاء تظاهروا أيضاً ضد عبد الناصر .

حاول عبد الناصر أولاً احتواء أثر المظاهرات قائلاً : « طالبت المظاهرات بإلغاء الإتحاد الإشتراكى ومنظمات الشباب وحل مجلس الأمة وإطلاق الحريات وحرية الصحافة - العمال والطلبة ضلوا » - وفى الحقيقة لم يكن ما حدث إلا أن العمال والطلبة قد ثابوا عن ضلالهم القديم ولذلك أعلن عبد الناصر (خطاب ١٩٦٨/٣/٣م) ، إغلاق الجامعة « لكى تهدأ النفوس وكل واحد يرجع لعقله » .

ورغم تراجع عبد الناصر (شكلياً) بإصداره بيان ٣٠ مارس الذى دعا إلى الحريات وسيادة القانون (ولم ينفذ بالطبع) - فقد انفجر الموقف من جديد فى نوفمبر ١٩٦٨م فى المنصورة والإسكندرية والقاهرة وبعد فشل الشرطة استدعى الجيش للتدخل لولا هطول الأمطار وخفوت المظاهرات - ثم أغلقت الجامعة شهرين .

وقد اقترنت الثورة الجماهيرية بسلسلة من الأعمال الهجومية ضد رموز السلطة (أقسام الشرطة بالذات) فيما عرف فى صحف تلك الفترة باسم (الحوادث المؤسفة) . ويقول أسامة حميد فى موضع آخر :

أنه ورغم إتباع عبد الناصر جميع أساليب التهدة مع اليهود - فقد قام الآخرون بمهاجمة مدن القناة - وبسبب الضغط الشعبى^(١) والإعتداءات اليهودية - لم يكن أمام عبد الناصر

(١) يقول أسامة حميد : فى الحقيقة أن الضغط كان يأتى من الجيش أيضاً - فقد صرح عبد الناصر (خطاب ١٩٦٩/٣/٣٠) « لقد مررنا بوقت كنا فيه نحاسب (يقصد نحاكم) الجندى من جنودنا على الجبهة إذا رأى العدو وأطلق عليه ناراً » .

لكن هذا لم يمنع من اندفاع الجنود لقتال اليهود لو أتيت لهم فرصة وكمثال على ذلك - فقد قام النقيب أحمد شاكر عبد الواحد القارح باعطال أجهزة الاتصال فى لنش الصواريخ الذى يقوده وأغرق المدمرة إيلات (١٩٦٧/١٠/٢١م) وكانت أول مرة فى التاريخ تغلب قطعة بحرية صغيرة على مدمرة باستخدام صاروخ سطح مما قلب الموازين البحرية .

لكن عبد الناصر - عندما بدأ حرب الاستنزاف - حرص على أن يؤكد أنه كان مدفوعاً لذلك « لم نكن نحن الذين بدأنا فعلاً بإطلاق النار - أيام إسرائيل ما كانت بتضربنا بعد سنة ٦٧ - وبتضرب السويس والاسماعيلية والمدنيين » . خطاب ١٩٧٠/٧/٢٣ .

مقرأ من عمل شيء فكانت حرب الإستنزاف (يوليو ١٩٦٩م - يوليو ١٩٧٠م) - وقد كفلت هذه الحرب تهديّة الجبهة الداخلية مؤقتاً - لكن خسائرها كانت فادحة فقد ردت إسرائيل على عبور وحدات مصرية إلى شرق القناة بأكثر من ألف غارة جوية وفي أواخر ١٩٦٩م كان الطيران اليهودي يلقي على مصر ألف طن من القنابل يومياً وفي فبراير ١٩٧٠م قصف مصنع بأبي زعبل قتل ٧٠ وأصيب ١٠٠ وفي أبريل قصفت مدرسة قتل ٤٦ طفلاً وأصيب ٤٠ - ولما كان عبد الناصر لا قبل له بهذا النوع من الحروب لأنه لا يستطيع تعبئة الشعب لحرب حقيقة فقد وجه ندائه المشهور إلى نيكسون وأوقف إطلاق النار بعد ذلك .

تلك هي رؤية الإسلاميين الأصوليين والتي رغم خلافنا معها إلا أنها رؤية علمية وجديرة بالحوار معها .

خامساً : شهادات الهزيمة (عبد الناصر - عبد الحكيم عامر - عبد الحميد الدغيدى) :

* لكي يكتمل أمام أعيننا مشهد الهزيمة ، نعرض فيما يلي لشهادات ثلاثة من المسؤولين عنها ، كل يحاول فيها الدفاع عن نفسه رغم مسئوليتهم جميعاً عنها . إنهم جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، واللواء طيار عبد الحميد الدغيدى قائد منطقة القناة وسيناء للقوات الجوية إبان الهزيمة . فماذا لديهم ليقولونه :

(١) عبد الناصر :

بداية نقرأ نبوءة عبد الناصر عن الحرب وهي نبوءة تؤكد إدانته ولا تنفيها ، إنها تؤكد مسئوليته لأنه كان يعلم ورغم ذلك وقع في فخ الهزيمة ؟ إنه يقول في خطاب له بقاعدة عسكرية مصرية يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧م ما يلي باختصار :

إن إسرائيل تحشد على حدود سوريا قوات مسلحة كبيرة يبلغ قوامها حوالي ١١ لواء إلى ١٣ لواء وأن هذه القوات وزعت على جبهتين - جبهة جنوب طبرية وجبهة شمال طبرية ، وأن القرار الإسرائيلي الذي اتخذ في هذا الوقت كان ينص على القيام بعمل عدائي ضد سوريا ابتداء من ١٧ مايو . يوم ١٤ مايو أخذنا إجراءاتنا وبحسنا هذا الموضوع واتصلنا بإخواننا السوريين ، والسوريين كان عندهم أيضاً هذه المعلومات ، وعلى هذا الأساس سافر الفريق فوزى إلى سوريا لتنسيق الأوضاع بين مصر وسوريا وقلنا لهم إن إحنا أخذنا قرار أنه إذا حصل هجوم على سوريا فإن مصر ستتدخل المعركة من أول دقيقة - ده الوضع اللي كان موجود يوم ١٤ ، وبدأت القوات تتحرك في اتجاه سيناء لأخذ أوضاعها

الطبيعية - بيولوا إمبراح فى وكالات الأنباء ان هذه التحركات لابد أنها كانت نتيجة لخطه محكمة موضوعة من السابق ومرتبة وأنا بقول إن ترتيب الحوادث مش زى الكلام اللى أنا بقوله لكم دلوقت مكانش عنده تفكير أبدا قبل يوم ١٣ على أساس أن إسرائيل كما لم تتصور لم تكن تجرؤ أنا تقوم بأى عمل ضد أى بلد عربى وإسرائيل لم تكن تجرؤ أن تقوم وتعلن هذه التصريحات الوقحة .

بعد كده فى يوم ١٦ طلبنا سحب قوات الطوارئ الدولية بواسطة جواب الفريق فوزى ثم طلبنا بعد هذا ، سحب قوات الطوارئ الدولية كلها - وبدأت حملة كبيرة فى العالم تنزعها أمريكا وإنجلترا وكندا يعارضون طلب مصر بسحب قوات الطوارئ الدولية من مصر . وعلى هذا الأساس فهمنا أن هناك محاولات لأن تتحول قوات الطوارئ الدولية إلى قوات تخدم أهداف الإستعمار الجديد .. من الواضح إن إحنا حينما قبلنا ونجود قوات الطوارئ الدولية لقينا ان هذه القوات دخلت مصر بموافقتنا ولا يمكن أن تستمر إلا إذا إستمرت موافقتنا .

ولغاية إمبراح فيه كلام كثير جداً على قوات الطوارئ الدولية وفيه حملة على السكرتير العام للأمم المتحدة لأن الرجل أخذ قرار أمين وقرار نزيه ولم يقبل الضغط الذى تعرض له من أمريكا ومن بريطانيا ومن كندا لكي يجعل من قوات الطوارئ الدولية شىء ينفذ خطط الإستعمار .

من الطبيعى وأنا بقولها النهاردة بصراحة إن قوات الطوارئ الدولية إذا كانت تحولت من واجبها الأساسى إلى واجب تحقيق أهداف الإستعمار كنا نعتبرها قوات معادية وكنا هنجرها من سلاحها بالقوة ونحن قطعاً قادرين على أن نقوم بهذا العمل .

أنا بقول هذا الكلام النهاردة لا لأحط من قدر قوات الطوارئ الدولية ولكن لأقول لأصحاب أفكار الإستعمار الجديد الى عايزين الأمم المتحدة تحقق أهدافهم إن مفيش دولة بتحترم نفسها ، مفيش دولة بتعتبر إستقلالها إستقلال كامل تقبل هذه الأساليب بأى شكل من الأشكال ، وفى نفس الوقت بأقول إن قوات الطوارئ الدولية أدت واجبها بشرف وأدت واجبها بأمانة وأن الأمين العام للأمم المتحدة رفض أن ينساق وراء هذه الضغوط وأصدر أمره فى الحال بالإنسحاب لقوات الطوارئ الدولية .

وعلى هذا الأساس نحن نشيد بقوات الطوارئ الدولية الى قعدت عندنا عشر سنين فى خدمة السلام ولما وجدت أن قول الإستعمار الجديد تريد أن نحرفها عن هدفها لم تقبل وهى تغادر أرضنا نكرمها أكبر تكريم ونحياها أكبر تحية .

دلوقت قواتنا وصلت إلى سيناء ، جموع قواتنا ، واحنا في حالة تعبئة كاملة سواء في قطاع غزة أو في منطقة سيناء إحنا بنلاحظ إن الكلام كتر النهاردة عن السلام .. والسلام .. والسلام الدولي .. والأمن الدولي وتدخل الأمم المتحدة .. إلى آخر هذا الكلام اللي طالع في الجرايد كل يوم الصبح - طيب يوم ١٢ مايو لما صرح رئيس وزراء إسرائيل وصرح كبار القادة الإسرائيليين بأنهم حيحتلوا دمشق وإنهم هيسقطوا الحكم السوري وإنهم هيضربوا سوريا ضربة كبيرة وإنهم هيحتلوا جزء من أراضي سوريا محدش اتكلم عن السلام ومحدش اتكلم عن الأمم المتحدة ومحدش اتكلم عن الأمن وكان باين إنهم موافقين على الكلام اللي قالواه الإسرائيليين واللي قالوه القادة الإسرائيليين - النهارده فيه كلام عن السلام يعني ايه السلام وكان فيه كلام عن السلام طبعاً بنقول ان احنا أيضاً بنعمل من أجل السلام ولكن هل معنى السلام أن نتجاهل حقوق شعب فلسطين نتيجة لمضي الوقت ؟ هل معنى السلام أن نتنازل عن حقوقنا نتيجة لمضي الوقت ؟ يقولوا النهارده ويتكلموا عن تواجد الأمم المتحدة في المنطقة من أجل السلام ، هل تواجد الأمم المتحدة في المنطقة من أجل السلام معناه أن نغمض عن كل شيء ؟ الأمم المتحدة اتخذت قرارات عدة لصالح شعب فلسطين لم تنفذ إسرائيل منها أي قرار وبعدين طبعاً أمريكا ما حصلش فيها هيصه ولا واحد اتكلم .

النهاردة السناتورات الأمريكان بيتكلموا وأعضاء مجلس النواب بيتكلموا والجرايد بتتكلّم وكل الدنيا بتتكلّم علشان إسرائيل علشان اليهود أما العرب يفقدوا أي شيء وقرارات الأمم المتحدة اللي في صالح العرب لم ينفذ منها أي شيء فمعنى ده إيه ؟ محدش بيتكلم أبداً - طب فين الأمم المتحدة بالنسبة لحقوق شعب فلسطين ؟ فين الأمم المتحدة بالنسبة للمآسى اللي حصلت من سنة ١٩٤٨ لغاية دلوقتى ؟ أبداً الكلام عن السلام بيكون موجود بس حينما تتعرض إسرائيل للخطر أما إذا ضاعت حقوق العرب وضاعت حقوق شعب فلسطين مايتكلمش حد عن السلام ولا يتكلمش حد عن الحقوق ولا يتكلمش حد عن أي حاجة .

إذن واضح أن هناك تحالف بين الدول الغربية الكبرى الممثلة أساساً في أمريكا وبريطانيا مع إسرائيل . تحالف سياسى وهذا التحالف السياسى يدفع هذه الدول تدفعها وتمدها بالمعدات العسكرية .

إمبارح وأول إمبارح كل العالم بيتكلم على شرم الشيخ وعلى الملاحة في خليج العقبة وعلى ميناء ايلات .. النهارده الصبح أنا سمعت راديو لندن يقول ان عبد الناصر سنة ٥٦ تعهد بفتح خليج العقبة وطبعاً هذا الكلام لا نصيب له من الصحة .. هذا الكلام نقلاً عن جريدة بريطانية اسمها الديلى ميل . هذا الكلام لم يحدث .. عبد الناصر لا يمكن أن يفرط في حق



من حقوق الجمهورية العربية المتحدة وزى ما قلت احنا لا يمكن أن نفرط في حباية رمل من أرض بلدنا أو تراب بلدنا .

دلوقتي انتم أخذتم مسئولية ، القوات المسلحة احتلت امبارح شرم الشيخ وبعدين ما هو معنى احتلال القوات المسلحة لشرم الشيخ معناه تأكيد حقوقنا وتأكيد سيادتنا على خليج العقبة .. خليج العقبة يمثل المياه الإقليمية بتعتنا .. المصرية . ولا يمكن بأى حال من الأحوال إن احنا نسمح للعلم الإسرائيلي أن يمر في خليج العقبة - يهددوا بالحرب .. اليهود .. بنقول لهم أهلاً وسهلاً احنا مستعدين للحرب قواتنا المسلحة وشعبنا كلنا مستعين للحرب ولكن لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نتنازل عن حق من حقوقنا .

هذه المياه بتاعتنا وقد تكون الحرب فرصة علشان اليهود عشان إسرائيل وعشان راين يختبروا قواتهم مع قواتنا ويشوفوا إن الكلام اللي كتبوه على معركة سنة ٥٦ واحتلال سيناء كان كله كلام هجص في هجص وكلام تخريف في تخريف .

طبعاً هناك الاستعمار وهناك إسرائيل وهناك الرجعية عندنا الرجعية بتشكك في كل شيء والحلف الإسلامي يتمثل الآن أساساً في ٣ دول : المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية وإيران وقاعدين يقولوا إن الحلف الإسلامي ده هدفه تكتيل المسلمين ضد إسرائيل . أنا عايز من الحلف الإسلامي يخدم قضية فلسطين بشيء واحد بس انهم يمنعوا إمداد إسرائيل بالبترو - البترول النহারده الى بيوصل لإسرائيل الى بيوصل لإيلات هو بترول جاى من إحدى دول الحلف الإسلامي البترول جى من إيران إلى إيلات . ومن إلى ييمون النহারده إسرائيل بالبترو ؟ الذى ييمون اليوم إسرائيل بالبترو هو الحلف الإسلامي إيران - ده الحلف الإسلامي حلف استعمارى ومادام حلف استعمارى معنى هذا أنه مع الصهيونية لأن الصهيونية هى الحلف الأساسى للاستعمار أما العالم العربى المعبأ النহারده وفي أعلى ذرى التعبئة والعالم العربى بيعرف كل هذه الأمور وهو الى يستطيع إنه يتعامل مع عملاء الاستعمار ومع حلفاء الصهيونية ومع الطابور الخامس .

بيقولوا إنهم عايزين ينسقوا خططهم معانا ، لا نستطيع أن ننسق خططنا مع أعضاء الحلف الإسلامى أبداً لأن معنى هذا إن احنا بندى خططنا لليهود بندى خططنا لإسرائيل وإحنا النহারدة في معركة جديدة إحنا لما قلنا إن إحنا مستعدين ندخل المعركة كنا نعى أننا سندخل المعركة فعلاً إذا تعرضت سوريا أو أى دولة عربية أخرى للعدوان . النহারدة القوات المسلحة موجودة في كل مكان .. الجيش معبأ ، والقوات المسلحة كلها معبأة والشعب كله معبأ ، الشعب كله من وراكم يدعو لكم بالليل والنهار ويشعر وأنتم أبناؤه أنكر فخر لأمته وفخر

للأمة العربية - الشعب العربى فى مصر والشعب العربى فى خارج مصر يشعر بهذا الشعور نحوكم ونحن ، على ثقة إنكم ستؤدوا الأمانة . كل واحد فىنا مستعد يموت ولا يضحى برملة من أرض بلده وإن ده أشرف شىء لنا أشرف شىء إن إحنا ندافع عن بلدنا وبعدين مش هتخوفنا حملات الصهيونية ولا حملات الرجعية إحنا إستقلينا وذقنا طعم الحرية وبنينا جيش وطنى قوى وحققنا أهدافنا وبنينا بلدنا والنهارة فيه حملة نفسية وحملة تشكيك ولكن إحنا كل ده نتركه ورانا ونسير فى طريق النصر والله يوفقكم .

يعد هذا الخطاب الشهادة الحية كانت الهزيمة التى يعتبر عبد الناصر المسئول الأول عنها .

(٢) شهادة عبد الحكيم عامر :

لم يمهل القدر عبد الحكيم عامر ليقول شهادته ، فلقد قتل قبل أن يفكر جيداً فيما سيقوله ، ورغم ذلك كانت هناك وثيقة هامة تكشف عن شهادة عبد الحكيم عامر نقلها هنا بأمانه ، وهى شهادة كانت عبارة عن (بيان سياسى) كان عبد الحكيم عامر يريد إذاعته من الإسماعيلية فى حالة هروبه ، فماذا يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب نائب أول رئيس الجمهورية
ونائب القائد الأعلى

عبد الحكيم عامر (يتحدث إليكم) (وهذه العبارة الأخيرة بين القوسين مشطوبة فى الوثيقة ، وإن كان يمكن تمييزها من الظهر) .

إن الأحداث المتلاحقة التى يمر بها الشعب المصرى الكريم منذ شهر مايو جعلته يعيش أقصى مراحل كفاحه الطويل على أبواب الإطاحة بمكاسبه الثورية بين الأمل فى الحفاظ عليها واليأس من بلوغ ذلك ، وساعده فى الوصول إلى هذه المرحلة غموض الرؤية أمامه والمراهقة الفكرية التى يعيشها نتيجة إخفاء الحقيقة وضياعه بين التفسيرات العديدة التى تقدم إليه ، والكلمات المحفوظة عالية الرنين والتى تشيع فيه روح التردد الذى يصاحب دائماً البعد عن الحقائق .

إن المرحلة التى يعيشها شعبنا الكريم توجب على أن اتقدم بتوضيح الأمور لرفع كابوس الكتمان عن المواطنين . فليس من حق أحد فى هذه المرحلة أن يخدع الجماهير ، وإنما تقتضى الأمانة الثورية أن تكون لدى الجماهير صاحبة الحق صورة كاملة لكل الأحداث التى تمس حقها فى كفاحها وفى ثورتها ... حتى لا تعيش حياتها فى فراغ الخداع

والتضليل والتردد ، فليس هناك شعب يستطيع ان يبدأ تقدمه من فراغ ، وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته .. وحتى لا تعيش الجماهير إيسيرة الإرهاب المعنوى الذى يعرقل حقها فى التجربة .. والخطأ على طريق كفاحها الطويل ، وعلى أساس من ثقتها فى نفسها وفى قدراتها ..

أن تقييم الأحداث تقييماً حقيقياً وصريحاً يعيد للجماهير الثقة فى نفسها ويعيدها إلى طريق الكفاح والجهاد باطمئنان كامل وتقدير عميق لمسئولياتها بلوغاً لأمالها .. ولتبدأ العمل على أسس صحيحة ومبادئ راسخة نابعة عن حق الشعب فى إشراكه إشراكاً كلياً وبدون قيود فى الأحداث القادمة واتخاذ القرارات السليمة التى تستلزمها طبيعة هذه المرحلة .

وسأبدأ اليوم بالكلام عن تدخل السياسة وتأثيرها على المعركة العسكرية يوم ٥ يونيو ، وكيف دفعنا إلى المعركة :

ويلزمنى الآن أن أرتب الحوادث على ضوء تقديري لها ومتطوراً مع النتائج التى تربت على هذه الحوادث .

التهديد بغزو سوريا :

— يوم ١٣ مايو وردت معلومات من الإتحاد السوفيتى إلى رئاسة الجمهورية عن طريق سفيرنا بها تفيد بأن إسرائيل حشدت حشوداً ضخمة أمام الجبهة السورية بغرض الهجوم عليها والإستيلاء على دمشق بغرض تغيير نظام الحكم التقدمى بها .

— كما أكدت هذه المعلومات للسيد أنور السادات رئيس مجلس الأمة الذى كان يزور موسكو فى مطلع شهر يونيو وطلب منه إبلاغ هذه المعلومات إلى القاهرة ثم تأكيدها فور وصوله .

— كما حددت معلومات الإتحاد السوفيتى موعداً للهجوم الإسرائيلى على سوريا ما بين ١٧/٥ إلى ٢١/٥/١٩٦٧ م .

ما ترتب على تبليغات الإتحاد السوفيتى :

— بناء على هذا التبليغ المؤكد طلبنى الرئيس جمال عبد الناصر وأخطرنى بمضمون هذه المعلومات ، وأشار إلى أن الإتحاد السوفيتى يرى أن تتخذ الخطوات الوقائية من جانبنا لإيقاف إسرائيل عن تنفيذ نواياها ضد سوريا مع تجنب العمليات الحربية بقدر الإمكان .



يصعد إلى سيارة لبعضها إلى متاوردة عسكرية

بـ وتقرر في هذا الاجتماع البدء فوراً في حشد جزء من قواتنا المسلحة إلى سيناء تنفيذاً لإحدى خططنا الدفاعية السابق التصديق على العمل بها هذا العام ، وذلك لضيق الوقت المتيسر بين ٥/١٤ يوم الاجتماع و ٥/١٧ اليوم المتوقع لبدء الهجوم الإسرائيلي . ثم التفكير فوراً فيما يتخذ لتحقيق الهدف الذي إستحدث نتيجة المعلومات السوفيتية . وقد بدأت القوات المسلحة بتنفيذ المرحلة الأولى للعملية ، واتخذت إماكنها بأسرع وأدق وأنجح ما تكون عليه القوات من نظام وتدريب .

بعض الملاحظات الهامة :

ارتباط القوات المسلحة بالهدف السياسى :

وأريد هنا أن يعلم الجميع بأن لكل دولة إستراتيجيتها السياسية التى يتحدد معها واجب القوات المسلحة لفترة معينة . فإما أن يكون واجبها عمليات هجومية أو عمليات دفاعية وذلك حتى يمكن إعداد القوات المسلحة مسبقاً للتحضير لأسلوبها القتالى المحدد وما يتطلبه من إعداد وتجهيز للقوات والجبهات . وقد كان واجب القوات المسلحة هذا العام هى الخطة الدفاعية فى شبه جزيرة سيناء وذلك بالنسبة لأفرع القوات المسلحة البرية والجوية والبحرية .

فكرة الخطة على ضوء الهدف السياسى :

كان الهدف السياسى لعملية الحشد العسكرى فى البداية هو تشتيت القوات الإسرائيلية ، وسحب جزء كبير من حشودها من الجبهة السورية ، وهذا لا يتحقق بإتخاذ أوضاع دفاعية صرفة لأن العمليات الدفاعية لا إجبار فيها لتحرك العدو ، ولذا كانت العمليات الهجومية واجبة التفكير من جانبنا لإجبار العدو لمقاتلة قواتنا فى الزمان والمكان الذى نختاره حتى نحقق مفاجأة العدو ويكون لدينا حربنا المناورة والعمل بقواتنا .

الخطة العسكرية :

وقد إختبرت أنسب الخطط الهجومية لتحقيق هذا الهدف ، وأختير لها إسم العملية « فجر » التى تحقق عزل النقب الجنوبي مع تثبيت الجبهة الوسطى أمام العوجة . وفى نفس الوقت تقوم بتدمير العدو المتاخم للحدود بين العريش ورفح حتى نجذب جزء من قواته لتخفيف الضغط عن قواتنا المهاجمة حتى يتم الإستيلاء على الخط المحدد والاتصال بالحدود الأردنية .

كما تقوم قوات الصاعقة بتدمير القوات والمنشآت الإسرائيلية بمنطقة ميناء إيلات .
كما تدفع قوات صاعقة أخرى داخل إسرائيل من الحدود الأردنية للقيام بعمليات الإغارات للإزعاج .

وأخير لتنفيذ هذه الخطة ما يناسبها من الخطط الجوية والبحرية لتحقيق الحماية وسرعة النصر .

تفقد القوات المتحركة :

وتوجهت يوم ٥/٢١ إلى سيناء حيث تفقدت القوات واطمأنتت إلى تمام إستعدادها وقدرتها على القتال بروح عالية .

مؤتمر القادة :

وأصدرت توجيهات للقيادات ذات الاختصاص لتنفيذ الخطة « فجر » وبدأت فعلاً هذه القيادات في التحضير لهذه العملية .

وحددت يوم ٥/٢٥ للإستماع إلى قرار قائد المنطقة الشرقية بحضور قائد الجبهة وقادة الأسلحة .

كما أخطرت الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الميعاد .

عرض قرار قائد المنطقة الشرقية :

— يوم ٥/٢٤ حضر قائد المنطقة الشرقية وتواجد قائد الجبهة وقائد القوات الجوية والبحرية ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة وكبار ضباط هيئة العمليات الحربية .

وقد حضر الرئيس جمال عبد الناصر وبصحبه السيد / زكريا محيي الدين .

— بدأ قائد المنطقة الشرقية في عرض قراره .

— ولكن الرئيس جمال عبد الناصر لم يصدق على القرار لإعتبارين هما :

* لم يقتنع الرئيس بتصورنا لأعمال العدو المنتظرة واستبعد هجومهم على الجبهة المصرية .
بل كان توقعه أنه ليس أمام إسرائيل إلا مهاجمة قطاع غزة وفصله والمساومة به على فتح خليج العقبة .

* لا يمكن السماح للقوات المصرية أو العربية بالبدء بالعمليات الهجومية إلا إذا بدأت إسرائيل .

وذلك تنفيذاً للوعد التي أعطاها الرئيس جمال عبد الناصر للجهات السياسية وما أوضحه للصحافة العالمية .

— وبناء على هذين العاملين أصدر الرئيس « جمال عبد الناصر » بصفته رئيساً للجمهورية وقائداً أعلى للقوات المسلحة توجيهاً كما يلي :

* على القوات العربية إتخاذ الأوضاع الدفاعية وعدم القيام بأى أعمال تعرضية ما لم يبدأ العدو بعمليات داخل الحدود العربية ولفت النظر إلى وجوب تقوية دفاعات غزة والتركيز ومنع سقوط منطقة رفح .

* تعليق :

— ولن أتعرف للتعليق على هذا التوجيه . وأرجىء ذلك للحديث عن المعركة من الناحية الحربية .

— ولكن كل ما أود ذكره هنا — حتى لا يغفله التاريخ — أن كل ما توقعناه في دراستنا لأعمال العدو جاءت مطابقة تماماً لما قام به العدو في هجومه على قواتنا يوم ١٩٦٧/٦/٥ م .

* ما ترتب على توجيه السيد / الرئيس :

— ونتيجة لما ذكر إضطررنا لإتخاذ الأوضاع الدفاعية إنتظاراً للهجوم الإسرائيلي ، وزادت أعباء الدفاع عما كان مخططاً . وزادت تحركات الوحدات وتغيرت واجباتها السابق تدريبها عليها .

(ولن أطيل في هذه النقطة لأنها تتعلق أساساً بالمعركة من ناحيتها الحربية) .

* الإجتماع الثانى للرئيس بالقادة :

— طلب الرئيس جمال عبد الناصر الإجتماع بقيادة القوات المسلحة ، وذلك بمناسبة تعيين موسى ديان وزيراً للحربية فى الحكومة الإسرائيلية .

— وأوضح رئيس الجمهورية والقائد الأعلى بأن تعيين موسى ديان يؤكد قيام إسرائيل بالهجوم . وأن الحرب مؤكدة .

— ناقش الرئيس القادة فى الموقف . وطلب الفريق أول صدقى محمود الكلمة * قائلاً : « إذا أخذ العدو الضربة الأولى منا فستكون ضربته معجزة لطائراتنا ولذا أرجو أن نعطي فرصة الضربة الأولى وتكون من جانبنا .

— ولكن الرئيس جمال عبد الناصر رفض أن نقوم بالضربة الأولى قائلاً أن الوضع السياسي لا يمكننا من ذلك .

*** التدخل السياسي لخداعنا :**

— بم تكتف العوامل السياسية بالتدخل في أعمالنا العسكرية لتغيير سياستنا القتالية يوم ٦/٢٤ ولكن توالى الأحداث وسيطر النفوذ السياسي بالأعباء وخداعه واشتركت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في الوصول إلى ما أخرجنا عن تحقيق أهدافنا .

وفيما يلي بعض ما حدث :

* أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الاتحاد السوفيتي بأنها تطلب من الرئيس جمال عبد الناصر ضبط النفس وعدم البدء في العدوان . وخصوصاً وإن إسرائيل لن تبدأ بالعدوان .

* قابل السفير الروسي الرئيس جمال عبد الناصر الساعة ٣,٣٠ يوم ٥/٢٧ وأبلغه أن الولايات المتحدة الأمريكية علمت بأن ج . ع . م . ستقوم بالهجوم على إسرائيل وإنهم ينصحون بعدم البدء بالعدوان . وينصح الاتحاد السوفيتي هو الآخر بذلك ولا سيما أن إسرائيل لن تعتدى .

* قامت الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة السيد / زكريا محيي الدين لزيارتها للتفاهم بشأن الموقف في الشرق الأوسط ، وحدد لذلك يوم ٦/٧/١٩٦٧م أي بعد بدء العدوان بثمان وأربعين ساعة .

موقف الاتحاد السوفيتي :

— ثبت أن المعلومات التي أرسلت من الاتحاد السوفيتي يوم ٥/١٣ عن الحشود الإسرائيلية على حدود سوريا لم تؤكد من الجانب السوري . بل لقد دهش السوريون لإتخاذ هذه الإجراءات التي لا داعي لها ، وذلك كما جاء في المعلومات التي أدلى بها أحمد سويدان وزير الدفاع السوري للفريق أول محمد فوزي أثناء زيارته لسوريا . وقد ذكر له الوزير السوري أنه لا حشود إسرائيلية على حدود سوريا .

— ونتيجة لذلك كلف وزير الحربية في ج . ع . م أثناء زيارته للاتحاد السوفيتي يوم ٥/٢٥ بتأكيد معلومات الحشود أمام الجبهة السورية . وبحث الغرض من إعطاء هذه المعلومات .

— وقد ذكر له اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الإتحاد السوفيتى أن المعلومات التى سلناها لكم دقيقة وصحيحة ولا تقبل أى شك .

— كلف الوزير شمس بدران بشرح الموقف السياسى الخاص بـ ج . ع . م للإتحاد السوفيتى ومعرفة موقفهم بالنسبة لنا فى الظروف التى تمر بها البلاد من أزمة الشرق الأوسط .

— وقد قال كوسيجين فى هذا المجال إكتفوا بما كسبتم سياسياً ولا تطوروا المعركة عسكرياً وهذه نصيحتى .

— كما أوضح وزير الحرية المصرى أنه اجتمع بكوسيجين وجردنيف وأنهم سوف يدخلون الحرب معنا إذا كان هناك حرب .

وإن الأسطول السوفيتى يوجد الآن فى البحر الأبيض المتوسط قرب شواطئكم وبه مدمرات والغواصات مسلحة بالصواريخ وأسلحة لا تعلموها .

واختتم وزير الحرية السوفيتى حديثه قائلاً ... أريد أن أؤكد لكم أنه إذا حدث شىء وإحتجتم لنا ... فبمجرد إرسال إشارة لنا نحضر لكم فوراً فى بور سعيد أو فى أى مكان .

— كلف الوزير شمس بدران بدراسة الحصول على أسلحة عاجلة مضادة للطائرات مع باقى الأسلحة التى سبق التعاقد عليها ، ومنها طائرات مقاتلة .

— ووافقت السلطات السوفيتية على جميع الطلبات ووعدوا بشحنها فوراً وبالطائرات عن طريق مرور طائراتها فى المجال الجوى ليوغوسلافيا ، وطلبوا من ج . ع . م أن تتصل بالرئيس تيتو للسماح لطائراتهم بالمرور . وفعلاً تم الإتصال بالرئيس تيتو ووافق على طلب ج . ع . م بمرور أى أعداد من الطائرات السوفيتية وفى أى وقت .

ولم تصل الطائرات السوفيتية فى الأوقات المحددة .

وإستدعينا السفير السوفيتى فذكر لنا أن يوغوسلافيا لم تعط الإذن بعد لمرور الطائرات . وأعدنا الإتصال بالرئيس تيتو فما كان منه إلا أن اجتمع بوزير الدفاع اليوغسلافى بحضور السفير المصرى والسفير السوفيتى ، وقرر وزير الدفاع فى هذا الإجتماع أنه أصدر تعليماته بالأذن بمرور الطائرات وبمجرد تصديق الرئيس تيتو مباشرة .

— طلبنا من الإتحاد السوفيتى ما لديه من معلومات عن قوة إسرائيل نظراً لعلمنا بما لديهم من أعمار صناعية ومقدرة الأسطول السوفيتى من معرفة ما وصلهم من إمدادات

ومعرفة نشاطهم الجوى وحشودهم البرية .

— فما كان من الملحق العسكرى السوفيتى إلا أن ذكر عدد الدبابات التى لدى إسرائيل ولم تفرق عن معلوماتنا كثيراً . ولم يذكر شيئاً فيما عدا ذلك مما يفيدنا فى مقاتلة العدو الذى قام بمفاجأتنا .

— أثناء المعركة وفى يوم ٦/٦ تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى مجلس الأمن بمشروع إيقاف إطلاق النار كما طلب الإتحاد السوفيتى وأضاف سحب القوات الإسرائيلية . ووافق مجلس الأمن على المشروع الأمريكى وكانت قواتنا ما زالت فى النطاق الثانى وبعض وحدات النطاق الأول متمسكة بمواقعها .

— قابلنى السفير السوفيتى وطلب منى الموافقة على إيقاف القتال والسماح للسفن الإسرائيلية بالمرور فى خليج العقبة دون حمل أعلام الدولة على السفن .

— وما كان إلا أن أخبرت السفير السوفيتى بأننا نوافق على وقف إطلاق النار ، وإنما نريد ضمان الحكومة السوفيتية بأن ينفذ القرار فى ميعاده فوراً ولا سيما وأن قرار مجلس الأمن صدر بالإجماع . ورجوته الرد بضمنان حكومته قبل صباح الباكر . ولكن السفير ذهب ولم يعد . واتصلت بالسفير ولكن كان جوابه عن عدم الرد فى الميعاد أن حكومته لم ترد عليه .

— ونتيجة لكل ذلك... اضطررنا لإصدار أمر الانسحاب إلى غرب القنال لإنقاذ قواتنا البرية من طيران العدو المسيطر ومنعه من تدميرها وحتى يعاد تنظيمها واستعدادها لاستئناف القتال .

* موقف الولايات المتحدة الأمريكية :

— زودت أمريكا إسرائيل بكل المعلومات التفصيلية عن كل حشودنا ومواقعنا الدفاعية مستغلين أقمارهم الصناعية وبالإستكشاف الجوى ورادارات الأسطول السادس بالبحر الأبيض المتوسط .

— قاموا بحماية إسرائيل جويّاً أثناء قيام قواتهم الجوية بضرب المطارات العربية وأثناء هجومهم البرى .

— إستغلوا وجود الأسطول السادس بالبحر الأبيض واعتبر احتياطى استراتيجى للدولة الإسرائيلية .

— إلتقاط الإشارات الشفرية العربية وحلها أولاً بأول وإرسالها إلى القوات الإسرائيلية المهاجمة والتداخل بالشوشرة على المحطات اللاسلكية العربية وإيقاف الإتصال بين الوحدات العربية أثناء المعركة مما ساعد على شل إدارة المعارك في أكثر المناطق الدفاعية .

— مساعدة إسرائيل في المحافل الدولية والوقوف بجوارها ضد العرب وتكتيل الدول المشتركة في هيئة الأمم المتحدة للتصويت في صالح إسرائيل وضد أى مشروع آخر يقدم من أى جانب .

* وأخيراً فإننى حاولت عدم التعرض للنواحي العسكرية البحتة إلا بما يجعل الموضوع السياسى مفهوماً ، وأعدكم بإذن الله أن أشرح بالتفصيل ظروف المعركة وكيف دارت ، وكيف قضى على مطاراتنا في الساعات الأولى من المعركة ، وكيف أدى جنودنا البواسل دورهم في المعركة بإيمان وشرف الرجال واستشهد منهم الكثيرون وكتبوا بدمائهم صفحات مشرفة للقوات المسلحة في تاريخها المشرف منذ قامت بدورها الخالد من أجل هذا الوطن ول مجد هذا الوطن . وعلى سبيل المثال فقد إستشهد قائد الفرقة الموجودة في رفح في أول ساعات المعركة وكذلك استشهد مساعده وهما برتبة اللواء . هذا بخلاف قادة الألوية اللذين إستشهدوا أو جرحوا .. وكثيرون غيرهم قدموا صفحات الفخار تضحية وبذلاً في معركة سيطر فيها العدو بطيرانه وصمدت قواتنا بشرف وكرامة وأدت واجبها الذي كلفت به خير أداء .

والله الموفق

(٣) شهادة اللواء طيار / عبد الحميد الدغيدى قائد منطقة القناة وسيناء للقوات الجوية :

ماذا لديه ليقول ؟

لقد كان القائد الأعلى للقوات المسلحة (المشير عبد الحكيم عامر وكذا القائد العام وطاقم قيادته وقائد جيش الميدان بطاقم قيادته وكذا أغلب قواد الفرق وبعض الألوية جميعهم غائبين عن مراكز قيادتهم) . كلهم ذهبوا في زفة مع المشير . كنت مدعواً - أو مأموراً بالذهاب إليها - ولكنى رفضت .. لقد طلبوا منى الإنضمام للقادة الذين سيلتقونه صباح ٥ يونيو في مطار تمادة .

كان الهدف تفقد قوات الجبهة .. ولكن الطائرة التى كانت تقل الجميل اضطرت للعودة إلى القاهرة لعدم إمكانها الهبوط فى أى مطار فى سيناء أو منطقة القناة حيث كانت كلها تقصف بالطائرات الإسرائيلية ، وكان ذلك أخطاراً لهم ببدء الحرب .. وفى نفس الوقت

كان الفريق مرتجى قائد مراكز القيادة المتقدم واللواء أحمد إسماعيل رئيس أركانهم والفريق صلاح محسن قائد الجيش الميداني يتجمعون في مطار تمادة ليكونوا في استقبال المشير عامر عند وصوله بعيدين عن مراكز قياداتهم وقد قامت الطائرات الإسرائيلية بمهاجمة المطار أثناء وجودهم فيه .

رفضت مقابلة المشير :

أقالوا لي إن لم تقابل المشير معنا فسوف نحاكمك . وقلت لصدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي كيف تغيب عن الميدان .. إنك بهذا تكون «صغراً» .. ليس صغراً على الشمال وإنما صغراً تحت الصفر » وسألته : ماذا يحدث إذا وقع شيء .. وأنا قائد للمعركة .. فرد صدقي محمود « إذهب وقابل المشير » .. ورفضت بحسم .. لم أذهب للمشير .. ولا لحسين الشافعي .. نائب رئيس الجمهورية .. وكان قد استقل وطاهر يحيى رئيس وزراء العراق ورافقهما عدد من كبار المسؤولين طائرة حربية قصداً بها منطقة القناة .. ولدى هبوطهم مطار فايد .. فوجئوا بقصف جوى مركز ..

لم أذهب إلى زفة المشير .. لأنني أعرف أنه لا توجد حرب في التاريخ تدار بدون قادة ..

لكنني فيما بعد عرفت أن هناك حرباً واحدة في التاريخ حدث لها ذلك وهي حرب ٦٧ .. وكنت القائد الوحيد الذي ظل في ميدانه بقواته .. وكنت غير مطمئن ويساورني شك وريبة .

أما الواقعة الثانية والتي كانت كفيلة أيضاً بتحقيق الهزيمة فهي واقعة « العنب » !

والقصة أن الفريق عبد المنعم رياض قائد القوات الأردنية المسلحة كان اتفق مع اللواء الجوي مصطفى الحناوى مساعدته لشئون القوات الجوية على شفرة معينة .. تنطلق من منطقة عجلون إلى القاهرة في حالة رصد تحركات مغيرة من إسرائيل .. ومنطقة عجلون هذه تقع في الأردن .. بارتفاع ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر .. وفيها جهاز رادارى متقدم يقول بكشف معظم مناطق إسرائيل .. وفي مقدوره أن يرصد قيام أية طائرات إسرائيلية في اتجاه مصر والإبلاغ عنها قبل أن تصل هذه الطائرات إلى أهدافها .. وهو ما يعطى وقتاً للإستعداد واتفق « رياض » مع « الحناوى » على كلمة سر تنطلق من الأردن إلى قيادة الدفاع الجوي المصرى إذا انطلقت ، طائرات إسرائيل .

وكانت كلمة السر « عنب » .. وبالفعل في صباح ٥ يونيو ١٩٦٧م رصدت محطة

عجلوا قيام سرب جوى إسرائيلى بالتوجه إلى مصر .. وبعث عبد المنعم رياض بالإشارة المنتظرة .

وأنا لم أعرف أن عبد المنعم رياض أرسل الإشارة إلا أثناء المحاكمة وعندما جاء إلى المحكمة سألته :

ألم نتفق على أنك تبعث لنا بإشارة تخطرنا فيها تتحرك القوات الإسرائيلية ؟

فقال : نعم .

قلت : لماذا لم ترسلها لى ؟

فقال : بعثتها .. وكررتها ثلاث مرات ..

ويبدو أن هناك من الفوضى ما جعل أحداً يغير من تردد ذبذبات محطة إستقبال الإشارة .. دون أن يخطر أحداً بذلك وسألت رياض فى المحكمة (التى كانت تنظر فى الاتهامات المنسوبة لى) وما رأيك لو كانت هذه الإشارة (كلمة السر) وصلتني .. فرد من فوره « كانت غيرت مجرى التاريخ » .

لقد فوجئت - رغم استعدادى الكامل للصد وقدرتى على الردع - بالعدو الجوى يدمر الممرات التى تقلع منها وتهبط عليها طائراتى التى ستولى الصدد والردع .. هناك كارثة أخرى وقعت وهى أن مقر القيادة العليا للقوات المسلحة فى مركز العمليات كان مغلقاً صباح يوم العدوان بالضبة والمفتاح .. وكانت الضبة والمفتاح فى يد الفريق فوزى .

وسوف نتوقف طويلاً عن دور الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان القوات المسلحة . لقد تجاهل عامر وفوزى (وسوف نستشهد على كلامنا من حيثيات حكم المحكمة العسكرية الأولى التى حكمت ببراءتى الأولى) تحذير السيد رئيس الجمهورية للقادة العسكريين ، فقد حذر جمال عبد الناصر فى مؤتمر القيادة العليا للقوات المسلحة مساء يوم ١٩٦٧/٦/٢م بأن إسرائيل ستبادر بالعدوان على مصر .. ورجع عبد الناصر يوم ٥ يونيو على أنه اليوم الذى ستهاجم فيه إسرائيل القواعد الجوية كان تحذير عبد الناصر واضحاً .. لكن ماذا حدث .

فى يوم ٥ يونية كانت هناك تحركات للمشير .. ولنائب رئيس الجمهورية .. الأول إلى سيناء والثانى إلى القناة .. والمنطقتان كلاًهما تحت قيادتى تأتمران بأمرى وكنت مسئولاً عن أى إهمال أو خطأ وتحركات جوية كثيرة أخرى كانت تستلزم تقييد المدفعية أتوماتيكياً كما تنص الأوامر الجوية فى كل أنحاء العالم خوفاً على سلامة الطائرات

الصديقة .. ومن أجل تلك التحركات الكثيفة الفردية فى هذا اليوم المحدد للهجوم كانت مدفعية القناة مقيدة ومدفعية سيناء مقيدة وكان العدو - ما من شك - على علم تام بتلك التحركات التى تستلزم تقييد المدفعية .

هذا من جانب ومن جانب آخر .. وهو من أغرب « وأريب » ما حدث أن إنذار الرئيس بتوقع الضربة يوم الاثنين ٥ يونيو لم يخطر به من كان يجب إخطارهم به .. قبل أى أحد .. وهم قائد الجبهة المصرية الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى وقائد الجبهة الأردنية الفريق عبد المنعم رياض وقائد الجبهة السورية وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى عن منطقة القناة وشبه جزيرة سيناء وهو أنا .. أفلا يدعو ذلك إلى الريبة .. وإلى طرح علامات استفهام كبيرة تفوح منها روائح كريهة ؟

على أن هناك ما ينبغى أن نتوقف عنده قليلاً .. ويقودنا إلى ما قدمه فوزى لأمتة .. وبالبداية كانت قبل عشرة أيام من الضربة الجوية .. حيث وضعت مؤامرة استهدفتنى .. بعد تحذيرى للرئيس عبد الناصر من أن القرارات التى تؤخذ ليست صحيحة .. وهذا ثابت . وقد نشره السادات بوثائق وصور فى جريدة مايو فى مقالات بعث بها إلى الصحيفة عام ١٩٨١ .. ونشرت قبل وأثناء وبعد إغتياله .

لقد حاول الوشاة أن ينقلوا إلى رئيس أركان القوات الجوية - وتطوع بالمهمة رئيس فرع الأمن - إننى لا أنفذ أمر القتال الخاص بالمظلات .. ولكن رئيس الأركان (القوات الجوية) استطاع أن يتأكد من كذب هذا الإدعاء .

حتى عبد الناصر :

لكن الرئيس جمال عبد الناصر - وهذا يستحق وقفة - قال فى أجهزة الإعلام أن سبب هزيمة ١٩٦٧م يعود إلى عدم قيام القوات الجوية بإخراج مظلات جوية بعد إنذاره لها فأنكشف الجيش وحدث ما حدث .

كبش الفداء :

ويبدو أن جمال عبد الناصر وتابعيه قرروا أن أكون أنا كبش الفداء ..

ولكى نرد على ما قاله عبد الناصر فإننا نستشهد بكلام اللواء على منير عضو اليمين الثانى للمحكمة العسكرية العليا الأولى التى حاكت قادة الطيران .. والذى ألف كتاباً بعنوان من هزيمة يونيو ١٩٦٧م إلى العبور العظيم عام ١٩٧٣م .. قال :

لكى تنضح الصورة فمن الأفضل أن أذكر التهم والجنايات التى إتهم بها قواد الطيران وأطبقها على الفرسان الثلاثة فوزى وصلاح وصادق الأمر الذى سيضع النقطة فوق الحروف ومن ثم يكتب التاريخ الصحيح .

لقد أقيمت على الفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوى التهم الآتية وهى :

١ - عدم قيامه بإنشاء الدشم الكافية والمناسبة لحماية الطائرات .. الخ ، وهذه الجناية وهذا الإدعاء لابد أن يقام على الفريق أول فوزى رئيس الأركان والفريق صلاح محسن قائد جيش الميدان إذ أنه يقع تحت بند تجهيز مسرح العمليات والذي ثبت بالإجماع أنه لم يكن مجهزاً للحماية أو الحركة أو المرونة وما تسبب عن ذلك من زيادة ضخمة فى عدد القتلى والأسرى وتدمير كل نوعيات السلاح والإستيلاء على كميات منه كبيرة بدون إطلاق النار وعرضها فى معارض العدو .. إعلاناً عن الخزى والعار .

٢ - لعدم إصداره الأوامر الصريحة بإحتلال مراكز العمليات بالأطقم الكاملة .. الخ ، وتفادياً للتكرار فإن نفس الإتهام مقام على رئيس أركان القوات الجوية والدفاع الجوى وهنا يبرز الظلم والغدر والأفك والبهتان لأن الفريق فوزى ومعه الفريق صلاح محسن والأول هو الضابط الأمر بتشكيل المحكمة وهو الذى ألغاهما وهو المهيمن عليها ارتكب جناية أكبر على مستوى إستراتيجى أعظم وهى أن مركز قيادة عملياته - كان مغلقاً كما أن الفريق صلاح محسن استدعى من مراكز العمليات قوادها ونوابهم ونواب نوابهم وهو وطاقمه بالكامل كانوا غائبين عن تلك المراكز والتى منها فقط وليس من أى مكان آخر تقاد القوات ويسيطر عليها وتدار رحى القتال .

ويشير حكم المحكمة العسكرية الأولى إلى مسئولية الفريق فوزى والتى تفوح منها روائح كريهة (!!!) حيث تقول الحثيات ما نصه :

فتحت القيادة العليا للقوات المسلحة فى مراكز العمليات يوم ٦/٣ ثم عادت إلى أماكنها العادية فى السلم صباح يوم ٦/٤ رغم أن تلك المدة كانت داخلة فى توقيت تحذير السيد الرئيس (عبد الناصر) بتوقع ضربة العدو . هذا نص ما دونته المحكمة ، أما الشاهد (القاضى) على منير فيقول فى ص ٦١ ، ٦٢ :

وداع عند الفجر :

اشترك القادة فى توديع المشير عامر عند إقلاع طائرته صباح يوم ٥ يونيو ثم عادوا

إلى أماكنهم رغم أنه كان عليهم أن يعودوا إلى مراكز القيادات الميدانية التي أمر رئيس الأركان بفتحها في الساعات الأولى من صباح يوم ٣ يونية أى بعد تلقي إنذار رئيس الجمهورية وتوقعه الضربة الجوية الإسرائيلية في خلال ثلاثة أيام وكانوا قد تواجدوا فيها فعلاً ثم كانت المأساة أن رئيس الأركان نفسه الفريق فوزى ألغى هذا الأمر وطلب إلى القادة العودة إلى الوضع العادى .

هل حدث من فجر التاريخ إلى يومنا هذا وقائع تدعو إلى الريية وإحداث تنطق بالخيانة مثل ما حدث من إغلاق مركز القيادة ؟ التساؤل لا يزال للواء طيار عبد الحميد الدغيدى ..
لذي أضاف :

إن تلك الجريمة (إغلاق مركز القيادة - وغياب القادة - دون غيرها) والتي اقترفها فوزى ومحسن هي أكبر جناية تشهدها أمة .. وعقوبتها هي الإعدام ولذلك ما من شك كانت هي المشنقة الكبرى التي تلتف حول رقاب الاثنين ، وبمسك بطرفها الرئيس جمال عبد الناصر .

أما الجناية الثالثة المقامة على قائد القوات الجوية والدفاع الجوى فهي :

عدم إنشائه دفاعاً ذا فاعلية للمراقبة والإنذار بالهجوم الجوى المنخفض للعدو ورغم علمه باحتمال هذا الهجوم مما ترتب عليه عدم وصول إنذار مبكر للقواعد المختلفة وعدم أركان صد الضربة الجوية المعادية . وهذه الجريمة على وجه أشد وأكثر يجب أن تسند إلى فوزى ومحسن فهما مسئولان تماماً عن منطقة الأمان ومهمتهما الأولى هي الإبلاغ والإنذار عن أى اختراق جوى للمجال الجوى ومسح العمليات والذي اخترقته طائرات إسرائيل وتعمقت فيه بأعداد هائلة ، وإنفاق متعددة وعلى فترات زمنية متتابعة ولم تبلغ القوات الجوية باختراق واحد ولم تنذرها منطقة الأمان كذلك .

نقطة رابعة وأساسية لابد أن أشير إليها وهي بيت القصيد تقول .. لأنه - صدقى محمود فى فترة توليه القوات الجوية والدفاع الجوى بجهة القاهرة وبصفته قائداً للقوات الجوية والدفاع الجوى تسبب بإهماله فى عرقلة فوز القوات المسلحة وذلك بإعطائه تقديرات عسكرية وتقارير غير سليمة للقيادة العليا للقوات المسلحة عن موقف وإستعداد وكفاءة القوات الجوية وعن قدرتها على تلقي الضربة الجوية المفاجئة ثم القيام بتوجيه ضربة جوية مضادة للعدو رغم عدم إمكان تنفيذ ذلك لعدم كفاءة وسائل الدفاع الجوى ووجود نقص بها مما ترتب عليه أنه بنى تخطيط الدولة العسكرى على تقديرات غير صحيحة . الأمر الذى أدى إلى فشل المعركة وهزيمة القوات المسلحة أما التناقض ما بين الأعلى والأسفل

فهو واضح بليغ كالنور والظلام والنهار والليل .

إحتلال الأرض .. أولاً :

وتشير قرارات المحكمة إلى نقطة هامة في نكسة يونيو ١٩٦٧م أن هناك اختلافاً طرأ في توقع عبد الناصر لسير العدوان فالذى حدث أن إسرائيل لم تبدأ بالضربة الجوية في يونيو ١٩٦٧م وإنما بدأت بضرب الجيش .

في حوالى الساعة الخامسة والربع صباحاً بدأت القوات الإسرائيلية في التحرك .. وأخذت في طريقها لإحتلال منطقة « أم بسيس » .. ثم تعمقت داخل أرضنا بحوالى ١٢ كيلومتراً .. دون أن تفاجأ بأى مقاومة جوية تذكر .. ومن هنا قررت إسرائيل شن ضربة جوية مركزة وخاطفة ..

السبب في هذا القرار أن طائرات المجهود الجوى لم تعترض إسرائيل خلال تعمقها في الحدود المصرية ... ولم يطلب قائد الجيش هذه الطائرات في مواجهة تقدم قوات العدو .. مع أنها قاعدة عسكرية معروفة .

قرار مناسب .. فى وقت غير مناسب :

وعندما حلت إسرائيل هذه النقطة تأكدت أن طائرات المجهود الجوى أصبحت معدة ضمن القوات الجوية التى سوف تفاجئها الضربة الجوية ومن ثم اضطرت إسرائيل للقيام بضربتها الجوية فى وقت غير مناسب بالنسبة لها لأن الضربات الجوية تبدأ من أول ضوء .. وسبقتنا فيه قبل أن نسيقها . ويقول اللواء الدغيدى :

حتى الساعة السابعة والنصف .. بل وأقل منها بكثير .. كان ممكناً صد القوات الإسرائيلية .. لولا القادة الغائبون عن مراكز العمليات .. وفى ظل هذا لم تجد القوات المسلحة سبيلاً إلا أن تهرول غرباً وتنجو بنفسها من موت محقق . فالعدو يطاردها .. والنيران تلاحقها ولا أحد يقودها .. أو يسيطر عليها .

إن قرار القوات الجوية والدفاع الجوى بخصوص صد الضربة الجوية المركزة وخططه معلومة ومصدق عليها قبل المعركة بشهور ..

ولكن المحكمة العسكرية تقول فى حيثيات حكمها ص ٩٣ فقرة (هـ) تحت عنوان تصديق القيادة العليا للقوات المسلحة على خطة الدفاع الجوى عن الجمهورية يقول :

تبين للمحكمة أن المسئولين بالقيادة العليا للقوات المسلحة كانوا على علم تام بأوجه النقص المتعددة في عناصر الدفاع الجوي كما أن خطة الدفاع الجوي كان قد صدق عليها نائب القائد الأعلى، للقوات المسلحة بعد مناقشتها مناقشة طويلة في مؤتمر حضره جميع المسئولين المختصين في القيادة العليا .

براءة :

براءة حكمت بها المحكمة للقوات الجوية والدفاع الجوي بأنها قررت وخططت وصدق نائب القائد الأعلى على قرارها وخططها التي بينت فيها أوجه النقص المتعددة في عناصر دفاعها الجوي وكانت نسبة الخسائر أكثر شيء إحتدم حوله النقاش .

وقد ثبت للمحكمة أن إدارة المخابرات الحربية لم تقدم إلى القوات الجوية أية معلومات عن قبلة الممرات التي استخدمها العدو والتي كان لها بلا جدال تأثير كبير على سير المعركة وعدم إمكان صعود الطائرات .

كما ثبت للمحكمة أن المعلومات التي أرسلتها بخصوص مدى عمل الطائرات الميراج على الإرتفاع المنخفض (٣٠٠) كم كان لها تأثير عند وضع خطة الدفاع الجوي فاستبعد إمكان وصول هذه الطائرات إلى قواعدنا في القتال والمنطقة المركزية مع أنها استطاعت ذلك فعلاً يوم ٦/٥ ، وهذا يعنى أن اللواء صادق تسبب أولاً في عدم إمكان إقلاع الطائرات للصعد والردع ومن ثم تدمرت كقطع حديد على الأرض ، وتسبب ثانياً في تدمير الغالبية الساحقة مما دمر من طائرات على إتساع فصر كلها في منطقة الضباط وكان بها ٩٠٪ من مجموع طائرات الوطن والباقي تدمر بسبب تقارير المخابرات الكاذبة .

وهكذا .. فإن الجريمة التي أسندت للمتهم ارتكبها على قدر أكبر بكثير الفريق فوزى والفريق صلاح محسن واللواء صادق مدير المخابرات الحربية ومن العدل إنهم أكبر المتهمين .

أبقت جناية للفريق صدقي قائد الطيران وهي كسابقتها أسندت إليه بعد شهرين من المحاكمة وهي عدم توفير الإنذار المبكر مما أدى إلى عدم إعتراض طائراتنا لطائرات العدو والفارق بين الإنذار والإعتراض كبير لأن الإعتراض مستحيل ؟

إنتهت شهادته والتي تروى مع سابقتها قصة أفدح هزيمة حاقت بمصر ولا زالت تدفع ثمنها .

سادساً : تقييم الهزيمة عسكرياً : قرارات لجان التحقيق فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ م .

فى هذه الجزئية ، وإكمالاً لحديث الوثائق ، نقدم تقرير لجان التحقيق العسكرية عن مدى إستعداد قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية والطيران لحرب ١٩٦٧ م ، وكيف أن الهزيمة كانت تحصيل حاصل ، وكانت أمراً مؤكداً :

(١) تقرير لجنة التحقيق العسكرية العليا لبحث أوضاع الطيران المصرى التى أدت إلى هزيمة ١٩٦٧ م : النص النهائى لقرار المجلس (اللجنة) :

ثبت للمجلس وكان برئاسة اللواء حسن مطاوع بعد الإطلاع على أقوال المسئولين فى القوات الجوية والدفاع الجوى وعلى الأوامر والتعليمات والوثائق وبعد الإتصال بالمسئولين عن الميزانية فى القوات المسلحة والقوات الجوية الآتى :

١ - بالرغم من جميع المحاولات السابق ذكرها بخصوص إنشاء الدشم الخراسانية إلا أن القوات الجوية عندما أعلنت حالة الطوارئ يوم ١٤/٥/١٩٦٧ م لم يكن لديها سوى دراوى بيعض القواعد الجوية بعضها كان منشأ والبعض الآخر كان جارى إنشاؤه بشكاير الرمل قبل بدء العدوان بحوالى ٣ أيام ولذلك واجهت القوات الجوية العدوان يوم ٦/٥ بدون دشم خراسانية توفر الوقاية الكافية للطائرات ضد تأثير الضربة الجوية المفاجئة .

٢ - بالرغم من إنشاء عدد ١١ ممر وقاعدة جوية فى الفترة من عام ١٩٥٦ م حتى بدء إعلان حالة الطوارئ يوم ١٤/٥/١٩٦٧ م علاوة على القواعد الجوية التى كانت موجودة قبل عام ١٩٥٦ م إلا أن هذا العدد لم يكن يتناسب مع حجم القوات الجوية الذى تضاعف بعد عمليات ١٩٥٦ م مع عدم الإهتمام بإنشاء ممرات الهبوط التبادلية لإستخدامها فى الحالات الإضطرابية عند تدمير الممرات والقواعد الأساسية وكذا فى الإنتشار ومفاجئة العدو عند قيامه بتوجيه ضربة جوية مفاجئة للقوات الجوية .

٣ - إتضح للجنة أن القوات الجوية لم تنظر لموضوع الإخفاء والتمويه بجدية إلا ابتداء من عام ١٩٦٤ م وبالرغم من المحاولات التى بدأت فى صورة مشروعات بعد هذا التاريخ فإن العمليات بدأت والقواعد الجوية والمعدات الفنية بدون أى نوع من الإخفاء والتمويه .

٤ - هناك ثغرة فى الكشف الرادارى على الإرتفاعات المنخفضة جداً أقل من ٥٠٠ متر واتجهت القوات الجوية نحو الحصول على رادار مثل ب - ١٥ لتغطية هذه الثغرة



مدمرة مصرية في الطريق لحضور مأودة بحرية

وقد ثبت للقوات الجوية فيما بعد أن هذه الأجهزة لا تحقق هذا الغرض على ارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر ولم تهتم القوات الجوية بنقط المراقبة الجوية بالنظر وتحسين وسائل الإتصال والتدريب لكي تكون ذات فاعلية في الإنذار الجوى عن الأهداف التى تطير على ارتفاعات منخفضة جداً ولم يبدأ التفكير فى إعادة استخدامها بعد إلغائها فى عام ١٩٥٨ م ، إلا فى وقت متأخر منذ عام ١٩٦٤ م ولم تكن هناك جدية وإعطاءها الأهمية إذ أنها الوسيلة الفعالة الميسرة للإنذار بالضربة الجوية المفاجئة بدليل أنه بعد العمليات مباشرة وبنفس المواصلات التى كانت قائمة مع إدخال بعض التحسينات عليها وحسن الإستخدام والإشراف أمكن توصيل البلاغ إلى الجيوش فى فترة من ١ - ١,٥ دقيقة كما ظهر بتقرير اللواء حسن كامل .

٥ - لم يكن هناك توازن فى أسلحة الدفاع م ط بجهاز الدفاع الجوى فالصواريخ والمدفعية م ط المتوسطة (وهى أسلحة الإشتباك ضد الأهداف الجوية التى تطير على إرتفاعات منخفضة ومتوسطة وعالية) كانت تشكل أعلى نسبة فى جهاز الدفاع الجوى بينما أسلحة الإشتباك ضد الطيران المنخفض جداً على الإرتفاع أقل من ٥٠٠ متر كانت نسبتها أقل ومستوى تدريبها ضعيف .

وبذلك لم تكن هناك سياسة مرسومة نحو خلق جهاز دفاع جوى متوازن فى أسلحته ومتكامل لكي يكون قادر على صد الهجمات الجوية المعادية وخاصة الضربة الجوية المفاجئة وكانت الدفاعات م ط عن القواعد الجوية المفاجئة وكانت الدفاعات م ط عن القواعد الجوية بصفة خاصة غير كافية فأقصى دفاع م ط عن القاعدة كان بفوج واحد ٥٧ مم فقط بينما تحتاج القاعدة الجوية كحد أدنى لتوفير الحماية لها بعدد لا يقل عن ٢ فوج (مدافع خفيفة ورشاشات) .

٦ - ولو أن شبكات المواصلات الميسرة فى القوات الجوية والدفاع الجوى كانت تشمل اللاسلكى والخطى ومتعددة القنوات إلا أن الإستخدام وتدريب الأفراد لا يحقق نجاح المواصلات فى القيادة والسيطرة وبلاغات الإنذار بصورة تجعلها فعالة فورية ومستجيبة .

٧ - اتضح للجنة أنه رغم تصور قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى لشكل الضربة الجوية المفاجئة على الوجه السليم إلا أنها لم تقم بإجراء أى مشروع لتدريب كافة عناصر الدفاع الجوى على صد هذا النوع من الهجوم وكذا تدريب أطقم مراكز العمليات على المستويات المختلفة على التصرف الواجب اتباعه فى حالة حدوث الضربة الجوية

المفاجئة .

كما أن مستوى التدريب الذى وصلت إليه القوات الجوية والدفاع الجوى من نتائج تحليل المشروعات وكذا التفتيشات التى أجريت كان دون المستوى الذى يؤهلها للإشتراك بكفاءة فى العمليات الهجومية أو فى عمليات الدفاع الجوى وتأكيذاً لذلك فقد فشلت أجهزة الدفاع الجوى فى صد واعتراض العدو من الطائرات التى اخترقت النطاق الجوى للجمهورية العربية المتحدة .

٨ - لم تتخذ خطوات إيجابية لتأهيل الأفراد ، الرئيسيين فى مراكز العمليات وإعدادهم . لتنفيذ واجباتهم فى معركة الدفاع الجوى .

٩ - اتضح للجنة بعد الإتصال بالمستولين عن شئون الميزانية بالقوات المسلحة والمستولين عن الشئون المالية والإدارية بالقوات الجوية الآتى :

(أ) أنه بعد اعتماد الميزانية يمكن للقوات الجوية فى حالة طلب تنفيذ بعض المشروعات ذات الأهمية التقدم للجهات المختصة بطلب تجاوز اعتماداتها مقابل وفر فى الإعتمادات الأخرى أو أن تقوم بنفسها بإعادة توزيع إعتمادات الأعمال الجديدة بما يترأى لها .

(ب) حدثت تجاوزات فى إعتمادات القوات الجوية فى كثير من السنوات الأخيرة . وتم تسوية هذه التجاوزات بمعرفة الجهات المختصة .

(ج) لو أن أجهزة قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى أصرت على عمل الدشم الخرسانية والممرات الفرعية وأعطتها العناية اللازمة والإصرار الكافى لكان من الممكن تديرها ولو على مراحل سنوياً منذ عام ١٩٥٦ م .

قرار اللجنة

يرى المجلس أنه لم تكن هناك جدية فى إعداد القوات الجوية والدفاع الجوى للعمليات والقتال وأنه منذ عام ١٩٥٦ م حتى بدء العمليات فى ٥ يونية ١٩٦٧ م لم يمكن خلق جهاز دفاع جوى متكامل وقادر على الدفاع الجوى عن الجمهورية العربية المتحدة بكفاءة ضد العدو . ورغم الإمكانيات التى أعطت للقوات الجوية للإعداد وللقيام بمهامها على الوجه الأكمل وذلك بأنه كان هناك تقصير فى إعداد الدشم الخرسانية والإهتمام بالإخفاء والتمويه لتوفير الحماية للطائرات رغم أن ذلك كان ممكناً على مدى ١١ عاماً تقريباً وكذا التقصير فى إنشاء ممرات الهبوط التبادلية وإنشاء شبكة مراقبة جوية بالنظر يعتمد عليها وضعف

مستوى التدريب فى مراكز العمليات بالمناطق والقواعد الجوية وكل هذه من الإجراءات التى تقلل من آثار الضربة الجوية المفاجئة .

ويقول قرار اللجنة فى هذا الصدد :

بعد الإطلاع على الخطط والوثائق وأقوال الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوى واللواء طيار إسماعيل لبيب رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى واللواء طيار محمود بركة رئيس شعبة العمليات ، والعقيد طيار محمود شاكر عبد المنعم ، والعقيد طيار حازم خلوصى من شعبة عمليات الدفاع الجوى ثبت للجنة الآتى .

أولاً : إن جهاز الدفاع الجوى بحالته قبل بدء العمليات كان غير قادر على صد الضربة الجوية المفاجئة لإسرائيل وليس كما جاء بأقوال قائد القوات الجوية والدفاع الجوى الذى قرر أنه فى مقدور القوات الجوية صد الضربة المفاجئة إذا كانت من قوة إسرائيل فقط بالرغم من المصاعب الموجودة فى جهاز الدفاع الجوى وإن تقديره للخسائر المتوقعة . من ١٥٪ - ٢٠٪ تحدثها إسرائيل وبعدها تستطيع قواتنا التعامل مع إسرائيل وحقيقة الأمر أن جهاز الدفاع الجوى لم يكن قادراً على تلقى الضربة المفاجئة وصدّها للأسباب الآتية :

١ - الخطأ فى التخطيط لعمليات الدفاع الجوى :

أ - لم تبين الخطة على آخر موقف لقوة العدو الجوية فقد كانت الأعداد مختلفة والغريب أن خطة الدفاع الجوى استبعدت عدد ٥٠ طائرة سكاي هوك للعدو بينما خطة الدفاع الجوى الموضوعة لتنفيذ العمليات الهجومية (خطة فهد - ١) أدخلت فى اعتبارها هذا العدد رغم أن الخطتين تم عرضهما بواسطة رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى على رئيس الأركان وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى وتوقيعها منهما بتاريخ ١٩/٥/١٩٦٧م كما هو مبين فى هذه الخطط .

ب - لم يدخل فى الخطة أى اعتبار للضربة الجوية المفاجئة من إرتفاعات منخفضة جداً وكان التخطيط مبنى على أساس الهجوم الجوى للعدو وسيتم على إرتفاعات ٥٠٠ متر فما فوق رغم تصور أسلوب الهجوم المتبع فى الضربة الجوية المفاجئة لدى جميع المسئولين عن وضع الخطط .

وبذلك أغفل هذا الاحتمال فى التقدير ولم يدخل فى الاعتبار الإجراءات اللازمة لمواجهة الضربة الجوية المفاجئة وتقليل آثارها .

ج - الخطأ في تقدير إمكانيات العدو وقدرته على ضرب جميع قواعد القناة والمنطقة المركزية في وقت واحد علماً بأن مدى طائرات العدو يمكنها من الوصول إلى جميع أسلوب الضربة الجوية المفاجئة .

د - الخطأ في مقارنة القوات الجوية :

كان هناك تفوق عددي ونوعي لقوة إسرائيل الجوية كالآتي :

(١) جاء في الخطة أن نسبة التفوق هي ١ : ١,٣ لصالح قواتنا الجوية بينما الحقيقة أن النسبة هي ١ : ١,٥ لصالح إسرائيل أي أن التفوق لصالح إسرائيل وليس لصالحنا ولم يبرز ذلك في الخطة .

(٢) أغفل في التقدير احتمال قيام العدو بضربة جوية مفاجئة على الإرتفاعات المنخفضة جداً وهذا كان من أكثر العوامل احتمالاً لأن العدو سوف يستغل الثغرة الموجودة لدينا في التغطية الرادارية وعدم كفايات الدفاعات م ط على هذه الإرتفاعات وبذلك نجد أن مقارنة القوات تتأثر بهذا العامل لأنه على أحسن الظروف والأحوال لن يمكن لقواتنا الجوية استخدام سوى طائرات حالات الإستعداد الأولى والثانية من واقع يوميات الإستعداد هذا على افتراض إقلاعها جميعها من قواعدنا قبل مهاجمتها وبذلك تكون النسبة ١ : ٣ لصالح العدو أي أن العدو كان متفوقاً على قواتنا الجوية وقد أغفل ذلك في الخطة .

هـ - لم يؤخذ في الاعتبار أن جميع مطارات الجمهورية في مدى عمل طائرات العدو وعلى ذلك لم تتخذ أي احتياطات لتأمين الضربة المضادة .

٢ - عدم كفاية الدفاعات م ط وخاصة عن القواعد الجوية :

أ - أغلب القواعد الجوية مدافع عنها بواسطة فوج م ط خفيف من ٤ سرايا ٥٧ مم وسرية رشاشات للقاعدة الجوية الواجب وهذا الدفاع يعتبر ضعيف جداً عند استخدامه في صد الضربة الجوية المفاجئة على الإرتفاعات المنخفضة جداً .

ب - ترك قاعدة كبريت بدون دفاعات م ط بينما كان يوجد فوج ٥٧ مم تم توزيعه على سرايا الرادار في سيناء بواقع سرية ٥٧ مم لكل سرية رادار والتي كان يدافع عنها بسراية رشاشات .

ج - قاعدة إنشاص كانت بدون رشاشات م ط ولم يكن بها سوى ٢ سرية ٥٧

مم ، ٢ سرية ٨٥ وهو عيار غير ملائم للإشتباك ضد طائرات ذات سرعات عالية وعلى إرتفاع ٣٠ متر وكذلك الحالة بالنسبة لقاعدة غرب القاهرة .

د - لم يكن هناك توازن في أسلحة الدفاع م ط بمعنى عدم كفاية أسلحة الإشتباك ضد الطيران المنخفض جداً ، ولم تعط العناية الواجبة للرشاشات م ط إلا في وقت متأخر جداً حال دون إيجاد وحدات وأفراد مدربة جيداً على استخدام هذا السلاح في التعامل مع الطائرات المغيرة على ارتفاعات منخفضة .

٣ - عدم وجود تغطية رادارية على ارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر ولم تكن هناك شبكة مراقبة جوية بالنظر ذات كفاءة ويمكن الإعتماد عليها في التبليغ فوراً وبدون تأخير إلى مراكز العمليات عن أى اختراقات لنطاقنا الجوى على الإرتفاعات المنخفضة جداً ، وهى الوسيلة الفعالة الوحيدة لتغطية ثغرة عدم الكشف للطيران المنخفض بسبب عدم وجود الأجهزة الألكترونية المناسبة .

٤ - عدم وجود دشم خراسانية تحت الأرض لتوفير الوقاية للطائرات وكذا لم يكن هناك إخفاء وتمويه فى القواعد الجوية ووسائل الدفاع الجوى الأخرى بصورة فعالة وإيجابية .

٥ - عدم وجود ممرات هبوط تبادلية بالعدد الذى يتناسب مع حجم قواتنا الجوية ويسمح بتمركزها منتشرة فى أوضاع تقلل من تأثير الضربة الجوية المفاجئة وتجعلها قادرة بعد ذلك على القيام بالضربة المضادة .

٦ - ضعف مستوى التدريب لجميع عناصر الدفاع الجوى وقد أثبت ذلك المشروعات التعبوية التى أجريت وتقارير التفتيش التى قامت بها هيئة التفتيش والتدريب للقوات المسلحة فى إبريل ١٩٦٧م كما ثبت من واقع الأقوال عدم تفهم الأفراد لواجباتهم وخاصة فى جميع مراكز العمليات - ولم تكن هناك مشروعات بأهداف حقيقية تمثل الضربة الجوية المفاجئة على القواعد الجوية من ارتفاعات منخفضة جداً لتدريب الأفراد على أسلوب التصرف وكذا ملاقة نواحي النقص وابتكار الوسائل التى تحقق التبليغ الفورى عند وقوع هجوم على القواعد الجوية - جميع هذه الأسباب السابق ذكرها كانت لا تمكن القوات الجوية من صد الضربة الجوية المفاجئة التى تقوم بها إسرائيل بنسبة خسائر من ١٥٪ - ٢٠٪ ، تحدثها إسرائيل فى قواتنا الجوية ولهذا كان التقدير خاطئاً وكان يجب توضيح هذه الحقيقة بالتفصيل عند عرض الخطة على الضابط المصدق وخاصة تفوق العدو على قواتنا

الجوية وعدم توفر الوسائل التي تقلل من آثار الضربة الجوية المفاجئة على الارتفاعات المنخفضة جداً وتوضيح عدم قدرة قواتنا الجوية بحالتها الحاضرة على تلقي الضربة الجوية المفاجئة وأن قبولها حتى من قوة إسرائيل فقط سيسبب خسائر فادحة بها .

ثانياً ثبت للجنة أن القوات الجوية بحالتها قبل بدء العمليات كانت في موقف يجعلها غير قادرة على تلقي الضربة من إسرائيل وحدها ثم القيام بالضربة المضادة وليس كما جاء بأقوال الفريق أول محمد صدقي محمود وما ورد بخطة فهد - للأسباب الآتية :

١ - الخطأ في تصور القيام بالضربة المضادة بعد تلقي الضربة الجوية المفاجئة وتعليق آمال كبيرة على قدرة جهاز الدفاع الجوي في صد هذه الضربة بنسب بخسائر من ١٥٪ - ٢٠٪ تتحول بعدها قواتنا الجوية إلى القيام بالعمليات الهجومية وهذا يغير الحقيقة لأن الخسائر المتوقعة ستكون عالية لعدم وجود دشم وإخفاء وتمويه ودفاعات م ط قوية وعدم وجود شبكة مراقبة جوية بالنظر فعالة ويعتمد عليها وقد أثبتت العمليات يوم ٥ يونية صحة ذلك فقد قام العدو بتدمير ما يقرب ٧٥٪ من قواتنا الجوية في الساعات الأولى .

٢ - عدم وجود معلومات تفصيلية عن العدو وتسليحه وتمركزه في المطارات والدفاعات م ط لدى العدو سوف لا يحقق النسبة المطلوبة من الخسائر من غاراتنا على قوات العدو الجوية بالدرجة التي تفعلها عن العمل .

٣ - استخدام القاذفات نهراً سوف لا يكون ممكناً بدون حراسة لأن مدى المقاتلات لا يسمح بذلك .

٤ - لم يؤخذ في الاعتبار أن جميع مطاراتنا في مدى عمل طائرات العدو وعلى ذلك لم تتخذ أى ، احتياطات لتأمين طائرات الضربة المضادة وتبين الخطأ في تكديس طائرات الضربة المضادة في قاعدة أبو صوير الأمر الذي ترتب عليه تدميرها جميعاً بضربة واحدة في أول هجمة ولم يعاد تمركزها لتناسب مع الأوضاع الدفاعية .

٥ - كانت تمركز الطائرات (التي تمثل حوالى ٣٠٪ من القوة الضاربة) في سيناء مجازفة لأنها ستكون معرضة للتدمير في أول ضربة بسبب عدم وجود وسائل إنذار كافية تسمح بإقلاع الطائرات في الوقت المناسب لهذه الأسباب كانت فكرة قبول تلقي الضربة الجوية المفاجئة ثم القيام بالضربة المضادة غير سليمة ولم تبين على تقدير صحيح .

ثالثاً : اتضح للجنة أن التصميم على المبادأة من جانبنا وقيام القوات الجوية بالضربة الأولى كانت نتائجها مشكوك فيها وغير مضمونة للأسباب الآتية :

١ - النقص في المعلومات التفصيلية عن تركز القوات الجوية للعدو وعدد طائراته في كل قاعدة وتسليحه ودفاعاته م ط والدشم وتأمين وصول هذه المعلومات حتى قبل بدء هجومنا .

٢ - مدى إمكانيات العدو سواء مباشرة أو غير مباشرة على معرفة وقت هجومنا بوسائل الاستطلاع الإلكتروني في اللحظة المناسبة وبذلك تضيع ميزة المفاجأة .

٣ - واضح من خطة الدفاع الجوي لعملية فهد - ١ (البند ثالثاً - فقرة (١٤)) إن نسبة الخسائر في الطائرات الإسرائيلية في حالة قيامنا بالعمليات الهجومية قدرت - بحوالي ١٠٪ وهذه النسبة ضئيلة وبذلك كان يمكن للعدو بالقوة الباقية من قواته الجوية وهي ٩٠٪ أن يحدث خسائر فادحة في قواتنا الجوية عند قيام العدو بالضربة المضادة .

٤ - أن فكرة نقل المعركة الجوية إلى أرض العدو كانت ستكلفنا فقد الطيارين والطائرات بدون تحقيق الهدف وإحراز نجاح معقول لأن أساس النجاح في المعركة مبني على مقدار المعلومات التي لدينا عن العدو وهذا كان غير متوفر لدى القوات الجوية بالقدر الذي يسمح بإحراز النجاح مثل ما كان لدى العدو من معلومات كافلة عن قواعدها وعناصر دفاعها الجوي إتضح ذلك عندما حصلنا على خريطة عن ج . ع . م مع أحد قادة الأسراب الذي سقطت طائرته في القتال يوم ٥ يونيه ووضح عليها المعلومات التفصيلية والتلقين الكامل الذي كانت من نتائجه النجاح الذي أحرزه العدو في الساعة الأولى من المعركة .

رابعاً : اتضح للجنة أن عناصر الدفاع الجوي لم تكن في أقصى درجات التيقظ والإنباه لملافاة ضربة العدو الجوية المنتظرة ولم يستفيد قائد القوات الجوية من التحذير وتوقع الهجوم في خلال فترة زمنية محددة يومين أو أكثر الذي تلقاه من السيد الرئيس في الاجتماع الذي عقد بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢ م ولم يتخذ الإجراءات التي ينبغي إجراؤها في مثل هذا الموقف كأخطار كافة الأجهزة والتشكيلات والوحدات والقواعد واحتلال الأطقم الكاملة في جميع مراكز العمليات وتكثيف المظلات الجوية خاصة على الحدود الشرقية والساحل الشمالي لسيناء وزيادة نشاط الاستطلاع الجوي .

خامساً: يتضح للجنة أن قائد القوات الجوية بمجرد قبوله تلقي الضربة الجوية من إسرائيل ثم التحول إلى العمليات الهجومية للقيام بالضربة الجوية وذلك بعد الاجتماع الذي حضره السيد الرئيس بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢ م لم يتخذ إجراءات سريعة نحو إعادة النظر فوراً في تركز القوات الجوية على ضوء هذه التوجيهات لإتخاذ الأوضاع الدفاعية السليمة التي تمكنها من تلقي الضربة الأولى بأقل خسائر وبقيت أوضاع التركز كما هي واكتفى بتخفيف مطارات العريش والسر وتمادا بسحب ٦ طائرات من كل مطار وتمركزها في كبريت التي كانت بدون دفاعات م ط وبدون غرفة عمليات وحتى كانت النية متجهة إلى إعادة تمركزها ثانية في القواعد التي سحبت منها محافظة على الروح المعنوية للطيارين وبقيت قاعدة أبو صوير كما هي مكدسة بعدد ٣٠ طائرة اليوشن ٢٨ معرضة للتدمير من أول ضربة علماً بأن تنفيذ خطة فهد - ١ كانت متعذرة بعد تلقي الضربة .

القرار

- ١ - يرى المجلس أن جهاز الدفاع الجوي لم يكن قادراً ولا مستعداً لتلقي الضربة الجوية المفاجئة وصدها على عكس ما جاء في قرار قائد القوات الجوية والدفاع الجوي الذي يتضح منه أن في مقدور القوات الجوية صد الضربة الجوية المفاجئة برغم المصاعب الموجودة والمعروفة في جهاز الدفاع الجوي وقيادة القوات الجوية .
- ٢ - الخطأ في التخطيط لعمليات الدفاع الجوي :
 - أ - الخطأ في تقدير قوة العدو حسب المعلومات المتوفرة فعلاً مما ترتب عليه إستخلاص نتائج غير صحيحة في مقارنة القوات وبالتالي أدى إلى خطة غير واقعية .
 - ب - عدم إدخال أي اعتبار للضربة الجوية المفاجئة من الارتفاعات المنخفضة جداً رغم علم كافة المسؤولين من أن هذا هو الأسلوب المنتظر لهجوم العدو وأنه يمثل أشد الخطر الذي تتعرض له القوات الجوية في الجمهورية العربية المتحدة .
 - ج - الخطأ في تقدير مدى عمل القوات الجوية المعادية الأمر الذي استبعد معه إمكان قيامه بضرب جميع قواعد القناة والمنطقة المركزية في وقت واحد بينما مدى عمل طائرات العدو يمكنها من الوصول إلى جميع قواعدنا الجوية على الارتفاعات المنخفضة جداً وهذا ما يتمشى مع تصور أسلوب الضربة الجوية المفاجئة .
- ٣ - تقدير تأثير الدفاع عن القواعد الجوية بالمدفعية الميسورة والأنواع الموجودة منها بأكثر

من حقيقة وكفاءته القتالية بسبب ما اتضح للمجلس من أن عدد المواسير والرشاشات م ط المتوفرة للدفاع عن القواعد الجوية يقل كثيراً عن الحد الأدنى اللازم لتوفير وقاية معقولة لها .

٤ - عدم اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سد ثغرة عدم الكشف للطيران المنخفض على الارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر وإيجاد جهاز يعتمد عليه للإنذار الجوى بالنسبة للطيران المنخفض .

٥ - الخطأ في تصور إمكان تلقى الضربة الجوية المفاجئة للعدو وصددها بنسبة خسائر قليلة تتراوح بين ١٥ - ٢٠٪ رغم نواحي النقص الواضحة في استعداد جهاز واستكمال إجراءات الوقاية في القواعد الجوية تقوم على أثرها القوات الجوية فوراً بالضربة المضادة .

٦ - يقرر المجلس النقص الواضح في المعلومات التفصيلية اللازمة عن العدو وتسليحه وتمركزه في القواعد الجوية والدفاع م ط لديه ونواياه وتدريبه ونواحي النقص في معداته وأجهزته ومدى المعلومات المتوفرة لديه عن قواتنا وتمركزها والتوقيت الدقيق والأسلوب التفصيلي المنتظر لعدوانه الأمر الذي يعد حيويًا وضروريًا لنجاح القوات الجوية والدفاع الجوى في تحقيق مهامها .

٧ - يقرر المجلس أنه قد إتضح له أن التخطيط الموضوع للمبادأة من جانب القوات الجوية كانت نتائجه مشكوكاً فيها وغير مضمونة للأسباب الموضحة في الباب الثاني .

٨ - يقرر المجلس أن عناصر الدفاع الجوى جميعها لم تكن وقت بدء العدوان في أقصى درجات التيقظ والانتباه لملاقاة ضربة العدو الجوية المنتظرة ، الأمر الذي جعل الضربة المفاجئة مذهلة وشل تفكير الجميع .

٩ - يقرر المجلس أن مستوى التنسيق والتعاون وتبادل المعلومات بين القوات الجوية والبرية والبحرية كان ضعيفاً الأمر الذى ساعد على إتمام المفاجأة التى أحرزها العدو رغم وجود شواهد برية بنشاط العدو البرى مما يوحى بأن هجومه المنتظر قد أصبح وشيك الوقوع وكان يؤدي هذا إلى إنذار القوات الجوية فى الوقت المناسب ليقظتها واتخاذ الإجراءات اللازمة لملاقاة ضربته الجوية المنتظرة ، وكذلك عدم وضوح الموقف البرى لدى القوات الجوية لاتخاذ القرارات ، التسليمة لإنقاذ وسحب القواعد الأمامية المعرضة والأجهزة والمعدات الفنية فى الوقت المناسب .

١٠ - يقرر المجلس أن القوات الجوية لم تتخذ الإجراءات السريعة لإعادة تمركز قواتها واتخاذ الأوضاع السليمة التي تتناسب مع المهمة الجديدة بتلقى الضربة الأولى عقب المؤتمر الذي تم في القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢ م .

سابعاً : التقييم النهائي للهزيمة والخبرة المستفادة :

الآن بإمكاننا أن نقول أن هزيمة ١٩٦٧م لم تكن (قدراً) كما أراد أهل الحكم في مصر أن يروجوا بعدها ، بل كانت واقعاً ، نحن الذين خلقناه بضعفنا وصراعنا وفساد أهل الحكم منا ، فضلاً عن مساندة ظروف وملابسات دولية في أحداث كل ذلك ، وفقاً لرؤية الراحل العزيز د . فاروق يوسف في كتاب عن (القومية العربية) .

فلقد أعطت حرب السويس ١٩٥٦م لإسرائيل درساً قررت على أثره ضرورة الاعتماد على قوتها الذاتية في الحرب المقبلة ضد العرب وعدم اشتراكها مع أية قوة عالمية في القيام بذلك . ومن هنا بدأت إسرائيل تخطط لحرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م على أساس تقوية جيشها بدرجة كبيرة والحصول له على أحدث الأسلحة المتطورة وتدريبه تدريباً عالياً حتى تتمكن من موازنة التفوق العددي العربي تفوق كفي لإسرائيل . وكان هدف إسرائيل من هذه الحرب هو تحطيم القوة والإرادة العربية وفرض السلام الإسرائيلي على العرب بما يتمشى مع مصالحها .

بدأت إسرائيل بمحاولتها لتحويل مجرى نهر الأردن لاستغلال مياهه في التوسع الزراعي على حساب العرب . فتحركت مصر ودعت لعقد مؤتمر قمة عربي لمواجهة - ذلك . وانعقد مؤتمر القمة الأول في يناير سنة ١٩٦١م ، الذي وضع خطة مضادة للخطة الإسرائيلية للتحويل واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذها بإقامة منظمة التحرير الفلسطينية . ومن ثم بدأ التوتر بين العرب وإسرائيل يظهر بشكل واضح . وفي سبتمبر سنة ١٩٦٤م عقد مؤتمر القمة الثاني الذي أعلن أن هدف العرب هو تحرير فلسطين وقرر حشد الطاقات العربية من أجل ذلك . ثم عقد مؤتمر القمة الثالث في سبتمبر سنة ١٩٦٥م الذي أقر ميثاقاً للتضامن العربي ووحدة الصف العربي . إلا أن كل ذلك في الحقيقة كان حبراً على ورق لم ينفذ منه شيء يذكر وكان ضرورة أكثر من فائدته لأنه استخدم في الدعاية ضد العرب .

في الجانب الإسرائيلي فإنه عن طريق جهد سياسي مكثف وعمل دعائي ذكي تمكنت إسرائيل من الحصول على ما تريد من العالم العربي مستغلة في ذلك القرارات ذات الكلمات الرنانة التي صدرت بها قرارات مؤتمرات القمة العربية والتصريحات غير الواعية لبعض القادة العرب ، وسوء العلاقات بين الدول العربية التقدمية وكل من ألمانيا الغربية والولايات

المتحدة الأمريكية ، وقد تمكنت من الحصول لعل ما تريده من الأموال من ألمانيا الغربية بحجة تعويض اليهود عن جرائم النازى والحصول على ما تريده من السلاح من ألمانيا الغربية ثم من الولايات المتحدة الأمريكية مستغلة فى ذلك عقدة الذنب لدى الألمان والعطف لدى الأمريكيين .

وق اختارت إسرائيل عام ١٩٦٧م ليكون عاماً لعدوانها على البلاد العربية ويرجع ذلك الاختيار لعدة أسباب . أولها إستكمال إستعداد إسرائيل العسكرى مع انشغال القوات المصرية الخاصة فى حرب اليمن . وثانيها : تأكد إسرائيل من الدعم الأمريكى غير المحدود لها ، وتدهور العلاقات الأمريكية مع الدول العربية التقدمية وثالثها : تفكك الصف العربى بسبب حرب اليمن وما ترتب عليها من نزاعات ومهاترات بين الدول العربية وعدم فاعلية مؤتمرات القمة العربية ، ورابعها : تهيئة رأى العام العالمى وإقناعه بوجهة النظر الإسرائيلية نتيجة للدعاية الإسرائيلية التى استخدمت قرارات مؤتمرات القمة العربية مادة لها والتصريحات المتهورة لبعض الزعماء العرب . وخامسها : كانت إسرائيل تعاني من مشاكل الإقتصادية وعجز مالى كبير وكانت الحرب هى الوسيلة الوحيدة لخلاصها من تلك المشاكل .

اتجهت إسرائيل إلى سوريا لتكون ذريعتها لعدوانها على البلاد العربية وخصوصاً أن سوريا هى أحد الدول الثلاث التى تعمل لتحويل مجرى نهر الأردن فى أراضيها لتفسد المشروعات الإسرائيلية فى هذا الخصوص ، كما أن سوريا تساعد الحركات العدائية ضد إسرائيل ، بالإضافة إلى ذلك كان هناك أطماع إسرائيل الخاصة بالهضبة السورية ذات الموقع الاستراتيجى للتحكم فى الأراضي الإسرائيلية والمهدد لأمن إسرائيل .

فى أوائل عام ١٩٦٧م بدأت إسرائيل بالتهديد بغزو سوريا واحتلال دمشق ثم قامت فى أبريل بهجوم كبير على سوريا ، وفى مايو أعلنت إسرائيل حالة الطوارئ الجزئية مما اضطر مصر إلى المسارعة لمساعدة سوريا بحشد قواتها فى سيناء ، ثم طلبت فى ١٦ مايو من الأمم المتحدة تجميع قواتها التى تحتل نقط المراقبة على الحدود المصرية فى قطاع غزة حتى لا يودى وضعها فى الأراضي المصرية إلى أى مزايا لإسرائيل . ولكن الأمم المتحدة قررت سحب قوات الطوارئ بالكامل من المنطقة . وبانسحاب قوات الطوارئ من شرم الشيخ دخلتها القوات المصرية فأعلنت مصر فى يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٦٧م عدم السماح بمرور السفن الإسرائيلية وتلك التى تحمل بضائع إستراتيجية لإسرائيل فى خليج العقبة .

وهنا قررت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ضرورة الإسراع بشن الحرب قبل أن تتمكن القوات المصرية من التحصن فى مواقعها الجديدة واستغلال ميزة المبادأة والقضاء على القوات



خارجا من خندق تحت الأرض لى جبهة القناة عام ١٩٧٠

المصرية الضخمة في سيناء بضربة مفاجئة . إلا أن الحكومة الإسرائيلية كانت تطلب التمهّل حتى تحصل على تأكيدات من واشنطن . وفي يوم ٣٠ مايو تم توقيع ميثاق الدفاع المشترك بين مصر والأردن ، وكان رد إسرائيل هو تكوين حكومة إئتلافية دخلتها كافة الأحزاب السياسية الإسرائيلية وبدأت الدعاية الصهيونية تنشط لجمع التبرعات والمتطوعين من الدول الغربية . وفي يوم ٤ يونيو سنة ١٩٦٧م عقد مجلس الوزراء الإسرائيلي اجتماعاً قرر فيه القيام بالحرب في اليوم التالي .

وفي يوم ٥ يونيو قامت إسرائيل بضربة جوية مفاجئة ومركزة ضد القواعد الجوية والمطارات المصرية مما أفقد القوات والقيادة المصرية توازنهما وأصبحت قراراتها ارتجالية غير مخططة مما ساعد على أن تنفرد إسرائيل بعد ذلك بكل دولة من دول المواجهة الثلاث لتصل إلى الحدود التي تجدها مناسبة لها ، فاختارت إسرائيل سيناء وأصبحت بينها وبين باقي الأراضي المصرية قناة وخليج السويس . واحتلت الضفة الغربية وأصبح نهر الأردن بينها وبين باقي الأراضي الأردنية . كما احتلت المرتفعات السورية وأصبح الطريق إلى دمشق مفتوحاً أمامها .

ولم تكن سبب النكسة هو عبقرية الإنسان الإسرائيلي أو كفاءته ولو أنه لا يمكن إنكار أن قراراتهم كانت مبنية على خطط علمية محكمة ومدروسة . ولكن السبب الحقيقي وراء النكسة كان القيادة العسكرية المصرية غير المسؤولة في سلوكها وتصرفاتها ، والخطط العربية الفاشلة المرتجلة والجهة العربية الممزقة . أى أن جزءاً رئيسياً من أسباب النكسة يرجع إلى الوضع في مصر بصفة خاصة والوضع العربى بصفة عامة .

ولقد كانت للحرب نتائج خطيرة بالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى . فأولاً تم تحطيم القوة العسكرية لثلاث دول عربية من ضمنها الدولة العربية الكبرى مصر ، وبذلك أصبح لإسرائيل تفوق عسكرى ساحق على العرب . وثانياً : وصلت إسرائيل إلى وضع جغرافى ممتاز وعمق استراتيجى كاف بعد احتلال مساحة من الأرض وتبلغ أضعاف مساحتها الأصلية وإلى حدود تمثل موانع طبيعية شبه آمنة هى غرباً قناة السويس وخليج السويس وشرقاً خليج العقبة ونهر الأردن وشمالاً المرتفعات السورية . وعلى ذلك قامت نظرية الأمن الإسرائيلى ابتداءً من يونيو سنة ١٩٦٧م على أساس هذه الموانع الطبيعية وعلى القدرة الدفاعية الإسرائيلية عند هذه الحدود .

أما بالنسبة للعرب فقد كان تأثير الحرب عليهم عكسياً . فلم تعد في يدهم المبادأة وترتب على الحروب مشاكل اقتصادية ونفسية رهية خصوصاً بالنسبة لمصر التى صمد شعبها بالرغم من الآلام التى كان يعانى منها . إلا أنه كانت للنكسة أيضاً جوانبها الإيجابية فقد حطمت

بعض أجزاء القيادة المصرية المتحجرة وبذلك فتحت الطريق لبعض الكفاءات الجديدة للدخول إلى القيادة كما أضعفت مراكز القوى ومهدت للقضاء عليها فيما بعد. وأدركت إلى إدراك العرب لحقيقة أبعاد التهديد الصهيوني ونواحي تقصير العرب في مواجهته : ومن هنا عمل العرب على امتصاص النكسة وتقوية الجيوش العربية والتضامن العربي من أجل المصير المشترك ورفض شروط إسرائيل .

بعد الحرب نقلت القضية إلى الأمم المتحدة بناء على طلب الاتحاد السوفيتي . وقد كان هناك مشروع قرار يهدف إلى انسحاب إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو سنة ١٩٦٧ م . إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية حالت دون صدور مثل هذا القرار . ثم صدر القرار رقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ م الذي نص على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة في النزاع الأخير ، وإنهاء دعاوى الحرب واحترام سيادة ووحدة الأراضي والإستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحققها في العيش في سلام في نطاق حدود آمنة معترف بها وحرية الملاحة في الممرات الدولية وتحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين وضمان الأمن الأقليمي والإستقرار السياسي عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح .

ولقد طلب مجلس الأمن من السكرتير العام للأمم المتحدة تعيين ممثل خاص له للذهاب إلى منطقة الشرق الأوسط على أساس هذا القرار الذي وافقت عليه الدول الكبرى والأطراف المعنية بصفة مباشرة . إلا أن المستر يارنج الذي عين لذلك لم يتمكن من أداء مهمته بسبب عدم تعاون إسرائيل التي فضلت إحتلال الأرض العربية عن الانسحاب وتحقيق السلام في المنطقة . ولقد شجعت الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل على اتباع هذه السياسة ومدتها بالمال والسلاح والتأييد السياسي اللازم لاستمرارها في موقفها المتعنت . ولقد حاولت إسرائيل إرهاب العرب عن طريق العنف وما طلت في تنفيذ قرار مجلس الأمن حتى يومنا هذا ١٩٩٢ :

ومن جملة الدروس والخبرات المستفادة من هذه الهزيمة أيضاً ما يلي :

(١) فردية اتخاذ القرار ، حيث تركز صنع القرار في يد عبد الناصر وحده دون أن يلقى معارضة حتى أنه عندما قرر إغلاق المضائق لم يعترض عليه سوى صديق سليمان ولأسباب اقتصادية بحثه لا علاقة لها بالموقف الإستراتيجي المترتب على إغلاق المضائق بصدد إسرائيل .

كما يذكر صلاح نصر أن جهاز المخابرات ومجلس الدفاع الوطني لم يؤخذ رأيهما بصدد إغلاق المضائق . كما أن رأى القيادات العسكرية التي ستخوض الحرب لم يكن

ذو تأثير كبير حيث يذكر حمروش أنه قد عقد مؤتمر عسكري يوم ١٨ مايو وناقشوا فيه فكرة إرسال قوات نحتل شرم الشيخ وانتهى المؤتمر برفض الفكرة لأن وجود قوات هناك سيقرب عليه أما عدم التدخل في الملاحه بما يزيد من هجوم الدول العربية ، أو إغلاق الخليج بما يعطى إسرائيل الذريعة للحرب في وقت ليست فيه مصر على استعداد للمواجهة .

(٢) الصراع بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية بما يعرف « صراع عامر وناصر » والذي بدأ منذ ١٩٥٧م وبلغ ذروته عام ١٩٦٢م وأصبح بعدها عامر هو المتحكم في القوات المسلحة ولم يعد من حق أحد - بما في ذلك ناصر - أن يتدخل في إدارة القوات المسلحة إلا عن طريق عامر فقط . وهو الأمر الذي عجل بالهزيمة الفادحة .

(٣) الارتجالية وعدم التخطيط :

حيث لم يكن هناك استراتيجية عليا للصراع المسلح مع إسرائيل وكان وضع هذه الإستراتيجية من اختصاص مجلس الدفاع الوطنى الذى يرأسه رئيس الجمهورية ثم تنفيذها من اختصاص مجلس أعلى يرأسه وزير الحربية .

ويرى المشير عبد الغنى الجمسى أنه لم يكن لأى من الجهازين القدرة على ممارسة عملية وإن غياب هذه الإستراتيجية أدى إلى التسرع والارتجال وعدم التنسيق بين القيادات العسكرية بدرجة أن القوات المسلحة كانت تفاجأ بالقرارات المصرية^(١) .

(٤) عدم تعاون القيادات المسئولة عن الحرب :

فقد كان هناك صراع بين كل سلاح وبين رئاسة الأركان كما هناك تعدد فى القيادات المسئولة عن الحرب وعدم تعاونها فهناك القيادة العامة فى القاهرة ويتولاها المشير عامر ثم قيادة المنطقة الشرقية ويتولاها الفريق صلاح محسن ثم القيادة الأمامية للجبهة ويتولاها الفريق أول مرتجى ويظهر عدم التعاون بينهما فى عدة مناسبات . منها شهادة اللواء عبد الحميد الدغيدى الذى لم يسمع عن إنذار عبد الناصر يوم ٢ يونيو إلا بعد نهاية الحرب وهو قائد الطيران فى منطقة سيناء .

بل أن مرتجى وعبد المنعم رياض (قائد الجبهة الأردنية) لم يخطرا به كما تم إهمال إشارة عجلون والتي أرسلها عبد المنعم رياض حينما لاحظت قواته على شاشات الرادار الأردنية إقلاع الطائرات الإسرائيلية بأعداد كبيرة .

بل أن مرتجى وعبد المنعم رياض (قائد الجبهة الأردنية) إقلاع الطائرات الإسرائيلية بأعداد كبيرة .

وقد أكد مرتجى إن محتويات هذه الرسالة كانت ستغير مجرى الحرب حيث كانت الأوامر الصادرة إلى الطيران الإسرائيلي تنص على ضرورة العودة مباشرة إذا ما ظهرت له قوات غير متوقعة من الطائرات المصرية فوق سماء سيناء واعتبار ما حدث مجرد اختراق عادى للمجال الجوى المصرى .

إنها دروس هامة وخبرة مستقاة على الصعيد المصرى يضاف إليها غياب التنسيق العربى وغياب الفهم العربى لأبجديات الأمن القومى وحدود الفهم العربى لأهمية أن تبقى مصر قوية وإن قوتها ، قوة لهم . ولكنها مع الأسف الحقائق والدروس التائهة حتى اليوم .

ملحق الفصل الثالث عشر

جدول رقم (١)

المساعدات الأمريكية لإسرائيل ١٩٥١ - ١٩٨٨ م (بملايين الدولارات)

السنة	الدعم الاقتصادي	الدعم العسكري	المجموع
١٩٥١	٠,١	—	٠,١
١٩٥٢	٨٦,٤	—	٨٦,٤
١٩٥٣	٧٣,٦	—	٧٣,٦
١٩٥٤	٧٤,٧	—	٧٤,٧
١٩٥٥	٥٢,٧	—	٥٢,٧
١٩٥٦	٥٠,٨	—	٥٠,٨
١٩٥٧	٤٠,٩	—	٤٠,٩
١٩٥٨	٦١,٢	—	٦١,٢
١٩٥٩	٤٩,٩	٠,٤	٥٠,٣
١٩٦٠	٥٥,٢	,٥	٥٥,٧
١٩٦١	٤٨,١	—	٤٨,١
١٩٦٢	٧٠,٧	١٢,٢	٨٣,٩
١٩٦٣	٦٢,٤	١٢,٣	٧٦,٧
١٩٦٤	٣٧,٠	—	٣٧,٠
١٩٦٥	٤٨,٨	١٢,٩	٦١,٧
١٩٦٦	٣٦,٨	٩٠,٠	١٢٦,٨
١٩٦٧	٦,١	٧,٠	١٣,١
١٩٦٨	٥١,٨	٢٥,٠	٧٦,٨
١٩٦٩	٢٦,٧	٨٥,٠	١٢١,٧
١٩٧٠	٤١,٧	٢٠,٠	٧١,٧
١٩٧١	٥٥,٨	٥٤٥,٠	٦٠٠,٨
١٩٧٢	١٠٤,٢	٣٠٠,٠	٤٠٤,٢

٤٦٧,٣	٣٠٧,٥	١٥٩,٨	١٩٧٣
٢٥٧٠,٧	٢٤٨٢,٧	٨٨,٠	١٩٧٤
٦٩٣,١	٣٠٠,٠	٣٩٣,١	١٩٧٥
٢٥٠٨,٠	١٧٠٠,٠	٨٠٨,٠	١٩٧٦
١٧٥٧,٠	١٠٠٠,٠	٧٥٧,٠	١٩٧٧
١٨١١,٨	١٠٠٠,٠	٨١١,٨	١٩٧٨
٤٨١٥,١	٤٠٠٠,٠	٨١٥,١	١٩٧٩
١٨١١,٠	١٠٠٠,٠	٨١١,٠	١٩٨٠
١٢٨٩,٠	١٤٠٠,٠	٧٨٩,٠	١٩٨١
٢٢١٩,٠	١٤٠٠,٠	٨١٩,٠	١٩٨٢
٢٤٩٨,٠	١٧٠٠,٠	٧١٨,٠	١٩٨٣
٢٦٣١,٠	١٤٣١,٠	١٢٠٠,٠	١٩٨٤
٣٩٥٠,٠	١٢٥٠,٠	٢٧٠٠,٠	١٩٨٥
٢٨٨٠,٠	١٧٠٠,٠	١١٨٠,٠	١٩٨٦
٣٠٠٠,٠	١٨٠٠,٠	١٢٠٠,٠	١٩٨٧
٣٠٠٠,٠	١٨٠٠,٠	١٢٠٠,٠	١٩٨٨

٤١٠٦٩,٨

٢٥٣٩٣,٣

١٥٦٧٦,٣

المجموع العام

ملحق رقم (٢) الفصل الثالث عشر «هزيمة يونيو في مدركات عبد الناصر»

[ولم يكن عملنا في يوم من الأيام سهلاً ولا هيناً فلقد كان علينا أن نواجه ألوان المخاطر السياسية والاقتصادية والعسكرية .. وكان كل انتصار حققناه نتيجة لمشاق ومصاعب صبرنا عليها وتحملنا أعباءها ..

لم يكن قيامنا بالثورة يوم ٢٣ يونيو سهلاً أو هيناً .. وجيش الاحتلال البريطاني يحتل أرض الوطن منذ أكثر من ٧٠ عاماً . ويحكم بالتحالف مع الأقطاع ورأس المال معتمدين جميعاً على ثمانين ألف جندي بريطاني في منطقة قناة السويس ..

ولم يكن تصدى شعبنا لسياسة الأحلاف وسيطرة مناطق النفوذ التي أريد فرضها عليه سهلاً أو هيناً .. في وقت لم تكن حركة التحرير الوطني قد قطعت فيه ما قطعه الآن على طريق الاستغلال ورفض التبعية .

ولم يكن قبول شعبنا لتحدي بناء السد العالي سهلاً أو هيناً .. في وجه صلافة أمريكية أرادت ، وهي تسحب عرضاً غريباً بالمساهمة في تمويل السد العالي ، أن تسيء إلى الاقتصاد المصري ، وأن تصور هذا الشعب وكأنه مفلس غير قادر على تحمل مسئوليات مثل هذا البناء الذي لا يعرف له في العالم نظير ، بل وأرادت بهذه الصلافة أن تصل إلى حد تضييع ثقة الشعب بنفسه ، وإسقاط نظامه الثوري .

ولم يكن تحمل شعبنا لأهوال معركة السويس سهلاً أو هيناً .. وقد شاركت في العدوان عليه سنة ١٩٥٦م ثلاث دول بينها إثنان من الدول العظمى استعملت في عدوانها تلك القاعدة التي خلقها الاستعمار .. وزرعها في قلب الوطن العربي لتقوم دائماً بدورها في تهديده وإرهابه .. ظاهرة مرة وخفية مرة أخرى ..

كل هذا .. لم يكن سهلاً وهيناً في هذا الوطن الذي كانت فيه المصالح الأجنبية والإقطاعية تسيطر على مقدراته وهي في قلب هذا العالم العربي الذي تسيطر عليه المصالح الأجنبية والإقطاعية فما يحدث في وطننا له صداه في عالمنا العربي كله . أردنا ذلك الصدى أو لم نرده ..

ولم يكن رضا شعبنا بمسئوليات التضامن العربي ووحدة النضال ووحدة المصير سهلاً أو هيناً . فلقد واجهنا ضمن هذه المسئوليات وقوفنا إزاء محاولة غزو سوريا ١٩٥٧م وقبولنا بتبعات الوحدة وتبعات الانفصال ، وقوفنا إزاء محاولة ضرب الثورة العراقية سنة

١٩٥٨م .. وضمودنا وراء الثورة الجزائرية من ١٩٥٤م إلى ١٩٦٢م وانتصارنا إلى جانب الثورة اليمنية وتأييدنا لثورة الجنوب العربي] .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

[إن الإستعمار لم يواجهنا فى هذه المرة صراحة كما فعل فى ١٩٥٦م وإنما بذل جهداً لا بد أن نسلم ببراعته .. فى إخفاء دوره وفى تغطية تواطئه ولعله فى النهاية لم يترك شيئاً يدل عليه غير بصمات أصابعه] .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

[لقد كان موقف شعبنا يوم ٩ ، ١٠ يونيو أكثر مما استحق وأكثر مما يستحق أى فرد ولكنه بالنسبة لى كان يمثل معانى أخرى .. معنى استمرار النضال .. ومعنى استمرار النضال الشعبى .. ومعنى إستعداد الشعب لكل التكاليف والتضحيات .. ومعنى التصميم على المقاومة .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

[ليس هناك طريق مختصر أو قصير إلى ما نريد .. أيضاً ليس هناك طريق واحد .. الطريق طويل وشاق .. كذلك فإن هناك عدة طرق لا بد أن نسير عليها فى نفس الوقت .

طريق النصر مخاطرة .. وطريق النصر تضحيات .. وطريق الآمال الكبرى بدل كبير ، وإلا فإن الشعوب ترضى على نفسها بالجمود وتقبل بالتخلف لأنها لا تستطيع أن تتحرك ولا تقبل بالمخاطرة ولا تقبل على الحياة حلوها ومزها] .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(لم يكن احتلال الأرض هو الهدف ، فى الأصل ، للعدوان الإستعماري الصهيوني ، إنما احتلال الأرض هدف جزئى يسعى به إلى تحقيق الهدف الأصيل وهو تصفية الثورة العربية عامة .. العدوان حقق الأهداف الجزئية ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه الرئيسى) .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(إن هدفنا المباشر لا ينبغى أن يكون إزالة آثار العدوان فحسب .. بل ينبغى أن يكون أيضاً حماية نظامنا الثورى وتدعيم حركة الثورة العربية) .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(إن الصراع ليس من جبهة القتال وحدها وإنما الجبهة فى كل مكان .. تلك عبرة صدقت فى كل صراع شامل .. وهى أصدق ما تكون فى معركتنا بالذات وبسبب ظروفنا الخاصة

المتميزة ، ذلك لأن العدو يريد أن يغطي حقيقة أن الوقت ليس فى صالحه وذلك عن طريق تركيز وتثبيت تأثيره على كل الجبهات ..

كل الدنيا تريد أن تعيش فى سلام ، واحنا كنا ندرك منذ البداية ونحن نجرب طريق الحل السياسى أن ذلك الطريق صعب مفروش بالأشواك لأن العدو أسكرته نشوة النصر ونحن نعلم أن المبدأ الفصل بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة مبدأ سليم وصحيح فى كل الظروف) .

(عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٨ م)

لا بديل لهذه الأمة غير النصر وهى تقدر عليه إذا أحسنت الاستفادة من طاقاتها وظروفها وإذا استطعنا أن نؤمن ونبنى جبهتنا الداخلية على أساس المعركة .

(عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٨ م)

إن التحديات كلها أثبتت صلابة موقف قوى الشعب العاملة وتصميمها وحسمها .. إن فلاحينا فى الحقول كانوا فى خدمة الصمود .. وكان عمالنا فى المصانع وفى الخدمات سنداً هائلاً وراء المواجهة المصيرية ، كما أن الشباب فى هذا الوطن لم يترك لأحد أن يحدد له موقفه برغم كل المحاولات . وإنما حدد هو بوعيه موقفه وسط قوى النضال الوطنى والقومى المبدرة لتبعات المصير والمتمثلة فى شجاعة لنصبيها منه .

(إفتتاح مجلس الأمة ٢٠ يناير ١٩٦٩ م)

من أقوال زعماء إسرائيل ، وقادة إسرائيل ، ومذكرات إسرائيل المنشورة ، والتى صدرت بعد سنة ١٩٦٧ م .. قالت أنهم كانوا يريدون هذه المعركة .. قبل أن تستكمل مصر بناء قواتها المسلحة .. قبل أن تدخل مصر فى مرحلة الإنطلاق .. قبل أن يتم بناء السد العالى .. قبل أن تتم خطط التصنيع .. قبل أن تتم خطط تطوير الصناعة واستصلاح الأراضى كانت إسرائيل تريد المعركة قبل أن نكون قد أتممنا ما نريد من أجل تقوية بنائنا الداخلى ، وبنائنا الصناعى .. وبنائنا العسكرى .. فعلى هذا الأساس .. نستطيع أن نقول أن ٥ يونيو والهجوم الإسرائيلى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ م كان مؤامرة مرتبة ..

(عيد العمال أول مايو ١٩٧٠ م)

(إذا سألنا أنفسنا أية كان القصد الحقيقى لعملية العدوان المرتبة التى تعرضنا لها أخيراً .. إذا سألنا أنفسنا هذا السؤال .. الرد يكون القصد الحقيقى كان .. القضاء على الثورة الإشتراكية الموجودة فى مصر ..

وإذن فلكى نستطيع أن نواجه العدوان .. فإنه من الضروري تدعيم الثورة الإجتماعية في مصر) .

(جامعة القاهرة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(الهدف هو القضاء على الثورة الاجتماعية .. والثورة الاشتراكية .. اللى تصدوا لها بكل الوسائل .. تصدوا لنا بمحاولات الإغتيالات ، وبالإخوان المسلمين والمؤامرات ، وبقطع المعونات ولكن صمدنا .. كل الوسائل فشلت .. وفضل حل واحد هو إسرائيل .. وبعد غزو إسرائيل يحصل شرخ في النظام) .

(خطاب في ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

لم يكن إحتلال الأرض هو الهدف الأصلي للعدوان الإستعماري الصهيوني ، وإنما إحتلال الأرض هدف جزئى .. يسعى إلى تحقيق الهدف الأصيل .. وهو تصفية الثورة العربية عامة . العدوان حقق الأهداف الجزئية ، ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه الرئيسى .

(خطاب في ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

هدفنا المباشر لا ينبغى أن يكون إزالة آثار العدوان فحسب ، بل ينبغى أن يكون أيضاً حماية نظامنا الثورى ، وتعميق نظامنا الثورى .. تدعيم حركة الثورة العربية .

(خطاب في ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

طبعاً هم عايزين يقضوا على نظام الثورة له ؟ .. لأنهم عارفين أن هذا النظام الثورى لن يكون نظام إستسلام ولكنه نظام نضال .

(خطاب في ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

إن ٥ يونيو كان صدمة .. ولكن جماهير شعوب الأمة العربية ، أثبتت عملياً وصممت على الرفض .. رفض الهزيمة .. ويجب أن نلح على الرفض .. أنها أثبتت علمياً لكى تفرق بين الرفض الإرادى والرفض الإنفعالى الذى يصدر على العاطفة وحدها .. إن الأمة العربية حينما خرجت تعلن عن تصميمها على القتال كانت تعبر عملياً عن رفضها للهزيمة وعن إستعدادها للتضحية وعن إستعدادها لتقديم دماؤها وأرواحها فداء لكرامتها .. وفداء لأراضيها وفداء لشرفها وفداء لوطنها ..

(عيد العمال أول مايو ١٩٧٠م)

إن الأمة العربية ، لم تستسلم ، ولم تخضع ولم تستطع إسرائيل أن تخضع الأمة العربية ولم تستطع أمريكا - الولايات المتحدة الأمريكية - أن تخضع الأمة العربية لأن هذا فوق

طاقة إسرائيل ، وفوق طاقة الولايات المتحدة الأمريكية .

(عيد العمال أول مايو ١٩٧٠م)

(إن شعبنا المصرى .. وأمتنا العربية .. كلاهما يخوض الآن معركة حياته ومستقبله .. معركة استقلاله وحرية معركة حقه فى التطور السياسى والإجتماعى .. وهو يخوض هذه المعركة فى مواجهة قوى شرسة وضارية تكره الحياة والمستقبل والاستقلال والحرية وآمال التطور السياسى والإجتماعى .

وشعبنا المصرى .. وأمتنا العربية .. كلاهما ليس لديه بديل عن قبول المعركة فهذه المعركة فرضت عليها فرضاً .. ولم يكن غريباً أن جاءت هذه المعركة سنة ١٩٦٧م .. وإنما الغريب أن هذه المعركة لم تفرض قبل ذلك عليهما .

وشعبنا المصرى .. وأمتنا العربية كلاهما .. مطالب بالنصر فى هذه المعركة ليس لأن الثأر هو ثأرنا لما حدث فى سنة ١٩٦٧م ، ولكن لأن النصر هو بابنا الوحيد إلى كل القيم الغالية .. قيم الحياة والمستقبل والحرية والتطور السياسى والاجتماعى) .
(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

هذه هى صورة المعركة التى تخوضها الآن بكل بساطة ، بكل أمانة فى نفس الوقت .. من ذلك كله نستخلص حقائق أساسية .

- ١ - إننا فى وسط معركة بالنسبة لنا حاسمة .
- ٢ - أنه لا بديل لنا عن خوض هذه المعركة كضرورة حياة ومستقبل .
- ٣ - أنه لا سبيل أمامنا فى هذه المعركة غير أن نتنصر ، بما يمنع العدو عن تحقيق أهدافه .
- ٤ - إن المعركة عنيفة لأن مدى الصراع فيها واسع .
- ٥ - إن المعركة طويلة لأن القوى التى تخوضها ضدتنا تملك وسائل الإستمرار ولن تياس بسرعة .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

إن النضال شامل لأن الثورة شاملة أن المعركة العسكرية على جبهة القتال ليست بعيدة عن مشاكل التطور .. إن حربنا ضد الإستعمار هى جزء من حربنا ضد التخلف .. إن إستقلالنا الوطنى ليست له دعامة إلا قدرتنا الوطنية .

(المؤتمر القومى العام ٢٣ يوليو ١٩٧٠م)

إن المعركة ليست جبهة القتال ، وإنما المعركة هى الوطن بأسره ، وهى الأمة من المحيط

إلى الخليج .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

لقد إجتزنا مرحلة في هذه المعركة ، ونحن نعتقد أن وقوفنا برغم كل أنواع الضغوط التي وجهت إلينا عسكرية وسياسية وإقتصادية ونفسية هي خطوات أكيدة على طريق النصر .
إن القوات المسلحة تبذل على الجبهة جهداً هائلاً .

وقوى الإنتاج في هذا الوطن وبالذات في الصناعة والزراعة والإقتصاد ، تكلفت بإعطاء الوقود المادى لمطالب الصمود .

وجماهير الشعب كانت دائماً وما تزال منذ يومى ٩ ، ١٠ يونيو هي الطاقة الهائلة وراء كل شئ تم تحقيقه أو يجرى تحقيقه .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

ولكننا نقف الآن على أبواب مرحلة جديدة نستكمل بها الطريق إلى النصر ، وهذه المرحلة الجديدة سوف تكون أصعب المراحل وأشق المراحل وأحفلها بأسباب التضحية والتحمل والاستعداد بقبول مخاطر بغير حدود .

كل من في هذا الوطن يجب أن يتحول من الآن إلى طاقة قتال .

الوقت قد حان لشئ من توزيع واجبات المعركة محدداً ومخططاً ، وفي هذا تتصل مسئوليتكم بمسئوليات غيرها في هذا الوطن تحمل رسالة المعركة بكل ما تنطوى عليه .
(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

لقد جاء توقيت قيام اللجنة وبدء وممارستها لعملها في أنسب الأوقات فعلاً .. بينا المعركة دائرة .. لم تبلغ ذروتها بعد ، ولكن خط وقف إطلاق النار قد سقط تماماً وللإنصاف فإن هذا الخط لم يكن قائماً أبداً ، لأن العدو لم يقبل به .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

(إن مهمة الطائفة والغواصة ليست بعيدة عن مهمة الحقل والمصنع ، إن النضال الشامل والثورة الشاملة هدفهما الإنسان .. أمن الإنسان .. حق الإنسان .. رفاهية الإنسان .. حرية الإنسان .. ولسوف يكون النصر بإذن الله رفيقاً وحليفاً للإنسان العربى المخلص فى نضاله الشامل والمتفانى فى ثورته الشاملة) .

(الدورة الثالثة للمؤتمر القومى ٢٣/٧/١٩٦٩م)

انخاسته
ماٹ جمال عبدالناصر
ولم تمت تجرته



الختام

مات جمال .. ولم تمت تجربته

مات جمال عبد الناصر يوم ٢٨/٩/١٩٧٠م ، تاركاً خلفه قضايا وصراعات وإنجازات لم تحسم بعد ، مات جمال ، وفي يوم جنازته سار عدة ملايين من البشر ، وأذهلت الجنازة المراقبين .. ولنتأمل بداية كلمات (جان لاکوتير) فى كتابه (عبد الناصر) عام ١٩٧١م ماذا يقول عن تلك الجنازة :

على ضفاف النيل بين الروضة وبولاق ، كنا ملايين من البشر يشهدون آخر رحلة يقوم بها جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، الذى توفى قبل ثلاثة أيام عن اثنين وخمسين عاماً ... ملايين من البشر ينتظرون شيئاً ما ، حدثاً خارقاً لم يدخل فى حساب إنسان ، يكون بحجم ناصر ومنجزاته المدينة العظيمة التى كانت له طوال ثمانية عشر عاماً منيراً ومسرح نشاط ..

وهكذا انقلبت الجنازة الرسمية عيداً بدائياً كبيراً إذ إنتزعت الجماهير النعش وحضنته وبدا وكأنها التهمته .. هل هى محاولة رقى ضد الموت أو ضد الغياب ؟ على من يكنى هذا الشعب اليتيم ؟ على الزعيم الراحل أم على نفسه ؟ على الفراغ الذى خلفه تاركاً شعبة فى مطلع تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٠م معلقاً بين الحرب والسلام ، بين الشرق والغرب ، بين الحرية الجماعية والتقييد الفردى ، بين الشغب والتعقل .

* بلى ...

* لقد كان خروج الشعب المصرى فى جنازة عبد الناصر بهذه الكثافة والعاطفية (مع إستبعادنا لتفسيرات البعض من أعداء عبد الناصر التقليديين الذين رأوا فى الجنازة - حتى الجنازة !! - أمراً مدبراً من أجهزة عبد الناصر السياسية وبخاصة طليعة الإشتراكيين) ، كان خروج الشعب المصرى فى هذه الجنازة .. خروجاً لنعى نفسه .. قبل نعى عبد الناصر ، فلقد كان عبد الناصر (بكل أخطائه الجسيمة وإنجازاته الكبيرة) حلماً لم يكتمل ، أو لم يصادف الواقع بعد .. لقد كان وبعد ثمانية عشر عاماً .. مشروعاً .. بكل ما يعنيه « المشروع » من عدم الإكمال والمحاولة .. ولقد كانت (جنازته) تعبيراً عن هذا وبحق ..

* وكانت جنازته وهذا هو الأهم تعبيراً عن (تجربة حية) لم تمت رغم موت صاحبها ، تجربة اختلط فيه الجيد بالخبيث من العمل ، والحق بالباطل والصدق بالزيف ، والإخلاص



يوم ٣ مايو عام ١٩٧٠ شهد اجتماعاً جلس الوزراء لم يكن أحد يدري أنه الاجتماع الأخير . ومع ذلك فإن التاريخ سوف يرى في محاضر هذا الاجتماع ما يثير الدهشة . لقد كان الاجتماع كله تقريباً حديثاً منه إلى الوزراء عن الشعب وتوصيات منه للاهتمام بمشاكل الشعب وتوجهات حل مشاكل الشعب .



السادات .. وعبد الناصر .. الانقلاب المضاد .. أم الامداد الطيبي

بالنفاق .

* وكانت (جنازة عبد الناصر) تعبيراً صادقاً عما سيحدث بعدها من تحولات كيفية ، يرى البعض أنها كانت إمتداداً طبيعياً لجذور زرعت فى الستينات (وبخاصة على صعيد الإقتصاد والمجتمع وقضايا الصراع العربى الإسرائيلى والعلاقات مع الولايات المتحدة) ، ويرى البعض أنها كانت إنقلاباً شاملاً على كل التجربة الناصرية ، على أيدي السادات ، نائب الرئيس جمال عبد الناصر ، والوحيد من بين الضباط الأحرار الذين لم يختلفوا مطلقاً مع عبد الناصر ، وكان مؤيداً له على طوال الخط حتى فى أخطائه !! .

* وأيا ما كان رأى هؤلاء أو أولئك ، فإن (جنازة عبد الناصر) كانت تعبيراً جياشاً عن حجم الكارثة التى ستحدث فى الأيام المقبلة ، فهذا شعب عاطفى ، سريع التأثر ، والتقلب ، سريع الهوى ، ضعيف الحيلة ، وهو شعب يحترم الحاكم خوفاً ، وليس حباً ، والحاكم دائماً هو الفرعون الطاغى القاسى المستبد ، ونادراً ما آتى حاكم لهذا الشعب ، عادلاً ورحيماً ، وسبحان الله ، إن النداء القرآنى لنبي الله موسى كان (إذهب إلى فرعون فانه طغى .. الآية) ولم يقل (إذهب إلى مصر) أو إلى (شعب مصر) ، بل إلى (فرعون) ، فهذا شعب يُعرف بحاكمه ، ويُخاطب من خلاله ، وتُفهم شخصيته من خلال فهم شخصية حاكمه .

* (إذهب إلى فرعون فإنه طغى) ...

* وكانت (جنازة عبد الناصر) نبؤة لذلك « الفرعون الجديد القادم » ، لقد أفهمته أن هذا الشعب ، بلا حول ولا قوة ، وأنه عاطفى شديد الإحساس ، سريع التأثر وبخاصة بـ (الموت) ، وهو أيضاً سريع الاشتغال والثورة وهذا ما لم يفهمه الفرعون الجديد الذى تلى عبد الناصر .

* كانت (الجنازة) التى مشى فيها (السادات) درساً له وخبرة عميقة .. فأعد .. وهو يدفن عبد الناصر ، عدته لكى يدفن معه هذا الشعب ، وتلك الروح المليونية التى هزت أركان القاهرة عشية دفن (الزعيم) أو (الفرعون) فالاثنين لدى التاريخ واحد ، ونسى السادات جزءاً بسيطاً ولكنه هام من الدرس ، وهو عفوية هذا الشعب وثورته ، وهى العفوية والثورة التى أودت به فيما بعد عام ١٩٨١ م .

* لقد قالت (جنازة عبد الناصر) الكثير ، لمن عاشوها ، ولمن أتوا بعدها .. وكان أبرز ما قالته إن عبد الناصر الذى مات بالأمس (وقيل فيما بعد أنه مات مقتولاً أو مسموماً



عبد الناصر قبل وفاته بأيام : المرض بادياً على الوجه الحزين



في وداع الملك فيصل

ثم . في وداع أمير الكويت . وقد بدأ الألم في صدره فراح يفيض يده اليسرى ليكم الألم



عندما صافح أمير الكويت وانحنى يقبله شعر بشبه دوار فاستند بيده اليسرى على كتف الأمير . وركب
الأمير الطائرة ووقف هو بخوارها ينظر تحريكها فأحس بالألم في صدره بسبب فحاده ثم أحس بالعرف ينسب
منه بغزارة .. وجاءته السيارة كطلبه على غير العادة إلى داخل أرض المطار . وركبها . وطلب إلى سكره
الطبيب في البيت

وأن هناك شبهة جنائية فى وفاته وهو فى تقديرنا أمر غير ذى دلالة أو قيمة تاريخية تفيد فى مثل هذا العمل الذى تقوم به سيظل مشيراً للجدل وللخلاف بشأن تجربته ، فالتيارات السياسية الداخلة فى علاقة صراع معه (كالثيوعيين والإخوان المسلمين ، والوفديين ، والإقطاعيين والساداتيين ... وغيرهم) وجدت فى جنازته بداية لإعلان الحرب على الثمانية عشر عاماً الماضية ، وإمتشقت كل أسلحتها للإعلان وللإستمرار فى هذه الحرب ، وهى حرب بدأت يوم الجنازة (١٠/١/١٩٧٠م) ولا زالت رحاها دائرة حتى اليوم (يونيو ١٩٩٢) .

* أما التيارات المؤيدة لهذه التجربة (كالناصرين والقوميين ومن شابههم) فلقد أخذوا من إيجابيات التجربة وقوداً لمعاركهم السياسية وبخاصة بعد الموافقة الرسمية لنظام الحكم فى مصر على إنشاء حزب ناصرى بزعامة ضياء داود : أحد الناصرين القدامى ورفض الحزب الآخر الذى تقدم به فريد عبد الكريم ، صارت التجربة وقوداً فى معركتهم ضد (الوفد) والإخوان وغيرهم من الخصوم السياسيين .

* وعلى الرغم من وجاهة الحجج التى إستند إليها أعداء وأنصار التجربة إلا أننا نأخذ عليهم جميعاً ، وبعد اثنين وعشرين عاماً من المعارك السياسية والإعلامية والفكرية العنيفة ١٩٧٠ - ١٩٩٢ ، مأخذاً أساسياً وهو فساد أسلحتهم - تجربة يوليو بأخطائها وإنجازاتها - وعقم معاركهم ، وذلك لأنهم لم يفهموا طبيعة تلك الأسلحة أو طبيعة المرحلة التى تعبر عنها .. ومن ثم دخلوا بها معارك ، كان منطقياً أن يكون حصادها هو العقم والعلقم معاً .

* ولأن هذه المعارك العقيمة ستستمر ، رغم كل ما قلناه ورغم إنقاداتنا ، ورغم دعوتنا الدائمة لأن تكون أعيننا على المستقبل ومعاركه ، وأن نأخذ من الماضى درساً وعظة وخبرة ، وإلا يستغرقنا بمعاركه الصغيرة ... رغم ذلك فإن تلك المعارك ستستمر لأن العيب ، ليس فى الماضى فقط ، بل فى (العقل) الذى ينظر إلى هذا الماضى .. والمنهج الذى يستخدم فى دراسة هذا الماضى .. إن (التجربة الناصرية) مثلها مثل أية تجربة إنسانية بها الأخطاء والخطايا والإيجابيات أيضاً ، وإذا كنا نبغى مستقبلاً مشرقاً - بالفعل وليس بالقول - لهذه الأمة ، فعلياً أن ننظر إلى هذه التجربة من كافة نواحيها - كما حاولنا أن نفعل فى هذه الموسوعة - بهدف الإستفادة والتعلم ، لخلق المستقبل لا للعيش على أطلال الماضى سعيداً كان أو سيئاً .

* تلك هي رسالتنا بشأن تجربة عبد الناصر ... وهي رسالة طموحة ... رسالة تريد المستقبل ، فإذا ما لاقت صدى لدى من يستقبلها ، فإن هذا غاية ما نتمناه ، وإذا لم تجد ذلك الصدى ، فليس لدينا سوى أن نقول اللهم قد بلغنا اللهم فأشهد .. علينا .. وعليهم .

والحمد لله .

فائزہ اسرار



(قائمة المراجع)

باللغة العربية :

أولاً : الوثائق والقوانين :

- (١) الميثاق الوطنى (القاهرة وزارة الإرشاد القومى ١٩٦٢) .
- (٢) بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ م (القاهرة ، مطابع مؤسسة الأخبار ، ١٩٦٨ م) .
- (٣) بيان مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين فى الأهرام بتاريخ ١٥ يناير ١٩٥٤ م .
- (٤) بيان السيد / كمال الدين حسين أمام مجلس الأمة عن التربية والتعليم خلال ٥ سنوات (منشورات وزارة التربية والتعليم ، إدارة الشؤون العامة ، أغسطس ١٩٥٧ م) .
- (٥) حطب وأحاديث الرئيس جمال عبد الناصر :
الأجزاء من الأول إلى الخامس (القاهرة ، وزارة الإرشاد القومى ، مصلحة الإستعلامات ، د . ت) .
الأجزاء السادس والسابع (القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٣ م) .
- (٦) قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م والمذكرة الإيضاحية للقانون :
(مضابط مجلس الأمة ، دور الإنعقاد العادى الثالث لمجلس الأمة ، دور الإنعقاد العادى الثالث لمجلة ، المجلد الرابع ، الجلسة ٢٨ بتاريخ ٢٢ يونيو ١٩٦١ م) .
- (٧) قانون الغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والمجالس المليية رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ (وزارة العدل ، النشرة التشريعية ، سبتمبر ١٩٥٥ ، القاهرة ، بولاق ، المطبعة الأميرية ، ١٩٥٥) والمذكرة التفسيرية للقانون .
- (٨) الكتاب الأبيض : القضية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٤ (القاهرة ، المطبعة ، الأميرية د . ت) .
- (٩) نشرة الإشتراكى الإعداد من ٤ - ٧١ خلال الفترة ١٩٦٥/٢/٦ - ١٩٦٨/١/٦ ،
(نشرة غير دورية ، تصدر عن أمانة الدعوة والفكر بالإتحاد الإشتراكى العربى)
ولقاءات جمال عبد الناصر مع طليعة الإشتراكيين القاهرة والجيزة .

(١٠) المسح الإجتماعى الشامل لمصر ١٩٥٢ - ١٩٨٠ م المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة .

(١١) النصوص الكاملة لمحكمة الشعب للإخوان المسلمين ١٩٥٤ م .

(١٢) النصوص الكاملة لمحاكمة سيد قطب عام ١٩٦٥ م .

(١٣) بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء خلال السبعينات .

ثانياً : الكتب :

١ - د . أحمد أحمد بدوى : رفاة رافع الطهطاوى (القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٥٩) .

٢ - د . أحمد بدر : أصول البحث العلمى ومناهجه (الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧) .

٣ - أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، الأجزاء كاملة ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤ م) . كذلك الطبعة الجديدة من نفس الكتاب (القاهرة ، دار الموقف العربى ، ١٩٨١ م) .

٤ - مجتمع عبد الناصر ، قصة ثورة يوليو ، الجزء الثانى (بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥ م) .

٥ - أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٢٩٨ - ١٢٩٩ الهجرتين وفى ١٨٨١ - ١٨٨٢ الميلاديتين الجزء الأول (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٥٨ م) .

٦ - أحمد لطفى السيد : قصة حياتى (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨٢) .

٧ - السيد ياسين (أشراف) الثورة والتغير الاجتماعى : ربع قرن بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م (القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٧) - وكتابه (صفحات مجهولة) وكذلك : يا ولدى هذا عمك جمال وكذلك : كتابه أسرار الثورة المصرية طبعة ١٩٥٧ م .

٨ - أنور السادات : البحث عن الذات ، قصة حياتى (القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٩ م .

٩ - جابر رزق : مذابح الإخوان فى سجون ناصر (القاهرة ، دار الإعتصام ، ١٩٧٧ م) .

١٠ - جاكوب لاندو : تاريخ الأحزاب والحياة البرلمانية فى مصر ، ترجمة سامى الليثى

- (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤م) .
- ١١ - جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة (القاهرة ، المطبعة العالمية ، د . ت) وكذلك
مذكراته التي كتبها في مجلة المصور المصرية عام ١٩٥٢م .
- ١٢ - د . حامد ربيع : محاضرات في النظرية السياسية غير منشورة (جامعة القاهرة ،
كلية الاقتصاد ، ١٩٨١م) .
- ١٣ - حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية (القاهرة ، دار الشهاب ، د . ت) .
- ١٤ - مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (القاهرة ، دار الموقف العربى ،
١٩٨١م) .
- ١٥ - حسن حنفى وآخرون : الثورة العربية ، مائة عام (دار الموقف العربى ، ١٩٨١م) .
- ١٦ - حسن العشماوى : الإخوان والثورة (القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ،
١٩٧٨م) .
- ١٧ - ريتشارد ميتشل : الإخوان المسلمون ، مترجم (القاهرة ، مكتبة مدبولى ،
١٩٧٧م) .
- ١٨ - د . زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية
المعاصرة ١٩٢٨ - ١٩٤٨م (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٨م) .
- ١٩ - التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ، دراسة تاريخية في فكر الشيخ
محمد عبده (القاهرة ، مركز وثائق مصر المحاصرة ، ١٩٨٢م) .
- ٢٠ - زينب الغزالي : أيام من حياتي (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٧٨م) .
- ٢١ - سامى جوهر : الصامتون يتكلمون . (القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ،
١٠٧٥م) .
- ٢٢ - د . سعد الدين إبراهيم (تحرير) : مصر في ربع قرن (بيروت ، معهد الإنماء العربى ،
١٩٨١م) .
- ٢٣ - سلامة موسى : حرية الفكر وإبطالها في التاريخ (القاهرة ، مطبعة دار الهلال ،
١٩٢٧م) .
- ٢٤ - د . سيد عويس : رسائل ألى الإمام الشافعى : ظاهرة إرسال رسائل إلى ضريح الإمام
الشافعى دراسة سوسولوجية ، ط ٢ (القاهرة ، الكويت ، دار الشايع للنشر ،
١٩٧٨م) .
- ٢٥ - الإزدواجية في التراث الدينى المصرى : دراسة ثقافية إجتماعية تاريخية (القاهرة ، دار
الطباعة الحديثة ، ١٩٨١م) .
- ٢٦ - الإبداع الثانى على الطريقة المصرية (القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٢٢م) .

- ٢٧ - سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام (القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٢٢ م) .
- ٢٨ - سيد قطب - معالم في الطريق (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٢ م) .
- ٢٩ - طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ٤٥ - ١٩٥٢ م (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٣ م) .
- ٣٠ - الديمقراطية والناصرية (القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٥ م) .
- ٣١ - المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م) .
- ٣٢ - طه حسين : في الأدب الجاهلى (القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٢٧ م) .
- ٣٣ - طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر (القاهرة ، مطبعة المعارف ، د . ت) .
- ٣٤ - د . عاصم الدسوقي : مجتمع علماء الأزهر في مصر ١٩٨٥ م - ١٩٦١ م (القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٨٠ م) .
- ٣٥ - د . عبد الباسط حسن محمد : أصول البحث الاجتماعى (القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٣ م) وكتابه : تاريخ الحركة الوطنية .
- ٣٦ - عبد الرحمن الرافعى : مصر محمد على (القاهرة ، د . ن ، ١٩٣٠ م) .
- ٣٧ - د . عبد العظيم رمضان : الإخوان المسلمون والتنظيم السرى (القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٨٢ م) .
- ٣٨ - تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩١٨ م إلى ١٩٣٦ م (القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ م) .
- ٣٩ - عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤ م : (القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٧٦ م) .
- ٤٠ - عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا السياسية (القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٥٣ م) .
- ٤١ - عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا القانونية ، (القاهرة ، مطبعة المختار الإسلامى د . ت) .
- ٤٢ - عبد اللطيف البغدادى : (مذكرات البغدادى الجزء الأول والثانى ، القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٨٠ م) .
- ٤٣ - عبد الله إمام : عبد الناصر والإخوان المسلمين (القاهرة ، دار الموقف العربى ، ١٩٨٠ م) .
- ٤٤ - عبد الله العروى : الأيديولوجية العربية المعاصرة : ترجمة محمد عيناى (بيروت ، دار الحقيقة ، ١٩٧٠ م) .

- ٤٥ - د . على الدين هلال : التجديد في الفكر السياسى المصرى الحديث ، أصول الفكرة الاشتراكية ١٨٨٢ - ١٩٢٢ (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥ م) .
- ٤٦ - د . على الدين هلال : السياسة والحكم في مصر (القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٧٧ م) .
- ٤٧ - على عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٢ م) .
- ٤٨ - عمر طوسون : البعثات العلمية في عهد محمد على ثم على عهد عباس الأول وسعيد (الإسكندرية ، مطبعة صلاح الدين ، ١٩٣٤ م) .
- ٤٩ - د . فاروق يوسف أحمد : دراسات في علم الاجتماع السياسى ، الجزء الأول ، (القاهرة ، مكتبة عين شمس ١٩٧٧ م) .
- ٥٠ - لويس شيخو اليسوعى : الأدب العربى في القرن ١٩ ، الجزء الثانى (بيروت ، د . ن ، ١٩٢٦ م) .
- ٥١ - ليونارد بانيدر : الثورة العقائدية في الشرق الأوسط ترجمة خيرى حماد (القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦ م) .
- ٥٢ - د . مارلين نصر : التصور القومى العربى في فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢ م - ١٩٧٠ م) (دار المستقبل العربى - القاهرة ، ١٩٧١ م) .
- ٥٣ - د . محمد الجوهري : علم الاجتماع وقضايا التنمية في العالم الثالث (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٨ م) .
- ٥٤ - د . محمد جابر الأنصارى : تحولات الفكر والسياسة في المشرق العربى ١٩٣٠ م - ١٩٧٠ م (الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٠ م) .
- ٥٥ - د . محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، الجزء الثانى ، (القاهرة ، مطبعة الآداب ، ١٩٥٤ م) .
- ٥٦ - محمد رجب البيومى : الأزهر بين السياسة وحرية الفكر (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨١ م) .
- ٥٧ - محمد طلعت عيسى : البحث الاجتماعى مبادئه ومناهجه (القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ م) .
- ٥٨ - د . محمد عمارة : الأعمال الكاملة للأستاذ محمد عبده (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ م) .

- ٥٩ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى (القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ م) .
- ٦٠ - الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ م) .
- ٦١ - تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨٢ م) .
- ٦٢ - محمد مصطفى عطا : الدعوة التحريرية الكبرى (القاهرة ، دار المعارف ، د . ت) .
- ٦٣ - مناهج الدين « و » التاريخ « للمرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م) ، (المصدر - وزارة المعارف العمومية ، مطبعة وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢م ، ١٩٥٤م) .
- ٦٤ - مناهج مادق الدين والتاريخ للمرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية خلال الفترة ٦٨ - ١٩٦٩م (المصدر - وزارة التربية والتعليم ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٧٠ م) .
- ٦٥ - د . هشام شرابى : مقدمة لدراسة المجتمع العربى (بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٧ م) .

مراجع أخرى

- ٦٦ - جان لاکوتير : عبد الناصر - دار النهار - بيروت ١٩٧١ م .
- ٦٧ - محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم - دار النهار - بيروت - ١٩٧١ م .
- ٦٨ - أنور الجندى : جمال عبد الناصر والثورة - القاهرة دار الجمهورية - ١٩٥٥ م .
- ٦٩ - محمد جلال كشك : ثورة يوليو الأمريكية - القاهرة ١٩٨٨ م .
- ٧٠ - محمد جلال كشك : كلمتى للمغفلين - القاهرة ١٩٨٩ م .
- ٧١ - محمد جلال كشك : الناصريون قادمون - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٧٢ - فتحى رضوان : كتاب (أخى المواطن) - القاهرة ١٩٥٥ م آ
- ٧٣ - فتحى رضوان : ٧٢ شهراً مع عبد الناصر - القاهرة ١٩٨٦ م .
- ٧٤ - اليعازر يعزى : ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى - ترجمة : أنور الرفاعى - سينا للنشر - القاهرة - ١٩٩٠ م .
- ٧٥ - صلاح نصر : ثورة يوليو بين المسيرة والمصير - دى - ١٩٨٩ م .
- ٧٦ - صلاح نصر : الحرب النفسية - دار الوطن العربى - بيروت - ١٩٨٨ م .
- ٧٧ - أسامة حميد : موجز تاريخ مصر فى الحقبة العلمانية بدون ناشر - القاهرة ١٩٨٦ م .

- ٧٨ - د . لطيفة محمد سالم : فاروق وسقوط الملكية في مصر (١٩٣٦م - ١٩٥٢م) مكتبة مدبولي - القاهرة - ١٩٨١م .
- ٧٩ - محمد حسنين هيكل : ملفات السويس - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٨٦م .
- ٨٠ - محمد حسنين هيكل : الانفجار ١٩٦٧م - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٩٠م .
- ٨١ - موسى صبرى - السادات الحقيقة والأسطورة - القاهرة - ١٩٨٥م .
- ٨٢ - عبد الله إمام - حقيقة السادات - القاهرة - ١٩٨٦م .
- ٨٣ - د . رفعت سيد أحمد : الدين والدولة والثورة - القاهرة - ١٩٨٩م .
- ٨٤ - د . رفعت سيد أحمد : النبي المسلح (جزاءات) دار رياض الريس - لندن - ١٩٩٠م .
- ٨٥ - صلاح العقاد : قضية فلسطين : المرحلة الحرجة ١٩٤٥م - ١٩٦٥م - معهد البحوث العربية - القاهرة - ١٩٦٧م .
- ٨٦ - د . طه حسين : تقديم : العدوان الثلاثي على مصر - القاهرة ١٩٥٧م .
- ٨٧ - فؤاد مطر : بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع هيكل : بيروت - ١٩٧٥م .
- ٨٨ - د . فاروق يوسف : السلام وأزمة الهوية مصر - القاهرة - ١٩٨٥م .
- ٨٩ - د . فاروق يوسف : القومية العربية والصهيونية العالمية - ١٩٧٨م .
- ٩٠ - عادل حسين : نحو فكر عربي جديد - القاهرة - ١٩٨٥م .
- ٩١ - صلاح ذكي أحمد : القاموس الناصري - القاهرة ١٩٨٥م .
- ٩٢ - مصطفى كامل السيد المجتمع والسياسة في مصر (١٩٥٢م - ١٩٨١م) القاهرة - ١٩٨٣م .
- ٩٣ - د . محمود عبد الفضيل : التحولات الاقتصادية والاجتماعية في الريف المصري ١٩٥٢م - ١٩٧٠م القاهرة - ١٩٧٨م .
- ٩٤ - عادل الجيار : سياسات توزيع الدخل في مصر - مركز الدراسات - الأهرام - العدد (٥٥) - القاهرة .
- ٩٥ - جمال سليم : التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو في عهد جمال عبد الناصر - مكتبة مدبولي - ١٩٨٢م .
- ٩٦ - مهندس حسين السرجاني : مشكلة الإسكان بالجمهورية العربية المتحدة : أسبابها وحجمها الإسكندرية - ١٩٩٢م .
- ٩٧ - سميرة نجر : الأقباط في الحياة السياسية المصرية القاهرة - ١٩٨٤م .

- ٩٨ - د . ميلاد حنا : نعم أقباط لكن مصريون - القاهرة مكتبة مدبولي - ١٩٨٠ م .
- ٩٩ - د . أنيس صايغ : في مفهوم الزعامة السياسية من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر - بيروت - ١٩٦٥ م .
- ١٠٠ - أمين هويدى : حروب عبد الناصر - بيروت - دار الطليعة - ١٩٧٧ م .
- ١٠١ - محمد السيد سليم : التحليل السياسى الناصرى - بيروت - ١٩٨٣ م .
- ١٠٢ - د . عبد العظيم رمضان : تحطيم الآلهة (قصة حرب يونيو ١٩٦٧ م) - القاهرة - ١٩٨٤ م .
- ١٠٣ - د . صلاح العقاد : مأساة يونيو ١٩٦٧ م - حقائق وتحليل - القاهرة - ١٩٧٥ م .
- ١٠٤ - نيقولا ميكافيللى : الأمير ، بيروت - ١٩٨٥ م .

ثالثاً : الدوريات :

- ١ - المجلة الاجتماعية القومية : عدد خاص عن المرأة لعام ١٩٧٧ م (القاهرة ، المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية) .
- ٢ - الكاتب : العدد رقم ٨٥٠ بتاريخ سبتمبر ١٩٧٣ م (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
- ٣ - المستقبل العربى : العدد رقم ٢٤ بتاريخ فبراير ١٩٨١ م (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية) .
- ٤ - عمر عز الرجال : دور وزارة الخارجية فى صنع القرار - مجلة اليقظة العربية - السنة ٥ - مارس ١٩٨٩ .
- ٥ - د . بنسعيد الخطاب القومى والمصطلح السياسى الناصرية نموذجاً - مجلة الوحدة - عدد ١٦ - سنة ١٩٨٦ م .
- ٦ - مجلة الموقف العربى - عدد يونيو ١٩٨٣ م - القاهرة .
- ٧ - مجلة اليقظة العربية - عدد مايو ١٩٨٦ م - القاهرة .
- ٨ - مجلة مصر المعاصر - عدد إبريل - ١٩٨٠ م .

رابعاً : الصحف والمجلات :

- ١ - صحيفة السياسة : بتاريخ ١٩٢٤/٣/٢١ (أصدرها حزب الأحرار الدستوريين - ١٩٢٤ م)
- ٢ - صحيفة الأهالى : بتاريخ ١٩٧٨/٧/٢٦ (يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى - (الوحدى) - والأهالى بتاريخ ١٩٨٦/٣/١٩ .

٣ - صحيفة الأهرام :

- مجلد عام ١٩٥٠ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥١ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥٢ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥٤ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥٨ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥٩ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٠ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦١ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٢ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٥ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٦ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٧ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٨ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- صحيفة الوفد المصرية مجلد ١٩٩٠ - ١٩٩٢ م .
- صحيفة أخبار اليوم مجلد ١٩٩٠ - ١٩٩٢ م .
- مجلد عام ١٩٧٠ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٧١ م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- ٤ - صحيفة الجمهورية : بتاريخ ١٨/٢/١٩٦٦ م .
- ٥ - صحيفة مصر الفتاة بتاريخ ٢٧/٧/١٩٤٥ م (يصدرها حزب مصر الفتاة) .
- ٦ - صحيفة الهدف الكويتية : بتاريخ ٣٠/٦/١٩٧٧ م .
- ٧ - مجلة الإسلام والتصوف : أعداد السنة الأولى حتى السنة الرابعة (١٩٥٨ م - ١٩٦٢ م) .
- ٨ - مجلة التصوف الإسلامى : مارس ١٩٨٣ م (تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية بالقاهرة) .
- ٩ - مجلة الدعوة : الأعداد من مايو ١٩٧٨ م حتى ١٩٨١ م (تصدر عن جماعة الإخوان المسلمين) .
- ١٠ - مجلة الدوحة : بتاريخ مارس ١٩٨٣ م (وزارة الإعلام بدولة قطر) .
- ١١ - مجلة المصور : بتاريخ ٢٣/٦/١٩٨٣ م (القاهرة دار الهلال) .
- ١٢ - نشرة المعلومات ، الخاصة بأرشيف جريدة الأهرام خلال عامى ١٩٦٥ م : ١٩٦٦ م .

خامساً : الرسائل الجامعية :

- ١ - انعام سيد عبد الجواد : الوضع الاجتماعي للمرأة فى القانون المصرى المعاصر ، رسالة دكتوراة غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، يوليو ١٩٨٠ م) .
- ٢ - عبد الهادى عبد الحكيم الخطيب : الدور السياسى لحركة الإخوان المسلمين فى المجتمع المصرى فى ١٩٣٦م - ١٩٥٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، يوليو ١٩٨٠ م) .
- ٣ - لواء دكتور محمود خليل : الأمن القومى المصرى والعربى وخرب أكتوبر - كلية الدفاع الوطنى - القاهرة ١٩٨٦ م) .
- ٤ - عثمان سعيد الخليس : العلاقات المصرية السعودية ١٩٥٦م - ١٩٧٣م - رسالة دكتوراة - كلية الاقتصاد - ١٩٧٩ م .
- ٥ - حمد بن عبد العاطى صباحى : تطور مفهوم الوحدة العربية فى الصحافة اليومية المصرية ١٩٥٢م - ١٩٦١م - ماجستير بكلية الإعلام جامعة القاهرة - ١٩٨٦ م .
- ٦ - نبيه بيومى عبد الله : تطور فكرة القومية العربية فى مصر - رسالة ماجستير - من معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٧٥ م .
- ٧ - محمد عبد المولى الزعبي : الجمهورية العربية المتحدة تجربة الوحدة العربية ١٩٥٨م - ١٩٦١م ماجستير فى العلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٦٨ م .
- ٨ - أحمد حمد الله السمان : توزيع الدخل فى مصر (١٩٥٢م - ١٩٨٠م) رسالة دكتوراة فى الاقتصاد جامعة القاهرة - ١٩٨٢ م .
- ٩ - فايز بكتاشى : الناصرية أيديولوجية سياسية - رسالة دكتوراة من جامعة السربون - باريس - ١٩٧٧ م .
- ١٠ - يلى إبراهيم أحمد : مدى معالجة سياسات التنمية الاقتصادية لمشكلة البطالة فى مصر فى فترة الستينات - دكتوراة فى الاقتصاد - جامعة القاهرة ١٩٨٢ م .
- ١١ - د . مصطفى علوى : سلوك مصر الدولى : رسالة دكتوراة فى العلوم السياسية - جامعة القاهرة - ١٩٨١ م .

سادساً : المقابلات :

مقابلة مع الأستاذ فتحى رضوان حول قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م .

المراجع الأجنبية

- A - BOOKS:

- 1- Abdel Maleck, Anouar, Anthologie de la littérature Arabe Contemporaine (Paris: Editions du seuil, 1965).
- 2- Abu Lughod, Ibrahim. Arab Rediscovery of Eutope (Princeton: Princeton University Press. 1963).
- 3- Adaems, Charles, Islam and Madernism in Egypt (London, Oxford University Press, 1933).
- 4- Ahmed. Jamal, Muhammad. The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism (London, Oxford University Press, 1960).
- 5- Appelfaum, Richard. P. Theories of Social Change (Chicago, Mstkham Publishing Compeny, 1971).
- 6- Baer, Gabriel. Studies in the Social Hidity of Egypt. (Chicago, The University of Chicago Press, 1969).
- 7- Berger, Morrce, The Arab World Today (New York: Doubleday and Co., 1962).
- 8- Berger, Morrceem Islam in Egypt Today (Cambridge University Press, 1970).
- 9- Dawisha, A.I., Egypt in the Arab World, The Elements of Forigen Polivy (London, Macmillam, Press, 1974).
- 10- Esposito, John. L. (Ed), Islam and Development (Syrecuse University Press, 1980).
- 11- Gibb H.A.R. and Bowen, Harold. Islamic Society and the West (London: Oxford University Press, 1950) 2 Vol.
- 12- Heyworth - Dunne, J, An Introduction to the History of Education in Egypt. (2nd ed. Ltd., 1968).
- 13- Hourani, Albert, Arabic Thought in the Liberal age (London, Oxford University Press, 1962).
- 14- Issawi, Charles. Egypt in Revolution (London: Oxford University Press, 1963).
- 15- Khadduri, Majid, Political Trends in the Arab World (Baltimore, The John Hopkins Press, 1970).
- 16- Safran, Nadav, Egypt: In Search of Political Community (Combridge: Harvard University Press, 1961).
- 17- Sharabi, Hisham. Arab Intellectuals and the West Sormative Tears 1875-1914 (Baltimore: The Hopkins Press, 1970).
- 18- Smith, Donald, E. Religion and Political Modernisation (New Haven, Yole University Press, 1974).
- 19- Vatikiotis, P.H. The Modern History of Egypt (London: Weidenfeld and

Nicolson, 1969).

20- Aatikiotis, P.J. Nasser and His Generation (London, Croom helm, 1978).

21- Von Grunefanm G.E. Modern Islam (New York: Vinlage Books, 1964).

B - Unpublished Paper:

1- Dessouk, Ali. E. Hillal. The Limets of Instrumetalism. Islam in Egypts Foreign Policy, Unpublished Paper Presented at Conference on Idlam In Foreign Policy Held at The Roval Institute of International Affairs (London, October, 1982).

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٧
الفصل الأول :	عبد الناصر : البدايات الأولى ١٣
الفصل الثاني :	الطريق إلى ثورة يوليو : تشكيل «الضباط الأحرار» ٤٧
أولا :	البيئة الخاصة التي تشكل فيها التنظيم : مؤسسة الجيش وتاريخها ٤٧
ثانيا : :	الرؤية الأجنبية لتشكيل تنظيم الضباط الأحرار وتطوره ٥٤
ثالث : :	الرؤية الناصرية لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار ٦٦
رابع : :	الرؤية الإسلامية لنشأة وتطور التنظيم ٨١
خامس : :	المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٨٧
ملحق :	معنى الثورة فى مدركات عبد الناصر : من أقواله وخطبه ٩٧
الفصل الثالث :	الضباط يحكمون : عبد الناصر واستقرار الحكم (١٩٥٢ - ١٩٥٤ : السياسات والأفكار) ١٠٣
أولا :	وثائق انفجار الثورة : قراءة فى المقدمات ١٠٣
ثانيا : :	سنوات القلق : التطورات السياسية والفكرية خلال الفترة (١٩٥٢ - ١٩٥٤) ١٢٤
ملحق :	مفهوم الديمقراطية عند عبد الناصر : الأقوال والخطب ١٦١
الفصل الرابع :	عبد الناصر والصدام الأول مع الإخوان المسلمين : ١٩٥٤ ١٧٣
أولا :	موجز تاريخ جماعة الإخوان ١٧٤

١٧٩	ثانيا : الاخوان والاخرون فى المحيط الاسلامى
١٨١	ثالث : رؤية الاخوان لاشكالية الوطنية
١٨٨	رابع : رؤية الاخوان لشخصية جمال عبد الناصر
١٩٠	خامس : رؤية الاخوان لحادث المنشية
١٩١	سادس : رؤية غربية لحادث المنشية
		سابع : علاقة عبد الناصر بالاخوان : حقيقة صدام
٢٠٠	١٩٥٤
		ملحق (١) : الوثائق تتحدث عن صدام ١٩٥٤ : ملخص
٢١٦	التحقيقات الكاملة مع الاخوان
		ملحق (٢) : وثائق الاخوان وبياناتهم السرية أثناء صدام
٣٣٥	١٩٥٤
		الفصل الخامس : عبد الناصر والانتصار الأول : حرب السويس
٣٥١	١٩٥٦
		أولا : بيئة الحرب : المناخ العربى والدولى عشية
٣٥١	حرب السويس
٣٥٨	ثانيا : واقعة الحرب : التفاصيل العامة
٣٨٤	ثالث : نتائج الحرب
٣٨٥	رابع : تقييم المفكرين المصريين لحرب السويس
		ملحق : حرب السويس (١٩٥٦) فى مدركات
٣٩٧	عبد الناصر : من أقواله وخطبه
		الفصل السادس : عبد الناصر وأحلام الوحدة
٤٠٣	العربية
		أولا : قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢ وأثرها على
٤٠٣	وعيه القومى
		ثانيا : تطور الفكرة العربية فى مصر خلال العهد
٤١٠	الناصرى (الواقع)
٤١٥	ثالث : مدركات عبد الناصر لمسألة الوحدة (الحلم) ..
		رابع : رؤية الاسلاميين الأصوليين لمسألة الوحدة عند
٤٣٠	عبد الناصر
		ملحق رقم (١) : الوحدة العربية فى ادراك عبد الناصر : من
٤٤٠	أقواله و خطبه

ملحق رقم (٢) :	النص الكامل للدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨/٣/٥)	٤٤٧
الفصل السابع :	عبد الناصر وإنجازات الداخل المدرجات الناصرية لقضايا الداخل (التنمية والاشتراكية)	٤٥٩
أولا :	ثانيا : ثالث : رابع :	٤٥٩ ٤٦٨ ٤٨٤
ملحق رقم (١) :	الانجازات الناصرية في الواقع : رؤى متعاطفة الانجازات الناصرية في الواقع : رؤى اسلامية الانجازات الناصرية في الواقع : رؤى موضوعية	٤٩٥
ملحق رقم (٢) :	الاشتراكية في ادراك عبد الناصر : من الأقوال والخطب	٥٢٨
ملحق رقم (٢) :	التشريعات المتصلة بنشاط الاسكان في الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٨٠	٥٤١
الفصل الثامن :	عبد الناصر والغرب المدرجات الناصرية للسياسة الخارجية مع الغرب	٥٥٣
أولا :	ثانيا : ثالث : رابع :	٥٥٣ ٥٦٣ ٥٧٦
خامس :	رؤية عميل امريكي لشخصية عبد الناصر عبد الناصر والأحلاف الغربية في المنطقة رؤية الاصوليين الاسلاميين للبيئة الدولية وموقف عبد الناصر منها	٥٨٩
الفصل التاسع :	قضايا التجسس لصالح الغرب : قضية مصطفى أمين نموذجا	٥٩٤
أولا :	عبد الناصر والأخوة الأعداء : الصراع من الشيوعيين والايوان ١٩٦٥	٦١٩
ثانيا :	جوهرة الخلاف الناصري - الشيوعى : الديمقراطية والقومية العربية	٦١٩
ثالث :	اغتيال شهدى عطية الشافعى كنموذج لعلاقة عبد الناصر بالشيوعيين	٦٣١
ثالث :	الصدام الثانى بين عبد الناصر والايوان	٦٤٢

الفصل الثالث عشر	الانكسار المر : ١٩٦٧ : الموت الحقيقي لعبد
أولا :	الناصر ٨٩١
	الظروف الدولية والعربية قبل يوم ١٩٦٧/٦/٥
 ٨٩٣
ثانيا : _____	واقعة الحرب/الهزيمة : التفاصيل العامة ٨٩٨
ثالث : _____	رؤية عميل امريكى للهزيمة ٩٠٥
رابع : _____	رؤية الأصوليين الاسلاميين للهزيمة وما تلاها ٩١٠
خامس : _____	شهادات الهزيمة (عبد الناصر - عبد الحكيم
	عامر - اللواء طيار/عبد الحميد الدغيدى) ٩٢٠
سادس : _____	تقييم الهزيمة عسكريا : قرارات لجان التحقيق
	في هزيمة يونيو ١٩٦٧ ٩٤٢
سابع : _____	التقييم النهائى للهزيمة والخبرة المستفادة ٩٥٣
ملحق رقم (١) :	المساعدات الأمريكية لاسرائيل من
	١٩٥١-١٩٨١ بملايين الدولارات ٩٦٠
ملحق رقم (٢) :	هزيمة يونيو في مدركات عبد الناصر : من
	الأقوال والخطب ٩٦٢
الخاتمة : _____	مات جمال ولم تمت تجربته ٩٧١
قائمة المراجع : ٩٨٥

٩٢ / ٩٦.٢	رقم الإيداع المحلى
٩٧٧ - ٥٣٤٠ - ٠٥ - ١	الترقيم الدولى

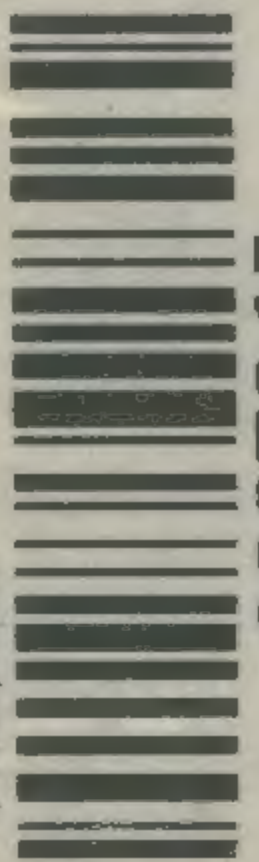
هذه الموسوعة الفكرية والسياسية

* بالوثائق والتحليل العلمي الدقيق ، يتناول الكاتب والباحث المصري المعروف الدكتور / رفعت سيد أحمد قصة حياة جمال عبد الناصر كاملة من الميلاد إلى الموت (١٩١٨ — ١٩٧٠) ؛ على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والعسكرية والإنسانية ، فيتعرض للنشأة الأسرية ، والتشكيل العقلي والسياسي في مرحلة الصبا والشباب ، ثم تكوين تنظيم الضباط الأحرار ، فثورة يوليو بمقدماتها وأحداثها الكبرى ؛ فالتحولات السياسية والاجتماعية التي صاحبت الثورة ، وبخاصة صدام عبد الناصر مع أكبر قوة سياسية في مصر (الإخوان المسلمين خلال عامي ١٩٥٤ ، ١٩٦٥) ، وتتناول الموسوعة أيضاً موقف عبد الناصر من الشيوعيين ، ومن أمريكا ومن الوحدة العربية والإسلامية ، وتفاصيل هزيمة يونيو ١٩٦٧ وانعكاساتها على شخصية عبد الناصر وسياساته .

* والموسوعة ، تقدم أيضاً الصورة النادرة (أكثر من مائة صورة) ، والوثيقة المتميزة عن عبد الناصر ، وعصره ، وهي تقدم رؤية نقدية لكافة الرؤى الإسلامية والقومية والغربية التي تناولت جمال عبد الناصر .

* أنها موسوعة فكرية وسياسية شاملة ، لاغني عنها للباحثين والمتخصصين ، والقارئ المهتم بالحقبة الناصرية ؛ مكتوبة بلغة علمية رصينة .

Bibliotheca Alexandrina



0227345

